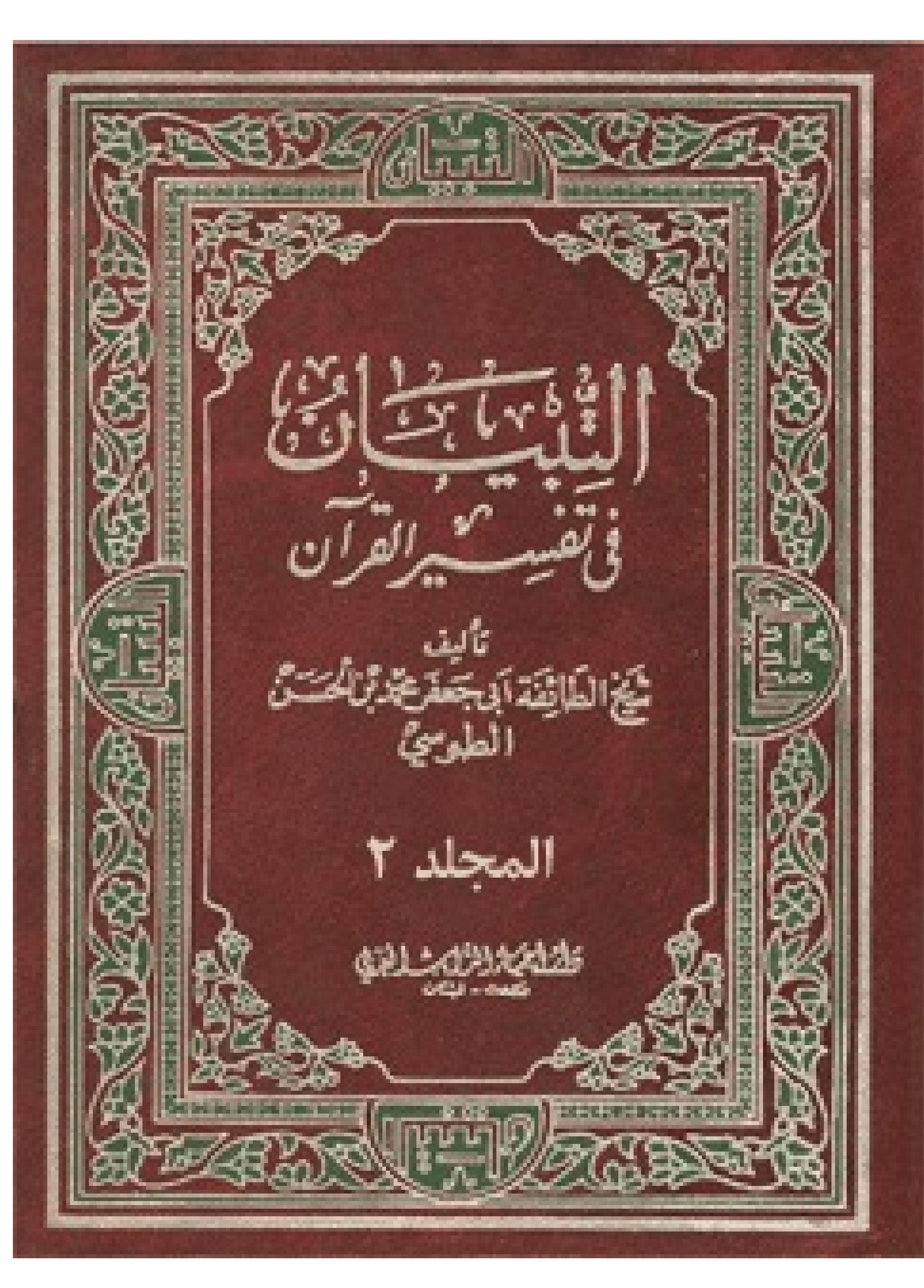

التبيان
في تفسير القرآن
تأليف
شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن
الطوسي
المجلد ٢


بسم الله الرحمن الرحیم

التبيان فی تفسیر القرآن

کاتب:

محمدبن حسن طوسی

نشرت فی الطباعهٔ:

موسسه النشر الاسلامی

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

التبیان فی تفسیر القرآن المجلد ۲

اشارة

شماره بازیابی :۵-۷-۱۴۶-۱

سرشناسه :طوسی محمد بن حسن ۳۸۵-۴۶۰ق

عنوان و نام پدیدآور :التبیان فی تفسیر القرآن[نسخه خطی]/محمد بن الحسن الطوسی

وضعیت استنساخ :، صفر ۵۹۵ق.

آغاز ، انجام ، انجامه :آغاز:بسمله. الحمدلله الواحد ...سوره و الصافات. مکیه فی قول قتاده و مجاهد و ... لیس فیها ناسخ و لا منسوخ...

انجام:... و لو کان مامورا ...دون التلاوه لما وجب ان یاتی بلفظه قل فی هذه المواضع کلها . تم الکتاب و الحمدلله رب العالمین.

انجامه:فرغ الحسین بن محمد بن عبدالقاهر بن محمد بن عبدالله بن یحیی بن الوکیل المعروف بابن الطو...من کتابه هذا الجزء الخامس لنفسه ...عشر صفر من سنه خمس و تسعین و خمس مایه و صلی الله علی سیدنا محمد النبی و اهل بیته الطاهرین و سلم تسلیما کثیرا. بلغ المقابله جهد الطاقه اتانا جعفر و ابی یزید و ان محمد و علی سعید.

مشخصات ظاهری :گ ۴۰۰ - ۷۳۱ ، ۲۷ سطری

یادداشت مشخصات ظاهری :نوع و درجه خط:نسخ

نوع کاغذ:نخودی رنگ، آهار مهره

تزئینات متن: بعضی عناوین و علائم: قرمز

خصوصیات نسخه موجود :امتیاز:ابتدای کتابت این نسخه ربیع الاخر ۵۹۴ ق. و خاتمه ی کتابت صفر ۵۹۵ق. است.

حواشی اوراق:اندکی تصحیح با نشان" صح "دارد.

یادداشت های مربوط به نسخه :یادداشت هایی درباره تعداد اوراق و برگ های کتابت شده نسخه در برگ نخست است. هم چنین تذکری مبنی بر این که مذهب نویسنده معتزلی است ": فافهم ان هذا الکتاب مصنفه معتزلی فاحذر من توجیهه لمذهبه "در برگ ۴۰۰ دارد.

معرفی نسخه : اولین تفسیر مفصل شیعی است که متضمن علوم قرآن است و از قرائت ، اعراب ، اسباب نزول، معانی مختلفه، اعتقادات دینی، وجوه ادبی و نقل روایات از ائمه طاهرین و بقیه مفسران شیعه و سنی بحث می کند ، در آغاز مقدمه مفصلی دارد در اهمیت قرآن و رد تحریف و تفسیر به رای ، چگونگی نزول قرآن و نامهای قرآن، عدد کلمات و حروف و نقطه ها و جز آن . این نسخه جلد ۵ تفسیر از سوره صافات تا آخر قرآن است. این نسخه در لوح فشرده ای به شماره ۱۴۶، از نسخه های اهدایی" دایرة المعارف بزرگ اسلامی "است که از" کتابخانه های یمن "تهیه شده است.

یاداشت تملک و سجع مهر :شکل و سجع مهر:مهر بیضی و مهر به شکل چشم با سجع ناخوانا در برگ ۴۰۴ دارد. مهر بیضی دیگری با سجع " جمال الدین الحسینی "(؟)در برگ ۴۰۰ دارد.

توضیحات نسخه :نسخه بررسی شده .اسکن از روی نسخه اصلی است. آثار جداشدگی اوراق از شیرازه، مرمت صحافی، لکه، رطوبت، شکنندگی لبه ها، پارگی در اوراق مشهود است. شماره گذاری دستی ۱-۳۲۸ دارد.

یادداشت کلی :زبان:عربی

عنوانهای دیگر :تفسیر تبیان

موضوع :تفاسیر شیعه -- قرن ۵ق.

شناسه افزوده :حسین بن محمد، قرن ۶ق. کاتب

المجلد الثانی

[تتمة سورة البقرة] ..... ص : ٣

[سورة البقرة (٢): آية ١٤٢] ..... ص : ٣

سَيَقُولُ السُّفَهاءُ مِنَ النَّاسِ ما وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كانُوا عَلَيْها قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٤٢)

آية واحدة بلا خلاف.

أخبر اللَّه (تعالى) نبيه عليه السلام أنه سيقول لك فيما بعد السفهاء، و هو جمع سفيه، و هو و الجاهل و الغبى نظائر.

«ما وَلَّاهُمْ» معناه، أى شيء ولّاهم. و معنى ولَّاهم صرفهم عنه، و مثله: قلّبه عنه و فتله. «عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كانُوا عَلَيْها». و القبلة: الجهة التى تستقبل فى الصلاة، و قبلة المسلمين: الكعبة. و السفيه: الخفيف إلى ما لا يجوز له أن نحف إليه، و هى صفة ذم فى الدين. و ضد السفه الحكمة. و اشتقاق لاهم من الولى. و هو حصول الثانى بعد الأول من غير فصل. فالثانى يلى الأول، و الثالث يلى الثانى، و الرابع يلى الثالث ثم هكذا أبداً. و وّلى عنه خلاف وّلى إليه: مثل قولك، عدل عنه، و عدل إليه، و انصرف، عنه و انصرف إليه. فإذا كان الذى يليه متوجهاً إليه فهو متول إليه و إذا كان متوجهاً إلى خلاف جهته، فهو متول عنه.

و القبلة مثل الجلسة للحال التى يقابل لشيء غيره عليها كما أن الجلسة للتى يجلس عليها. فكان يقال:- فيما حكى- هو لى قبلة، و أنا له قبلة، ثم صار علماً على الجهة التى تستقبل فى الصلاة.

و اختلفوا فى الذين عابوا المسلمين بالانصراف من قبلة بيت المقدس إلى الكعبة على ثلاثة أقوال:

[الأول فقال ابن عباس، و البراء بن عازب: هم اليهود [الثانى قال الحسن: هم مشركوا العرب، و إن رسول اللَّه (صلى اللّه عليه و آله) لمّا حول الكعبة من بيت المقدس، قالوا: يا محمد (ص) رغبت عن قبلة آبائك، ثم رجعت إليها ايضاً، و اللّه لترجعن إلى دينهم. و الثالث قال السدى: انهم المنافقون، قالوا ذلك استهزاء التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ۴

بالإسلام. و اختلفوا فى سبب عيبهم الصرف عن القبلة: فقال قوم: انهم قالوا ذلك على وجه الإنكار للنسخ. و [الثانى قال ابن عباس: إن قوماً من اليهود قالوا: يا محمد ما ولّاك عن قبلتك التى كنت عليها، ارجع اليها نتبعك و نؤمن. و أرادوا بذلك فتنته. الثالث- انه قال ذلك مشركوا العرب ليوهموا ان الحق ما هم عليه.

و إنما صرفهم اللَّه عن القبلة الاولى لما علم اللّه تعالى من تغير المصلحة فى ذلك.

و قيل انما فعل ذلك لما قال تعالى «وَ ما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْها إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلى عَقِبَيْهِ»، لأنهم كانوا بمكة، أمروا أن يتوجهوا الى بيت المقدس ليتميزوا من المشركين الذين كانوا بحضرتهم يتوجهون الى الكعبة، فلما انتقل رسول اللَّه (ص) الى المدينة كان اليهود المجاورون للمدينة يتوجهون الى بيت المقدس فنقلوا الى الكعبة ليتميزوا من هؤلاء كما أريد فى الاول ان يتميزوا من أولئك و اختار ذلك البلخى و الجبائى و الرمانى.

و قوله تعالى: «قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ» أمر من اللّه تعالى لنبيه (ص) ان يقول لهؤلاء الذين عابوا انتقالهم عن بيت المقدس الى الكعبة: المشرق و المغرب ملك للّه يتصرف فيهما كيف شاء على ما تقتضيه حكمته. و المشرق و المطلع نظائر، و كذلك المغرب و المغيب نظائر.

و فى الآية دلالة على جواز النسخ لأنه تعالى نقلهم- عن عبادة كانوا عليها- الى إيقاعها على وجه آخر و هذا هو النسخ.

و قوله: «لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ» فيه دلالة على أن من له المشرق و المغرب، فله التدبير فيهما، و فى ذلك إسقاط قول من زعم: أن الأرض المقدسة أولى بالتوجه اليها. لأنها مواطن الأنبياء- و قد شرفها اللّه و عظمها- فلا وجه للتولية عنها- فرد اللّه عليهم بأن المواطن كلها للّه يشرف منها ما يشاء فى كل زمان على ما يعلمه من مصالح العباد. و قال ابن عباس، و البراء بن عازب: انه كانت الصلاة الى بيت المقدس الى بعد مقدم النبى (ص) بسبعة عشر شهراً. و قال انس بن مالك: انما كان ذلك تسعة أشهر أو عشرة أشهر. و قال معاذ بن جبل كان ثلاثة عشر شهراً. و قال التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵

قتادة صلّت الأنصار نحو بيت المقدس حولين قبل قدوم النبى (ص) و صلّى النبى (ص) بعد قدومه المدينة ستة عشر شهراً ثم وجهه اللّه الى الكعبة. و لا خلاف ان التوجه الى بيت المقدس قبل النسخ كان فرضاً واجباً. ثم اختلفوا فقال الربيع: كان ذلك على وجه التخيير، خير اللّه نبيه بين ان يتوجه الى بيت المقدس و بين غيرها.

و قال ابن عباس و أكثر المفسرين كان ذلك فرضاً معينا- و هو الأقوى-، لقوله:

«وَ ما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْها» فبين انه جعلها قبلة، و ظاهر ذلك انه معين، لأنه لا دليل على التخيير، على انه لو ثبت انه كان مخيراً لما خرج من ان يكون فرضاً، كما ان الغرض ان يصلى الصلاة فى الوقت ثم هو مخير بين أوله و أوسطه و آخره.

و قوله: «يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ» معنا: يهديهم الى الدين المستقيم الذى يؤديهم الى الجنة، فلذلك سماه صراطاً كما يؤدى الطريق الى المقصد.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۱۴۳] ..... ص : ۵

اشارة

وَ كَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَ ما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْها إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلى عَقِبَيْهِ وَ إِنْ كانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ (۱۴۳)

آية بلا خلاف.

القراءة: ..... ص : ۵

قرأ ابن كثير و نافع و ابن عامر و حفص عن عاصم «لرؤوف» على وزن لرعوف. الباقون «لرؤف» على وزن (فعُل).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۶

المعنى: ..... ص : ۶

اخبر اللّه تعالى أنه جعل أمة نبيه محمد (ص) وسطاً: أى سماها بذلك و حكم لها به. و الوسط: العدل. و قيل الخيار، و معناهما واحد: و قيل: انه مأخوذ من المكان الذى تعدل المسافة منه الى أطرافه. و قيل: بل أخذ الوسط من التوسط بين المقصر و المغالى، فالحق معه «۱». و قال مؤرج: اى وسط بين الناس و بين أنبيائهم و قال زهير:

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم إذا نزلت احدى الليالى بمعظم «۲»

و روى عن النبى (ص) انه قال: أمة وسطاً: عدلا.

و هو قول مجاهـد، و قتادة، و الربيع، و ابن عباس، و اكثر المفسـرين. و قال صاحب العين: الوسط من الناس و غيرهم، و من كل شـىء أعـدله، و أفضـله و قيل الواسط و الوسط بمعنى واحـد، كما قيل يابس و يبس بمعنى واحـد. قال تعالى «فِي الْبَحْرِ يَبَساً» «٣» و الوسط- بتسـكين السـين- الموضع. و الوسـط- بالتحريـك- لما بين طرفى كل شـىء، و يسـمى واسط الرحل بين القادمـة و الاخرة، و كـذلك واسطة القلادة. و اصل الباب الوسط: العدل.

و قولهم فلان من أوسطهم نسباً: اى تكلله الشرف من نواحيه.

الاعراب: ..... ص : ۶

و اللام الاولى فى قوله: «لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ» لام كى، كأنه قال كى تكونوا، و أصلها لام الاضافة. و اللام فى قوله: «وَ إِنْ كانَتْ لَكَبِيرَةً» لام تأكيد، و هى تلزم أن المخففة من الثقيلة، لئلا تلبس بأن التى بمعنى ما، كقوله تعالى:

---

(١) الضمير راجع الى الوسط اى الحق مع الوسط لأنه ليس بالمقصر و لا بالمغالى.

(٢) ديوانه ٢: ٢٧ و روايته.

لحى حلال يعصم الناس أمرهم إذا طرقت احدى الليالى بمعظم

و فى تفسير الطبرى و بعض المصادر الاخرى كما هو مثبت فى المتن.

(٣) سورة طه: آية ٧٧.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٧

«إِنِ الْكـافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ» «١» و هى لام الابتـداء أخرت الى الخبر فى بـاب (ان) خاصـة. و امـا اللام الثالثـة فى قوله: «وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ» فلام الجحد، و أصلها لام الاضافة، و الفعل نصب بإضمار (أن)، و لا يظهر بعدها (ان)، لان التأويل: ما كان اللّه مضيعاً ايمانكم، فلما حمل معناه على التأويل، حمل، لفظه ايضاً على التأويل من غير تصريح بإظهار (ان).

المعنى: ..... ص : ٧

فان قيل: باى شـىء يشـهدون على الناس، قلنا فيه ثلاثة اقوال: أحدها- ليشـهدوا على الناس بأعمالهم التى خالفوا فيها الحق فى الدنيا و فى الآخرة كما قال: «وَ جِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَ الشُّهَداءِ» «٢» و قال «يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْـهادُ» «٣» قال ابن زيد: الاشـهاد أربعة الملائكة، و الأنبياء، و أمة محمد (ص) و الجوارح. كما قال: «يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ» «۴».

الثانى- يشهدون الأنبياء على أممهم المكذبين بأنهم بلّغوا. و جاز ذلك لاعلام النبى (ص) إياهم بذلك.

الثالث- «لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ» أى حجـة عليهم فيما يشـهدون، كما أن النبى (ص) شـهيد بمعنى حجـة فى كلما اخبر به. و النبى (ص) وحده كذلك. فأما الامة فجماعتها حجة دون كل واحد منها. و استدل البلخى، و الجبائى، و الرمانى، و ابن الأخشاد، و كثير من الفقهاء، و غيرهم بهـذه الآيـة على أن الإجماع حجـة من حيث ان اللّه وصـفهم بأنهم عـدول، فإذا عـدلهم اللّه تعالى، لم يجز أن تكون شهـادتهم مردودة- و قـد بينا فى اصول الفقه أنه لا دلالـة فيها على ان الإجماع حجـة- و جملته ان اللَّه تعالى وصـفهم بأنهم عـدول، و بأنهم شهداء و ذلك يقتضى ان يكون كل واحد عدلا،

---

(١) سورة الملك: آية ٢٠.

(٢) سورة الزمر: آية ٦٩. [.....]

(٣) سورة المؤمن: آية ٥١.

(٤) سورة النور: آية ٢۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٨

و شاهداً، لأن شهداء جمع شهيد، و قد علمنا أن كل واحد من هذه الامة ليس بهذه الصفة، فلم يجز أن يكون المراد ما قالوه، على أن الأمة إن أريد بها جميع الامة، فقد بينا ان فيها كثيراً ممن يحكم بفسقه بل بكفره، فلا يجوز حملها على الجميع.

و ان خصوها بالمؤمنين العدول، لنا أن نخصها بجماعة، كل واحد منهم موصوف بما وصفنا به جماعتهم: و هم الأئمة المعصومون من آل الرسول (ص) على أنا لو سلمنا ما قالوه من كونهم عدولا، ينبغى أن نجنبهم ما يقدح فى عدالتهم و هى الكبائر، فأما الصغائر التى تقع مكفرة، فلا تقدح فى العدالة، فلا ينبغى أن نمنع منها، و متى جوزنا عليهم الصغائر لم يمكنا أن نحتجّ بإجماعهم، لأنه لا شىء أجمعوا عليه إلا و يجوز أن يكون صغيراً فلا يقدح فى عدالتهم، و لا يجب الاقتداء بهم فيه لكونه قبيحاً. و فى ذلك بطلان الاحتجاج بإجماعهم. و كيف يجنبون الصغائر، و حال شهادتهم ليس بأعظم من شهادة النبى (ص) و مع هذا يجوزون عليه الصغائر فهلا جاز مثل ذلك عليهم، و لا تقدح فى عدالتهم- كما لم تقدح فى عدالة النبى (ص)؟

قوله: «وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً». قيل فى معناه قولان:

أحدهما- عليكم شهيداً بما يكون من أعمالكم. و قيل: يكون حجة عليكم.

و الثانى- يكون لكم شهيداً بأنكم قد صدقتم- يوم القيامة- فيما تشهدون به.

و جعلوا (على) بمعنى اللام كما قال: «وَ ما ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ» «١» اى للنصب. و التشبيه فى قوله «و كذلك» وقع بما دل عليه الكلام فى الآية التى قبلها: و هى قوله «يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ» فتقديره أنعمنا عليكم بالعدالة كما أنعمنا عليكم بالهداية و العامل فى الكاف جعلنا، كأنه قيل: «من يشأ الى صراط مستقيم» فقد أنعمنا عليكم بذلك و جعلناكم أمة وسطاً فأنعمنا كذلك الانعام. إلا أن (جعلنا) يدل على أنعمنا فى هذا الكلام، فلم نحتج الى حذفه معه فى قوله تعالى: «وَ ما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْها» اى ما صرفناك عن القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم، و حذف لدلالة

(١) سورة المائدة: آية ۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٩

الكلام عليه. و قوله «إِلَّا لِنَعْلَمَ» قيل فى معناه ثلاثة اقوال:

أولها «إِلَّا لِنَعْلَمَ» اى لنعلم حزبنا من النبى و المؤمنين، كما يقول الملك فعلنا و فتحنا بمعنى فعل أولياؤنا و من ذلك قيل: فتح عمر السواد وجبا الخراج و إن لم يتولّ ذلك بنفسه.

الثانى- إلا ليحصل المعلوم موجوداً، فقيل على هذا: إلا لنعلم، لأنه قبل وجود المعلوم لا يصح وصفه بانه عالم بوجوده.

و الثالث- إلا لنعاملكم معاملة المختبر الممتحن الذى كأنه لا يعلم أن العدل يوجب ذلك، من حيث لو عاملهم بما يعلم انه يكون منهم كان ظلماً لهم. و يظهر ذلك قول القائل لمن أنكر أن تكون النار تحرق الحطب: فليحضر النار و الحطب لنعلم أ تحرقه أم لا، على جهة الانصاف فى الخطاب، لا على جهة الشك فى الإحراق. و هذا الوجه اختاره ابن الأخشاد، و الرمانى. و كان على بن الحسين المرتضى الموسوى يقول فى مثل ذلك وجهاً مليحاً: و هو ان قال: قوله لنعلم يقتضى حقيقة ان يعلم هو و غيره و لا يحصل علمه مع علم غيره إلا بعد حصول الّاتباع، فاما قبل حصوله فإنما يكون هو تعالى العالم وحده، فصح حينئذ ظاهر الاية، و هذا وجه رابع، و فيه قول خامس- و هو ان يعلموا انا نعلم، لأنه كان منهم من يعتقد ان اللّه لا يعلم الشىء حتى يكون على ان قوله: «لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ»

لا يـدل على حـدوث العلم، لأنه كان قبل ذلك عالماً بان الاتباع سـيوجد، او لا يوجـد، فان وجد كان عالماً بوجوده و ان لم يتجدد له صفۀ. و انما يتجدد المعلوم، لان العلم بان الشيء سيوجد علم بوجوده إذا وجد.

و انمـا يتغير عليه الاـسم، و يجرى ذلك مجرى تغير الاسم على زمان بعينه، بان يوصف بانّه غـد قبل حصوله، فإذا حصل قيل انه اليوم، فإذا تقضى وصف بانه أمس، فتغير عليه الاسم و المعلوم لم يتغير.

و قوله تعالى: «مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلى عَقِبَيْهِ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- ان قوماً ارتدوّا عن الإسلام لما حولت القبلۀ جهلا منهم بما فيها من وجه الحكمۀ. التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۰

و الآخر ان المراد به كل مقيم على كفره، لان جهۀ الاستقامۀ إقبال، و خلافها ادبار. لذلك وصف الكافر بانه أدبر و استكبر. و قال: «لا يَصْلاها إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِی كَذَّبَ وَ تَوَلَّى» «۱» اى عن الحق.

اللغۀ: ..... ص : ۱۰

و العقب مؤخر القدم قال ثعلب: و نرد على أعقابنا: أى نعقب بالشـر بعد الخير و كذلك رجع على عقبيه. و سميت العقوبۀ عقوبۀ لأنها تتلو الـذنب. و العقبـۀ كرۀ بعـد كرۀ فى الركوب و المشـى. و المعقبـات: ملائكـۀ الليـل تعاقب ملائكـۀ النهار. و عقب الإنسان نسـله. و العقاب معروف و العقب أصلب من العصاب و امتن، يعقب به الرماح.

و التعقيب: الرجوع الى امر تريده. و منه قوله تعالى: «وَ لَمْ يُعَقِّبْ» «۲» و منه يقال عقب الليل النهار يعقبه. و أعقب الرأى خبراً، و أعقب عزه ذلاـ أى أبـدل به. و العقبـۀ طريق فى الجبل. و عرو العقاب: الرايـۀ لشـبهها بعقاب الطائر. و اليعقوب ذكر القبـج تشـبه به الخيل فى السرعۀ. لا معقب لحكمه أى لا رادّ لقضائه. و المعقب: الذى يتبع الإنسان فى طلب حق. و اصل الباب التلو.

المعنى: ..... ص : ۱۰

و الضـمير فى قوله «وَ إِنْ كـانَتْ لَكَبِيرَةً» يحتمل رجوعه الى ثلاثـۀ أشـياء: القبلـۀ على قول ابن عامر. و التحويلـۀ على قول ابن عباس، و مجاهد، و قتادۀ. و هو الأقوى، لان القوم ثقل عليهم التحويل لا نفس القبلۀ. و على قول ابن زيد الصلاۀ و قوله:

«لَكَبِيرَةً» قال الحسن: معناه ثقيلـۀ يعنى التحويلـۀ الى بيت المقـدس، لان العرب لم تكن قبلـۀ أحب اليهم من الكعبۀ. و قيل معناه عظيمۀ على من لم يعرف ما فيها من وجوه الحكمۀ. فاما الذين هدى اللّه، لان المعرفۀ بما فيها من المصـلحۀ تسـهل المشـقۀ فيصير بمنزلۀ ما لا يعتد بها و لذلك حسن الاستثناء بما يخرجهم منها.

---

(۱) سورۀ الليل: آيۀ ۱۵- ۱۶

(۲) سورۀ النمل آيۀ ۱۰ و سورۀ القصص آيۀ ۳۱

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۱

و قوله: «وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ» قيل فى معناه اقوال:

أولهـا- قال ابن عباس و قتادۀ و الربيع: لما حولت القبلـۀ قال ناس: كيف بأعمالنا التى كنا نعمل فى قبلتنا الاولى. و قيل: كيف من مات من إخواننا قبل ذلك، فانزل اللّه (وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ).

الثانى- معناه قال الحسن: و انه لما ذكر ما عليهم من المشقۀ فى التحويلۀ اتبعه بذكر ما لهم عنده من المثوبۀ و انه لا يضيع ما عملوه من الكلفۀ فيه. لان التذكير به يبعث على ملازمۀ الحق و الرضا به.

الثالث- قال البلخى: انه لما ذكر انعامه عليهم بالتولية الى الكعبة ذكر سبب ذلك الذى استحقوه به و هو ايمانهم بما عملوه أولا فقال: «وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ» الذى استحققتم به تبليغ محبتكم فى التوجه الى الكعبة.

اللغة: ..... ص : ١١

و الاضاعة مصدر أضاع يضيع. و ضاع الشيء يضيع ضياعة، وضعه تضييعاً. قال صاحب العين: ضيعة الرجل حرفته. يقال: ما ضيعتك اى ما حرفتك، هذا فى الضياع و ضاع عمل فلان ضيعة، و ضياعاً. و تركهم بضيعة و مضيعة. و الضيعة و الضياع معروف و اصل الضياع الهلاك.

و قوله: (إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ) ان قيل: ما الذى اقتضى ذكر هذه الصفة، قلنا الرؤوف بعباده الرحيم بهم لا يضيع عنده عمل عامل منهم، فدل بالرأفة و الرحمة على التوفير عليهم فيما استحقوه دون التضيع لشيء منه. و انما قدمت الرأفة على الرحمة، لان الرأفة أشد مبالغة من الرحمة ليجرى على طريقة التقديم- بما هو اعرف- مجرى اسماء الاعلام ثم إتباعه بما هو دون منه ليكون مجموع ذلك تعريفاً أبلغ منه، لو انفرد كل واحد عن الاخر كما هو فى الرحمن الرحيم فرءوف على وزن فعول، لغة اهل الحجاز. على وزن فعل، لغة غيرهم قال الانصارى «١»:

---

(١) هو كعب بن مالك الانصارى.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ١٢

نطيع نبينا لنطيع ربّاً هو الرحمن كان بنا رءوفا «١»

و قال حريز: يعنى منعمين حقا، كفعل الوالد الرؤوف الرحيم. و الرأفة: الرحمة تقول رأف يرأف رأفة.

المعنى: ..... ص : ١٢

و استدل من قال الصلاة: الايمان بهذه الآية، فقالوا: سمى اللَّه الصلوة ايمانا- على تاويل ابن عباس، و قتادة، و السدى و الربيع و داود بن أبى عاصم و ابن زيد و سعيد بن المنذر و عمرو بن عبيد و واصل و جميع المعتزلة. و من خالفهم من المرجئة لا يسلم هذا التأويل و يقول: الايمان على ظاهره و هو التصديق و لا ينزل ذلك بقول من ليس قوله حجة، لأنهم ليسوا جميع المفسرين بل بعضهم و لا يكون ذلك حجة.

و استدل الجبائى بهذه الآية على ان الشاهد هو الحاضر دون من مات، بان قال: لو كان الرسول شاهداً على من مضى قبله أو من يأتى بعده و من هو حاضر معه لم يكن لقوله (وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً) معنى. و يؤكد ذلك قوله (وَ كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ما دُمْتُ فِيهِمْ) «٢» و قال غيره: قد يجوز ان يشهد العالم بما علم و ان لم يحضره- و هو الأقوى- و هذه الآية فيها دلالة على جواز النسخ فى الشريعة بل على وقوعه، لأنه قال (وَ ما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْها) فأخبر ان الجاعل لتلك القبلة كان هو تعالى، و انه هو الذى نقله عنها و ذلك هو النسخ، فان قيل: كيف أضاف الايمان الى الأحياء و هم كانوا قالوا: كيف بمن مضى من إخواننا قلنا يجوز ذلك على التغليب، لان من عادتهم ان يغلبوا المخاطب على الغائب كما يغلبون المذكر على المؤنث تنبيهاً على الأكمل، فيقولون: فعلنا بكما و بلغناكما، و ان كان أحدهما حاضراً و الاخر غائباً، فان قيل كيف جاز على اصحاب النبى صلى اللَّه و آله الشك فيمن مضى من إخوانهم فلم يدروا انهم كانوا على حق فى صلاتهم الى بيت المقدس؟ قيل فى ذلك: كيف إخواننا لو أدركوا الفضل بالتوجه، و انهم أحبوا لهم ما أحبوا لأنفسهم. و يكون قال ذلك منافق بما فيه الرد على المخالفين المنافقين.

(۱) اللسان «رأف» و روايته «و نطيع» بدل «لنطيع» فى المطبوعة «رؤف» بدل «رؤوفا».

(۲) سورة المائدة: آية ۱۲۰.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۳

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۱۴۴] ..... ص : ۱۳

اشارة

قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ حَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (۱۴۴)

آية بلا خلاف.

القراءة: ..... ص : ۱۳

قرأ ابن عامر، و حمزة، و الكسائى، و ابو جعفر، و روح «عما تعملون» بالتاء. الباقون بالياء.

النزول: ..... ص : ۱۳

و قال قوم ان هذه الآية نزلت قبل التى تقدمتها: و هى قوله: (سَيَقُولُ السُّفَهاءُ)

المعنى: ..... ص : ۱۳

إن قيل لم قلب النبى (ص) وجهه فى السماء، قلنا عنه جوابان:

أحدهما- انه كان وعد بالتحويل عن بيت المقدس، و كان يفعل ذلك انتظاراً و توقعاً لما وعد به.

و الثانى- انه كان يحبه محبة الطباع، و لم يكن يدعو به حتى أدركه فيه، لان الأنبياء لا يدعون إلا بما أذن لهم فيه لئلا تكون المصلحة فى خلاف ما سألوه فيكون فى ردهم تنفرّ عن قبول قولهم. و هذا الجواب يروى عن ابن عباس، و قتادة.

و قيل فى سبب محبة التوجه الى الكعبة ثلاثة اقوال:

أولها- قال مجاهد: انه أحب ذلك، لأنها كانت قبلة ابراهيم- حكاه الزجاج- انها أحب ذلك استدعاء العرب الى الايمان.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۴

اللغة: ..... ص : ۱۴

و قوله: (قَدْ نَرى فالرؤية هى ادراك الشيء من الوجه الذى يتبين بالبصر.

و قوله: (تَقَلُّبَ وَجْهِكَ) التقلب و التحول و التصرف نظائر: و هو التحرك فى الجهات و قوله: (تَرْضاها) تحبها. و الرضاء ضد السخط: و هو ارادة الثواب. و السخط ارادة الانتقام. و قوله: (شَطْرَ الْمَسْجِدِ) اى نحوه، و تلقاه بلا خلاف بين اهل اللغة. و عليه المفسرون كابن عباس، و مجاهد، و أبى العالية، و قتادة، و الربيع، و ابن زيد، و غيرهم. قال الشاعر:

و قد أظلكم من شطر ثغركم هول له ظلم يغشاكم قطعا

اى من نحو ثغركم و انشد ابن عبيدة الهذلى «١»:

ان العسير بها داء مخامرها فشطرها نظر العينين محسور «٢»

و قال ابن احمر «٣»:

تعدو بنا شطر جمع و هى عاقدة قد كارب العقد من ايفادها الحقبا «۴»

و قال الجبائى: أراد بالشطر النصف، كأنه قال: وجهك نصف المسجد، لأن شطر الشيء: نصفه، فأمره ان يولى وجهه نحو نصف المسجد حتى يكون مقابل الكعبة، و هذا فاسد، لأنه خلاف أقوال المفسرين، و لان اللفظ إذا كان مشتركاً بين النصف، و بين النحو ينبغى ألّا يحمل على أحدهما إلا بدليل. و على ما قلناه اجماع المفسرين، قال الزجاج: يقال: هؤلاء القوم شاطرونا دورهم، تتصل بدورنا كما

---

(١) هو قيس بن العيزارة الهذلى. و العيزارة أمه و اسمه قيس بن خويلد بن كاهل.

(٢) ديوانه: ٢٦١ و التكامل لابن الأثير ١: ١٢، ٢: ٣ و اللسان «شطر» فى المطبوعة «العشير» بدل «العسير» و «تخامرها» بدل «مخامرها» و «محشورا» بدا «محسور»

(٣) فى المطبوعة «الراحم» و هو تحريف.

(۴) سيرة ابن هشام ٢: ١١٩، و الروض الانف ٢: ٣٨ و الخزانة ٣: ٣٨، و مجاز القرآن لأبى عبيدة: ۶٠ فى المطبوعة «كادت العقد من العادها» بدل «كارب العقد من ايفادها» و هو تحريف فاحش مقوله: جمع هى اسم مكان، و يسمى المزدلفة عاقدة قد عكف ذنبها بين فخذيها. كارب: أوشك، و كاد، و قارب، و دنا. اوفدت الناقة: أسرعت. الحقب: الحزام.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١۵

يقال هؤلاء يناحوننا أى نحن نحوهم و هم نحونا. و قال صاحب العين شطر كل شيء نصفه و شطره: قصده و نحوه، و منه المثل احلب حلباً لك شطره اى نصفه. و شطرت الشيء جعلته نصفين، و قد شطرت الشاة شطاراً: و هو ان يكون احد طستها اكثر من الآخر و ان حلبا جميعاً، و منزل شطر: اى بعيد، و شطر فلان على اهله: اى تركهم مراغماً أو مخالفاً. و رجل شاطر. و قد شطر شطورة، و شطوراً و شطارة: و هو أعيا اهله خبثاً. و أصل الشطر النصف.

المعنى: ..... ص : ١۵

و قال السدى المعنى بقوله (وَ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ) هم اليهود. و قال غيره:

هم أحبار اليهود، و علماء النصارى غير انهم جماعة قليلة يجوز على مثلهم اظهار خلاف ما يبطنون، لان الجمع الكثير لا يتأتى ذلك منهم لما يرجع الى العادة، و انه لم يجز بذلك مع اختلاف الدواعى، و انما يجوز العناد على النفر القليل و قد مضى فيما تقدم نظير ذلك، و ان على ما نذهب اليه فى الموافاة لا يمكن أن يكونوا عارفين بذلك إلا أن يكون نظيرهم لا يوجه وجوب المعرفة، فإذا حصلت المعرفة عند ذلك فلا يستحقون عليه الثواب لان النبى (ص) يمنع منه ان يكونوا مستحقين للثواب الدائم و يكفرون فيستحقون العقاب الدائم و الإحباط باطل، فيؤدى ذلك الى اجتماع الاستحقاقين الدائمين و ذلك خلاف الإجماع.

و هذه الآية ناسخة لفرض التوجه الى بيت المقدس قبل ذلك. و روى عن ابن عباس انه قال: أول ما نسخ من القرآن فيما ذكر لنا شأن القبلة. و قال قتادة:

نسخت هذه الآية ما قبلها. و قال جعفر بن مبشر هذا مما نسخ من السنة بالقرآن- و هذا هو الأقوى-، لأنه ليس فى القرآن مما يدل

على تعبده بالتوجه الى بيت المقدس. و من قال: انها نسخت قوله تعالى: (فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) قلنا له هذه ليست منسوخة بل هى مختصة بالنوافل- فى حال السفر- فأما من قال: يجب على الناس ان يتوجهوا الى الميزاب الذى على الكعبة و يقصدوه، فقوله باطل، لأنه خلاف التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۶
ظاهر القرآن. قال ابن عباس: البيت كله قبلة- و هو قول جميع المفسرين. و روى بعض اصحاب الحديث: ان البيت هو القبلة و ان قبلته بابه. و هذا يجوز. قال فاما ان يجب على جميع الخلق التوجه اليه، فهو خلاف الإجماع.
و قوله: (حَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ)
روى عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه (ع) ان ذلك فى الفرض، و قوله: (فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) فى النافلة.
و روى عن ابن عباس و أبى جعفر محمد بن على: انه لما حول الى الكعبة اتى رجل من عبد الأشهل من الأنصار و هم قيام يصلون الظهر و قد صلوا ركعتين نحو بيت المقدس، فقال: ان اللّه قد صرف رسوله نحو البيت الحرام، فصرفوا وجوههم نحو البيت الحرام فى بقية صلاتهم.

الاعراب: ..... ص : ۱۶

و قوله: (وَ حَيْثُ ما كُنْتُمْ) موضع كنتم جزم بالشرط، و تقديره و حيث ما تكونوا، و الفاء جواب و لو لا (ما) لم يجز الجزاء (بحيث) لخروجها عن نظائرها، بانه لا يستفهم بها، و لان الاضافة لها كالصلة لغيرها، و ليست بصلة كصلة أخواتها. و الهاء فى قوله تعالى: (وَ إِنَّهُ لَلْحَقُّ) على قول الجبائى يعود الى التحويل. و قال الحسن: هى عائدة الى التوجه الى الكعبة، لأنها قبلة ابراهيم، و الأنبياء قبله.

اللغة: ..... ص : ۱۶

و «الحق» وضع الشيء فى موضعه إذا لم يكن فيه وجه من وجوه القبح.
و الغفلة: هى السهو عن بعض الأشياء خاصة و إذا كان السهو عاماً فهو فوق الغفلة و هو السهو العام، لأن النائم لا يقال: انه غفل عن الشيء الا مجاز.

المعنى: ..... ص : ۱۶

و قال عطا فى قوله تعالى: (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ) قال: الحرم التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۷
كله مسجد. و هذا مثل قول أصحابنا أن الحرم قبلة من كان نائيا عن الحرم من أهل الآفاق. و اختلف الناس فى صلاة النبى (ص) الى بيت المقدس فقال قوم: كان يصلى بمكة الى الكعبة، فلما صار بالمدينة أمر بالتوجه الى بيت المقدس سبعة عشر شهراً ثم أعيد الى الكعبة. و قال قوم: كان يصلى بمكة الى بيت المقدس إلا أنه كان يجعل الكعبة بينه و بينها و لا يصلى فى غير المكان الذى يمكن هذا فيه. و قال قوم: بل كان يصلى بمكة، و بعد قدومه المدينة سبعة عشر شهراً الى بيت المقدس، و لم يكن عليه ان يجعل الكعبة بينه و بينها، ثم أمره اللّه بالتوجه الى الكعبة. و من صلى الى غير القبلة لشبهة دخلت عليه، ثم تبينه، فان كان الوقت باقياً أعاد الصلاة. و ان خرج الوقت، فان كان صلى يميناً و شمالا، فلا إعادة عليه، و إن صلى الى استدبارها أعاد. و فيه خلاف بين الفقهاء ذكرناه فى الخلاف.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۱۴۵] ..... ص : ۱۷

اشارة

وَ لَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ بِكُلِّ آيَةٍ ما تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَ ما أَنْتَ بِتابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَ ما بَعْضُهُمْ بِتابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ (۱۴۵)

آية بلا خلاف.

الاعراب: ..... ص : ۱۷

اختلف النحويون فى أن جواب- لئن- لم كـان جواب (لو) فقال الأخفش، و من تبعه أجيبت بجواب- لو، لان الماضـى وليها كما يلى لو فـاجيبت بجواب (لو) و دخلت كـل واحـدة منهمـا على صاحبتهـا قـال اللَّه تعـالى: (وَ لَئِنْ أَرْسَلْنا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ) «۱» فجرى مجرى و لو أرسـلنا و قال (وَ لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) «۲» على جواب لئن. و قال سيبويه و جميع أصحابه: ان معنى

---

(۱) سورة الروم آية ۵۱

(۲) سورة البقرة آية ۱۰۳ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۸

(لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ) ليظلن و معنى (لئن) غير معنى (لو) فى قول الجماعـة. و إن قالوا إن الجواب متفق لأنهم لا يـدفعون أن معنى (لئن) مـا يستقبل و معنى (لو): مـا مضـى و حقيقـة معنى (لو) أنهـا يمتنع بها الشـىء لامتناع غيره. كقولك لو أتيتنى لأكرمتك أى لم تـأتنى فلم أكرمـك، فـامتنع الإـكرام، لامتنـاع الإتيان. و معنى (إن) (و لئن) انما يقع بهما الشـىء لوقوع غيره تقول: إن تأتنى أكرمك، فالاكرام يقع بوقوع الإتيان و قال بعضـهم: إن كل واحـدة منهما على موضـعها، و انما لحق فى الجواب هـذا التداخل، لدلالة اللام على معنى القسم، فجاء الجواب بجواب القسم، فاغنى عن جواب الجزاء لـدلالته عليه، لان معنى لظلوا ليظلن و هذا هو معنى قول سـيبويه. و يجوز أن تقول: إن أتيتنى لم أجفـك، و لاـ يجوز أن تقول: إن اتيتنى مـا حفوتك، لان (ما) منفصـلة (و لم) كجزء من الفعل. ألا ترى أنه يجوز ان تقول: زيداً لم أضرب، و لا يجوز زيداً ما ضربت.

و انما يجاب الجزاء بالفعل أو الفاء، فإذا تقدم لام القسم جاز، فقلت لئن أتيتنى ما جفوتك.

المعنى: ..... ص : ۱۸

فان قيل: كيف قال (وَ لَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ بِكُلِّ آيَةٍ ما تَبِعُوا قِبْلَتَكَ) و قد آمن منهم خلق؟ قلنا عن ذلك جوابان:

أحدهما- قال الحسن: إن المعنى أن جميعهم لا يؤمن، و هو اختيار الجبائى.

و الثانى- أن ذلك مخصوص لمن كان معانـداً من أهل الكتاب دون جميعهم الذين وصـفهم اللّه، فقال «يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ» اختاره البلخى و الزجاج. و هـذه الآية دالة على فساد قول من قال: لا يكون الوعيد بشـرط، و على فساد قول من قال بالموافاة، و إن من علم اللّه أنه يؤمن لا يسـتحق العقاب أصـلا، لأن اللّه تعالى علق الوعيـد بشـرط يوجب أن يكون متى تحصل الشـرط تحصل اسـتحقاق العقـاب، و فيهـا دليـل على فساد قول من قال: إن الوعيـد لا يقع لمن علم أنه لا يعصـى، لأن اللّه تعالى علم من حال الرسول أنه لا يتبع أهواءهم و مع هذا يوعده إن اتبع أهواءهم. و فى الآية دلالة على التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۹

بطلان قول من قال: إن فى المقـدور لطفاً، لو فعل اللّه بالكافر لآمن لا محالة، من قبل أنه قيل فى قوله (وَ لَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ

بِكُلِّ آيَةٍ ما تَبِعُوا قِبْلَتَکَ) قولان:

أحدهما- أن المعاند لا- ينفعه الدلالة لأنه عارف و الآخر أنه لا لطف لهم فتلتمسه ليؤمنوا، و على القولين فيه دلالة على فساد قول أصحاب اللطف، لان مخرجه مخرج التنصل من التخليف عنهم ما يؤمنون عنده طوعاً، فلو قال قائل: و ما فى أن الآية لا ينفعهم فى الايمان لطف ينفعهم فيه لكان لا- يسقط سؤاله إلا بأن يقال: لا لطف لهم كما لا آية تنفعهم و قوله: (وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ) قيل فى معناه ثلاثة أقوال:

أحدهما- (لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ) فى المداراة لهم حرصاً على أن يؤمنوا (إِنَّکَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ) لنفسک مع اعلامنا إياک: (أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ). هذا قول أبى على الجبائى.

الثانى- الدلالة على أن الوعيد يجب باتباع أهوائهم فيما دعوا اليه من قبلتهم، و أنه لا- ينفع مع ذلک عمل سلف، لأنه ارتداد. و الخطاب للنبى (ص) و المراد به کل من کان بتلک الصفة. کما قال: (لَئِنْ أَشْرَکْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُکَ) «١» و هذا قول الحسن، و الزجاج.

الثالث- ان معناه الدلالة على فساد مذاهبهم، و تبکيتهم بها. کما تقول: لئن قيل عنک أنه لخاسر تريد به التبکيت على فساد رأيه، و التبعيد من قبوله.

و قوله: (وَ ما أَنْتَ بِتابِعٍ قِبْلَتَهُمْ) قيل فى معناه أربعة اقوال:

أولها- أنه لما قال: (وَ لَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْکِتابَ بِکُلِّ آيَةٍ ما تَبِعُوا قِبْلَتَکَ وَ ما أَنْتَ بِتابِعٍ قِبْلَتَهُمْ) على وجه المقابلة کما تقول: ما هم بتارکى انکار الحق و ما أنت بتارک الاعتراف به، فيکون الذى جرّ الکلام التقابل للکلام الاول، و ذلک حسن من کلام البلغاء.

---

(١) سورة الزمر: آية ۶۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٢٠

الثانى- أن يکون المراد أنه ليس يمکنک استصلاحهم باتباع قبلتهم لاختلاف وجهتهم، لان النصارى يتوجهون الى المشرق، و اليهود الى بيت المقدس، فبين اللَّه تعالى: أن رضا الفريقين محال.

الثالث- أن يکون المراد حسم طمع أهل الکتاب من اليهود إذ کانوا طمعوا فى ذلک و ظنوا انه يرجع الى الصلاة الى بيت المقدس، و ماجوا فى ذکره.

الرابع- انه لما کان النسخ مجوزاً قبل نزول هذه الآية، فأنزل اللَّه تعالى الآية، ليرتفع ذلک التجوز.

و قوله: (وَ ما بَعْضُهُمْ بِتابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ) قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال الحسن، و السدى، و ابن زيد، و الجبائى: أنه لا يصير النصارى کلهم يهوداً، و لا اليهود کلهم يصيرون نصارى أبداً، کما لا يتبع جميعهم الإسلام. و هذا من الاخبار بالغيب.

و قال غيرهم: معناه إسقاط الاعتلال بأنه مخالفة لأهل الکتاب الذين ورثوا ذلک عن أنبياء اللَّه بامره إياهم به، فکلما جاز أن يخالف بين وجهتهم للاستصلاح جاز ان يخالف بوجهة ثالثة للاستصلاح فى بعض الازمان.

و قد بينا حد الظلم فيما تقدم، و اعترضنا قول من قال: هو الضرر و القبيح الذى يستحق به الذّم من حيث أن ذلک ينقض بفعل الساهى، و النائم، و الطفل، و المجنون- إذا کان بصفة الظلم- فانه يکون قبيحاً و ان لم يستحقوا به ذمّاً. و من خالف فى ذلک کان الکلام عليه فى موضع آخر. على ان المخالف فى ذلک ناقض، فانه قال: ان الکذب يقع من الصبى و يکون قبيحاً. و هذا إذا جاز. هلا جاز ان يقع منه الظلم؟

فان قال: لان العقل للإنسان البالغ، يزجر الصبى عن ذلک بالتأديب. قلنا مثل ذلک فى الظلم سواء.

قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ١۴۶] ..... ص : ٢٠

اشارة

الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ وَ إِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (١۴۶)

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٢١

آية بلا خلاف

المعنى: ..... ص : ٢١

أخبر اللّه تعالى عن أهل الكتاب أنهم يعرفون النبى (ص) كما يعرفون أبناءهم، و أن جماعة منهم يكتمون الحق مع علمهم بأنه حق. و قيل فى الحق الذى كتموه قولان:

أحدهما- قال مجاهد: كتموا محمداً (ص) و نبوته، و هم يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة و الإنجيل.

و الثانى- قال الربيع: انهم كتموا أمر القبلة. و قوله (وَ هُمْ يَعْلَمُونَ) يحتمل أمرين:

أحدهما- يعلمون صحة ما كتموه. و الثانى- يعلمون ما لمن دفع الحق من العقاب و الذم.

و (الهاء) فى قوله: (يعرفونه) عائدة- فى قول ابن عباس، و قتادة، و الربيع- على أن أمر القبلة حق. و قال الزجاج هى عائدة على أنهم يعرفون النبى (ص) و صحة أمره، و ثبوت نبوته، و انما قال: (وَ إِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ) و فى أوّل الآية قال: (يَعْرِفُونَهُ) على العموم، لان أهل الكتاب منهم من أسلم و أقر بما يعرف فلم يدخل فى جملة الكاتمين. كعبد اللّه بن سلام، و كعب الأحبار، و غيرهما ممن دخل فى الإسلام.

و العلم و المعرفة واحد. و حدّه ما اقتضى سكون النفس. و إن فصّلت، قلت: هو الاعتقاد للشىء على ما هو به مع سكون النفس. و فصل الرمانى بين العلم و المعرفة، بأن قال: المعرفة هى التى يتبين بها الشىء من غيره على جهة التفصيل. و العلم قد يتميز به الشىء على طريق الجملة دون التفصيل كعلمك بان زيداً فى جملة العشرة. و إن لم تعرفه بعينه و إن فصلت بين الجملة التى هو فيها، و الجملة التى ليس هو فيها. و هذا غير صحيح التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٢٢

لان المعرفة أيضاً قد يتميز بها الشىء على طريق الجملة، فلا فرق بينهما. فان قيل لم قال:

«يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ» إنهم أبناءهم فى الحقيقة، و يعرفون أن محمداً (ص) هو النبى المبشر به فى الحقيقة؟ قلنا التشبيه وقع بين المعرفة بالابن فى الحكم: و هى معرفة تميزه بها من غيره، و بين المعرفة بالنبى المبشر به فى الحقيقة، فوقع التشبيه بين معرفتين. إحداهما أظهر من الاخرى.

قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ١۴٧] ..... ص : ٢٢

اشارة

الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (١۴٧)

آية بلا خلاف.

الاعراب: ..... ص : ٢٢

«الحق» مرتفع بأنه خبر ابتداء محذوف و تقدير ذاك الحق من ربّك أو هو الحق من ربك. و مثله مررت برجل كريم زيد: اى هو زيد، و لو نصب كان جائزاً فى العربية على تقدير اعلم الحق من ربك.

المعنى: ..... ص : ۲۲

و قوله: «فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ» معناه من الشاكين ذهب اليه ابن زيد، و الربيع، و غيرهما من المفسرين. و الامتراء الاستخراج. و قيل: الاستدرار. فكأنه قال: فلا تكن من الشاكين فيما يلزمك استخراج الحق فيه. قال الأعشى:

تدرّ على اسؤق الممترى ن ركضاً إذا ما السراب ارجحن «۱»

يعنى الشاكين فى درورها، لطول سيرها. و قيل: المستخرجين ما عندها. قال صاحب العين: المرى مسحك ضرع الناقة. تمر بها بيدك لكى تسكن، للحلب، و الريح تمرى السحاب مرياً. و المرية من ذلك. و المرية الشك. و منه الامتراء،

---

(۱) ديوانه: ۲۳ رقم القصيدة: ۲، و اللسان «رجحن» تدر- بضم الدال و تشديد الراء- تجرى بسرعة. الممترين: الذين يغمزون خيلهم بساقهم، ارجحن السراب: ارتفع فى المطبوعة «و كفاً» بدل «ركضاً» و «السحاب» بدل «السراب».

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۳

و التمارى، و المماراة، و المراء. و أصل الباب الاستدرار. و يقال: بالشكر تمترى النعم اى تستدر. و قال الحسن، و الربيع، و الجبائى: معنى الآية «فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ» فى الحق الذى تقدم اخبار اللّه به من أمر القبلة، و عناد من كتم النبوة و امتناعهم من الاجتماع على ما قامت به الحجة. و قال بعضهم: «فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ» فى شيء يلزمك العلم به. و هو الاولى، لأنه أعم، و الخطاب و ان كان متوجهاً الى النبى (ص) فالمراد به الامة كما قال تعالى: «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذا طَلَّقْتُمُ» «۱» و قال: (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَ لا تُطِعِ الْكافِرِينَ وَ الْمُنافِقِينَ) «۲». و قال قوم: إن الخطاب له، لأنه إنما لا يجوز عليه ذلك لملازمته أمر اللّه. و لو لم يكن هناك أمر لم يصح أن يلازم.

و النون الثقيلة يؤكد بها الامر و النهى، و لا يؤكد بها الخبر، لما كان المخبر يدل على كون المخبر به، و ليس كذلك الأمر و النهى، و الاستخبار، لأنه لا يدل على كون المدلول عليه، فألزم الخبر التأكيد بالقسم و ما يتبعه من جوابه، و اختصت هذه الأشياء بنون التأكيد ليدل على اختلاف المعنى فى المؤكد. و لما كان الخبر أصل الجمل أكد بأبلغ التأكيد و هو القسم.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۱۴۸] ..... ص : ۲۳

اشارة

وَ لِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيها فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ أَيْنَ ما تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۱۴۸)

آية بلا خلاف.

القراءة: ..... ص : ۲۳

قرأ ابن عامر و ابو بكر عن عاصم (مولّاها). و روى ذلك عن ابن عباس و محمد بن على، فجعلا الفعل واقعاً عليه. و المعنى واحد، كذا قال الفراء.

(۱) سورة الطلاق: آیة ۱

(۲) سورة الأحزاب آیة: ۱.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۲۴

المعنی: ..... ص : ۲۴

و فی قوله: لِکُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّیها»

أقوال:

أحدهما- قال مجاهد، و الربیع، و ابن زید، و ابن عباس، و السدی: أن لکل أهل ملة من الیهود و النصاری.

الثانی- قال الحسن: إن لکل نبی وجهة واحدة: و هی الإسلام و ان اختلف الأحکام کما قال: «لِکُلٍّ جَعَلْنا مِنْکُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً» ای فی شرائع الأنبیاء.

الثالث- قال قتادة: هو صلاتهم الی بیت المقدس، و صلاتهم الی الکعبة.

الرابع- ان لکل. قوم من المسلمین وجهة، من کان منهم وراء الکعبة و قدامها أو عن یمینها أو عن شمالها، و هو الذی اختاره الجبائی.

و الوجهة قیل فیه قولان:

أحدهما- انه قبلة. ذهب الیه مجاهد، و ابن زید. الثانی قال الحسن: هو ما شرعه اللّه لهم من اسلام.

و فی (جهة) ثلاث لغات: وجهة، وجهة، و وجه. و إنما أتم لأنه اسم لم یجیء علی الفعل. و من قال: جهة. قال المبرد: جاء به علی قولهم وجهنی، و وجهته.

و معنیُوَلِّیها»

مستقبلها- فی قول مجاهد و غیره. کأنه قال: مول إلیها، لان ولی الیه نقیض ولی عنه. کقولک: انصرف الیه، و انصرف عنه. و قوله «هو» عائد- علی قول اکثر المفسرین- الی کل. و قال قوم یعود علی اسم اللّه حکاهما الزجاج.

ولْخَیْراتِ»

هی الطاعات للَّه- علی قول ابن زید و غیره- و قوله:أْتِ بِکُمُ اللَّهُ جَمِیعاً»

یعنی یوم القیامة- من حیث ما متم من بلاد اللَّه- و هو قول السدی، و الربیع و قد رویَ لِکُلٍّ وِجْهَةٌ»

مضاف غیر منون- و ذلک لا یجوز، لأنه یکون الکلام ناقصاً، لا معنی له و لا فائدة فیه. و قوله:اسْتَبِقُوا»

یحتمل معنیین:

أحدهما- بادروا الی ما أمرتم به مبادرة من یطلب السبق الیه.

الثانی- قال الربیع: سارعوا الی الخیرات. و هو الاولی، لأنه أعم.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۲۵

اللغة: ..... ص : ۲۵

و الاستباق، و الابتدار، و الاسراع نظائر. قال صاحب العین: السبق: القدمة فی الجری و فی کل أمر. تقول: له فی هذا الامر سبقة، و سابقة و سبق: أی سبق الناس الیه. و السبق الخطر الذی یوضع بین اهل السباق، و جمعه اسباق. و السباقان فی رجل الطائر الجارح قیداه

من خیط أو سیر. و اصل الباب السبق: التقدم فی الامر.

قوله تعالی:[سورة البقرة (۲): آیة ۱۴۹] ..... ص : ۲۵

وَ مِنْ حَیْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَکَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ إِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (۱۴۹)

آیة بلا خلاف.

قیل فی تکرار قوله تعالی: «فَوَلِّ وَجْهَکَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرام» قولان:

أحدهما- أنه لما کان فرضاً، نسخ ما قبله، کان من مواضع التأکید لینصرف الی الحال الثانیة بعد الحال الاولی علی یقین.

و الثانی- أنه مقدم لما یأتی بعده و یتصل به، فأشبه الاسم الذی تکرره لتخبر عنه باخبار کثیرة کقولک: زید کریم، و زید عالم، و زید حلیم، و ما أشبه ذلک مما تذکره لتعلق الفائدة به و إن کانت فی نفسها معلومة عند السامع، و معنی قوله «وَ إِنَّهُ لَلْحَقُّ» الدلالة علی وجوب المحافظة- من حیث کان حقاً للّه فیه طاعة-، و معنی قوله «وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» هاهنا التهدید کما یقول الملک لعبیده لیس یخفی علی ما أنتم فیه، و مثله قوله: «إِنَّ رَبَّکَ لَبِالْمِرْصادِ» «۱». و الوجه الجارحة المخصوصة و قد حده الرمانی بانه صفیحة فیها محاسن تعرف بها الجملة، و حیث مبنیة علی الضمّ، لأنها کالغایة تمامها الاضافة الی المفرد، دون الجملة، لها بمنزلة الصلة، فجرت لذلک مجری قوله «من قبل و من بعد». «۲»

---

(۱) سورة الفجر آیة: ۱۴

(۲) سورة الروم آیة: ۵.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۲۶

قوله تعالی:[سورة البقرة (۲): آیة ۱۵۰] ..... ص : ۲۶

اشارة

وَ مِنْ حَیْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَکَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ حَیْثُ ما کُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَکُمْ شَطْرَهُ لِئَلاَّ یَکُونَ لِلنَّاسِ عَلَیْکُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِینَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَ اخْشَوْنِی وَ لِأُتِمَّ نِعْمَتِی عَلَیْکُمْ وَ لَعَلَّکُمْ تَهْتَدُونَ (۱۵۰)

آیة بلا خلاف.

المعنی: ..... ص : ۲۶

قیل فی تکرار قوله: «وَ مِنْ حَیْثُ خَرَجْتَ» ثلاثة اقوال:

أحدها- لاختلاف المعنی و إن اتفق اللفظ، لأن المراد بالأول: من حیث خرجت منصرفاً عن التوجه الی بیت المقدس. «فَوَلِّ وَجْهَکَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ» و أرید بالثانی أین کنت فی البلاد، فتوجه نحو المسجد الحرام مستقبلا کنت لظهر الکعبة أو وجهها أو یمینها أو شمالها.

الثانی- لاختلاف المواطن التی تحتاج الی هذا المعنی فیها.

الثالث- لأنه مواضع التأکید بالنسخ الذی نقلوا فیه من جهة الی جهة للتقریر و التثبیت. فان قیل هل فی قوله تعالی: «وَ حَیْثُ ما کُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَکُمْ شَطْرَهُ» حذف منه (فی الصلاة) أم هو مدلول علیه من غیر حذف؟ قیل: هو محذوف، لأنه اجتزأ بدلالة الحال عن دلالة

الكلام، و لو لم يكن هناك حال دالة لم يكن بدّ من ذكر هذا المحذوف إذا أريد به الافهام لهذا المعنى فأما قوله: عليم و حكيم. فانه يدل على المعلوم من غير حذف.

و معنى قوله: «لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ» هاهنا. قيل فيه قولان:

أحدهما- لا- تعدلوا عما أمركم اللَّه فى التوجه الى الكعبة، فيكون لهم عليكم حجة، بأن يقولوا لو كنتم تعلمون أنه من عند اللّه ما عدلتم عنه. التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۷

الثاني- لئلا يكون لأهل الكتاب عليكم حجة لو جاء على خلاف ما تقدمت به البشارة فى الكتب السالفة من أن المؤمنين سيوجهون الى الكعبة.

و موضع اللام من «لئلا» نصب و العامل فيه احد شيئين: فولوا. و الآخر ما دخل الكلام من معنى عرّفتكم ذلك. و هو قول الزجاج.

و قوله: «إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ»، قيل فيه اربعة اقوال:

أحدها- أنه استثناء منقطع، و «إلا» بمنزلة (لكن) كقوله (ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّباعَ الظَّنِّ) «۱» و قوله: ما له عليَّ إلا التعدى، و الظلم، كأنك قلت:

لكن يتعدى و يظلم، و تضع ذلك موضع الحق اللازم، فكذلك لكن الذين ظلموا منهم، فإنهم يتعلقون بالشبهة، و يضعونها موضع الحجة. فلذلك حسن الاستثناء المنقطع قال النابغة:

لا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب «۲»

جعل ذلك عيبهم على طريق البلاغة، و ان كان ليس بعيب. كأنه يقول: ان كان فيهم عيب فهذا، و ليس هذا بعيب، فإذاً ليس فيهم عيب، فكذا إن كان على المؤمنين حجة، فللظالم فى احتجاجه، و لا حجة له، فليس اذاً عليهم حجة.

القول الثاني- ان تكون الحجة بمعنى المحاجّة، و المجادلة، كأنه قال: لئلا يكون للناس عليكم حجاج إلا الذين ظلموا منهم، فإنهم يحاجوكم بالباطل.

الثالث- ما قاله ابو عبيدة ان (إلا) هاهنا بمعنى الواو كأنه قال: لئلا يكون للناس عليكم حجة و الذين ظلموا منهم. و ان ذكر ذلك الفراء، و المبرد قال الفراء: لا يجيء إلا بمعنى الواو إلّا إذا تقدم استثناء كما قال الشاعر:

ما بالمدينة دار غير واحدة دار الخليفة إلا دار مروان

---

(۱) سورة النساء آية: ۱۵۶.

(۲) اللسان «فلل» (و قرع). فلول السيف. كسر من حده. القرع: الضرب الشديد الكتائب جمع كتيبة و هى فرقة من الجيش المصفح.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۸

و انشد الأخفش:

و أرى لها داراً بأغدرة السى دان لم يدرس لها رسم

إلّا رماداً هامداً دفعت عنه الرياح خوالد سُحم «۱»

يعنى أرى لها داراً و رماداً. و كأنه قال فى البيت الاول: ما بالمدينة دار إلا دار الخليفة و دار مروان. و خالفه ابو العباس فلم يجز ان تكون (إلا) بمعنى الواو أصلا.

الرابع- قال قطرب: يجوز الإضمار على معنى لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا على الذين ظلموا. و موضع الذين عنده خفض على هذا الوجه يجعله بدلا من الكاف كأنه قيل فى التقدير: لئلا يكون للناس على أحد حجة إلا الظالم. قال الرمانى: و هذا وجه بعيد لا ينبغى أن يتأول عليه، و لا على الوجه الذى قاله ابو عبيدة و الاختيار القول الاول.

و أثبتت (الیاء) فی قوله «و اخشونی» هاهنا، و حـذفت فیما عداه، لأنه الأصل، و علیه اجماع هاهنا. و اما الحذف فللاجتزاء بالکسـرة من الیاء.

و قوله: «وَ اخْشَوْنِی» معنـاه و اخشوا عقـابی بدلالـة الکلام علیه فی الحال، و إنما ذکرهـم فقال «فَلا تَخْشَوْهُمْ» لأنه لما ذکرهم بالظلم، و الاسـتطالة بالخصومـة و المنازعـة طیب بنفوس المؤمنین أی فلا تلتفتوا الی ما یکون منهم فان عاقبة السّوء علیهم. و قال قتادة، و الربیع: المعنی بالنـاس هاهنـا أهـل الکتـاب. و قـال غیرهمـا: هو علی العموم- و هو الأـقوی- و قـال ابن عباس، و الربیع، و قتادة: المعنی بقوله «الَّذِینَ ظَلَمُوا» مشرکوا العرب. و قال قوم: هو علی العموم- و هو الاولی-.

و قوله «لئلا» ترک الهمزة نافع. الباقون یهمزون. و یلین کل همزة مفتوحة قبلها کسرة. و الحجة هی الدلالة. و هی البرهان.

قوله تعالی:[سورة البقرة (۲): آیة ۱۵۱] ..... ص : ۲۸

اشارة

کَما أَرْسَلْنا فِیکُمْ رَسُولاً مِنْکُمْ یَتْلُوا عَلَیْکُمْ آیاتِنا وَ یُزَکِّیکُمْ وَ یُعَلِّمُکُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَةَ وَ یُعَلِّمُکُمْ ما لَمْ تَکُونُوا تَعْلَمُونَ (۱۵۱)

---

(۱) اللسان (خلد) ذکر البیت الثانی فقط.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۲۹

آیة بلا خلاف.

المعنی: ..... ص : ۲۹

التشبیه بقوله (کَما أَرْسَلْنا) یحتمل أمرین:

أحدهما- ان النعمة فی أمر القبلة کالنعمة بالرسالة، لان اللّه لطف بعباده بها علی ما یعلم من المصلحة، و محمود العاقبة.

الثانی- الـذکر الـذی أمر اللَّه به کالنعمـة بالرسالـة فیما ینبغی ان یکون علیه من المنزلـة فی العظم و الإخلاص للَّه، کعظم النعمة. و هو علی نحو قوله: (کما احسن اللّه الیک «۱» و العرب تقول: الجزاء بالجزاء، فسـمی الاول باسم الثانی للمقابلة، و التشبیه لکل واحد منهما بالآخر.

الاعراب: ..... ص : ۲۹

و (ما) فی قوله: (کَما) مصدریة. کأنه قال: کارسالنا فیکم و یحتمل أن تکون کافة قال الشاعر:

أ علاقة أم الوُلید بعد ما أفنان رأسک کالثغام المخلس «۲» «۳»

لأنه لا یجوز کما زید یحسن الیک، فأحسن الی أبنائه. و العامل فی قوله (کَما) یجوز أن یکون أحد أمرین:

أحـدهما- الفعل الـذی قبله: و هو قوله: (وَ لِأُتِمَّ نِعْمَتِی عَلَیْکُمْ) (کَما أَرْسَـلْنا فِیکُمْ) و القول الثانی- الفعل الـذی بعـده: و هو فاذکرونی (کَما أَرْسَلْنا). و الأول

---

(۱) سورة القصص آیة: ۷۷.

(۲) قائله المرار الاسدى، و فى التكملة المرار الفقعسى.

(۳) اللسان «علق» و «ثغم» و «فنن» العلاقة: الحب. أفنان خصل الشعر.

الثغام شجر ابيض. المخلس: الذى بين السواد و البياض: فكأنه يقول: أحب بعد الشيب.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۰

أحد قولى الفراء، و الزجاج و اختاره الجبائى. و الثانى قول مجاهد و الحسن، و ابن أبى يحتج بأحد قولى الفراء، و الزجاج، و اختيار الزجاج. و قال الفراء: لاذكرونى جوابان: أحدهما- (كما). و الآخر- أذكركم، لأنه لما كان يجب عليهم الذكر ليذكرهم اللَّه برحمته، و لما سلف من نعمته، أشبه- من هذا الوجه- الجواب، لأنه يجب للثانى فيه بوجوب الأول.

المعنى: ..... ص : ۳۰

و قوله: (يُزَكِّيكُمْ) معناه يعرّضكم لما تكونوا به أزكياء من الأمر بطاعة اللَّه و اتباع مرضاته. و يحتمل أيضاً أن يكون المراد: ينسبكم إلى أنكم أزكياء شهادة لكم بذلك، ليعرفكم الناس به، و إنما قال: (الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ) لاختلاف الفائدة فى الصفتين و إن كانتا لموصوف واحد. كقولك: هو العالم بالأمور القادر عليها.

و يحتمل أن يكون أراد بالكتاب: القرآن، و بالحكمة: الوحى من السنة.

و الكاف فى قوله: (فيكم) خطاب للعرب- على قول جميع أهل التأويل.

و قوله: (و يعلمكم) معناه ما لا سبيل لكم إلى علمه إلا من جهة السمع، فذكرهم اللَّه بالنعمة فيه. و يكون التعليم لما عليه دليل من جهة العقل تابعاً للنعمة فيه.

و لا سيما إذا أوقع موقع اللطف.

و معنى الإرسال: هو التوجه بالرسالة و التحميل لها ليؤدى الى من قصد، فالدّلالة و الرّسالة جملة مضمنة بمن يصل اليه ممن قصد بالمخاطبة.

و التلاوة: ذكر الكلمة بعد الكلمة على نظام متسق فى الرتبة.

و التزكية: النسبة الى الازدياد من الأفعال الحسنة التى ليست بمشوبة. و يقال أيضاً على معنى التعريض لذلك بالاستدعاء اليه و اللطف فيه.

و الحكمة: هى العلم الذى يمكن به الافعال المستقيمة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۱

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۱۵۲] ..... ص : ۳۱

اشارة

فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَ اشْكُرُوا لِي وَ لا تَكْفُرُونِ (۱۵۲)

آية بلا خلاف.

المعنى: ..... ص : ۳۱

الذّكر المأمور به فى الآية، و الموعد به، قيل فيه أربعة أقوال:

أحدهما- قال سعيد بن جبير «اذكرونى» بطاعتى «أذكركم» برحمتى.

الثانى- «اذكرونى» بالشكر (أذكركم) بالثواب.

الثالث- (اذكرونى) بالدعاء (أذكركم) بالاجابة.

الرابع- (اذكرونى) بالثناء بالنعمة (أذكركم) بالثناء بالطاعة.

اللغة: ..... ص : ۳۱

و الذّكر:حضور المعنى للنفس، فقد يكون بالقلب، و قد يكون بالقول، و كلاهما يحضر به المعنى للنفس، و فى اكثر الاستعمال يقال: الذكر بعد النسيان، و ليس ذلك بموجب إلا ان يكون إلا بعد نسيان، لان كل من حضره المعنى بالقول أو العقد أو الحضور بالبال: ذاكر له، و أصله التنبيه على الشيء. فمن ذكّر ناسياً، فقد نبّهه عليه. و إذا ذكّرناه نحن فقد نبهّنا عليه. و الذكر نقيض الأنثى (وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ) «۱» أى شرف لك من النباهة و الجلالة. و الفرق بين الذكر، و الخاطر. أن الخاطر: مرور المعنى بالقلب، و الذكر قد يكون ثابتاً فى القلب. و قد يكون بالقول.

الاعراب: ..... ص : ۳۱

و قوله تعالى: (وَ اشْكُرُوا لِي) معناه اشكروا لى نعمتى فحذف، لان حقيقة الشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم. و قوله: (وَ لا تَكْفُرُونِ) فيه حذف،

---

(۱) سورة الزخرف آية: ۴۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۲

و تقديره: و لا تكفروا نعمتى، لان الكفر هو ستر النعمة و جحدها. لا ستر المنعم.

و قولهم حمدت زيداً، و ذممت عمراً، فلا حذف فيه و إن كنت انما تحمد من اجل الفعل الحسن، و تذم من اجل الفعل القبيح. كما أنه ليس فى قولك: زيد متحرك حذف، و إن كان إنما تحرك من أجل الحركة. و ليس كل كلام دال على معنى غير مذكور يكون فيه حذف، لأن قولك زيد ضارب دالّ على مضروب، و ليس بمحذوف، و كذلك زيد قاتل دال على مقتول، و ليس بمحذوف، فالحمد للشيء دلالة على انه محسن، و الذم له دلالة على انه مسيء كقولك: نعم الرجل زيد، و بئس الرجل عمرو، و كذلك قولك: زيد المحسن، و عمرو المسيء، ليس فيه محذوف و يقال:

شكرتك، و شكرت لك، و إنما قيل شكرتك، لأنه أوقع اسم المنعم موقع النعمة، فعدى الفعل بغير واسطة و الأجود: شكرت لك النعمة، لأنه الأصل فى الكلام، و الأكثر فى الاستعمال. قال الشاعر «۱»:

همُ جمعوا بؤسى و نعمى عليكم فهلّا شكرت القوم إذ لم تقاتل «۲»

و مثل ذلك نصحتك، و نصحت لك، و إنما حذف (الياء) فى الفواصل، لأنها فى نية الوقف، فلذلك قال (وَ لا تَكْفُرُونِ) بغير (ياء) و هى فى ذلك كالقوافى التى يوقف عليها بغير ياء كقول الأعشى:

و من شانئٍ كاشف وجهه إذا ما انتسبت له أنكرن «۳»

يعنى أنكرنى فحذف الياء.

(۱) نسبه ابو حیان فی تفسیره ۱: ۴۴۷ لعمر بن لجأ. [.....]

(۲) معانی القرآن للفراء: ۱: ۹۲ یقول: لما ذا لم تشکر القوم الذین جمعوا لک النعیم و البؤس و انت لم تقاتل.

(۳) دیوانه: ۱۹. رقم القصیدة ۲ فی المطبوعة «بله» بدل «وجهه» و «ذکرت» بدل «انتسبت».

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۳۳

قوله تعالی:[سورة البقرة (۲): آیة ۱۵۳] ..... ص : ۳۳

اشارة

یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اسْتَعِینُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِینَ (۱۵۳)

آیة واحدة بلا خلاف.

اللغة و المعنی: ..... ص : ۳۳

الصبر هو حبس النفس عما تدعو الیه من الأمور، و الصابر هو الحابس نفسه عما تدعو الیه مما لا یجوز له. و هو صفة مدح. و وجه الاستعانة بالصبر أن فی توطین النفس علی الأمور تسهیلا لها. و استشعار الصبر إنما هو توطین النفس. و وجه الاستعانة بالصلاة ما فیها من الذکر للّه، و استشعار الخشوع له، و تلاوة القرآن و ما فیه من الوعظ، و التخویف، و الوعد، و الوعید، و الجنة، و النار، و ما فیه من البیان الذی یوجب الهدی و یکشف العمی و کل ذلک داع الی طاعة اللّه، و زاجر عن معاصیه، فمن هاهنا کان فیه المعونة علی ما فیه المشقة من الطاعة. و أمَّا الاستعانة فهی الازدیاد فی القوة مثل من یرید أن یحمل مائة رطل فلا یتهیأ له ذلک فإذا استعان بزیادة قوة تأتی ذلک، و کذلک إن عاونه علیه غیره و علی ذلک السبب و الآلة، لأنه بمنزلة الزیادة فی القوة. و قوله تعالی: (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِینَ) أی معهم بالمعونة، و النصرة، کما تقول: إذا کان السلطان معک، فلا تنال من لقیت. و قد تکون (مع) فی الکلام علی معنی الاجتماع فی المکان. و ذلک لا یجوز علیه تعالی.

و فی الآیة دلالة علی أن الصلاة فیها لطف، لان اللّه تعالی أمرنا بالاستعانة بها، و توضیحه قوله: (إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهی عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْکَرِ) «۱» و لو لا هذا النص، لجوزنا أن یکون فی غیر ذلک. و الذی یستعان علیه بالصبر و الصلاة. قیل فیه قولان:

أحدهما- طاعة اللّه، کأنه قال استعینوا بهذا الضرب من الطاعة علی غیره فیها.

و الثانی- علی الجهاد فی سبیل اللّه، لأعدائه.

(۱) سورة العنکبوت آیة: ۴۵.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۳۴

الاعراب: ..... ص : ۳۴

و موضع الذین رفع لا- یجوز غیر ذلک عند جمیع النحویین إلا المازنی، فانه أجاز یا أیها الرجل اقبل، و العامل فیه ما یعمل فی صفة المنادی- عند جمیع النحویین- إلّا الأخفش، فانه یجعله صلة لأی و یرفعه بأنه خبر ابتداء محذوف، کأنه قیل:

يأمن هم الذين آمنوا. إلا أنه لا يظهر المحذوف مع أى، و إنما حمله على ذلک لزوم البيان له، فقال: الصلة تلزم، و الصفة لا تلزم. قال الرمانی و الوجه عندی أن تكون صفة بمنزلة الصلة فی اللزوم، و إنما لزمت أی هاهنا فی النداء، لان العرض بحرف التنبيه وقع فی موضع التنبيه، فلزم، فلا يجوز أن تقول: نعم الذين فی الدار، لان نعم إنما تعمل فی الجنس الذی يكره إذا أضمر فسر بها.

قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ١۵۴] ..... ص : ٣۴

اشارة

وَ لا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِی سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتٌ بَلْ أَحْياءٌ وَ لكِنْ لا تَشْعُرُونَ (١۵۴)
آية بلا خلاف.

المعنى: ..... ص : ٣۴

فان قيل: هل الشهداء أحياء على الحقيقة، أم معناه أنهم سيحيون و ليسوا أحياء؟
قلنا: الصحيح أنهم أحياء الى أن تقوم الساعة، ثم يحييهم اللَّه فی الجنة، لا خلاف بين أهل العلم فيه إلا قولا شاذاً من بعض المتأخرين. و الأول قول الحسن، و مجاهد، و قتادة، و الجبائی، و ابن الأخشاد، و الرمانی، و جميع المفسرين. و القول الثانی حكاه البلخی. يقال: ان المشركين كانوا يقولون: إن أصحاب محمد (ص) يقتلون نفوسهم فی الحرب لا لمعنى، فأنزل اللّه تعالى الآية. و أعلمهم أنه ليس الأمر على ما قالوه، و أنهم سيحيون يوم القيامة و يثابون، و لم يذكر ذلک غيره. و قيل: ليس هم أمواتاً بالضلالة بل هم أحياء بالطاعة، و الهدى، كما قال: «أَ وَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ» «١»

---

(١) سورة الانعام آية: ١٢٢

التبيان فی تفسير القرآن، ج٢، ص: ٣۵

فجعل الضلالة موتاً، و الهداية حياة. و قيل: معناه ليس هم أمواتاً بانقطاع الذكر، بل هم احياء ببقاء الذكر عند اللَّه، و ثبوت الأجر عنده. و استدل ابو على الجبائی على أنهم أحياء فی الحقيقة بقوله: «وَ لكِنْ لا تَشْعُرُونَ» فقال: لو كان المعنى سيحيون فی الآخرة، لم يقل للمؤمنين المقرين بالبعث، و النشور «وَ لكِنْ لا تَشْعُرُونَ» لأنهم يعلمون ذلک، و يشعرون به. فان قيل: و لم خصّ الشهداء بأنهم احياء، و المؤمنون كلهم فی البرزخ أحياء؟ قيل يجوز أن يكونوا ذكروا اختصاصاً، تشريفاً لهم. و قد يكون على جهة التقديم للبشارة بذكر حالهم فی البيان لما يختصون به من أنهم يرزقون، كما قال تعالى (بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) «١». و إنما قيل للجهاد سبيل اللّه، لأنه طريق الى ثواب اللَّه تعالى.

اللغة: ..... ص : ٣۵

و الموت: نقص بنية الحياة. و الموت- عند من قال إنه معنى عرضی- ينافی الحياة منافاة التعاقب. و من قال: ليس بمعنى قال: هو عبارة عن فساد بنية الحياة.
فأما الحياة، فهی معنى بلا خلاف.

الاعراب: ..... ص : ٣۵

و قوله: (أَمْواتٌ) رفع بانه خبر ابتداء محذوف، كأنه قال: لا تقولوا هم أموات. و لا يجوز فيه النصب على قولك: قلت خيراً، لأن الخير فى موضع المصدر كأنه قال: قلت قولا حسناً. فاما قوله «وَ يَقُولُونَ طاعَةٌ» «۲» فيجوز فيه الرفع و النصب فى العربية: الرفع على منا طاعة: و النصب على نطيع طاعة و الفرق بين (بل) و (لكن) ان (لكن) نفى لأحد الشيئين، و إثبات للآخر، كقولك: ما قام زيد لكن عمرو، و ليس كذلك (بل)، لأنها للأضراب عن الأول، و الإثبات للثانى، و لذلك وقعت فى الإيجاب كقولك: قام زيد بل عمرو. فاما إذا قصد المتكلم، فإنما هو ليدل

---

(۱) سورة آل عمران آية: ۱۶۹.

(۲) سورة النساء آية: ۸۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۶

على أن الثانى أحق بالأخبار عنه من الاول، كقولك: قام زيد بل عمرو، كأنه لم يعتد بقيام الأول.

اللغة: ..... ص : ۳۶

و الشعور: هو ابتداء العلم بالشيء من جهة المشاعر، و هى الحواس، و لذلك لا يوصف تعالى بأنه شاعر، و لا أنه يشعر، و إنما يوصف بأنه عالم و يعلم. و قد قيل: إن الشعور إدراك ما دقّ للطف الحسن مأخوذ من الشعر لدقته، و منه شاعر، لأنه يفطن من إقامة الوزن و حسن النظم بالطبع لما لا يفطن له غيره.

المعنى: ..... ص : ۳۶

فان قيل: هل كون عقولهم إذا كانوا أحياء، و كيف يجوز أن يصل اليهم ثوابهم مع نقصان عقولهم؟ قيل الثواب لم يصل اليهم على كنهه و انما يصل اليهم طرف منه.

و مثلهم فى ذلك مثل النائم على حال جميلة فى روضة طيبة يصل اليهم طيب ريحها و لذيذ نسيمها على نحو ما جاء فى الحديث من انه يفسح له مد بصره، و يقال له نم نومة العروس. و أما الذين قتلوا فى سبيل اللّه، فعلى ما ذكرناه من الاختصاص بالفضيلة.

فان قيل: كيف يجوز أن يكونوا أحياء- و نحن نرى جثتهم على خلاف ما كانت عليه فى الدنيا.؟ قيل: إن النعيم انما يصل الى الروح و هى الحية، و هى الإنسان، دون الجثة- و الجثة كالجنة و اللباس لصيانة الأرواح. و من زعم ان الإنسان هذه الجملة المعروفة و جعل الجثة جزء منها فانه يقول: يلطف أجزاء من الإنسان توصل اليه النعيم، و إن لم يكن الإنسان بكماله على نحو ما ذكرنا أن النعيم لا يصل اليه نفسه.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۱۵۵] ..... ص : ۳۶

اشارة

وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَ الْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِنَ الْأَمْوالِ وَ الْأَنْفُسِ وَ الثَّمَراتِ وَ بَشِّرِ الصَّابِرِينَ (۱۵۵)

الخطاب بهذه الآية متوجه الى اصحاب النبى (ص)- على قول عطاء، و الربيع التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۷

و أبى على، و الرمانى، و لو قيل: أنه خطاب لجميع الخلق، لكان أيضاً صحيحاً، لأن ذلك جاز فى جميعهم.

اللغة: ..... ص : ۳۷

و الابتلاء فی الأصل: الطلب لظهور ما عند القادر علی الأمر من خیر أو شر.
و الابتلاء، و الاختبار، و الامتحان، بمعنی واحد، و الابتلاء بهذه الأمور المذکورة فی الآیة بأمور مختلفة. فالخوف هو انزعاج النفس لما یتوقع من الضرر، و کان ذلک لقصد المشرکین لهم بالعداوة. و الجوع کان لفقرهم و تشاغلهم بالجهاد فی سبیل اللَّه عن المعاش. و نقص الأموال للانقطاع بالجهاد عن العمارة. و الأنفس بالقتل فی الحرب مع رسول اللّه (ص). و الجوع ضد الشبع. یقال جاع یجوع جوعاً، و أجاعه إجاعة، و جوّعه تجویعاً، و تجوّع تجوّعاً. قال صاحب العین: الجوع اسم جامع للمخمصة، و المجاعة: عام فیه جوع. و النقص نقیض الزیادة. قال صاحب العین:
النقص الخسران فی الحظ. تقول نقص نقصاً، و انتقص انتقاصاً، و تناقص تناقصاً، و نقصه تنقیصاً، و استنقص استنقاصاً، و تنقصه تنقصاً. و النقصان یکون مصدراً أو اسماً، کقولک: نقصانه کذا: أی قدر الذاهب. و نقص الشیء، و نقصته، و دخل علیه نقص: فی عقله و دینه. و لا یقال: نقصان. و النقیصة: الوقیعة فی الناس.
و النقیصة انتقاص حق ذی الرحم. و تنقصه تنقصاً: إذا تناول عرضه. و اصل الباب النقص الحط من التمام. و المال معروف. و أموال العرب أنعامهم. و رجل مال: أی ذو مال. و نال: أی ذو نوال. و تقول: تمول الرجل، و مول غیره. و اصل الباب المال المعروف. و الثمرة: أفضل ما تحمله الشجرة.

المعنی: ..... ص : ۳۷

و وجه المصلحة فی ذلک هو ما فی ذلک من الأمور المزعجة الی الاستدلال و النظر فی الادلة الدالة علی النبوة، و لیعلم ایضاً انه لیس فیما یصیب الإنسان من شدة فی الدنیا ما یوجب نقصان منزلته. ففی ذلک ضروب العبرة. فان قیل إذا کان اللّه التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۳۸
قد فعل الابتلاء بهذه الأشیاء، و المشرکون أوقعوها بالمؤمنین ففی ذلک إیجاب فعل من فاعلین. قلنا: لا یجب ذلک، لان الذی یفعله اللَّه تعالی غیر الذی یفعله المشرکون، لأن علینا ان نرضی بما فعله اللَّه و نسخط مما فعله المشرکون، و لیس یقدرون علی شیء مما ذکر فی الآیة، و لکنهم یقدرون علی التعریض له بما هو محرم علیهم، و قبیح منهم.

الاعراب: ..... ص : ۳۸

و فتحت الواو فی لنبلونکم لامرین:
أحدهما- للعلة التی فتحت الراء فی لننصرَّنکم «۱» و هو أنه بنی علی الفتحة، لأنها أخف إذ استحق البناء علی الحرکة کما استحق (یا) فی النداء حکم البناء علی الحرکة.
الثانی- أنه فتح لالتقاء الساکنین إذ کان قبل معتلا لا یدخله الرفع.

المعنی: ..... ص : ۳۸

و انما قال: «بشیء» من الخوف و لم یقل: بأشیاء لامرین:
أحدهما- لئلا توهم بأشیاء من کل واحد، فیدل علی ضروب الخوف، و یکون الجمع کجمع الأجناس للاختلاف، فقدر: شیء من

كذا، و شيء من كذا، و أغنى المذكور عن المحذوف.

و الثانى- أنه وضع الواحد فى موضع الجمع للإبهام الذى فيه ك (من).

و الابتلاء بما ذكر لا بد ان يكون فيه لطف فى الدين، و عوض فى مقابلته، و لا يحسن فعل ذلك لمجرد العوض- على ما ذهب اليه قوم-. فان قيل: الابتلاء بأمر القبلة و غيره من عبادات الشرع هل يجرى مجرى الألم- عند المصيبة؟ قلنا:

لا، بلا خلاف هاهنا، فانه لا بد ان يكون فيه لطف فى الدين فان «٢» كان فيه

---

(١) فى المطبوعة «لنضربنكم» و هو غلط.

(٢) و الأصح «و ان كان» بدل «فان كان»

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٣٩

خلاف فى الألم، لأن هذه طاعات يستحق بها الثواب. و بالإخلال بها- إذا كانت واجبة- يستحق العقاب، فلا يجرى مجرى الألم المحض. و الصبر واجب كوجوب العدل الذى لا يجوز عليه الانقلاب- فى الشرع- إذ الصبر حبس النفس عن القبيح من الأمر، و قد بينا فيما مضى ابتلاء اللّه تعالى العالم بالعواقب، فان المراد بذلك انه يعامل معاملة المبتلى، لأن العدل لا يصح إلا على ذلك، لأنه لو أخذهم بما يعلم أنه يكون منهم، قبل ان يفعلوه، لكان ظلماً و جوراً، فبين اللّه بعد، أنه يعاملهم بالحق دون الظلم.

و الوقوف على قوله: «وَ بَشِّرِ الصَّابِرِينَ» حسن، و قال بعضهم: لا يحسن.

و ذلك غلط، من حيث كانت صفة مدح، و عامل الصفة فى المدح غير عامل الموصوف، و إنما وجب ذلك، لأن صفة صابر صفة كصفة تقى، كما قال اللّه تعالى: «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ» «١».

و الجوع: الحاجة الى الغذاء، و تختلف مراتبه فى القوة و الضعف. و قد يقال:

جوع كاذب، لأنه يتخيل به الحاجة الى الغذاء لبعض الأمور العارضة من غير حقيقة.

و قوله تعالى: «وَ بَشِّرِ الصَّابِرِينَ» فالتبشير فى الأصل هو الاخبار بما يسرّ، أو نعمة، يتغير له الشره، غير انه كثر استعماله فيما يسرّ. و الصبر المحمود هو حبس النفس عما قبح من الأمر.

قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ١٥۶] ..... ص : ٣٩

اشارة

الَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ (١۵۶)

آية بلا خلاف.

المعنى: ..... ص : ٣٩

فى قوله: «إِنَّا لِلَّهِ» إقرار للّه بالعبودية «وَ إِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ» فيه إقرار

---

(١) سورة البقرة آية: ١۵٣.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ۴٠

بالبعث و النشور، و ان مآل الامر يصير إليه، و إنما كانت هذه اللفظة تعزية عن المصيبة، لما فيها من الدلالة على أن اللّه يجزها «١» ان

كانت عـدلا، و ينصف من فاعلها إن كانت ظلماً. و تقديره «إنا للّه» تسـليماً لأمره و رضاً بتدبيره. «وَ إِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ» ثقة بأنا إلى العدل نصير.

اللغة: ..... ص : ۴۰

و المصـيبة هى المشـقة الداخلـة على النفس، لمـا يلحقها من مضـرة، و هى من الاصابـة، لأنها يصـيبها بالبليـة. و معنى الرجوع الى اللّه: الرجوع الى انفراده بالحكم كما كان أول مرة لأنه قـد ملّك قوماً فى الـدنيا شـيئاً من الضـر، و النفع لم يكونوا يملكونه، ثم يرجع الأمر الى ما كان إذا زال تمليك العباد.

و أصل الرجوع هو مصـير الشـىء الى ما كان، و لذلك يقال: رجعت الدار الى فلان إذا اشتراها مرة ثانية. و الرجوع و العود، و المصير نظائر.

و فى الآية معنى الامر لأنها مدح عام، لكل من كان على تلك الصفة بتلك الخصلة. و أجاز الكسائى و الفراء فى (إنا للّه) الامالة، و لا يجوز ذلك فى غير اسم اللّه، مثل قولك: إنا لزيد، لا يجوز إمالته، و إنما جاز الامالة مع اسم اللّه لكثرة الاسـتعمال حتى صارت بمنزلة الكلمـة الواحـدة، و إنمـا لم يجز الامالـة فى غير ذلك، لأن الحروف كلها و ما جرى مجراها لا يجوز فيها الامالـة مثل (حتى) و لكن و (مما) و ما أشبه ذلك، لأن الحروف بمنزلة بعض الكلمة من حيث امتنع فيها التصريف الذى يكون فى الأسماء و الأفعال.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٥٧] ..... ص : ۴۰

أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)

آية بلا خلاف.

---

(١) و الأصح (يجز بها) بدل (يجزها).

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ۴۱

(أولئك) إشارة إلى الصابرين الذين وصفهم اللَّه فى الآية الأولى.

و قيل فى معنى الصلاة ثلاثة أقوال:

أحدها- انها الدعاء، كما قال الأعشى:

و صلّى على دّنها و ارتسم «١»

أى دعا لها.

و الثانى- انها مشتقة من الصلوى مكتنفا ذنب الفرس أو الناقة، فسميت الصلاة- فى الشرع- بذلك، لرفع الصلوة فى الركوع و السجود.

الثالث- قال الزجاج: إن أصـلها اللزوم من قوله (تَصْلى ناراً حامِيَةً) «٢» أى تلزمهـا، و الصـلاة من أعظم مـا يلزم من العبادة. و قال قوم: معنى الصلاة هاهنا: الثناء الجميل.

و قيل: بركات الدعاء، و الثناء يستحق دائماً، ففيه معنى اللزوم، و كذلك الدعاء يدعا به مرة بعد مرة، فقيه معنى اللزوم. و المصـلى من الخيل الذى يلزم أثر السابق.

و معنى (المهتـدون) يعنى الى الحق الـذى به ينال الثواب، و السـلامة من العقاب. و الرحمـة: الانعام على المحتاج، و كل واحد يحتاج الى نعمة اللَّه. و الاهتداء:

الاصابة لطريق الحق و هو الاصابة للطريق المؤدى الى النعمة.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۱۵۸] ..... ص : ۴۱

اشارة

إِنَّ الصَّفا وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُناحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِما وَ مَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللَّهَ شاكِرٌ عَلِيمٌ (۱۵۸)
آية بلا خلاف.

القراءة: ..... ص : ۴۱

قرأ حمزة و الكسائى (و من يطوع) بالياء، و تشديد الطاء، و الواو، و سكون العين. الباقون بالتاء على فعل ماض.

---

(۱) ديوانه: ۳۵، رقم القصيدة: ۴ و اللسان «صلا» و قد مر البيت فى ۱: ۵۶- ۱۹۳

(۲) سورة الغاشية آية: ۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۲

اللغة: ..... ص : ۴۲

الصفا- فى الأصل- الحجر الأملس مأخوذ من الصفوّ. قال المبرد: الصفا:
كل حجر لا يخلط غيره، من طين أو تراب يتصل به حتى يصير منه، و انما اشتقاقه من صفا يصفو- إذا خلص- و هو الصافى الذى لا يكدّره شيء يشوبه. و قيل واحد الصفا: صفاء. و قيل بل هو واحد يجمع اصفاء أو صفى- و أصله من الواو-، و لأنك تقول- فى تثنيته: صفوان، و لأنه لا يجوز فيه الامالة.
و المروة فى الأصل: هى الحجارة الصلبة اللينة. و قيل: الصفا: الصغير، و المروة:
لغة فى المرو. و قيل انه جمع مثل تمرة و تمر، قال ابو ذؤيب:
حتى كأنى للحوادث مروة «۱»
و المرو: نبت. و الأصل الصلابة. و النبت سمى بذلك لصلابة نوره. و الصفا و المروة: هما الجبلان المعروفان بالحرم، و هما من الشعائر، كما قال اللّه تعالى.
و الشعائر: المعالم للأعمال، فشعائر اللّه: معالم اللّه التى جعلها مواطن للعبادة، و هى أعلام متعبداته من موقف، أو مسعى، أو منحر، و هو مأخوذ من شعرت به: أى علمت، و كل معلم لعبادة من دعاء، أو صلاة، أو أداء فريضة، فهو مشعر لتلك العبادة، و واحد الشعائر شعيرة، فشعائر اللّه أعلام متعبداته قال الكميت بن زيد:
نقتلهم جيلا فجيلا نراهم شعائر قربان بهم نتقرب «۲»
و الحج: قصد البيت بالعمل المشروع من الإحرام، و الطواف، و الوقوف بعرفة و السعى بين الصفا و المروة. و اشتقاقه من الحج الذى هو القصد- على وجه التكرار و التردد قال الشاعر «۳»:

---

(۱) ديوانه ۳. من قصيدة البارعة فى رثاء أولاده. و عجزه:

بصفا المشرق كل يوم يقرع

و يرى «المشقر» و هو سوق الطائف. المروة: الصخرة. و المشرق: الناسك بمنى يصف الشاعر نفسه بأنه من كثرة الحوادث: أصبح كالصخرة فى مكان تمر بها الناس كثيراً و يقرعها واحد بعد الآخر.

(۲) اللسان «شعر» و الهاشميات: ۲۱ [.....]

(۳) هو المخبل السعدى، و هو مخضرم.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۳

و أشهد من عوف حلولا كثيرة يحجون سب الزبرقان المزعفرا «۱»

يعنى يكثرون التردد اليه بسؤدد. و قال آخر:

يحجّ مأمومة فى قعرها لجف «۲»

و أما العمرة فى الأصل فهى الزيارة و هى هاهنا زيارة البيت بالعمل المشروع:

من طواف الزيارة و الأحرام. و أخذت العمرة من العمارة لان الزائر للمكان يعمره بزيارته له، و قوله: «فَلا جُناحَ عَلَيْهِ». فالجناح هو الميل عن الحق، و أصله من جنح إليه جنوحاً إذا مال اليه. قال صاحب العين: الاجناح: الميل. اجنحت هذا فاجتنح أى أملته فمال. و قوله: «وَ إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَها» «۳» أى مالوا إليك لصلح فمل إليهم. و جناحا الطائر: يداه، و يدا الإنسان: جناحاه. و جناحا العسكر جانباه، و جناحا الوادى: مجريان عن يمينه و شماله. و جنحت الإبل فى السير إذا أسرعت. و إنما قيل للاضلاع جوانح، لاعوجاجها. و جنحت السفينة إذا مالت فى أحد شقيها. و كل مائل إلى شيء فقد جنح إليه «وَ لا جُناحَ عَلَيْكُمْ» أى ميل إلى مأثم. و كل ناحية: جناح، و مرّ جنح من الليل أى قطعة نحو نصفه. و أصل الباب الميل.

و الطواف: الدور حول البيت. و منه الطائف: الدائر بالليل. و الطائفة الجماعة كالحلقة الدائرة. و يطّوف أصله يتطوف، فأدغمت التاء فى الطاء، لأنها من مخرجها، و الطاء

---

(۱) البيان و التبين ۳: ۹۷ و اللسان (سبب) (حجج) (زبرق) حل بالمكان حلولا: إذا نزل القوم به. يحجون يكثرون الاختلاف اليه (سب الزبرقان) الزبرقان بن بدر الفزارى و هو من سادات العرب. و قيل ان سب: است: و قيل عمامة. المزعفر المصبوغ بالزعفران. يقول يكثرون الذهاب الى هذا الرحل الذى يصبغ عمامته، أو استه بالزعفران.

و هذا هجأ له.

(۲) اللسان (حجج) (لجف) و عجزه:

فاست الطبيب قذاها كالمغاريد

يحج: يزور أو يكشف. مأمومة: شجة فى أم الرأس. فى قعرها: فى أقصاها. لجف: حفر.

فاست: فميل. المغاريد: صمغ معروف يوضع على الجرح.

يقول يرى شجة فى أم الرأس يخاف من رؤيتها و يجزع، فيصفر من هولها.

(۳) سورة الانفال آية: ۶۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۴

أقوى بالجهر منها. و الفرق بين الطاعة و التطوع: ان الطاعة موافقة الارادة فى الفريضة و النافلة. و التطوع التبرز بالنافلة خاصة. و أصلها الطوع الذى هو الانقياد.

المعنى: ..... ص : ۴۴

و إنما قال «فَلا جُناحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِما» و هو طاعة، من حيث أنه جواب لمن توهم أن فيه جناحاً، لصنمين كانا عليه: أحدهما إساف، و الآخر نائلة، فى قول الشعبى، و كثير من أهل العلم. و روى ذلك عن أبى جعفر و أبى عبد اللَّه (ع) و كان ذلك فى عمرة القضاء و لم يكن فتح مكة بعد، و كانت الأصنام على حالها حول الكعبة و قال قوم: سبب ذلك أن أهل الجاهلية كانوا يطوفون بينهما، فكره المسلمون ذلك خوفاً أن يكون من أفعال الجاهلية، فانزل اللَّه تعالى الآية. و قال قوم عكس ذلك:
أن أهل الجاهلية كانوا يكرهون السعى بينهما، فظن قوم أن فى الإسلام مثل ذلك، فأنزل اللّه تعالى الآية. و جملته أن فى الآية ردّاً على جميع من كرهه، لاختلاف أسبابه. و الطواف بينهما فرض عندنا فى الحج و العمرة، و به قال الحسن و عائشة و غيرهما، و هو مذهب الشافعى، و أصحابه. و قال أنس بن مالك، و روى عن ابن عباس: أنه تطوع و به قال ابو حنيفة، و أصحابه، و اختاره الجبائى. و عندنا ان من ترك الطواف بينهما متعمداً، فلا حج له حتى يعود فيسعى، و به قالت عائشة، و الشافعى. و قال ابو حنيفة، و أصحابه، و النورى: إن عاد، فحسن، و إلا جبره بدم، و قال عطا، و مجاهد يجزيه و لا شيء عليه. و قوله تعالى: «وَ مَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً» قيل فيه ثلاثة أقوال: أولها «مَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً» اى بالحج أو العمرة بعد الفريضة. الثانى- «وَ مَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً» أى بالطواف بهما عند من قال إنه نفل. الثالث- «مَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً» بعد الفرائض، و هذا هو الأولى، لأنه أعم. و فى الناس من قال: و هو الجبائى، و غيره:
إن التقدير فلا جناح عليه ألا يطوف بهما كما قال: «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا» و معناه ألّا تضلوا و كما قال: «أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ» «۱». و معناه الا تقولوا.

---

(۱) سورة الاعراف آية: ۱۷۱.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۵

و قال آخرون: إن ذلك لا يجوز و هو اختيار الرمانى. و هو الصحيح، لأن الحذف يحتاج الى دليل. و معنى القراءتين واحد لا يختلف. و وصف اللّه تعالى بأنه شاكر مجاز، لأن الشاكر فى الأصل هو المظهر للانعام، و اللّه لا يلحقه المنافع، و المضار- تعالى عن ذلك- و معناه هاهنا المجازى على الطاعة بالثواب، و خروج اللفظ مخرج التلفظ حثّاً على الإحسان اليهم، كما قال «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً» «۱» و اللّه لا يستقرض من عوز، لكن تلطف فى الاستدعاء كأنه قال: من ذا الذى يعمل عمل المقرض، بأن قدم فيأخذ أضعاف ما قدم فى وقت فقره و حاجته الى ذلك فكذلك، كأنه قال: «مَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللَّهَ» يعامله معاملة الشاكر، يحسن المجازاة، و إيجاب المكافاة. و الفرق بين التطوع و الفرض أن الفرض يستحق بتركه الذّم و العقاب، و التطوع لا يستحق بتركه الذّم، و لا العقاب. و روى عن جعفر بن محمد: أن آدم نزل على الصفا، و حواء على المروة، فسمى المرو باسم المرأة

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۱۵۹] ..... ص : ۴۵

اشارة

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلْنا مِنَ الْبَيِّناتِ وَ الْهُدى مِنْ بَعْدِ ما بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتابِ أُولئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ (۱۵۹)
آية بلا خلاف.

المعنى: ..... ص : ۴۵

قيل فى المعنى بهذه الآية قولان:

أحدهما- قال ابن عباس، و مجاهد، و الربيع، و الحسن، و قتادة، و السدى،

---

(١) سورة البقرة آية: ٢٤٥.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٤٦

و اختاره الجبائى، و أكثر أهل العلم: انهم اليهود، و النصارى: مثل كعب بن الأشرف و كعب بن أسيد، و ابن صوريا، و زيد بن تابوه، و غيرهم من علماء النصارى الذين كتموا أمر محمد (ص)، و نبوته: و هم يجدونه مكتوباً فى التوراة و الإنجيل مبينا فيهما.

و الثانى- ذكر البلخى: أنه متناول لكل من كتم ما أنزل اللَّه و هو أعم، لأنه يدخل فيه أولئك و غيرهم، و يروى عن ابن عباس أن جماعة من الأنصار سألوا نفراً من اليهود عما فى التوراة، فكتموهم إياه، فانزل اللّه عز و جل «إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ» الآية. و إنما نزل فيهم هذا الوعيد، لان اللّه تعالى علم منهم الكتمان، و عموم الآية يدل: على أن كل من كتم شيئاً من علوم الدين، و فعل مثل فعلهم فى عظم الجرم أو أعظم منه، فان الوعيد يلزمه، و أما ما كان دون ذلك، فلا يعلم بالآية بل بدليل آخر.

و قد روى عن النبى (ص) أنه قال: من سئل عن علم يعلمه، فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار.

و قال ابو هريرة: لو لا آية فى كتاب اللّه ما حدثتكم و تلا «إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ» الآية، فهذا تغليظ للحال فى كتمان علوم الدين.

و كتمان الشيء اخفاؤه مع الداعى الى إظهاره، لأنه لا يقال لمن أخفى ما لا يدعوا الى إظهاره داع: كاتم. و الكتاب الذى عنى هاهنا قيل التوراة. و قيل كل كتاب أنزله اللَّه. و هو أليق بالعموم. و قال الزجاج: هو القرآن، و استدل قوم بهذه الآية على وجوب العمل بخبر الواحد من حيث أن اللّه تعالى توعد على كتمان ما أنزله، و قد بينا فى اصول الفقه أنه لا يمكن الاعتماد عليه، لأن غاية ما فى ذلك وجوب الاظهار، و ليس إذا وجب الاظهار وجب القبول، كما أن على الشاهد الواحد يجب إقامة الشهادة و إن لم يجب على الحاكم قبول شهادته، حتى ينضم اليه ما يوجب الحكم بشهادته، و كذلك يجب على النبى (ص) إظهار ما حمله، و لا يجب على أحد قبوله حتى يقترن به المعجز الدال على الصدق، و لذلك نظائر ذكرناها. على أن اللَّه تعالى بين أن الوعيد إنما توجه على من كتم ما هو بينة و هدى و هو الدليل، فمن أين أن خبر الواحد بهذه المنزلة، فإذاً لا دلالة فى الآية على ما قالوه، و البينات و الهدى هى الادلة التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٤٧

و هما بمعنى واحد، و إنما كرر لاختلاف لفظهما. و قيل: إنه أراد بالبينات الحجج الدالة على نبوته (ص) و بالهدى إلى ما يؤديه إلى الخلق من الشرائع، فعلى هذا لا تكرار.

اللغة: ..... ص : ٤٧

و اللعن فى الأصل الابعاد على وجه الطرد قال الشماخ:

ذعرت به القطا و نفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين «١»

أراد مقام الذئب اللعن. و اللعين فى الحكم: الابعاد- من رحمة اللَّه- بإيجاب العقوبة، فلا يجوز لعن ما لا يستحق العقوبة. و قول القائل: لعنه اللَّه دعاء، كأنه قال: أبعده اللَّه، فإذا لعن اللَّه عبداً، فمعناه الاخبار بأنه أبعده من رحمته.

المعنى: ..... ص : ٤٧

و المعنى بقوله و (يَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ) قيل فيه أربعة أقوال:

أحدها- قال قتادة، و الربيع، و اختاره الجبائى، و الرمانى، و غيرهما: انهم الملائكة و المؤمنون- و هو الصحيح-، لقوله تعالى فى وعيد الكفار (أُولئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَ الْمَلائِكَةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ) «۲» فلعنة اللاعنين كلعنة الكافرين.

الثانى- قال مجاهد، و عكرمة: إنها دوابّ الأرض، و هو انها تقول منعنا القطر لمعاصى بنى آدم.

الثالث- حكاه الفراء أنه كل شيء سوى الثقلين الانس و الجن، رواه عن ابن عباس.

الرابع- قاله ابن مسعود: أنه إذا تلاعن الرجلان رجعت اللعنة على المستحق لها، فان لم يستحقها واحد منهم رجعت على اليهود الذين كتموا ما أنزل اللَّه. فان قيل:

كيف يجوز على قول من قال: المراد به البهائم اللاعنون، و هل يجوز على قياس ذلك الذاهبون؟

قلنا لما أضيف اليها فعل ما يعقل عوملت معاملة ما يعقل كما قال تعالى (وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي ساجِدِينَ)

---

(۱) مر تخريجه فى ۱: ۳۴۳ من هذا الكتاب

(۲) سورة البقرة آية: ۱۶۱

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۸

«۱» فان قيل: كيف يجوز إضافة اللعن إلى ما لا يعقل من البهيمة و الجماد؟

قيل: لامرين أحدهما- لما فيه من الآية التى تدعوا الى لعن من عمل بمعصية اللَّه.

و الثانى- أن تكون البهائم تقول على جهة الإلهام لما فيه من الاعتبار.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۱۶۰] ..... ص : ۴۸

اشارة

إِلَّا الَّذِينَ تابُوا وَ أَصْلَحُوا وَ بَيَّنُوا فَأُولئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَ أَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (۱۶۰)

آية بلا خلاف.

المعنى: ..... ص : ۴۸

استثنى اللَّه تعالى فى هذه الآية من جملة الذين يستحقون اللعنة من تاب، و أصلح، و بين. و اختلفوا فى معنى «بينوا» فقال أكثر المفسرين، كقتادة، و ابن زيد، و البلخى، و الجبائى، و الرمانى: إنهم بينوا ما كتموه من البشارة بالنبى (ص)، و قال بعضهم: بينوا التوبة، و إصلاح السريرة بالإظهار لذلك. و إنما شرط مع التوبة الإصلاح، و البيان ليرتفع الإيهام بأن التوبة مما سلف من الكتمان يكفى فى إيجاب الثواب.

و معنى قوله تعالى (أَتُوبُ عَلَيْهِمْ) أقبل توبتهم. و الأصل فى أتوب أفعل التوبة إلا أنه لما وصل بحرف الاضافة دل على ان معناه أقبل التوبة، و إنما كان لفظه مشتركا بين فاعل التوبة، و القابل لها، للترغيب فى صفة التوبة إذ وصف بها القابل لها، و هو اللَّه و ذلك من إنعام على عباده، لئلا يتوهم بما فيها من الدلالة على مقارفة الذنب أن الوصف بها عيب، فلذلك جعلت فى أعلا صفات المدح، و التوبة هى الندم الذى يقع موقع التنصل من الشيء و ذلك بالتحسر على موافقته، و العزم على ترك معاودته إن أمكنت المعاودة. و اعتبر قوم المعاودة الى مثله فى القبح. و هو الأقوى. لإجماع الامة على سقوط العقاب عندها، و ما عداها فمختلف فيه، فان قيل: ما

الفائدة فى هذا الاخبار، و قد

(۱) سورة يوسف آية: ۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۹

علمنا أن العبد متى تاب لا بدّ أن يتوب اللّه عليه؟ قلنا أمّا على مذهبنا، فله فائدة واضحة:

و هو أن إسقاط العقاب عندها ليس بواجب عقلا- فإذا أخبر بذلك أفادنا ما لم نكن عالمين به، و من خالف فى ذلك قال: وجه ذلك أنه لما كانت توبة مقبولة و توبة غير مقبولة صحت الفائدة بالدلالة على أن هذه التوبة مقبولة. و معنى قبول التوبة حصول الثواب عليها و إسقاط العقاب عندها.

و (التوّاب) فيه مبالغة إمّا لكثرة ما يقبل التوبة و إما لأنه لا يرد تائباً منيباً أصلا. و قبول التوبة بمعنى إسقاط العقاب عندها، غير واجب عندنا عقلا- و إنما علم ذلك سمعاً، و تفضلا، من اللَّه تعالى على ما وعد به بالإجماع على ذلك. و قد بيّنا فى شرح الجمل فى الأصول أنه لا دلالة عقلية عليه، و وصفه نفسه بالرحيم عقيب قوله (التوّاب) دلالة على أن إسقاط العقاب عند التوبة تفضل منه و رحمة من جهته. و من قال: إن الفعل الواجب نعمة إذا كان منعماً بسببه كالثواب، و العوض، فانه لما كان منعماً بالتكليف و بالآلام التى يستحق بها الاعواض، جاز أن يقال فى الثواب و العوض أنه تفضل و إن كانا واجبين، فقوله باطل، لأن ذلك إنما قلنا فى الثواب للضرورة، و ليس هاهنا ضرورة تدعو الى ذلك. و إصلاح العمل هو إخلاصه له من قبيح يشوبه، و التبيين هو التعريض للعلم الذى يمكن به صحة التميز.

الاعراب: ..... ص : ۴۹

و موضع الذين نصب على أنه استثناء من موجب. و (إلا) حقيقتها الاستثناء.

و معنى ذلك الاختصاص بالشيء دون غيره كقولك: جاءنى القوم إلا زيداً فقد اختصصت زيداً بأنه لم يجىء، و إذا قلت ما جاءنى إلا زيد، فقد اختصصت زيداً بأنه جاء، و إذا قلت ما جاءنى زيد إلا راكباً فقد اختصصته بهذه الحال دون غيرها من المشى و العدو، و ما أشبه ذلك.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۱۶۱] ..... ص : ۴۹

اشارة

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ ماتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ أُولئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَ الْمَلائِكَةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ (۱۶۱)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۰

آية بلا خلاف.

المعنى: ..... ص : ۵۰

إن قيل: كيف يلعن الكافر كافراً مثله و هو الظاهر فى قوله (وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ)؟

قيل عنه ثلاثة أجوبة:

أولها- أنه یلعنه الناس أجمعون یوم القیامة کما قال تعالی (ثُمَّ یَوْمَ الْقِیامَةِ یَکْفُرُ بَعْضُکُمْ بِبَعْضٍ وَ یَلْعَنُ بَعْضُکُمْ بَعْضاً) «۱» و هو قول أبی العالیة.

الثانی- قال السدی: انه لا یمتنع أحد من لعن الظالمین، فیدخل فی ذلک لعن الکافر لأنه ظالم.

الثالث- یراد به لعن المؤمنین خصوصاً، و لم یعتدّ بغیرهم کما یقال: المؤمنون هم الناس، و هو قول قتادة و الربیع، هذا إذا حمل علی أن اللعن فی دار الدنیا، لأن من المعلوم أن أهل ملة لا یلعن أهل ملته.

القراءة: ..... ص : ۵۰

و حکی عن الحسن أنه قرأ «و الملائکة» رفعاً و یکون ذلک علی حمله علی معنی یلعنهم اللَّه و الملائکة و الناس أجمعون. کما تقول: عجبت من ضرب زید، و عمرو- بالرفع- و هذه قراءة شاذة لا- یعول علیها لأنّ المعتمد ما علیه الجمهور. و لا یجوز رفع «أجمعین» وحده هاهنا لأن هذه اللفظة لا تکون إلا تابعة، و لیس فی الکلام مظهر و لا مضمر تتبعه علی ذلک، و إنما الحمل علی المعنی بمنزلة إعادة معنی العامل الأوّل، کأنک قلت:

و یلعنهم الملائکة و الناس أجمعون.

المعنی: ..... ص : ۵۰

و الکفر ما یستحق به العقاب الدائم عندنا، و عند من خالفنا فی دوام عقاب فساق أهل الصلاة انه ما یستحق به العقاب الدائم الکثیر، و یتعلق به أحکام مخصوصة،

---

(۱) سورة العنکبوت آیة: ۲۵

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۵۱

و سواء کان الکفر فی تشبیه اللَّه تعالی بخلقه أو فی تجریده فی أفعاله أو الرد علی النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم أو ما کان أعظم منه فی القبح، و اللعنة: الابعاد من الرحمة علی ما بیناه مع إیجاب العقوبة، و یجری ذلک من الناس علی وجه الدعاء، و من اللّه علی وجه الحکم، و إنما قال: (وَ ماتُوا وَ هُمْ کُفَّارٌ) و کل کافر، فهو ملعون فی حال کفره و إن لم یکن ممن یوافی بالکفر للدلالة علی خلودهم فی النار إذا ماتوا علی غیر توبة، و قد دلَّ علی ذلک ما بینه فی الآیة الثالثة، و إنما أکد بأجمعین لیرتفع الاحتمال، و الإیهام قبل أن ینظر فی تحقیق الاستدلال، و لهذا لم یجز الأخفش رأیت أحد الرجلین کلیهما، و أجاز رأیتهما کلیهما، لأنک إذا ذکرت الحکم مقرونا بالدلیل علیه، أزلت الإیهام للفساد، و إذا ذکرته وحده فقد یتوهم علیک الغلط فی المقصد بقولک: أحد الرجلین، لما ذکرت التثنیة و ذکرت أحداً کنت بمنزلة من ذکر الحکم، و الدلیل علیه فأمّا ذکر التثنیة فی رأیتهما، فبمنزلة ذکر الحکم وحده. و واحد الناس إنسان فی فی المعنی، فأما فی اللفظ، فلا واحد له، و هو کنفر، و رهط مما یقال: إنه اسم للجمع.

قوله تعالی:[سورة البقرة (۲): آیة ۱۶۲] ..... ص : ۵۱

اشارة

خالِدِینَ فِیها لا یُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ وَ لا هُمْ یُنْظَرُونَ (۱۶۲)

آية بلا خلاف.

المعنى: ..... ص : ۵۱

و الهاء فى قوله «فيها» عائدة على اللعنة فى قول الزجاج. و قال ابو العالية هى عائدة الى النار، و معنى قوله (وَ لا هُمْ يُنْظَرُونَ) على قول أبى العالية رفع لإيهام الاعتذار كما قال: (وَ لا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ) «۱» لئلا يتوهم أن التوبة و الانابة هناك تنفع. و الخلود فى اللعنة يحتمل أمرين أحدهما- استحقاق اللعنة بمعنى أنها تحق عليهم أبداً. و الثانى- فى عاقبة اللعنة: و هى النار التى لا تفنى، و إنما قال: (لا يُخَفَّفُ)

---

(۱) سورة المرسلات آية: ۳۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۲

مع أنهم مخلدون، لأن التخفيف قد يكون مع الخلود، بان يقل المعاون ما يفعل، فأراد اللّه أن يبين أنه يقع الخلود، و يرتفع التخفيف.

الاعراب: ..... ص : ۵۲

و خالدين نصب على الحال من الهاء و الميم فى عليهم، كقولك: عليهم المال صاغرين، و العامل فيه الاستقرار فى عليهم.

اللغة: ..... ص : ۵۲

و الخلود: اللزوم أبداً، و البقاء: الوجود وقتين فصاعداً، و لذلك لم يجز فى صفات اللّه خالد، و جاز باق، و لذلك يقال: أخلد الى قوله: أى لزم معنى ما أتى به، و منه قوله تعالى (وَ لكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ) «۱» أى مال اليها ميل اللازم لها، كأنه قبل الخلد فيها.

و الفرق بين الخلود و الدوام أن الدوام: هو الوجود فى الأول، و لا يزال.

و إذا قيل دام المطر، فهو على المبالغة، و حقيقته لم يزل من وقت كذا الى وقت كذا، و الخلود هو اللزوم أبداً. و التخفيف: هو النقصان من المقدار الذى له اعتماد. و العذاب:

الألم الذى له امتداد. و الانظار: الامهال قدر ما يقع النظر فى الخلاص، و اصل النظر الطلب، فالنظر بالعين: الطلب بالعين، و كذلك النظر بالقلب أو باليد أو بغيرها من الحواس، و تقول أنظر الثوب أين هو. و الفرق بين العذاب و الإيلام، ان الإيلام قد يكون بجزء «۲» من الألم فى الوقت الواحد. و العذاب له استمرار من الألم فى أوقات، و منه العذب، لاستمراره فى الحلق «۳». و العذبة، لاستمرارها بالحركة «۴».

---

(۱) سورة الاعراف آية: ۱۷۵

(۲) فى المطبوعة (محز)

(۳) و فى مجمع البيان (و منه العذاب لاستمراره بالخُلق) و الصحيح ما ذكره الشيخ، لان المقصود منه: عذوبة الماء و نحوه، و لا يكون ذلك الا فى الحلق. [.....]

(۴) العذبة التى تستمر بالحركة: خرقة النائحة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۳

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۱۶۳] ..... ص : ۵۳

اشارة

وَ إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ (۱۶۳)
آية بلا خلاف.

المعنى: ..... ص : ۵۳

يوصف تعالى بأنه واحد على أربعة أوجه أوّلها- إنه ليس بذى أبعاض و لا يجوز عليه الانقسام. الثانى- واحد فى استحقاق العبادة. الثالث- واحد لا نظير له و لا شبيه الرابع- واحد فى الصفات التى يستحقها لنفسه، فهو قديم، و قادر لا يعجزه شىء، و عالم لا يخفى عليه شىء، فكل هذه الصفات يستحقها وحده، و الواحد شىء لا ينقسم عدداً كان أو غيره، و يجرى على وجهين: على الحكم، و على جهة الوصف، فالحكم كقولك: الجزء واحد، و الوصف كقولك: إنسان واحد، و دار واحدة.
و معنى إله أنه يحق له العبادة، و غلط الرمانى، فقال: هو المستحق للعبادة، و لو كان كما قال لما كان تعالى إلها فيما لم يزل، لأنه لم يفعل ما يستحق به العبادة. و معنى ما قلناه: أنه قادر على ما إذا فعله استحق به العبادة. و قيل معنى إله انه منعم بما يستحق به العبادة، و هذا باطل لما قد بيناه، و لا يجوز أن يحيّا أحد من الخلق بالإلهية، لأنه يستحيل ان يقدر أحد سوى اللَّه على ما يستحق به العبادة من خلق الأجسام، و القدرة، و الحياة، و الشهوة، و النفاد، و كمال العقل، و الحواس و غير ذلك، فلا تصح الإلهية إلّا له، لأنه القادر على ما عددناه، و الآية تتصل بما قبلها و بما بعدها، فاتصالها بما قبلها، كاتصال الحسنة بالسيئة، لتمحو أثرها، و تحذر من مواقعتها، لأنه لما ذكر الشرك، و أحكامه أتبع ذلك بذكر التوحيد و أحكامه، و اتصالها بما بعدها كاتصال الحكم بالدلالة على صحته، لأن ما ذكر فى الآية التى بعدها حجة على صحة التوحيد.
فان قيل: كيف يتصل الوصف بالرّحمة بما قبله؟ قلنا، لأن العبادة تستحق بالنعمة التى هى فى أعلى مرتبة، و لذلك بولغ فى الصفة بالرحمة، ليدل على هذا المعنى.
التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۴

الاعراب: ..... ص : ۵۴

و (هو) فى موضع رفع، و لا- يجوز النصب، و رفعه على البدل من موضع (لا-) مع الاسم، كقولك: لا رجل إلا زيد كأنك قلت: ليس إلا زيد- فيما تريد من المعنى- إذا لم يعتد بغيره، و لا يجوز النصب على قولك: ما قام احد إلا زيداً، لان البدل يدّل على أن الاعتماد على الثانى، و المعنى ذلك، و النصب يدّل على أن الاعتماد فى الاخبار إنما هو على الاول، و قوله تعالى: (لا إِلهَ إِلَّا هُوَ) إثبات للّه تعالى وحده و هو بمنزلة قولك: اللّه إله وحده، و إنما كان كذلك لأنه القادر على ما يستحق به الالهية، و لا يدّل على النفى فى هذا الخبر من قبل أنه لم يدّل على إله موجود، و لا معدوم سوى اللَّه عزّ و جل، لكنه نقيض لقول من ادّعى إلها مع اللَّه.
و إنما النفى إخبار بعدم شىء كما أن الإثبات إخبار بوجوده.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۱۶۴] ..... ص : ۵۴

اشارة

إِنَّ فِی خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّیْلِ وَ النَّهارِ وَ الْفُلْکِ الَّتِی تَجْرِی فِی الْبَحْرِ بِما یَنْفَعُ النَّاسَ وَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْیا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ بَثَّ فِیها مِنْ کُلِّ دابَّهٍٔ وَ تَصْرِیفِ الرِّیاحِ وَ السَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَیْنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ (۱۶۴)

آیهٔ واحدهٔ بلا خلاف.

القراءهٔ: ..... ص : ۵۴

قرأ نافع، و ابن کثیر، و ابو عمرو، و ابن عاصم، و ابن عامر (الرّیاح) علی الجمع. الباقون علی التوحید، و لم یختلفوا فی توحید ما لیس فیه ألف و لام.

المعنی: ..... ص : ۵۴

لما أخبر اللّه تعالی الکفار بأن إلههم إله واحد لا ثانی له، قالوا: ما الدلالهٔ التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۵۵
علی ذلک؟ فقال اللّه عزّ و جل: (إِنَّ فِی خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) الآیهٔ الی آخرها.
و وجه الدّلالهٔ من الآیهٔ (إِنَّ فِی خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) یدل علی أنّ لها خالق، لا یشبهها و لا تشبهه، لأنه لا یقدر علی خلق الأجسام إلا القدیم القادر لنفسه الذی لیس بجسم، و لا عرض، إذ جمیع ذلک محدث و لا بدّ له من محدث لیس بمحدث، لاستحالهٔ التسلسل.
و أما (اللَّیْلِ وَ النَّهارِ)، فیدلان علی عالم مدبر من جههٔ أنه فعل محکم، متقن، واقع علی نظام واحد، و ترتیب واحد، لا یدخل شیئاً من ذلک تفاوت، و لا اختلاف.
و أما (الْفُلْکِ الَّتِی تَجْرِی فِی الْبَحْرِ بِما یَنْفَعُ النَّاسَ) فتدل علی منعم دبّر ذلک لمنافع خلقه، لیس من جنس البشر، و لا- من قبیل الأجسام، لان الأجسام یتعذر علیها فعل ذلک.
و أما الماء الذی ینزل من السماء، فیدل علی منعم به یقدر علی التصریف فیما یشاء من الأمور، لا یعجزه شیء.
و أمّا (إحیاء الأرض بعد موتها)، فیدل علی الانعام بما یحتاج الیه العباد.
و إحیاؤها: إخراج النبات منها، و أنواع الثمار (وَ بَثَّ فِیها مِنْ کُلِّ دابَّهٍٔ) دالّ علی ان لها صانعاً مخالفاً لها منعماً بأنواع النعم. (وَ تَصْرِیفِ الرِّیاحِ) یدل علی الاقتدار علی ما لا- یتأتی من العباد و لو حرصوا کل الحرص، و اجتهدوا کل الاجتهاد، لأنه إذا ذهبت جنوباً مثلا، فاجتمع جمیع الخلق علی أن یقلبوها شمالا أو صباً أو دبوراً، لما قدروا علی ذلک، و لا تمکنوا علی ردّه من الجههٔ التی یجیء منها.
و أما (السَّحابِ الْمُسَخَّرِ) فیدل علی أنه یمسکه القدیم، و الذی لا شبه له و لا نظیر، لأنه لا یقدر علی تسکین الأجسام الثقال بغیر علاقهٔ و لا دعامهٔ إلا اللّه تعالی، و کذلک لا یقدر علی تسکین الأرض کذلک إلا القادر لنفسه،، فهی تدل علی صانع غیر مصنوع قدیم لا یشبهه شیء، قادر لا یعجزه شیء، عالم لا یخفی علیه شیء، حی لا یموت واحد لیس کمثله شیء، سمیع بصیر (لا یَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّهٍٔ فِی السَّماواتِ التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۵۶
وَ لا فِی الْأَرْضِ)
«۱» لان صفات النقص لا تجوز علیه تعالی. و یدل علی أنه منعم بما لا یقدر غیره علی الانعام بمثله «۲»، أنه یستحق بذلک العبادهٔ دون غیره

اللغهٔ: ..... ص : ۵۶

و الخلق هو الأحداث للشىء على تقدير من غير احتذاء على مثال، و لذلك لا يجوز إطلاقه إلا فى صفات اللّه، لأنه ليس أحد- جميع أفعاله على ترتيب من غير احتذاء على مثال- إلا اللّه تعالى. و قد استعمل الخلق بمعنى المخلوق كما استعمل الرضى بمعنى المرضى، و هو بمنزلة المصدر، و ليس معنى المصدر معنى المخلوق، و اختلف أهل العلم فيه إذا كان بمعنى المصدر، فقال قوم: هو الارادة له. و قال آخرون: إنما هو على معنى مقدر، كقولك: وجود و عدم، و حدوث و قدم، و هذه الأسماء تدل على مسمى مقدر للبيان عن المعانى المختلفة و إلا فالمعنى بما هو الموصوف فى الحقيقة.

و إنما جمعت السماوات و وحدت الأرض، لأنه لما ذكرت السماء بأنها سبع فى قوله تعالى: «ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ» «۳» و قوله: «خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ» «۴» جمع لئلا يوهم التوحيد معنى الواحدة من هذه السبع. و قد دل مع ذلك قوله «وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ» «۵» على معنى السبع، و لكنه لم يجر على جهة الإفصاح بالتفصيل فى اللفظ. و وجه آخر: و هو أن الأرض لتشاكلها تشبه الجنس الواحد، كالرجل، و الماء الذى لا يجوز جمعه إلا أن يراد الاختلاف، و ليس تجرى السموات مجرى الجنس، لأنه دبر فى كل سماء أمرها. و التدبير الذى هو حقها.

و فى اشتقاق قوله «وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ» قولان:

أحدهما- من الخلف، لأن كل واحد منهما يخلف صاحبه على وجه المعاقبة له.

و الثانى- من اختلاف الجنس كاختلاف السواد و البياض، لأن أحدهما لا يسد مسد الآخر فى الإدراك. و المختلفان ما لا يسد أحدهما مسد الآخر فيما يرجع الى ذاته.

---

(۱) سورة سبأ آية: ۳

(۲) فى المطبوعة (لمثله)

(۳) سورة البقرة آية: ۲۹

(۴) سورة الطلاق آية: ۱۲، و سورة الملک آية: ۳

(۵) سورة الطلاق آية: ۱۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۷

و النهار: اتساع الضياء، و أصله الاتساع، و منه قول الشاعر: «۱»

ملكت بها كفى فأنهرت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها «۲»

أى أوسعت، و يصلح ان يكون من النهر أى جعله كالنهر. و النهر أوسع مجارى الماء، فهو أوسع من الجدول، و الساقية. و إنما جمعت الليلة، و لم يجمع النهار لأن النهار بمنزلة المصدر، كقولك: الضياء، يقع على الكثير و القليل، فأما الليلة، فمخرجها مخرج الواحد من الليل على أنه قد جاء جمعه على وجه الشذوذ. قال الشاعر:

لو لا الثريدان هلكنا بالضُّمر ثريد ليل و ثريد بالنُّهر «۳»

و الفلك: السفن يقع على الواحد، و الجمع بلفظ واحد، و منه قوله: «فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ» «۴» و منه «وَ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا» «۵» و الفلك: فلک السماء.

قال اللّه تعالى: «كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ» «۶». و كل مستدير فلک، و الجمع أفلاک و قال صاحب العين: قيل: اسم للدوران خاصة. و قيل: بل اسم لأطواق سبعة فيها النجوم. و فلكت الجارية إذا استدار ثديها. و الفلكة: فلكة المغزل معروف. و فلكة الجدى، و هو قضيب يدار على لسانه لئلا يرضع. و اصل الباب الدور، و الفلک السفينة لأنها تدور بالماء أسهل دور. و إنما جعل الفلک للواحد، و الجمع بلفظ واحد، لأن فعل و فعل «۷» يشتركان كثيراً: العرب، و العرب، و العجم، و العُجم، و البخل و البخل.

(١) هو قيس بن الخطيم.

(٢) اللسان (نهر) ملكت: شددت و قويت. أنهرت فتقها: وسعته حتى جعلته نهراً.

يصف طعنة، فشبهها أولا بالنهر ثم شبهها بالنافذة بقوله: يرى قائم ... و هذا فى غاية المبالغة.

(٣) اللسان (نهر)، و تهذيب الألفاظ: ٤٢٢، و المخصص ٩: ٥١. و رواية اللسان، و المخصص «لمتنا» بدل «لهلكنا» الضمر- بضم الميم، و سكونها- الهزال، و لحاق البطن، و الضمر هنا: الجوع، لأن المعنى لو لا ثريد الليل و ثريد النهار لمتنا جوعاً. و الثريد: خبز يبل فى ماء اللحم و غيره.

(۴) سورة يس آية: ۴١

(۵) سورة هود آية: ٣٧

(۶) سورة الأنبياء آية: ٣٣، و سورة يس آية: ۴٠

(٧) فعل الاولى- بفتح الفاء و العين- و الثانية- بضم الفاء و سكون العين-، و كذلك كل ما مثل به من الكلمات المتفقة فى المادة فى هذا الموضع.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ۵٨

و من قال فى أسد: أسد. قال فى فلك: فلك، فجمعه على فُعل. و إنما أنث الفلك إذا أريد به الجمع، كقولك: السفن التى تجرى فى البحر.

و قوله: «وَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ» يعنى من نحو السماء عند جميع المفسرين.

و قال قوم: السماء تقع على السحاب، لأن كل شيء علا فوق شيء، فهو سماء له. فان قيل:

هل السحاب بخارات تصعد من الأرض؟ قلنا ذلك جائز لا يقطع به، و لا مانع ايضاً من صحته من دليل عقل، و لا سمع. و السماء: السقف، فسماء البيت سقفه قال تعالى:

«وَ جَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً» «١» فالسماء المعروفة سقف الأرض. و أصل الباب السمو:

و هو العلو، و السماء: الطبقة العالية على الطبقة السافلة إلا أنها صارت بمنزلة الصفة على السماء المعروفة: و هى التى من أجل السمو كانت عالية على الطبقة السافلة. و الأرض الطبقة السافلة. يقال: أرض البيت و أرض الغرفة، فهو سماء لما تحته من الطبقة، و ارض لما فوقه، و قد صار الاسم كالعلم على الأرض المعروفة. و إنما يقع على غيرها بالاضافة.

و الليل هو الظلام المعاقب للنهار. و قد يقال لما لا يصل اليه ضوء الشمس: هو الليل و إن كان النهار موجوداً. و البحر: هو الخرق الواسع الماء الذى يزيد على سعة النهر. و المنفعة: هى اللذة، و السرور و ما أدى إليهما. أو إلى كل واحد منهما. و النفع، و الخير، و الحظ نظائر، و قد تكون المنفعة بالآلام إذا أدّت الى لذات. و الأحياء:

فعل الحياة. و حياة الأرض: عمارتها بالنبات، و موتها إخرابها بالجفاف الذى يمتنع معه النبات. و البثّ: التفريق، و كل شيء بثثته، فقد فرقته، و منه قوله تعالى:

«كَالْفَراشِ الْمَبْثُوثِ» «٢»، و تقول: انبث الجراد فى الأرض، و تقول: بثثته سرى، و أبثثته إذا أطلعته عليه. و البث: ما يجده «٣» الرجل من كرب، أو غم فى نفسه، و منه قوله:َشْكُوا بَثِّي وَ حُزْنِي إِلَى اللَّهِ»

«۴». و أصل الباب التفريق.

و قال صاحب العين: كل شيء مما خلق اللّه يسمى دابة مما يدب، و صار بالعرف اسماً

(١) سورة الأنبياء آية: ٣٢ [.....]

(٢) سورة القارعة آية: ۴

(٣) فى المطبوعة «ما يمجده»

(۴) سورة يوسف آية: ٨۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٥٩

لما يركب، و يقولون للبرذون: دابة و تصغيرها دويبة. و دب النمل يدب دبيبه. و دب الشراب بالإنسان دبيباً. و دب القوم إلى العدو أى مشوا على هيئتهم لم يشرعوا.

و الدبابة تتخذ فى الحروب، ثم يدفع إلى أصل حصن فينقبون و هم فى جوف الدبابة «١» و الدب: نوع من السباع، و الأنثى دبة. و الدبة لزوم حال الرجل فى فعاله. ركب فلان دبة فلان، و أخذ بدبته أى عمل بعمله.

و قوله تعالى: «وَ تَصْرِيفِ الرِّياحِ» التصريف و التقليب و التسليك نظائر.

و تصريف الرياح تصرفها من حال إلى حال، و من وجه إلى وجه، و كذلك تصرف الخيول، و السيول، و الأمور. و صرف الدهر تقلبه، و الجمع صروف. و الصريف:

اللبن إذا سكنت رغوته و قال بعضهم: لا يسمى صريفاً حتى يتصرف به الضرع.

و الصريف صريف الفحل بنا به حتى يسمع لذلك صوت، و كذلك صريف البكرة.

و عنز صارف: إذا أرادت الفحل. و الصرف: صبغ أحمر، قال الاصمعى: هو الذى يصبغ به الشرك. و الصرف: فضل الدرهم على الدرهم فى الجودة. و كذلك بيع الذهب بالفضة، و منه اشتق اسم الصيرفى، لتصريفه أحدهما فى الآخر. و الصرف:

النافلة. و العدل: الفريضة. و الصرفة: منزل من منازل القمر: كوكب إذا طلع قدام الفجر، فهو أول الخريف، و إذا غاب من طلوع الفجر، فذاك أول الربيع. و الصرف:

الشراب غير ممزوج. و الصرفان تمر معروف، أوزنه و أجوده. و أصل الباب: القلب عن الشىء. و السحاب: مشتق من السحب و هو حرك الشيء على وجه الأرض، تسحبه سحباً كما تسحب المرأة ذيلها، و كما تسحب الريح التراب، و سمى السحاب سحاباً، لانسحابه فى السماء و كل منجر منسحب.

و التسخير، و التذليل، و التمهيد نظائر. تقول: سخر اللَّه لفلان كذا إذا سهله له، كما سخر الرياح لسليمان. و سخرت الرجل تسخيراً إذا اضطهدته، فكلفته عملا بلا أجرة. و هى السخرة، و سخر منه إذا استهزأ به، قال اللَّه تعالى

---

(١) فى المطبوعة «دابة»

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ۶٠

«فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ» «١» و قال «فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا» «٢» من الاستهزاء، و سخريا من تسخير الحول و ما أشبهه. و اصل الباب: التسخير: التذليل.

المعنى: ..... ص : ۶٠

و قيل فى تصريف الرياح قولان: أحدهما- هبوتها شمالا و جنوباً و صبا و دبوراً. و الثانى- قيل مجيؤها بالرحمة مرة و بالعذاب أخرى. و هو قول قتادة.

و قوله: «لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» فيه قولان: أحدهما- أنه عام لمن استدل به، و من لم يستدل من العقلاء. و الثانى- أنه خاص لمن استدل به كما

قال: «إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشاها» «٣» و كما قال «هُدىً لِلْمُتَّقِينَ» «۴» لما كانوا هم الذين اهتدوا بها و خشوا عند مجيئه أضيف إليهم و إنما أضيفت الآيات الى العقلاء لامرين: أحدهما- لأنها نصبت لهم. و الثانى- لأنها لا يصح أن يستدل بها سواهم.

اللغة: ..... ص : ۶٠

قال ابو زيد: قال القيسيون: الرياح أربع: الشمال، و الجنوب، و الصبا، و الدبور.

فأما الشمال عن يمين القبلة و الجنوب عن شمالها و الصبا و الدبور متقابلتان، فالصبا من قبل المشرق و الدبور من قبل المغرب و إذا جاءت الريح بين الصبا، و الشمال، فهى النكباء التى لا يختلف فيها. و التى بين الجنوب و الصبا، فهى الجربياء، و روى ابن الاعرابى عن الاصمعى، و غيره: ان الرياح اربع: الجنوب، و الشمال، و الصبا، و الدبور. قال ابن الاعرابى:

كل ريح بين ريحين، فهى نكباء. قال الاصمعى: إذا انحرفت واحدة منهن، فهى نكباء، و جمعها نكب. فاما مهبهن، فان ابن الاعرابى قال: مهب الجنوب من مطلع سهيل الى مطلع الثريا، و الصبا من مطلع الثريا الى بنات نعش، و الشمال من بنات نعش الى مسقط النسر الطائر، و الدبور من مسقط النسر الطائر الى مطلع سهيل، و الجنوب، و الدبور لهما هيف و الهيف: الريح الحارة، و الصبا، و الشمال: لا هيف لهما. و قال

---

(١) سورة التوبة آية: ٨٠

(٢) سورة المؤمنون آية: ١١١

(٣) سورة النازعات آية: ۴۵

(۴) سورة البقرة آية: ٢

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ۶١

الأصمعى: ما بين سهيل الى طرف بياض الفجر: جنوب. و ما بان انهما هما، يستقبلهما من الغرب: شمال، و ما جاء من وراء البيت الحرام فهو دبور، و ما جاء قبالة ذلك، فهو صباً. و تسمى الصّبا قبولا، لأنها تستقبل الدّبور، و تسمى الجنوب الأزيب، و النعامى. و تسمى الشمال محوة و لا تصرف، لأنها تمحوا السحاب و تسمى الجربياء، و تسمى مسعا، و تسعا و تسمى الجنوب اللاقح. و الشمال حائلا، و تسمى ايضاً عقيما، و تسمى الصبا عقيما ايضاً. قال اللّه تعالى: «وَ فِي عادٍ إِذْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ» «١» و هى التى لا تلقح السحاب. و الذاريات التى تذروا التراب ذرواً.

و من قرأ بلفظ الجمع، فلأن كل واحدة من هذه الرياح مثل الاخرى فى دلالتها على التوحيد و تسخيرها لنفع الناس. و من وحّد أراد به الجنس كما قالوا أهلك الناس الدينار، و الدرهم.

قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ١۶۵] ..... ص : ۶١

اشارة

وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْداداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَ لَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَ أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذابِ (١۶۵)

آية بلا خلاف

القراءة: ..... ص : ۶۱

قرأ نافع و ابن عامر، و أبو جعفر من طريق النهروانى «و لو ترى» بالتاء.

الباقون بالياء. و قرأ أبو جعفر، و يعقوب «إن القوة للّه، و إن اللَّه» بكسر الهمزة فيهما. الباقون بفتحهما. و قرأ ابن عامر وحده «إذ يرون» بضم الياء. و الباقون بفتحها.

اللغة: ..... ص : ۶۱

الأنداد، و الأمثال، و الاشباه نظائر، و الأنداد «۲» واحدها ندّ. و قيل

---

(۱) سورة الذاريات آية: ۴۱.

(۲) فى المطبوعة (الأنداد) ساقطة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۶۲

الاضداد. و أصل النّد المثل المناوى و المراد به هنا قال قتادة، و الربيع، و مجاهد، و ابن زيد. و أكثر المفسرين آلهتهم التى كانوا يعبدونها. و قال السدى: رؤساؤهم الذين يطيعونهم طاعة الأرباب من الرجال. و قوله تعالى «يُحِبُّونَهُمْ» فالمحبة هى الارادة إلا ان فيها حذفاً، و ليس ذلك فى الارادة فإذا قلت: أحب زيداً معناه أريد منافعه أو مدحه، و إذا أحب اللَّه تعالى عبداً فمعناه أنه يريد ثوابه و تعظيمه، و إذا قال:

أحب اللَّه معناه أريد طاعته و اتباع أوامره، و لا يقال: أريد زيداً، و لا أريد اللَّه و لا إن اللّه يريد المؤمن، فاعتيد الحذف فى المحبة، و لم يعتد فى الارادة. و فى الناس من قال: المحبة ليست من جنس الارادة، بل هى من جنس ميل الطبع، كما تقولون:

أحب ولدى أى يميل طبعى اليه، و ذلك مجاز، بدلالة أنهم يقولون: أحببت أن أفعل بمعنى أردت أن أفعل. و ضدّ الحب البغض. و تقول: أحبه حبّا، و تحبب تحبباً، و حببه تحبيباً، و تحابا تحاباً. و المحبة: الحب. و الحب واحده حبة من بر، أو شعير، أو عنب. أو ما أشبه ذلك. و الحبة بزور البقل. و حبة القلب ثمرته. و الحب: الجرة الضخمة. و الحب القرط من حبة واحدة. و حباب الماء: فقاقيعه. و الحباب الحية.

و أحب البعير إحباباً: إذا برك، فلا يثور، كالحران فى الخيل، قال أبو عبيدة: و منه قوله تعالى «أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي» «۱» أى لصقت بالأرض لحب الخير، حتى تأتينى الصلاة. و أصل الباب: الحب ضد البغض.

المعنى: ..... ص : ۶۲

و قوله: «كَحُبِّ اللَّهِ» قيل فى هذه الاضافة ثلاثة أقوال: أحدها- كحبكم اللَّه. و الثانى- كحبهم اللَّه. و الثالث- كحب اللَّه الواجب عليهم لا الواقع منهم، كما قال الشاعر:

فلستُ مسلماً ما دمت حيّا على زيد بتسليم الأمير «۲»

---

(۱) سورة ص آية: ۳۲.

(۲) البيان و التبيين ۴: ۵۱، و معانى القرآن للفراء ۱: ۱۰۰، و أمالى الشريف المرتضى ۱: ۲۱۵. و لم نعرف قائله.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۶۳

أی مثل تسلیمی علی الأمیر. فان قیل: کیف یحب المشرک- الذی لا یعرف الله- شیئاً کحبه لله؟ قلنا من قال: إن الکفار یعرفون الله قال: کحبه لله.

و من قال: هم لا یعرفون الله- علی ما یقوله أصحاب الموافاة- قال: معناه کحب المؤمنین لله أو کالحب الواجب علیهم.

و قوله تعالی: «وَ الَّذِینَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ» قیل فی معناه قولان:

أحدهما- «أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ» للإخلاص له من الاشراک به و الثانی- لأنهم عبدوا من یملک الضر و النفع، و الثواب، و العقاب، فهم أشد حباً لله بذلک ممن عبد الأوثان.

الاعراب: ..... ص : ۶۳

و یجوز فتح «أن» من ثلاثة أوجه، و کسرها من ثلاثة أوجه- مع القراءة بالیاء-:

أولها- یجوز فتحها بإیقاع الفعل علیها بمعنی المصدر. و تقدیره «و لو یری الذین ظلموا إذ یرون العذاب» قوة الله و شدة عذابه.

الثانی- أن یفتح علی حذف اللام کقولک: لأن القوة لله.

الثالث- علی تقدیر لرأوا أن القوة لله، علی الاتصال بما حذف من الجواب.

و الأول من الکسر علی الاستئناف. الثانی- علی الحکایة مما حذف من الجواب کأنه قیل: لقالوا إن القوة لله جمیعاً. الثالث- علی الاتصال مما حذف من الحال، کقولک: یقولون: إن القوة لله.

و من قرأ بالتاء، یجوز ایضاً فی الفتح ثلاثة أوجه. و فی الکسر ثلاثة أوجه:

أول الفتح- علی البدل، کقولک: و لو تری الذین ظلموا أن القوة لله علیهم، و هو معنی قول الفراء. الثانی- لأن القوة لله. الثالث- أ رأیت أن القوة لله. قال أبو علی الفارسی: من قرأ بالتاء لا- یجوز أن تنصب أن إلا- بالفعل المحذوف- فی الجواب. و أما البدل فلا یجوز، لأنها لیست «الَّذِینَ ظَلَمُوا» و لا بعضهم و لا مشتملة التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۶۴

علیهم، هذا إن جعل الرؤیة من رؤیة البصر. و إن جعلها من رؤیة القلب، فلا یجوز ایضاً، لأن المفعول الثانی فی هذا الباب هو الأول فی المعنی، و قوله تعالی:

«أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ» لا یکون الذین ظلموا، فلم یبق بعد ذلک إلا أنه ینتصب بفعل محذوف. و الکسر مع التاء مثل الکسر مع الیاء. و اختار الفراء- مع الیاء- الفتح، و مع التاء الکسر، لأن الرؤیة قد وقعت علی الذین، و جواب لو محذوف، کأنه قیل: لرأوا مضرة اتخاذهم للأنداد، و لرأوا أمراً عظیما لا یحصر بالأوهام. و حذف الجواب، یدل علی المبالغة، کقولک: لو رأیت السیاط تأخذ فلاناً.

و الضمیر فی قوله «یتخذ» عائد علی لفظ من. و فی قوله یحبونهم علی معنی من، لأن من مبهم، فمرة یحمل الکلام منها علی اللفظ، و أخری علی المعنی، کما قال:

«وَ مَنْ یَقْنُتْ مِنْکُنَّ لِلَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تَعْمَلْ صالِحاً» «۱»- بالتاء، و الیاء- حملا لمن علی اللفظ و المعنی.

و اتصلت الآیة بما قبلها اتصال انکار، کأنه قال: أبعد هذا البیان و الأدلة القاهرة علی وحدانیته، یتخذون الأنداد من دون الله.

و من قرأ قوله «و لو تری»- بالتاء- جعل الخطاب للنبی (ص) و المراد به غیره، کما قال: «یا أَیُّهَا النَّبِیُّ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ» «۲». و الذین علی هذا فی موضع نصب. و من قرأ بالیاء یکون الذین فی موضع رفع بأنهم الفاعلون.

و قوله «جمیعاً» نصب علی الحال، کأنه قیل: إن القوة لله ثابتة لله فی حال اجتماعها. و هی صفة مبالغة بمعنی إذا رأوا مقدورات الله فیما تقدم الوعید به، علموا أن الله قادر لا یعجزه شیء.

و الشدة قوة العقد، و هو ضد الرخاوة. و القوة و القدرة واحد. و (تری) فی قوله تعالی: «وَ لَوْ تَرَی من رؤیة العین بدلالة أنها تعدت الی مفعول واحد، لأن التقدیر و لو ترون أن القوة لله جمیعاً أی و لو یری الکفار ذلک.

(۱) سورة الأحزاب آیة: ۳۱.

(۲) سورة الإطلاق آیة: ۱ [.....]

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۶۵

و من قرأ- بالتاء- یقوی انها المتعدیة الی مفعول واحد، و یدل علی ذلک أیضاً قوله «إِذْ یَرَوْنَ الْعَذابَ»، و قوله: «وَ إِذا رَأَی الَّذِینَ ظَلَمُوا الْعَذابَ» «فَلا یُخَفَّفُ عَنْهُمْ»، فتعدی الی مفعول واحد. فان قیل: کیف قال: «وَ لَوْ یَرَی الَّذِینَ ظَلَمُوا» و هو أمر مستقبل، و إذ لما مضی؟ قیل: إنما جاء علی لفظ المضی لإرادة التقریب فی ذلک، کما جاء «وَ ما أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا کَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ» «۱» و علی هذا جاء فی هذا المعنی أمثلة الماضی کقوله: «وَ نادی أَصْحابُ النَّارِ أَصْحابَ الْجَنَّةِ» «۲». هکذا ذکره أبو علی الفارسی قال: و علی هذا المعنی جاء فی مواضع کثیرة فی القرآن، کقوله تعالی «وَ لَوْ تَری إِذْ وُقِفُوا عَلی رَبِّهِمْ» «۳» «وَ لَوْ تَری إِذْ وُقِفُوا عَلَی النَّارِ» «۴» «وَ لَوْ تَری إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ» «۵» «وَ لَوْ تَری إِذْ فَزِعُوا، فَلا فَوْتَ» «۶» «وَ لَوْ تَری إِذْ یَتَوَفَّی الَّذِینَ کَفَرُوا الْمَلائِکَةُ» «۷». کذلک هذه الآیة.

قوله تعالی:[سورة البقرة (۲): آیة ۱۶۶] ..... ص : ۶۵

اشارة

إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِینَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِینَ اتَّبَعُوا وَ رَأَوُا الْعَذابَ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبابُ (۱۶۶)

آیة واحدة بلا خلاف.

الاعراب و اللغة: ..... ص : ۶۵

العامل فی (إذ) قوله تعالی: «وَ أَنَّ اللَّهَ شَدِیدُ الْعَذابِ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِینَ» کأنه قیل وقت تبرأوا.

و التبرّء: التباعد للعداوة، فإذا قیل تبرّأ اللَّه من المشرکین معناه باعدهم من رحمته، و کذلک إذ تبرّء الرسول منهم معناه باعدهم- للعداوة- عن منازل من

(۱) سورة النحل آیة: ۷۷.

(۲) سورة الاعراف آیة: ۵۰.

(۳) سورة الانعام آیة: ۳۰.

(۴) سورة الانعام آیة: ۲۷.

(۵) سورة سبأ آیة: ۳۱.

(۶) سورة سبأ آیة: ۵۱.

(۷) سورة الانفال آیة: ۵۱.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۶۶

لا یحب له الکراهة.

و التبرء فی أصل اللغة، و التزیل، و التقصی نظائر. و ضد التبرء التولی.

و الاتباع: طلب الاتفاق فی مكان، أو مقال، أو فعال، فإذا قيل اتبعه ليلحقه، فمعناه ليتفق معه فی المكان، و إذا تبعه فی مذهبه أو فی سيره أو غير ذلک من الأحوال، فمعناه طلب الاتفاق.

و «اتبعوا» ضمت الألف فيه لضمة الثالث، و ضمة الثالث لما لم يسم فاعله، لأنه إنما يضم له أول المتحرک من الفعل فيما بنی عليه، و الف الوصل لا يعتد به، لأنه وصلة الی التكلم بالساكن فإذا اتصل بمتحرک، استغنی عنه.

المعنی: ..... ص : ۶۶

و المعنی بقوله: «الَّذِينَ اتُّبِعُوا» رؤساء الضلالة من الانس. و قال قوم: هم من الجن. و قيل: من الجميع. و الأول- قول قتادة، و الربيع، و عطا. و الثانی- قول السدی.

و قوله تعالی: «وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبابُ» فالتقطع: التباعد بعد الاتصال.

و السبب: الوصلة الی التعذر بما يصلح من الطلب. و معنی الأسباب هاهنا. قيل فيه ثلاثة أقوال:

أحدها- قال مجاهد. و قتادة، و الربيع، و فی رواية عن ابن عباس: هی الوصلات التی كانوا يتواصلون عليها.

الثانی- روی عن ابن عباس: أنها الأرحام التی كانوا يتقاطعون بها.

الثالث- قال ابن زيد: الأعمال التی كانوا يوصلونها. و قال الجبائی: تقطعت بهم اسباب: النجاة.

اللغة: ..... ص : ۶۶

و السبب: الحبل. و السبب: ما تسببت به من رحم، أو يد، أو دين. و منه قوله: «فَلْيَرْتَقُوا فِی الْأَسْبابِ» «۱». تقول العرب. إذا كان الرجل ذا دين:

---

(۱) سورة ص آية: ۱۰

التبيان فی تفسير القرآن، ج۲، ص: ۶۷

ارتقی فی الأسباب. و السبّ: الشتم. و السبّ: القطع، و السبّ: الشقة البيضاء من الثياب، و هی السبيبة «۱»، و مضت سبة من الدهر أی ملاوة. و السب: الوتد.

و السبابة: ما بين الوسطی و الإبهام، و التسبب: التوصل الی ما هو منقطع عنک.

و يقال: تسبب يتسبب تسبباً، و استبوا استباباً، و سبب تسبيباً، و سابّه متسابّة

قوله تعالی:[سورة البقرة (۲): آية ۱۶۷] ..... ص : ۶۷

اشارة

وَ قالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَما تَبَرَّؤُا مِنَّا كَذلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ حَسَراتٍ عَلَيْهِمْ وَ ما هُمْ بِخارِجِينَ مِنَ النَّارِ (۱۶۷)

آية بلا خلاف.

المعنی: ..... ص : ۶۷

المعنى بقوله: «وَ قالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا» هم الذين تبرءوا منهم: ساداتهم الذين اتبعوهم «لَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً» يعنى رجعة الى دار الدنيا، قال الأخطل:

و لقد عطفن على فزارةَ عطفةً كرَّ المنيح و جلن ثَم مجالا «٢»

فالعامل فى (لو أن) محذوف، كأنه قال: لو صح أنّ لنا كرة، لأن (لو) فى التمنى، و غيره تطلب الفعل. و إن شئت قدرته: لو ثبت أنّ لنا كرة.

اللغة: ..... ص : ٦٧

و الكرّ نقيض الفر تقول: كرّ يكر كراً، و كرة، و تكرّر تكرراً، و كرر

---

(١) و فى لسان العرب (سبب) السب، و السبيبة: الشقة، و خص بعضهم به الشقة البيضاء.

(٢) ديوانه: ٤٨، و نقائض جرير و الأخطل: ٧٩. فى المطبوعة (المسيح) بدل (المنيح) و فى الديوان (قدارة) بدل (فزاره). و فزارة: ابن ذبيان بن يغيض. و المسيح:

قدح لا حظ له فى الميسر. و المنيح اسم رجل من بنى أسد من بنى مالك. و معنى البيت: لقد هاجمناهم فى الحرب بشدة و مراس مثل ما يهاجم المنيح.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٦٨

تكريراً، و تكراراً. و الكرة و الفرة متقابلان. و الكرّ و الرجع و الفتل نظائر فى اللغة قال صاحب العين: الكر الرجوع عن الشيء و منه التكرار. و الكرّ الحبل الغليظ. و قيل: الشديد الفتل. و الكرير صوت فى الحلق. و الكرير: نهر. و الكرة: سرقين و تراب، يدق، و يجلا به الدّروع.

و قوله «فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ» فالتبرء و الانفصال واحد، و منه برىء من مرضه: إذا انفصل منه بالعافية. و منه برىء من الدين براءة. و برىء اللّه من الخلق.

الاعراب: ..... ص : ٦٨

و انتصب «فنتبرّء» على أنه جواب التمنى- بالفاء- كأنه قال: لو كان لنا كرة فتبرءاً «١» و كلما عطف للفعل على تأويل المصدر، نصب بإضمار (أن). و لا يجوز إظهارها.

المعنى: ..... ص : ٦٨

و قوله: «كَذلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ حَسَراتٍ» و ذلك لانقطاع الرجاء من كل واحد منهما. و قيل ايضاً: كما أراهم العذاب يريهم أعمالهم حسرات عليهم.

و ذلك، لأنهم أيقنوا بالهلاك فى كل واحد منهما. و العامل فى الكاف يريهم.

و الأعمال التى يرونها حسرات قيل فيها ثلاثة أقوال:

أحدها- المعاصى يتحسرون عليها لم عملوها.

الثانى- الطاعات يتحسرون عليها لم لم يعملوها، و كيف ضيعوها، و مثله «زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ» «٢» أى أعمالهم التى

فرضناها عليهم، أو ندبناهم اليها.

---

(١) فى المطبوعة نسختان إحداهما نفس الآية، و هذا لا يجوز مع قوله كأنه، لأن التشبيه يقتضى التغاير بين المشبه، و المشبه به حتى يكون بينهما اثنينية، و النسخة الثانية (كان لنا كرة ور فتبرأ) و هذه ليس فيه معنى محصل، فلا بد أن تكون خطأ، و فى مجمع البيان (ليت لنا كروراً فتبروءاً) و يدل على صحة ما أثبتنا تتمة الجملة، و المخطوطة هنا ناقصة بعض الأوراق.

(٢) سورة النمل آية: ۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ۶۹

و روى عن أبى جعفر (ع) أنه قال: هو الرجل يكتسب المال، و لا يعمل فيه خيراً، فيرثه من يعمل فيه عملا صالحاً، فيرى الأول ما كسبه حسرة فى ميزان غيره.

فان قيل: لو جاز أن تضاف الأعمال التى رغبوا فيها، و لم يفعلوها بأنها أعمالهم لجاز أن يقال: الجنة دارهم و حور العين أزواجهم لأنهم عرضوا لها! قلنا لا يجب ذلك، لأنا إنما حملنا على ذلك للضرورة. و لو سمى اللَّه تعالى الجنة بأنها دارهم لتأولنا ذلك، و لكن لم يثبت ذلك، فلا يقاس على غيره.

الثالث- الثواب فان اللَّه تعالى يريهم مقادير الثواب التى عرضهم لها لو فعلوا الطاعات فيتحسرون عليه- لم فرطوا فيه- و القول الأول قول الربيع، و ابن زيد، و اختيار الجبائى، و أحد قولى البلخى. و الثانى قول عبد اللّه، و السدى، و أحد قولى البلخى. و هو كما تقول الإنسان أقبل على عملك و أعقدت عليه عملا قلت فى عملك، و الذى أقوله: ان الكلام يحتمل أمرين: فلا ينبغى أن يقطع على واحد منهما إلا بدليل إلا ان الاول أقوى، لأنه الحقيقة. و اللَّه أعلم بمراده.

اللغة: ..... ص : ۶۹

و الحسرات: جمع الحسرة، و هى أشد من الندامة. و الفرق بينهما و بين الارادة ان الحسرة تتعلق بالماضى خاصة، و الارادة تتعلق بالمستقبل، لان الحسرة انما هى على ما فات بوقوعه أو يتقضى وقته. و انما حركت السين، لأنه اسم على فعلة أوسطه ليس من حروف العلة، و لو كان صفة لقلت: صعبات فلم يحرك، و كذلك جوزات و بيضات. و إنما حرك الاسم، لأنه على خلاف الجمع السالم، إذ كان كان انما يستحقه ما يعقل.

و الحسرة و الندامة نظائر، و هى نقيض الغبطة. و تقول: حسرت العمامة عن رأسى إذا كشفتها. و حسر عن ذراعيه حسراً، و انحسر انحساراً، و حسره تحسيراً.

و الحاسر فى الحرب الذى لا درع عليه، و لا مغفر. و حسر يحسر حسرة و حسراً:

إذا كمد على الشيء الفائت «١»، و تلهف عليه. و حسرت الناقة حسوراً: إذا أعيت.

---

(١) فى المطبوعة (إذا كمل على الشيء الغائب) و هو تحريف.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٧٠

و حسر البصر إذا كلّ عن البصر: و المحسرة: المكنسة. و الطير يتحسر: إذا خرج من ريشه العتيق الى الحديث. و أصل الباب الحسر: الكشف.

و فى الآية دلالة على انه كان فيهم قدرة على البراءة منهم، لأنهم لو لم يكونوا قادرين لم يجز أن يتحسروا على ما فات، كما لا يتحسر الإنسان لم لم يصعد الى السماء، و لا من كونه فى الأرض.

قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ١٦٨] ..... ص : ٧٠

اشارة

يا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَ لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٦٨)

آية بلا خلاف.

القراءة: ..... ص : ٧٠

قرأ نـافع، و أبو عمر، و حمزة، و خلف، و أبو بكر إلا البرجمى، و البزى إلا ابن مرج و الربيبى إلا الولى (خطوات) بسـكون الطاء حيث وقع. الباقون بضمها.

اللغة: ..... ص : ٧٠

الأكل: هو البلع عن مضغ، و بلع الحصا ليس بأكل فى الحقيقة، و قد قيل:

النعام يأكل الخمر، فأجروه مجرى فلان يأكل الطعام. و يقال: مضغه و لم يأكله.

و الحلال: هو الجائز من أفعال العباد، مأخوذ من أنه طلق، لم يعقد بحظر. و المباح هو الحلال بعينه، و ليس كل حسن حلالا، لأن أفعاله تعالى حسنة و لا- يقال: انها حلال، إذ الحلال اطلاق فى الفعل لمن يجوز عليه المنع. و تقول: حل يحل حلالا، و حلّ يحل حلولا- و حل العقد حلا، و أحله إحلالا، و استحلّ استحلالا، و تحلل تحللا، و احتل احتلالا، و تحالوا تحالا، و حاله محالة، و حلله تحليلا- و انحل انحلالا، و حل العقد يحله حلا، و كل جامد أذبته فقد حللته، و حل بالمكان إذا نزل به، و حل الدين محلا، و أحل من إحرامه و حل، و الحل: الحلال. و من قرأ (يحلل) معناه ينزل و من قرأ (يحل) معناه يجب، و حلت عليه العقوبة أى وجبت. و الحلال الجدى الذى يشق عن بطن التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٧١

أمه، و تحلة اليمين، منه قول الشاعر: «١»

تحفى التراب بأضلاف ثمانية فى أربع مسهن الأرض تحليل «٢»

أى هين. و الحليل، و الحليلة: الزوج و المرأة سميا بذلك، لأنهما يحلان فى موضع واحد. و الحلة: أزار، و رداء برد، و غيره. لا يقال حلة حتى يكون ثوبين.

و الإحليل مخرج اللبن من الضبى، و الفرس، و خلف الناقة، و غيرها، و هو مخرج البول من الذكر. و أصل الباب: الحل نقيض العقد، و منه أحل من إحرامه، لأنه حلّ عقد الإحرام بالخروج منه. و تحلة اليمين أخذ أقل القليل، لأن عقدة اليمين تنحل به.

و الطيب: هو الخالص من شائب ينغص، و هو على ثلاثة أقسام:

الطيب المستلذ، و الطيب الجائز، و الطيب الطاهر، كقوله تعالى: «فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً» «٣» أى طاهراً. و الأصل واحد، و هو المستلذ إلا أنه يوصف به الطاهر، و الجائز تشبيهاً إذ ما يزجر عنه العقل أو الشرع، كالذى تكرهه النفس فى الصرف عنه، و ما تدعو اليه بخلاف ذلك. و تقول: طاب طيباً، و استطاب استطابة، و طايبه مطايبة، و تطيب تطيباً، و تطيبه تطييباً، و الطيب: الحلال و النضيف، و الطهور، من الطيب. و أصل الباب: الطيب خلاف الخبيث.

و الخطوة: بعد ما بين قدمى الماشى. و الخطوة المرة من الخطو: و هو نقل قدم الماشى. و تقول: خُطوة، و خَطوة واحدة. و الاسم: الخطوة، و جمعها خطىً، و قوله تعالى: «وَ لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ» أى لا تتبعوا آثاره و لا تقتدوا به.

و أصل الباب الخطو: نقل القدم قدماً. و العدو: المباعد عن الخير الى الشر. و الولى نقيضه.

---

(١) هو عبدة بن الطبيب. [.....]

(٢) اللسان (حلل) فى المطبوعة (خفى) بدل (تحفى) و الأصلاب بدل (الاضلاف)

(٣) سورة النساء آية: ۴٢، و سورة المائدة آية: ٧.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٧٢

المعنى: ..... ص : ٧٢

و إنما قال: «حَلالًا طَيِّباً» فجمع الوصفين، لاختلاف الفائدتين: إذ وصفه بأنه حلال يفيد بأنه طلق. و وصفه بانه طيب مفيد أنه مستلذ إما فى العاجل و إما فى الآجل. و «خُطُواتِ الشَّيْطانِ» هاهنا قيل فيه خمسة أقوال: فقال ابن عباس:

أعماله. و قال مجاهد، و قتادة: خطاياه، و قال السدى: طاعتكم إياه. و قال الخليل:

إيثاره. و قال قوم: هى النذور فى المعاصى. و قال الجبائى: ما يتخطى بكم اليه بالأمر و الترغيب. و روى أن هذه الآية نزلت، لما حرم أهل الجاهلية من ثقيف، و خزاعة، و بنى مدلج من الانعام، و الحرث: البحيرة و السائبة و الوصيلة، فنهى اللّه تعالى عما كانوا يفعلونه، و أمر المؤمنين بخلافه. و الاذن فى الحلال يدل على حظر الحرام على اختلاف ضرور به، و أنواعه، فحملها على العموم أولى. و المآكل، و المنافع فى الأصل للناس فيها ثلاثة أقوال: فقال قوم: هى على الحظر. و قال آخرون:

هى على الاباحة. و قال قوم: هى على الوقف. و حكى الرمانى: أن فيهم من قال:

بعضها على الحظر، و بعضها على الاباحة. و قد بينا ما عندنا فى ذلك فى أصول الفقه إلا أن هذه الآية دالة على إباحة المآكل إلا ما دل الدليل على حظره. «١» و قوله:

«إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ» فى وصف الشيطان معناه أنه مظهر العداوة بما يدعوا اليه من خلاف الطاعة للّه التى فيها النجاة من الهلاك، و الفوز بالجنة.

قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ١۶٩] ..... ص : ٧٢

اشارة

إِنَّما يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَ الْفَحْشاءِ وَ أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ (١۶٩)

آية واحدة بلا خلاف.

اللغة: ..... ص : ٧٢

الأمر من الشيطان هو دعاؤه الى الفعل، فأما الأمر فى اللغة، فهو قول

---

(١) كل لفظة حظر فى الاسطر المتقدمة فإنها فى المطبوعة (خطر). و المخطوطة ناقصة فى هذا الموضع. و الصحيح ما ثبتناه لمقابلته بالحلال.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٧٣

القائل لمن هو دونه: افعل. و إذا كان فوقه سمى ذلك دعاء، و مسألة. و هل يقتضى الأمر الإيجاب، أو الندب، ذكرناه فى أصول الفقه، فلا نطول بذكره هاهنا.

و السوء: كل فعل قبيح يزجر عنه العقل أو الشرع، و يسمى ما تنفر عنه النفس سوء، تقول: ساءنى كذا يسوءنى سوء. و قيل إنما سمى القبيح سوء، لسوء عاقبته، لأنه يلتذ به فى العاجل، و لا يخلو المكلف من الزجر عن القبيح إما عقلا، أو شرعاً، و لو خلا منه لكان معرّى بالقبيح، و ذلك لا يجوز.

و السوء فى الآية قيل فيه قولان: قال السدى: هو المعاصى. و قال غيره:

ما يسوء الفاعل: يعنى ما يضره. و المعنى قريب من الأول، و الأول هو الصحيح.

و الفحشاء: هو العظيم القبح فى الفعل، و كذلك الفاحشة. و قيل المراد به: الزنا من الفجور، عن السدى. و الفحشاء: مصدر فحش فحشاً، كقولك: ضره ضراً و سره سرّاء و سرّا. و الفحشاء، و الفاحشة، و القبيحة، و السيئة نظائر، و نقيضها الحسنة.

تقول: فحش فحشاً، و أفحش إفحاشاً، و تفاحش تفاحشاً، و فحش تفحيشاً، و استفحش استفحاشاً، و كل من تجاوز قدره فهو فاحش. و أفحش الرجل: إذا قال فحشاً، و كل شيء لم يكن موافقاً للحق، فهو فاحشة. قال اللّه تعالى: «إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ» «١» يعنى بذلك خروجها من بيتها بغير إذن زوجها المطلّق لها. و قال تعالى «وَ يَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ» «٢» و القول: كلام له عبارة تنبئ عن الحكاية، و ذلك ككلام زيد، يمكن أن يأتى عمرو بعبارة عنه تنبئ عن الحكاية له فيقول: قال زيد كذا و كذا، فيكون قوله: قال زيد، يؤذن أنه يحكى بعده كلام، و ليس كذلك إذا قال: تكلم زيد لأنه لا يؤذن بالحكاية.

و العلم: ما اقتضى سكون النفس. و قيل: هو تبين الشيء على ما هو به للمدرك له.

---

(١) سورة الطلاق آية: ١.

(٢) سورة النحل آية: ٩٠.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٧٤

المعنى: ..... ص : ٧٤

فان قيل: كيف يأمرنا الشيطان و نحن لا نراه، و لا نسمع كلامه! قلنا: لما كان الواحد منا يجد من نفسه معنى الأمر بما يجد من الدعاء الى المعصية، و المنازعة فى الخطيئة، و كان ما نجده من نفوسنا من الدعاء، و الإغواء إنما هو بأمر الشيطان الذى دلنا اللّه عليه، و حذرنا منه، صحّ إخبار اللّه بذلك. فان قيل: إذا كان اللّه عز و جل يوصل معنى أمره لنا الى نفوسنا، فما وجه ذلك فى الحكمة، و هو لو أمر من غير إيصال معنى الأمر لم يكن فى ذلك مضرة؟ قلنا. فى ذلك أكبر النعمة لأن التكليف لا يصح إلا مع منازعة الى الشيء المنهى عنه، فكان ذلك من قبل عدوّ، يحذره، أولى من أن يكون المنازعة من قبل ولى يستنصحه. و فى ذلك المصلحة لنا بالتعريض للثواب الذى يستحقه بالمخالفة له، و الطاعة للّه تعالى، كما أن فى خلقه مصلحة من هذه الجهة، و إذا كان إنما أفهمنا ذلك لنجتنبه، فهو كتعليم شبهة ملحد، لنعلم حلها.

و فى الآية دلالة على بطلان قول من قال: إن المعارف ضرورة، لأنها لو كانت ضرورة، لما جاز أن يدعوهم الى خلافها، كما لا يدعوهم الى خلاف ما هم مضطرون اليه من أن السماء فوقهم، و الأرض تحتهم، و ما جرى مجراه مما يعلم ضرورة لأن الدعاء الى ذلك يجرى مجرى الدعاء الى خلق الأجسام، و بعث الأموات، لا يدخل تحت مقدور القدرة. و قد استدل نفّاة القياس، و القول بالاجتهاد بهذه الآية بأن قالوا: القول بالاجتهاد و القياس قول بغير علم، و قد نهى اللّه عن ذلك فيجب أن يكون ذلك محظوراً، و

مذهبنا و إن كان المنع من القول بالاجتهاد، فليس فى هذه الآية دلالة على ذلك، لأن للخصم أن يقول: إذا دلنى اللَّه تعالى على العمل بالاجتهاد، فلا أعمل أنا به إلا بالعلم، و يجرى ذلك مجرى وجوب العمل عند شهادة الشاهدين، و العمل بقول المقومين فى أروش الجنايات، و قيم المتلفات، و جهات القبلة، و غير ذلك من الأشياء التى هى واقعة على الظن شرط، و العمل واقف على الدليل الموجب للعلم التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۷۵

عنده، فلا يكون فى الآية دلالة على ذلك. و قد بينا ما نعتمده فى بطلان القول بالاجتهاد و الرأى- فى أصول الفقه- فلا وجه لذكره هاهنا.

قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ١٧٠] ..... ص : ۷۵

اشارة

وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَ وَ لَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَ لا يَهْتَدُونَ (١٧٠)

آية واحدة بلا خلاف.

ألفينا، و صادفنا، و وجدنا بمعنى واحد، و الأب، و الوالد واحد.

الاعراب: ..... ص : ۷۵

و قوله تعالى: «أَ وَ لَوْ كانَ» هى واو العطف، دخلت عليها حرف الاستفهام، و المراد بها التوبيخ و التقريع، فهى ألف التوبيخ. و مثل هذه الألف «١» «أَ ثُمَّ إِذا ما وَقَعَ» «٢» و «أَ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ» «٣». و انما جعلت ألف الاستفهام للتوبيخ، لأنه يقتضى ما الإقرار به فضيحة عليه، كما يقتضى الاستفهام الاخبار، مما يحتاج اليه.

المعنى: ..... ص : ۷۵

و المعنى: إنهم يقولون، هذا القول «وَ لَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَ لا يَهْتَدُونَ». و الفرق بين دخول الواو، و سقوطها فى مثل هذا الكلام، أنك إذا قلت: اتبعه و لو ضرك، فمعناه اتبعه على كل حال و لو ضرك، و ليس كذلك إذا قال:

اتبعه لو ضرك، لأن هذا خاص، و الأول عام، فإنما دخلت الواو لهذا المعنى.

---

(١) فى المطبوعة (الواو).

(٢) سورة يونس آية: ٥١.

(٣) سورة يوسف آية: ١٠٩، و سورة الحج آية: ۴۶، و سورة المؤمن آية: ٨٢، و سورة محمد آية: ١٠.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۷۶

و معنى قوله: «لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَ لا يَهْتَدُونَ» يحتمل شيئين:

أحدهما- لا يعقلون شيئاً من الدين و لا يهتدون إليه.

و الثانى- على الشتم و الذم، كما يقال: هو أعمى إذا كان لا يبصر طريق الحق- على الذم- هذا قول البلخى. و الأول قول الجبائى.

و فى الآية دلالة على بطلان قول أصحاب المعارف، لأنها دلت على أنهم كانوا على ضلال فى الاعتقاد.

و الضمير فى قوله: «هم» قيل فيه ثلاثة أقوال:

أحدها- انه يعود على (من) فى قوله: «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْداداً».

و الثانى- انه يعود على (الناس) من «يا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالًا طَيِّباً» فعدل عن المخاطبة الى الغيبة، كما قال تعالى: «حَتَّى إِذا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ». «۱»

الثالث- انه يعود على الكفار، إذ جرى ذكرهم، و يصلح أن يعود اليهم و إن لم يجر ذكرهم، لأن الضمير يعود على المعلوم، كما يعود على المذكور، و

قال ابن عباس: إن النبى (ص) دعا اليهود من أهل الكتاب الى الإسلام، فقالوا: بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا، فهم كانوا أعلم و خيراً منّا، فأنزل اللَّه عز و جل «وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ» الآية.

و «أَلْفَيْنا» فى الآية معناه وجدنا- فى قول قتادة- قال الشاعر: «۲»

فألفيته غير مستعتب و لا ذاكر اللَّه إلا قليلا «۳»

---

(۱) سورة يونس آية: ۲۲.

(۲) هو أبو الأسود الدؤلى.

(۳) ديوانه: ۴۹، و الأغانى ۱۱ ۱۰۷، و شرح شواهد المغنى: ۳۱۶، و اللسان (عتب) و هو من أبيات قالها فى امرأة كان يجلس اليها بالبصرة، فقالت له: هل لك أن تتزوجنى، فانى امرأة صناع الكف، حسنة التدبير قانعة بالميسور، فتزوجها ثم وجدها على خلاف ما قالت، فخانته و أسرعت فى ماله، و أفشت سره، فردها الى أهلها، و أنشد الأبيات، فقالوا: بلى و اللَّه يا أبا الأسود، فقال: هذه صاحبتكم، و انى أحب أن أستر ما أنكرت من أمرها، ثم سلمها اليهم.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۷۷

و الاتباع: طلب الاتفاق فى المقال أو الفعال. أما فى المقال، فإذا دعا الى شيء استجيب له. و أما فى الفعال، فإذا فعل شيئاً، فعلت مثله.

و العقل مجموعة علوم بها يتمكن من الاستدلال بالشاهد على الغائب. و قال قوم: هو قوة فى النفس يمكن بها ذلك. و الاهتداء الاصابة لطريق الحق بالعلم.

و فى الآية حجة عليهم من حيث أنهم إذا جاز لهم أن يتبعوا آباءهم فيما لا يدرون أحق هو أم باطل، فلم لا يجوز اتباعهم مع العلم بأنهم مبطلون. و هذا فى غاية البطلان.

و فيها دلالة على فساد التقليد، لأن اللَّه تعالى ذمهم على تقليد آبائهم، و وبخهم على ذلك. و لو جاز التقليد لم يتوجه إليهم توبيخ، و لا لوم، و الأمر بخلافه.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۱۷۱] ..... ص : ۷۷

اشارة

وَ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِما لا يَسْمَعُ إِلَّا دُعاءً وَ نِداءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ (۱۷۱)

آية بلا خلاف.

المعنى: ..... ص : ۷۷

التشبیه فی هذه الآیة یحتمل ثلاثة أوجه من التأویل:

أحدها- و هو أحسنها و أقربها الی الفهم، و أکثرها فی باب الفائدة- ما قاله أکثر المفسرین کابن عباس، و الحسن، و مجاهد، و قتادة، و الربیع، و اختاره الزجاج، و الفراء، و الطبری، و الجبائی، و الرمانی.

و هو المروی عن أبی جعفر (ع) إن مثل الذین کفروا فی دعائک إیاهم، «کَمَثَلِ الَّذِی یَنْعِقُ» أی الناعق فی دعائه. المنعوق به من البهائم التی لا تفهم کالإبل، و البقر، و الغنم، لأنها لا تعقل ما یقال لها، و انما تسمع الصوت. و الحذف فی مثل هذا حسن. کقولک لمن هو سیء الفهم:

أنت کالحمار، و زید کالأسد: أی فی الشجاعة، لأن المعنی فی أحد الشیئین أظهر، فیشبه بالآخر لیظهر بظهوره، و هذا باب حسن البیان.

الثانی- حکاه البلخی، و غیره: إن مثل الذین کفروا فی دعائهم آلهتهم من التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۷۸

الأوثان کمثل الناعق فی دعائه ما لا یسمع، بتعالی، و ما جری مجراه من الکلام، و ذلک أنّ البهائم لا تفهم الکلام، و إن سمعت النداء، و الدعاء، و أقصی أحوال الأصنام أن تکون کالبهائم فی أنها لا تفهم، فإذا کان لا یشکل علیهم أن من دعا البهائم بما ذکرناه جاهل، فهم فی دعائهم الحجارة أولی بالجهل و صفة الذم.

الثالث- قال ابن زید: إن مثل الذین کفروا فی دعائهم آلتهم کمثل الناعق فی دعائه الصدی فی الجبل، و ما أشبهه، لأنه لا یسمع منه إلا دعاء و نداء، لأنه إذا قال: یا زید، سمع من الصدی یا زید، فیتخیل الیه أن مجیباً أجابه، و لیس هناک شیء، فیقول: یا زید، و لیس فیه فائدة، فکذلک یخیل الی المشرکین أن دعاءهم للأصنام یستجاب، و لیس لذلک حقیقة، و لا فائدة، و إنما رجحنا الوجه الأول، لما بیناه من حسن الکلام، و لأنه مطابق للسبب الذی قیل: إنها نزلت فی الیهود، فإنهم لم یکونوا یعبدون الأصنام، و لا یلیق بهم الوجه الثانی، فإذا ثبت ذلک، ففیه ثلاثة أوجه من الحذف:

أولها- «وَ مَثَلُ الَّذِینَ کَفَرُوا» فی دعائک لهم کمثل الناعق فی دعائه المنعوق به. و الثانی- «وَ مَثَلُ الَّذِینَ کَفَرُوا» فی دعائهم الأوثان کمثل الناعق فی دعائه الأنعام. الثالث- مثل وعظ الذین کفروا کمثل نعق الناعق بما لا یسمع، و هذا من باب حذف المضاف، و إقامة المضاف الیه مقامه کقول الشاعر: «۱»

و قد خفت حتی ما تزید مخافتی علی وعل فی ذی المطارة عاقل «۲»

و التقدیر علی مخافة وعل. فان قیل: کیف قوبل الذین کفروا- و هم المنعوق به- بالناعق، و لما تقابل المنعوق به بالمنعوق به- فی ترتیب الکلام- أو الناعق بالناعق؟ قیل للدلالة علی تضمین الکلام تشبیه اثنین باثنین: الداعی للایمان للمدعو

---

(۱) هو نابغة بنی ذبیان.

(۲) دیوانه: ۹۰، و اللسان (خوف)، و مجاز القرآن: ۶۵، و أمالی الشریف المرتضی ۱: ۲۰۲، ۲۱۶. الوعل: تیس الجبل یتحصن بوزره من الصیاد. (ذی المطار)- بفتح المیم-: اسم جبل. و عاقل: قد عقل فی رأس الجبل. فی المطبوعة (لقد) بدل (و قد) و روایة اللسان (بذی) بدل (فی ذی).

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۷۹

من الکفار بالداعی الی المراد للمدعوّ من الانعام، فلما أرید الإیجاز أبقی ما یدل علی ما ألقی، فأبقی فی الأول ذکر المدعو، و فی الثانی ذکر الداعی، و لو رتب علی ما قال السائل، لبطل هذا المعنی. و زعم أبو عبیدة، و الفراء: أنه یجری مجری المقلوب الذی یوضع فیه کلمة مکان کلمة، کأنه وضع الناعق مکان المنعوق به، و أنشد:

کانت فریضة ما تقول کما کان الزناء فریضة الرجم «۱»

و المعنى كما كان الرجم فريضة الزناء، و كما يقال: أدخلت القلنسوة فى رأسى، و إنما هو أدخلت رأسى فى القلنسوة قال الشاعر:

إنّ سراجا لكريم مفخره تحلى به العين إذا ما تجهره «۲»

و المعنى يحلى بالعين، فجعله تحلى به العين. و الأقوى أن يكون الأمر على ما بيناه من المعنى الذى دعا الى الخلاف فى الحذف، ليدل بما بقى على ما ألقى.

اللغة: ..... ص : ۷۹

قال صاحب العين: نعق الراعى بالغنم ينعق نعيقاً إذا صاح بها زجراً، و نعق الغراب نعاقاً و نعيقاً إذا صاح. و الناعقان كوكبان من كواكب الجوزاء: رجلها اليسرى و منكبها الأيمن، و هو الذى يسمى الهنعة، و هما أضوء كوكبين فى الجوزاء.

و أصل الباب الصياح، و النداء: مصدر نادى مناداة، و نداء، و تنادوا تنادياً، و ندى تندية، و تندى تندّياً. و النداء، و الدعاء، و السؤال نظائر، قال صاحب العين:

الندى له وجوه من المعنى: ندى الماء، و ندى الخير، و ندى الشر، و ندى الصوت، و ندى الخصر. فأما ندى الماء، فمنه ندى المطر، أصابه ندى من طلّ، و يوم ندى، فأرض ندية. و المصدر منه الندوة،، و الندى ما أصابه من البلل، و ندى الخير هو المعروف، تقول: أندى علينا فلان ندى كثيراً، و إن يده لندية بالمعروف، و ندى

---

(۱) البيت للنابغة الجعدى. اللسان (زنا)، و أمالى الشريف المرتضى ۱: ۲۱۶، و معانى القرآن للفراء ۱: ۹۹، ۱۳۱. [.....]

(۲) اللسان (حلا). و أمالى الشريف المرتضى ۱: ۲۱۶. فى المطبوعة (لجلاله) بدل (تحلا به). تجهره: تنظر اليه نظرة إعجاب و تقدير.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۸۰

الصوت: بعد مذهبه، و ندى الخصر: صحة جريه، و اشتق النداء فى الصوت من ندى ناداه أى دعاه بأرفع صوته: ناداه به. و الندوة الاجتماع فى النادى، و هو المجلس، ندى القوم يندون ندواً إذا اجتمعوا، و منه دار الندوة، و أصل الباب الندى: البلل، و ندى الجود كندى الغيث.

المعنى: ..... ص : ۸۰

و معنى «صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ» أى صم عن استماع الحجة، بكم عن التكلم بها، عمى عن الأبصار لها، و هو قول ابن عباس و قتادة و السدى. و الأعمى:

من فى بصره آفة تمنعه من الرؤية. و الأصم: من كان فى آلة سمعه آفة تمنعه من السمع. و الأبكم: من كان فى لسانه آفة تمنعه من الكلام. و قيل: إنه يولد كذلك، و الخرس قد يكون لعرض يتجدد.

و أجاز الفراء النصب فى «صم» على الذم، و الأجود الرفع على ما عليه القراء، و تقديره هم صم.

و فيها دلالة على بطلان قول من زعم: أنهم لا يستطيعون سمعاً على الحقيقة، لأنه لا خلاف أنهم لم يكونوا صماً لم يسمعوا الأصوات، و انما هو كما قال الشاعر:

أصمّ عما ساءه سميع «۱»

و فيها دلالة على بطلان قول من قال: إن المعرفة ضرورة، لأنهم لو كانوا عالمين ضرورة لما استحقوا هذه الصفة.

و قال عطا: نزلت هذه الآية فى اليهود، و معنى ينعق يصوت قال الأخطل:

فالعق بضأنك يا جرير فإنما منّتك نفسك فى الخلاء ضلالا «٢»

و الدعاء: طلب الفعل من المدعو، و الأولى أن يعتبر فيه الرتبة، و هو أن

---

(١) اللسان (صمم)، (سمع).

(٢) ديوانه: ٥٠، و نقائض جرير و الأخطل: ٨١، و اللسان (نعق) و طبقات فحول الشعراء ٤٢٩، و مجاز القرآن: ۶۴، يقول: انما أنت راعى غنم و ليس لک حظ فى هذا الأمر الذى منتک نفسک به، فارجع الى غنمک، فأمرها و أنهاها، و اترک الحرب، و إنشاد الشعر.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٨١

يكون فوق الداعى. و السمع: إدراك الصوت. و المثل: قول سائر يدل على أن سبيل الثانى سبيل الاول.

قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ١٧٢] ..... ص : ٨١

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ وَ اشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١٧٢)

آية بلا خلاف.

المعنى: ..... ص : ٨١

هذا الخطاب يتوجه الى جميع المؤمنين، و قد بينا أن المؤمن هو المصدق بما وجب عليه، و يدخل فيه الفساق بأفعال الجوارح، و غيرها، لأن الايمان لا ينفى الفسق- عندنا-. و عند المعتزلة: إنه خطاب لمجتنبى الكبائر، و إنما يدخل فيه الفساق على طريق التبع، و التغليب، كما يغلب المذكر على المؤنث فى قولک: الإماء و العبيد جاوزنى، و قد بينا فيما تقدم أن أفعال الجوارح لا تسمى إيماناً- عند أكثر المرجئة، و أكثر أصحابنا- و إن بعضهم يسمى ذلک إيماناً، لما رووه عن الرضا (ع). و إيمان مأخوذ من أمان العقاب- عند من قال: إنه تناول مجتنبى الكبائر- و عند الآخرين من أمان الخطأ، فى الاعتقاد الواجب عليه. و فى المخالفين من يجعل الطاعات الواجبات، و النوافل من الايمان. و فيهم من يجعل الواجبات فقط إيماناً، و يسمى النوافل إيماناً مجازا.

و قوله «كلوا» ظاهره ظاهر الأمر، و المراد به الاباحة، و التخيير، لأن الأكل ليس بواجب إلا أنه متى أراد الأكل، فلا يجوز أن يأكل إلا من الحلال الطيب، و متى كان الوقت وقت الحاجة فانه محمول على ظاهره فى باب الأمر:

سواء قلنا: إنه يقتضى الإيجاب أو الندب.

و فى الآية دلالة على النهى عن أكل الخبيث- فى قول البلخى، و غيره- كأنه قيل: كلوا من الطيب دون الخبيث، كما لو قال: كلوا من الحلال، لكان ذلک التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٨٢

دالّا على حظر الحرام- و هذا صحيح فيما له ضدّ قبيح مفهوم. فأمّا غير ذلک، فلا يدل على قبح ضدّه، لأن قول القائل، كل من زيد، لا يدل على أن المراد تحريم ما عداه، لأنه قد يكون الغرض البيان لهذا خاصه، و الآخر موقوف على بيان آخر، و ليس كذلک ما ضدّه قبيح، لأنه قد يكون من البيان تقبيح ضده.

و الطيبات قدمنا معناها فيما تقدم، و أن المراد بذلک الخالص من شائب ينغص، و إن كان لا يخلو شيء من شائب، لكنه لا يعتد به فى الوصف بأنه حلال طيب، و لو كان فى الطعام ما ينغصه لجاز وصفه بأنه ليس بطيب.

و الرزق قد بينا فيما مضى: أنه ما للحى الانتفاع به على وجه لا يكون لأحد منعه منه.

و قوله: «وَ اشْكُرُوا لِلَّهِ» فالشكر: هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم، و يكون ذلك عن وجهين: «۱» أحدهما- الاعتراف بالنعمة- متى ذكرها- للمنعم بالاعتقاد لها.

الثانى- الطاعة بحسب جلالة النعمة، فالأول لازم فى كل حال من أحوال الذكر، و الثانى إنما يلزم فى الحال التى يحتاج فيها الى القيام بالحق، و اقتضى ذكر الشكر هاهنا ما تقدم ذكره من الانعام فى جعل الطيب من الرزق، للانتفاع، و استدفاع المضار، و ذكر الشرط هاهنا إنما هو وجه المظاهرة فى الحجاج و لما فيه من حسن البيان دون أن يكون ذلك شرطاً فى وجوب الشكر، و تلخيص الكلام إن كانت العبادة للَّه واجبة عليكم بأنه إلهكم، فالشكر له واجب عليكم بأنه محسن إليكم.

و أما العبادة، فهى ضرب من الشكر، لأنها غاية ليس وراءها شكر، و يقترن به ضرب من الخضوع. و لا يستحق العبادة إلا اللَّه، لأنها تستحق بأصول النعم من الحياة، و القدرة، و الشهوة، و النفاد، و أنواع المنافع، و بقدر من النفع لا يواريه

---

(۱) فى المطبوعة هنا تكرير الوجه الاول كله. و الظاهر أنه تسطير من الناسخ و انما حذفناه لعدم وجوده فى المخطوطة و لا فى مجمع البيان. لأن مجمع البيان ناقل المطلب بحذافيره، و لم يكرر.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۸۳

نعمة منعم، فلذلك اختص اللَّه تعالى باستحقاقها.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۱۷۳] ..... ص : ۸۳

اشارة

إِنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَ الدَّمَ وَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَ ما أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَ لا عادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۱۷۳)

آية بلا خلاف.

القراءة: ..... ص : ۸۳

قرأ نافع و ابن عامر، و ابن كثير، و الكسائى- بضم نون- «فَمَنِ اضْطُرَّ» الباقون بكسرها.

اللغة و الاعراب: ..... ص : ۸۳

لفظة إنما تفيد إثبات الشيء، و نفى ما سواه كقول الشاعر:

و إنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى «۱»

و معناه لا يدافع غيرى، و غير من هو مثلى، و هو قول الزجاج، و الفراء، و الرمانى، و الطبرى، و أكثر أهل التأويل. و إنما كانت لاثبات الشيء، و نفى ما سواه، من قبل أنها لما كانت (إن) للتأكيد، ثم ضم إليها (ما) للتأكيد ايضاً، أكدت (إن) من جهة التحقيق للشيء، و أكدت (ما) من جهة نفى ما عداه، فكأنك إذا قلت: إنى بشر، فالمعنى أنا بشر على الحقيقة، فإذا قلت: إنما أنا بشر، فقد ضممت إلى هذا القول ما أنا إلا بشر.

و تقدير قوله تعالى: «إِنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ» ما حرم عليكم إلا الميتة. و لو كانت (ما) بمعنى الذى، لكتبت مفصولة «۲»، و مثله قوله تعالى:

(۱) قائله الفرزدق، تلخيص المفتاح أو مختصر المعانى للتفتازانى (باب القصر) و هو:

أنا الذائد الحامى الديار و انما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى

(۲) فى المطبوعة (مفعوله).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۸۴

«إِنَّمَا اللَّهُ إِلهٌ واحِدٌ» «۱» أى لا ـ إله إلا واحـد، و مثله «إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ» «۲» أى لا ـ نـذير إلا أنت «۳» و مثله إنمـا ضـربت أخاك أى ما ضربت إلا أخاك.

فإذا ثبت ذلك، فلا يجوز فى الميتة إلا النصب، لأن (ما) كافة «۴» و معناه تحريم الميتة، و تحليل المذكى، و لو كانت ما بمعنى الذى، لكان يجوز فى الميتة الرفع.

و الفرق بين الميت، و الميتة قيل فيه قولان:

أحـدهما- قال أبو عمرو: ما كان قد مات، فهو بالتخفيف مثل «يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ» «۵». و ما لم يمت بالتثقيل كقوله تعالى: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» «۶». و وجه ذلك أن التثقيل لما كان هو الأصل كان أقوى على التصريف فى معنى الحاضر و المستقبل.

و [الثانى قال قوم: المعنى واحد، و انما التخفيف لثقل الياء على الكسرة، قال الشاعر: «۷»

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء «۸»

فجمع بين اللغتين:

---

(۱) سورة النساء آية: ۱۷.

(۲) سورة الرعد آية: ۸.

(۳) هكذا فى النسخ كلها و فى مجمع البيان أيضاً، و الصحيح (ما أنت الا منذر) و هو من باب قصر الموصوف على الصفة، و هو الذى يقتضيه المقام، و عبارة المتن من باب قصر الصفة على الموصوف.

(۴) فى المطبوعـة (كأنه) بـدل (كافـة، و معنى كافـة: أى قد كفت ان) عن المعمل بالجملة التى بعدها، و إذا كانت (ان) مكفوفة تعين نصب (الميتـة) ب (حرم)، و إذا كانت ان عاملـة فى الجملـة تكون (ما) اسم موصول بمعنى الـذى، و هى اسم (ان)، و الميتـة خبر (ان) فيتعين الرفع على هذا التقدير كما يتعين النصب على الأول.

(۵) سورة الانعام آية: ۹۵. و سورة يونس آية: ۳۱ و سورة الروم آية: ۱۹.

(۶) سورة الزمر آية: ۳۰.

(۷) هو عدى بن الرعلاء.

(۸) اللسان (ميت) و شرح شواهد المغنى: ۱۳۸. و معجم الشعراء: ۲۵۳.

و غيرها كثير. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۸۵

المعنى: ..... ص : ۸۵

قوله: «وَ ما أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال الربيع، و ابن زيد، و غيرهما من أهل التأويل: معناه ذكر غير اسم اللَّه عليه.

و الثانی- قال قتادة، و مجاهد: ما ذبح لغیر اللّه.

اللغة: ..... ص : ۸۵

و الإهلال علی الذبح: هو رفع الصوت بالتسمیة، و کان المشرکون یسمون الأوثان، و المسلمون یسمون اللّه. و یقال: انهل المطر انهلالا- و هو شدة انصبابه، و تهلل السحاب ببرقه أی تلألأ و تهلل وجهه إذا تلألأ و تهلل الرجل فرحاً، و الهلال غرة القمر، لرفع الناس أصواتهم عند رؤیته بالتکبیر، و المحرم یتهلل بالإحرام، و هو أن یرفع صوته بالتلبیة، و یهلل الرجل: یکبر إذا نظر الی الهلال.

و هلل البعیر تهلیلا إذا تقوس کتقوس الهلال، و سمی به الذکر، لأن الهلال ذکر.

و ثوب هل أی رقیق مشبه بالهلال فی رقته. و التهلیل: الفزع، و استهل الصبی إذا بکی حین یولد. و الهلال: الحیة الذکر، لأنه یتقوس، و سمی به الذکر، لأن الهلال ذکر.

«فَمَنِ اضْطُرَّ» من کسر النون فلالتقاء الساکنین، و من ضمها أتبع الضمة الضمة فی الطاء. و قرأ أبو جعفر بکسر الطاء.

و الاضطرار: کل فعل لا یمکن المفعول به الامتناع منه، و ذلک کالجوع الذی یحدث للإنسان، و لا یمکنه الامتناع منه. و الفرق بین الاضطرار، و الإلجاء أنّ الإلجاء تتوفر معه الدواعی الی الفعل من جهة الضر أو النفع، و لیس کذلک الاضطرار.

و أکثر المفسرین علی أن المراد فی الآیة المجاعة. و قال مجاهد: ضرورة إکراه. و الأولی أن یکون محمولا علی العموم إلا ما خصه الدلیل. التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۸۶

«وَ لَحْمَ الْخِنْزِیرِ» قال صاحب العین یقال: رجل لحم إذا کان أکول اللحم.

و بیت لحم: یکثر فیه اللحم. و ألحمت القوم إذا قتلتهم و صاروا لحماً. و الملحمة:

الحرب ذات القتل الشدید. و استلحم الطریق إذا اتسع. و اللحمة: قرابة النسب.

و اللحمة ما یسد به بین السدیین من الثوب. و اللحام: ما یلحم به صدع ذهب أو فضة أو حدید حتی یلتحما، و یلتئما. و کل شیء کان متبایناً ثم تلاءم، فقد التحم.

و شجة متلاحمة إذا بلغة اللحم. و أصل الباب اللزوم، فمنه اللحم للزومه بعضه بعضاً.

المعنی: ..... ص : ۸۶

و قوله: «غَیْرَ باغٍ وَ لا عادٍ» قیل فی معناه ثلاثة أقوال: أولها- (غیر باغ) اللذة «و لا عاد» سد الجوعة و هو قول الحسن، و قتادة، و مجاهد، و الربیع، و ابن زید. و الثانی- ما حکاه الزجاج «غیر باغ» فی الافراط «و لا عاد» فی التقصیر. و الثالث- «غیر باغ» علی إمام المسلمین «و لا عاد» بالمعصیة طریق المحقین، و هو قول سعید بن جبیر، و مجاهد، و هو المروی عن أبی جعفر، و أبی عبد اللّه (ع) قال الرمانی: و هذا القول لا یسوغ، لأنه تعالی لم یبح لأحد قتل نفسه بل حظر علیه ذلک، و التعریض للقتل قتل فی حکم الدین، و لأن الرخصة إنما کانت لأجل المجاعة المتلفة، لا لأجل الخروج فی طاعة، و فعل إباحة. و هذا الذی ذکره غیر صحیح لأن من بغی علی إمام عادل فأدی ذلک الی تلفه، فهو المعرّض نفسه للقتل، کما لو قتل فی المعرکة، فانه المهلک لها، فلا یجوز لذلک استباحة ما حرّم اللّه، کما لا یجوز له أن یستبقی نفسه بقتل غیره من المسلمین، و ما قاله من أن الرخصة لمکان المجاعة، لا یسلم إطلاقه، بل یقال: إنما ذلک للمجاعة التی لم یکن هو المعرض نفسه لها، فأما إذا عرَّض نفسه لها، فلا یجوز له استباحة المحرم، کما قلنا فی قتل نفس الغیر، لیدفع عن نفسه القتل. و أصل البغی: الطلب من قولهم: بغی الرجل حاجته یبغیها بغاً قال الشاعر: التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۸۷

لا یمنعّنک من بغا ء الخیر تعقاد التمائم «۱»

إن الأشائم كالأيا من و الأيامن كالأشائم «۲»

و البغاء: طلب الزنا. و إنما اقتضى ذكر المغفرة هاهنا أحد أمرين:

أحدهما- النهى عما كانوا عليه من تحريم ما لم يحرمه اللَّه من السائبة، و الوصيلة، و الحام، فوعد اللَّه بالمغفرة عند التوبة، و الانابة الى طاعة اللَّه فيما أباحه أو حظره.

الثانى- إذا كان يغفر المعصية، فهو لا يؤاخذ بها، جعل فيه الرخصة، و لا يجوز أن يقع فى موضع غير (إلا) لأنها بمعنى النفى هاهنا، و لذلك عطف عليها ب (لا) لأنها فى موضع (لا). فأما (إلا) فمعناها فى الأصل الاختصاص لبعض من كل، و ليس هاهنا كل يصلح أن يحض منه. «غير باغ» منصوب على الحال و تقديره لا باغياً، و لا عادياً. و القدر المباح من الميتة عند الضرورة ما يمسك الرمق فقط- عندنا- و فيه خلاف ذكرناه فى خلاف الفقهاء.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۱۷۴] ..... ص : ۸۷

اشارة

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتابِ وَ يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا أُولئِكَ ما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ لا يُزَكِّيهِمْ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (۱۷۴)

آية بلا خلاف.

المعنى: ..... ص : ۸۷

المعنى بهذه الآية أهل الكتاب بإجماع المفسرين إلا أنها متوجهة- على قول كثير منهم- الى جماعة قليلة منهم، و هم علماؤهم الذين يجوز على مثلهم كتمان ما علموه، فأما الجمع الكثير منهم الذين لا يجوز على مثلهم ذلك لاختلاف «۳» دواعيهم، فلا

---

(۱) اللسان (عقد) فى المطبوعة (لا يمنعك) بدل (لا يمنعنك) و لم يستقم به الوزن.

(۲) اللسان (شأم) و روايته (فإذا) بدل (ان).

(۳) فى المطبوعة «لا خلاف».

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۸۸

يجوز. و الذى كتموه قيل فيه قولان:

قال أكثر المفسرين: إنهم كتموا أمر النبى (ص) بأن حرفوه عن وجهه فى التأويل، هذا إذا حمل على الجماعة الكثيرة. و إن حمل على القليلة منهم، يجوز أن يكونوا كتموا نفس التنزيل ايضاً.

الثانى- قال الحسن: كتموا الأحكام، و أخذوا الرشا على الأحكام، و الكتاب على القول الأول: هو التوراة، و على الثانى يجوز أن يحمل على القرآن و سائر الكتب.

و قوله: «وَ يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا» ليس المراد به أنهم إذا اشتروا به ثمناً كثيراً كان جائزاً. و إنما المقصد كلما يأخذونه فى مقابلته من حطام الدنيا، فهو قليل، كما قال «وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ» «۱» و كما قال «وَ مَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ» «۲» و انما أراد أن قتل النبيين لا يكون إلا بغير حق، و إن من ادعى مع اللَّه إلها آخر لا يقوم له عليه برهان. و كما قال الشاعر:

على لا حب لا يهتدى بمناره

و المعنى لا لاحب هناك، فيهتدى به، لأنه لو كان، لاهتدى به.

و قوله تعالى «ما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ» معناه على قول الربيع، و الحسن، و الجبائى، و أكثر المفسرين: الأجر الذى أخذوه على الكتمان، سمى بذلك، لأنه يؤديهم الى النار، كما قال فى أكل مال اليتيم ظلماً «إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً» «۳» و قال بعضهم: إنما يأكلون فى جهنم ناراً جزاء على تلك الاعمال، و الأول أحسن. فان قيل إذا كان الأكل «۴» لا يكون إلا فى البطن، فما معنى قوله «فِي بُطُونِهِمْ»؟ قلنا عنه جوابان:

أحدهما- ان العرب تقول: جعت فى غير بطنى و شبعت فى غير بطنى، إذا

---

(۱) سورة آل عمران آية: ۲۱.

(۲) سورة المؤمنون آية: ۱۱۷.

(۳) فى المطبوعة (الاول).

(۴) سورة النساء آية: ۹.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۸۹

جاع من يجرى جوعه مجرى جوع نفسه، فذكر ذلك لإزالة اللبس.

و الثانى- انه لما استعمل المجاز بالإجراء على الرشوة اسم النار، حقق بذكر البطن، ليدل على أن النار تدخل أجوافهم.

اللغة: ..... ص : ۸۹

و البطن:خلاف الظهر. و البطن: الغامض من الأرض. و البطن من العرب:

دون القبيلة. و عرفت هذا الأمر ظاهره، و باطنه أى سرّه و علانيته. و رجل بطين:

عظيم البطن. و مبّطن: خميص البطن. و فلان بطانتى دون إخوانى. أى الذى أبطنه أمرى. و استبطنت أمر فلان: إذا وقفت على دخلته. و يقال فى المثل: البطنة تذهب الفطنة، و بطن الشىء بطوناً إذا غمض. و البطان حزام الرّحل. و البطين: نجم و هو بطن الحمل. و أصل الباب البطون: خلاف الظهور.

لمعنى: ..... ص : ۸۹

و قوله تعالى: «وَ لا يُكَلِّمُهُمُ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- لا يكلمهم بما يحبون، و إنما هو دليل على الغضب عليهم، و ليس فيه دليل على أنه لا يكلمهم بما يسوءهم، لأنه قد دّل فى موضع آخر، فقال «فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَ لَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ» «۱» و قال «رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْها فَإِنْ عُدْنا فَإِنَّا ظالِمُونَ قالَ اخْسَؤُا فِيها وَ لا تُكَلِّمُونِ» «۲» و هذا قول الحسن، و واصل، و أبى على.

الثانى- لا يكلمهم أصلا، فتحمل آيات المسائلة على أن الملائكة تسألهم بأمر اللَّه و يتأول قوله «اخْسَؤُا فِيها وَ لا تُكَلِّمُونِ» على أن الحال دالة على ذلك. و إنما دلّ نفى الكلام على الغضب- على الوجه الاول- من حيث أن الكلام وضع فى الأصل

---

(۱) سورة الاعراف آية: ۵.

(۲) سورة المؤمنون آية: ۱۰۸- ۱۰۹.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٩٠

للفائدة، فلما انتفى على جهة الحرمان للفائدة، دلّ على الغضب، و لا يدخل فى ذلك الكلام للغم و الإيلام.

و قوله: «وَ لا يُزَكِّيهِمْ» معناه لا يبنى عليهم، و لا يصفهم بأنهم أزكياء.

و يحتمل أن يكون المراد لا يتقبل أعمالهم تقبل أعمال الأزكياء.

و الاشتراء هو الاستبدال بالثمن العوض، فلما كانوا هؤلاء استبدلوا بذنبهم الثمن القليل، قيل فيهم: إنهم اشتروا به ثمناً قليلا. و الثمن هو العوض من العين، و الورق و القلة هو نقصان المقدار عن مقدار غيره، لأنه يقال: هو قليل بالاضافة الى ما هو أكثر منه، و كثير بالاضافة الى ما هو أقل منه.

و الكلام ما انتظم من حرفين فصاعداً من هذه الحروف المعقولة: إذا وقع ممن يصح منه أو من قبيله للافادة و قال الرمانى: الكلام ما كان من الحروف دالّا بتأليفه على معنى، قال و أصله من الآثار و هى كالعلامات الدالة، و الكلم أى الجراح.

و ما ذكرناه أولى، لأن هذا ينتقض بالمهمل من الكلام، فانه لا يفيد و هو كلام حقيقة.

قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ١٧٥] ..... ص : ٩٠

اشارة

أُولئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدى وَ الْعَذابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَما أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (١٧٥)

آية واحدة بلا خلاف.

المعنى: ..... ص : ٩٠

معنى «اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدى استبدلوا، لأن أصل الشراء الاستبدال، و ليس يقع فى مثله إشكال، فأما قولهم: استبدل بالجارية غيرها، فلا يجوز أن يقال بدلًا منه: اشترى، لأنه يلتبس. و الضلالة التى اشتروها بالهدى: كفرهم بالنبى (ص) و جحدهم لنبوته استبدلوه بالايمان به، و هم و إن لم يقصدوا أن يضلوا بدلا من أن يهتدوا فقد قصدوا الكفر بالنبى (ص) بدلا من الايمان به، و ذلك ضلال

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٩١

بدلا من هدى، فقد قصدوا الضلال بدلا من الهدى، و إن لم يقصدوه من وجه أنه ضلال. و لا يجوز أن يقول: قصدوا أن يضلوا. لأنه يوهم أنهم قصدوه من هذا الوجه، كما ينبئ علموا أنهم يضلون غير أنهم علموه من هذا الوجه، و يجوز قصدوا الضلال، و علموا الضلال، لأنه لا ينبئ على هذا الوجه و إنما علموه، و قصدوه من وجه آخر، و هو جحدهم محمداً (ص) بدلا من التصديق به.

و قوله تعالى «فَما أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ» الفاء معناها معنى الجواب، لأن الكلام المتقدم قد تضمن معنى من كان بهذه الصفة، «فَما أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ» فعومل معاملة المعنى الذى تضمنه حتى كأنه قد لفظ به. و العجب لا يجوز على القديم تعالى، لأنه عالم بجميع الأشياء، لا يخفى عليه شىء. و التعجب يكون مما لا يعرف سببه. و إنما الغرض- من الآية- أن يدلنا على أن الكفار حلوّ محل من يتعجب منه، فهو تعجيب لنا منهم. و قد قيل فى معنا (ما) فى قوله «فَما أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ» قولان:

أحدهما- قال الحسن، و قتادة، و مجاهد: إنها للتعجب. و الثانى- قال ابن عباس، و ابن جريج، و ابن زيد و السدى: إنها للاستفهام. و قيل فى معنا «أصبرهم» أربعة أقوال:

أحدها- ما أجرأهم على النار، ذهب اليه الحسن و قتادة. و الثانى- قال مجاهد:

ما أعملهم بأعمال أهل النار. و هو المروى عن أبى عبد اللّه (ع).

و الثالث- حكاه الزجاج: ما أبقاهم على النار، كما تقول: ما أصبره على الحبس. و الرابع- ذكره الفراء: ما صبرهم على النار أي حبسهم عليها. و قال الكسائي: هو استفهام على وجه التعجب. قال أبو العباس: المبرد: هذا حسن كأنه توبيخ لهم و تعجيب لنا، مثل قولك للذي وقع في هلكة ما اضطرّك الى هذا، إذا كان غنياً عن التعرض للوقوع في مثلها. يقال: أصبرت السبع، و الرجل، و نحوه إذا نصبته لما يكره.

و قال الحطيئة:

قلتُ لها أصبرُها جاهداً ويحك أمثال طريف قليل: «۱»

---

(۱) اللسان (صبر). الضمير في أصبرها عائد على النفس، و كأنه يقول: احبس نفسك على الجهاد.

معناه ألزمها، و اضطرها. فأما التعجب، فمثل قوله «قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ»«۱»

أي قد حلّ محل ما يتعجب منه. و قيل: ما أصبرك على كذا بمعنى ما أجرأك قال أبو عبيدة: هي لغة يمانية.

و اشتق أصبر بمعنى أجرأ من الصبر الذي هو حبس النفس، لأن بالجرأة يصبر على الشدة. فأما القول الآخر: فحبسوا أنفسهم على عمل أهل النار، بدوامهم عليه، و انهماكهم فيه. و حكى الكسائي عن قاضي اليمن عن بعض العرب، قال لخصمه:

ما أصبرك على اللَّه أي على عذاب اللَّه تعالى.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۱۷۶] ..... ص : ۹۲

اشارة

ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتابِ لَفِي شِقاقٍ بَعِيدٍ (۱۷۶)

آية واحدة.

الاعراب: ..... ص : ۹۲

ذلك رفع بالابتداء، أو بأنه خبر الابتداء و هو إشارة الى أحد ثلاثة أشياء:

أولها- قال الحسن: ذلك الحكم بالنار. الثاني- ذلك العذاب. الثالث- ذلك الضلال.

و في تقدير خبر ذلك ثلاثة أقوال: [الاول - قال الزجاج: ذلك الأمر، أو الأمر ذلك، فحذف لدلالة ما تقدم من الأمر بالحق. فكأنه قال: ذلك الحق.

و استغنى عن ذكر الحق لتقدم ذكره في الكلام. الثاني- ذلك معلوم «بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ» فقد تقدم ذكر ما هو معلوم بالتنزيل، فحذف لدلالة الكلام عليه.

الثالث- ذلك العذاب لهم «بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ» و كفروا به، فتكون الباء في موضع الخبر. و يحتمل ذلك أن يكون رفعاً على ما بينا. و يحتمل أن يكون نصباً على فعلنا ذلك، لأن في الكلام ما يدل على (فعلنا).

---

(۱) سورة عبس آية: ۱۷.

المعنی: ..... ص : ٩٣

و معنی الکتاب هاهنا قیل: إنه التوراة. و قال الجبائی: إنه القرآن، و غیره.

و هو أعم فائدة.

و قال بعضهم: إن المراد بالأول التوراة، و بالثانی القرآن. و معنی الاختلاف هاهنا یحتمل أمرین:

أحدهما- قول الکفار فی القرآن. و منهم من قال: هو کلام السحرة. و منهم من قال: کلام یعلمه. و منهم من قال: کلام یقوله الثانی- اختلاف الیهود و النصاری فی التأویل، و التنزیل من التوراة، و الإنجیل، لأنهم حرفوا الکتاب، و کتموا صفة محمد النبی (ص) و جحدت الیهود الإنجیل و القرآن.

قوله تعالی: «لَفِی شِقاقٍ بَعِیدٍ» فیه قولان:

أحدهما- بعید عن الالفة بالاجتماع علی الصواب. الثانی- بعید: من الشقاق، لشهادة کل واحد علی صاحبه بالضلال. و کلاهما قد عدل عن السداد. و من ذهب الی أن المعنی ذلک العذاب «بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْکِتابَ بِالْحَقِّ» قدر فکفروا به، و جعله محذوفاً. و من ذهب الی أن المعنی: ذلک الحکم بدلالة «بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْکِتابَ بِالْحَقِّ» لم یجعله محذوفاً.

و المعنی بالذین اختلفوا علی قول السدی: الیهود، و النصاری. و قال غیره:

هم الکفار من عبدة الأوثان، و غیرهم من أهل الضلال. و هو الاولی، لأنه أعم.

الاعراب: ..... ص : ٩٣

و إنما کسرة (إن) الثانیة لالحاق اللام الخبر، و هی لام الابتداء، فأخرت الی الخبر و کسرت معها (إن) لأنها للاستئناف ایضاً. فأما (أن) المفتوحة فاسم یعمل فیه عوامل الاعراب کما یعمل فی الأسماء. و إنما کسرت (إن) فی قوله تعالی: «وَ ما أَرْسَلْنا قَبْلَکَ مِنَ الْمُرْسَلِینَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَیَأْکُلُونَ الطَّعامَ» «١» لا لالحاق اللام، و لکن

(١) سورة الفرقان آیة: ٢٠.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج٢، ص: ٩۴

لدخول (إلا) علی جملة مستأنفة فی التقدیر. کأنه قیل: إلا هم یأکلون الطعام. و لو قلت ما ظننت إلا إنک لخارج لکسرت لأجل اللام.

اللغة: ..... ص : ٩۴

و الاختلاف: الذهاب علی جهة التفریق فی الجهات. و أصله من اختلاف الطریق.

تقول: اختلفنا الطریق، فجاء هذا من هاهنا، و جاء ذاک من هناک، ثم قیل فی الاختلاف فی المذاهب تشبیهاً فی الاختلاف فی الطریق من حیث أن کل واحد منهم علی نقیض ما علیه الآخر من الاعتقاد. فأما الاختلاف فی الأجناس، فهو ما لا یسد واحد منهما مسد الآخر، فیما یرجع الی ذاته، کالسواد و البیاض، و غیرهما.

و الشقاق: انحیاز کل واحد عن شق صاحبه للعداوة له. و هو طلب کل واحد منهما ما یشقّ علی الآخر، لأجل العداوة. و المشاقة مثله.

قوله تعالی:[سورة البقرة (٢): آیة ١٧٧] ..... ص : ٩۴

اشارة

لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ لكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ الْمَلائِكَةِ وَ الْكِتابِ وَ النَّبِيِّينَ وَ آتَى الْمالَ عَلى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَ السَّائِلِينَ وَ فِي الرِّقابِ وَ أَقامَ الصَّلاةَ وَ آتَى الزَّكاةَ وَ الْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عاهَدُوا وَ الصَّابِرِينَ فِي الْبَأْساءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ حِينَ الْبَأْسِ أُولئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (۱۷۷)

آية واحدة بلا خلاف.

القراءة: ..... ص : ۹۴

قرأ حفص إلا هبيرة، و حمزة «ليس البرّ» بنصب الراء. الباقون برفعها.

و قرأ نافع، و ابن عامر «و لكن البرّ» بتخفيف النون، و رفع الراء.

التبيان في تفسير القرآن، ج۲، ص: ۹۵

النزول: ..... ص : ۹۵

قيل: إن هذه الآية نزلت لما حولت القبلة، و كثر الخوض في نسخ تلك الفريضة، صار كأنه لا يراعى بطاعة اللَّه إلا التوجه للصلاة، فأنزل اللَّه تعالى الآية، و بين فيها أن البرّ ما ذكره فيها، و دل على أن الصلاة إنما يحتاج إليها لما فيها من المصلحة الدينية، و إنه انما يأمر بها، لما في علمه أنها تدعو الى الصلاح، و تصرف عن الفساد، و إن ذلك يختلف بحسب الأزمان، و الأوقات.

المعنى: ..... ص : ۹۵

و قوله:«لَيْسَ الْبِرَّ» قيل فيه قولان: أحدهما- ذكره ابن عباس، و مجاهد:

أنه «ليس البرّ» كله في التوجه الى الصلاة بل حتى يضاف إلى ذلك غيره من الطاعات التي أمر اللَّه تعالى بها. و الثاني- قاله قتادة، و الربيع و اختاره الجبائي:

انه «ليس البرّ» ما عليه النصارى من التوجه الى المشرق، أو ما عليه اليهود من التوجه الى المغرب «وَ لكِنَّ الْبِرَّ» ما ذكره اللَّه تعالى في الآية، و بينه. و قوله:

«وَ لكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ» قيل فيه ثلاثة أقوال:

أولها- «وَ لكِنَّ الْبِرَّ» بر «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ» فحذف المضاف، و أقام المضاف اليه مقامه، و اختاره المبرد، لقوله «لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا» و قال النابغة:

و قد خفت حتى ما تزيد مخافتي على وعلٍ في ذى المطارة عاقل «۱»

يعني مخافة وعل. و قالت الخنساء:

ترتع ما غفلت حتى إذا ادّكرتْ فإنما هي إقبال و إدبار «۲»

معناه انما هي مقبلة تارة، و مدبرة أخرى، فبالغ، فجعلها إقبالا و إدباراً،

---

(۱) مر تخريجه في ۲: ۷۸.

(٢) اللسان (قبل) فى المطبوعة (غفت) بدل (غفلت) و فى مجمع البيان (ما رتعت).

الرتع: الأكل فى شره، و رتعت المواشى: أكلت ما شاءت و جاءت و ذهبت. ادكرت: تذكرت. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٩٦

و قال متمم: «١»

لعمرى! و ما دهرى بتأبين هالك و لا جزعاً مما أصاب فأوجعا «٢»

معناه و لا ذى جزع.

الوجه الثانى- و لكن ذا البرّ من آمن باللَّه. الثالث- و لكن البارّ من آمن باللَّه، فجعل المصدر فى موضع اسم الفاعل. و قد بينا فى ما مضى حقيقة الايمان و الخلاف فيه، فلا معنى لإعادته.

و الضمير فى قوله: «عَلى حُبِّهِ» يحتمل أن يكون عائداً على حب المال، و يحتمل أن يكون عائداً على حب الإتيان، قال عبد اللَّه بن مسعود: على حب المال، لأنه يأمل العيش و يخشى الفقر. و أما على حب الإتيان، فوجهه ألّا تدفعه و أنت متسخط عليه كاره. و يحتمل وجهاً ثالثاً: و هو أن يكون الضمير عائداً على اللَّه، و يكون التقدير على حب اللَّه، فيكون خالصاً لوجهه، و قد تقدم ذكر اللَّه تعالى فى قوله «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ». و هو أحسنها. و الآية تدل على وجوب إعطاء مال الزكاة بلا خلاف، و تدل ايضاً- فى قول الشعبى، و الجبائى- على وجوب غيره مما له سبب وجوب كالانفاق على من تجب عليه نفقته، و على من يجب عليه سدّ رمقه إذا خاف التلف، و على ما يلزمه من النذور، و الكفارات، و يدخل فيها ايضاً ما يخرجه الإنسان على وجه التطوع، و القربة الى اللَّه، لأن ذلك كله من البرّ.

و ابن السبيل: هو المنقطع به إذا كان مسافراً محتاجاً و إن كان غنياً فى بلده، و هو من أهل الزكاة.

و قيل: إنه الضيف، و الأول قول مجاهد، و الثانى قول قتادة. و إنما قيل:

ابن السبيل: بمعنى ابن الطريق، كما قيل للطير: ابن الماء، لملازمته إياه، قال ذو الرمة:

---

(١) هو متمم بن نويرة.

(٢) اللسان (أبن، (دهر) ليس من عادتى تأبين الأموات، و مدحهم بعد موتهم، و لست أجزع من المصيبة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٩٧

وردت اعتسافاً و الثّريا كأنها على قمة الرأس ابنُ ماءٍ محلق «١»

و السائلين معناه: و الطالبين للصدقة، لأنه ليس كل مسكين يطلب.

و قوله: «وَ فِي الرِّقابِ» قيل فيه قولان: أحدهما- عتق الرقاب. و الثانى- المكاتبين. و ينبغى أن تحمل الآية على الامرين، لأنها تحتمل الامرين، و هو اختيار الجبائى، و الرمانى.

اللغة: ..... ص : ٩٧

و المراقبة:المراعاة. و الرقبة: الانتظار. و الرقيب: المشرف على القوم لحراستهم. و الرقيب: الحافظ. و تقول: رقبته أرقبه رقباً، و راقبته مراقبة، و ارتقبته ارتقاباً، و تراقبوا تراقباً، و ترقب ترقباً. و الرقوب: الأرملة التى لا كاسب لها، لأنها تترقب معروفاً أو صلة. و الرقبة مؤخر أصل العنق. و أعتق اللَّه رقبته، و لا- يقال عتقه. و الرقيب ضرب من الحيّات خبيث. و الرقوب: المرأة التى لا يعيش لها ولد. و الرقيب: النجم الذى يتبين من المشرق، فيغيب رقيبه من المغرب.

المعنى: ..... ص : ٩٧

و قوله تعالى: «ذَوِی الْقُرْبى قيل أراد به قرابة المعطى، اختاره الجبائى،

لقول النبى (ص) لفاطمة بنت قيس، لما قالت: يا رسول اللّه إن لى سبعين مثقالا من ذهب، فقال: اجعليها فى قرابتک.

و قال (ع) لما سئل عن أفضل الصدقة، فقال:

جهد المقل على ذى القرابة الكاشح.

و يحتمل أن يكون أراد به قرابة النبى (ص).

كما قال: «قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى «۲» و هو قول أبى جعفر، و أبى عبد اللّه (ع) و قوله: «فِي الْبَأْساءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ حِينَ الْبَأْسِ» قال قتادة:

---

(۱) ديوانه: ۴۰۱، و اللسان (عسف). وردت اعتسافاً: سرت بدون تدبير، و لا معرفة للطريق، بل اقتحمت اقتحاماً. و الثريا: جملة من النجوم تشبه قطف العنب. شبه الثريا بالطير المحلق فوق رأسه و هو على الماء.

(۲) سورة الشورى آية: ۲۳.

البأساء: البؤس، و الفقر. و الضراء: السقم، و الوجع. و منه قوله: «مَسَّنِيَ الضُّرُّ» «۱». و حين البأس: حين القتال. و قال ابن مسعود: البأساء: الفقر. و الضراء:

السقم. و انما قيل: البأساء فى المصدر و لم يقل منه أفعل، لأن الأصل فى فعلاء أفعل للصفات التى للألوان، و العيوب. كقولک أحمر، و حمراء. و أعور، و عوراء. فأما الأسماء التى ليست بصفات، فلا يجب ذلک فيها. و على ذلک تأوّلوا قول زهير:

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ثم تُرضع فتفطم «۲»

و أنكر ذلک قوم، لأنه لم يصرف أشأم. و قالوا إنما هو صفة وقعت موقع الموصوف كأنه قال: غلمان أمر أشأم، فلذلک قالوا إنما المعنى الخلة البأساء، و الخلة الضراء.

«وَ الْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ» رفع عطفاً على «مَنْ آمَنَ». و يحتمل أن يكون رفعاً على المدح، و تقديره: و هم الموفون، ذكره الزجاج. و الصابرين نصب على المدح، كقول الشاعر:

الى الملک القرم و ابن الهمام و ليث الكتيبة فى المزدحم

و ذا الرأى حين تغم الأمور بذات الصليل و ذات اللجم «۳»

و يحتمل أن يكون نصب بفعل مضمر، و تقديره و أعنى الصابرين. و يحتمل أن يكون عطفاً على قوله: «وَ آتَى الْمالَ عَلى حُبِّهِ ذَوِی الْقُرْبى «و الصابرين» فعلى هذا يجب أن يكون رفع «الموفين» على المدح للضمير الذى فى صلة (من)، لأنه لا يجوز بعد العطف على الموصوف، العطف على ما فى الصلة. و هذا الوجه ضعيف، لأنه يؤدى الى التكرار، لأنهم دخلوا فى قوله:

---

(۱) سورة الأنبياء آية: ۸۳.

(۲) ديوانه: ۲۰ من معلقته الفريدة، من أبياته فى صفة الحرب. الضمير فى (فتنتج) عائد الى الحرب، و قد مر ذكرها فى أول الأبيات. (أشأم): أى غلمان شؤم.

(۳) معان القرآن للفراء ۱: ۱۰۵، و أمالى الشريف المرتضى ۱: ۲۰۵، و الانصاف:

۱۹۵، و خزانة الأدب: ۲۱۶. القرم: السيد المقدم فى المعرفة، و التجارب الكتيبة هى فرقة من الجيش. المزدحم: هو المكان الذى تجتمع به الناس كثيرا، و تتسابق على التقدم فيه، و المقصود منه هنا ساحة الحرب تغم الأمور أى تضيع عليهم. الصليل: صوت

السيوف. و ذات اللجم: الخيل

التبيان فی تفسير القرآن، ج۲، ص: ۹۹

«وَ الْمَساكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَ السَّائِلِينَ» فيجب أن يحمل قوله: «و الصابرين» على من لم يـذكر، ليكون فيه فائـدة. و إن كان ذلك وجهاً مليحاً.

و القراءة بالرفع أجود، و أقوى، لأنه اسم (ليس) مقدم قبل الخبر لفائدة فی الخبر، و لأنه قرأ «ليس البر بأن» ذكره الفراء.

و قوله: «أُولئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا» معناه الـذين جمعوا العمل بهـذه الخصال الموصوفـة: هم الموصوفون بأنهم صدقوا على الحقيقة، لأنهم عملوا بموجب ما أقرّوا به. «أُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» يعنى اتقوا- بفعل هذه الخصال- نار جهنم.

و استدل أصحابنا بهذه الآية على أن المعنى بها أمير المؤمنين (ع)، لأنه لا خلاف بين الأمة أن جميع هذه الخصال كانت جامعة فيه. و لم تجتمع فی غيره قطعاً، فهو مراد بالآيـة بالإجماع. و غيره مشكوك فيه غير مقطوع عليه. و قـال الزجاج، و الفراء: هـذه الآيـة تتناول الأنبياء المعصومين، لأنهم الذين يجمعون هذه الصفات.

الاعراب: ..... ص : ۹۹

و من قرأ (ليس البرّ) بالرفع، جعل البر اسـماً، و جعل (أن) فی موضع نصب، و من نصب جعل (أن تولوا) فی موضع رفع، و قـدم الخبر.

و مثله قوله تعالى:

«ما كانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قالُوا» «۱» «وَ ما كانَ قَوْلَهُمْ» «۲» وَ ما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ «۳». «فَكانَ عاقِبَتَهُما» «۴» و ما أشبه ذلك.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۱۷۸] ..... ص : ۹۹

اشارة

يـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصـاصُ فِي الْقَتْلى الْحُرُّ بِـالْحُرِّ وَ الْعَبْـدُ بِالْعَبْـدِ وَ الْأُنْثى بِالْأُنْثى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَـيْءٌ فَاتِّبـاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَ أَداءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسانٍ ذلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ رَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدى بَعْدَ ذلِكَ فَلَهُ عَذابٌ أَلِيمٌ (۱۷۸)

---

(۱) سورة الجاثية آية: ۲۴.

(۲) سورة آل عمران آية: ۱۴۷.

(۳) سورة الاعراف آية ۸۱.

(۴) سورة الحشر آية: ۱۷.

التبيان فی تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۰۰

آية بلا خلاف.

معنى ..... ص : ۱۰۰

قوله: كتب: فرض. و أصل الكتب: الخط الدّال على معنى الفرض.

و قيل: لأنه، مما كتبه اللَّه فی اللوح المحفوظ على جهة الفرض، قال الشاعر: «۱»

كتب القتل و القتال علينا و على المحصنات جرّ الذيول «۲»

و قال النابغة الجعدى:

يا بنت عمى كتاب اللّه أخرجنى عنكم فهل امنعنّ اللّه ما فعلا «۳»

و منه الصلاة المكتوبة أى المفروضة. فان قيل: كيف قيل: كتب عليكم بمعنى فرض، و الأولياء مخيرون: بين القصاص، و العفو، و أخذ الدية؟ قلنا عنه جوابان:

أحدهما- انه فرض عليكم ذلك إن اختار أولياء المقتول القصاص. و الفرض قد يكون مضيقاً و يكون مخيراً فيه. و الثانى- فرض عليكم ترك مجاوزة ما حد لكم الى التعدى فيما لم يجعل لكم.

اللغة: ..... ص : ۱۰۰

و القصاص: الأخذ من الجانى مثل ما جنى، و ذلك لأنه تال لجنايته. و أصله التلو، من قص الأثر: و هو تلو الأثر. و القصاص، و المقاصة، و المعاوضة، و المبادلة نظائر. يقال: قصّ يقصّ قصّا، و قصصاً. و أقصه به إقصاصاً. و اقتصّ اقتصاصاً.

و تقاصّوا تقاصاً. و استقص: إذا طلب القصاص استقصاصاً. و قاصه مقاصّة و قصاصاً. و قصّ الشيء بالمقص يقصه قصاً. و قص الحديث يقصه قصصاً. و كذلك قص أثره قصصاً: إذا اقتفى أثره. و القص و القصص: عظم الصدر من الناس،

---

(۱) هو عمر بن أبى ربيعة، أو عبد اللّه بن الزبير الأسدى

(۲) ديوان عمر، و البيان، و التبيين ۲: ۲۳۶، و الكامل لابن الأثير ۲: ۱۵۴، و تاريخ الطبرى ۷: ۱۵۸، و انساب الاشراف ۵: ۲۶۴. و الاغانى ۹: ۲۲۹.

(۳) اللسان (كتب)، و أساس البلاغة (كتب) و المقاييس ۵: ۱۵۹. و رواية الأساس (اخرنى) بدل (أخرجنى). [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۰۱

و غيرهم. و القصة: الخصلة من الشعر. و القصة من القصص معروفة. و القصة الجص.

و القصاص: التقاص من الجراحات و الحقوق شيء بشيء. و القصيص: نبات ينبت فى أصول الكمأة. و اقصّت الشاة، فهى مقصّ إذا استبان ولدها، و أصل الباب التلوّ.

و قوله تعالى: «الْحُرُّ بِالْحُرِّ» فالحر نقيض العبد، و الحر من كل شيء.

أعتقه. و الحرّ: ولد الحية، و ولد الظبية، و فرخ الحمام، و أحرار البقول: ما يؤكل غير مطبوخ. و الحَر: نقيض البرد، حرّ النهار يحر حرّا.

و الحرير: ثياب من إبريسم.

و الحريرة: دقيق يطبخ باللبن. و الحرة: أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت بالنار. و تحرير الكتابة: إقامة حروفها. و الحرورية: منسوب الى حرور: قرية كان أول مجتمعهم بها، فالمحرر المختص بخدمة الكنيسة ما عاش، و منه قوله «ما فِي بَطْنِي مُحَرَّراً» «۱» و أصل الباب الحرّ خلاف البرد. و منه الحرير، لأنه يستدفأ به.

قوله: «فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ» معناه ترك، من عفت المنازل إذا تركت حتى درست. و العفو عن المعصية: ترك العقاب عليها. و قيل: معنى العفو هاهنا ترك القود بقبول الدية من أخيه، فالأخ يجمع أخوة إذا كانوا لأب، و إذا لم يكونوا لاب، فهم أخوان، ذكر ذلك صاحب العين، و منه قوله: «فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ» «۲» و منه الإخاء، و التآخى. و الأخوة قرابة الأخ. و التآخى اتخاذ الأخوان.

و بينهما إخاء و أخوة. و آخيت فلاناً مؤاخاة، و إخاء. و أصل الباب الأخ من النسب، ثم شبه به الأخ من الصداقة.

المعنى: ..... ص : ١٠١

و الهاء فى قوله: «مِنْ أَخِيهِ» تعود الى أخى المقتول- فى قول الحسن-.

و قال غيره: تعود الى أخى القاتل، فان قيل: كيف يجوز أن تعود الى أخى القاتل و هو فى تلك الحال فاسق؟ قيل عن ذلك ثلاثة أجوبة:

---

(١) سورة آل عمران آية: ٣٥.

(٢) سورة الحجرات آية: ١٠.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٠٢

أحدها- إنه أراد أخوة النسب، لا فى الدين، كما قال «وَ إِلى عادٍ أَخاهُمْ هُوداً» «١». و الثانى- لأن القاتل قد يتوب فيدخل فى الجملة، و غير التائب على وجه التغليب. الثالث- تعريفه بذلك على أنه كان أخاه قبل أن يقتله، كما قال:

«إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْواجَهُنَّ» «٢» يعنى الذين كانوا أزواجهن. و قال جعفر بن مبشر عن بعضهم: إن هذه الآية منسوخة بقوله «النَّفْسَ بِالنَّفْسِ» «٣» قال: و ليست عندى كذلك، لأن اللّه تعالى إنما أخبرنا أنه كتبها على اليهود قبلنا، و ليس فى ذلك ما يوجب أنه فرض علينا، لأن شريعتهم منسوخة بشريعتنا. و الذى أقوله: إن هذه الآية ليست منسوخة، لأن ما تضمنته معمول عليه و لا ينافى قوله تعالى: «النَّفْسَ بِالنَّفْسِ» لأن تلك عامة، و يمكن بناء تلك على هذه، و لا تناقض و لا يحتاج الى أن ينسخ إحداهما بالأخرى.

و قال قتادة: نزلت هذه الآية، لأن قوماً من أهل الجاهلية كانت لهم حولة «۴» على غيرهم من أهل الجاهلية، فكانوا يتعدون فى ذلك، فلا يرضون بالعبد إلا الحرّ، و لا بالمرأة إلا الرجل، فنهاهم اللّه تعالى عن ذلك.

و

قوله: «فَاتِّباعٌ بِالْمَعْرُوفِ» يعنى العافى، و على المعفو عنه «أَداءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسانٍ» و به قال ابن عباس، و الحسن، و قتادة، و مجاهد، و الشعبى، و الربيع، و ابن زيد، و هو المروى عن أبى عبد اللّه (ع).

و قال قوم: هما على المعفو عنه.

و الاعتداء هو القتل بعد قبول الدية على قول ابن عباس، و الحسن، و قتادة، و مجاهد، و الربيع، و ابن زيد، و هو المروى عن أبى جعفر، و أبى عبد اللّه (ع).

و قال بعضهم «من اعتدى» بعد البيان فى الآية، فقتل غير قاتل وليه أو بعد قبول

---

(١) سورة الاعراف آية: ۶۴، سورة هود آية: ۵٠.

(٢) سورة البقرة آية: ٢٣٢.

(٣) سورة المائدة آية: ۴٨.

(۴) الحولة: هى المنكر، و يمكن أن يكون معناه الحق الذى حل أجله، و يكون المعنى لهم عليهم حق قصاص حال، و على الأول لهم عليهم قود بمنكر قد فعلوه، و يريدون الاقتصاص منهم.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٠٣

الدية «فَلَهُ عَذابٌ أَلِيمٌ» و هذا أيضاً جيد تحتمله الآية.

الاعراب: ..... ص : ۱۰۳

و قوله: «فاتباع» رفع بأنه ابتداء لخبر محذوف، كأنه قيل: فحكمه اتباع، أو فعليه اتباع. و كان يجوز النصب فى العربية. على تقدير فليتبع اتباعاً، و لم يقرأ به.

اللغة: ..... ص : ۱۰۳

و الأداء، قال الخليل: أدّى فلان يؤدّى ما عليه أداء و تأدية. و يقال:
فلان آدّى للامانة من غيره. و الأداة من أدوات الحرب. و أصل الباب التأدية تبليغ الغاية.

المعنى: ..... ص : ۱۰۳

و قوله تعالى: «تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ» معناه: أنه جعل لكم القصاص، أو الدية، أو العفو، و كان لأهل التوراة قصاص، و عفو، و لأهل الإنجيل عفو، أو دية. و يجوز قتل العبد بالحر، و الأنثى بالذكر إجماعاً، و لقوله: «وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً» «۱» و لقوله: «النَّفْسَ بِالنَّفْسِ» «۲». و قوله: فى هذه الآية «الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَ الْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَ الْأُنْثى بِالْأُنْثى لا يمنع من ذلك، لأنه تعالى لم يقل: و لا يقتل الأنثى بالذكر، و لا العبد بالحر. فإذا لم يكن ذلك فى الظاهر، فما تضمنته الآية معمول به، و ما قلناه مثبت بما تقدم من الأدلة. فأما قتل الحر بالعبد، فعندنا لا يجوز، و به قال الشافعى، و أهل المدينة. و قال أهل العراق: يجوز.
و لا يقتل والد بولد عندنا، و عند أكثر الفقهاء. و عند مالك يقتل به على بعض الوجوه. و أما قتل الوالدة بالولد، فعندنا تقتل. و عند جميع الفقهاء انها جارية مجرى

---

(۱) سورة الإسراء آية: ۳۳.

(۲) سورة المائدة آية: ۴۸.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۰۴

الأب. فأما قتل الولد بالوالد فيجوز إجماعاً. و لا يقتل مولى بعبده. و يجوز قتل الجماعة بواحد إجماعاً إلا أن عندنا يردّ فاضل الدية، و عندهم لا يرد شيء على حال.

و إذا اشترك بالغ مع طفل. أو مجنون فى قتل، فعندنا لا يسقط القود عن البالغ، و به قال الشافعى. و قال أهل العراق: يسقط. و دية القصاص فى قود النفس الف دينار، أو عشرة آلاف درهم، أو مائة من الإبل، أو مائتان من البقر، أو الف شاة، أو مأتا حلة. و لا يجبر القاتل على الدية- عندنا- و ان رضى، فهى عليه فى ماله. و قال الحسن: يجبر على العفو عن القصاص، و الدية على العاقلة. و القتل بالحديد عمداً يوجب القود إجماعاً. فأما غير الحديد، فكل شيء يغلب على الظن أن مثله يقتل فانه يجب القود عندنا، و عند أكثر الفقهاء. و الذى له العفو عن القصاص كل من يرث الدية إلا الزوج، و الزوجة. و هم لا يستثنون بها إلا أبا حنيفة: قال: إذا كان للمقتول ولد صغار و كبار، فللكبار أن يقتلوا، و يحتج بقاتل على (ع).

و قال غيره: لا يجوز حتى يبلغ الصغار. و عندنا أن لهم ذلك إذا ضمنوا حصة الصغار من الدية إذا بلغوا، و لم يرضوا بالقصاص. و إذا اجتمع مع القصاص حدود، فان كان حدّ للّه، فالقتل يأتى عليه. و إن كان حق لآدمى كحدّ القذف، أقيم عليه الحد ثم يقتل. و قال أهل المدينة: القتل يأتى على الكل. و يقتل الرجل بالمرأة إذا ردّ أولياؤها نصف الدية. و خالف جميع الفقهاء فى ذلك. و ما قلنا، قول على (ع) و قول الحسن البصرى. و شرح مسائل الديات ذكرناها فى النهاية، و المبسوط، لا يقتضى ذكرها هاهنا.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۱۷۹] ..... ص : ۱۰۴

اشارة

وَ لَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ يا أُولِي الْأَلْبابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (۱۷۹)

آية بلا خلاف.

المعنى: ..... ص : ۱۰۴

أكثر المفسرين على أن قوله: «وَ لَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ» المراد به القصاص التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۰۵

فى القتل. و إنما كان فيه حياة من وجهين:

أحدهما- ما عليه أكثر المفسرين كمجاهد، و قتادة، و الربيع، و ابن زيد:

أنه إذا هم الإنسان بالقتل فذكر القصاص، ارتدع، فكان ذلك سبباً للحياة.

الثانى- قال السدى: من جهة أنه لا يقتل إلا القاتل دون غيره. خلاف فعل الجاهلية الذين كانوا يتفانون «۱» بالطوائل، و المعنيان جميعاً حسنان. و قال أبو الجوزاء: معناه أن القران «۲» حياة بالقصاص، أراد به القران. و هذا ضعيف، لأنه تأويل خلاف الإجماع، و لأنه لا يليق بما تقدم، و لا يشاكله، و هو قوله:

«كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصاصُ فِي الْقَتْلى ، فكأنه قال بعده و لكم فيه حياة. و نظير هذه الآية قولهم: القتل أنفى للقتل. و بينهما من التفاوت فى الفصاحة، و البلاغة ما بين السماء و الأرض و قيل: الفرق بينهما من أربعة أوجه:

أحدها- أنه أكثر فائدة. و ثانيها- أنه أوجز فى العبارة. و ثالثها- أنه أبعد عن الكلمة بتكرير الجملة. و رابعها- أنه أحسن تأليفاً بالحروف المتلائمة.

أما كثرة الفائدة، ففيه ما فى قولهم: (القتل أنفى للقتل) و زيادة معان حسنة: منها إبانة العدل، لذكره القصاص. و منها إبانة الغرض المرغوب فيه، لذكر الحياة. و منها الاستدعاء بالرغبة و الرهبة لحكم اللَّه به.

و أما الإيجاز فى العبارة، فان الذى هو نظير (القتل أنفى للقتل) قوله تعالى:

«فِي الْقِصاصِ حَياةٌ» و هو عشرة أحرف. و الأول أربعة عشر حرفاً. و أما بعد التكلف، فهو أن فى قولهم: (القتل أنفى للقتل) تكرير غيره أبلغ منه. و متى كان التكرير كذلك، فهو مقصر فى باب البلاغة. و أما الحسن بتأليف الحروف المتلائمة، فهو مدرك بالحس، و موجود باللفظ، فان الخروج من الفاء إلى اللام أعدل من الخروج من اللام الى الهمزة، لبعد الهمزة من اللام. و كذلك الخروج من الصاد

---

(۱) فى المطبوعة «يتغابون».

(۲) هكذا فى المطبوعة و لم أجد قول لأبى الجوزاء فى هذا الموضع فى ما حضرنى من التفاسير، و لم أجد فى كتب اللغة القصاص بمعنى القران، الا أن يكون- بفتح القاف-

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۰۶

الى الحاء أعدل من الخروج من الألف الى اللام. فباجماع هذه الأمور التى ذكرناها كان أبلغ منه و أحسن. و إن كان الأول حسناً بليغاً و أخذ هذا المعنى بعض الشعراء، فقال:

أبلغ أبا مالك عنى مغلغلة و فى العتاب حياة بين أقوام «۱»

و هذا و إن كان حسناً، فبينه و بين لفظ القرآن: ما بين أعلى الطبقة و أدناها.

و أول ما فيه أنه استدعاء الى العتاب. و ذلك استدعاء الى العدل. و فى هذا إبهام.

و فى الآية بيان عجيب.

اللغة: ..... ص : ۱۰۶

و قوله: «يا أُولِي الْأَلْبابِ» فالألباب: العقول و هو مأخوذ من النخلة على وجه التشبيه به. و اللب: العقل. لب الرجل يلبّ: إذا صار لبيباً. و لبَّ بالمكان، و ألبّ به لباً، و إلباباً: إذا أقام به. و لُب كل شيء خالصه. قال صاحب العين:

اللبّ: البال. تقول: الأمر منه فى لبب رخىّ أى فى بال رخى. و اللبب من الرمل: شبيه حقف بين معظم الرمل، و جلد الأرض. و تلبب بالثياب إذا جمعها.

و يشبه به المتسلح بالسلاح. و اللبة من الصدر: موضع القلادة. و التلبيب: مجمع ما فى موضع اللبب من ثياب الرجل. تقول: أخذ فلان بتلابيب فلان. و أصل الباب لب الشيء: داخله: الذى تركبه القشرة، و تلزمه. و منه لبيك و سعديك أى ملازمة لأمرك و إسعاداً لك.

المعنى: ..... ص : ۱۰۶

و قوله تعالى: «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» قد بينا فيما مضى أن لعل معناه لكى و قيل فى معناه هاهنا قولان:

---

(۱) اللسان (غلل) أنشده بن برى. مغلغلة: رسالة محمولة من بلد الى بلد و العتاب هو الملاومة و لا يكون الا بين اثنين فصاعداً. و انما قال: حياة، لأنه يخفف من الغيظ، و قد يبطل العتاب حرباً يقتل فيها الألوف. فكأنه يقول أوصل هذه الرسالة التى هى عتاب، و العتاب حياة لقومى و لقومك.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۰۷

[الأول لكى تتقوا القتل بالخوف من القصاص. ذكره ابن زيد.

الثانى- قال الجبائى، و غيره: لتتقوا ربكم باجتناب معاصيه. و هذا أعم فائدة، لأنه يدخل فيه اتقاء القتل، و غيره.

و فى الآية دلالة على فساد قول المجبرة، لأن فيها دلالة على أنه أنعم على جميع العقلاء، ليتقوا ربهم، و فى ذلك دلالة على أنه أراد منهم التقوى و إن عصوا، و إنما خص اللّه تعالى بالخطاب أولى الألباب، لأنهم المكلفون المأمورون، و من ليس بعاقل لا يصح تكليفه، و لا يحسن، فلذلك خصهم بالذكر.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۱۸۰] ..... ص : ۱۰۷

اشارة

كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (۱۸۰)

آية بلا خلاف.

المعنى: ..... ص : ۱۰۷

هذا ابتداء قصة، و لا بد فيه من واو العطف، بان يقال: و كتب، لأنه حذف اختصاراً و قد بينا فيما مضـى: أن معنى كتب فرض. و هاهنا معناه الحث و الترغيب دون الفرض، و الإيجاب. و فی الآية دلالة على أن الوصية جائزة للوارث، لأنه قال للوالدين، و الأقربين. و الوالدان وارثان بلا خلاف إذا كانا مسلمين حرّين غير قاتلين. و من خص الآية بالكافرين، فقد قال: قولا بلا دليل، و من ادعى نسخ الآية فهو مدع لذلك، و لا يسلم له نسخها. و بمثل ما قلناه قال محمد بن جرير الطبری سواء، فان ادعوا الإجماع على نسخها، كان ذلك دعوى باطلة و نحن نخالف فی ذلك. و قد خالف فی نسخ الآية طاوس، فانه خصها بالكافرين، لمكان الخبر و لم يحملها على النسخ. و قد قال أبو مسلم محمد بن بحر: إن هذه الآية مجملة، و آية المواريث مفصلة، و ليست نسخاً، فمع هذا الخلاف كيف يدعى الإجماع على نسخها. التبيان فی تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٠٨

و من ادعى نسخها، لقوله (ع): لا وصية لوارث، فقد أبعد، لأن هذا أولا خبر واحد لا يجوز نسخ القرآن به إجماعاً. و عندنا لا يجوز العمل به فی تخصيص عموم القرآن. و ادعاؤهم أن الأمة أجمعت على الخبر دعوى عارية من برهان. و لو سلمنا الخبر جاز أن نحمله على أنه لا وصية لوارث فيما زاد على الثلث، لأنا لو خلينا و ظاهر الآية لأجزنا الوصية بجميع ما يملك للوالدين و الأقربين، لكن خص ما زاد على الثلث لمكان الإجماع.

فأما من قال: إن الآية منسوخة بآية الميراث فقوله بعيد عن الصواب. لأن الشیء إنما ينسخ غيره: إذا لم يمكن الجمع بينهما، فأما إذا لم يكن بينهما تناف و لا تضاد بل أمكن الجمع بينهما، فلا يجب حمل الآية على النسخ، و لا تنافی بين ذكر ما فرض اللّه للوالدين و غيرهم من الميراث، و بين الامر بالوصية لهم على جهة الخصوص، فلم يجب حمل الآية على النسخ. و قول من قال: حصول الإجماع على أن الوصية ليست فرضاً يدل على أنها منسوخة باطل، لأن إجماعهم على أنها لا تفيد الفرض، لا يمتنع من كونها مندوباً إليها و مرغّباً فيها، و لأجل ذلك كانت الوصية للوالدين، و الأقربين الذين ليسوا بوارث ثابتة بالآية و لم يقل أحد أنها منسوخة فی خبرهم «١».

و من قال: إن النسخ من الآية ما يتعلق بالوالدين، و هو قول الحسن و الضحاك، فقد قال قولا ينافی ما قاله مدعی نسخ الآية- على كل حال- و مع ذلك فليس الأمر على ما قال، لأنه لا دليل على دعواه. و قال طاوس: إذا وصى لغير ذی قرابة لم تجز وصيته. و قال الحسن: ليست الوصية إلا للأقربين و هذا الذی قالاه عندنا و إن كان غير صحيح، فهو مبطل قول من يدعی نسخ الآية. و إنما قلنا أنه ليس بصحيح، لأن الوصية لغير الوالدين، و الأقربين عندنا جائزة. و لا خلاف بين الفقهاء فی جوازها. و الوصية لا تجوز بأكثر من الثلث إجماعاً، و الأفضل أن يكون بأقل من الثلث،

لقوله (ع) و الثلث كثير

، و أحق من وصى له من كان

---

(١) نسب الخبر اليهم مع أنهم يروونه عن النبی (ص)، لأنه لا يسلم صحته.

التبيان فی تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٠٩

أقرب الى الميت إذا كانوا فقراء- بلا خلاف- و إن كانوا أغنياء، فقال الحسن و عمرو بن عبيد: هم أحق بها. و قال ابن مسعود، و واصل الأحقّ بها الأجوع، فالأجوع من القرابة.

و قوله تعالى: «إِنْ تَرَكَ خَيْراً» يعنی مالا. و اختلفوا فی مقداره الذی يجب الوصية عنده، فقال الزهری: كلما وقع عليه اسم مال من قليل أو كثير. و قال ابراهيم النخعی: الف درهم الى خمسمائة.

و روى عن علی (ع) أنه دخل على مولى لهم فی مرضه، و له سبع مائة درهم أو ستمائة، فقال: ألا أوصی، فقال: لا إنما قال اللّه تعالى: «إِنْ تَرَكَ خَيْراً» و ليس لك كبير مال.

و بهذا نأخذ، لأن قوله حجة عندنا.

الاعراب: ..... ص : ١٠٩

و الوصية فى الآية مرفوعة بأحد أمرين:

أحدهما- ب (كتب)، لأنه لم يسم فاعله. الثانى- أن يكون العامل فيه الابتداء و خبره للوالدين، و الجملة فى موضع رفع على الحكاية بمنزلة قيل لكم: الوصية للوالدين. و قيل فى إعراب (إذا) و العامل فيه قولان: أحدهما- كتب على معنى إذا حضر أحدكم الموت أى عند المرض. و الوجه الآخر قال الزجاج، لأنه رغب فى حال صحته أن يوصى، فتقديره كتب عليكم الوصية للوالدين و الأقربين بالمعروف فى حال الصحة قائلين: إذا حضرنا الموت فلفلان كذا.

المعنى: ..... ص : ١٠٩

المعروف هو العدل الذى لا يجوز أن ينكر و لا حيف فيه و لا جور و الحضور وجود الشيء بحيث يمكن أن يدرك. و ليس معناه فى الآية إذا حضره الموت أى إذا عاين الموت، لأنه فى تلك الحال فى شغل عن الوصية. لكن المعنى كتب عليكم أن توصوا و أنتم قادرون على الوصية، فيقول الإنسان: إذا حضرنى الموت أى إذا أنا مت، فلفلان كذا. التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١١٠

و الحق هو الفعل الذى لا يجوز إنكاره و قيل ما علم صحته سواء كان قولا أو فعلا أو اعتقاداً و هو مصدر حقّ يحق حقاً و انتصب فى الآية على المصدر و تقديره أحق حقاً و قد استعمل على وجه الصفة،، بمعنى ذى الحق، كما وصف بالعدل «عَلَى الْمُتَّقِينَ» معناه على الذين يتقون عقاب اللَّه باجتناب معاصيه، و امتثال أوامره.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٨١] ..... ص : ١١٠

فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ ما سَمِعَهُ فَإِنَّما إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٨١)

آية بلا خلاف.

الهاء فى قوله: «فَمَنْ بَدَّلَهُ» عائدة على الوصية. و انما ذكرّ حملا على المعنى، لأن الإيصاء و الوصية واحد. و الهاء فى قوله: «فَإِنَّما إِثْمُهُ» عائدة على التبديل الذى دلّ عليه قوله: «فَمَنْ بَدَّلَهُ». و قال الطبرى: الهاء تعود على محذوف، لأن عودها على الوصية المذكورة لا يجوز، لأن التبديل إنما يكون لوصية الموصى. فأما أمر اللَّه عز و جل بالوصية، فلا يقدر هو، و لا غيره أن يبدله قال الرمانى: و هذا باطل، لأن ذكر اللَّه الوصية إنما هو لوصية الموصى، فكأنه قيل: كتب عليكم وصية مفروضة عليكم، فالهاء تعود الى الوصية المفروضة التى يفعلها الموصى.

و قوله تعالى: «فَمَنْ بَدَّلَهُ» فالتبديل: هو تغيير الشيء عن الحق فيه. فأما البدل، فهو وضع شيء مكان آخر. و من أوصى بوصية فى ضرار فبدلها الوصى، لا يأثم. و قال ابن عباس: من وصى فى ضرار لم تجز وصيته لقوله (غَيْرَ مُضَارٍّ) «١».

و الوصى إذا بدّل الوصية لم ينقص من أجر الموصى شيء، كما لو لم تبدّل، لأنه لا يجازى أحد على عمل غيره، لكن يجوز أن يلحقه منافع الدعاء، و الإحسان الواصل الى الموصى له، على غير وجه الأجر له، لكن على وجه الجزاء لغيره ممن وصل إليه ذلك الإحسان، فيكون ما يلحق المحسن إليه من ذلك أجراً له، يصح

---

(١) سورة النساء آية: ١١.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۱۱

بما يصل الى المحسن إليه من المنفعة. و فى الآية دلالة على بطلان مذهب من قال: إن الطفل يعذب بكفر أبويه، لأن اللَّه تعالى بين وجه العدل فى هذا. و قياس العدل فى الطفل ذلك القياس، فمن هناك دل على الحكم فيه. و فيها ايضاً دلالة على بطلان قول من يقول: إن الوارث إذا لم يقبّض دين الميت أنه يؤخذ به فى قبره أو فى الآخرة، لما قلنا من أنه دلّ على أن العبد لا يؤاخذ بجرم غيره و أن لا إثم عليه بتبديل غيره. و كذلك لو قضى عنه الوارث من غير أن يوصى به الميت لم يزل عقابه بقضاء الوارث عنه إلا أن يتفضل بإسقاطه عنه.

و قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» معناه سميع لما قاله الموصى من العدل، أو الجنف، عليم بما يفعله الوصى من التبديل أو التصحيح، فيكون ذكر ذلك داعياً الى طاعته.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۱۸۲] ..... ص : ۱۱۱

اشارة

فَمَنْ خافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۱۸۲)

آية بلا خلاف.

القراءة: ..... ص : ۱۱۱

قرأ ابن كثير، و نافع، و أبو عمرو، و ابن عامر، و حفص عن عاصم (موص) بالتخفيف. الباقون بالتشديد. و هما لغتان: وصى، و أوصى بمعنى واحد.

المعنى: ..... ص : ۱۱۱

فان قيل: كيف قال «فَمَنْ خافَ مِنْ مُوصٍ» لما قد وقع، و الخوف إنما يكون لما لم يقع؟ قيل فيه قولان:

أحدهما- إنه خاف أن يكون قد زلّ فى وصيته، فالخوف للمستقبل، و ذلك الخوف هو أن يظهر ما يدل على أنه قد زلَّ، لأنه من جهة غالب الظن.

و الثانى- لما اشتمل على الواقع، و ما لم يقع جاز فيه «خاف» ذلك فيأمره التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۱۲

بما فيه الصلاح، و ما وقع رده الى العدل بعد موته. و الجنف: الجور، و هو الميل عن الحق: و قال الحسن: هو أن يوصى من غير القرابة، قال: فمن أوصى لغير قرابته رد الى أن يجعل للقرابة الثلثان، و لمن أوصى له الثلث. و هذا باطل عندنا، لأن الوصية لا يجوز صرفها عن من وصى له. و إنما قال الحسن ذلك لقوله إن الوصية للقرابة واجبة. و عندنا إن الامر بخلافه على ما بيناه.

اللغة: ..... ص : ۱۱۲

و قال صاحب العين: الجنف: الميل فى الكلام و الأمور كلها. تقول: جنف علينا فلان، و أجنف فى حكمه، و هو مثل الحيف إلا ان الحيف من الحاكم خاصه، و الجنف عام، و منه قوله تعالى: «غَيْرَ مُتَجانِفٍ» «۱» أى متمايل: متعمد. و رجل أجنف: فى أحد شقيه ميل على الآخر. و قال ابن دريد: جنف يجنف جنفاً إذا صدّ عن الحق و أصل الباب: الميل عن الاستواء. قال الشاعر فى الجنف:

هم المولى و إن جنفوا علينا و إنا من لقائهم لزور «۲»

المعنى: ..... ص : ۱۱۲

و إذا جنف الموصى فى وصيته، فللوصى أن يردها الى العدل، و هو المروى عن أبى عبد اللَّه (ع).
و به قال الحسن، و قتادة، و طاوس. و قال قوم، و اختاره الطبرى: ان قوله «فَمَنْ خافَ مِنْ مُوصٍ» فى حال مرضه الـذى يريد أن يوصـى فيه، و يعطى بعضاً، و يضـر ببعض، فلا إثم أن يشير عليه بالحق، و يرده الى الصواب و يسـرع فى الإصـلاح بين الموصـى، و الورثـة، و الموصى له حتى يكون الكل راضين،

---

(۱) سورة المائدة آية: ۳. [.....]

(۲) قائله عامر الخصفى، من بنى خصفة، ابن قيس عيلان، مجاز القرآن لابى عبيدة:
۶۶، ۶۷، و مشكل القرآن: ۱۱۹، و اللسان (جنف) (ولى). قوله: هم المولى: أى هم أبناء عمنا، أقام المفرد مقام الجمع، أراد الموالى. و ان جنفوا: و ان جاروا و مالوا عن الحق.
و الزور: جمع أزور، و هو الغضب و الانحراف. يقول: هم أبناء عمنا و ان مالوا عن الحق و انا لنكره لقاءهم.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۱۳

و لاـ يحصـل جنف، و لا ظلم، و يكون قوله «فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ» يريـد فيما يخاف من حـدوث الخلاف فيه- فيما بعـد- و يكون قوله «فَمَنْ خـافَ» على ظـاهره، فيكون مترقباً غير واقع. و هـذا قريب ايضاً، غير أن الأول أصوب، لأن عليه أكثر المفسـرين، و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبـد اللَّه (ع). و إنمـا قيـل للمتوسط بالإصـلاح ليس عليه إثم و لم يقل فله الأجر على الإصـلاح، لأن المتوسط إنما يجرى أمره فى الغـالب على أن ينقص صـاحب الحق بعض حقه بسؤاله إيـاه، فاحتـاج الى أن يبين اللَّه لنـا أنه لاـ إثم عليه فى ذلك إذا قصـد الإصـلاح. و الـذى اقتضـى قوله (غَفُورٌ رَحِيمٌ) انه إذا كان يغفر المعصـية، فانه لا يجوز أن يؤاخـذ بما ليس بمعصـية مما بين أنه لا إثم عليه.
و الضـمير فى قوله «بينهم» عائد على معلوم بالدلالة عليه عند ذكر الوصـى، و الإصـلاح، لأنه قد دلّ على الموصى لهم و من ينازعهم و أنشد الفراء- فى مثل «فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ»:

أعمى إذا ما جارتى خرجت حتى يوارى جارتى الخدر
و يصمّ عمّا كان بينهما سمعى و ما بى غيره وقر «۱»

أراد بينها و بين زوجها، و إنما ذكرها وحدها، و أنشد أيضاً:

و ما أدرى إذا يممت وجهاً أريد الخير أيهما يلينى
هل الخير الذى أنا أبتغيه أم الشر الذى لا يأتلينى «۲»

فكنى فى البيت الأول عن الشر، و إنما ذكر الخير وحده. و قيل: بل يعود

---

(۱) أمالى الشريف المرتضى ۱: ۳۴، ۱۲۳. أعمى: أى أغض بصـرى. و الضـمير فى بينهما عائد على الزوج و الزوجة. يقول لا أنظر الى جارتى الا و هى مسترة و لا أبوح برها مع زوجها و كل ما أسمعه منهما فأجعل نفسى كأنى لم أسمعه.

(۲) لم أجد هذين البيتين فيما حضرنى من المصادر فى المطبوعة (هل) ساقطة، (أنهما) بدل (أيهما).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۱۴

على مذكور، هم الوالدان و الأقربون.

و الضمير فى قوله «فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ» عائد على الوصى- فى قول الحسن- و يجوز أن يعود على المصلح المذكور فى (من).

و قوله تعالى: «جَنَفاً» و إنما يريد بالجنف: الميل عن الحق عن جهة الخطأ، لأنه لا يدرى أنه لا يجوز،

و الإثم: أن يتعمد ذلك، و هو معنى قول ابن عباس، و الحسن، و الضحاك، و السدى. و روى ذلك عن أبى جعفر.

و الجنف فى الوصية:

أن يوصى الرجل لابن ابنته، و له أولاد. أو يوصى لزوج بنته، و له أولاد، فلا يجوز رده على وجه عندنا. و خالف فيه ابن طاوس، و كذلك إن وصى للبعيد دون القريب لا تردّ وصيته. و خالف فيه الحسن.

قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ١٨٣] ..... ص : ١١٤

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣)

آية بلا خلاف.

هذه الآية ظاهرها يتوجه الى من كان على ظاهر الايمان. فأما الكافر، فلا يعلم بهذا الظاهر أنه مخاطب بالصيام. و قوله «كتب» معناه فرض على ما بيناه فيما مضى.

اللغة: ..... ص : ١١٤

و الصيام، و الصوم: مصدر صام يصوم صوماً قال النابغة:

خيل صيام و خيل غير صائمة تحت العجاج و خيل تعلك اللجما «١»

و قال صاحب العين: الصوم، و الصمت واحد كقوله تعالى «إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْماً» أى صمتاً. و الصوم قيام بلا عمل. صام الفرس على أريه: إذا لم يعلف.

---

(١) ديوانه: ١٠٦ (ملحق)، و اللسان (صوم)، (علك) و هو من قصيدته الشهيرة التى أولها:

بانت سعاد و أمسى حبلها انجذما

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١١٥

و صامت الريح: إذا ركدت. و صامت الشمس: حين تستوى فى منتصف النهار.

و صامت الفرس: موقفه. و الصوم ذرق النعام. و الصوم: شجر. و أصل الباب:

الإمساك، فالصوم: الصمت، لأنه إمساك عن الكلام.

المعنى: ..... ص : ١١٥

و الصوم فى الشرع هو الإمساك عن أشياء مخصوصة على وجه مخصوص ممن هو على صفات مخصوصة فى زمان مخصوص. و من شرط انعقاده النية.

و قوله «كَما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَمْ» قيل فيه ثلاثة أقوال: أحسنها:

انه كتب عليكم صيام أيام، كما كتب عليهم صيام أيام. و هو اختيار الجبائى، و غيره، و يكون الصيام رفعاً، لأنه ما لم يسمّ فاعله، و يكون موضع (كما) نصب على المصدر.

و المعنى فرض عليكم فرضاً كالذى فرض على الذين من قبلكم، و يحتمل أن يكون نصباً على الحال من الصيام. و تقديره كتب عليكم مفروضاً أى فى هذه الحال.

و الثانى- ما قاله الشعبى، و الحسن: انه فرض علينا شهر رمضان كما فرض شهر رمضان على النصارى. و إنما زادوا فيه و حوّلوه الى زمان الربيع.

و الثالث- ما قاله الربيع، و السدى: إنه كان الصوم من العتمة إلى العتمة لا يحلّ بعد النوم مأكل، و لا مشرب، و لا منكح، ثم نسخ. و الأول هو المعتمد.

و قال مجاهد. و قتادة: المعنى بالذين من قبلكم أهل الكتاب.

و قوله «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» أى لعلكم تتقون المعاصى بفعل الصوم- فى قول الجبائى- و قال السدى: لتتقوا ما حرم عليكم من المأكل و المشرب. و قالت فرقة:

معناه لتكونوا أتقياء بما لطف لكم فى الصيام، لأنه لو لم بلطف به لم تكونوا أتقياء.

و إنما قلنا: الأول هو المعتمد، لأنه يصح ذلك فى اللغة، إذا كان فرض عليهم صيام أيام كما علينا صيام أيام و إن اختلف ذلك بالزيادة و النقصان.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۱۸۴] ..... ص : ۱۱۵

اشارة

أَيَّاماً مَعْدُوداتٍ فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَ عَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَ أَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۱۸۴)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۱۶

آية واحدة بلا خلاف

القراءة: ..... ص : ۱۱۶

قرأ ابن عامر، و نافع (فدية طعام مساكين) على إضافة الفدية و جمع المساكين. الباقون (فدية) منون (طعام مسكين) على التوحيد. و القراءتان متقاربتا المعنى، لأن المعنى لكل يوم يفطر طعام مسكين. و القراءتان يفيدان ذلك.

الاعراب: ..... ص : ۱۱۶

قوله تعالى: «أَيَّاماً مَعْدُوداتٍ» منصوب بأحد شيئين: أحدهما- على الظرف، كأنه قيل: الصيام فى أيام معدودات. و هو الذى اختاره الزجاج. الثانى- أن يكون قد عدى الصيام إليه كقولك: اليوم صمته. و قال الفراء: هو مفعول ما لم يسمى فاعله كقولك: أعطى زيد المال. و خالفه الزجاج، قال، لأنه لا يجوز رفع الأيام، كما لا يجوز رفع المال. و إذا كان المفروض فى الحقيقة هو الصيام دون الأيام،

فلا يجوز ما قاله الفراء إلا على سعة فى الكلام.

و قال عطا، و قتادة: الأيام المعدودات كانت ثلاثة أيام من كل شهر، ثم نسخ. و كذلك روى عن ابن عباس. و قال ابن أبى ليلى: المعنى به شهر رمضان و إنما كان صيام ثلاثة أيام من كل شهر تطوعاً.

و قوله تعالى: «فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّام أُخَرَ» ارتفع عدّة على الابتداء، و تقديره فعليه عدة من أيام أخر.

و روى عن أبى جعفر (ع) أن شهر رمضان كان صومه واجباً على نبى دون أمته. و إنما أوجب على أمة نبينا محمد (ص) فحسب.

و إنما قال «أخر» و لا يوصف بهذا الوصف إلا جمع المؤنث التى كل واحدة أنثى- و الأيام جمع يوم و هو مذكر- حملا له على لفظ الجمع، لأن الجمع يؤنث كما يقال جاءت الأيام و مضت الأيام. و «أخر» لا يصرف، لأنه التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۱۷
معدول عن الألف و اللام، لأن نظائرها من الصغر و الكبر لا يستعمل إلا بالألف و اللام، لا يجوز نسوة صغر، و يجوز فى العربية «فعدة» على معنى، فليعد عدة من أيام أخر بدلا مما أفطر.

المعنى: ..... ص : ۱۱۷

و هذه الآية فيها دلالة على أن المسافر، و المريض يجب عليهما الإفطار، لأنه تعالى أوجب عليهما القضاء مطلقاً، و كل من أوجب القضاء بنفس السفر و المرض أوجب الإفطار و داود أوجب القضاء، و خيّر فى الإفطار، فان قدّروا فى الآية فأفطر، كان ذلك خلاف الآية، و بوجوب الإفطار فى السفر قال عمر بن الخطاب، و عبد اللّه ابن عمر، و عبد اللّه بن عباس، و عبد الرحمن بن عوف، و أبو هريرة، و عروة ابن الزبير، و أبو جعفر محمد بن على بن الحسين، و روى سعيد بن جبير عن قتادة عن جابر بن زيد عن ابن عباس: قال: الإفطار فى السفر عزيمة. و روى يوسف ابن الحكم، قال: سألت ابن عمر عن الصوم فى السفر قال: أ رأيت لو تصدقت على رجل بصدقة فردها عليك ألا تغضب، فإنها صدقة من اللّه تصدق بها عليكم، و روى عبد الملك بن حميد قال قال أبو جعفر: كان أبى لا يصوم فى السفر و ينهى عنه، و روى عن عمر، أن رجلاـ صام فى السفر، فأمره أن يعيد صومه، و روى عطا عن المحرز بن أبى هريرة قال: كنت مع أبى فى سفر فى شهر رمضان، فكنت أصوم و يفطر، فقال أبى أما أنك إذا أقمت قضيت، و روى عاصم مولى قومه: أن رجلا صام فى السفر فأمره عروة أن يقضى،

و روى الزهرى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ابن عوف قال قال رسول اللّه (ص): الصائم فى السفر كالمفطر فى الحضر.

و روى عن معاذ أن النبى (ص) قدم المدينة، فكان يصوم عاشوراء، و ثلاثة أيام من كل شهر ثم نسخ ذلك بشهر رمضان فى قوله: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ»

و اختار الطبرى هذا الوجه قال، لأنه لم ينقطع العذر برواية صحيحة أنه كان هاهنا صوم متعبد به فنسخه اللّه بشهر رمضان.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۱۸

اللغة: ..... ص : ۱۱۸

و أصل السفر الكشف تقول: سفر يسفر سفراً: إذا كشف. و أسفر لونه إسفاراً، و انسفرت الإبل: إذا انكشفت داهية انسفاراً. و سافر سفراً، و سفرت الريح السحاب إذا قشعته قال العجاج:

سفر الشمال الزّبرج المزبرجا «۱»

الزبرج السحاب الرقيق، و منه السفر، لأنه يظهر به ما لم يكن ظهر، و ينكشف به ما لم يكن انكشف، و السفرة طعام السفر، و به سميت الجلدة التى يحمل فيها الطعام سفرة، و المسفرة: المكنسة، و السفير الداخل بين اثنين للصلح، و السفير: ورق الشجر إذا سقط، و سفر

فلان شعره إذا استأصله عن رأسه، و منه قوله تعالى:

«وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ» «٢» أى مشرفة مضيئة «وَ الصُّبْحِ إِذا أَسْفَرَ» «٣» إذا أضاء. و الاسفار جمع سفر «بِأَيْدِي سَفَرَةٍ» «۴» أى كتبة.

و قوله تعالى: «وَ عَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ» يقال: طاق يطوق طوقاً و طاقة و هى القوة، و أطاقه إطاقة ايضاً إذا قوى عليه، و طوّقه تطويقاً: ألبسه الطوق، و هو معروف من ذهب كان أو فضة كأنه يكسيه قوة بما يعطيه من الجلالة، و كل شيء استدار فهو طوق، كطوق الرحا الذى يدير القطب مشبه بالطوق المعروف فى الصورة، و تطوقت الحية على عنقها: أى صارت كالطوق فيه، و الطاقة: شعبة من ريحان أو شعر و نحو ذلك، و الطاق: عقد البناء حيث ما كان، و الجمع الاطواق، و ذلك لقوته. و طوقه الأمر إذا جعله كالطوق فى عنقه.

المعنى: ..... ص : ١١٨

قال الحسن و أكثر أهل التأويل: إن هذا الحكم كان فى المراضع، و الحوامل، و الشيخ

---

(١) اللسان (سفر)، (زبرج). سفر: كشف. الشمال: ريح الشمال.

الزبرج- بكسر الزاء و سكون الباء و كسر الراء-: السحاب الرقيق فيه حمرة، و قيل: النمر بسواد و حمرة فى وجهه. و قيل: هو الخفيف الأحمر.

(٢) سورة عبس آية: ٣٨.

(٣) سورة المدثر آية: ٣۴.

(۴) سورة عبس آية: ١۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١١٩

الكبير، فنسخ من الآية المراضع، و الحوامل و بقى الشيخ الكبير. و قال أبو عبد اللّه (ع) ذلك فى الشيخ الكبير يطعم لكل يوم مسكيناً. منهم من قال: نصف صاع و هم أهل العراق. و قال الشافعى: مد عن كل يوم. و عندنا إن كان قادراً فمدان، و إن لم يقدر إلا على مد أجزاه. و قال السدى: لم ينسخ، و إنما المعنى و على الذين كانوا يطيقونه.

و قوله تعالى: «فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً» يعنى أطعم أكثر من مسكين فى قول ابن عباس، و عمل برّا فى جميع الدين فى قول الحسن، و هو أعم فائدة. و منهم من قال:

من جمع بين الصوم، و الصدقة ذهب إليه ابن شهاب. و الهاء فى قوله يطيقونه- عند أكثر أهل العلم- عائدة على الصوم، و هو الأقوى، و قال قوم: عائدة على الفداء، لأنه معلوم و إن لم يجر له ذكر. و المعنى بقوله «الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ» قيل فيه ثلاثة أقوال:

أولها- أنه سائر الناس من شاء صام، و من شاء أفطر و افتدى لكل يوم إطعام مسكين حتى نسخ ذلك- فى قول ابن عباس، و الشعبى.

الثانى- قال الحسن و عطا: إنه فى الحامل، و المرضع، و الشيخ الكبير، فنسخ من الآية الحامل، و المرضع، و بقى الشيخ الكبير. و قال السدى: إنه فيمن كان يطيقه إذا صار الى حال العجز عنه. «و من» فى قوله: «فَمَنْ تَطَوَّعَ» الظاهر، و الأليق أنها للجزاء. و يحتمل أن تكون بمعنى الذى. و ما روى فى الشواذ من قراءة من قرأ «يطوقونه» قيل فيه قولان:

أحدهما- يكلفونه على مشقة فيه، و هم لا يطيقونه لصعوبته.

الثانى- أن يكون معناه يلزمونه، و هم الذين يطيقونه، فيؤول الى معنى واحد. و من قرأ «فدية طعام مساكين» على إضافة الفدية، و جمع المساكين: عن ابن عامر و نافع، فان معنى قراءته تؤول الى قراءة من ينوّن «فِدْيَةٌ طَعامُ مِسْكِينٍ»، التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٢٠

لأن المعنى: لكل يوم يفطر طعام مسكين. و الأول يفيد هذا ايضاً، لأنه إذا قيل:

إطعام مساكين للأيام بمعنى لكل يوم مسكين، صار المعنى واحداً.

و فى الآيـة دلالـة على بطلان قول المجبرة: إن القـدرة مع الفعـل، لأنه لو كانت الاستطاعة مع الفعل الذى هو الصيام، لسقطت عنه الفدية- لأن إذا صام لم يجب عليه فدية.

و قوله: «وَ أَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ» رفع (خير)، لأنه خبر المبتدأ.

و تقديره و صومكم خير لكم، كأن هـذا مع جواز الفديـة، فأما بعـد النسخ، فلا يجوز أن يقال: الصوم خير من الفدية مع أن الإفطار لا يجوز أصلا.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۱۸۵] ..... ص : ۱۲۰

اشارة

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ هُدیً لِلنَّاسِ وَ بَیِّناتٍ مِنَ الْهُدی وَ الْفُرْقانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْکُمُ الشَّهْرَ فَلْیَصُمْهُ وَ مَنْ کانَ مَرِیضاً أَوْ عَلی سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَیَّامٍ أُخَرَ یُرِیدُ اللَّهُ بِکُمُ الْیُسْرَ وَ لا یُرِیدُ بِکُمُ الْعُسْرَ وَ لِتُکْمِلُوا الْعِدَّةَ وَ لِتُکَبِّرُوا اللَّهَ عَلی ما هَداکُمْ وَ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ (۱۸۵)

آية واحدة بلا خلاف.

القراءة: ..... ص : ۱۲۰

قرأ أبو بكر عن عاصم «و لتكملوا» بتشديد الميم. الباقون بتخفيفها. قال أبو العباس: أكملت و كمّلت بمعنى واحد إلا أن فى التشديد مبالغة. و من قرأ بالتخفيف فلقوله «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ» «۱».

اللغة: ..... ص : ۱۲۰

الشهر: معروف، و جمعه: الأشهر. و الشهور و الشهرة: ظهور الأمر فى

---

(۱) سورة المائدة آية: ۴.

شنعة. و شهرت الحديث أظهرته. و شهر فلان سيفه: إذا انتضاه. و المشهر: الذى أتى عليه شهر. و أشهرت المرأة: إذا دخلت فى شهر ولادتها. و أتان شهيرة: أى عريضة ضخمة. و المشاهرة: المعاملة شهراً بشهر. و سمى الشهر شهراً، لاشتهاره بالهلال. فأصل الباب الظهور.

و قال ابن دريد: الرمض: شدة وقع الشمس على الرمل و غيره، و الأرض رمضاء. و رمض يومنا رمضاً: إذا اشتد حرّه. و رمضان من هذا اشتقاقه، لأنهم سمّوا الشهور بالازمنة التى فيها، فوافق رمضان أيام رمض الحر، و قد جمعوا رمضان، رمضانات. قال صاحب العين: و الرمض حرقة غيظ تقول: أرمضنى هذا الأمر، و رمضت له. و الرمض: مطر يكون قبل الخريف. و أصل الباب شدة الحر.

الاعراب: ..... ص : ۱۲۱

و شهر رمضان رفع لأحد ثلاثة أشياء:

أولها- أن يكون خبر ابتداء محذوف يدل عليه «أَيَّاماً مَعْدُوداتٍ» و تقديره هى شهر رمضان.
الثانى- على ما لم يُسم فاعله، و يكون بدلا من الصيام، و تقديره «كتب عليكم الصيام» (شَهْرُ رَمَضانَ).
الثالث- أن يكون مبتدأ و خبره «الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ» و يجوز فى العربية شهر رمضان بالنصب من وجهين: أحدهما- صوموا شهر رمضان. و الآخر- على البدل من أيام.

المعنى: ..... ص : ۱۲۱

و قوله «أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قال ابن عباس، و سعيد بن جبير، و الحسن:
إن اللَّه تعالى أنزل جميع القرآن فى ليلة القدر إلى السماء الدنيا، ثم أنزل على النبى (ص) بعد ذلك التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۲۲
نجوماً. و هو المروى عن أبى عبد اللَّه (ع).
و الثانى- أنه ابتدأ إنزاله فى ليلة القدر من شهر رمضان. فان قيل كيف يجوز إنزاله كله فى ليلة، و فيه الاخبار عما كان، و لا يصلح ذلك قبل أن يكون؟
قلنا: يجوز ذلك فى مثل قوله: «وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَ أَنْتُمْ أَذِلَّةٌ» «۱» و قوله:
«لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِی مَواطِنَ کَثِیرَةٍ وَ یَوْمَ حُنَیْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْکُمْ کَثْرَتُکُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْکُمْ شَیْئاً وَ ضاقَتْ عَلَیْکُمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّیْتُمْ مُدْبِرِینَ» «۲» على إذا كان وقت كذا أنزل «لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ» كما قال تعالى «وَ نادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ» «۳» أى إذا كان يوم القيامة «نادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ».

الاعراب: ..... ص : ۱۲۲

و قوله تعالى: «هُدىً لِلنَّاسِ» موضعه نصب على الحال، كأنه قال: أنزل فيه القرآن هادياً للناس. و لا يحتمل سواه، لقوله «وَ بَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى .

اللغة: ..... ص : ۱۲۲

و القرآن اشتقاقه قرأ يقرأ قراءة، و أقرأه إقراء. و قال صاحب العين: رجل قارء: أى عابد ناسك، و فعله التقرى و القراءة، و أقرأت المرأة: إذا حاضت.
و قرأت الناقة: إذا حملت. و القرء: الحيض، و قد جاء بمعنى الطهر. و أصل الباب الجمع، لقولهم ما قرأت الناقة سلاقط: أى ما جمعت رحمها على سلاقط. و فلان قرأ، لأنه جمع الحروف بعضها الى بعض. و القرء الحيض، لاجتماع الدم فى ذلك الوقت. و الفرقان: هو الذى يفرق بين الحق، و الباطل، و المراد به القرآن هاهنا.

المعنى: ..... ص : ۱۲۲

و قوله: «فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ» قيل فى معناه قولان:

(١) سورة آل عمران آية: ١٢٣.

(٢) سورة التوبة آية: ٢۶.

(٣) سورة الاعراف آية: ۴٣.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٢٣

أحدهما- من شاهد منكم الشهر مقيما. و الثانى- من شهده بان حضره، و لم يغب، لأنه يقال: شاهد: بمعنى حاضر. و شاهد: بمعنى مشاهد. و

روى عن ابن عباس، و عبيدة السلمانى، و مجاهد، و جماعة من المفسرين، و رووه عن على (ع) أنهم قالوا: من شهد الشهر بأن دخل عليه الشهر، كره له أن يسافر حتى يمضى ثلاث و عشرون من الشهر إلا أن يكون واجباً كالحج، أو تطوعاً كالزيارة، فان لم يفعل، و خرج قبل ذلك كان عليه الإفطار، و لم يجزه الصوم.

و قوله تعالى: «فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ» ناسخ الفدية- على قول من قال بالتخيير- و ناسخ للفدية ايضاً فى المراضع و الحوامل- عند من ذهب اليه- و بقى الشيخ الكبير، له أن يطعم، و لم ينسخ. و عندنا أن المرضعة و الحامل إذا خافا على ولدهما أفطرتا و كفرّتا، و كان عليهما القضاء فيما بعد إذا زال العذر. و به قال جماعة من المفسرين، كالطبرى و غيره.

و قوله: «وَ مَنْ كانَ مَرِيضاً أَوْ عَلى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ» قد بينا أنه يدلّ على وجوب الإفطار- فى السفر-، لأنه أوجب القضاء بنفس السفر، و المرض.

و كل من قال ذلك أوجب الإفطار. و من قدر فى الآية أو على سفر فأفطر فعدة من أيام أخر، زاد فى الظاهر ما ليس فيه. فان قيل: هذا كقوله «فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيامٍ» «١» و معناه فحلق. قلنا: إنما قدرنا هناك فحلق للإجماع على ذلك، و ليس هاهنا إجماع، فيجب أن لا يترك الظاهر، و لا يزاد فيه ما ليس فيه.

اللغة: ..... ص : ١٢٣

و قوله تعالى: «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ» قال صاحب العين: الارادة: أصلها الواو، لأنك تقول: راودته على أن يفعل كذا و كذا، مراودة. و منه راد، يرود، رواداً، فهو رائد بمعنى الطالب شيئاً. و يقال أرود فلان إرواداً: إذا رفق

---

(١) سورة البقرة آية: ١٩.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٢۴

فى مشى أو غيره. و منه رويداً فلاناً: أى أمهله يتفسح منصرفاً. و منه ارتاد ارتياداً كقولك: طلب طلباً، و الرود: الميل. و فى المثل (الرائد لا يكذب أهله) أى الطالب صلاحهم لا يكذبهم، لأنه لو كذّبهم غشهم. و أصل الباب الطلب. و الارادة بمنزلة الطلب للمراد، لأنها كالسبب له.

و اليسر ضد العسر. يقال: أيسر إيساراً، و يسره تيسيراً، و تيسر تيسراً، و تياسر تياسراً، و استيسر استيساراً. و اليسار: اليد اليسرى. و اليسار: الغنى، و السعة. و اليسر: الجماعة الذين يجتمعون على الجزور فى الميسر، و الجمع: الإيسار.

و فرس حسن التيسور: إذا كان حسن السمن «١». و أصل الباب السهولة.

و العسر ضد اليسر. و عسر الشيء عسراً. و رجل عسر بيّن العسر. و رجل أعسر: يعمل بشماله. و أعسر الرجل إعساراً: إذا افتقر. و العسير الناقة التى اعتاضت فلم تحمل من سنتها. و بعير عسران إذا رُكب قبل أن يُراض. و أصل الباب الصعوبة.

و قوله تعالى: «وَ لِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ» يقال: كمل يكمل كمالا، و أكمل إكمالا، و تكامل تكاملا، و كمله تكميلا، و استكمل استكمالا، و

تكمل تكملا. و أصل الباب الكمال، و هو التمام.

الاعراب: ..... ص : ١٢٤

و عطف باللام فى قوله تعالى: «وَ لِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ» على أحد أمرين:

أحدهما- عطف جملة على جملة، لأن بعده محذوفاً، كأنه قال: و لتكملوا العدة شرع ذلك أو أريد. و مثله قوله تعالى: «وَ كَذلِكَ نُرِى إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ» «٢» أى أريناه. هذا قول الفراء.

الثانى- أن يكون عطفاً على تأويل محذوف دلّ عليه ما تقدم من الكلام، لأنه لما قال: «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَ لا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ» دلّ على أنه فعل ذلك ليسهل عليكم، فجاز «وَ لِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ» عطفاً عليه. قال الشاعر:

---

(١) حسن ساقطة من المطبوعة، السمن- بكسر السين و فتح الميم. [.....]

(٢) سورة الانعام آية: ٧٥.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٢٥

يا رب غيرّ آيهن مع البلى إلا رواكد جمرهنّ هباء

و مشجج أمّا سواء قذاله فبدا و غيّب ساره المعزاءُ «١»

فعطف على تأويل الكلام الأول كأنه قال: بها رواكد، و مشجج. و هذا قول الزجاج و هو الأجود، لأن العطف يعتمد على ما قبله، لا على ما بعده. و عطف الظرف على الاسم فى قوله: «وَ مَنْ كانَ مَرِيضاً أَوْ عَلى سَفَرٍ» جائز، لأنه معنى الاسم، و تقديره أو مسافراً، و مثله قوله: «دَعانا لِجَنْبِهِ أَوْ قاعِداً أَوْ قائِماً» كأنه قال مضطجعاً أو قائماً أو قاعداً.

المعنى: ..... ص : ١٢٥

و اليسر المذكور فى الآية: الإفطار فى السفر- فى قول ابن عباس، و مجاهد، و قتادة، و الضحاك.

و العسر: الصوم فيه و فى المرض. و العدة: المأمور بإكمالها، و المراد بها: أيام السفر، و المرض الذى أمر بالإفطار فيها و قال الضحاك، و ابن زيد: عدة ما أفطروا فيه.

و قوله «وَ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ» المراد به تكبير ليلة الفطر عقيب أربع صلوات:

المغرب، و العشاء الآخرة، و صلاة الغداة، و صلاة العيد- على مذهبنا-. و قال ابن عباس، و زيد بن أسلم، و سفيان، و ابن زيد: التكبير يوم الفطر.

و فى الآية دلالة على فساد قول المجبرة من ثلاثة أوجه:

أحدها- قوله «هُدىً لِلنَّاسِ» فعمّ بذلك كل إنسان مكلف، و هم يقولون ليس يهدى الكفار.

---

(١) اللسان (شجج) ذكر البيت الثانى فقط. غير: بدل. آيهن جمع آية و هى العلامة.

و الرواكد هى حجارة توضع تحت القدر. مشجج: مضروب. قذال: مجمع عظم الرأس بدا ظهر و بان. ساره: جميعه. المعزاء: الأرض الصلبة ذات الحجارة. يقول رب لا تترك لهن علامة، و افنهن جميعاً سوى حجارة الموقد، و مكسرات الرأس، و اجعل أرضهن صلبة و فيها حجارة قد رماها العدو حتى غطت عليهن جميعاً.

التبيان فی تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۲۶

الثانی- قوله تعالى «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَ لا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ» و المجبرة تقول: قد أراد تكليف العبد ما لا يطيق مما لم يعطه عليه قدرة، و لا يعطيه، و لا عسر أعسر من ذلك.

الثالث- لو أن إنساناً حمل نفسه على المشقة الشديدة التی يخاف معها التلف فی الصوم لمرض شديد لكان عاصياً، و لكان قد حمل نفسه على العسر الذی أخبر اللَّه أنه لا يريده بالعبد. و المجبرة تزعم أن كلما يكون من العبد من كفر أو عسر أو غير ذلك من أنواع الفعل يريده اللَّه.

مسائل من أحكام الصوم ..... ص : ۱۲۶

يجوز قضاء شهر رمضان متتابعاً، و متفرقاً، فالتتابع أفضل. و به قال مالك، و الشافعی. و قال أهل العراق: هو مخير. و من أفطر فی شهر رمضان متعمداً بالجماع فی الفرج لزمه القضاء، و الكفارة- عندنا- و الكفارة: عتق رقبة، فان لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فان لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً. و به قال أبو حنيفة، و الشافعی. و قال مالك هو بالخيار. و فی أصحابنا من قال بذلك. و الإطعام لكل مسكين نصف صاع- عندنا- و به قال أبو حنيفة، فان لم يقدر فمد. و به قال الشافعی، و لم يعتبر العجز. فان جامع ناسياً، فلا شیء عليه. و قال مالك: عليه القضاء. و من أكل متعمداً أو شرب فی نهار شهر رمضان لزمه القضاء، و الكفارة- عندنا- و هو قول أبی حنيفة و مالك. و قال الشافعی: لا كفارة عليه، و عليه القضاء و الناسی لا شیء عليه- عندنا- و عند أهل العراق، و الشافعی. و قال مالك عليه القضاء. و من أصبح جنباً متعمداً من غير ضرورة لزمه- عندنا- القضاء و الكفارة. و قال ابن حی عليه القضاء استحباباً. و قال جميع الفقهاء لا شیء عليه.

و من ذرعه القیء، فلا شیء عليه، فان تعمده كان عليه القضاء، و به قال أبو حنيفة و الشافعی و مالك، و قال الأوزاعی: إن غلبه، فعليه القضاء بلا كفارة. و إن التبيان فی تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۲۷

استدعاه فعليه القضاء، و الكفارة. و من أكل حصى أو نوى متعمداً فعليه القضاء، و الكفارة. و به قال مالك و الأوزاعی. و قال أهل العراق عليه القضاء بلا كفارة.

و قال ابن حی لا قضاء و لا كفارة.

و إذا احتلم الصبی يوم النصف من شهر رمضان صام ما بقی، و لا قضاء عليه فيما مضى، و يمسك بقية يومه تأديباً، فان أفطر فيه فلا قضاء عليه. و به قال أهل العراق. و قال مالك: أحب الی أن يقضی ذلك اليوم، و ليس بواجب. و قال الاوزاعی: يصوم ما بقی، و يقضی ما مضى منه.

و حكم الكافر إذا أسلم حكم الصبی إذا احتلم فی جميع ذلك. و المجنون، و المغمى عليه فی الشهر كله لا قضاء عليه- عندنا- بدلالة قوله تعالى: «فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ، فَلْيَصُمْهُ وَ مَنْ كانَ مَرِيضاً أَوْ عَلى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ» و إنما أراد من شهد الشهر و هو ممن يتوجه اليه الخطاب، و المجنون و المغمى عليه ليس بعاقل يتناوله الخطاب.

و قوله «وَ مَنْ كانَ مَرِيضاً أَوْ عَلى سَفَرٍ» المراد به إذا كان مريضاً عاقلا، يشق عليه الصوم، أو يخاف على نفسه منه، فيلزمه «فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ». و قال أهل العراق:

إن لم يفق المجنون فی جميع الشهر، فلا قضاء عليه، و ان أفاق فی بعضه فعليه قضاؤه كله.

و أما المغمى عليه فی الشهر كله، فعليه قضاؤه، لأنه بمنزلة المريض. و قال حسن بن صالح، و مالك: المجنون، و المغمى عليه سواء، عليه قضاء الشهر كله إن جن فی الشهر كله، و أغمی عليه فيه. و قال الأوزاعی: المجنون، و المغمى عليه سواء، لا قضاء على واحد منهما ما مضى من الشهر، و يقضی ما بقی منه، فان أفاق بعد ما خرج الشهر كله فلا قضاء عليه. و هذا مثل ما قلناه. و قال الشافعی:

يقضى المغمى عليه، و لا يقضى المجنون.

و الحامل، و المرضع، و الشيخ الكبير إذا أفطروا، قال أهل العراق: فى الحامل، و المرضع، يخافان على ولدهما: يفطران، و يقضيان يوماً مكانه، و لا صدقة عليهما، و لا كفارة، و به قال قوم من أصحابنا. و قال مالك الحامل تقضى، و لا تطعم و المرضع: تقضى، و تطعم لكل يوم مدّاً. و قال الشافعى فى رواية المزنى: التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٢٨

عليهما القضاء فى الوجهين، و تطعم لكل يوم مدّا، و هو مذهبنا، و المعمول عليه.

و فى رواية البزنطى عن الشافعى مثل قول مالك. و الشيخ الكبير الذى لا يطيق الصوم يفطر و يتصدق مكان كل يوم نصف صاع فى قول أهل العراق، و هو مذهبنا.

و قال الشافعى: مدّ لكل يوم. و قال مالك: يفطر و لا صدقة عليه. و السفر الذى يوجب الإفطار: ما كان سفراً حسناً، و كان مقداره ثمانية فراسخ: أربعة و عشرين ميلا. و عند الشافعى: ستة عشر فرسخاً. و عند أبى حنيفة: أربعة و عشرون فرسخاً.

و قال داود: قليله، و كثيره يوجب الإفطار. و المرض الذى يوجب الإفطار:

ما يخاف معه التلف أو الزيادة المفرطة فى مرضه. و روى أنه كل مرض لا يقدر معه على القيام مقدار صلاته، و به قال الحسن، و عبيدة السلمانى، و فى ذلك خلاف بين الفقهاء ذكرناه فى الخلاف.

و من قال: إن قوله تعالى: «وَ لِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ» يدل على أن شهر رمضان لا ينقص أبداً، فقد أبعد من وجهين:

[الاول ، لأن قوله «وَ لِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ» معناه و لتكملوا عدة الشهر سواء كان الشهر تاماً أو ناقصاً.

و الثانى- أن ذلك راجع الى القضاء، لأنه قال عقيب ذكر السفر، و المرض:

«فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَ لا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَ لِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ» يعنى عدة ما فاته، و هذا بيّن.

قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ١٨۶] ..... ص : ١٢٨

اشارة

وَ إِذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَ لْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨۶)

آية بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٢٩

النزول: ..... ص : ١٢٩

روى عن الحسن: أنّ سائلا- سأل النبى (ص) أ قريب ربّنا فتناجيه أم بعيد فتناديه، فنزلت الآية. قال قتادة: نزلت جواباً لقوم سألوا النبى (ص) كيف تدعو.

المعنى: ..... ص : ١٢٩

و قوله تعالى: «وَ إِذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ» معناه: إن اقتضت المصلحة إجابته، و حسن ذلك، و لم تكن فيه مفسدة «١». فأما أن يكون قطعاً لكل من يسأل فلا- بد أن يجيبه، فلا- على أن الداعى لا- يحسن منه السؤال إلا بشرط ألّا يكون فى إجابته مفسدة، لا له، و لا لغيره، و إلّا كان الدعاء قبيحاً. و لا يجوز أن يقيد الاجابة بالمشيئة بأن يقول: إن شئت، لأنه يصير الوعد به لا فائدة فيه، فمن أجاز ذلك فقد أخطأ. فان قيل: إذا كان لا يجيب كل من دعا، فما معنى الآية؟ قلنا معناه أن من دعا- على شرائط الحكمة

التى قدمناها، و اقتضت المصلحة إجابته- أجيب لا محالة، بان يقول: اللهم افعل بى كذا إن لم يكن فيه مفسدة لى أو لغيرى فى الدين «٢» أو دنيوى. هذا فى دعائه.

و فى الناس من قال: إن اللّه وعد باجابة الدعاء عند مسألة المؤمنين دون الكفار، و الفاسقين. و المعتمد هو الاول. فان قيل: إذا كان ما تقضيه الحكمة لا بد أن يفعل به، فلا معنى للدعاء! قلنا عنه جوابان:

أحدهما- أن ذلك عبادة كسائر العبادات. و مثله قوله: «رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ».

و الثانى- انه لا يمتنع أن تقتضى المصلحة إجابته إذا دعا. و متى لم يدع لم تقتض الحكمة إجابته.

فان قيل: هل يجوز أن تكون الاجابة غير ثواب؟ قلنا فيه خلاف. قال

---

(١) فى المطبوعة (فئة).

(٢) هكذا فى المطبوعة و الأولى أن يكون (فى أمر دينى).

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٣٠

أبو على لا يكون إلا ثواباً، لأن من أجابه اللّه، يستحق المدح فى دين المسلمين، فلا يجوز أن يجيب كافراً، و لا فاسقاً. و كان أبو بكر بن الأخشاد يخبر ذلك فى العقل على وجه الاستصلاح له. و هذا الوجه أقرب الى الصواب.

و الدعاء: طلب الطالب للفعل من غيره. و يكون الدعاء للّه على وجهين:

أحدهما- طلب فى مخرج اللفظ، و المعنى على التعظيم و المدح، و التوحيد:

كقولك: يا اللّه لا إله إلا أنت، و قولك: ربّنا لك الحمد.

الثانى- الطلب لأجل الغفران أو عاجل الانعام كقولك: أللهم اغفر لى و ارحمنى، و ارزقنى، و ما أشبه ذلك.

و قوله: «فَإِنِّي قَرِيبٌ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- إنى قريب الاجابة: سريع الاجابة، فجاز ذلك لمشاكلة معنى قريب لسريع.

الثانى- قريب-، لأنه يسمع دعاءهم كما يسمعه القريب المسافة منهم، فجاز لفظة قريب، فحسن البيان بها. فأما قريب المسافة، فلا يجوز عليه تعالى، لأنه من صفات المحدثات.

اللغة: ..... ص : ١٣٠

و قوله «أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعانِ» فالاجابة من الجواب، و هو القطع.

يقال: جاب البلاد يجوب جوباً إذا قطع. و منه قوله تعالى: «وَ ثَمُودَ الَّذِينَ جابُوا الصَّخْرَ بِالْوادِ» «١» أى قطعوه. و أجاب اللّه دعاءه إجابة، و أجاب فلان عن السؤال جواباً. و أجاب الظلام إذا قطعه. و استجاب له استجابة. و جاوبه مجاوبة، و تجاوب تجاوباً، و انجاب السحاب: إذا انقشع. و أصل الباب القطع، فاجابة السائل:

القطع بما سأل، لأن سؤاله على الوقف أ يكون أم لا يكون.

---

(١) سورة الفجر آية: ٩.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٣١

الاعراب: ..... ص : ١٣١

و قوله تعالى «فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي» هذه لام الأمر، لا بد منها للغائب. و أما للحاضر «١»، فيجوز فيه إثباتها و إسقاطها. كقولك قم و لتقم. و الأصل فيها أن تكون مكسورة. و يجوز فيها السكون إذا اتصلت بحرف واحد كالفاء فأما ثم، فالوجه معها الكسر، لأنها منفصلة و إنما جاز فيها السكون دون لام كى لأنه لما كان عملها التسكين جاز فيها، لايذانه بعملها.

المعنى: ..... ص : ١٣١

و قال أبو عبيدة: استجاب، و أجاب بمعنى واحد. و أنشد لكعب بن سعد الغنوى:

و داع دعا يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب «٢»

أى لم يجبه. و قال المبرد: هذا لا يجوز، لأن فى الاستجابة معنى الإذعان، و ليس ذلك فى الاجابة. و قوله «لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ» فى لعلّ جوابان:

أحدهما- ليرشدوا، فتكون دالة على العوض فى الاجابة، من اللّٰه تعالى للعبد.

الثانى- على الرجاء و الطمع، لأن يرشدوا، و يكون متعلقاً بفعل العباد.

و الرشد: نقيض الغيّ. يقال: رشد يرشد رشداً، و رشد يرشد رشاداً، و أرشده إرشاداً و استرشد استرشاداً، و هو لرشدة خلاف لزنية. و أصل الباب إصابة الخير، فمنه الإرشاد: الدلالة على وجه الاصابة للخبر.

و روى عن أبى عبد اللّٰه (ع) أنه قال: «وَ لْيُؤْمِنُوا بِي» أى و ليتحققوا أنى قادر على إعطائهم ما سألوا

قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ١٨٧] ..... ص : ١٣١

اشارة

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيامِ الرَّفَثُ إِلى نِسائِكُمْ هُنَّ لِباسٌ لَكُمْ وَ أَنْتُمْ لِباسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتابَ عَلَيْكُمْ وَ عَفا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَ ابْتَغُوا ما كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيامَ إِلَى اللَّيْلِ وَ لا تُباشِرُوهُنَّ وَ أَنْتُمْ عاكِفُونَ فِي الْمَساجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوها كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آياتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٨٧)

---

(١) فى المطبوعة (قلنا الحاضر) و هو تحريف.

(٢) أمالى الغالى ٢: ١۵١. و الأصمعيات: ١۴، و اللسان (جوب) و هو من قصيدة يرثى بها أخاه أبا المغوار.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٣٢

آية واحدة بلا خلاف.

المعنى: ..... ص : ١٣٢

الرفث الجماع هاهنا بلا خلاف، و فى قراءة ابن مسعود «فلا رفوث»، و قيل: أصله فاحش القول فكنّى به عن الجماع قال العجاج:

عن اللّغا و رفث التكلم «١»

و الرفث و الترفث: قول الفحش يقال رفث يرفث رفثاً.

و روى عن أبى جعفر و أبى عبد اللَّه (ع) كراهية الجماع فى أول ليلة من كل شهر، إلا أول ليلة من شهر رمضان لمكان الآية و الأشبه أن يكون المراد بليلة الصيام ليالى الشهر كله. و إنما ذكر بلفظ التوحيد، لأنه اسم جنس يدلّ على التكثير.

و معنى قوله: «هُنَّ لِباسٌ لَكُمْ» أنهن يصرن بمنزلة اللباس، كما قال النابغة الجعدى:

(۱) ديوانه: ۵۹ من رجز له طويل، حمد فيه اللَّه و مجده بقوله:

فالحمد للّه العلى الأعظم ذى الجبروت و الجلال الأفخم

الى أن قال:

و رب أسراب حجيج كظم عن اللغا و رفث التكلم

و الاسراب: القطيع من القطا أو الظباء أو الشاء أو النساء. يقصد به الحجاج. و الكظم- بفتح الكاف و الظاء- السكوت عن الكلام و حبس النفس فى الصدر. اللغا: ما لا يعتد به من الكلام. رفث التكلم: عطف بيان على اللغا.

إذا ما الضجيع ثنى عطفه تثنت عليه فكانت لباسا «۱»

و قال قوم: معناه هنّ سكن لكم، كما قال: «وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِباساً» «۲» أى سكناً. و اللباس الثياب التى من شأنها أن تستر الأبدان، و يشبه بها الأغشية فيقال لبّس السيف بالحلية.

و قوله تعالى: «عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتانُونَ أَنْفُسَكُمْ» معناه أنهم كانوا لما حرم عليهم الجماع فى شهر رمضان بعد النوم. خالفوا فى ذلك فذكرهم اللَّه بالنعمة فى الرخصة التى نسخت تلك الفريضة. فان قيل: أ ليس الخيانة انتقاض الحق على جهة المساترة، فكيف يساتر نفسه؟ قلنا عنه جوابان:

أحدهما- أن بعضهم كان يساتر بعضاً فيه فصار كأنه يساتر نفسه، لأن ضرر النقص و المساترة داخل عليه.

الثانى- أنه يعمل عمل المساتر له فهو يعمل لنفسه عمل الخائن له.

و يقال: خانه يخونه خوناً و خيانة، و خونه تخويناً، و اختانه اختياناً، و تخوّنه تخوناً، و التخون: التنقص، و التخون: تغيير الحال الى ما لا ينبغى «و خائِنَةَ الْأَعْيُنِ»: «۳» مشارفة النظر الى ما لا يحل. و أصل الباب منع الحق.

و قوله تعالى: «فَتابَ عَلَيْكُمْ» أى قبل توبتكم على ما بيناه فيما تقدم. و قوله تعالى: «وَ عَفا عَنْكُمْ» فيه قولان:

أحدهما- غفر ذنبكم. الثانى- أزال تحريم ذلك عنكم، و ذلك عفو عن تحريمه عليهم. و قوله تعالى: «فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ» أى جامعوهن، و معناه الاباحة دون الأمر، و المباشرة إلصاق: البشرة بالبشرة، و هى ظاهر أحد الجلدين بالآخر.

و قوله تعالى: «وَ ابْتَغُوا ما كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال الحسن، و غيره: يعنى طلب الولد.

(۱) الشعر و الشعراء: ۲۲۵، و مجاز القرآن لابى عبيدة: ۶۷. و تأويل مشكل القرآن: ۱۰۷، و فى بعضها (تداعت) بدل (تثنت).

(۲) سورة عم آية: ۱۰.

(۳) سورة المؤمن آية: ۱۹.

الثانى- قال قتادة: يعنى الحلال الذى بيّنه اللَّه فى الكتاب، و الابتغاء:

الطلب للبغية، و قوله «وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا» إباحة للأكل و الشرب «حَتَّى يَتَبَيَّنَ» أى يظهر، و التبين: تميز الشيء الذى يظهر للنفس على التحقيق «الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ» يعنى بياض الفجر من سواد الليل. و قيل: خيط الفجر الثانى مما كان فى موضعه من الظلام. و قيل النهار من الليل، فأول النهار طلوع الفجر الثانى لأنه أوسع ضياء. قال أبو داود «١».

فلما أضاءت لنا سدفة و لاح من الصبح خيط أنارا «٢»

و روى عن حذيفة، و الأعمش، و جماعة: أن الخيط الأبيض: هو ضوء الشمس، و جعلوا أول النهار طلوع الشمس، كما أن آخره غروبها بلا خلاف فى الغروب.

و أكثر المفسرين على القول الأول، و عليه جميع الفقهاء، لا خلاف فيه بين الأمة اليوم.

اللغة: ..... ص : ١٣٤

و الخيط فى اللغة معروف يقال خاط يخيط خياطة، فهو يخيط، و خيّطه تخييطاً. و الخيط: القطيع من النعام. و نعامة خيطاء: قيل: خيطها طول قصبتها، و عنقها. و قيل: اختلاط سوادها ببياضها، و كلاهما يحتمل، فالأول، لأنه كالخيط الممدود. و الثانى- لأنه كاختلاط خيوط بيض بسود. و المخيط الابرة. و نحوها مما يخاط به. و الأبيض نقيض الأسود. و البياض ضد السواد يقال: أبيض، و ابياض ابيضاضاً و بيّضه تبييضاً، و تبيّض تبيضاً. و بيضة الطير، و بيضة الحديد، و بيضة الإسلام مجتمعه، و ابتاضوهم أى استأصلوهم، لأنهم اقتلعوا بيضهم و أصل الباب البياض.

و اسود، و اسوادّ اسوداداً، و سوده تسويداً، و تسود تسوداً، و ساوده

---

(١) هو أبو داود: الايادى.

(٢) اللسان (خيط) و الأصمعيات: ٢٨ و رواية الأصمعيات (خير أنارا) فى المطبوعة (غدوة) بدل (سدفة) و معناهما متقارب، لأن السدفة: ظلمة الليل فى لغة نجد، و الضوء فى لغة قيس و هى أيضا اختلاط للضوء و الظلمة جميعاً.

سواداً: أى ساده سواداً، لأن الخفاء فيه كخفاء الشخص فى سواد الليل. و سواد العراق: سمى به لكثرة الماء، و الشجر الذى تسودّ به الأرض. و سواد كل شيء شخصه. و الأسود من الحية يجمع أساود. و سويداء القلب، و سوداؤه دمه الذى فيه فى قول: ابن دريد. و قيل حبة القلب، لأنه فى سواد من الظلمة. و ساد سؤدداً، فهو سيد، لأنه ملك السواد الأعظم، و المسود: الذى قد ساده غيره.

المعنى: ..... ص : ١٣٥

و قوله «مِنَ الْفَجْرِ» يحتمل معنيين:

أحدهما- أن يكون بمعنى التبعيض، لأن المعنى من الفجر، و ليس الفجر كله.

هذا قول ابن دريد.

الثانى- بمعنى تبين الخيط، كأنه قال: الخيط الذى هو الفجر.

و قوله: «ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيامَ إِلَى اللَّيْلِ» قد بينا حقيقة الصيام فيما مضى.

و الليل هو بعد غروب الشمس، و علامة دخوله على الاستظهار سقوط الحمرة من جانب المشرق، و إقبال السواد منه، و إلا فإذا غابت الشمس مع ظهور الآفاق فى الأرض المبسوطة و عدم الجبال، و الرواسى، فقد دخل الليل.

و قوله تعالی: «وَ لا تُبَاشِرُوهُنَّ» قیل فی معناه قولان هاهنا:

قال ابن عباس، و الضحاک، و الحسن، و قتادة، و غیرهم: أراد به الجماع.

و قال ابن زید، و مالک: أراد الجماع. کلما کان دونه من قبلة، و غیرها.

و هو مذهبنا.

و قوله تعالی: «وَ أَنْتُمْ عاکِفُونَ فِی الْمَساجِدِ» فالاعتکاف- عندنا- هو اللبث فی أحد المساجد الأربعة: المسجد الحرام أو مسجد النبی (ص) أو مسجد الکوفة أو مسجد البصر، للعبادة من غیر اشتغال بما یجوز ترکه من أمور الدنیا.

و له شرائط- ذکرناها فی کتب الفقه- و أصله اللزوم. قال الطرماح: التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۱۳۶

فبات بنات اللیل حولی عکفاً عکوف البواکی بینهن صریع «۱»

و قال الفرزدق:

تری حولهن المعتفین کأنهم علی صنم فی الجاهلیة عکف «۲»

اللغة: ..... ص : ۱۳۶

و قوله تعالی: «تِلْکَ حُدُودُ اللَّهِ». فالحدّ علی وجوه:

أحدها- المنع، یقال: حدّه عن کذا حدّا أی منعه. و الحدّ حدّ الدار.

و الحدّ الفرض من حدود اللّه أی فرائضه، الحد الجلد للزانی، و غیره. و الحد: حد السیف، و ما أشبهه. و الحد فی الحلق: الحدة. و الحد: الفرق بین الشیئین. و الحد منتهی الشیء. و حد الشراب: صلابته. و إحداد المرأة علی زوجها: امتناعها من الزینة و الطیب. و إحداد السیف: إشحاذه. و إحداد النظر الی الشیء التحدیق إلیه. و الحدید معروف، و صانعه الحداد. و الحداد السجان. و الاستحداد حلق الشیء بالحدید. و حاددته: عاصیته، و منه قوله تعالی «إِنَّ الَّذِینَ یُحَادُّونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» «۳» و أصل الباب المنع. و الحدّ: نهایة الشیء التی تمنع أن یدخله ما لیس منه، و أن یخرج عنه ما هو منه.

أحکام الاعتکاف: ..... ص : ۱۳۶

و لا یجوز الاعتکاف إلا بصوم، و به قال أبو حنیفة، و أصحابه، و مالک ابن أنس. و قال الشافعی یصح بلا صوم، و به قال الحسن إلا أن یشرط. و عندنا

---

(۱) دیوانه: ۱۵۳، و اللسان (بنی) و روایته (تظل) بدل (فبات) و (قتیل) بدل (صریع). بنات اللیل: الهموم. و قیل الأحلام. و الأول ألیق فی هذا. کأنه یقول: ان الهموم تراکمت علی. کتراکم النساء علی القتیل. [.....]

(۲) دیوانه: ۵۶۱، و النقائض: ۵۶۳. فی المطبوعة (العقین) بدل (المعتفین) و المعتفون: الذین جاءوا یطلبون الرزق، یصفهم: جمعاً قد وقفوا ینتظرون الطعام و العطاء متلهفین.

و هو لیس بذم لهم بل مدح بالمعطی لهم.

(۳) سورة المجادلة آیة ۵، ۲۰.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۱۳۷

لا یکون أقل من ثلاثة أیام، و به قال أهل المدینة. و قال أهل العراق: الاعتکاف جائز فی کل مسجد یصلی فیه جماعة. و قال مالک:

لا اعتکاف إلا فی موضع یصلی فیه الجمعة من المصر. و قال أهل العراق: المرأة تعتکف فی مسجد بیتها. و قال مالک: لا تعتکف إلا فی مسجد جماعة. و قال الشافعی: المرأة و العبد یعتکفان، و کذلک المسافر حیث شاءوا. و قد بینا ما عندنا فی ذلک. و لا فرق بین الرجل و المرأة فیه. و قال مالک: لا یکون الاعتکاف أقل من عشرة أیام. و عند أهل العراق یکون یوماً.

و مسائل الاعتکاف قد بیناها فی النهایة، و المبسوط فی الفقه، فلا نطول بذکرها. و المختلف فیها ذکرناه فی مسائل الخلاف.

سبب النزول: ..... ص : ۱۳۷

و قیل أن هذه الآیة نزلت فی شأن أبی قیس بن صرمه، فکان یعمل فی أرض له، فأراد الأکل، فقالت امرأته: یصلح لک شیئاً فغلبت عیناه، ثم قدمت إلیه الطعام، فلم یأکل، فلما أصبح لاقی جهداً، فأخبر رسول اللَّه (ص) بذلک، فنزلت هذه الآیة.

و روی أن عمراً أراد أن یوقع زوجته فی اللیل، فقالت: إنی نمت فظن أنها تعتل علیه، فوقع علیها، ثم أخبر النبی (ص) بذلک من الغد، فنزلت الآیة فیهما.

المعنی: ..... ص : ۱۳۷

و قوله تعالی: «کَذلِکَ یُبَیِّنُ اللَّهُ آیاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ یَتَّقُونَ» یعنی ما بین لهم من الأدلة علی ما أمرهم به، و نهاهم عنه، لکلی یتقوا معاصی، و تعدی حدوده التی أمرهم اللَّه بها، و نهاهم عنها، و أباحهم إیاها. و فی ذلک دلالة علی أنه تعالی: أراد التقوی من جمیع الناس: الذین بین لهم هذه الحدود.

و روی عن أبی عبد اللَّه (ع) أنها نزلت فی خوات بن جبیر مثل قصة أبی قیس بن صرمه.

و أنه کان ذلک یوم التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۱۳۸

الخندق. و روی عن أبی جعفر (ع) حدیث أبی قیس سواء.

قوله تعالی:[سورة البقرة (۲): آیة ۱۸۸] ..... ص : ۱۳۸

اشارة

وَ لا تَأْکُلُوا أَمْوالَکُمْ بَیْنَکُمْ بِالْباطِلِ وَ تُدْلُوا بِها إِلَی الْحُکَّامِ لِتَأْکُلُوا فَرِیقاً مِنْ أَمْوالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۱۸۸)

آیة

المعنی: ..... ص : ۱۳۸

قوله تعالی: «وَ لا تَأْکُلُوا أَمْوالَکُمْ بَیْنَکُمْ بِالْباطِلِ» قیل فی معناه قولان:

أحدهما- أن یکون ذلک علی جهة الظلم، نحو الخیانة، و السرقة، و الغصب، و یکون التقدیر لا یأکل بعضکم أموال بعض بالباطل کأکل مال نفسة بالباطل، و مثله «وَ لا تَلْمِزُوا أَنْفُسَکُمْ» «۱» و معناه لا یلمز بعضکم بعضاً. و قوله: «وَ لا تَقْتُلُوا أَنْفُسَکُمْ» «۲» و المعنی لا یقتل بعضکم بعضا.

الثانی- لا تأکلوه علی وجه الهزء و اللعب، مثل ما یوجد فی القمار و الملاهی و نحوها، لأن کل ذلک من أکل المال بالباطل.

و قال أبو جعفر (ع) «لا تَأْکُلُوا أَمْوالَکُمْ بَیْنَکُمْ بِالْباطِلِ» یعنی بالیمین الکاذبة یقتطعون بها الأموال،

و قال أبو عبد اللَّه (ع): علم اللَّه أنه سيكون فى هذه الأمة حكام يحكمون بخلاف الحق، فنهى اللَّه المؤمنين أن يتحاكموا إليهم، و هم يعلمون أنهم لا يحكمون بالحق.
و قوله تعالى: «وَ تُدْلُوا بِها إِلَى الْحُكّامِ» فالحكم هو الخبر الذى يفصل به بين الخصمين يمنع كل واحد من منازعة الآخر. و قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قال ابن عباس، و الحسن، و قتادة: إنه الوديعة و ما تقوم به بيّنة.
الثانى- قال الجبائى: فى مال اليتيم الذى فى يد الأوصياء، لأنه يدفعه إلى

---

(١) سورة الحجرات آية: ١١.
(٢) سورة النساء آية: ٢٨.
التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٣٩
الحاكم إذا طولب به، ليقتطع بعضه، و يقوم له فى الظاهر حجة.

اللغة: ..... ص : ١٣٩

يقال أدلى فلان بالمال الى الحاكم إذا دفعه إليه. و أدلى فلان بحقه و حجته:
إذا هو احتج بها و أحضرها، و دلوت الدلو فى البئر أدلوها: إذا أرسلتها فى البئر، و أدليتها إدلاء: إذا انتزعتها من البئر، و منه قوله تعالى: «فَأَدْلى دَلْوَهُ» «١» أى انتزعها. و قال صاحب العين: أدليتها إذا أرسلتها أيضاً. و أدلى الإنسان شيئاً فى مهوى، و يتدلى هو بنفسه. و الدالية معروفة.

الاعراب: ..... ص : ١٣٩

و موضع «تدلو» يحتمل أمرين:
أحدهما- أن يكون جزماً على النهى، و عطفاً على قوله: «لا تَأْكُلُوا».
و الثانى- أن يكون نصباً على الظرف، و يكون نصبها بإضمار أن كقول الشاعر:
لا تنه عن خلق و تأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم «٢»
لا تجمع بينهما. و الأول أجود.

المعنى: ..... ص : ١٣٩

و قيل فى اشتقاق «تدلو» قولان: أحدهما- أن التعلق بسبب الحكم كتعلق الدلو بالسبب الذى هو الحبل. و الثانى- أنه يمضى فيه من غير تثبت، كمضى الدّلو فى الإرسال من غير تثبت. و الباطل هو ما تعلق بالشىء على خلاف ما هو به، خبراً كان أو اعتقاداً أو تخيلا أو ظنّاً. و الفريق: القطعة المعزولة من الشىء.
و الإثم الفعل الذى يستحق به الذم.
و قوله: «وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» معناه إنكم تعلمون أن ذلك التفريق من المال

---

(۱) سورة يوسف آية: ۱۹.

(۲) مر تخريجه فى ۱: ۱۹۰.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۴۰

ليس بحق لكم لأنه أشد فى الزجر. و فى الآية دلالة على أن تفرقة الحاكم بشهادة الزور غير جائزة، و لا يستباح به النكاح لأحد الشاهدين كما لا يحلّ ذلك فى المال.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۱۸۹] ..... ص : ۱۴۰

اشارة

يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَواقِيتُ لِلنَّاسِ وَ الْحَجِّ وَ لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِها وَ لكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقى وَ أْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (۱۸۹)

آية واحدة بلا خلاف.

القراءة: ..... ص : ۱۴۰

البيوت و السيوح و الغيوب و الجيوب- بكسر أولها- شاميّ و الكسائى، و الأعشى لا يكسرون، الغيوب، و يكسرها حمزة، و يحيى إلا الجيوب. و يكسرها ابن كثير إلا الجيوب و الغيوب. و ابن فليح يكسرها كلها. و قالون يكسر منها البيوت فقط. و أبو عمرو يضمها كلها.

اللغة: ..... ص : ۱۴۰

الأهلة جمع هلال و سمى الهلال، لرفع الصوت بذكره عند رؤيته، و منه أهل بالحج: إذا رفع الصوت بالتلبية. و اختلف أهل العلم الى كم يسمى هلالا، فقال قوم: يسمى ليلتين هلالا من الشهر. و منهم من قال: يسمى هلالا ثلاث ليال، ثم يسمى قمراً. و قال الأصمعى: يسمى هلالا حتى يحّجر. و تحجيره: أن يستدير بخطة دقيقة. و منهم من قال: يسمى هلالا حين يبهر ضوءه سواد الليل، فإذا غلب ضوءه، سمى قمراً. و ذلك لا يكون إلا فى الليلة السابعة. و قال الزجاج: يسمى هلالا لليلتين. و اسم القمر الزبرقان، و اسم دارته الهالة. و الفخت اسم ضوءه، أو ظلمته على خلاف فيه. و اسم ظله السمر. و منه قيل: سمار الذين يتحدثون بالليل. و إنما التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۴۱

اقتصر فى جمعه على أهلّة، و هو لأدنى العدد، دون الفعل الذى هو للجمع الكثير، استثقالا له فى التضعيف، كما قالوا، فيما ليس بمضعّف: حمار و أحمرة و حمر.

المعنى: ..... ص : ۱۴۱

فان قيل عما كان وقع السؤال من حال الأهلة قيل عن زيادتها و نقصانها، و ما وجه الحكمة فى ذلك، فأجيب بأن مقاديرها تحتاج إليه الناس فى صومهم، و فطرهم، و حجهم و عدد نسائهم، و محلّ ذنوبهم، و غير ذلك. و فيها دلالة واضحة على أن الصوم لا يثبت بالعدد، و أنه يثبت بالهلال، لأن العدد لو كان مراعى، لما أحيل فى مواقيت الناس فى الحج على ذلك بل أحيل على العدد.

اللغة: ..... ص : ۱۴۱

و قوله تعالی: «قُلْ هِیَ مَواقِیتُ» و المیقات: هو مقدار من الزمان، جعل علماً لما یقدر من العمل، و منه قوله تعالی: (إِلی یَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ) «۱» و التوقیت:
تقدیر الوقت. وقت توقیتاً، و منه قوله تعالی: «وَ إِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ» «۲» و کلما قدرت غایة، فهو موقت. و المیقات: منتهی الوقت، و منه قوله تعالی: «فَتَمَّ مِیقاتُ رَبِّهِ» «۳» فالآخرة میقات الخلق. و الإهلال: میقات الشهر. و إنما لم یصرف مواقیت، و صرف قواریر، لان قواریر فاصلة فی رأس آیة، فصرفت لتجری علی طریقة واحدة فی الآیات، کالقوافی، و لیس ذلک تنوین الصرف.

المعنی ..... ص : ۱۴۱

و قوله تعالی «وَ لَیْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُیُوتَ مِنْ ظُهُورِها وَ لکِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقی قیل فی معناه وجهان:
أحدهما- «وَ لکِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقی کما قلنا فی قوله «وَ لکِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ».

---

(۱) سورة الحجر آیة: ۳۸، و سورة ص آیة: ۸۱.

(۲) سورة المرسلات آیة: ۱۱.

(۳) سورة الاعراف آیة: ۴۱.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۱۴۲

و الثانی- علی وقوع المصدر موقع الصفة، کأنه قال: و لکن البار «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ». و قیل فی معنی الآیة قولان:
أحدهما- أنه کان قوم من الجاهلیة إذا أحرموا، نقبوا فی ظهر بیوتهم نقباً، یدخلون منه، و یخرجون، فنهوا عن التدین بذلک، و أمروا أن یأتوا البیوت من أبوابها. فی قول ابن عباس، و البراء، و قتادة، و عطا. و [الثانی - قال قوم، و اختاره الجبائی: إنه مثل ضربه اللَّه لهم. «وَ أْتُوا الْبُیُوتَ مِنْ أَبْوابِها» أی أتوا البر من وجهه الذی أمر اللّه به، و رّغب فیه، و هذا الوجه حسن.
و روی جابر عن أبی جعفر محمد بن علی (ع) فی قوله: «وَ لَیْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُیُوتَ» الآیة، قال: یعنی أن یأتی الأمر من وجهه أی الأمور.
و روی أبو الجارود عن أبی جعفر (ع) مثل قول ابن عباس سواء. و قال قوم: أراد بالبیوت النساء، لأن المرأة تسمی بیتاً علی ما بیناه فیما مضی، فکأنه نهی عن إتیان النساء فی أدبارها، و أباح فی قبلهنّ. و الأولان أقوی و أجود.
و الباب: هو المدخل، تقول منه: بوب تبویباً إذا جعله أبواباً. و البوّاب:
الحاجب، لأنه یلزم الباب. و البابة القطعة من الشیء کالباب من الجملة.
فان قیل أی تعلق لقوله: «وَ لَیْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُیُوتَ مِنْ ظُهُورِها» بسؤال القوم عن الأهلة؟ قلنا: لأنه لما بین ما فیه من وجه الحکمة، اقتضی لتعلموا علی أمور مقدره، و لتجری أمورکم علی استقامة فإنما البرّ أن تطیعوا أمر اللَّه.
و من کسر (الباء) من البیوت، فلاستثقال الخروج من الضم الی الیاء. و من ضم غیوب و کسر البیوت، فلأن الغین لما کان مستعلیاً، منع الکسر، کما منع الامالة.
و أما الحج، فهو قصد البیت الحرام، لأداء مناسک مخصوصة بها فی وقت مخصوص. و البرّ: النفع الحسن. و الظهر: الصفیحة المقابلة لصفیحة الوجه.
و قوله: «وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ» یعنی و اتقوا ما نهاکم اللّه عنه، التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۱۴۳

و زهدكم فيه، لكى تفلحوا بالوصول الى ثوابه الذى ضمنه للمتقين.

قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ١٩٠] ..... ص : ١٤٣

اشارة

وَ قاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقاتِلُونَكُمْ وَ لا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠)

آية بلا خلاف.

المعنى: ..... ص : ١٤٣

القتال هو المقاتلة، و هو محاولة الفاعل لقتل من يحاول قتله، و التقاتل محاولة كلّ واحد من المتعاديين قتل الآخر. و الخطاب بقوله «وَ قاتِلُوا» متوجه الى المؤمنين.

و لو قال: «تقاتلوا» لكان أمراً للفريقين. و ذهب الحسن، و ابن زيد، و الربيع، و الجبائى: الى أن هذه الآية منسوخة، لأنه قد وجب علينا قتال المشركين و إن لم يقاتلونا بقوله «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» «١» و قوله: «وَ قاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ» «٢». و روى عن ابن عباس، و مجاهد، و عمر بن عبد العزيز:

أنها غير منسوخة. و قال بعضهم: أمروا بقتال المقاتلين دون النساء. و قيل: إنهم أمروا بقتال أهل مكة. و الأولى حمل الآية على عمومها إلا من أخرجه الدليل.

و قوله «تعتدوا» قيل فيه ثلاثة أقوال: أحدها- لا تعتدوا بالقتال بقتال من لم تؤمروا بقتاله. الثانى- لا تعتدوا الى النساء، و الصبيان، و من قد أعطيتموه الأمان. الثالث- لا تعتدوا بالقتال على غير الدين. فان قيل: إذا كان الاعتداء فى قتال من لم يقاتلهم فكيف يجوز أن يؤمروا به فيما بعد؟ قيل: إنما كان اعتداء من أجل أنه مجاوزة لما حده اللّه لهم مما فيه الصلاح للعباد، و لم يكن فيما بعد على ذلك، فجاز الأمر به.

و قوله: «فِي سَبِيلِ اللَّهِ» يعنى دين اللّه، و هو الطريق الذى بيّنه للعباد، ليسلكوه على ما أمرهم به و دعاهم إليه.

---

(١) سورة التوبة آية: ٦.

(٢) سورة البقرة آية: ١٩٣.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٤٤

و قوله: «لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ» معناه لا يريد ثوابهم، و لا مدحهم، كما يحب ثواب المؤمنين. و قد بينا فيما مضى أن المحبة هى الارادة. و إنما قلنا إنها من جنس الارادة، لأن الكراهة تنافيها، و لا يصح اجتماعهما، و لأنها تتعلق بما يصح حدوثه لا كالارادة، فلا يصح أن يكون محباً للايمان كارهاً له، كما بينا فى أن يكون مريداً له و كارها. و تعلق المحبة بأن يؤمن، كتعلق الارادة بأن يؤمن. و إنما اعتيد فى المحبة الحذف، و لم يعتد ذلك فى الارادة، فيقال: اللّه يحب المؤمن، و لا يقال: اللّه يريد المؤمن. و قوله: «لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ» ظاهره يقتضى أنه يسخط عليهم، لأنه على وجه الذم لهم إذ لا يجوز أن يطلق على من لا ذنب له من الأطفال، و المجانين.

و الاعتداء مجاوزة الحق. و أصله المجاوزة، يقال: عدا إذا جاوز حدّه فى الاسراع.

و روى عن أئمتنا (ع) أن قوله تعالى: (وَ قاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) ناسخ لقوله: «كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ» «١» و كذلك قوله:

«وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ» «۲» ناسخ لقوله «وَ لا تُطِعِ الْكافِرِينَ وَ الْمُنافِقِينَ وَ دَعْ أَذاهُمْ» «۳».

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۱۹۱] ..... ص : ۱۴۴

اشارة

وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَ أَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَ الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَ لا تُقاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ حَتَّى يُقاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذلِكَ جَزاءُ الْكافِرِينَ (۱۹۱)

آية واحدة بلا خلاف.

---

(۱) سورة النساء آية: ۹۰.

(۲) سورة البقرة آية: ۱۹۱.

(۳) سورة الأحزاب آية: ۴۸. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۴۵

القراءة: ..... ص : ۱۴۵

قرأ حمزة، و الكسائى، (و لا تقتلوهم) (حتى يقتلوكم) (فان قتلوكم) كله بغير ألف. الباقون بألف فى جميع ذلك.

المعنى: ..... ص : ۱۴۵

و المعنى لا تبدؤهم بقتل و لا قتال حتى يبدؤكم. إلا أن القتل نقض بنية الحياة، و القتال محاولة القتل ممن يحاول القتل.

و قوله: «وَ اقْتُلُوهُمْ» أمر للمؤمنين بقتل الكفار «حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ».

الاعراب: ..... ص : ۱۴۵

و يجوز فى حيث ثلاثة أوجه: ضم الثاء، و فتحها، و كسرها، فالضم لشبهها بالغاية، نحو قبل و بعد، لأنه منع الاضافة الى المفرد مع لزوم معنى الاضافة له، فجرى لذلك مجرى قبل و بعد فى البناء على الضم، و لا يجب مثل ذلك فى (إذ) لأنها مبنية على الوقف، كما أنّ (مذ) لا يجب فيها ما يجب فى منذ. و الفتح، لأجل الياء، كما فتحت (أين، و كيف) و الكسر فعلى أصل الحركة، لالتقاء الساكنين. و إنما كتبت بغير ألف- فى الثلاث و الكلام «۱» فى المصحف للإيجاز، كما كتبوا الرحمن بلا ألف. و كذلك صالح و خالد، و ما أشبهها، من حروف المدّ و اللين، لقوتها على التغيير.

اللغة: ..... ص : ۱۴۵

و قوله «ثقفتموهم» تقول: ثقفته أثقفه ثقفاً: إذا ظفرت به، و منه قوله:

«فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ» «۲» و ثقفت الشيء ثقافة: إذا حذقته، و منه اشتقاق الثقافة بالسيف، و قد ثقف ثقافة فهو ثقف. و الثقاف حديدة تكون مع القواس، و الرّماح يقوم بها المعوج. و ثقف الشيء ثقفاً: إذا لزم، و هو ثقف إذا كان سريع

(۱) هکذا فی المطبوعة. و فی العبارة سقط.

(۲) سورة الانفال آیة: ۵۸.

التعلم. و ثقفته تثقیفاً: إذا قومته. و أصل الباب: التثقیف التقویم.

المعنی: ..... ص : ۱۴۶

و قوله «وَ الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ» قال الحسن، و قتادة، و مجاهد، و الربیع، و ابن زید، و جمیع المفسرین: إنها الکفر. و أصل الفتنة الاختبار، فکأنه قال:

و الکفر الذی یکون عند الاختبار أعظم من القتل فی الشهر الحرام و وجه قراءة من قرأ (و لا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتی یقتلوکم فیه) أنه جاء فی کلام العرب إذا قتل بعضهم، قالوا: قتلنا، فتقدیره حتی یقتلوا بعضکم.

و معنی قوله «وَ أَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَیْثُ أَخْرَجُوکُمْ» أی أخرجوهم من مکة کما أخرجوکم منها. و روی أن هذه الآیة نزلت فی سبب رجل من الصحابة قتل رجلا من الکفار فی الشهر الحرام، فعابوا المؤمنین بذلک فبیّن اللّه تعالی أن الفتنة فی الدین أعظم من قتل المشرکین فی الشهر الحرام و إن کان محظوراً لا یجوز.

قوله تعالی: [سورة البقرة (۲): آیة ۱۹۲] ..... ص : ۱۴۶

فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ (۱۹۲)

معنی قوله تعالی: «فَإِنِ انْتَهَوْا» یعنی عن کفرهم بالتوبة منه، فی قول مجاهد، و غیره من المفسرین. و الانتهاء الامتناع یقال: نهی نهیاً، و أنهی إنهاء، و تناهی تناهیاً، و النهی الزجر عن الفعل بصیغة (لا تفعل) و الأمر الدعاء الی الفعل بصیغة (افعل) مع اعتبار الرتبة. و النهی الغدیر یکون له الحاجز یمنع الماء أن یفیض، فالنهی بمنزلة المنع. و نهایة الشیء غایته. و نهیة الوتد: الفرض، و هو الحزّ فی رأسه الذی یمنع الحبل أن ینسلخ، لأنه ینهاه عن ذلک. و النهی: جمع نهیة. و هی العقل. و التنهیة و جمعها تناهی، و هی مواضع تنهبط. و یتناهی إلیها ماء السماء.

و الإنهاء إبلاغ الشیء نهایته. و فی الآیة دلالة علی أنه یقبل توبة القاتل عمداً، لأنه بیّن أنه یقبل توبة المشرک، و هو أعظم من القتل، و لا یحسن أن یقبل التوبة من الأعظم، و لا یقبل من الأقل، فان قیل فما معنی جواب الشرط، و اللَّه غفور

رحیم و إن لم ینتهوا، الجواب: إن معناه فان اللَّه غفور لهم رحیم بهم، و یجوز فان اللَّه یغفر لهم، لأنه غفور رحیم، و اختصر الکلام لدلالة ما تقدم علی أنه فی ذکرهم و إن الذی اقتضی انتهاءهم إنما هو ذکر المغفرة لهم، فکان الدلالة علیها بغیر إفصاح عنها أحسن لما فی ذلک من الإیجاز، و الاحالة علی الاستدلال لتمکین الاشعار لمتضمن الکلام، و المغفرة: تغطیه الذنب بما یصیر به بمنزلة غیر الواقع فی الحکم.

قوله تعالی:[سورة البقرة (۲): آیة ۱۹۳] ..... ص : ۱۴۷

اشارة

وَ قاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَ يَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ (۱۹۳)

آية.

المعنى: ..... ص : ۱۴۷

هذه الآية ناسخة للأولى التى تضمنت النهى عن القتال عند المسجد الحرام حتى يبدءوا بالقتال فيه، لأنه أوجب قتالهم على كل حال حتى يدخلوا فى الإسلام فى قول الجبائى، و الحسن، و غيره، و على ما حكيناه عن ابن عباس، و عمر ابن عبد العزيز: أن الأولى ليست منسوخة، فلا تكون هذه ناسخة بل تكون مؤكدة،

و الفتنة الشرك فى قول ابن عباس، و قتادة، و مجاهد، و الربيع، و ابن زيد، و هو المروى عن أبى جعفر (ع).

و إنما سمى الكفر فتنة، لأن الكفر يؤدى الى الهلاك كما تؤدى الفتن الى الهلاك، و لأن الكفر إظهار الفساد عند الاختبار، و الفتنة إنما هى الاختبار. و الدين هاهنا قيل فى معناه قولان:

أحدهما- الإذعان للّه بالطاعة كما قال الأعشى:

هو دانَ الرباب إذ كرِهوا هو الدّ ين دراكا بغزوة و صيال «۱»

---

(۱) ديوانه: ۱۱، رقم القصيدة ۱. قيل: انه قالها فى مدح الأسود بن المنذر اللخمى أخى النعمان بن المنذر لأمه، و أم الأسود من تيم الرباب. و قيل: انه قالها فى مدح المنذر بن الأسود لما غز الحليفين، أسداً و ذبيان، ثم أغار على- رهط الأعشى- بنى ساعدة بن ضبة بن ثعلبة و كان الأعشى غائباً، فلما قدم وجد الحى مباحاً فأتاه، فأنشده، و سأله أن يهبه الأسرى، ففعل- و الرباب- بكسر الراء- بنو عبد مناة بن أد، و هم تيم و عدى و عوف و ثور، اجتمعوا فتحالفوا مع بنى عمهم ضبة تيم بن أد، فجاءوا برب (تمر مطبوخ) فغمسوا أيديهم فيه، فسموا الرباب.

و قوله: دان الرباب أى أذلهم و حملهم على الطاعة. و قوله: دراكا أى تتابعاً.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۴۸

و الثانى- الإسلام دون الكفر. و أصل الدين العادة فى قول الشاعر: «۱»

تقول إذا درأتُ لها وضينى أ هذا دينه أبداً و دينى «۲»

و قال آخر:

كدينك من أم الحويرث قبلها و جارتها أم الرباب بما سل «۳»

و قد استعمل بمعنى الطاعة فى قوله تعالى: «ما كانَ لِيَأْخُذَ أَخاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ» «۴» و استعمل بمعنى الإسلام، لأن الشريعة فيه يجب أن تجرى على عادة قال اللّه تعالى: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ» «۵».

و قوله: «فَإِنِ انْتَهَوْا» معناه امتنعوا من الكفر و أذعنوا بالإسلام، «فَلا عُدْوانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ» أى فلا قتل عليهم، و لا قتل إلا على الكافرين المقيمين على الكفر، و سمى القتل عدواناً مجازاً من حيث كان عقوبة على العدوان، و الظلم، كما قال: «فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ» «۶» و كما قال «وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها» «۷» و كما قال: «وَ إِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا» «۸» و حسن ذلك لازدواج الكلام، و مزاوجته هاهنا على المعنى، لأن تقديره «فَإِنِ انْتَهَوْا» عن العدوان، «فَلا عُدْوانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ». فان قيل: أ يجوز أن تقول لا ظلم إلّا على الظالمين كما جاز «فَلا عُدْوانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ»؟ قلنا: على القياس لا يجوز، لأن ذلك مجاز، و المجاز لا يقاس عليه- عند المحصّلين- لئلا تلتبس الحقيقة بالمجاز. و إنما جاز فى المزاوجة، لأن الكلام

---

(۱) هو المثقب العبدى.

(۲) اللسان (دين)، (درأ)، (وضن) و روايته (دأبه) بدل (دينه). ردأت لها وضينى: أى وضعت عنها حملها، و الوضين هو المنسوج من أى شيء كان.

(۳) لم أجد هذا البيت فيما حضرنى من المصادر.

(۴) سورة يوسف آية: ۷۶.

(۵) سورة آل عمران آية: ۱۹.

(۶) سورة البقرة آية: ۱۹۴.

(۷) سورة الشورة آية: ۴۰.

(۸) سورة النحل آية: ۱۲۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۴۹

معه أبلغ، و أبلغ، كما قال عمرو بن شاس الأسدى:

جزينا ذوى العدوان بالأمس فرضهم قصاصاً سواء حذوك النعل بالنعل «۱»

و أصل الظلم الانتقاص. من قوله تعالى «وَ لَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً» «۲» و حقيقة ما قدمنا ذكره من أنه ضرر محض لا نفع فيه يوفّى عليه عاجلا و لا آجلا و لا هو واقع على وجه المدافعة.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۱۹۴] ..... ص : ۱۴۹

اشارة

الشَّهْرُ الْحَرامُ بِالشَّهْرِ الْحَرامِ وَ الْحُرُماتُ قِصاصٌ فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (۱۹۴)

آية واحدة بلا خلاف.

أشهر الحرم أربعة: رجب، و هو فرد و ثلاثة أشهر سرد: ذو القعدة، و ذو الحجة، و المحرم. و المراد هاهنا: ذو القعدة، و هو شهر الصّد عام الحديبة. و إنما سمى الشهر حراماً، لأنه كان يحرم فيه القتال، فلو أن الرجل يلقى قاتل أبيه أو ابنه لم يعرض له بسبيل و سمى ذو القعدة، لقعودهم فيه عن القتال.

الاعراب: ..... ص : ۱۴۹

و الشهر مرتفع بالابتداء، و خبره بالشهر الحرام، و تقديره: قتال الشهر الحرام أى فى الشهر الحرام، فحذف المضاف و أقام المضاف إليه مقامه. و يحتمل أن يكون تقديره: الشهر الحرام على جهة العوض لما فات من الحج فى السنة الأولى.

المعنى: ..... ص : ۱۴۹

و قوله: «وَ الْحُرُماتُ قِصاصٌ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- «الْحُرُماتُ قِصاصٌ» بالمراغمة بدخول البيت فى الشهر الحرام. قال

(١) تفسير الطبری ٣: ٥٧٣.

(٢) سورة الكهف آية: ٣٣.

التبيان فی تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٥٠

مجاهـد: لأن قريشاً فخرت بردها رسول اللَّه (ص)- يوم الحديبـة- محرماً- فی ذی القعدة- عن البلد الحرام، فأدخله اللَّه عز و جل مكة فی العام المقبل فی ذی القعدة، فقضی عمرته، و أقصه بما حيل بينه و بينه يوم الحديبة، و هو معنی قول قتادة، و الضحاك، و الربيع، و ابن زيد.

و روی عن ابن عباس، و أبی جعفر محمد بن علی (ع) مثله.

و القول الثانی- «وَ الْحُرُماتُ قِصاصٌ» بالقتال فی الشهر الحرام أی لا يجوز للمسلمين إلا قصاصاً. و قال الحسن: إن مشركی العرب قالوا لرسول اللَّه (ص):

أنهيت عن قتالنـا فی الشـهر الحرام، قـال نعم، فـأراد المشـركون أن يغزوه فی الشـهر الحرام، فيقـاتلوه، فـأنزل اللَّه تعـالی: «الشَّهْرُ الْحَرامُ بِالشَّهْرِ الْحَرامِ وَ الْحُرُماتُ قِصاصٌ» أی إن استحلوا منكم فی الشهر الحرام شيئاً، فاستحلوا منهم مثل ما استحلوا منكم.

و به قال الزجاج، و الجبائی.

و إنما جمع الحرمات لأحد أمرين: أحدهما- إنه يريد حرمة الشهر، و حرمة البلد، و حرمة الإحرام.

الثانی- كل حرمة تستحل، فلا يجوز إلا علی وجه المجازاة. و فی الناس من قال: إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالی: «قاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً» «١» و قال آخرون ليست منسوخة، لأنه يجوز اجتماعه مع تلك الفريضة- و هو الأولی- لأنه لا دلالة علی نسخها.

و الحرام: هو القبيح الممنوع من فعله. و الحلال: المطلق المأذون فيه.

و القصاص الأخـذ للمظلوم من الظالم، من أجل ظلمه إياه. فان قيل: كيف جاز قوله: «إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ» مع قوله «فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ» «٢» قلنا الثانی ليس باعتداء علی الحقيقة، و إنما هو علی وجه المزاوجه، و معناه المجازات علی ما بينا.

و المعتدی مطلقاً لا يكون إلا ظالماً لضرر قبيح، و إذا كان مجازاً فإنما يفعل ضرراً

(١) سورة التوبة آية: ٣٧. [.....]

(٢) سورة البقرة آية: ١٩۴.

التبيان فی تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٥١

حسناً. فان قيل: كيف قال بمثل ما اعتدی عليكم، و الأول جور، و الثانی عدل؟

قلنا، لأنه مثله فی الجنس و فی مقدار الاستحقاق، لأنه ضرر، كما أن الأول ضرر، و هو علی مقدار ما يوجبه الحق فی كل جرم.

و قيل إنّ عدا، و اعتدی لغتان بمعنی واحد، و مثله قرب و اقترب، و جلب و اجتلب. و قال قوم: فی افتعل مبالغة ليس فی فعل.

و معنی قوله: «وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ» يعنی بالنصرة لهم، كأنه قال:

«أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ» بالنصرة أو إن نصرة اللَّه معهم. و أصل (مع) المصاحبة فی المكان أو الزمان.

قوله تعالی:[سورة البقرة (٢): آية ١٩٥] ..... ص : ١٥١

اشارة

وَ أَنْفِقُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ وَ لا تُلْقُوا بِأَیْدِیکَمْ إِلَی التَّهْلُکَهِٔ وَ أَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ یُحِبُّ الْمُحْسِنِینَ (١٩٥)

آیهٔ بلا خلاف.

المعنی: ..... ص : ١٥١

أمر اللّه تعالی جمیع المکلفین المتمکنین من الإنفاق فی سبیل اللّه: أن ینفقوا فی سبیله، و سبیل اللّه: هو کل طریق شرعه اللّه تعالی لعباده، و یدخل فیه الجهاد، و الحج، و عمارهٔ القناطر، و المساجد، و معاونهٔ المساکین، و الأیتام، و غیر ذلک، و الإنفاق: هو إخراج الشیء عن ملک مالکه إلی ملک غیره، لأنه لو أخرجه الی هلاک لم یسم إنفاقاً.

و قوله تعالی: «وَ لا تُلْقُوا بِأَیْدِیکُمْ إِلَی التَّهْلُکَهِٔ» معناه لا تطرحوا أنفسکم فی الهلاک، بأن تفعلوا ما یؤدی إلیه. و حقیقهٔ الإلقاء تصیر الشیء الی جهۀ السفل.

و إنما یقال: ألقی علیه مسألهٔ مجازاً، کما یقال: طرح علیه مسألهٔ.

الاعراب: ..... ص : ١٥١

و الباء فی قوله بأیدیکم یحتمل وجهین: أحدهما- أن تکون زائدهٔ کقولک التبیان فی تفسیر القرآن، ج٢، ص: ١٥٢

تعلقت زیداً، و تعلقت بزید و جذبت الثوب، و جذبت بالثوب، و علمته، و علمت به.

قال الشاعر:

و لقد ملأت علی نصیب جلده بمساءهٔ إن الصدیق یعاتب «١»

و المراد ملأت جلده مساءهٔ. و الثانی- أن یکون علی أصل الکلام من وجهین:

أحدهما- أن کل فعل متعد إذا کنی عنه أو قدر علی المصدر دخلته الباء، کقولک ضربته ثم تکنی عنه فتقول فعلت به. و الآخر أن تقول: أوقعت الضرب به فجاء علی أصل الأفعال المتعدیهٔ.

و الوجه الآخر: أنه لما کان معناه: لا تهلکوا أنفسکم بأیدیکم، فدخلت الباء لیدّل علی هذا المعنی، و هو خلاف أهلک نفسه بید غیره.

المعنی: ..... ص : ١٥٢

و قیل فی معنی الآیهٔ وجوه: أحدها- قال الحسن، و قتادهٔ، و مجاهد، و الضحاک، و هو المروی عن حذیفهٔ، و ابن عباس: إن معناها «لا تُلْقُوا بِأَیْدِیکُمْ إِلَی التَّهْلُکَهِٔ» بالامتناع من الإنفاق فی سبیل اللّه. الثانی- ما روی عن البراء ابن عازب، و عبیدهٔ السلمانی: لا ترکبوا المعاصی بالیأس من المغفرهٔ. الثالث- ما قال البلخی، من أن معناها: لا- تتقحموا الحرب من غیر نکایهٔ فی العدّو، و لا- قدرهٔ علی دفاعهم. الرابع- ما قاله الجبائی لا تسرفوا فی الإنفاق الذی یأتی علی النفس.

و الأولی حمل الآیهٔ علی عمومها فی جمیع ذلک.

اللغهٔ: ..... ص : ١٥٢

و التهلکهٔ، و الهلاک واحد. و قیل: التهلکهٔ: ما أهلکهم اللّه عنده. و أصل الهلاک الضیاع، و هو مصدر ضاع الشیء بحیث لا یدری أین هو، و منه یقال للکافر:

هالک، و للمیت: هالک، و للمعذب: هالک. و الهلوک: المهواهٔ البعیدهٔ، لأن الذی یهوی فیها هالک. و الهلوک: الفاجرهٔ. و الهلوک:

المتحيرة، تشبيهاً بالهلوك: الفاجرة

(۱) لم أجد هذا البيت الا فى مجمع البيان و روايته (يعاقب) بدل (يعاتب).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۵۳

التى تمايل فى مشيتها، تقول: هلك يهلك هلكا، و هلاكا، و أهلكه إهلاكا، و تهالك تهالكا، و اهتلك اهتلاكا: إذا ألقى نفسه فى المهالك. و استهلكه استهلاكا، و انهلك انهلاكا. إذا حمل نفسه على الأمر الصعب. و الهالكى: الحداد. و أصل ذلك أن بنى الهالك بن عمر، كانوا قيونا، فسمى بذلك كل قين: هالكياً. و التهلكة: كلما كان عاقبته الى الهلاك. و الهالك: الفقير الذى بمضيعة.

و الإحسان: هو الإفضال الى المحتاج، فى قول زيد بن أسلم. و حدّ الإحسان هو إيصال النفع الحسن إلى الغير، و ليس المحسن من فعل الفعل الحسن، لأن اللَّه تعالى بفعل العقاب و هو حسن، و لا يقال: إنه محسن به، و لا يسمى مستوفى الدين محسناً، و إن كان حسناً، فان أطلق ذلك فى موضع، فعلى وجه المجاز. و إنما اعتبرنا أن يكون النفع حسناً، لأن من أوصل نفعاً قبيحاً الى غيره لا يقال: إنه محسن اليه. و قد بينا حقيقة المحبة، فيما مضى، فلا وجه لإعادته، و محبة اللَّه للمحسنين: إرادة الثواب بهم و المنفعة لهم. و قال عكرمة: أحسنوا الظن باللَّه يراكم. و قال ابن زيد:

أحسنوا بالعود على المحتاج «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ»

و روى عن أبى عبد اللَّه (ع) أنه قال: لو أن رجلا أنفق ما فى يديه فى سبيل من سبل اللَّه ما كان أحسن و لا وفق لقوله «وَ لا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَ أَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» يعنى المقتصدين.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۱۹۶] ..... ص : ۱۵۳

اشارة

وَ أَتِمُّوا الْحَجَّ وَ الْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَ لا تَحْلِقُوا رُؤُسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَ سَبْعَةٍ إِذا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كامِلَةٌ ذلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ (۱۹۶)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۵۴

آية واحدة بلا خلاف.

المعنى: ..... ص : ۱۵۴

و روى عن الشعبى: أنه قرأ «و العمرة لله» رفعاً، و ذهب إلى أنها ليست واجبة، كما قال أهل العراق. و عندنا، و عند الشافعى: أنها واجبة، كوجوب الحجّ.

و القرّاء كلهم على النصب، و العمْرة عطفاً على قوله «وَ أَتِمُّوا الْحَجَّ» و تقديره، و أتموا العمرة للَّه. و أمر اللَّه تعالى جميع من توجه إليه وجوب الحجّ أن يتم الحجّ و العمرة. و قيل فى إتمام الحجّ و العمرة أقوال:

أحدها- أنه يجب أن يبلغ آخر أعمالهما بعد الدخول فيهما و هو قول مجاهد، و أبى العباس المبرد، و أبى على الجبائى.

و الثانى- قال سعيد بن جبير، و عطا، و السدى: إنّ معناه إقامتهما الى آخر ما فيهما، لأنهما واجبان.

الثالث- قال طاوس: إتمامهما إفرادهما.

الرابع- قال قتادة: الاعتمار فى غير أشهر الحج. و أصح الأقوال الأول.

و الحج هو القصد الى البيت الحرام، لأداء مناسك مخصوصة بها فى أوقات مخصوصة. و مناسك الحج تشتمل على المفروض، و المسنون. و المفروض يشتمل على الركن، و غير الركن، فأركان الحج أوّلا: النية، و الإحرام، و الوقوف بعرفة، و الوقوف بالمشعر، و طواف الزيارة، و السعى بين الصفا و المروة. و الفرائض التى ليست بأركان: التلبية، و ركعتا طواف الزيارة، و طواف النساء، و ركعتا الطواف له.

و المسنونات: الجهر بالتلبية و استلام الأركان، و أيام منى، و رمى الجمار، و الحلق أو التقصير، و الأضحية إن كان مفرداً. و إن كان متمتعاً فالهدى واجب عليه، و إلا- فالصوم الذى هو بدل عنه، و تفصيل ذلك ذكرناه فى النهاية، و المبسوط، و الجمل و العقود، لا نطول بذكره. و فى هذه المناسك خلاف كثير- بين الفقهاء- ذكرناه التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۵۵

فى مسائل الخلاف.

و العمرة واجبة كوجوب الحج، و به قال الحسن، و ابن عباس، و ابن مسعود، و ابن عمر، و عطا، و ابن جبير، و عمرو بن عبيد، و واصل بن عطا، و الشافعى.

و قال ابراهيم النخعى، و الشعبى، و سعيد بن جبير، و أهل العراق: إنها مسنونة.

و عن ابن مسعود فيه خلاف، فمن قال: إنها غير واجبة قال: لأن اللّه تعالى أمر بإتمام الحج و العمرة، و وجوب الإتمام لا يدل على أنه واجب قبل ذلك، كما أن الحج المتطوع به يجب إتمامه و إن لم يجب الدخول فيه، قالوا: و إنما علينا وجوب الحج بقوله تعالى: «وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ» «۱». و هذا ليس بصحيح، لأنا قد بينا أن معنى أتموا الحج و العمرة أقيموهما، و هو المروى عن على (ع) و عن على بن الحسين مثله، و به قال مسروق، و السدى.

و العمرة هى الزيارة فى اللغة. و فى الشرع عبارة عن زيارة البيت لأداء مناسك مخصوصة أى وقت كان من أيام السنة. و أفعال العمرة الواجبة: النية، و الإحرام، و الطواف، و الصلاة عند المقام، و السعى بين الصفا و المروة، و طواف النساء. و فى بعض ذلك خلاف ذكرناه فى الخلاف.

و قوله «فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ» فيه خلاف، قال قوم: فان منعكم خوف، أو عدوّ، أو مرض، أو هلاك بوجه من الوجوه، فامتنعتم لذلك. و قال آخرون: إن منعكم حابس قاهر. فالأول قول مجاهد، و قتادة، و عطا، و هو المروى عن ابن عباس.

و هو المروى فى أخبارنا. و الثانى ذهب اليه مالك بن أنس. فالأول أقوى لما روى فى أخبارنا، و لأن الإحصار هو أن يجعل غيره بحيث يمتنع من الشيء. و حصره منعه، و لهذا يقال: حصر العدوّ، و لا يقال: أحصر.

اللغة: ..... ص : ۱۵۵

و اختلف أهل اللغة فى الفرق بين الإحصار، و الحصر، فقال الكسائى،

---

(۱) سورة آل عمران آية: ۹۷.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۵۶

و أبو عبيدة، و أكثر أهل اللغة: إن الإحصار المنع بالمرض، أو ذهاب النفقة.

و الحصر بحبس العدوّ و قال الفراء: يجوز كل واحد منهما مكان الآخر، و خالف فى ذلك أبو العباس، و الزجاج، و احتج المبرد بنظائر ذلك. كقولهم حبسه أى جعله فى الحبس و أحبسه أى عرّضه للحبس، و قتله: أوقع به القتل، و أقتله: عرّضه للقتل، و قبره: دفنه

فى القبر، و أقبره: عرضه للدفن فى القبر، فكذلك حصره: حبسه أى أوقع به الحصر، و أحصره: عرّضه للحصر. و يقال: أحصره إحصاراً. إذا منعه، و حصره يحصره حصراً إذا حبسه، و حصر حصراً: إذا عيى فى الكلام. و حاصره محاصرة: إذا ضيق عليه فى القتال. و الحصر الضيق. هذا حصر شديد. و الحصر:

الذى لا يبوح بسره، لأنه قد حبس نفسه عن البوح به. و الحصير: الملك. و الحصير:

المحبس، و منه قوله تعالى: (وَ جَعَلْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ حَصِيراً) «۱» و الحصور:

الذى لا إربة له فى النساء. و الحصور: الغيوب المحجم عن الشيء. و الحصر البخيل لحبسه رفده، و أصل الباب: الحبس.

الاعراب: ..... ص : ۱۵۶

و قوله: «فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ» موضع (ما) رفع، كأنه قال: فعليه «فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ». و يجوز النصب و تقديره: فليهدى ما استيسر من الهدى.

و الرفع أقوى لكثرة نظائره، كقوله «فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيامٍ» و قوله «فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ» «۲» و قوله «فَصِيامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ».

المعنى: ..... ص : ۱۵۶

و فى معنى «فَمَا اسْتَيْسَرَ» خلاف،

فروى عن على (ع)، و ابن عباس، و الحسن، و قتادة: أنه شاء.

و روى عن ابن عمر، و عائشة: أنه ما كان من الإبل و البقر دون غيره، و وجّها التيسر على ناقة دون ناقة، و بقرة دون بقرة. و الأول هو المعمول عليه عندنا.

---

(۱) سورة الاسراء آية: ۸.

(۲) سورة البقرة آية: ۱۸۴، ۱۸۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۵۷

اللغة: ..... ص : ۱۵۷

و فى اشتقاق الهدى، و أصله قولان:

أحدهما- أنه من الهدية، يقال منه: أهديت الهدية إهداء، و أهديت الى البيت الهدى إهداء، فعلى هذا يكون هدياً لأجل التقرب به الى اللّه بإخلاص الطاعة فيه، على ما أمر به.

الثانى- من هديته هدى: إذا سقته الى طريق الرشاد، و واحد الهدى هدية، و روى أبو عبيدة عن أبى عمرو: أنه لا يعرف له نظير إلا جدية السرج و جدى، و قال المبرد: و هو مطرد فى الأجناس، كتمرة و تمر، و شرية و شرى، و هو الحنظل.

و قوله «وَ لا تَحْلِقُوا رُؤُسَكُمْ» معناه لا تزيلوا شعور رؤوسكم: يقال حلق يحلق حلقاً، و حلق تحليقاً، و انحلق انحلاقاً. و الحلق: مجرى الطعام، و الشراب فى المرى. و الحلقة: حلقة القوم، و حلقة الحديد، و الحلقة السلاح، و يقال أيضاً بالتخفيف. و حلق الطائر فى الهواء إذا ارتفع، و هوى من حالق أى من علو الى سفل. و حلق ضرع الناقة إذا ارتفع لبنها. و حلاق المنية، و جاء بالحلق إذا جاء بالمال الكثير. و المحلق: محلق الشعر كالموسى. و حُلوق الأرض مجاريها فى أوديتها.

و المحلق: موضع حلق الرأس بمنى. و أصل الباب الاستمرار.

و الرؤوس جمع رأس يقال: رأس يرأس رآسة، و ترأس ترأساً، و رأسه ترئيساً. و الرأس أعلى كل شيء، و الرّواسى العظيم الرأس فوق قدره، و كلبة رؤس: و هى التى تساور رأس الصيد. و سحابة رأيسة: و هى التى تتقدم السحاب.

و رجل مرءوس إذا أصابه البرسام فى رأسه. و رأس فلان فلاناً إذا ضربه على رأسه. و أصل الباب الرأس.

و قوله: «حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ» معناه حتى ينتهى إليه، يقال: بلغ يبلغ بلوغاً، و أبلغه إبلاغاً، و بلغه تبليغاً، و بالغ مبالغة، و تبالغ تبالغاً، و تبلغ تبلغاً، و بلغ الرجل بلاغة إذا صار بليغاً. و البلغة: القوت. و أصل الباب البلوغ، و هو التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٥٨

الانتهاء، فمنه البلاغة، لأنها تبلغ بالمعنى الى القلب.

المعنى ..... ص : ١٥٨

و قيل فى محل الهدى قولان: أحدهما- ما روى عن ابن عباس، و ابن مسعود، و الحسن، و عطا: أنه الحرم فإذا ذبح به يوم النحر أحلّ.

و الثانى- قال مالك: إنه الموضع الذى صدّ فيه، و هو المكان الذى يحلّ نحره فيه قال،

لأن النبى (ص) نحر الهدى، و أمر أصحابه فنحروا بالحديبية.

و عندنا:

أن الأول حكم المحصر بالمرض، و الثانى حكم المحصور بالعدوّ، و روى أيضاً أن محله منى إن كان فى الحج، و إن كان فى العمرة فمكة.

و قوله تعالى: «فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ» فالأذى كلما تأذيت به و رجل آذٍ إذا كان شديد التأذى تقول: آذى يآذى أذى. و أصله الضرر بالشيء، و روى أصحابنا أن هذه الآية نزلت فى إنسان يعرف بكعب بن عجرة.

و روى أيضاً ذلك أصحاب التأويل فى أنه كان قد قمل رأسه فأنزل اللّه فيه هذه الآية، لكنها محمولة على جميع الأذى.

و قوله «فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ» فالذى رواه أصحابنا أن الصيام ثلاثة أيام أو صدقة ستة مساكين. و روى عشرة مساكين. و النسك شاة. و فيه خلاف بين المفسرين. و روى عن كعب بن عجرة الانصارى، و مجاهد، و علقمة، و ابراهيم، و الربيع، و اختاره الجبائى: مثل ما قلناه: إن الصوم ثلاثة أيام و الإطعام لستة مساكين. و قال الحسن و عكرمة: صوم عشرة أيام أو إطعام عشرة مساكين لكل مسكين نصف صاع بلا خلاف. و لم يختلفوا فى النسك أنه شاة. و النسك: جمع نسيكة، و يجمع أيضاً نسائك، كصحيفة و صحائف و صحف.

و قوله «فَإِذا أَمِنْتُمْ» معناه أمنتم أن يحصركم العدوّ أو أمنتم المرض «فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ»، ففرض التمتع- عندنا- هو اللازم لكل من لم يكن من حاضرى المسجد الحرام، و حدّ حاضرى المسجد الحرام: من كان على اثنى عشر ميلا التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٥٩

من كل جانب الى مكة، ثمانية و أربعين ميلا، فما خرج عنه فليس من الحاضرين، لا يجوز له مع الإمكان غير التمتع، و عند الضرورة، يجوز له القران و الافراد. و من كان من حاضرى المسجد الحرام، لا يجوز له التمتع، و إنما فرضه القِران أو الافراد على ما نفسره فى القران و الافراد، و سياق المتمتع أن يحرم من الميقات فى أشهر الحج و هى: شوال، و ذو القعدة، و عشر من ذى الحجة، ثم يخرج الى مكة، فيطوف بالبيت، و يسعى بين الصفا و المروة، و يقصر، ثم ينشئ إحراماً آخر بالحج من المسجد الحرام، و يخرج الى عرفات، و يقف هناك، و يفيض الى المشعر، و يغدوا منها الى منى، و يقضى مناسكه هناك، و يدخل فى يومه الى مكة، فيطوف بالبيت طواف الزيارة، و يسعى بين الصفا و المروة، و يطوف طواف النساء، و قد أحلّ من كل شيء و يعود الى منى، فبيت ليالى بها، و يرمى الجمار فى ثلاثة أيام- على ما شرحناه فى النهاية، و المبسوط- و فى بعض ذلك خلاف بين الفقهاء ذكرناه فى الخلاف و للمفسرين فى

التمتع أربعة أقوال: فالأول

رواه أنس بن مالك: أن النبى (ص) أهلّ بعمرة و حجة، و سموه قارناً

، و أنكر ذلك ابن عمر، و الثانى روى ابن عباس و ابن عمر و سعيد بن المسيب و عطا، و اختاره الجبائى: و هو أن يعتمر فى أشهر الحج ثم يأتى مكة، فيطوف، و يسعى، و يقصر ثم يقيم حلالا الى يوم التروية، أو يوم قبله، فيهل فيه بالحج من مكة، ثم يحج. و هذا مثل ما قلناه سواء. و قال البلخى: إن هذا الضرب كرهه عمر، و نهى عنه، و كرهه ابن مسعود. الثالث- هو الناسخ للحج بالعمرة

رواه جابر بن عبد اللّه، و أبو سعيد الخدرى: أن رسول اللّه (ص) أمرهم- و قد أهلوا بالحج، لا ينوون غيره- أن يعتمروا ثم يحلوا الى وقت الحج

، هذا عندنا جائز أن يفعل. و روى عن أبى ذرّ: أنها كانت لأصحاب النبى (ص) خاصة.

و كذلك يقولون: إن عمراً أنكر هذه المتعة.

الرابع- قال ابن الزبير: إن المحصر إذا دخل مكة بعد فوت الحج، تمتع بالعمرة، لأنه يحل بها الى وقت الحج، و كذلك من اعتمر فى غير أشهر الحج ثم حج تلك السنة، فهو المتمتع، و لا هدى عليه. و هذا عندنا فاسد بما قدمناه. التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۶۰

و قوله تعالى: «فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَ سَبْعَةٍ إِذا رَجَعْتُمْ» فالهدى واجب على المتمتع بلا خلاف، لظاهر التنزيل، على خلاف فيه أنه نسك أو جبران، فعندنا أنه نسك، و فيه خلاف فان لم يجد الهدى و لا ثمنه، صام ثلاثة أيام فى الحج، و عندنا أن وقت صوم الثلاثة أيام: يوم قبل التروية، و يوم التروية، و يوم عرفة، فان صام فى أول العشرة جاز ذلك رخصة. و إن صام يوم التروية و يوم عرفة قضى يوماً آخر بعد التشريق فان فاته يوم التروية صام بعد القضاء من التشريق ثلاثة أيام متتابعات، و روى عن ابن عباس، و ابن عمر، و الحسن، و مجاهد: أنه يجوز ما بين إحرامه فى أشهر الحج الى يوم عرفة. و استحبوا أن يكون يوماً قبل التروية، و يوم عرفة. و وقت صوم السبعة أيام إذا رجع الى أهله، و به قال عطا، و قتادة. و قال مجاهد: إذا رجع عن حجه فى طريقه. فأما أيام التشريق، فلا يجوز صومها عندنا، و به قال جماعة من المفسرين، و اختاره الجبائى، لنهى النبى (ص) عن صوم أيام التشريق. و روى عن ابن عمر، و عائشة جواز ذلك.

و قوله: «تِلْكَ عَشَرَةٌ كامِلَةٌ» اختلفوا فى معناه، فقال الحسن، و الجبائى،

و هو المروى عن أبى جعفر (ع) أن المعنى كاملة من الهدى أى إذا وقعت بدلا منه، استكملت ثوابه.

الثانى- ما ذكره الزجاج، و البلخى أنه لازالة الإيهام لئلا يظن أن (الواو) بمعنى (أو) فيكون كأنه فصيام ثلاثة أيام فى الحج أو سبعة أيام إذا رجعتم، لأنه إذا استعمل (أو) بمعنى (الواو) جاز أن يستعمل (الواو) بمعنى (أو) كما قال:

«فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ» و المراد «أو» فذكر ذلك لارتفاع اللبس.

و الثالث- قاله المبرد: إنه أعاد ذلك للتأكيد قال الشاعر:

ثلاث و اثنتان فهن خمس و سادسة تميل الى شمام»

---

(۱) فى مجمع البيان نسبه الى جرير و لم أجد فى ديوانه. فى المطبوعة (سمام) بدل (شمام) (و اثنان) بدل (اثنتان).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۶۱

اللغة: ..... ص : ۱۶۱

و تقول:ثلثت القوم أثلثهم، فأنا ثالثهم، و ربما قالوا: ثلثت الرجلين أى صرت لهما ثالثاً. و الثلث جزء من ثلاثة. و المثلث: شكل على

ثلاثة أضلاع. و المثلوث:

ما أخذ ثلثه. و الثلاثاء: اليوم الثالث من الأحد. و الثلاثى: ما نسب الى ثلاثة أشياء، و أصله الثلاثة من العدد.

و أهل الرجل: زوجته. و المتأهل: المتزوج. و أهل الرجل: أخص الناس به. و أهل البيت: سكانه. و أهل الإسلام: من تدين به. و أهل القرآن: من يقرأه، و يقوم بحقوقه. و أهلته لهذا الأمر أى جعلته أهلًا له. و الأهلىّ: خلاف البرىّ. و قولهم مرحباً و أهلا أى اختصاصاً بالتحية، و التكرمة.

المعنى: ..... ص : ١۶١

و قدّ بينا أن (أَهْلُهُ حاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرامِ) من كان من بينه و بينها اثنا عشر ميلا من أربع جوانبها. و قال ابن عباس، و مجاهد، و غيرهما: إنهم أهل الحرم، فروى فى أخبارنا أيضاً ذلك. و قال مكحول، و عطا: من بين مكة، و المواقيت.

و قيل: هم أهل الحرم، و من قرب منزله منها، كأهل عرفة، ذهب اليه الزهرى و مالك.

اللغة: ..... ص : ١۶١

و قوله تعالى: «وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ» تقول: عقب الشيء يعقب بمعنى خلف بعد الأول. و أعقب إعقاباً، و تعقب الرأى تعقباً. «وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» «١» أى الآخرة. و نرّد على أعقابنا أى نعقب بالشر بعد الخير. و العقبة: ركوب أعقبه المشى. «لَهُ مُعَقِّباتٌ» «٢»: ملائكة الليل تخلف ملائكة النهار. و عقب الإنسان:

---

(١) سورة الاعراف آية: ١٢٧.

(٢) سورة الرعد آية: ١٢.

نسله، و عقبه، مؤخر قدمه. و العقبة: المصعد فى الجبل. و العقب: الصعب. و العقاب:

الطائر. و اليعقوب: ذكر القبج. «لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ» أى لا رادّ لقضائه. و أصل الباب: العقب: الخلف بعد الأول.

قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ١٩٧] ..... ص : ١۶٢

اشارة

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُوماتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَ لا فُسُوقَ وَ لا جِدالَ فِي الْحَجِّ وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى وَ اتَّقُونِ يا أُولِي الْأَلْبابِ (١٩٧)

آية بلا خلاف.

القراءة: ..... ص : ١۶٢

قرأ ابن كثير، و أبو عمرو (فلا رفث و لا فسوق) بالرفع، (و لا جدال) بالنصب. الباقون بالنصب فيهنّ تقدير الآية: أشهر الحجّ أشهر معلومات، فحذف المضاف، و أقام المضاف اليه مقامه. و أشهر الحجّ- عندنا- شوال، و ذو القعدة، و عشر من ذى الحجة، على ما

روى عن أبى جعفر (ع) و به قال ابن عباس، و ابن عمر، و ابراهيم، و الشعبى، و مجاهد، و الحسن، و اختاره الجبائى. و قال عطا، و الربيع، و ابن شهاب، و طاوس: أشهر الحجّ شوال، و ذو القعدة، و ذو الحجة.

و روى ذلك فى أخبارنا، و إنما كانت هذه أشهر الحج، لأن الإحرام بالحج لا يصح أن يقع إلا فيها- بلا خلاف- و عندنا- أن الإحرام بالعمرة التى يتمتع بها لا يقع أيضاً إلا فيها. و من قال: إن جميع ذى الحجة من أشهر الحج، قال: لأن جميع ذى الحجة يصح أن يقع فيه شيء من أفعال الحج، مثل صوم الثلاثة أيام، فانه يصح أن يقع فى جميع ذى الحجة، و كذلك يصح أن يقع ذبح الهدى فيه. و قال قوم: إن المعنى واحد فى قول الفريقين. و قال آخرون: هو مختلف من حيث أن الثانى معناه: أن العمرة لا ينبغى أن تكون فى الأشهر الثلاثة على الكمال، لأنها أشهر الحج، و الأول على أنها لا ينبغى أن تكون فى شهرين و عشر من الثالث، التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۶۳

فقد روى عن ابن عمر: ان تفصلوا بين الحج و العمرة، فتجعلوا العمرة فى غير أشهر الحج، أتم لحج أحدكم و أتم لعمرته. و روى ذلك عن القاسم بن محمد عن ابن شهاب عن عبد اللَّه، و ابن سيرين. و قد بينا مذهبنا فى ذلك. فان قيل كيف جمع شهرين، و عشرة أيام ثلاثة أشهر؟ قلنا: لأنه قد يضاف الفعل الى الوقت و إن وقع فى بعضه.

و يجوز أن يضاف الوقت اليه كذلك، كقولك: صليت صلاة يوم الجمعة، و صلاة يوم العيد و إن كانت الصلاة فى بعضه. و يقال أيضاً: قدم زيد يوم كذا، و خرج يوم كذا و إن كان قدومه أو خروجه فى بعضه، فكذلك جاز أن يقال: شهر الحج ذو الحجة، و إن كان فى بعضه، و إنما يفرض فيهن الحج، بأن يحرم فيهنّ بالحج- بلا خلاف- أو بالعمرة التى يتمتع بها بالحج- عندنا خاصة- و فى الإحرام بالحج وافقنا فيه ابن عباس، و الحسن، و قتادة. و قال ابن عمر، و مجاهد: إنما يفرض فيهنّ بالتلبية. و قال بعض المتأخرين: يفرض بالعزم على أعمال الحج.

الاعراب: ..... ص : ۱۶۳

و لا يجوز نصب أشهر- فى العربية- على ما بيناه من المعنى من أن تقديره أشهر «الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُوماتٌ» أو وقت «الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُوماتٌ» و قد أجازوا الحج شهر ذى الحجة، لأنه معرفة كما نقول العرب: المسلمون جانب، و الكفار جانب بالرفع، فإذا أضافوا نصبوا، فقالوا: المسلمون جانب أرضهم، و الكفار جانب بلادهم. و انما جاز ذلك، لأن النكرة لما جاءت على شرط الخبر: فى كونه نكرة من حيث كانت الفائدة فيه، رفعت بأنها خبر الابتداء فلما صارت معرفة، و الخبر يطلب النكرة نصبت ليصح تقدير الاستقرار الذى هو نكرة كأنك قلت: الكفار مستقرون جانب بلادهم، ففائدة الأول من جانب، و فائدة الثانى فى مستقر.

المعنى: ..... ص : ۱۶۳

و قوله تعالى: «فَلا رَفَثَ» فالرفث هاهنا- عند أصحابنا- كناية عن الجماع و هو قول ابن مسعود، و قتادة. و أصله الافحاش فى النطق كما قال العجاج: التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۶۴

عن اللّغا و رفث التكلم «۱»

و قيل الرفث بالفرج: الجماع، و باللسان: المواعدة للجماع، و بالعين: الغمز للجماع. و قال ابن عباس، و ابن عمر و عطا: المراد هاهنا: المواعدة للجماع، و التعريض للنساء به. و قال الحسن: الجماع، و التعرض له بمواعدة أو مداعبة كله رفث.

و قوله تعالى: (وَ لا فُسُوقَ) روى أصحابنا: أنه أراد الكذب. و الأولى أن نحمله على جميع المعاصى التى نهى المحرِم عنها، و به قال ابن عمر. و قال الحسن:

المعاصی نحو القذف و شبهه، و قال ابن عباس و مجاهد و عطا: هو جمیع المعاصی مثل ما قلناه. و قال بعضهم لا یجوز أن یکون المراد إلا ما نهی عنه المحرم هاهنا، مما هو حلال له فی غیر الإحرام، لاختصاصه بالنهی عنه و هذا غلط، لأنه تخصیص للعموم بلا دلیل، و قد یقول القائل: ینبغی أن تقید لسانک فی رمضان لئلا یبطل صومک، فیخصه بالذکر لعظم حرمته.

و قوله: (وَ لا جِدالَ فِی الْحَجِّ) فالذی رواه أصحابنا: أنه قول: لا و اللَّه و بلی و اللَّه صادقاً، و کاذباً. و للمفسرین فیه قولان:

أحدهما- قال ابن عباس، و ابن مسعود، و الحسن: أنه لا مراء بالسّباب و الأعصاب علی جهة المحک، و اللجاج.

الثانی- قال مجاهد و السدی: إنه لا جدال فی أن الحج قد استدار «۲» فی ذی الحجة، لأنهم کانوا ینسون الشهور فیقدمون و یؤخرون، فربما اتفق فی غیره.

اللغة: ..... ص : ۱۶۴

و أما اشتقاقه فی اللغة فالجدال و المجادلة، و المنازعة، و المشاجرة، و المخاصمة

---

(۱) مر تخریجه فی ۲: ۱۳۲.

(۲) فی المطبوعة (استداد) و معنی استدار: أی یدار معه کیف دار.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۱۶۵

واحد، و تقول: جدلت الحبل أجدّله و أجدِله جدلا: إذا فتلته، و جادلت الرجل مجادلة و جدالا: إذا خاصمته، و تجادلا تجادلا. و جدلته تجدیلا: إذا ألقیته علی الأرض. و تجدّل تجدّلا و انجدل انجدالا. و الجدیل: زمام البعیر. و الجدول: نهر صغیر. و المجدل: القصر. و الجدالة: الأرض ذات الرمل الرقیق. و الأجدل:

الصقر، و کل مفتول: مجدول. و غلام جادل: إذا ترعرع و اشتد. و الجدیلة:

شریجة الحمام. و رجل أجدل المنکب: فیه تطأطؤ، بخلاف الاشراف من المناکب.

و أصل الباب: الفتل، و الجدال: القتال.

الاعراب: ..... ص : ۱۶۵

و من نصب (الثلاثة) أخرج اللفظ مخرج عموم النفی للمبالغة فی معنی النفی.

و من رفع بعضاً و نصب بعضاً، فلاختلاف المعنی، لأن الأول علی معنی النهی، و الثانی بمعنی الاخبار عن زمان الحج: قد استدار فی ذی الحجة، فکان أحقّ بالنصب، لعموم النفی. فأما الأول، فقد یقع من الخاطئ، فلا یصح فیه عموم النفی. هذا قول النحویین. و الصحیح أن الکل معناه النهی، و ان خرج مخرج النفی، و الاخبار.

و المراد به النهی بلا خلاف.

المعنی: ..... ص : ۱۶۵

و قوله تعالی: (وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَیْرٍ یَعْلَمْهُ اللَّهُ) معناه و ما تفعلوا من خیر یجازکم اللَّه العالم به، لأن اللَّه عالم علی کل حال، إلّا أنه جعل (یعلمه) فی موضع یجازیه للمبالغة فی صفة العدل، لأنه یعاملکم معاملة من یعلمه إذا ظهر منکم، فیجازی به، و ذلک تأکید أن الجزاء لا یکون إلا بالفعل دون ما یعلم أنه یکون منهم قبل أن یفعلوه.

و قوله: (وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال الحسن، و قتادة، و مجاهد: أن قوماً كانوا يرمون بازوادهم، و يتسمون بالمتوكلة، فقيل لهم تزودوا من الطعام، و لا تلقوا كلكم على الناس، التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٦٦

و خير الزاد مع ذلك التقوى.

و الثانى- (تزودوا) من الأعمال الصالحات (فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى ، فذكر ذلك فى الحج، لأنه أحق شيء بالاستكثار من أعمال البرّ فيه، و الزاد:

الطعام الذى يتخذ للسفر. و المزود: وعاء يجعل فيه الزاد. و كل من انتقل بخير من عمل أو كسب، فقد تزود منه تزوداً.

و قوله: (وَ اتَّقُونِ يا أُولِي الْأَلْبابِ) يعنى يا ذوى العقول، لأن اللبّ العقل، و إنما سمى لباً لأنه أفضل ما فى الإنسان. و أفضل كل شيء لبّه.

قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ١٩٨] ..... ص : ١٦٦

اشارة

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرامِ وَ اذْكُرُوهُ كَما هَداكُمْ وَ إِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨)

آية واحدة بلا خلاف.

هذه الآية فيها تصريح بالاذن فى التجارة، و نحوها فى حال الإحرام، لأنهم كانوا يتحرّجون بذلك فى صدر الإسلام، على قول ابن عباس، و ابن عمر، و مجاهد، و عطا، و الحسن، و قتادة، و هو المروى عن أبى جعفر، و أبى عبد اللَّه (ع).

اللغة و الاعراب: ..... ص : ١٦٦

و الجناح هو الجرح فى الدين، و هو الميل عن الطريق المستقيم، و أصله الميل- على ما مضى القول فيه-.

و قوله: (فَإِذا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفاتٍ) يعنى دفعتم من عرفة الى المزدلفة عن اجتماع، كفيض الأناء عن امتلائه، تقول: فاض الماء يفيض فيضاً: إذا انصبّ عن امتلاء، و أفاض إفاضة فى الحديث: إذا اندفع فيه. و استفاض الخبر إذا شاع.

و الافاضة الضرب بالقداح. و فيض الصدر بما فيه: البوح به. و الافاضة: امتلاء الحوض حتى يفيض. و رجل فيّاض: جواد. و درع مفاضة، و فيوض إذا كانت واسعة «١».

---

(١) فى المطبوعة (سابقة) و الصحيح ما أثبتناه.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٦٧

و فيض البصرة: نهرها. و أصل الباب: الفيض: الانصباب عن الامتلاء.

و (عرفات) صرفت و إن كان فيها التعريف، و التأنيث، لأنها على حكاية الجمع، كما يجب أن يحكى المذكر إذا سمى به الجمع، و يجوز فيها ترك الصرف تشبيهاً بالواحد فيسقط التنوين و يسقط الاعراب كما كان فى الجمع كقول امرئ القيس:

تنوّرتُها من أذرعاتَ و أهلها بيثرب أدنى دارها نظرٌ عالى «١»

و الأول اختيار النحويين، و قد أجاز بعضهم فتح التاء بغير تنوين على قياس طلحة، و أنشدوا البيت على ثلاثة أوجه (أذرعات)- منوناً

مكسوراً- و مجروراً بلا تنوين- و مفتوحاً بلا تنوين-. و أنكر الزجاج الوجه الثالث.

و المشعر هو معلم المتعبد. و قال المبرد: المشعر- بفتح الميم و العين- مكان الشعور، كالمدخل لمكان الدخول. و المشعر- بكسر الميم- الحديدة التى يشعر بها أى يعلم بها. فكسرت، لأنها آلة كالمخرز، و المقطع، و المخيط. و قال: الكسائى:

لا فرق بين الفتح و الكسر.

المعنى: ..... ص : ١٦٧

و (المشعر الحرام) هو المزدلفة: و هو جُمع بلا خلاف. و سميت عرفات عرفات، لأن إبراهيم (ع) عرفها بما تقدم له من النعت لها، و الوصف، على ما روى عن على (ع) و ابن عباس. و قال عطا، و السدى،

و قد روى ذلك فى أخبارنا: أنها سميت بذلك، لأن آدم و حواء اجتمعا فيه، فتعارفا بعد أن كانا افترقا.

و قيل:

سميت عرفات لعلوّه و ارتفاعه، و منه عرف الديك.

و وجه التشبيه فى قوله (وَ اذْكُرُوهُ كَما هَداكُمْ) أن الذكر بالشكر، و الثناء يجب أن يكون بحسب الانعام، و الهداية فى العظمة لأنه يجب أن يكون الشكر

---

(١) ديوانه ١٤٠. و هو من قصيدته الرائعة المشهورة. و الضمير فى تنورتها عائد للمرأة التى بذكرها، و تنور النار: رآها من بعيد، جعل المرأة تضيء له كما تضيء، النار المشبوبة.

و أذرعات: بلد فى الشام، و يثرب: مدينة الرسول (ص).

يقول: لاح لى نورها و أنا فى أذرعات و هى بيثرب ثم يقول: قرب مكانها منى نظر نظرته نحو جو السماء.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٦٨

كالنعمة فى عظم المنزلة كما يجب أن يكون على مقدارها لو صغرت النعمة، و لا يجوز التسوية فى الشكر بين من عظمت نعمته و من صغرت.

الاعراب: ..... ص : ١٦٨

و قوله: (وَ إِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ) معنى (إن) هاهنا المخففة من الثقيلة بدلالة دخول لام الابتداء معها، و إذا خففت لم تعمل و جار دخولها على الاسم، و الفعل، كقوله تعالى: (وَ إِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنا مُحْضَرُونَ) «١». و أما (كنتم) فلا موضع لها من الاعراب، لأنها بعد حرف غير عامل. و ليس (لان) موضع كما ليس لها موضع فى الابتداء. و إنما هذه الواو عطف جملة على جملة.

و روى جابر عن أبى جعفر (ع) قال: (لا جناح عليكم أن تبتغوا فضلا من ربكم) معناه أن تطلبوا المغفرة.

قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ١٩٩] ..... ص : ١٦٨

اشارة

ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفاضَ النَّاسُ وَ اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٩)

آية بلا خلاف.

المعنى: ..... ص : ۱۶۸

قيل فى معنى هذه الآية قولان:

أحدهما- قال ابن عباس، و عائشة، و عطا، و مجاهد، و الحسن، و قتادة، و السدى، و الربيع،

و هو المروى عن أبى جعفر (ع): أنه أمر لقريش و خلفائهم، لأنهم كانوا لا يقفون مع الناس بعرفة، و لا يفيضون منها، و يقولون: نحن أهل حرم اللَّه لا نخرج عنه، فكانوا يقفون بجمع و يفيضون منه، دون عرفة، فأمرهم اللَّه تعالى أن يفيضوا من عرفة بعد الوقوف بها.

و الثانى- قال الضحاك، و الجبائى و حكاه المبرد، لكنه اختار الأول، لأنه

---

(۱) سورة يس آية ۳۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۶۹

خطاب لجميع الحاج أن يفيضوا من حيث أفاض إبراهيم (ع) من المزدلفة. و الأول إجماع، و هذا شاذ، و ليس لأحد أن يقول على الوجه الآخر: كيف يقال لإبراهيم وحده الناس، و ذلك أن هذا جائر كما قال: (الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ) «۱» و إنما كان واحداً بلا خلاف: و هو نعيم بن مسعود الاشجعى، و ذلك مستعمل. و قيل إن إبراهيم لما كان إماماً، كان بمنزلة الأمّة التى تتبع فى سنة.

فان قيل: إذا كانت (ثم) للترتيب، فما معنى الترتيب هاهنا؟ قلنا: الذى رواه أصحابنا أن هاهنا تقديماً، و تأخيراً. و تقديره (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ) (ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفاضَ النَّاسُ) (فَإِذا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرامِ) (وَ اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ). و قال قوم:

المعنى (ثُمَّ أَفِيضُوا) من المزدلفة. و الذى أجاب به المتأوّلون: أن قالوا: رتبت الافاضة بعد المعنى الذى دل الكلام الأول عليه، كأنه قيل: أحرموا بالحج على ما بين لكم (ثُمَّ أَفِيضُوا) يا معشر قريش (من حيث أفاض الناس) بعد الوقوف بعرفة. و هذا قريب مما قلناه. و إنما عدل الذى تأوّله على الافاضة من المزدلفة، لأنه رآه بعد قوله، فإذا أفضتم من عرفات، قال: فأمروا أن يفيضوا من المزدلفة بعد الوقوف بها، كما أمروا فى عرفة، و قد بينا ترتيب الكلام فى التأويل المختار. و الاستغفار هو طلب المغفرة، كما أن الاستخبار: طلب السؤال. و المغفرة: التغطية للذنب بإيجاب المثوبة. و قيل فى معنى الاستغفار قولان: أحدهما- الحض عليه فى تلك المواطن الشريفة، لأنها خليقة بالاجابة. الثانى- استغفروه لما سلف من مخالفتكم فى الوقوف و الافاضة، كما سنّه اللَّه تعالى للناس عامة. و الفرق بين غفور و غافر أن فى غفور مبالغة لكثرة المغفرة، فأما غافر، فيستحق الصفة فيه بوقوع الغفران. و العفو هو المغفرة. و قد فرق بينهما بأن العفو ترك العقاب على الذنب، و المغفرة تغطية الذنب بإيجاب المثوبة. و لذلك كثرت المغفرة فى صفات اللَّه تعالى، دون صفات العباد، فلا يقال: استغفر السلطان كما يقال: استغفروا اللَّه.

---

(۱) سورة آل عمران آية ۱۷۲. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۷۰

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۰۰] ..... ص : ۱۷۰

اشارة

فَإِذا قَضَيْتُمْ مَناسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آباءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا وَ ما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ (٢٠٠)

آية بلا خلاف.

المعنى: ..... ص : ١٧٠

قوله تعالى: (فَإِذا قَضَيْتُمْ) معناه فرغتم منها. و أصل القضاء: فصل الأمر على أحكام. و قد يفصل بالفراغ منه كقضاء المناسك و قد يفصل بالعمل له على تمام كقوله (فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِي يَوْمَيْنِ) «١» و قد يفصل بالأخبار على القطع كقوله تعالى: (وَ قَضَيْنا إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ) «٢» و قد يفصل بالحكم كقضاء القاضى على وجه الإلزام بالقهر.

و المناسك المأمور بها هاهنا جميع أفعال الحج المتعبد بها فى قول الحسن و غيره من أهل العلم- و هو الصحيح- و قال مجاهد: هى الذبائح.

و قوله (فَاذْكُرُوا اللَّهَ) فالذكر هو العلم و قيل: هو حضور المعنى للنفس بالقول أو غيره مما هو كالعلة، لحضوره بها. و قيل: المراد به هاهنا التكبير أيام منى لأنه الذكر الذى يختصه بالترغيب فيه على غيره من الأوقات. و قيل أيضاً: إنه سائر الدعاء للَّه تعالى فى ذلك الموطن، لأنه أفضل من غيره- و هو الأقوى- لأنه أعم.

و قوله: (كَذِكْرِكُمْ آباءَكُمْ) معناه

ما روى عن أبى جعفر (ع) أنهم كانوا يجتمعون، يتفاخرون بالآباء، و بمآثرهم، و يبالغون فيه.

و قوله (أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً) إنما شبه الأوجب بما هو دونه فى الوجوب، لأمرين: أحدهما- أنه خرج على حال لأهل الجاهلية كانت معتادة: أن يذكروا آباءهم بأبلغ الذكر على وجه التفاخر، فقيل: اذكروا اللَّه كالذكر الذى كنتم تذكرون به آباءكم فى المبالغة، أو أشد ذكراً

---

(١) سورة حم السجدة آية ١٢.

(٢) سورة الاسراء آية: ۴.

بما له عليكم من النعمة. هذا قول أنس، و أبى وائل، و الحسن، و قتادة. و الثانى- قال عطا: أذكروه بالاستعانة به، كذكركم آباءكم: الصبى لأبيه إذا قال: يا أباه.

و الأول هو المعتمد.

الاعراب: ..... ص : ١٧١

و إنما نصب (ذكراً) و لم يخفض كما يخفض فى قولهم هذا الذكر أشد ذكر، لأن فيه ضميراً منهم نظير قولك: هم أشد ذكراً، و فى أشد ضميرهم، و لو قلت مررت به أشد ذكراً لكان منصوباً على الحال فأما الذكر، فعلى التمييز.

المعنى: ..... ص : ١٧١

فان قيل: الأمر بالذكر هاهنا بعد قضاء المناسك أو معه؟ قيل: أجاز أبو على الوجهين، و استشهد بقولهم: إذا وقفت بعرفات فادع اللَّه، و إذا حججت، فطف بالبيت.

و الخلاق: النصيب من الخير، و أصله التقدير، فهو النصيب من الخير على وجه الاستحقاق.

قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ٢٠١] ..... ص : ١٧١

اشارة

وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَ فِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَ قِنا عَذابَ النَّارِ (٢٠١)
آية واحدة.

الاعراب: ..... ص : ١٧١

(ربّنا) منصوب، لأنه منادى و تقديره: يا ربّنا. و إنما حذف حرف النداء، لما كان أصله تنبيه المنادى، ليقبل عليك، و كان اللَّه عزّ و جل لا يغيب عنه شيء- تعالى عن ذلك-، سقط حرف النداء للاستغناء عنه. فأما يا اللَّه اغفر لى، فيجوز أن يخرج مخرج التنبيه للتأكيد: أن يقبل عليك برحمته، و لأنك تسأله سؤال المحتاج أن ينبه على حالة، لأن ذلك أبلغ فى الدعاء، و أحسن فى المعنى.
التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٧٢

اللغة: ..... ص : ١٧٢

و الفرق بين القول و الكلام: أن القول يدلّ على الحكاية، و ليس كذلك الكلام، نحو قال: الحمد للّه، فإذا أخبرت عنه بالكلام قلت تكلم بالحق، و الحكاية تكون على ثلاثة أوجه: حكاية على اللفظ و المعنى، و حكاية على اللفظ فقط، و حكاية على المعنى فقط، فالأول نحو (آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً) «١» إذا حكاه من يعرف لفظه و معناه. الثاني- إذا حكاه من يعرف لفظه دون معناه. الثالث- نحو أن يقول: أتونى أفرغ عليه نحاساً، فيكون حكاه على معناه دون لفظه.

المعنى: ..... ص : ١٧٢

و قوله (آتنا) معناه: أعطنا، فالإتيان الإعطاء. و أصله الأتى، و المجيء، فأتى إذا كان منه المجيء، فآتى إذا حمل غيره على المجيء، كما يقال: أتاه ما يجب، و آتاه غيره ما يحب.
و الحسنة التى سألوها قيل فى معناها قولان:
أحدهما- قال قتادة، و الجبائى، و أكثر المفسرين: إنه نعم الدّنيا، و نعم الآخرة.
الثاني- قال الحسن: العبادة فى الدنيا، و الجنة فى الآخرة، و سميت نعمة اللَّه حسنة، لأنها مما تدعو إليه الحكمة. و قيل: الطاعة و العبادة حسنة، لأنها مما يدعو إليه العقل.

اللغة: ..... ص : ١٧٢

و قوله تعالى: (وَ قِنا عَذابَ النَّارِ) فالوقاء: الحاجز الذى يسلم به من الضرر.
يقال وقاه يقيه وقاء، و وقاية. و توقى هو توقية و أصل الوقاء الحجز بين الشيئين.
و أصل قنا: أوقنا مثل احملنا، فذهبت الواو لسقوطها فى يقى، لوقوعها بين ياء و كسرة ثم أتبع سائر تصاريف الفعل ما لزمته العلة، و

سقط ألف الوصل للاستغناء

---

(۱) سورهٔ الکهف آیهٔ: ۹۷.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۷۳

عنها بتحرك ما بعدها، و حذفت الياء، للوقف الذى هو نظير الجزم.

و الفائدة فى الاخبار عنهم بهذا الدعاء، الاقتداء بهم فيه، لأنه لما حذّر من الدعاء الأول رغّب فى الثانى.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۰۲] ..... ص : ۱۷۳

اشارة

أُولئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسابِ (۲۰۲)

آية بلا خلاف.

الاعراب: ..... ص : ۱۷۳

(أولئك) رفع بالابتداء و خبره لهم نصيب. و معناه أولئك لهم نصيب من كسبهم باستحقاقهم الثواب عليه.

اللغة: ..... ص : ۱۷۳

و النصيب: الحظ، و جمعه أنصباء و أنصبة. و حدّ النصيب الجزء الذى يختص به البعض من خير أو شر.

و الكسب: الفعل الذى يجتلب به نفع أو يدفع به ضرر. و تقول: نصب ينصب نصباً، و نصب نصباً من التعب، و أنصبنى هذا إنصاباً. و انتصب الشىء انتصاباً.

و ناصبه العداوة مناصبة. و النصب إقامتك الشىء. و النصب: الرفع. نصب القوم السير: إذا رفعوه. و كل شىء رفعته، فقد نصبته، و منه نصب الحرف، لأن الصوت يرفع فيه الى الغار الأعلى. و النصب بتغير الحال من مرض أو تعب. و النصب: جمع أنصاب و هى حجارة كانت تنصب فى الجاهلية، و يطاف بها، و يتقرب عندها و هى التى ذكرها اللَّه تعالى فى قوله: (وَ ما ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ) «۱» و قال: (وَ الْأَنْصابُ وَ الْأَزْلامُ) «۲». و أنصاب الحرم حدوده، و هى حجارة تنصب، ليعرف بها

---

(۱) سورة المائدة آية: ۴.

(۲) سورة المائدة آية: ۹۳.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۷۴

الحرم. و نصاب السكين، و غيره معروف، و فلان فى نصاب صدق: فى حسب ثابت.

و النصبة: السارية. و المنصب الذى ينصب عليه القدور. و كل شىء استقبلت به شيئاً، فقد نصبته. و أصل الباب القيام.

و قوله تعالى: (وَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسابِ) يعنى فى العدل من غير حاجة الى خط و لا عقد، لأنه (عز و جل) عالم به. و إنما يحاسب العبد مظاهرة فى العدل، و إحالة على ما يوجبه الفعل من خير أو شر. و السرعة هو العمل القصير المدة. تقول: سرع سرعة، و أسرع فى

المشى إسراعاً، و سارع اليه مسارعهٔ، و تسرّع تسرّعاً، و تسارع تسارعاً، و أقبل فلان فى سرعان قومه أى فى أوائلهم المتسرعين.

و اليسروع: دويبهٔ تكون فى الرمل. و أصل الباب: السرعهٔ.

و تقول من الحساب: حسب الحساب يحسبه حسباً، و حسب الشيء حسباناً، و حاسبه محاسبهٔ، و حساباً، و تحاسبوا تحاسباً، و احتسب احتساباً، و أحسبنى من العطاء إحساباً، أى كفانى (و عَطاءً حِساباً) «۱» أى كافياً. و الحسبان سهام صغار.

و قيل منه (وَ يُرْسِلَ عَلَيْها حُسْباناً مِنَ السَّماءِ) «۲». و قيل عذاباً. و المحسبهٔ وسادهٔ من أدم. و المحسبهٔ غبرهٔ مثل كدرهٔ. و حسب الرجل مآثر آبائه. و أفعل ذلك بحسب ما أوليتنى. و حسبى أى يكفينى (يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ) «۳» أى بغير تضييق (و الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبانٍ) «۴» أى قدّر لهما مواقيت معلومهٔ لا يعدونها.

و التحسيب: دفن الميت يجب الحجارهٔ «۵» و أصل الباب: الحساب، و الحسبان:

الظن، لأنه كالحساب فى الاعتداد به، و العمل به على بعض الوجوه.

و روى عن على (ع) أنه قال: معناه إنه يحاسب الخلق دفعهٔ كما يرزقهم دفعهٔ.

قوله تعالى:[سورهٔ البقرهٔ (۲): آيهٔ ۲۰۳] ..... ص : ۱۷۴

اشارهٔ

وَ اذْكُرُوا اللَّهَ فِى أَيَّامٍ مَعْدُوداتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَ مَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقى وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (۲۰۳)

---

(۱) سورهٔ النبأ آيهٔ: ۳۶.

(۲) سورهٔ الكهف آيهٔ: ۴۱.

(۳) سورهٔ البقرهٔ آيهٔ: ۱۱۲.

(۴) سورهٔ الرحمن آيهٔ: ۵.

(۵) هكذا فى المطبوعهٔ و فى لسان العرب (حسب) التحسيب دفن الميت فى الحجارهٔ.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۷۵

آيهٔ بلا خلاف.

المعنى: ..... ص : ۱۷۵

هذا أمر من اللَّه تعالى للمكلفين أن يذكروا اللَّه فى الأيام المعدودات: و هى أيام التشريق: ثلاثهٔ أيام بعد النحر، و هو قول ابن عباس، و الحسن و مالك، و الأيام المعلومات: عشر ذى الحجهٔ، و هو قول ابن عباس أيضاً، و ذكر الفراء: أن المعلومات:

هى أيام التشريق، و المعدودات العشر. و فيه خلاف ذكرناه فى اختلاف الفقهاء.

و سميت معدودات لأنها قلائل، كما قال: «وَ شَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَراهِمَ مَعْدُودَةٍ» «۱» أى قليلهٔ. و الجمع بالألف و التاء يصلح للقليل و الكثير، و القليل أغلب عليه. و أنكر الزجاج ما يروى فى قول حسان:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى و أسيافنا يقطرن من نجدهٔ دما «۲»

من أنه عيب عليه، و زعم أن الخبر موضوع، و قال الألف و التاء يصلح للكثير قال اللَّه تعالى: «وَ هُمْ فِى الْغُرُفاتِ آمِنُونَ» «۳» و قال: «إِنَّ

الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ» «۴» و إنما احتمل هذا الجمع القليل و الكثير، لأن جمع السلامة على طريقة واحدة لا يتميز فيه قليل من كثير، و كان القليل أغلب عليه، لشبهه بالتثنية.

و الآية تدل على وجوب التكبير فى هذه الأيام، و هو أن يقولوا: اللَّه أكبر اللَّه أكبر لا إله إلا اللَّه و اللَّه أكبر اللَّه أكبر و للّه الحمد. و به قال الحسن و الجبائى، و زاد أصحابنا على هذا القدر: اللَّه أكبر على ما هدانا و الحمد للَّه على ما أولانا،

---

(۱) سورة يوسف آية: ۲۰.

(۲) ديوانه: ۶۹. الجفنات جمع جفنة و هى القصعة الكبيرة، و الغر: البيض. و هذا البيت قيل: ان حسان قد فاز به فى بعض السنين بسوق عكاظ و قد أعابته الخنساء فى الجفنات لأنها جمع قلة و فى الغر لأنه لا يدل على أن القصاع ممتلأة طعاماً، و على قوله: يقطرن، و لم يقل يجرين.

(۳) سورة سبأ آية: ۳۷.

(۴) سورة الحجر آية: ۴۵. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۷۶

و رزقنا من بهيمة الانعام. و أول التكبير- عندنا- لمن كان بمنى، عقيب الظهر من يوم النحر الى الفجر يوم الرابع من النحر: عقيب خمسة عشرة صلاة، و فى الأمصار عقيب الظهر من يوم النحر الى عقيب الفجر يوم الثانى من التشريق: عقيب عشر صلوات، و اختار الجبائى من صلاة الغداة من يوم عرفة الى صلاة العصر آخر يوم التشريق. و فيه خلاف ذكرناه فى الخلاف.

و قوله تعالى: «فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَ مَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ».

المعنى فى ذلك الرخصة فى جواز النفر فى اليوم الثانى من التشريق و إن أقام الى النفر الأخير، و هو اليوم الثالث من التشريق، كان أفضل، فان نفر فى الأول، نفر بعد الزوال الى الغروب، فان غربت فليس له أن ينفر. و قال الحسن إنما له أن ينفر بعد الزوال الى وقت العصر، فان أدركته صلاة العصر، فليس له أن ينفر إلا يوم الثالث و ليس للإمام أن ينفر فى النفر الأول، و به قال الحسن.

و قوله تعالى: «فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ» قيل فيه قولان: أحدهما- لا إثم عليه لتكفير سيئاته بما كان من حجه المبرور و هو معنى قول ابن مسعود. الثانى- قال الحسن: لا- إثم عليه فى تعجّله و لا- تأخره. و إنما نفى الإثم، لئلا يتوهم ذلك متوهم فى التعجّل، و جاء فى التأخر على مزاوجة الكلام كما تقول: إن أظهرت الصدقة، فجائز. و إن أسررتها، فجائز، و الاسرار أفضل.

و قوله تعالى: «لِمَنِ اتَّقى قيل فيه قولان: أحدهما- لما قال «فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ» دّل على وعده بالثواب، فقيد ذلك بالتقوى للّه تعالى، لئلا يتوهم أنه بالطاعة فى النفر فقط. و الثانى- أنه لا إثم عليه فى تعجّله إذا لم يعمل لضرب من ضروب الفساد، و لكن لاتباع إذن اللَّه فيه.

و قالوا: معنى تجديد الأمر بالتقوى هاهنا التحذير من الاتكال على ما سلف من أعمال البرّ فى الحج، فبين أن عليهم مع ذلك ملازمة التقوى، و مجانبة المعاصى.

و روى أصحابنا: أن قوله «لِمَنِ اتَّقى متعلق بالتعجّل فى اليومين، و تقديره «فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ» «لِمَنِ اتَّقى الصيّد الى انقضاء النفر الأخير التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۷۷

و ما بقى من إحرامه، و من لم يتقها، فلا يجوز له النفر فى الأول، و هو اختيار الفراء، و المروى عن ابن عباس،

و روى عن أبى عبد اللَّه (ع) فى قوله تعالى «فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ» أى من مات فى هذين اليومين، فقد كفّر عنه كل ذنب. و من تأخر أى أنسئ أجله، فلا إثم عليه بعدها إذا اتقى الكبائر.

الاعراب: ..... ص : ۱۷۷

و العامل فى اللام فى قوله «لِمَنِ اتَّقى قيل فيه قولان: أحدهما- ذلك (من اتقى) فحذف ذلك لأن الكلام الأول دلّ على وعدٍ للعامل. و الثانى- أن يكون العامل معنى «فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ»، لأنه قد تضمن معنى جعلناه «لِمَنِ اتَّقى .

اللغة: ..... ص : ۱۷۷

و قوله تعالى: «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» معناه اجتنبوا معاصى اللّه، «وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ» أى تحققوا أنكم بعد موتكم تردون الى اللّه، فيجازيكم على أعمالكم.

تقول: حشر يحشر حشراً، فالحشر: جمع القوم من كل ناحية الى مكان.

و المحشر: مجتمعهم: و هو المكان الذى يحشرون فيه، و حشرتهم السّنة: إذا أجحفت بهم، لأنها تضمهم من النواحى الى المصر. و سهم حشر: خفيف لطيف، لأنه ضامر باجتماعه. و منه أذن حشره: لطيفة ضامرة. و حشرات الأرض: دوابها الصغار، و الواحدة حشرة، لاجتماعها من كل ناحية. و دابّة حشور: إذا كان ملزّزة الحلق شديدة. و رجل حشور: إذا كان عظيم البطن. و حشرت السنان، فهو محشور: إذا رفقته و ألطفته. و أصل الباب الاجتماع.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۰۴] ..... ص : ۱۷۷

اشارة

وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ يُشْهِدُ اللَّهَ عَلى ما فِي قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ (۲۰۴)

آية واحدة.

قال الحسن: المعنى بهذه الآية المنافق. و قال قوم: المعنى: بها المرائى. و قيل: التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۷۸

إنها نزلت فى الأخنس بن شريق ذكره السدى و غيره.

اللغة: .... ص : ۱۷۸

و الاعجاب هو السرور بالشىء سرور العجب بما يستحسن. و منه العجب بالنفس، و السرور بها سرور العجب من الشىء استحساناً له، و ذلك إذا تعجب من شدة حسنه. و تقول: عجب عجباً، و تعجب تعجباً، و عجبه تعجيباً، و أعجبه إعجاباً، و استعجب استعجاباً أى اشتد تعجبه. و العجاب: العجيب، و أعجبنى هذا: إذا كان حسناً جداً. و المعجب بنفسه أو بالشىء معروف. و قال الأزهرى: العجب كل شى غير مألوف، و عجب الذَنب: العظم الذى ينبت عليه شعر الذنب فى المعز، و رأيت أعجوبة و أعاجيب. و أصل الباب العجب.

و قوله تعالى: «فِي الْحَياةِ الدُّنْيا» أى وقت الحياة الدنيا فالحىّ هو من لا يستحيل، و هو على ما هو عليه أن يكون عالماً قادراً.

و قوله: «وَ يُشْهِدُ اللَّهَ عَلى ما فِي قَلْبِهِ» فأصل الاشهاد: هو الإقرار بالشىء ليشهد به المقر عنده. و المراد فى الآية: من يقرّ بالحق، و يقول: أللهم اشهد علىّ، و ضميره على خلافه.

و قوله تعالى: «وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ» يقال لدّه يلدّه لدّاً: إذا غلبه فى الخصومة، ولدّه يلدّه: إذا أوجره فى أحد خقى فمه. ولدّت تلدّ لدّاً و هو شدة الخصومة. و جانبا كل شىء لديداه، فمنه لديدى الوادى. و لديدى العنق:

صفحتاه. ولدّه عن كذا: إذا حبسه. و التلدّد: التلفت عن تحير و أصل الباب اللديد: الجانب.

و الخصام: هو المخاصمة. تقول: خاصمه يخاصمه مخاصمة، و خصاماً، و تخاصماً، و اختصما اختصاماً، و استخصمهم استخصاماً. و

الْخُصم طرف الرواية الذى بحيال العزلاء «۱» من مأخرها، و طرفها الأعلى و هو العصم. و الأخصام من

(۱) فى المطبوعة (الدراية الذى بحبال العولاء) و هو تصحيف.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۷۹

كل شيء جوانبه، كجوانب الخوالق الذى فيه العرى، يحمل به. و أصل الباب الخصومة.

المعنى: ..... ص : ۱۷۹

و معنى «ألدّ» فى الآية: هو الشديد الجدل بالخصومة الى ما يريد، قال الشاعر:

ثم أردّى و بهم من تُردى تلدّ أقران الخصوم اللدّ «۱»

و قال الزجاج: الخصام جمع خصم. و المعنى هو أشد المخاصمين خصومة.

و قال غيره: هو مصدر. و معنى الآية أنه تعالى وصف المنافقين، فقال: «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ» يا محمد «قوله» فى الظاهر، و باطنه بخلافه «وَ يُشْهِدُ اللَّهَ عَلى ما فِي قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ» جدل مبطل.

و من قرأ (و يشهد اللَّه)- بفتح الياء- معناه أنه تعالى يشهد عليه بنفاقه، و إظهاره خلاف ما يبطن. و القراءة العامة هى الأولى.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۰۵] ..... ص : ۱۷۹

اشارة

وَ إِذا تَوَلَّى سَعى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها وَ يُهْلِكَ الْحَرْثَ وَ النَّسْلَ وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ (۲۰۵)

آية واحدة.

فى قوله تعالى: «وَ إِذا تَوَلَّى» ضمير عمن تقدم ذكره و هو «مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا» و التوّلى: هو الانحراف، و الزوال عن الشيء الى خلاف جهته. و السعى هو الاسراع فى المشى و قيل: إنه العمل، و قال الأعشى:

و سعى لكندَة غير سعى مواكل قيسٌ فضرّ عدوّها و بنى لها «۲»

(۱) معانى القرآن للفراء ۱: ۱۲۳ قدم البيت الثانى على الأول، و اللسان (لدد) ذكر البيت الثانى فقط. و رواية اللسان (ألد) بدل (تلد). و رواية معانى القرآن:

ألد أقران الرجال اللد

و فى تفسير الطبرى ۴: ۲۳۵ كالذى ذكره الشيخ سراء.

(۲) ديوانه: ۳۱. رقم القصيدة: ۳.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۸۰

أى عمل لها. و قوله: «فِي الْأَرْضِ» دخلت الألف و اللام فى الأرض، لتعريف الجنس، لأن الأرض و إن كانت واحدة بعينها فلو خلق اللَّه مثلها، لكانت أرضاً، كما أن الشمس، و القمر كذلك، و فارق ذلك زيداً و عمراً- فى أسماء الأعلام- و امتناع دخول الألف و اللام عليهما، لأن اللَّه تعالى لو خلق مثل زيد لم يجب أن يكون زيداً، على أن الأرضين السبعة كما قال تعالى: «خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ» «۱» فعلى هذا لا يتوجه السؤال.

و الإفساد: هو عمل الضرر بغير استحقاق، و لا وجه من وجوه المصلحة.

و الإهلاك: العمل الذى ينفى الانتفاع.

و قوله: «لِيُفْسِدَ فِيها» نصب بإضمار (أن) و يجوز إضمارها، فتقول: لأن يفسد فيها، و لا يجوز إظهارها فى قوله: «ما كانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ» «۲».

و إنما جاز حذفها فى «ليفسد» لدلالة الكلام عليها مع كونها فى حروف الاضافة حتى حذفت فى قولهم: غلام زيد، و ما أشبهه مع كثرته فى الكلام، و جاز إظهارها، لأنه الأصل من غير مانع فى الاستعمال، و إنما امتنع فى قوله: «ليذر» لما يرجع الى المعنى، لأن معناه كمعنى (ما كان زيد ليفعل) أى ما كان فاعلا فلما تضمن غير المعنى الذى توجبه صورته لم يتصرف فى لفظه، و لأنه لما كان محمولا على تأويل معنى لم يذكر، حمل أيضاً على تأويل لفظ لم يذكر. و الفرق بين دخول اللام فيها أن اللام دخلت فى «ليفسد» على إضافة السعى الى الفساد، على أصل الاضافة فى الكلام. و دخولها فى «ليذر» فإنما هو لتأكيد النفى بتحقيق تعلقه بالخبر كما دخلت الباء فى (ليس زيد بقائم)، لأن النفى لما كان للخبر و ولى حرف النفى الاسم، دخلت الباء، لتدل على اتصاله فى المعنى بحرف النفى.

اللغة: ..... ص : ۱۸۰

و الحرث: الزرع. و النسل: العقب من الولد. و قال الضحاك: الحرث: كل

---

(۱) سورة الطلاق آية: ۱۲.

(۲) سورة آل عمران آية: ۱۷۹.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۸۱

نبات، و النسل: كل ذات. و يقال: نسل ينسل نسولًا: إذا خرج، فسقط. و منه نسل و بر البعير أو شعر الحمار أو ريش الطائر. و النسالة: قطعة من الوبر، قال اللَّه تعالى: «إِلى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ» «۱» أى يسرعون، لأنه إسراع الخروج بحدّة.

و النسل: الولد، ما نسل بعضه من بعض. و الناس نسل آدم، لخروجهم من ظهره.

و النسل و النسلان: عدو من عدو الذئب فيه اضطراب. و النسيلة: فتيلة السراج، و أصل الباب النسول: الخروج. و حكى الزجاج: أن الحرث: الرجال، و النسل:

الأولاد. و ذكر الأزهرى: أن الحرث: النساء، و النسل الأولاد، لقوله تعالى:

«نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ» «۲».

المعنى: ..... ص : ۱۸۱

و قوله تعالى: «وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ» يدلّ على فساد قول المجبرة: إن اللَّه تعالى يريد القبائح، لأن اللَّه تعالى نفى عن نفسه محبة الفساد. و المحبة هى الارادة، لأن كل ما أحب اللَّه أن يكون، فقد أراد أن يكون، و ما لا يحب أن يكون لا يريد أن يكون. و معنى الآية: إذا خرج هذا المنافق من عندك يا محمد غضبان، عمل فى الأرض بما حرّم اللَّه عليه و حاول معصيته، و قطع الطريق، و أفسد النسل، و الحرث على عباده. «وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ».

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۰۶] ..... ص : ۱۸۱

اشارة

وَ إِذا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَ لَبِئْسَ الْمِهادُ (٢٠۶)

آية بلا خلاف.

المعنى: ..... ص : ١٨١

قيل فى المعنى بهذه الآية قولان: أحدهما- قال ابن عباس: إنه كل منافق.

و الثانى- قال السدى: إنه الأخنس بن شريق، و الاتقاء طلب السلامة بما يحجز

---

(١) سورة يس آية: ٥١.

(٢) سورة البقرة آية: ٢٢٣.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٨٢

من المخافة، و اتقاء اللَّه إنما هو اتقاء عذابه.

و قوله: «أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ» قيل فى معناه قولان: أحدهما- قال الحسن أخذته العزة الى الإثم، كما تقول: أخذت فلاناً «١» بأن يفعل: أى دعوته الى أن يفعل «٢».

و معنى قوله: «وَ إِذا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ» هو الاشعار بالدليل على نفاقه، لفضيحته بذلك عند المؤمنين- على ما قاله قتادة-، و يجوز أن يكون الذمّ له على تلك الحال القبيحة.

و قوله: «وَ لَبِئْسَ الْمِهادُ» الوطء. فان قيل: كيف قيل لجهنم مهاد. قلنا عنه جوابان:

أحدهما- قال الحسن: معناه القرار هاهنا، و القرار كالوطأ فى الثبوت عليه.

الثانى- لأنها بدل من المهاد كما قال تعالى: «فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ» «٣» لأنه موضع البشرى بالنعيم على جهة البدل منه.

اللغة: ..... ص : ١٨٢

و المهاد فى اللغة: الوطء من كل شيء تقول: مهدت الفراش تمهيداً، و كل شيء وطأته فقد مهدته، و تمهد الشيء: إذا يوطأ، و كذلك امتهد امتهاداً، و مهد الصبى معروف، و جمع المهاد، مُهد، و ثلاثة أمهدة «و الْأَرْضَ مِهاداً» «۴» لأجل التوطئة للنوم، و القيام عليها، و أصل الباب التوطئة.

و الأخذ: ضد الإعطاء. و العزة: القوة التى يمتنع بها من الذلة.

المعنى: ..... ص : ١٨٢

فمعنى الآية: أن هذا المنافق الذى نعتّه لك بأنه يعجبك قوله فى الحياة الدنيا

---

(١) فى المطبوعة «قد كنا» و هو تصحيف.

(٢) ذكر قولا- واحداً و لم يذكر الثانى و فى مجمع البيان ذكر القولين و نقل القول الثانى عن الحسن، و أطلق هذا و لم يذكر قائله،

راجع صفحة: ۳۰۱ من مجمع البيان طبع صيدا.

(۳) سورة آل عمران آية: ۲۱.

(۴) سورة النبأ آية: ۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۸۳

«إِذا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ» فى سعيك فى الأرض بالفساد و إهلاك الحرث و النسل، دخلته عزة و حمية، فقال تعالى: فكفاه عقوبة من ضلاله أن يصلى نار جهنم، فإنها بئس المهاد لمن يصلاها.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۰۷] ..... ص : ۱۸۳

اشارة

وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ (۲۰۷)

آية بلا خلاف.

النزول: ..... ص : ۱۸۳

قال قتادة: نزلت هذه الآية فى المهاجرين و الأنصار. و قال عكرمة: نزلت فى أبى ذرّ الغفارى: جندب بن السكن، و صهيب بن سنان، لأن أهل أبى ذر أخذوا أبا ذر، فانفلت منهم، فقدم على النبى (ص)، فلما رجع مهاجراً عرضوا له، و كان بمر الظهران، فانفلت أيضاً منهم حتى قدم النبى (ص)، فلما رجع مهاجراً عرضوا له، فانفلت حتى نزل على النبى (ص). فأما صهيب، فانه أخذه المشركون من أهله فافتدى منهم بماله ثم خرج مهاجراً، فأدركه منقذ بن ظريف بن خدعان، فخرج له مما بقى من ماله، و خلّى سبيله.

و روى عن أبى جعفر (ع) أنه قال: نزلت فى على (ع) حين بات على فراش رسول اللَّه (ص) لما أرادت قريش قتله، حتى خرج رسول اللَّه (ص) وفات المشركين أغراضهم

، و به قال عمر بن شبه.

المعنى: ..... ص : ۱۸۳

و روى عن على (ع)، و ابن عباس: أن المراد بالآية: الأمر بالمعروف، و النهى عن المنكر.

و قال الحسن: هى عامة فى كل من يبيع نفسه للّه بأن يقيم نفسه فى جهاد عدوّه، و الأمر بالمعروف، و النهى عن المنكر و غير ذلك مما أمر اللّه به، و توّعد على خلافه. التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۸۴

و قوله تعالى: «يَشْرِي نَفْسَهُ» معناه يبيع نفسه، و قد بينا فيما مضى أن الشراء يكون بمعنى البيع، كما قال: «وَ شَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ» «۱» أى باعوه و قال الشاعر: «۲»

و شريت برداً ليتنى من بعد برد كنت هامه «۳»

أى بعت. و الشراء استبدال العوض بالثمن. و شرى باع و اشترى ابتاع.

و شرا هاهنا مجاز، لأن أصله فى الأثمان من العين، و الورق، لذلك لا يقال:

باع متاعه إذا تصدق به، لأن الأظهر إذا أطلق أنه باعه بالثمن.

و قوله تعالی: «ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ» معناه طلب مرضات اللّه، و مثله «حذر الموت» «۴» قال الشاعر: «۵»

و أغفرُ عوراءَ الکریم ادّخاره و أعرض عن شتم اللئیم تکرما «۶»

و لا یجوز قیاساً علی ذلک فعله زیداً أی لزید. و یجوز فعله خوفاً، لأن فی ذکر المصدر دلیلا علی العرض الداعی الی الفعل، و لیس کذلک ذکر زید، و المرضاة و الرضی واحد و هو ضد السخط.

قوله تعالی: «وَ اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ» قد بینا فیما مضی معنی الرؤوف، و الخلاف فیه، و معناه ذو رحمة واسعة بعبده الذی شری نفسه له فی جهاد من جاهد فی أمره من أهل الشرک، و الفسوق. و إنما ذکر الرؤوف بالعباد هنا للدلالة علی أنه انما رغّب العبد فی بیع نفسه بالجهاد فی نفسه رأفة به، و حسن نظر له، لیبتلیه من الثواب المستحق علی عمله ما لا یجوز أن یصل إلیه فی جلالته إلا بتلک المنزلة.

---

(۱) سورة یوسف آیة: ۲۰.

(۲) هو یزید بن مفرغ الحمیری.

(۳) مر تخریجه فی ۱: ۳۴۸. و روایته هناک (من قبل) بدل (من بعد) و البیت مروی بالوجهین. [.....]

(۴) سورة البقرة آیة: ۱۹.

(۵) هو حاتم.

(۶) دیوانه: ۲۴، و نوادر أبی زید: ۱۱، و الخزانة ۱: ۴۹۱. و غیرها و فی البیت اختلاف کثیر فی الروایة، و الشاهد فیه عندهم نصب (ادخاره) علی أنه مفعول له.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۱۸۵

قوله تعالی:[سورة البقرة (۲): آیة ۲۰۸] ..... ص : ۱۸۵

اشارة

یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِی السِّلْمِ کَافَّةً وَ لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّیْطانِ إِنَّهُ لَکُمْ عَدُوٌّ مُبِینٌ (۲۰۸)

آیة واحدة.

القراءة: ..... ص : ۱۸۵

قرأ أهل الحجاز، و الکسائی «السلم»- بفتح السین-. الباقون- بکسرها-

اللغة: ..... ص : ۱۸۵

قال الأخفش: السلم- بکسر السین-: الصلح، و بفتحها، و فتح اللام:

الاستسلام. و قال الزجاج: السلم جمیع شرائعه. و یقال: السِّلم، و السَلم معناهما الإسلام، و الصلح. و فیه ثلاث لغات: کسر السین، و فتحها مع تسکین اللام، و فتحها. و قال أبو عبیدة: السِلم- بکسر السین- و الإسلام واحد، و هو فی موضع آخر المسالمة، و الصلح.

المعنی: ..... ص : ۱۸۵

و قال ابن عباس، و السدى، و الضحاك، و مجاهد: معنى السلم هاهنا الإسلام، و به قال قتادة. و قال الربيع: معناه ادخلوا فى الطاعة، و هو اختيار البلخى قال: لأن الخطاب للمؤمنين بقوله: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» و اختار الطبرى الوجه الأول، و الأمران جميعاً عندنا جائزان محتملان، و حملها على الطاعة أعم، و يدخل فيه ما رواه أصحابنا من أن المراد به الدخول فى الولاية، قال أبو على: من قرأ بفتح السين، ذهب إلى أن معناه: المسالمة، و الصلح، و ترك الحرب بإعطاء الجزية. و من كسرها، اختلفوا منهم من حمله على الإسلام، و منهم من حمله على الصلح أيضاً.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٨۶

اللغة: ..... ص : ١٨۶

و قوله تعالى: «كافة» معناه جميعاً، و هو نصب على الحال من ضمير المؤمنين.

و قيل من حال السلم، و اشتقاقه فى اللغة مما يكف الشىء فى آخره، من ذلك كفة القميص، يقال لحاشية القميص: كفة. و كل مستطيل، فحرفه كفة. و يقال فى كل مستدير: كفة، نحو كفة الميزان. و إنما سميت كفة الثوب، لأنها تمنعه أن ينتشر.

و أصل الكف: المنع، و منه قيل لطرف اليد: كف، لأنها يكف بها عن سائر البدن:

و هى الراحة مع الأصابع، و من هذا قيل: رجل مكفوف أى قد كف بصره أن يبصر، و كفّ من الشىء يكف كفاً: إذا انقبض عنه. و كل شىء جمعته، فقد كففته. و استكفّ السائل: إذا بسط كفه يسأل. و استكف القوم بالشىء: إذا أحدقوا به. و تكفف السائل: إذا مدّ كفه للسؤال. و لقيته كفة لكفة: إذا لقيته مفاجأة. و المكفوف: الأعمى. و الكفف: دارات الوسم. و الكفة: ما يصاد به الظباء: كالطوق.

المعنى: ..... ص : ١٨۶

فمعنى الآية على هذا: ابلغوا فى الإسلام إلى حيث تنتهى شرائعه، فتكفوا من أن تعدوا شرائعه. و ادخلوا كلكم حتى يكف عن عدد واحد لم يدخل فيه.

و قيل: معنى الآية: أن قوماً من اليهود أسلموا و أقاموا على تحريم السبت، و تحريم لحم الإبل، فأمرهم اللَّه تعالى أن يدخلوا فى جميع شرائع الإسلام. و قال بعض أهل اللغة: جائز أن يكون أمرهم و هم مؤمنون أن يدخلوا فى الايمان: أى يقيموا على الايمان كما قال: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ» «١» و كلا القولين جائز.

و قوله «وَ لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ» أى لا تتبعوا آثاره، لأن ترككم شيئاً من شرائع الإسلام اتباع الشيطان. و خطوات: جمع خطوة و فيها ثلاث لغات: خطوات- بضم الطاء، و فتحها، و إسكانها.

---

(١) سورة النساء آية: ١٣۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٨٧

و قوله تعالى: «إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ» عداوته للمؤمنين. و إبانة عداوته لنا هو أن ينسها لمن يراه من الملائكة، و الجن، و نحن و إن لم نشاهده، فقد علمنا معاداته لنا، و دعاءه إيانا الى المعاصى، فجاز أن يسمى ذلك إبانة. و قال الجبائى:

أبان عداوته لآدم و الملائكة (ع)، فكان بذلك مبيناً لعداوته إيانا.

قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ٢٠٩] ..... ص : ١٨٧

اشارة

فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْكُمُ الْبَيِّناتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (۲۰۹)

آیة واحدة.

المعنی و اللغة: ..... ص : ۱۸۷

أنزل اللَّه تعالی هذه الآیة، و قد علم أنه سیزل الزالّون من الناس، فتقدم فی ذلک، و أوعد فیه، لکی تکون الحجة علی خلقه. یقال: زلّ یزل زلًا، و زللًا، و مزلًا، و زلولًا. و معنی الآیة «فَإِنْ زَلَلْتُمْ» بمعنی تنحیتم عن القصد، و الشرائع، و ترکتم ما أنتم علیه من الدین «مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْكُمُ الْبَيِّناتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ» فی نعمته «حکیم» فی أمره، لا تعجزونه، و حکیم فیما شرع لکم من دینه، و فطرکم علیه، و فیما یفعل بکم من عقوبة علی معاصیکم إیاه بعد إقامة الحجة علیکم.

و ذکر جماعة من أهل التأویل: أن «البینات» هم محمد (ص) و القرآن، ذهب الیه السدی، و ابن جریج، و غیرهما. و قیل: زلّ فی الآیة: مجاز تشبیهاً بمن زلّ عن قصد الطریق، و حقیقته: عصیتم اللَّه فیما أمرکم به أو نهاکم عنه. و الأولی أن یکون ذلک حقیقة بالعرف.

و فی الآیة دلالة علی بطلان مذهب المجبرة: أن اللّه یرید القبیح، لأنه لو أراده لما صح وصفه بأنه حکیم. فان قیل: سواء زلّ العباد أو لم یزلوا، وجب أن یعلم أن اللَّه عزیز حکیم فما معنی الشرط؟ قیل، لأن معنی «عزیز» هو القادر الذی لا یجوز علیه المنع من عقابکم «حکیم» فی عقوبته إیاکم، فکأنه قال: فاعلموا أن العقاب واقع بکم لا محالة، لأنه عزیز لا یجوز أن یحول بینه و بین عقوبتکم حائل،

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۱۸۸

و لم یمنعه مانع «حکیم» فی عقوبته إیاکم، و ذلک أن حری لهم وصفه بأنه عزیز أنه قدیر لا یمنع، لأنه قادر لنفسه. و «حکیم» معناه علیم بتدبیر الأمور.

و یقال: «حکیم» فی أفعاله بمعنی محکم لها و أصل العزة الامتناع، و منه أرض عزاز: إذا کانت ممتنعة بالشدة و أصل الحکمة المنع من قول الشاعر:

أبنی حنیفة أحکموا سفهاءکم إنی أخاف علیکم أن أغضبا «۱»

و منه حکمة الدابة

قوله تعالی:[سورة البقرة (۲): آیة ۲۱۰] ..... ص : ۱۸۸

اشارة

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَ الْمَلائِكَةُ وَ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (۲۱۰)

آیة واحدة.

القراءة: ..... ص : ۱۸۸

قرأ أبو جعفر (و الملائکة) بالخفض. الباقون بضمها. و قرأ ابن عامر، و حمزة، و الکسائی (ترجع الأمور) بفتح التاء. الباقون بضمها.

المعنی: ..... ص : ۱۸۸

الظلل: جمع ظلة. و معنى الآیة أن یأتیهم عذاب اللّه، و ما توعدهم به على معصیته، كما قال: «فَأَتاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَیْثُ لَمْ یَحْتَسِبُوا» «۲» أی آتاهم خذلانه إیاهم.

و المختار عند أهل اللغة الرفع فی «الملائكة» عطفاً على اللّه، كأنه قال: و تأتیهم الملائكة. و من كسر عطف على ظلل، و تقدیره فی ظلل من الغمام، و ظلل من الملائكة.

و قوله: «وَ قُضِیَ الْأَمْرُ» أی فزع لهم مما كانوا یوعدون به.

---

(۱) قائله جریر، دیوانه ۱: ۲۳، و اللسان (حكم).

(۲) سورة الحشر آیة: ۲.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۱۸۹

و قوله: «وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ» لا یدلّ على أن الأمور لیست إلیه الآن و فی كل وقت. و معنى الآیة الاعلام فی أمر الحساب، و الثواب، و العقاب أی إلیه، فیعذب من یشاء، و یرحم من یشاء، فلا حاكم سواه. و یحتمل أن یكون المراد: أنه لا أحد ممن یملك فی دار الدنیا إلا و یزول ملكه ذلك الیوم.

و شبهت الأهوال بالظلل من الغمام، كما قال: «مَوْجٌ كَالظُّلَلِ» «۱» و معنى الآیة: ما ینظرون- یعنی المكذبین بآیات اللّه- محمداً و ما جاء به من القرآن و الآیات إلا أن یأتیهم أمر اللّه و عذابه «فِی ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَ الْمَلائِكَةُ»، فهل بمعنى (ما)، كما یقول القائل: هل یطالب بمثل هذا إلا متعنت أی ما یطالب. و ینظرون- فی الآیة- بمعنى ینتظرون. و قد یقال: أتى و جاء فیما لا یجوز علیه المجیء، و الذهاب، یقولون أتانی وعید فلان، و كلام فلان، و كل ذلك لا یراد به الإتیان الحقیقی قال الشاعر:

أتانی كلام من نصیب یقوله و ما خفت یا سلّام أنك عائبی «۲»

و قال آخر:

أتانی نصرهم و هم بعید بلادهم بلاد الخیزران «۳»

فكأن المعنى فی الآیة: إن الناس فی الدنیا یعتصم بعضهم ببعض، و یفزع بعضهم الی بعض فی الكفر و العصیان، فإذا كان یوم القیامة انكشف الغطاء، و أیقن الشاك، و أقرّ الجاحد، و علم الجاهل، فلم یعصم أحد من اللّه أحداً، و لم یكن له من دون اللّه ناصر، و لا من عذابه دافع، و علم الجمیع أن الأمر كله للّه.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آیة ۲۱۱] ..... ص : ۱۸۹

اشارة

سَلْ بَنِی إِسْرائِیلَ كَمْ آتَیْناهُمْ مِنْ آیَةٍ بَیِّنَةٍ وَ مَنْ یُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِیدُ الْعِقابِ (۲۱۱)

آیة واحدة.

---

(۱) سورة لقمان آیة: ۳۲.

(۲) البیت فی نوادر أبی زید: ۴۶، و معانی القرآن للفراء ۱: ۱۴۶.

(۳) البیت للنابغة الجعدی اللسان (خزر) فی المطبوعة (بأرض) بدل (بلاد).

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۱۹۰

القراءة: ..... ص : ۱۹۰

أهل الحجاز يقولون: سل بغير همز. و بعض بنى تميم يقولون: اسأل بالهمز، و بعضهم يقولون: اسل بالألف و طرح الهمز- و الأولى أحسنها لأنها خط المصحف.

المعنى: ..... ص : ۱۹۰

و فى الآية تنبيه و تقريع للكفار من بنى إسرائيل، و نظيره قول الرجل فى صاحبه إذا فزّعه و ربحه و أراد أن يلزمه الحجة، و يبين عن كفرانه للنعمة ليوقع به العقوبة- لمن بحضرته-: سله كم أعددت له و حذرته.

و الآيات البينات ما ذكرها اللَّه تعالى: من قلب عصا موسى حية، و يده البيضاء، و فلقه البحر، و تغريق عدوهم من فرعون و أصحابه، و تظليله عليهم الغمام، و إنزال المن و السلوى، و ذلك من آيات اللَّه التى أتى بها بنى إسرائيل، فخالفوا جميع ذلك، و قتلوا أنبياءه، و رسله، و بدّلوا عهده، و وصيته إليهم.

و قوله: «وَ مَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ» معناه: يغير يعنى بها الإسلام، و ما فرض فيه من شرائع دينه بعد ما عهد إليه و أمره به من الدخول فى الإسلام، و العمل بشرائعه، فيكفر به، فانه يعاقبه بما أوعده على الكفر به من العقوبة «وَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقابِ». و قال الزجاج فيه حذف و تقديره شديد العقاب له، و يجوز أن يكون معناه: شديد العقاب لكل من يستحقه، فيدخل فيه هذا المذكور، فأما أن يكون على معنى شديد العقاب لغيره، فلا يجوز إذا لم يكن للمذكور مدخل فيه. و فى الآية دلالة على فساد قول المجبرة: من أنه ليس للَّه على الكافر نعمة، لأنه حكم عليهم بتبديل نعم اللَّه، كما قال: «يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَها وَ أَكْثَرُهُمُ الْكافِرُونَ» «۱» و قال: «بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً وَ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دارَ الْبَوارِ» «۲».

---

(۱) سورة النحل آية: ۸۳.

(۲) سورة ابراهيم آية: ۲۸.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۹۱

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۱۲] ..... ص : ۱۹۱

اشارة

زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَياةُ الدُّنْيا وَ يَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ اللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ (۲۱۲)

آية واحدة.

المعنى: ..... ص : ۱۹۱

إنما ترك التأنيث فى قوله زيّن و الفعل فيها مسند الى الحياة و هى المرتفعة به، لأنها لم يسم فاعلها لشيئين:

أحدهما- أن تأنيث الحياة ليس بحقيقى، و ما لا يكون تأنيثه حقيقياً، جاز تذكيره، كقوله تعالى: «فَمَنْ جاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ» «۱» و قوله: «قَدْ جاءَكُمْ بَصائِرُ» «۲» «وَ أَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ» «۳».

و الثانى- أنه لما فصل بين الفعل و الفاعل بغيره، جاز ترك التأنيث، و قد ورد ذلك فى التأنيث الحقيقى، و هو قولهم حضر القاضى

الیوم امرأة، فإذا جاز ذلک فی التأنیث الحقیقی، ففیما لیس بحقیقی، أجوز، و قد قیل: إنما ترک التأنیث فی هذا الموضع، لأنه قصد بها المصادر، فترک لذلک التأنیث. و قیل فی معنی تزیین الحیاة الدنیا قولان:

أحدهما- قال الحسن، و الجبائی، و غیرهما- أن المزین لهم إبلیس و جنوده، لأنهم الذین یغوون، و یقوّون دواعیه، و یحسنون فعل القبیح، و الإخلال بالواجب و یسوّفون لهم التوبة، فأما اللَّه تعالی، فلا یجوز أن یکون المزین له، لأنه زهّد فیها، فأعلم أنها متاع الغرور، و توّعد علی ارتکاب القبائح فیها.

و القول الثانی- إن اللَّه تعالی خلق فیها الأشیاء المعجبة، فنظر إلیها الذین کفروا بأکثر من مقدارها، کما قال:

---

(۱) سورة البقرة آیة: ۲۷۵.

(۲) سورة الانعام آیة: ۱۰۴.

(۳) سورة هود آیة: ۶۷. [.....]

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۱۹۲

«زُیِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ مِنَ النِّساءِ وَ الْبَنِینَ وَ الْقَناطِیرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الْخَیْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَ الْأَنْعامِ وَ الْحَرْثِ» «۱» و إنما أراد بذلک ما جبل الخلق علیه من المیل الی هذه الأشیاء، لا أنه حسن جمیعها، و لم یقبح شیئاً منها، و کلاهما جائزان حسنان.

و التزیین، و التحسین واحد، و الزین: خلاف الشین، و الزینة: اسم جامع لکل ما یتزین به، و هذا أمر زائن له أی مزین له.

و قوله: «وَ یَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِینَ آمَنُوا» معناه: أن قوماً من المشرکین کانوا یسخرون من قوم من المسلمین، لأن حالهم فی ذات الید کانت قلیلة، فأعلم اللَّه تعالی:

أن الذین اتقوا فوقهم یوم القیامة، لأن المسلمین فی علیین، و الفجار فی الجحیم، کما قال تعالی: «إِنَّ الَّذِینَ أَجْرَمُوا کانُوا مِنَ الَّذِینَ آمَنُوا یَضْحَکُونَ» «۲» ثم أخبر عن المؤمنین أنهم یضحکون منهم- فی الآخرة-، فقال: «فَالْیَوْمَ الَّذِینَ آمَنُوا مِنَ الْکُفَّارِ یَضْحَکُونَ» «۳».

و قوله: «وَ اللَّهُ یَرْزُقُ مَنْ یَشاءُ بِغَیْرِ حِسابٍ» قیل فیه خمسة أقوال:

أحدها- أن معناه: أنه یعطیهم الکثیر الواسع الذی لا یدخله الحساب من کثرته.

الثانی- أنه لیس یرزق المؤمن علی قدر إیمانه، و لا الکافر علی قدر کفره فی الدنیا، و لکن الرزق فی الآخرة علی قدر العمل، و ما یتفضل اللَّه به، و یضاعف به عن رجل علی المؤمنین ما یشاء من فضله زیادة علی کفایته.

الثالث- أنه یعطی عطاء لا یأخذه بذلک أحد، و لا یسأله عنه سائل، و لا یطالب علیه بجزاء، و لا مکافاة، و لا یثبت ذکره مخافة الاعدام، و الاقلال، لأن عطیته لیست من أصل ینقص، بل خزائنه لا تفنی، و لا تنفد (جل اللَّه تعالی).

و الرابع- قال قطرب معناه: أنه یعطی العدد من الشیء، لا مما یضبط بالحساب، و لا یأتی علیه العدد، لأن ما یقدر علیه غیر متناه، و لا محصور، فهو

---

(۱) سورة آل عمران آیة: ۱۴.

(۲) سورة المطففین آیة: ۲۹.

(۳) سورة المطففین آیة: ۳۴.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۱۹۳

یعطی الشیء لا من عدد أکثر منه و لا ینقص منه کالمعطی من الآدمیین الألف من الألفین و العشرة من المائة.

و الخامس- قال بعضهم: إنما عنی بذلک إعطاء أهل الجنة، لأن اللَّه تعالی یعطیهم ما لا یتناهی، و لا یأتی علیه الحساب، فکل ذلک

حسن جائز، و إنما قال:

«وَ الَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ» و لا فضل للكفار فى الآخرة لأمرين:

أحدهما- أن أحوالهم فى الآخرة فوق حال هؤلاء الكفار فى الدنيا.

و الثانى- أن يكون محمولا على قوله تعالى «أَصْحابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا» «۱» و كما قال حسان يعنى رسول اللّه و أبا جهل.

فشر كما لخير كما الفداء «۲»

و معنى «يَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا» أى يهزءون بهم فى زهدهم فى الدنيا، لأنهم يوهمهم أنهم على حق، و يفهم عنهم أن اعتقادهم بخلاف ذلك.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۱۳] ..... ص : ۱۹۳

اشارة

كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (۲۱۳)

آية واحدة بلا خلاف.

القراءة: ..... ص : ۱۹۳

قرأ أبو جعفر المدنى (ليحكم)- بضم الياء- الباقون بفتحها.

---

(۱) سورة الفرقان آية: ۲۴.

(۲) انظر ۱: ۱۰۱ من هذا الكتاب

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۹۴

المعنى: ..... ص : ۱۹۴

معنى قوله: «كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً» أهل ملة واحدة كما قال النابغة:

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبة و هل يأثمن ذو أمّة و هو طائع «۱»

أى ذو ملة و دين. و أصل الأمة الأمّ من قولك: أمّ يؤم أماً: إذا قصده.

و هى على أربعة أوجه:

فالأمة: الملة، و الأمة: الجماعة، و الأمة: المنفرد بالمقابلة، و الأمة: القابلة.

و اختلفوا فى الدين الذى كانوا عليه، فقال ابن عباس، و الحسن، و اختاره الجبائى: إنهم كانوا على الكفر. و قال قتادة، و الضحاك: كانوا على الحق، فاختلفوا.

فان قيل: إذا كان الزمان لا- يخلوا من حجة كيف يجوز أن يجتمعوا كلهم على الكفر، قلنا: يجوز أن يقال ذلك على التغليب لأن

الحجة إذا كان واحداً أو جماعة يسيرة، لا يظهرون خوفاً و تقية، فيكون ظاهر الناس كلهم الكفر باللّه، فلذلك جاز الاخبار به على الغالب من الحال، و لا يعتد بالعدة القليلة.

و قوله: «وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتابَ بِالْحَقِّ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- بما فيه من البيان عن الحق من الباطل. الثاني- أن معناه: بأنه حق للاستصلاح به على ما توجبه الحكمة فيه.

و قوله: «لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ» فحقيقته، ليحكم منزل الكتاب، لأن اللَّه هو الحاكم بما أنزل فيه، فهو مجاز- فى قول الجبائي- قال: إلا أنه جعل اللفظ على الكتاب تفخيماً له، لما فيه من البيان. و يجوز أن يكون فى يحكم ضمير اسم اللَّه، فيكون حقيقة.

و من ضم الياء قراءته لا شبهة فيها. و المعنى ليحكم الناس أو العلماء بما فيه من الحق.

و قوله تعالى: «وَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ» الهاء عائدة على الحق. و قيل على الكتاب.

و الأول أصح، لأن اختلافهم فى الحق قبل إنزال الكتاب. فان قيل: إذا كانوا مختلفين على إصابة بعضهم له، فكيف يكون الكفر عمهم به؟ قلنا: لا يمتنع

---

(۱) ديوانه: ۴۰، و اللسان (أمم) من قصيدته فى اعتذاره للنعمان.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۹۵

أن يكون الكل كفاراً، و بعضهم يكفر من جهة الغلوّ، و بعضهم من جهة التقصير كما كفرت اليهود، و النصارى فى عيسى (ع)، فقالت النصارى: هو ربّ، فغالوا. و قصّرت اليهود، فقالوا: كذاب متخرص. فان قيل: كيف يكون الكل كفاراً مع قوله: «فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا»؟ قلنا: لا يمتنع أن يكونوا كلهم كانوا كفاراً، فلما بعث اللّه اليهم بالأنبياء مبشرين، و منذرين اختلفوا، فآمن قوم، و لم يؤمن آخرون.

و روى عن أبى جعفر (ع) أنه قال: كانوا قبل نوح أمة واحدة على فطرة اللَّه، لا مهتدين، و لا ضُلّالا، فبعث اللّه النبيين.

الاعراب: ..... ص : ۱۹۵

و قوله تعالى: «بَغْياً بَيْنَهُمْ» نصب على المفعول له، كأنه قال للبغى بينهم- على قول الأخفش، و الزجاج-. و قال بعضهم: الاستثناء متعلق بثلاثة أشياء، كأنه قال: «وَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ»، ما اختلفوا فيه إلا من بعد ما جاءتهم البينات، ما اختلفوا فيه إلا بغياً بينهم. إلا أنه حذف الثانى لدلالة الأول عليه. قال الرمانى: و الصحيح الأول، لأنه لا يحكم بالحذف مع استقامة الكلام من غير حذف إلا لعذر.

المعنى: ..... ص : ۱۹۵

و قوله: «فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ» معناه: هداهم للحق، و هو الذى اختلفوا فيه. و قيل فى معنى باذنه قولان:

أحدهما- بلطفه، و لا بد من محذوف على هذا التأويل، أى فاهتدوا باذنه، لأن الله عز و جل، لا يفعل الشىء بإذن أحد يأذن له فيه، و لكن قد يجوز أن يكون على جهة التفسير للهدى، كأنه قال: هداهم بأن لطف لهم، و هداهم بأن أذن لهم. و قال الجبائى: لا بد من أن يكون على حذف (فاهتدوا) باذنه.

و القول الثانى- هداهم بالحق بعلمه، و الاذن بمعنى العلم معروف فى اللغة قال التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۹۶

الحارث بن جلّزة:

آذنتنا ببينها أسماء «۱»

أي أعلمتنا. و هو قول الزجاج، و غيره من أهل اللغة. فان قيل: إذا كانوا إنما هدوا للحق من الاختلاف فلم قيل: للاختلاف من الحق؟ قيل: لأنه لما كانت العناية بذكر الاختلاف، كان أولى بالتقديم، ثم تفسيره ب (من). و قال الفراء هو من المقلوب نحو قول الشاعر:

كانت فريضة ما تقول كما كان الزناء فريضة الرجم «٢»

و إنما الرجم فريضة الزنا. و كما قال الآخر:

إن سراجاً لكريم مفخرة تحلى به العين إذا ما تجره «٣»

و إنما يحلى هو بالعين. قال غيره إنما يجوز القلب فى الشعر للضرورة. و وجه الكلام على ما بيناه واضح. فان قيل: ما الهدى الذى اختص به من يشاء؟ قيل فيه ثلاثة أقوال: قال الجبائى: اختص به المكلفين دون غيرهم ممن لا يحتمل التكليف، و هو البيان، و الدلالة و الثانى- قال: و يجوز أن يكون هداهم على طريق الجنة، و يكون للمؤمنين خاصة. و قال ابن الأخشاد، و البلخى: يجوز أن يكون هداهم باللطف، فيكون خاصاً لمن علم من حاله أنه يصلح به. و لا يجوز أن يكون المراد بالهداية هاهنا الإرشاد الى الدين، و نصب الدلالة عليه، لأنه تعالى لا يخص بذلك قوماً دون قوم، بل لا يصلح التكليف من دونه. و قد بين اللّه تعالى: أن اختلافهم كان بعد أن جاءتهم البينات فعم بذلك جميعهم، فلو أراد اللَّه بقوله «فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا» بالبينات، لكان متناقضاً- أللهم- إلا أن يحمل ذلك على أنه أضاف اليهم الهداية، من حيث كانوا هم المنتفعين بها، و المتبعين لها، فكأنهم كانوا هم المخصوصين بها كما قال: «هُدىً لِلْمُتَّقِينَ» «۴» و قوله تعالى: «إِنَّما تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ» «۵»

---

(١) انظرا: ٣٨٠ من هذا الكتاب.

(٢) انظر ٢: ٧٩.

(٣) انظر ٢: ٧٩.

(۴) سورة البقرة آية: ٢.

(۵) سورة يس آية: ١١.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٩٧

«إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشاها» «١» و إن كان منذراً لجميعهم،، و الذى يقوى ذلك قوله: «وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى «٢» فبين أنه هداهم. و إنما لم يهتدوا، فكيف يجوز أن تحمل الهداية على نصب الدلالة، و إقامة الحجة على قوم دون قوم. و الفرق بين: هدى المؤمنين الى الايمان، و بين أنعم عليهم بالايمان، قال الجبائى: إن الهدى للأيمان غير الايمان، و الانعام بالايمان هو نفس الايمان. و الصحيح أنه هداه بالأيمان يجرى مجرى قوله: أنعم عليه بالايمان لأنه يراد بذلك التمكين منه. و الاقتدار عليه و الدعاء إليه و لا يراد به نفس الايمان.

و قوله: «وَ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ» أى الى طريق الدين الواضح.

و اختلفوا فى الامة المعنية بهذه الآية، فقال ابن عباس، و قتادة: هم الذين كانوا بين عاد، و نوح، و هم عشر فرق كلهم كانوا على شريعة من الحق، فاختلفوا بعد ذلك. فالتقدير- على قول هؤلاء- كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث اللَّه النبيين. و قال مجاهد: المراد بالآية آدم، فبعث النبيين الى ولده، لما اختلفوا. و قال أبى بن كعب، و الربيع: كان الناس أمة حين استخرجوا من ظهر آدم، فأقروا له بالعبودية، و اختلفوا فيما بعد، فبعث اللّه اليهم النبيين. و قال ابن عباس فى رواية أخرى: كانوا أمة واحدة على الكفر، فبعث اللّه النبيين. و قال السدى: كانوا على دين واحد من الحق، فاختلفوا، فبعث اللّه النبيين. و قال الربيع و الطبرى: الكتاب الذى اختلفوا فيه التوراة. و قال آخرون كل كتاب أنزل اللَّه مع النبيين.

قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ٢١۴] ..... ص : ١٩٧

اشارة

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْساءُ وَ الضَّرَّاءُ وَ زُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (۲۱۴)

---

(۱) سورة النازعات آية: ۴۵.

(۲) سورة حم السجدة آية: ۱۷.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۹۸

آية واحدة.

القراءة و النزول: ..... ص : ۱۹۸

قرأ نافع (حتى يقول الرسول) بضم اللام. الباقون بنصبها.

ذكر السدى، و قتادة، و غيرهما من أهل التفسير: أن هذه الآية نزلت يوم الخندق لما اشتدت المخافة، و حوصر المسلمون فى المدينة، و استدعاهم اللَّه الى الصبر، و وعدهم بالنصر.

الاعراب و اللغة: ..... ص : ۱۹۸

و قال الزجاج: معنى (أم) هاهنا بمعنى (بل). و قال غيره: هى بمعنى الواو. و إنما حسن الابتداء ب (أم) لاتصال الكلام بما تقدم، و لو لم يكن قبله كلام، لما حسن. و الفرق بين (أم حسبتم) و بين (أ حسبتم) أن (أم) لا تكون إلا متصلة لكلام، معادلة للألف، أو منقطعة، فالمعادلة نحو (أزيد فى الدار أم عمرو) فالمراد أيهما فى الدار، و المنقطعة نحو قولهم: (إنها لإبل أم شاة يا فتى)، و أما الألف، فتكون مستأنفة. و إنما لم يجز فى (أم) الاستئناف، لأن فيها معنى (بل) كأنه قيل: (بل حسبتم). و حسبت، و ظننت و خلت نظائر.

و قوله تعالى: «وَ لَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ» معناه و لما تمتحنوا، و تبتلوا بمثل ما امتحنوا، فتصبروا كما صبروا. و هذا استدعاء الى الصبر و بعده الوعد بالنصر.

و المثل، و الشبه واحد، يقال: مَثل و مِثل، مثل شبه و شِبه. و «خلوا» معناه مضوا.

و قوله: «مستهم» فالمس، و اللمس واحد. و البأساء ضد النعماء، و الضراء ضد السراء.

و قوله: «زلزلوا» معناه هاهنا: أزعجوا بالمخافة من العدو. و الزلزلة: شدة التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۱۹۹

الحركة. و الزلزال: البلبلة المزعجة بشدة الحركة، و الجمع زلازل، و يقال: زلزل الأرض يزلزلها زلزالًا، و تزلزل تزلزلًا، مثل تدكدك تدكدكاً، و أصله زلّ، و إنما ضوعف، مثل صرصر، و صلصل.

و قوله: «حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ» من نصب اللام، ذهب الى تقدير: الى أن يقول الرسول، فيكون على معنى الاستقبال إذا قدرت معها (أن)، و هو يشبه الحكاية، كأنك تقدر حالا، ثم استأنف غيره فعلا، كما تستأنف عن حال كلامك.

و يوضح ذلك (كان زيد سيقول كذا و كذا). و انما قدرت بكان زيد وقتاً، ثم يستأنف عنه فعلا، فكذلك «زلزلوا» قد دلّ على وقت، ثم استأنف بعده الفعل.

و من رفع، فعلى الحال للفعل المذكور، و الحال لكلام المتكلم، و ذلك القول قد يكون فى حال الزلزلة. فأما الغاية فلا يكون إلا بعد

تقضیها و إن کان متصلا بها، و الرفع یوجب التأدیة بمعنی: أن الزلزلة أدت الی قول الرسول. فأما النصب، فیوجب الغایة، فقد حصل الفرق بین الرفع و النصب من ثلاث جهات:

الأول- أن أحدها علی الحال، و الآخر علی الاستقبال. و الثانی- أن أحدها قد انقضی، و الآخر لم ینقض. و الثالث- أن أحدها علی الغایة، و الآخر علی التأدیة. و معنی الغایة فی الآیة أظهر، لأن النص جاء عند قول الرسول، فلذلک کان الاختیار فی القراءة النصب.

المعنی: ..... ص : ۱۹۹

فان قیل: ما معنی قول الرسول و المؤمنین: «مَتی نَصْرُ اللَّهِ»؟ قلنا: قال قوم:

معناه الدعاء للّه بالنصر، و لا یجوز أن یکون معناه الاستبطاء لنصر اللّه علی کل حال لأن الرسول یعلم: أن اللّه لا یؤخره عن الوقت الذی توجبه الحکمة. و قال قوم:

معناه الاستبطاء لنصر اللّه. و ذلک خطأ، لا یجوز مثله علی الأنبیاء (ع) إلا أن یکون علی الاستبطاء لنصره لما توجبه الحکمة من تأخره.

و النصر ضد الخذلان.

و القریب ضد البعید. و القرب و الدنوّ واحد. و من قال: إن ذلک علی وجه الاستبطاء قواه بما بعده من قوله «أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِیبٌ».

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۲۰۰

اللغة: ..... ص : ۲۰۰

و أصل (لما) (لم) فزید علیها (ما) فغیرت معناها، کما غیرت فی (لو لما زید علیها (ما) إذا قلت: (لو ما) فصارت بمعنی هلا. و الفرق. بین (لم) و (لما) أن (لما) یصح أن یوقف علیها، مثل قولک: أقدم زید؟ فیقول: لما، و لا یجوز (لم)، و فی (لما) توقع لأنها عقیبة (قد)، إذا انتظر قوم رکوب الأمیر، قلت:

قد رکب، فان نفیت هذا قلت: لما یرکب، و لیس کذلک (لم)، و یجمعهما نفی الماضی.

قوله تعالی:[سورة البقرة (۲): آیة ۲۱۵] ..... ص : ۲۰۰

اشارة

یَسْئَلُونَکَ ما ذا یُنْفِقُونَ قُلْ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَیْرٍ فَلِلْوالِدَیْنِ وَ الْأَقْرَبِینَ وَ الْیَتامی وَ الْمَساکِینِ وَ ابْنِ السَّبِیلِ وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَیْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِیمٌ (۲۱۵)

آیة واحدة.

المعنی: ..... ص : ۲۰۰

وجه اتصال هذه الآیة بما قبلها: أن الآیة الأولی فیها دعاء الی الصبر علی الجهاد فی سبیل اللَّه، و فی هذه بیان لوجه النفقة فی سبیل اللَّه، و کل ذلک دعاء الی فعل البرّ.

و النفقة: إخراج الشیء عن الملک ببیع، أو هبة، أو صلة، أو نحوها، و قد غلب فی العرف علی إخراج ما کان من المال: من عین، أو ورق.

و قوله «يسألونک» خطاب للنبى (ص) بأن القوم يسألونه، و السؤال:

طلب الجواب بصيغة مخصوصة فى الكلام.

و ذكر السدى: أن هذه الآية منسوخة بفرض الزكاة. و قال الحسن: ليست منسوخة، و هو الأقوى، لأنه لا دليل على نسخها.

و الجواب المطابق لقوله: «يَسْئَلُونَكَ ما ذا يُنْفِقُونَ» أن يقول: قل النفقة التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۰۱

التى هى خير، و إنما عدل عنه لحاجة السائل الى البيان الذى يدل عليه، و على غيره، و ذلك يحسن من الحكماء إذا أرادوا تعليم غيرهم، و تبصيرهم أن يضمنوا الجواب مع الدلالة على المسئول عنه الدلالة على ما يحتاج إليه السائل فى ذلك المعنى مما أغفله أو حذف السؤال عنه لبعض الأسباب المحسنة له. فأما الجدل الذى يضايق فيه الخصم، فالأصل فيه التحقيق، بأن يكون الجواب على قدر السؤال من غير زيادة و لا نقصان، و لا عدول عما يوجبه نفس السؤال، لأن كل واحد من الخصمين قد حل محل النظير للآخر.

و لا يجوز إعطاء الزكاة للوالدين، و كل من تلزمه نفقته- و به قال الحسن- و الآية عامة فى الزكاة و فى التطوع- و به قال الحسن- غير أنها فيمن تلزمه النفقة عليه، خاصة بالنفقة.

الاعراب: ..... ص : ۲۰۱

و موضع (ما) فى قوله: «ما ذا يُنْفِقُونَ» من الاعراب يحتمل وجهين:

الرفع، و النصب، الرفع على ما الذى ينفقون، فيكون المعنى الذى، و ينفقون صلة، و النصب بمعنى أى شىء ينفقون، فيكون (ذا) و (ما) بمنزلة شىء واحد. و المساكين جمع مسكين و هو المحتاج.

المعنى: ..... ص : ۲۰۱

و معنى قوله: «فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ» اى ما تفعلوا من خير فان اللّه يجازى عليه من غير أن يضيع منه شىء، لأنه عليم لا يخفى عليه شىء. قال مجاهد: معنى «يَسْئَلُونَكَ ما ذا يُنْفِقُونَ» إنهم سألوا ما لهم فى ذلك، فقال اللّه تعالى: «قُلْ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ» الآية. و قال قتادة: أهمتهم النفقة، فسألوا عنها النبى (ص) فأنزل اللّه «قُلْ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ» الآية.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۱۶] ..... ص : ۲۰۱

اشارة

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتالُ وَ هُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَ عَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ عَسى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَ هُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (۲۱۶)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۰۲

آية واحدة.

المعنى: ..... ص : ۲۰۲

معنى قوله تعالى: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتالُ» فرض عليكم القتال، و هذه الآية دالة على وجوب الجهاد، و فرضه، و به قال مكحول، و سعيد بن المسيب، و أكثر المفسرين، غير أنه فرض على الكفاية. و حكى عن عطا: أن ذلك كان على الصحابة، و الصحيح الأول، لحصول

الإجماع عليه اليوم، و قد انقرض خلاف عطا.

اللغة: ..... ص : ٢٠٢

و قوله: «وَ هُوَ كُرْهٌ لَكُمْ» يقال: كره كراهة، و أكرهه إكراهاً: إذا أجبره، و تكرّه تكرّهاً، و استكره استكراهاً، و كرهه تكريهاً. و الكراهة: المشقة التي يحمل عليها، و الكره: المشقة من غير أن يحمل عليها. و قيل: هما لغتان، مثل ضَعف، و ضِعف. و جمل كره: شديد الرأس، لأنه لا ينقاد إلا على كره، و الكريهة: الشديد فى الحرب، لأنه يدخل فيها على كره. و كراهية «١» الدهر:
نوازله، و كرهت الأمر كراهة و كراهية و مكرهة، و كرّه إليّ هذا الأمر تكريهاً:
أى صيّره إليّ بحال كريهة. و الكرهاء: صفحة الوجه، لأن الكره يظهر فيها.

المعنى، و اللغة، و الاعراب: ..... ص : ٢٠٢

فان قيل: كيف كره المؤمنون الجهاد، و هو طاعة للَّه؟ قيل عنه جوابان:
أحدهما- أنهم يكرهونه كراهية طباع و الثانى- أنه كره لكم قبل أن يكتب عليكم، و على الوجه الأول يكون لفظ الكراهة مجازاً، و على الثانى حقيقة.
و قوله: «عسى» معناه الطمع، و الإشفاق من المخاطب، و لا يكون إلا مع مثلة فى الأمر. و قيل: معناها هاهنا قد، و إنما قال: «عسى» و قال فى موضع آخر:

---

(١) فى المطبوعة (كراية). [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٢٠٣

«فَهَلْ عَسَيْتُمْ» فجمع، لأنه استغنى فى الغائب عن الجمع كما استغنى عن علامة الضمير فى اللفظ، و ليس كذلك المخاطب، فجرى فى كل غائب على التوحيد، لامتناعه من التصريف. و تقول: عسى أن يقوموا، فإذا قلت: عسيتم أن تقوموا جمعت.
و فى قوله «وَ هُوَ كُرْهٌ لَكُمْ» حذف- فى قول الزجاج و غيره- لأن تقديره و هو ذو كره لكم، و يجوز أن يكون معناه: و هو مكروه لكم، فوقع المصدر موقع اسم المفعول، و مثله قولهم: رجل رضى بمعنى ذو رضى، و يجوز أن يكون بمعنى مرضى.
و قوله: «وَ هُوَ شَرٌّ لَكُمْ» فالشر السوء، و هو ضد الخير، تقول: شرّ يشرّ شرارة. و شرار النار، و شررها لهبها، و شررت اللحم و الثوب تشريراً: إذا بسطته، ليجف، و كذلك أشررته إشراراً، و أشررت الكتاب: إذا أظهرته، و شرّة الشباب: نشاطه، و إنما قال اللَّه تعالى: «وَ اللَّهُ يَعْلَمُ» تنبيهاً على أنه يعلم مصالحكم، و ما فيه منافعكم، فبادروا الى ما يأمركم به و إن شق عليكم.
و الفرق بين الشهوة، و المحبة واضح، لأن الصائم فى شهر رمضان يشتهى شرب الماء، و لا يكون مؤاخذاً به، و لا يحبه كما لا يريده، و لو أراده و أحبه، لكان مذموماً، و يكون مفطراً- عند كثير من الفقهاء-.
و قوله: «وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ» يدل على فساد قول المجبرة، لأنه تعالى إنما رغبهم فى الجهاد، لما علم من مصالحهم، و منافعهم، فيدبرهم لذلك، لا لكفرهم و فسادهم يتعالى اللَّه عن ذلك علواً كبيراً.

قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ٢١٧] ..... ص : ٢٠٣

اشارة

يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرامِ قِتالٍ فِيهِ قُلْ قِتالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَ صَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ كُفْرٌ بِهِ وَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ إِخْراجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَ الْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَ لا يَزالُونَ يُقاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطاعُوا وَ مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَ هُوَ كافِرٌ فَأُولئِكَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (۲۱۷)

التبيان فی تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۰۴

آية واحدة بلا خلاف.

اختلفوا فی: من السائل عن هذا السؤال: أهم أهل الشرک، أم أهل الإسلام، فقال الحسن، و غيره: هم أهل الشرک علی جهة العيب للمسلمين باستحلالهم القتال فی الشهر الحرام، و به قال الجبائی، و أكثر المفسرين. و قال البلخی: هم أهل الإسلام، سألوا عن ذلک ليعلموا كيف الحكم فيه.

الاعراب: ..... ص : ۲۰۴

و قوله تعالی: «قِتالٍ فِيهِ» مجرور علی البدل من الشهر، و هو من بدل الاشتمال، و مثله قوله تعالی: «قُتِلَ أَصْحابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذاتِ الْوَقُودِ» «۱» و قال الأعشی:

لقد كان فی حول ثواءٍ ثويته تقضّی لبانات و يسأم سائم «۲»

و الذی يشتمل عليه المعنی هو أحوال الشیء، و ما كان منه بمنزلة أحواله مما يغلب تعلق الفعل به، فلا يجوز رأيت زيداً لونه، لأن لونه يجوز أن يری كما يجوز أن يری نفسه، و يجوز سرق زيد ثوبه، لأن تعلق السرقة إنما هی بالملک دون النفس فی غالب الأمر، و يجوز أن تقول: رأيت زيداً مجيئه، و لا يجوز رأيت زيداً إياه، لأنه يجری مجری حاله.

و قوله تعالی: «وَ صَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» رفع بالابتداء، و ما بعده معطوف عليه، و خبره «أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ» هذا قول الزجاج. و قال أبو علی الفارسی: لا يخلو

---

(۱) سورة البروج آية: ۵.

(۲) ديوانه: ۷۷ رقم القصيدة: ۹. يهجو بها يزيد بن مسهر الشيبانی و معنی البيت يعلم من البيت قبله الذی هو مطلع القصيدة و هو.

هريرة ودعها و ان لام لائم غداة غد أم أنت للبين واجم

و هريرة قد ذكرها فی قصيدة قبل هذه.

التبيان فی تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۰۵

أن يكون ارتفاع قوله: «وَ صَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ كُفْرٌ» من أن يكون بالعطف علی الخبر الذی هو «كبير» كأنه قال: قتال فيه كبير و صدّ و كفر: أی القتال، قد جمع أنه كبير، و أنه صدّ، و كفر. و يكون مرتفعاً بالابتداء، و خبره محذوف لدلالة «كبير» المتقدم عليه، كأنه قال: و الصد كبير، كقولک: زيد منطلق و عمرو، أو يكون مرتفعاً بالابتداء، و الخبر المظهر، فيكون الصدّ ابتداء، و ما بعد من قوله:

«وَ كُفْرٌ بِهِ وَ ... إِخْراجُ أَهْلِهِ» مرتفع بالعطف علی الابتداء، و الخبر قوله: «أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ» قال: و لا يجوز الوجهان الأولان- و قد أجازهما الفراء- أما الوجه الأول، فلأن المعنی يصير: قل: قتال فيه كبير و صدّ عن سبيل اللّه كبير، و القتال و إن كان كبيراً، و يمكن أن يكون صدّا، لأنه ينفر الناس عنه، فلا يجوز أن يكون كفراً، لأن أحداً من المسلمين لم يقل ذلک، و لم يذهب إليه، فلا يجوز أن يكون خبر المبتدإ شيئاً لا يكون المبتدأ. و يمنع من ذلک أيضاً قوله بعد: «وَ إِخْراجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ» و محال أن يكون إخراج أهله منه أكبر من الكفر، لأنه لا شیء أعظم منه، و يمتنع الوجه الثانی أيضاً، لأن التقدير: فيه يكون قتال فيه كبير و كبير الصدّ عن سبيل اللّه و الكفر به، و كذلک مثله الفراء، و قدره، فإذا صار المعنی:

و إخراج أهل المسجد الحرام أكبر عند اللَّه من الكفر، فيكون بعض خلال الكفر أعظم منه كله، و إذا كان كذلك امتنع كما امتنع الأول و إذا امتنع هذان ثبت الوجه الثالث، و هو أن يكون قوله «وَ صَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» ابتداء «وَ كُفْرٌ بِهِ ...
وَ إِخْراجُ أَهْلِهِ» معطوفاً عليه «و أكبر» خبراً.

المعنى: ..... ص : ٢٠٥

فيكون المعنى: «وَ صَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» أى منعهم لكم أيها المسلمون عن سبيل اللّه، و عن المسجد الحرام، و إخراجكم منه- و أنتم ولاته، و الذين هم أحق به منهم- و كفر باللَّه أكبر من قتاله فى الشهر الحرام. قال الرمانى، و الفراء: إن التخلص من التأويل الثانى أن تقول: إخراج أهله منه أكبر من القتل فيه، لا من الكفر، لأن المعنى فى إخراج أهله منه إخراج النبى (ص) و المؤمنين عنه. قال: التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٢٠٦

و أما التأويل الأول، فلا يجوز إلا أن يجعل «كُفْرٌ بِهِ» يعنى بالمسجد الحرام، لانتهاك حرمته. قال: و التأويل الأول أجود.

و هذا القتال فى الشهر الحرام هو ما عابه المشركون على المسلمين، من قتل عبد اللّه بن جحش، و أصحابه عمر بن الحضرمى، لما فصل من الطائف، فى عير- فى آخر جمادى الآخر- و أخذهم العير، و هو أول من قتل من المشركين- فيما روى، و أول فىء أصابه المسلمون.

و أما قوله تعالى: «وَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ» فقال الفراء: إنه محمول على قوله:

يسألونك عن القتال، و عن المسجد الحرام هذا لفظه. قال أبو على الفارسى: و هذا أيضاً يمتنع، لأنه لم يكن السؤال عن المسجد الحرام، و إنما السؤال عن قتال ابن جحش الحضرمى و أصحابه الذين عابهم المشركون و عيّروهم، فقالوا إنكم استحللتم الشهر الحرام، و هو رجب بقتلهم فيه، فكان السؤال عن هذا، لا عن المسجد الحرام و إذا لم يجز هذا الوجه، لم يجز حمله على المضمر المجرور، لأن عطف المظهر على المضمر غير جائز، لأنه ضعيف جداً، فيكون محمولا على الضمير فى به، لأن المعنى ليس على كفر باللَّه أو بالنبى (ص)، و المسجد، فثبت «١» أنه معطوف على (عن) من قوله: «وَ صَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ... وَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ»، لأن المشركين صدّوا المسلمين عنه، كما قال: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ»، «٢» فكما أن المسجد الحرام محمول فى هذه الآية على (عن) المتصلة بالصدّ- بلا إشكال- كذلك فى هذه الآية، و هو قول أبى العباس، أيضاً قال الرمانى: ما ذكره الفراء، و اختاره الحسن ليس يمتنع، لأن القوم لما استعظموا القتال فى الشهر الحرام، و كان القتال عند المسجد الحرام يجرى مجراه فى الاستعظام جمعوهما لذلك فى السؤال، و إن كان القتال إنما وقع فى الشهر الحرام خاصة، كأنهم قالوا: قد استحللت الشهر الحرام، و المسجد الحرام. و ظاهر الآية يدل على أن القتال فى الشهر الحرام كان محرماً لقوله:

---

(١) فى المطبوعة «بيت».

(٢) سورة الحج آية: ٢٥.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٢٠٧

«قُلْ قِتالٌ فِيهِ كَبِيرٌ» و ذلك لا يقال إلا فيما هو محرم، محظور.

اللغة: ..... ص : ٢٠٧

و الصدّ، و المنع، و الصدف واحد. صدّ يصدّ صدوداً إذا صدف عن الشىء لعدوله عنه، و صددته عن الشىء، أصده صداً إذا عدّلته

عنه، و منه قوله تعالى:

«إِذا قَوْمُکَ مِنْهُ يَصِدُّونَ» «١» قرئ بالضم، و الكسر. قال أبو عبيدة: يصُدّون يعرضون، و يِصدّون: يضجون، و ذلك لأنهم، يعدلون الى الصحيح. و الصديد:

الدم المختلط بالقيح يسيل من الجرح. و الصدد. ما استقبلك و صار فى قبالتك، لأنه يعدل «٢» الى مواجهتك. و الصدان: ناحيتا الشعب أو الوادى. و الصداد:

ضرب من الجردان يعدل لشدة تحرزه. و الصداد: الوزغ «٣»، لأنه يعدل عنه استقذاراً له، و أصل الباب العدول.

المعنى: ..... ص : ٢٠٧

و قوله: «وَ الْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ» معناه الفتنة فى الدين، و هى الكفر أعظم من القتل فى الشهر الحرام. و قال قتادة و غيره، و اختاره الجبائى: إن القتال فى الشهر الحرام و عند المسجد الحرام منسوخ بقوله: «وَ قاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ» «۴» و بقوله: «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» «۵» و قال عطا: هو باق «۶» على التحريم. و روى أصحابنا: أنه على التحريم فيمن يرى لهذه الأشهر حرمة، فإنهم لا يبتدءون فيه بالقتال، و كذلك فى الحرم، و إنما أباح تعالى للنبى (ص) قتال أهل مكة وقت الفتح، و لذلك

قال (ص): إن اللَّه أحلها فى هذه الساعة، و لا يحلها لأحد بعدى الى يوم القيامة.

و من لا يرى ذلك، فقد نسخ فى جهته و جاز قتاله أى وقت كان.

---

(١) سورة الزخرف آية: ۵٧.

(٢) فى المطبوعة (بعدك).

(٣) فى المطبوعة (الورع).

(۴) سورة البقرة آية: ١٩٣.

(۵) سورة التوبة آية: ۶.

(۶) فى المطبوعة (فاق).

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٢٠٨

و قوله: «يردوكم» قال الجبائى: هو مجاز هاهنا، لأن حقيقته: حتى ترتدّوا بإلجائهم إياكم الى الارتداد، و الأولى أن يكون حقيقة ذلك بالعرف.

اللغة: ..... ص : ٢٠٨

و قوله تعالى: «وَ لا يَزالُونَ» فالزوال: العدول. و لا يزال موجوداً، و ما زال: أى ما دام، و زال الشيء عن مكانه يزول زوالا، و أزلته عنه، و زلته، و زالت الشمس زوالا و زيالا و زالت الخيل بركبانها زيالا، و رجل زول، و امرأة زولة، و هو الظريف الركبين «١» و أصل الباب الزوال.

و قوله: «وَ مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ»، فهو على إظهار التضعيف، لسكون الثانى. و يجوز «يرتدّ»- بفتح الدال- على التحريك، لالتقاء الساكنين، و الفتح أجود.

و قوله: «فَأُولئِكَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ» معناه: أنها صارت بمنزلة ما لم يكن، لايقاعهم إياها على خلاف الوجه المأمور به، و ليس المراد

أنهم استحقوا عليها الثواب ثم انحبطت، لأن الإحباط- عندنا- باطل على هذا الوجه. و يقال: حبط عمل الرجل يحبط حبطاً و حبوطاً، و أحبطه اللَّه إحباطاً، و الحبط: فساد، يلحق الماشية فى بطونها، لأكل الحباط، و هو ضرب من الكلاء. يقال: حبطت الإبل تحبط حبطاً إذا أصابها ذلك.

و روى عن عطا عن ابن عباس: أن المسجد الحرام الحرم كله.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۱۸] ..... ص : ۲۰۸

اشارة

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۲۱۸)

آية واحدة بلا خلاف.

---

(۱) الركبين- بفتح الراء و الباء- أصل الفخذين.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۰۹

النزول و الاعراب: ..... ص : ۲۰۹

ذكر جندب بن عبد اللَّه، و عروة بن الزبير: أن هذه الآية نزلت فى قصة عبد اللَّه بن جحش و أصحابه لما قاتلوا فى رجب، و قتل واقد التميمى بن الحضرمى، ظنّ قوم أنهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجره، فأنزل اللَّه الآية فيهم- بالوعد-.

و خبر «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا» الجملة التى هى قوله: (أُولئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ) أولئك ابتداء، و يرجون خبره، و الجملة خبر (إنّ).

اللغة: ..... ص : ۲۰۹

و قوله: «وَ الَّذِينَ هاجَرُوا» فالهجر ضد الوصل، تقول: هجره يهجره هجراً، و هجراناً: إذا قطع مواصلته. و الهجر: ما لا ينبغى من الكلام، تقول: هجر المريض يهجر هجراً، لأنه قال ما لا ينبغى أن يهجر من الكلام، و ما زال ذلك هجيراه أى دأبه «۱». و الهاجرة: نصف النهار، و هجر القوم تهجيراً: إذا دخلوا فى الهاجرة.

و سمى المهاجرون لهجرتهم قومهم، و أرضهم. و أهجرت الجارية إهجاراً: إذا شبت شباباً حسناً، فهى مهجرة، و يقال ذلك للناقة، و النخلة. و الهجار: حبل يشد به يد الفحل الى إحدى رجليه، لأنه يهجر بذلك التصرف و أصل الباب الهجر: قطع المواصلة.

و قوله تعالى: «و جاهدوا» تقول: جهدت الرجل جهداً: إذا حملته على مشقة، و جاهدت العدّو مجاهدة إذا حملت نفسك على المشقة فى قتاله. و اجتهدت رأيً: إذا حملت نفسك على المشقة فى بلوغ صواب الرأى. و الجهاد: الأرض الصلبة، و أصل الباب الجهد: الحمل على المشقة.

و قوله تعالى: «فِي سَبِيلِ اللَّهِ» يعنى قتال العدوّ، و يدخل فى ذلك مجاهدة النفس.

و قوله «أُولئِكَ يَرْجُونَ» فالرجاء الأمل، رجا يرجو رجاءً، و ترجّى

---

(۱) هجيراه- بكسر الهاء و الجيم مع تشديد الجيم- فى المطبوعة (أى داته).

التبيان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۲۱۰

ترجیاً، و ارتجی ارتجاء، و الرجا- مقصوراً- ناحیهٔ کل شیء، و یثنی رجوان و جمعه أرجاء، و منه أرجاء البئر نواحیه، و قوله تعالی «ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقاراً» «۱» أی لا تخافون، قال أبو ذؤیب:

إذا لسعته النحل لم یرج لسعها و خالفها فی بیت نوب عواسل «۲»

أی لم یخف، و ذلک أن الرجاء للشیء الخوف من أن لا یکون، فلذلک سمی الخوف باسم الرجاء، و أصل الباب الأمل، و هو ضد الیأس.

المعنى: ..... ص : ۲۱۰

و فی الآیهٔ دلالهٔ علی أن من مات مصراً علی کبیرهٔ لا یرجو رحمهٔ اللّه لامرین:

أحدهما- أن ذلک دلیل الخطاب، و ذلک غیر صحیح عند أکثر المحصلین.

و الثانی- أنه قد یجتمع- عندنا- الایمان و الهجرهٔ و الجهاد مع ارتکاب الکبیرهٔ، فلا یخرج من هذه صورته عن تناول الآیهٔ له، و إنما ذکر المؤمنین برجاء الرحمهٔ و إن کانت هی لهم لا محالهٔ، لأنهم لا یدرون ما یکون منهم من الاقامهٔ علی طاعهٔ اللَّه أو الانقلاب عنها الی معصیته، لأنهم لا یدرون کیف تکون أحوالهم فی المستقبل. و قال الجبائی: لأنهم لا یعلمون أنهم أدّوا کما یجب للَّه علیهم، لأن هذا العلم من الواجب، و هم لا یعلمونه إلا بعلم آخر، و کذلک سبیل العلم فی أنهم لا یعلمونه إلا بعلم غیره، و هذا یوجب أنهم لا یعلمون إذاً کما یجب للّه علیهم. و قال ابن الأخشاد: لأنه لا یتفق للعبد التوبهٔ من کل معصیهٔ، و استدل علی ذلک بإجماع الأمهٔ علی أنه لیس لأحد غیر النبی (ص). و من شهد له علیه، فلا.

و یمکن فی الآیهٔ وجه آخر- علی مذهبنا- و هو أن یکون رجاءهم لرخصهٔ اللّه فی غفران معاصیهم التی لم یتفق لهم التوبهٔ عنها، و اخترموا دونهم، فهم یرجون أن یسقط اللَّه عقابها عنهم تفضلا. فأما الوجه الاول، فإنما یصح علی مذهب من

---

(۱) سورهٔ نوح آیهٔ: ۱۳.

(۲) اللسان (رجا)، (خلف) فی المطبوعهٔ (عوامل) بدل (عواسل) أی دخل علیها و أخذ عسلها. و یروی (و حالفها) أی لزمها. [.....]

التبيان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۲۱۱

یجوز أن یکفر المؤمن بعد إیمانه أو یفعل فی المستقبل کبیرهٔ یحبط ثواب إیمانه، و هذا لا یصح علی مذهبنا فی الموافات و ما قاله الجبائی یلزم علیه وجوب ما لا نهایهٔ له، لأنه إذا وجب علیه أن یعلم أنه فعل ما وجب علیه بعلم آخر، و ذلک العلم مما وجب علیه أیضاً فیجب ذلک بعلم آخر، و فی ذلک التسلسل.

و إنما ضم الی صفهٔ الایمان غیره فی اعتبار الرجاء للرحمهٔ ترغیباً فی کل خصلهٔ من تلک الخصال، لأنها من علامات الفلاح. فأما الوعد، فعلی کل واحدهٔ منها إذا سلمت مما یبطلها. و قال الحسن: الرجاء، و الطمع هاهنا علی الایمان إذا سلم العمل. و ذکر الجبائی: أن هذه الآیهٔ تدل علی أنه لا یجوز لأحد أن یشهد لنفسه بالجنهٔ، لأن الرجاء لا یکون إلا مع الشک، و قد بین اللّه تعالی: أن صفهٔ المؤمن الرجاء للرحمهٔ، لا القطع علیها لا محالهٔ.

و وجه اتصال هذه الآیهٔ بما قبلها هو أنه لما ذکر فی الأولی العذاب، ذکر بعدها آیهٔ الرحمهٔ، لیکون العبد بین الخوف و الرجاء إذ ذلک أوکد فی الاستدعاء، و أحق بتدبیر الحکماء.

و کتبت «رَحْمَتَ اللَّهِ» بالتاء فی المصحف علی الوصل، و الأقیس بالهاء علی الوقف، کما کتب «یَدْعُ الدَّاعِ» «۱» و «یَقْضِی بِالْحَقِّ» «۲» «وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا» «۳» کل ذلک علی الوقف.

قوله تعالی:[سورة البقرة (۲): آیة ۲۱۹] ..... ص : ۲۱۱

اشارة

یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَیْسِرِ قُلْ فِیهِما إِثْمٌ کَبِیرٌ وَ مَنافِعُ لِلنَّاسِ وَ إِثْمُهُما أَکْبَرُ مِنْ نَفْعِهِما وَ یَسْئَلُونَکَ ما ذا یُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ کَذلِکَ یُبَیِّنُ اللَّهُ لَکُمُ الْآیاتِ لَعَلَّکُمْ تَتَفَکَّرُونَ (۲۱۹)

---

(۱) سورة القمر آیة: ۶.

(۲) سورة المؤمن آیة: ۲۰.

(۳) سورة الکهف آیة: ۳۲.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۲۱۲

القراءة: ..... ص : ۲۱۲

قرأ أهل الکوفة إلا عاصم (إثم کثیر) بالثاء. الباقون بالباء، و قرأ أبو عمرو وحده (قل العفو) بالرفع. الباقون بالنصب.

اللغة: ..... ص : ۲۱۲

قال أکثر المفسرین: الخمر عصیر العنب إذا اشتدّ. و قال جمهور أهل المدینة:
ما أسکر کثیره فهو خمر، و هو الظاهر فی روایاتنا.
و أما اشتقاقه فی اللغة: تقول خمرت الدابة أخمرها خمراً إذا سقیتها الخمر، و خمرت العجین و الطین أخمره خمراً: إذا ترکته فلم تستعمله حتی یجود. و أخمر القوم إخماراً: إذا تواروا فی الشجر. و یقال لما سترک من شجر: خمری «۱»، مقصوراً، و اختمرت المرأة، و خمرت إذا لبست الخمار: و هی المقنعة. و خامره الحزن مخامرة إذا خالطه. و خمر الأناء و غیره تخمراً: إذا غطّیته، و استخمرت فلاناً: إذا استعبدته.
و الخمار بخار یعقبه شرب الخمر. و المخامرة: المقاربة. و الخمر: ما وارک من الشجر، و غیره. و الخمر: شبیه بالسجادة. و المخمرة من الغنم: سوداء و رأسها أبیض. و دخل فی خمار الناس: إذا دخل فی جماعة، فخفی فیهم، و أصل الباب الستر.
و المیسر: قال ابن عباس، و عبد اللّه بن مسعود، و الحسن، و مجاهد، و قتادة، و ابن سیرین: هو القمار کله و هو الظاهر فی روایاتنا.
و اشتق المیسر من الیسر، و هو وجوب الشیء لصاحبه، من قولهم: یسر لی هذا الشیء: إذا وجب لی، فهو تیسر لی یسراً، و میسراً، و الیاسر: الواجب بقداح وجب لک أو غیر ذلک. و قیل للمقامر: یاسر، و یسر، قال النابغة:
أو یاسر ذهب القداح بوفره أسِف تآکله الصدیق مخلّع «۲»

---

(۱) فی المطبوعة (ضرأ) و هو تصحیف.

(۲) لم أجد هذا البیت فی شعر النابغة، و هو موجود فی تفسیر الطبری ۴: ۳۲۲.

الیاسر: المقامر. القداح: تستعمل فی لعب القمار الوفر: المال الکثیر. مخلع: قد لعب فی القمار مرة بعد مرة. و کأنه یصف لاعب قمار قد خسر ماله الواسع و قد أسف علیه عند ما رأی أصدقاءه الذین یلعبون دائما قد أخذوه منه و تقاسموه.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٢١٣

يعنى القامر. و قيل أخذ من التجزءة، لأن كل شيء جزّأته، فقد يسرته، و الياسر: الجازر. و الميسر: الجزور. و قيل الميسر مأخوذ من اليسر، و هو تسهل الشيء، لأنهم- كانوا- مشتركون فى الجزور، ليسهل أمرها إلا أنه المعنى الجهة: القمار.

المعنى: ..... ص : ٢١٣

و قوله: «قُلْ فِيهِما إِثْمٌ كَبِيرٌ وَ مَنافِعُ لِلنَّاسِ» فالنفع التى فى الخمر: ما كانوا يأخذونه فى أثمانها، و ربح تجارتها، و ما فيها من اللذة بتناولها: أى فلا تغترّوا بالنفع فيها، فالضرر أكثر منه. و قال الحسن، و غيره: هذه الآية تدل على تحريم الخمر، لأنه ذكر أن فيها إثماً، و قد حرم اللّه الإثم بقوله: «قُلْ إِنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ وَ الْإِثْمَ» «١» على أنه قد وصفها بأن فيها إثماً كبيراً و الكبير يحرم بلا خلاف.

و قال قوم: المعنى و إثمهما بعد تحريمهما أكبر من نفعهما قبل تحريمهما. و قال آخرون: المعنى إن الإثم بشرب هذه، و القمار بها أكبر و أعظم، لأنهم كانوا إذا استكروا وثب بعضهم على بعض، و قاتل بعضهم بعضاً. و قال قتادة: لا تدل الآية على تحريمهما، و إنما تدل الآية التى فى المائدة فى قوله: «إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ» «٢» الى آخرها. و وجهه قتادة على أنه قد يكثر فيهما «إِثْمٌ كَبِيرٌ».

و قوله: «يَسْئَلُونَكَ ما ذا يُنْفِقُونَ» قال السدى: نسخته آية الزكاة. و قال مجاهد: هو فرض ثابت. و قال قوم: هو أدب من اللّه ثابت غير منسوخ، و هو الأقوى، لأنه لا دليل على نسخها.

و «العفو» هنا قيل فى معناه ثلاثة أقوال:

قال ابن عباس، و قتادة: هو ما فضل عن الغنى.

و قال الحسن، و عطا: هو الوسط من غير إسراف و لا إقتار.

و قال مجاهد: هو الصدقة المفروضة.

---

(١) سورة الاعراف آية: ٣٢.

(٢) آية: ٩٣.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٢١٤

و روى عن أبى جعفر (ع) أن العفو: ما فضل عن قوت السنة، فنسخ ذلك بآية الزكاة.

و روى عن أبى عبد اللّه (ع) أن العفو هاهنا: الوسط.

و العفو مأخوذ من الزيادة و منه قوله: «حَتَّى عَفَوْا» «١» أى حتى زادوا على ما كانوا عليه من العدد قال الشاعر:

و لكنا نُعضُّ السيف منها باسبق عافيات الشحم كوم «٢»

أى زائدات الشحم. و قال قوم: هو مأخوذ من الترك من قوله: «فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ» «٣» أى ترك له، فيكون العفو المتروك غنى عنه، و من رفع معناه ما الذى ينفقون، و فى الأول كأنه قال: أى شيء ينفقون، فقالوا: العفو. و إنما وحد الكاف فى كذلك، و إن كان الخطاب لجماعة، لأحد أمرين: أحدهما- فى تقدير كذلك أيها السائل. و الثانى- أن يكون الخطاب للنبى (ص) و يدخل فيه الأمة، كما قال: «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ» «٤».

و قوله: «لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ» أى لكى تتفكروا، و هى لام الغرض. و فى ذلك دلالة على أن اللّه تعالى أراد منهم التفكر سواء تفكروا أو لم يتفكروا.

قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ٢٢٠] ..... ص : ٢١۴

اشارة

فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتامى قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَ إِنْ تُخالِطُوهُمْ فَإِخْوانُكُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٠)

آية واحدة.

الاعراب و المعنى: ..... ص : ٢١۴

العامل فى الظرف من قوله: «فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ» يحتمل أمرين:

---

(١) سورة الاعراف آية: ٩۴.

(٢) قائله لبيد بن ربيعة، ديوانه: ١٩ رقم القصيدة: ٣ فى المطبوعة (يعض السيف منا) و هو خطأ، لأن هذا البيت من قصيدة يفتخر بها فى كرمهم: يقول:

(٣) سورة البقرة آية: ١٨٧.

(۴) سورة الطلاق آية: ١.

أحدهما- «يبين» على قول الحسن. و الثانى- «يتفكرون» فى قول غيره.

و أجاز الزجاج الوجهين معاً.

و كيفية فكرهم فى الدنيا و الآخرة، قال قتادة: يتفكرون فى أن الدنيا دار بلاء، و فناء، و الآخرة دار جزاء و بقاء.

اللغة: ..... ص : ٢١۵

و قوله تعالى: «وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتامى ، فهو جمع يتيم، و الفعل منه يتم ييتم يتماً، كقولك: نكر نكراً. و حكى الفراء: يتم ييتم يتماً، كشغل شغلا.

و قوله: «وَ إِنْ تُخالِطُوهُمْ» فالمخالطة: مجامعة يتعذر معها التمييز، كمخالطة الخل للماء، و الماء للماء و ما أشبه ذلك، تقول: خلط يخلط خلطاً، و خالطه خلاطاً و مخالطة، و اختلاطا، و تخالطوا تخالطاً، و خلطه تخليطاً، و تخلّط تخلطاً. و أخلط الفرس: إذا قصّر فى جريه. و استخلط الفحل: إذا خالط ثيله حياء الناقة «١» و الخلاط: الجنون، لاختلاط الأمور على صاحبه. و الخليطان: الشريكان، لاختلاط أموالهما. و الخليط: القوم أمرهم واحد. و الخلاط: داء فى الجوف. و رجل خَلِط:

متحبب الى الناس، لطلبه الاختلاط بهم.

المعنى: ..... ص : ٢١۵

و معنى الآية الاذن لهم فيما كانوا متحرّجون منه من مخالطة الأيتام فى الأموال: من المأكل، و المشرب و المسكن، و نحو ذلك، فأذن اللَّه لهم فى ذلك إذا تحرّوا «٢» الإصلاح بالتوفير على الأيتام- فى قول الحسن، و غيره- و هو المروى فى أخبارنا.

الاعراب: ..... ص : ٢١٥

و قوله: «فإخوانكم» رفع على فهم «٣» إخوانكم خالطوهم أو لم تخالطوهم،

---

(١) فى المطبوعة (ثيله حال الناقة) و هو تصحيف.

(٢) فى المطبوعة (إذا انحروا) و هو تصحيف.

(٣) فى المطبوعة (فهو). [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٢١۶

و قوله: «فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجالًا أَوْ رُكْباناً» «١» نصب على فصلّوا «٢» و هو حال الصلاة خاصه لا- حال معنى فأنتم رجال أو ركبان، كيف تصرفت الحال. و يجوز- فى العربية- فإخوانكم على النصب على تقدير: فإخوانكم تخالطون، و الوجه الرفع، لما بيناه.

اللغة: ..... ص : ٢١۶

و قوله: «وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ» معناه: التذكير بالنعمة فى التوسعة على ما توجبه الحكمة مع القدرة على التضييق الذى فيه أعظم المشقة، و الاعنات: الحمل على مشقة لا تطاق فعلا. و عنت العظم عنتاً إذا أصابه وهن أو كسر، و أعنته إعناتاً إذا عسفه «٣» بالحمل على مكروه لا يطيقه. و عنت عنتاً إذا اكتسب مأثماً، و تعنته تعنتاً إذ لبس عليه فى سؤاله له. و الاكمة العنوت: هى الطويلة من الآكام، و أصل الباب المشقة.

المعنى: ..... ص : ٢١۶

و قال البلخى: فى هذه الآية دلالة على فساد قول من قال: إنه تعالى لا يقدر على الظلم، لأن الاعنات- بتكليف ما لا يجوز فى الحكمة- مقدور له، إذ لو يشاء لفعله.

و قال الجبائى: لو أعنتم لكان جائزاً حسناً، لكنه تعالى وسع على العباد، لما فى التوسعة من تعجيل النعمة. و فى الآية دلالة على بطلان قول المجبرة «۴» فى البدل، و تكليف ما لا يطاق، أما البدل، فلأنهم يذهبون الى النهى عن الكفر الموجود فى حالة بأن يكون الايمان بدلا منه، و هذا أعظم ما يكون من الاعنات، لأنه أمر له «۵» بالمحال، و هو ليكن منك الايمان بدلا من الكفر الموجود فى

---

(١) سورة البقرة آية: ٢٣٩.

(٢) فى المطبوعة «فضلوا» بتشد الضاد.

(٣) عسفه: ظلمه، و العسف الظلم.

(۴) فى المطبوعة (بطلان) سافطة.

(۵) فى المطبوعة (أمر) ساقطة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٢١٧

الحال، و كذلك النهى فيما لم يكن منك ما هو كائن من الكفر الموجود فى الحال كل ذلك محال، و كذلك الأمر بالايمان، من لم يقدر على الايمان، فإذا لم يفعله عُذّب بأشد العذاب، و إذا لم يكلف من الممكن ما فيه مشقة و شدة، للمظاهرة على عباده بالنعمة، لم

يجز أن يكلف ما ليس عليه قدره، لأنه أسوء تناقض المظاهرة بالنعمة.

و قوله: «إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» أى يفعل بعزته ما يحب، لا يدفعه عنه دافع.

«حكيم» ذو حكمة فيما أمركم به من أمر اليتامى و غيره.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۲۱] ..... ص : ۲۱۷

اشارة

وَ لا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَ لَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَ لَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَ لا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَ لَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَ لَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَ اللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَ الْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَ يُبَيِّنُ آياتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (۲۲۱)

آية واحدة.

اللغة: ..... ص : ۲۱۷

نكح ينكح نكحاً و نكاحاً: إذا تزوج، و أنكح غيره إنكاحاً، إذا زوّجه و تناكحوا تناكحاً، و ناكحه مناكحة قال الأعشى:

و لا تقربنَّ جارة إن سرّها عليك حرام فانكحن أو تأبدا «۱»

أى تعفف و أصل الباب التزويج.

المعنى: ..... ص : ۲۱۷

و هذه الآية على عمومها- عندنا- فى تحريم مناكحة الكفار، و ليست منسوخة و لا مخصوصة. و قال ابن عباس فى رواية شهر بن حوشب عنه قال: فرق

---

(۱) ديوانه: ۱۳۷ رقم القصيدة ۱۷. التأبد: التعزب أبداً و هو الابتعاد عن النساء.

يقول: لا تتزوج جارتك و تزوج غيرها أو استعفف و لا تقترب من النساء.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۱۸

عمر بين «۱» طلحة و حذيفة و بين امرأتيهما اللتين كانتا عندهما «۲» و قال غيره عن ابن عباس، و إليه ذهب الحسن، و مجاهد و الربيع: هى عامة إلا أنها نسخت بقوله:

«وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ»، و قال قتادة، و سعيد بن جبير: هى على الخصوص. و إنما اختير ما قلناه لأنه لا دليل على نسخها، و لا على خصوصها، و سنبين وجه الآية فى المائدة إذا انتهينا إليها.

فأما المجوسية، فلا يجوز نكاحها إجماعاً. و الذى لا يجوز: أن يتزوج مسلمة إجماعاً، و إمراحاً و اجباراً «۳».

و قوله «وَ لَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ» فالأمة: المملوكة. يقال أقرت بالأموة أى بالعبودية و أميت فلانة، و تأميتها إذا جعلتها أمة قال الراجز:

يرضون بالتعبيد و التآمى «۴»

و جمع أمة إماء و أآم و أصل الباب العبودية، و أصل أمة فعلة بدلالة قولهم إماء و اآم فى الجمع نحو أكمة و آكام و آكم. و الفرق

بين (و لو أعجبكم) و بين إن أعجبكم: أن لو للماضـی و إن للمستقبل و كلاهما يصح فی معنی الآية، و لا يجوز نكاح الوثنية إجماعاً، لأنها تدعو الی النار كما حكاه اللَّه تعالی، و هذه العلة بعينها قائمة فی الذمية من اليهودية و النصاری، فيجب أن لا يجوز نكاحها. و فی الآيـة دلالـة علی جواز نكاح الأمة المؤمنة مع وجود الطول، لقوله «وَ لَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْـرِكَةٍ» فأما الآية التی فی النساء، و هی قوله: «وَ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا» «۵» فإنمـا هی علی التنزيه دون التحريم، و متی أسـلم الزوجان معاً ثبتا علی النكاح- بلا خلاف- و به قال الحسن. و إن أسلمت قبله طرفة عين، فقد وقعت الفرقة- عند الحسن،

---

(۱) فی المطبوعة (عمر بن طلحة) و هو تحريف.

(۲) فی المطبوعة (و حذيفة و امرأتهما اللتين كانتا عنهما أبين) و هو تحريف فاحش.

(۳) هكـذا فی الأصل و لم أجـد لها مخرجاً، مقطوعاً به، و لعلها: اجماعاً و قولا و أخباراً أی اجماعاً علی الفتوی، و أقوال المفسـرين و الأخبار المأثورة.

(۴) قائله رؤبة. اللسان (أما) فی المطبوعة (ترضون) بدل (يرضون).

(۵) سورة النساء آية: ۲۴.

التبيان فی تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۱۹

و كثير من الفقهاء، و عنـدنا ينتظر عدتها فان أسـلم الزوج بينا أن الفرقة لم تحصل، و رجعت إليه، و إن لم يسـلم بينا أن الفرقة وقعت حين الإسـلام غير أنه لا يمكن من الخلو بها. فان أسـلم الزوج و كانت ذمية اسـتباح وطؤها بلا خلاف. و إن كانت وثنية انتظر إسلامها ما دامت فی العدة، فان أسلمت ثبت عقده عليها، و إن لم تسلم بانت منه.

فان قيل: كيف قيل للكافر الموحد مشرك! قيل فيه قولان:

أحدهما- أن كفره نعمة اللَّه بمنزلة الاشراك فی العبادة فی عظم الجرم.

و الآخر ذكره الزجاج- و هو الأقوی-، لأنه إذا كفر بالنبی (ص) فقد أشـرك فيما لا يكون إلا من عند اللَّه، و هو القرآن بزعمه أنه من عند غيره.

و قوله «باذنه» معناه أحد أمرين: أحدهما- بإعلامه. و الآخر- بأمره، و هو قول الحسن، و أبی علی و غيرهما.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۲۲] ..... ص : ۲۱۹

اشارة

وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُوا النِّساءَ فِي الْمَحِيضِ وَ لا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (۲۲۲)

آية واحدة.

القراءة: ..... ص : ۲۱۹

قرأ أهل الكوفة إلا حفصا (حتی يطهرن) بتشديد الطاء و الهاء. الباقون بالتخفيف.

المعنى: ..... ص : ۲۱۹

قيل: إنما سألوا عن المحيض، لأنهم كانوا على تجنب أمور: من مواكلة الحائض، و مشاربتها حتى كانوا لا يجالسونها فى بيت واحد، فاستعلموا ذلك، التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۲۰
أ واجب هو أم لا؟ فى قول قتادة، و الربيع، و الحسن، و قال مجاهد: كانوا على استجارة إتيانهن فى الأدبار أيام الحيض، فلما سألوا عنه، بين تحريمه، و الأول- عندنا- أقوى.

اللغة: ..... ص : ۲۲۰

و المحيض مصدر حاضت المرأة تحيض حيضاً و محيضاً، فهى حائض. و المرة حيضة «۱» و جمعه حيض و حيضات. و نساء حيض. و المستحاضة: التى عليها الدم فلا رواق «۲» و أصل الباب الحيض: مجىء الدم لأنثى على عادة معروفة.

أحكام الحيض، و الاستحاضة: ..... ص : ۲۲۰

و صفة الحيض: هو الدم الغليظ الأسود الذى يخرج بحرارة. و أقل الحيض ثلاثة أيام، و أكثره عشرة، و هو قول الحسن، و أهل العراق. و قال الشافعى، و أكثر أهل المدينة: أقل الحيض يوم و ليلة، و أكثره خمسة عشر يوماً. و حكى أن قوماً قالوا: ليس له وقت محدود: إنما هو ما رأت دم الحيض. و أقل الطهر عشرة أيام، و خالف الجميع و قالوا: خمسة عشر يوماً. و الاستحاضة: دم رقيق أصفر بارد.
و حكم الاستحاضة حكم الطهر فى جميع الأحكام إلا فى تجديد الوضوء- عند كل صلاة- و وجوب الغسل عليها على بعض الوجوه- عندنا-.
و قوله: «أذى» معناه: قذر و نجس- فى قول قتادة و السدى-.
و قوله: «فَاعْتَزِلُوا النِّساءَ فِي الْمَحِيضِ» معناه: اجتنبوا الجماع فى الفرج، و به قال ابن عباس، و عائشة، و الحسن، و قتادة، و مجاهد. و ما فوق المئزر أو دونه، عن شريح، و سعيد بن المسيب. و عندنا: لا يحرم منها غير موضع الدم فقط. و من وطئ الحائض فى أول الحيض، كان عليه دينار، و إن كان فى وسطه، فنصف دينار، و فى آخره ربع دينار. و قال ابن عباس: عليه دينار، و لم يفصل. و قال الحسن: يلزمه رقبة أو بدنة أو عشرون صاعاً.

---

(۱) فى المطبوعة (و المرأة حيضة) و هو تصحيف.
(۲) هكذا فى المطبوعة.
التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۲۱

اللغة: ..... ص : ۲۲۱

و يقال:عزله يعزله عزلا، و اعتزل اعتزالًا، و عزّله تعزيلا. و الأعزل: الذى لا سلاح معه. و عزلا المزادة: مخرج الماء من أحد جوانبها، و الجمع عزال. و كل شىء نحيّته عن موضع، فقد عزلته عنه، و منه عزل الوالى. و أنت عن هذا بمعزل: أى منتحى. و الأعزل من السماكين: الذى نزل به القمر. و المعزال من الناس: الذى لا ينزل مع القوم فى السفر، لكنه ينزل ناحية، و أصل الباب الاعتزال، و هو التنحى عن الشىء.

المعنى: ..... ص : ۲۲۱

و قوله: «حَتَّى يَطْهُرْنَ» بالتخفيف معناه: ينقطع الدم عنهن. و بالتشديد معناه: يغتسلن- فى قول الحسن، و الفراء- و قال مجاهد، و طاوس: معنى تطهّرن:

توضأن، و هو مذهبنا.

و الفرق بين (طهرت) و (طهرّت) أن فُعل لا يتعدّى، لأن ما كان على هذا البناء لا يتعدّى، و ليس كذلك فعّل. و من قرأ بالتشديد قال: كان أصله «يتطهرن» فأدغمت التاء فى الطاء.

و عندنا يجوز وطئ المرأة إذا انقطع دمها، و طهرت و إن لم تغتسل إذا غسلت فرجها. و فيه خلاف، فمن قال: لا يجوز وطؤها إلا بعد الطهر من الدم، و الاغتسال:

تعلق بالقراءة بالتشديد، فإنها تفيد الاغتسال، و من قال: يجوز، تعلق بالقراءة بالتخفيف و أنها لا تفيد الاغتسال. و هو الصحيح. و يمكن فى قراءة التشديد أن تحمل على أن المراد به توضأن على ما حكيناه عن طاوس، و غيره. و من استعمل قراءة التشديد يحتاج أن يحذف القراءة بالتخفيف أو يقدر: محذوفاً تقديره حتى يطهرن و يتطهرن، و على ما قلناه لا يحتاج اليه.

و قوله: «فَإِذا تَطَهَّرْنَ» معناه: اغتسلنا، و على ما قلناه: حتى يتوضأن.

و قوله: «فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ» صورته صورة الأمر، و معناه التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۲۲

الاباحة، كقوله: «وَ إِذا حَلَلْتُمْ فَاصْطادُوا» «۱» «فَإِذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا» «۲» و قوله: مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ؟ معناه من حيث أمركم اللَّه بتجنبه فى حال الحيض، و هو الفرج، على قول ابن عباس، و مجاهد، و قتادة، و الربيع. و قال السدى، و الضحاك: من قبل الطّهر دون الحيض. و عن ابن الحنفية من قبل النكاح دون الفجور، و الأول أليق بالظاهر. و يحتمل أن يكون من حيث أباح اللَّه لكم دون ما حرمه عليكم من إتيانها و هى صائمة أو محرمة أو معتكفة، ذكره الزجاج. و قال الفراء: لو أراد الفرج لقال فى حيث، فلما قال: «من حيث» علمنا أنه أراد من الجهة الذى أمركم اللَّه بها.

و قال غيره: إنما قال: «من حيث» و لم يقل فى حيث، لأن (من) لابتداء الغاية فى الفعل، نحو قولك: ائت زيداً من مأتاه أى من الوجه الذى يؤتى منه.

و قوله: «يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ» قال عطا: المتطهرين بالماء. و قال مجاهد: المتطهرين من الذنوب، و الأول مروى فى سبب نزول هذه الآية، و المعنى يتناول الأمرين. و إنما قال: «المتطهرين» و لم يقل المتطهرات، لأن المؤنث يدخل فى المذكر، لتغليبه عليه.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۲۳] ..... ص : ۲۲۲

نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَ قَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (۲۲۳)

آية واحدة بلا خلاف.

قيل فى معنى قوله: «حَرْثٌ لَكُمْ» قولان:

أحدهما- أن معناه: مزرع أولادكم، كأنه قيل: محترث لكم، فى قول ابن عباس، و السدى، و إنما الحرث: الزرع فى الأصل.

و القول الثانى: نساؤكم ذو حرث لكم، فأتوا موضع حرثكم أنى شئتم،

---

(۱) سورة المائدة آية: ۳. [.....]

(۲) سورة الجمعة آية: ۱۰.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۲۳

ذكره الزجاج. و قيل: الحرث كناية عن النكاح على وجه التشبيه.

و قوله: «أَنَّى شِئْتُمْ» معناه: من أين شئتم- فى قول قتادة، و الربيع- و قال مجاهد: معناه كيف شئتم. و قال الضحاك معناه متى شئتم، و هذا خطأ عند جميع المفسرين، و أهل اللغة، لأن (أنى) لا يكون إلا بمعنى من أين، كما قال:

«أَنَّى لَكِ هذا قالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» «١». و قال بعضهم: معناه من أى وجه و استشهد بقول الكميت بن زيد:

أنى و من أين آبك الطرب من حيث لا صبوة و لا ريب «٢»

و هذا لا شاهد فيه، لأنه يجوز أن يكون أتى به، لاختلاف اللفظين، كما يقولون: متى كان هذا و أى وقت كان، و يجوز أن يكون بمعنى كيف. و تأول مالك، فقال: «أَنَّى شِئْتُمْ» تفيد جواز الإتيان فى الدبر، و رواه عن نافع عن أبى عمرو، و حكاه زيد بن أسلم عن محمد بن المنكدر، و روى من طرق جماعة عن ابن عمر، و به قال أكثر أصحابنا، و خالف فى ذلك جميع الفقهاء، و المفسرين، و قالوا: هذا لا يجوز من وجوه:

أحدها- أن الدبر ليس بحرث، لأنه لا يكون فيه الولد. و هذا ليس بشىء لأنه لا يمتنع أن تسمى النساء حرثاً، لأنه يكون منهنّ الولد، ثم يبيح الوطء فيما لا يكون منه الولد، يدل على ذلك أنه لا خلاف أنه يجوز الوطء بين الفخذين و إن لم يكن هناك ولد.

و ثانيها- قالوا: قال اللَّه: «فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ» و هو الفرج، و الإجماع على أن الآية الثانية ليست بناسخة للأولى. و هذا أيضاً لا دلالة فيه، لأن قوله: «مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ» معناه: من حيث أباح اللَّه لكم، أو من الجهة التى شرعها لكم، على ما حكيناه عن الزجاج، و يدخل فى ذلك الموضعان معاً.

---

(١) سورة آل عمران آية: ٣٧.

(٢) الهاشميات: ٤١. قوله (آبك) معترضة بين كلامين، كما تقول: (ويحك) و هى بمعنى ويلك. و قيل: أن آبك بمعنى راجعك الطرب.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٢٢٤

و ثالثها- قالوا: إن معناه: من أين شئتم: أى ائتوا الفرج من أين شئتم، و ليس فى ذلك إباحة لغير الفرج. و هذا ايضاً ضعيف، لأنا لا نسلم أن معناه الفرج، بل عندنا معناه: ائتوا النساء، أو ائتوا الحرث من أين شئتم، و يدخل فيه جميع ذلك.

و رابعها- قالوا: قوله فى المحيض (قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُوا النِّساءَ فِي الْمَحِيضِ) فإذا حرم للاذى فى الدم، و الأذى بالنجو أعظم منه. و هذا أيضاً ليس بشىء، لأن هذا حمل الشيء على غيره من غير علة، على أنه لا يمتنع أن يكون المراد بقوله:

«قُلْ هُوَ أَذىً» غير النجاسة، بل المراد أن فى ذلك مفسدة، و لا يجوز أن يحمل على غيره إلا بدليل يوجب العلم على أن الأذى بمعنى النجاسة حاصل فى البول، و دم الاستحاضة و مع هذا، فليس بمنهى عن الوطء فى الفرج.

و يقال: أن هذه الآية نزلت رداً على اليهود، و أن الرجل إذا أتى المرأة من خلف فى قبلها خرج الولد أحول، فأكذبهم اللَّه فى ذلك، ذكره ابن عباس، و جابر، و رواه أيضاً أصحابنا. و قال الحسن: أنكر اليهود إتيان المرأة قائمة، و باركة، فأنزل اللَّه إباحته بعد أن يكون فى الفرج، و هو السبب الذى روى، و لا يمنع أن يكون ما ذكرناه مباحاً، لأن غاية ما فى السبب أن تطابقه الآية، فأما أن لا تتعداه، فلا يجب عند أكثر المحصلين «١».

و قوله: «وَ قَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ» أى قدموا الأعمال الصالحة التى أمر اللّه بها عباده، و رغّبهم فيها، فتكون ذخراً عند اللّه.

و وجه اتصال قوله: «وَ قَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ» بما قبله: أنه لما قدم الأمر بعد أشياء قيل: «قَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ» بالطاعة فيما أمرتم به، و اتقوا مجاوزة الحدّ فيما بين لكم، و فى ذلك الحث على العمل بالواجب الذى عرفوه، و التحذير من مخالفة ما ألزموه.

و قوله: «وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ» فالبشارة: الدلالة على ما يظهر به السرور فى

---

(۱) فى المطبوعة (المحطين).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۲۵

بشر الوجه.

و قوله: «أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ» أى اتقوا من معاصيه التى نهاكم عنها، و اتقوا عذابه، و اعلموا أنكم ملاقوا عذابه إن عصيتموه، و ملاقوا ثوابه إن أطعتموه، و إنما أضافه اليه على ضرب من المجاز، كما يقول القائل لغيره: ستلقى ما عملت، و إنما يريد جزاء ما عملت، فيسمى الجزاء باسم الشيء.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۲۴] ..... ص : ۲۲۵

اشارة

وَ لا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَ تَتَّقُوا وَ تُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (۲۲۴)

آية واحدة بلا خلاف.

المعنى: ..... ص : ۲۲۵

قيل فى معنى قوله: «وَ لا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمانِكُمْ» ثلاثة أقوال:

أحدها- أن العرضة: علة، كأنه قال لا تجعلوا اليمين باللّه علة مانعة من البرّ، و التقوى: من حيث تتعمدوا، لتعتلوا بها، و تقولوا: قد حلفنا باللّه، و لم تحلفوا به، هذا قول الحسن، و طاوس، و قتادة، و أصله- فى هذا الوجه- الاعتراض به بينكم و بين البرّ و التقوى، للامتناع منهما، لأنه قد يكون المعترض بين الشيئين مانعاً من وصول أحدهما الى الآخر، فالعلة مانعة كهذا المعترض. و قيل: العرضة: المعترض، قال الشاعر:

لا تجعلينى عرضة اللوائم

الثانى- «عرضة»: حجة، كأنه قال لا تجعلوا اليمين باللّه حجة فى المنع «أَنْ تَبَرُّوا وَ تَتَّقُوا» بأن تكونوا قد سلف منكم يمين ثم يظهر أن غيرها خير منها، فافعلوا الذى هو خير، و لا تحتجوا بما سلف من اليمين، و هو قول ابن عباس، و مجاهد، و الربيع، و الأصل فى هذا القول و الأول واحد، لأنه منع من جهة الاعتراض بعلة أو حجة. و قال بعضهم: إن أصل عرضة: قوة، فكأنه قيل: و لا تجعلوا الحلف باللّه قوة لأيمانكم فى ألّا تبرّوا و أنشد لكعب بن زهير: التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۲۶

من كل نضّاحة الذّفرى إذا عرقت عُرضتها طامس الاعلام مجهول «۱»

و على هذا يكون الأصل العرض، لأن بالقوة يتصرف فى العرض و الطول، فالقوة: عرضة لذلك.

الثالث- بمعنى:

و لا تجعلوا اليمين باللّه مبتذلة فى كل حق و باطل، لأن تبرّوا فى الحلف بها، و اتقوا المآثم فيها، و هو المروى عن عائشة، لأنها قالت: لا تحلفوا به و إن بررتم، و به قال الجبائى، و هو المروى عن أئمتنا (ع)

و أصله على هذا معترض بالبذل: لا تبذل يمينك فى كل حق و باطل. فأما فى الأصل، فمعترض بالمنع أى لا يعترض بها مانعاً من البرّ، و التقوى، فتقدير الأول: لا تجعل اللّه مانعاً من البرّ و التقوى باعتراضك به حالفاً، و تقدير الثانى: لا تجعل اللّه مما تحلف به دائماً باعتراضك بالحلف فى كل حق و باطل، لأن تكون من البررة، و الأتقياء.

اللغة: ..... ص : ٢٢٦

و اليمين، و القسم، و الحلف واحد. و اليمنية: ضرب من برود اليمن. و أخذ يمنة، و يسرة. و يُمن ييمن يميناً، فهو ميمون. و يمن، فهو ميمن: إذا أتى باليمن، و البركة. و تيمن به تيمناً، و تيامن تيامناً. و اليمين خلاف الشمال، و أصل الباب اليمن، و البركة.

المعنى: ..... ص : ٢٢٦

و قوله: «أن تبروا» قيل فى معناه ثلاثة أقوال:

أحدها- «أن تبروا»: لأن تبروا على معنى الأثبات.

الثانى- أن يكون على معنى لدفع أن تبروا، أو لترك أن تبروا- فى قول

---

(١) ديوانه: ٩، و اللسان (عرض). نضح الرجل بالعرق نضحاً: نض به حتى سال سيلا، و نضاحة: شديدة النضح. و الذفرى: الموضع الذى يعرق خلف الاذن، و هو من كل حيوان حتى الإنسان و هو العظم الشاخص خلف الاذن. و الطامس: الدارس الذى أمحى أثره. و الاعلام:

أعلام الطريق. و أرض مجهولة. إذا كان لا أعلام فيها و لا جبال. يقول: إذا نزلت هذه المجاهل، عرقت حينئذ قوتها و شدتها و صبرها على العطش و السير فى الملوات.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‏٢، ص: ٢٢٧

أبى العباس.

الثالث- على تقدير: ألّا تبروا، و حذفت (لا) لأنه فى معنى القسم كما قال امرؤ القيس:

فقلت يمين اللَّه أبرح قاعداً و لو قطعوا رأسى لديك و أوصالى «١»

أى لا أبرح، هذا قول أبى عبيد، و أنكر أبو العباس هذا، لأنه لما كان معه (أن)، بطل أن يكون جواباً للقسم، و إنما يجوز (و اللّه أقم فى القسم بمعنى لا ـ أقوم، لأنه لو كان إثباتاً، لقال لأقومن، باللام و النون. و المعنى فى قول أبى العباس، و أبى عبيد واحد، و التقدير مختلف، فحمله أبو العباس على ما له نظير من حذف المضاف و إقامة المضاف إليه مقامه، و أنكر قياسه على ما يشبهه.

الاعراب: ..... ص : ٢٢٧

و فى موضع أن تبروا ثلاثة أقوال:

قال الخليل، و الكسائى: موضعه الخفض بحذف اللام مع أن خاصة.

الثانى- قال سيبويه، و أكثر النحويين: إن موضعه النصب، لأنه لما حذف المضاف وصل الفعل و هو القياس.

الثالث- قال قوم: موضعه الرفع على «أَنْ تَبَرُّوا وَ تَتَّقُوا وَ تُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ» أولى، و حذف، لأنه معلوم المعنى، أجاز ذلك الزجاج و إنما حذف اللام جاز مع (أن)، و لم يجز مع المصدر، لأن (أن) يصلح معها الماضى، و المستقبل، نحو قولك جئتك أن ضربت زيداً، و جئتك أن تضرب زيداً، و المصدر ليس كذلك، كقولك: جئتك لضرب زيد، فمعنى ذلك: أنه لما وصل بالفعل، احتمل الحذف كما يحتمل (الذى) و إذا وصل بالفعل من حذف ضمير المفعول، ما لا يحتمله الألف و اللام إذا وصل بالاسم، نحو الذى ضربت زيد: يريد ضربته. فأما الضاربة أنا زيد، فلا يحسن إلا بالهاء، و ذلك لأن الفعل أثقل، فهو بالحذف أولى. و يجوز أن

---

(۱) ديوانه: ۱۴۱.

التبيان فی تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۲۸

يكون لما صلح للأمرين كثير فی الاستعمال، فكان بالحذف أولی مما قل منه.

و قال الزجاج إنما جاز حذف اللام مع (أن)، و لم يجز مع المصدر، لأن (أن) إذا وصلت، دل بما بعدها علی الاستقبال، و المعنی تقول: جئتک أن ضربت زيداً، و جئتک أن تضرب زيداً، فلذلک جاز حذف اللام، فإذا قلت. جئتک ضرب زيد، لم يدل الضرب علی مضی و لا استقبال.

المعنی: ..... ص : ۲۲۸

فإذا حلف لا يعطی من معروفه، ثم رأی أن برّه خيراً، أعطاه، و نقض يمينه. و عندنا لا كفارة عليه، و إنما جاز ذلک، لأنه لا يخلو من أن يكون حلف يميناً جائزة أو غير جائزة، فان كانت جائزة، فهی مقيدة بأن لا يری ما هو خير، فليس فی هذا مناقضة للجائزة، و إن كانت غير جائزة، فنقضها غير مكروه.

و قوله: «وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» معناه: أنه سميع ليمينه، عليم بنيته فيه، و فی ذلک تذكير، و تحذير.

قوله تعالی:[سورة البقرة (۲): آية ۲۲۵] ..... ص : ۲۲۸

اشارة

لا يُؤاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِی أَيْمانِكُمْ وَ لكِنْ يُؤاخِذُكُمْ بِما كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (۲۲۵)

آية.

المعنی: ..... ص : ۲۲۸

اختلفوا فی يمين اللغو فی هذه الآية، فقال ابن عباس، و عائشة، و الشعبی:

هو ما يجری علی عادة اللسان: من لا و اللَّه، و بلی و اللّه من غير عقد علی يمين يقتطع بها مال، يظلم بها أحد، و هو المروی عن أبی جعفر، و أبی عبد اللّه (ع).

و قال الحسن، و مجاهد، و ابراهيم: هی يمين الظانّ، و هو يری أنه حلف، فلا- إثم عليه، و لا- كفارة. روی أيضاً عن ابن عباس، و طاوس: أنها يمين الغضبان، لا يؤاخذ بالحنث فيها، و به قال سعيد بن جبير، إلا أنه أوجب فيها الكفارة. و قال مسروق التبيان فی تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۲۹

كل يمين ليس له الوفاء بها، فهی لغو و لا- يجب فيها كفارة. و قال الضحاک: روی أيضاً عن ابن عباس: أن لغو اليمين ما يجب فيه الكفارة. و روی عن إبراهيم: أنها يمين الناسی إذا حنث. و قال زيد بن أسلم: هو قول الرجل: أعمی اللّه بصری، أو أهلک اللَّه مالی، فيدعو علی نفسه.

اللغة: ..... ص : ۲۲۹

و أصل اللغو: هو الكلام الذی لا فائدة فيه، و كل يمين جرت مجری مالا فائدة فيه حتی صارت بمنزلة ما لم يقع، فهی لغو، و لا شیء

فیهـا، و هو اختیـار الرمـانی. تقول: لغـا یلغو لغواً: إذا أتی بکلاـم. و ألغی إلغاء: إذا أطرح الکلام، لأنه لا فائـدهٔ فیه. و قوله: «وَ الْغَوْا فِیهِ» معناه: ارفعوا الصوت بکلام لا فائدهٔ فیه. و الحساب الذی یلغی: أی یطرح، لأنه بمنزلهٔ کلام لا فائدهٔ فیه.

و لاغیـهٔ: کلمهٔ قبیحهٔ فاحشهٔ، و منه اللغا، لأنها کلام لا فائدهٔ فیه عند غیر أهله، و هو مشـتق من لغا الطائر، و هو منطقه، و قال ابن صـغیر المازنی:

باکرتم بسباء جونٍ ذارعٍ قبل الصباح و قبل لغو الطائر «۱»

المعنی: ..... ص : ۲۲۹

الأیمان علی ضـربین: أحدهما لا کفارهٔ فیها. و الثانی- یجب فیها الکفارهٔ، فما لا کفارهٔ فیه: هو الیمین علی الماضی إذا کان کاذباً فیه، مثـل أن یحلف أنه ما فعل، و کان فعل أو «۲» أن یحلف أنه فعل، و ما کان فعل، فهاتان لا کفارهٔ فیهما- عنـدنا- و کـذلک إذا حلف علی مـال، لیقتطعه کاذباً، فلا کفارهٔ علیه، و یلزمه الخروج مما حلف علیه، و التوبـهٔ، و هی الیمین الغموس، و فی هـذه أیضاً خلاف، و منها أن یحلف علی أمر فعل، أو ترک، و کان خلاف ما حلف علیه أولی

---

(۱) اللسان (لغا) فی المطبوعهٔ (بسبإ) بدل (بسباء) و (الصیاح) بدل (الصباح) و (رزاع) بدل (ذارع) و کل ذلک تحریف، باکرتم بسباء: أی بشرب الخمرهٔ.

(۲) فی المطبوعهٔ (أو) ساقطهٔ.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۲۳۰

من المقام علیه، فلیخالف، و لا کفارهٔ علیه- عندنا- و فیه خلاف عند أکثر الفقهاء.

و ما فیه کفارهٔ، فهو أن یحلف علی أن یفعل، أو یترک و کان الوفاء به إمّا واجباً أو نـدباً أو کان فعله، و ترکه سواء، فمتی خالف کان علیه الکفارهٔ، و قـد بینا أمثلهٔ ذلک فی النهایهٔ فی الفقه. و قال الحسن: الأیمان علی ثلاثهٔ أقسام: منها أن یحلف علی أمر، و هو یری أنه علی ما حلف، فهذا هو اللغو، لا عقوبهٔ فیه، و لا کفارهٔ.

و منها: أن یحلف علی أمر، و هو یعلم أنه کاذب، فهـذا آثم فاجر علیه التوبـهٔ، و لا کفارهٔ علیه. و منها أن یحلف: لا یفعل کذا، فیفعل، أو یحلف: لیفعلن، و لا یفعل، ففی ذلک الکفارهٔ. و کان یقول: إذا حلف علی مملوک، أو علی حرّ، فقال:

و اللّه لتـأکلن من هـذا الطعـام، فلم یأکل، فعلیه الکفارهٔ. و قال: الیمین علی أربعـهٔ أوجه- فی قول أکثر الفقهاء: اثنتان: لا کفارهٔ فیها، و اثنتـان: فیها الکفارهٔ، فالأول- قول الرجل: و اللَّه ما فعلت، و قـد فعل، و قوله: و اللّه لقـد فعلت، و ما فعل، فهاتان لا کفارهٔ فیهما، لأنه لا حنث فیهمـا. و الثـانی- قول الحـالف: و اللَّه لاـ فعلت، ثم یفعـل. و قوله: و اللَّه لأـفعلن، ثم لاـ یفعـل، فهاتـان فیهمـا الکفارهٔ. و قـد بینا الخلاف فی خلاف الفقهاء.

اللغهٔ: ..... ص : ۲۳۰

و الفرق بین اللغا، و اللغو، أن اللغا: الذکر بالکلام القبیح. لغیت ألغی لغاً، قال العجاج:

و ربّ أسراب حجیج کظّم عن اللغا و رفث التکلم «۱»

و جواب الیمین علی أربعهٔ أقسام: اللام، و ما، و إنّ، و لا، نحو: و اللَّه لآتینک، و اللَّه ما فعلت، و و اللَّه إنه لکاذب، و و اللَّه لا کلمته.

و قوله: «وَ اللَّهُ غَفُورٌ حَلِیمٌ» فـالحلم الامهال بتأخیر العقاب «۲» علی الـذنب، تقول: حلم حلماً، و تحلم تحلماً، و حلّمه تحلیماً. و حلم فی

نومه حلماً: إذا رأى

(۱) مر تخريجه فى ۲: ۱۳۲.

(۲) فى المطبوعة (العقل).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۳۱

الأحلام، و منه «أضغاث أحلام» «۱». و الحلم الرؤيا فى النوم، و منه الاحتلام.

و الحَلم: ما عظم من القردان، و الواحد حَلَمة، لأنه كحلمة «۲» الثدى، و حلمة الثدى، لأنها تحلم المرتضع. و الحلمة: شجرة السعدان، و هى من أفضل المرعى.

و تحلمت الضباب: إذا سمنت لأنه يكسبها دعة كدعة الحلم. و الحلام: الجدى، و أصل الباب الحلم: الأناة. و أما حَلِم الأديم إذا نغل «۳» فلأنه وقع فيه الحلم.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۲۶] ..... ص : ۲۳۱

اشارة

لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فاؤُ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۲۲۶)

آية واحدة بلا خلاف.

اللغة: ..... ص : ۲۳۱

قوله: «يؤلون» معناه: يحلفون- بلا خلاف بين أهل التأويل- و هو المروى عن سعيد بن المسيب و هو مأخوذ من الألية قال الشاعر:

كفينا من تغيّب من نزار و أحنثنا إليّة مقسمينا «۴»

و يقال: ألى الرجل- من امرأته- يؤلى إيلاء، و ألية، و ألوّة، و هو الحلف قال الأعشى:

إنى أليت على حلفة و لم أقلها سحر الساحر «۵»

و جمع أليّة: ألايا، و أليّات، كعشية، و عشايا، و عشيات، فأما جمع ألوّة، فألايا، كركوبة و ركائب، و جمع ألية: ألاء كصحيفة، و صحائف، و منه ائتلى يأتلى

(۱) سورة يوسف آية: ۴۴.

(۲) فى المطبوعة (كجملة).

(۳) حلم- بفتح الحاء و كسر اللام- و نغل الأديم: فسد فى دباغته.

(۴) تفسير الطبرى ۴: ۴۵۶، و روايته (فى تراب) بدل (من نزار) و فى مجمع البيان طبع صيدا ۱: ۳۳۲ (من نزار) كما ذكر الشيخ سواء. و قد اعترف محقق الطبرى أنه بدل (من) ب (فى) و كانت فى المخطوطة و المطبوعة عنده (من). [.....]

(۵) ديوانه: ۱۴۳ رقم القصيدة: ۱۸. و روايته

(و لم اقله عثر العاثر)

بدل

(و لم أقلها سحر الساحر).

التبيان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۲۳۲

ائتلاء، و فی التنزیل «وَ لا یَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْکُمْ» «۱»، و تقول: لاـ تـألوا ألیاً، و ألوّ، نحو العتی، و العتوّ. و ما ألوت جهـداً، و لا ألوته نصحاً، أو غشا، و منه قوله: «لا یَأْلُونَکُمْ خَبالًا» «۲»، و قال الشاعر:

نحن فصلنا جهدنا لم نأتله

أی لم نقصر. و أصل الباب التقصیر، فمنه لا یألوا جهداً، و منه الألیة:

الیمین، لأنها لنفی التقصیر. و عود ألوة، و ألوة: أجود العمود، لأنه خالص.

المعنی: ..... ص : ۲۳۲

و الإیلاء فی الآیـة: المراد به: اعتزل النسـاء، و ترک جمـاعهن علی وجه الإضـرار بهن، و کـأنه قیل: «لِلَّذِینَ یُؤْلُونَ» أن یعتزلوا نساءهم (تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ) منهم،

و الیمین التی یکون بهـا الرجل مؤلیاً: هی الیمین باللَّه عزّ و جلّ، أو بشـیء من صـفاته التی لا یشـرکه فیها غیره، علی وجه لا یقع موقع اللغو الذی لا فائدة فیه، و یکون الحلف علی الامتناع من الجماع علی جهة الغضب، و الضرار، و هو المروی عن علی (ع)

، و ابن عباس، و الحسن. و قال ابراهیم، و ابن سیرین، و الشعبی: فی الغضب.

و قال سعید بن المسبب: هو فی الجماع، و غیره من الضرار، نحو الحلف ألّا یکلمها.

اللغة: ..... ص : ۲۳۲

و التربّص بالشـیء انتظـارک به خیراً، أو شـراً یحـل، و تقول: تربصت بالشـیء تربصـاً، و ربصت به ربصاً، و منه قوله: «فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّی حِینٍ» «۳» و «نَتَرَبَّصُ بِهِ رَیْبَ الْمَنُونِ» «۴» قال الشاعر:

تربص بها ریب المنون لعلّها تطلّق یوماً أو یموت حلیلها «۵»

و مالی علی هذا الأمر ربصة: أی تلبث، و أصله الانتظار.

و قوله: «فَإِنْ فاؤُ» معناه: فان رجعوا، و منه قوله:

---

(۱) سورة النور آیة: ۲۲.

(۲) سورة آل عمران آیة: ۱۱۸.

(۳) سورة المؤمن آیة: ۲۵.

(۴) سورة الطور آیة: ۳۰.

(۵) اللسان (ربص) فی المطبوعة (خلیلها) بدل (حلیلها). و المعنی فیهما واحد.

التبيان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۲۳۳

«حَتَّی تَفِیءَ إِلی أَمْرِ اللَّهِ» «۱» أی ترجع من الخطأ الی الصواب. و الفرق بین الفیء و الظل: ما قال المبرد: إن الفیء ما نسـخ الشـمس، لأنه هو الراجع، و أما الظل: فما لا شمس فیه.

و کل فیء ظل، و لیس کل ظل فیء، و لذلک أهل الجنة فی ظل، لا فی فیء، لأنه لا شـمس فیها، کما قال اللَّه تعالی: «وَ ظِلٍّ مَمْدُودٍ»

«٢». و جمع الفىء أفياء، تقول:

فاء الفىء: إذا تحول عن جهة الغداة برجوع الشمس عنه. و تفيأت فى الشجر، و فيأت الشجرة. و الفىء: غنائم المشركين، أفاء اللّه علينا فيهم، لأنه من رجع الشىء الى حقه، و الفىء الرجوع عن الغضب. إن فلاناً لسريع الفىء من غضبه.

المعنى: ..... ص : ٢٣٣

فان قيل: ما الـذى يكون المولى به فايئاً؟ قيل- عنـدنا-: يكون فايئاً بأن يجامع، و به قال ابن عباس، و مسروق، و سعيد بن المسيب. و قال الحسن، و ابراهيم، و علقمة:

يكون فايئاً بالعزم فى حال العـذر إلّا أنه ينبغى أن يشهد على فيئه، و هـذا يكون- عندنا- للمضطر الذى لا يقدر على الجماع، و يجب على الفايئ- عنـدنا- الكفارة، و به قال ابن عباس، و سعيد بن المسيب، و قتادة، و لا عقوبـة عليه، و هو المروى عن أبى جعفر، و أبى عبد اللّه (ع).

و قال الحسن، و ابراهيم: لا كفارة عليه، لقوله: «فَإِنْ فاؤُ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»: أى لا يتبعه بكفارة، و لا عقوبة.

الاعراب: ..... ص : ٢٣٣

و يجوز فى «تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ» ثلاثـة أوجه: الجر بالاضافـة، و عليه جميع القراء. و يجوز النصب، و الرفع فى العربيـة «تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ» كما قال: «أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفاتاً أَحْياءً وَ أَمْواتاً» «٣» أى يكفتهم «۴» أحياء، و أمواتاً، و «تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ» كقوله: «فَشَهادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهاداتٍ بِاللَّهِ» «۵»

---

(١) سورة الحجرات آية: ٩.

(٢) سورة الواقعة آية: ٣٠.

(٣) سورة المرسلات آية: ٢۵- ٢۶.

(۴) فى المطبوعة يكفيهم

(۵) سورة النور آية: ۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٣۴

و مثله (فَجَزاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ) «١». و إنما جعل اختصاص الإيلاء بحال الغضب، لأن مدة التربص جعل فسحة للمرأة فى التخلص من المضارة، فإذا لم يكن ضرار لم يصح إيلاء. و من لم يخص بحال الغضب، حمله على عموم الإيلاء، و هو الأقوى. و متى حلف بغير اللّه فى الإيلاء، فلا تنعقد يمينه، و لا يكون مؤلياً.

و قال الجبائى: إذا حلف بما يلزمه فيه عزم، نحو الصدقة، أو الطلاق، أو العتاق، فهو إيلاء، و إلّا، فهو لغو، نحو قوله: و حياتك، و ما أشبهه. و قال الشافعى:

لا إيلاء إلا باللّه، كما قلناه. و متى حلف ألا يجامع أقل من أربعة أشهر، لا يكون مؤلياً، لأن الإيلاء على أربعة أشهر، أو أكثر.

و متى حلف ألّا يقربها، و هى مرضعة خوفاً من أن تحبل، فيضر ذلك بولدها، لا يلزمه حكم الإيلاء، و هو المروى عن على (ع)

، و به قال الحسن، و ابن شهاب. و يجوز أن يكون فى الآية تقديم، و تأخير، و يكون تقديره «لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ» «تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ» «مِنْ نِسائِهِمْ».

و يجوز أن يكون معناه: «لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ» أجل «نِسائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ» كما تقول: غضبت لفلان: أى من أجل فلان. و إذا مضت أربعة أشهر لم تبن منه إلا بطلاق، و يلزمه الحاكم، إما الرجوع و الكفارة، و إما الطلاق، فان امتنع حبسه حتى يفىء، أو يطلق. و فيه خلاف.

قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ٢٢٧] ..... ص : ٢٣٤

اشارة

وَ إِنْ عَزَمُوا الطَّلاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٧)

آيه واحدة.

المعنى: ..... ص : ٢٣٤

عزيمة الطلاق فى الحكم- عندنا- أن يعزم، ثم يتلفظ بالطلاق، و متى لم يتلفظ بالطلاق بعد مضى أربعة أشهر، فان المرأة لا تبين منه إلا أن تستدعى، فان استدعت، ضرب الحاكم مدة أربعة أشهر ثم توقف بعد أربعة أشهر، فيقال له: فىء

---

(١) سورة المائدة آية: ٩٨.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٢٣٥

أو طلق، فان لم يفعل، حبسه حتى يطلق، و مثل هذا قال أهل المدينة غير أنهم قالوا:

متى امتنع من الطلاق و الفيئة، طلق عنه الحاكم طلقة رجعية. و قال أهل العراق:

الإيلاء: أن يحلف ألّا يجامعها أربعة أشهر فصاعداً، فإذا مضت أربعة أشهر فلم يقربها، بانت منه بتطليقة لا رجعة له عليها، و عليها عدة ثلاث حيض، يخطبها فى العدة، و لا يخطبها غيره، فان فاء قبل أربعة أشهر: أى إن جامع، كفر يمينه، و هى امرأته. و قال الحسن، و قتادة، و ابن مسعود، و ابراهيم، و ابن عباس، و حماد: هو مضى أربعة: أشهر قبل أن يفىء من غير عذر.

اللغة: ..... ص : ٢٣٥

و العزم: هو العقد على فعل شىء فى مستقبل الوقت. و العزم على الشيء هو إرادته له: إذا كانت مقدمة للفعل بأكثر من وقت واحد، و تكون متعلقة بفعل العازم، و لا يدخل بينهما، و بين الفعل سهو، و لا نسيان. يقال: عزم عزماً: إذا عقد على أن يفعل الشىء، و اعتزم اعتزاماً. و عزمت عليك لتفعلن: أى أقسمت.

و عزم الراقى: كأنه أقسم على الداء. و رجل ماضى العزم: حاد فى أمره. و ما لفلان عزيمة: أى ما يثبت على أمر، لتلونه، و منه قوله: «فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ» «١». و عزائم القرآن التى تقرأ على ذوى الآفات، لما يرجى من البرء بها.

و أصل الباب العزم على العقد على الشىء.

و الطلاق: حل عقدة النكاح بما يوجبه فى الشريعة. تقول: طلقت تطلق طلاقاً، فهى طالق- بلا علامة التأنيث، حكاه الزجاج. و قال قوم: لأنه يختص بالمؤنث. قال الزجاج: هذا ليس بشىء، لأن فى الكلام شيئاً كثيراً يشترك فيه المؤنث، و المذكر- بلا علامة التأنيث- نحو قولهم: بعير ضامر، و ناقة ضامر، و بعير ساعل، و ناقة ساعل. و زعم سيبويه، و أصحابه: أن هذا واقع على لفظ التذكير صفة للمؤنث،

لأن المعنی: هی طالق حقیقة- عندهم- أنه علی جهة

(۱) سورة الأحقاف آیة: ۳۵.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۲۳۶

النسب، نحو قولهم: امرأة مذکار، و رجل مذکار، و رجل مئناث، و امرأة مئناث، و معناه: ذات ذُکرانٍ، و ذات أناث، و کذلک مطفل: ذات طفل، و کذلک طالق:

ذات طلاق. فان أجریته علی الفعل قلت طالقة، قال الشاعر:

أیا جارتا بینی فإنک طالقه! کذاک أمور الناس غاد و طارقه «۱»

تقول: طلقها، و تطلق تطلقاً، و أطلق إطلاقاً، و استطلق استطلاقاً، و انطلق انطلاقاً، و تطلقت المرأة عند الولادة، فهی مطلوقة إذا تمخضت. و الطلق:

الشوط من الجری. و الطلق: قید من قدّم أو عقب «۲» تقید به الإبل. و رجل طلق الوجه: بهلول ضحاک. و یوم طلق إذا لم یکن فیه حرّ، و لا قرّ. و الطلیق:

الأسیر یخلی عنه و رجل طلق الیدین: سمح بالعطاء. و الطلق: الحبل الشدید الفتل، یقوّم قیّام. و أصل الباب الانطلاق، و الطلاق، لانطلاق المرأة فیه علی عقدة النکاح.

المعنی: ..... ص : ۲۳۶

و الطلاق بعد الإیلاء، و الایقاف یکون واحدة رجعیة، و به قال سعید بن المسیب، و ابن عمر. و قال الحسن و ابن مسعود، و ابن عباس: تکون بائنة.

و قوله: «فَإِنَّ اللَّهَ سَمِیعٌ عَلِیمٌ» فیه دلالة علی الأخذ بالفیء أو الطلاق، لأنه بمعنی.

أن اللَّه یسمع قوله، و یعلم ضمیره. و قیل: بل هو راجع الی یسمع الإیلاء، و یعلم بنیته، و کلاهما یحتمل فی اللغة- علی قول الزجاج- و حقیقة السمیع: هو من کان علی صفة یجب لأجلها أن یدرک المسموعات إذا وجدت. و هو یرجع الی کونه حیاً لا آفة به «۳». و السامع: هو المدرک. و اللَّه تعالی یوصف بما لم یزل بأنه

(۱) قائله الأعشی. دیوانه: ۲۶۳ رقم القصیدة: ۴۱ و اللسان (طلق) قالها لأمرأته الهزانیة حین فارقها بینی: فارقی. غاد: یأتی غدوة فی الصباح. و الطارق: الذی یطرق أی یأتی لیلا. [.....]

(۲) هکذا فی المطبوعة و فی اللسان (طلق) الطلق- بالتحریک- قید من جلود، و الطلق- بالتحریک- قید من أدم.

(۳) فی المطبوعة (لا حریه) بدل (حیاً لا آفة به).

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۲۳۷

سمیع، و لا یوصف فیما لم یزل بأنه سامع، و إنما یوصف بأنه سامع إذا وجدت المسموعات. و إنما ذکر عقیب الأول «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ» لأنه لما أخبر عن المولی أنه یلزمه الفیء، أو الطلاق بین أنه إن فاء (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ) بأن یقبل رجوعه، و لا یتبعه بعقاب ما ارتکبه. و ذکر هاهنا أنه «سَمِیعٌ عَلِیمٌ» لما أخبر عنه بإیقاع الطلاق، و کان ذلک مما یسمع، أخبر أنه لا یخفی علیه، و أنه یسمعه، لأنه علی صفة یوجب إدراکه لذلک، و أنه عالم ببیانه، فلا الذی ذکر فی الآیة الأولی یلیق بهذه الآیة، و لا الذی ذکرها هنا یلیق هناک، و ذلک من عظم فصاحة القرآن، و جلالة مواقعه.

قوله تعالى:[سورهٔ البقرهٔ (۲): آیهٔ ۲۲۸] ..... ص : ۲۳۷

اشارهٔ

وَ الْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَ لا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ ما خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ بُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذلِكَ إِنْ أَرادُوا إِصْلاحاً وَ لَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَ لِلرِّجالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (۲۲۸)

آیهٔ بلا خلاف.

المعنى: ..... ص : ۲۳۷

القرء: الطهر- عندنا- و به قال زيد بن ثابت، و عائشهٔ، و ابن عمر، و سالم، و أهل الحجاز. و روى عن ابن عباس، و ابن مسعود، و الحسن، و به قال أهل العراق،

و رووه عن على (ع) أنه الحيض.

اللغهٔ: ..... ص : ۲۳۷

و أصل القرء يحتمل وجهين فى اللغهٔ:

أحدهما- الاجتماع، فمنه قرأت القرآن، لاجتماع حروفه، و منه قولهم: التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۳۸

ما قرأت الناقهٔ سلّا قط: أى لم تجمع رحمها على ولد قط. قال عمرو بن كلثوم:

ذراعى عيطلٍ أدماء بِكر هجان اللون لم تقرأ جنينا «۱»

و منه أقرأت النجوم: إذا اجتمعت فى الأفول، فعلى هذا، يقال: أقرأت المرأهٔ: إذا حاضت، فهى مقرئ، فى قول الأصمعى، و الأخفش، و الكسائى و الفراء، و أنشدوا له:

قروؤ كقروء الحائض

فتأويل ذلك: اجتماع الدم فى الرحم. و يجىء على هذا الأصل أن يكون القرء: الطهر، لاجتماع الدم فى جملهٔ البدن، هذا قول الزجاج.

و الوجه الثانى- أن يكون أصل القرء: وقت الفعل الذى يجرى على آخر عادهٔ، فى قول أبى عمرو بن العلاء، و قال: هو يصلح للحيض، و الطهر، يقال: هذا قارئ الرّياح أى وقت هبوبها قال الشاعر:

شنئت العقر عقر بنى شليل إذا هبت لقارئها الرياح «۲»

أى لوقت شدهٔ بردها، و قال آخر:

رجا أياس أن تؤوب و لا أذى إياساً لقرؤ الغائبين يؤوب «۳»

أى لحين الغائبين، فعلى هذا يكون القرء الحيض، لأنه وقت اجتماع الدم فى الرحم على العادهٔ المعروفهٔ فيه، و يكون الطهر، لأنه وقت ارتفاعه على عادهٔ جاريهٔ فيه، قال الأعشى فى الطهر:

و فى كل عام أنت جاشم غزوهٔ تشد لاقصاها عزيم عزائكا

---

(۱) اللسان (عطل) (قرأ) و قد رواه الجوهرى بروايهٔ أخرى و هى:

ذراعى عيطل أدماء بكر تربعت الأماعز و المتونا

و فى المطبوعة (اللوم) بدل (اللون) و هو تصحيف، و العيطل: طويل العنق من الإبل و غيرها. و الأدماء من الإبل البيضاء، و كذلك هجان اللون أى بيض اللون. و لم تقرأ جنينا: أى لم تجمع رحمها على جنين، و هو الولد.

(۲) قائله مالك ابن الحرث الهذلى، ديوان الهذليين ۳: ۸۳. و اللسان (قرأ) شنئت:

أى كرهت، و العقر: اسم مكان. و شليل: هو جد جرير بن عبد اللّه البجلى.

(۳) لم أجد هذا البيت فيما حضرنى من المصادر.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۳۹

مورثة مالا و فى الحمد رفعة لما ضاع فيها من قروء نسائكا «۱»

و الذى ضاع هاهنا الاطهار، لأنه بعد غيبته، فيضيع بها طهر النساء، فلا يطأهن، و الوقت الجارى فى الفعل على عادة راجع الى معنى الاجتماع، و ذلك، لاجتماع الفعل مع الوقت الدائر، فالاجتماع أصل الباب. و أخذ القرء من الوقت رداً له الى فرع، و كلا الأمرين يحتمل فى اللغة.

المعنى: ..... ص : ۲۳۹

و من خفف الهمزة فى «قروء» قال: قرؤ، و مثله «مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً»

«۲» و استشهد أهل العراق بأشياء يقوى أن المراد الحيض،

منها قوله (ع) فى مستحاضة سألته: دعى الصلاة أيام أقرائك.

و استشهد أهل المدينة بقوله: «فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ» «۳» أى طهر لم يجامع فيه كما يقال لغرّة الشهر، و تأوله غيرهم: لاستقبال عدتهن، و هو الحيض.

فان قيل: لو كان المراد- فى الأقراء فى الآية- الاطهار، لوجب استيفاء الثلاثة أطهار بكمالها، كما أن من كانت عدتها بالأشهر، وجب عليها ثلاثة أشهر على الكمال، و قد أجمعنا على أنه- لو طلقها فى آخر يوم الطهر الذى ما قربها فيه، لا- يلزمها أكثر من طهرين آخرين، و ذلك دليل على فساد ما قلتموه! قلنا: تسمى القرآن الكاملان، و بعض الثالث ثلاثة أقراء، كما تسمى- الشهران و بعض الثالث-: ثلاثة أشهر قال اللّه تعالى: «الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُوماتٌ» «۴» و إنما هى شوال، و ذى القعدة، و بعض من ذى الحجة. و روى عن عائشة أنها قالت: الأقراء الاطهار.

و قوله: «وَ لا- يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ ما خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحامِهِنَّ» قيل فى معناه ثلاثة أقوال: أحدها- قال إبراهيم: الحيض. و ثانيها- قال قتادة: الحبل. و ثالثها-

---

(۱) ديوانه: ۹۱ رقم القصيدة: ۱۱ يمدح بها هوذة بن على الحنفى، و معنى البيتين:

لك فى كل عام غزوة، تجمع لها صبرك و جلدك، فتعود منها بالغنيمة و المجد الذى يعوضك عما عاينت من البعد عن نسائك.

(۲) سورة النساء آية: ۱۰۹، ۱۲۲.

(۳) سورة الطلاق آية: ۱.

(۴) سورة البقرة آية: ۱۹۷.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۴۰

قال ابن عمر، و الحسن: هو الحبل، و الحيض، و هو الأقوى لأنه أعم. و إنما لم يحل لهن الكتمان، لظلم الزوج بمنعه المراجعة- فى قول ابن عباس-. و قال قتادة:

لنسبة الولد الى غيره، كفعل الجاهلية.

اللغة: ..... ص : ٢٤٠

و إنما قال: «ثَلاثَةَ قُرُوءٍ» و لم يقل: ثلاثة أقرء على جمع القليل، لأنه لما كانت كل مطلقة يلزمها هذا، دخله معنى الكثرة فأتى ببناء الكثرة، للاشعار بذلك، فالقروء كثيرة إلّا أنها ثلاثة فى القسمة. و وجه آخر- أن بناء الكثير فيه أغلب فى الاستعمال، لأنه على قياس الباب فى جمع فعل الكثير، فأما القليل، فقياسه، أفعل دون أفعال، فصار بمنزلة ما لا يعتد به فجاء مجىء قولهم: ثلاثة شسوع، فاستغنى فيه ببناء الكثير عن القليل. و وجه ثالث- أن يذهب مذهب الجنس نحو قولهم:

ثلاثة كلاب يعنون ثلاثة من الكلاب إذا أريد رفع الإيهام.

المعنى: ..... ص : ٢٤٠

و الشرط بقوله: «إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» معناه من كان يؤمن باللّه و اليوم الآخر، فهذه صفته فيما يلزمه، لا أنه يلزم المؤمن دون غيره. و خرج ذلك مخرج التهديد. «وَ بُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ» يعنى أزواجهن أحق برجعتهن، و ذلك يختص بالرجعيات و إن كان أول الآية عاماً فى جميع المطلقات الرجعية و البائنة.

و سمى الزوج بعلا، لأنه عال على المرأة بملكه لزوجيتها.

اللغة: ..... ص : ٢٤٠

تقول: بعل يبعل بعولة، و هو بعل. و قوله «أَ تَدْعُونَ بَعْلًا» «١» أى ربّاً، لأنه بمعنى من سميتموه باستعلاء الربوبية تخرصاً، و قيل أنه صنم.

و البعل النخل يشرب بعروقه، لأنه مستعل على شربه، و بعل الرجل بأمره إذا ضاق به ذرعاً،

---

(١) سورة الصافات آية: ١٢٥.

لأنه علاه منه ما ضاق به صدره. و بعل الرجل فى معنى بطر، لأنه استعلى معظماً، و كبراً. و امرأة بعلة: لا تحسن لبس الثياب، لأن الحيرة تستعلى عليها، فتدهشها.

و بعل الرجل يبعل بعلا إذا دهش دهشاً.

المعنى: ..... ص : ٢٤١

و قوله: «وَ لَهُنَّ مِثْلُ الَّذِی عَلَيْهِنَّ» قال الضحاك: لهن من حسن العشرة بالمعروف على أزواجهن مثل ما عليهن من الطاعة فيما أوجبه اللّه عليهن لهم. و قال ابن عباس: لهن على أزواجهن من التصنع و التزين مثل ما لأزواجهن عليهن. و قال الطبرى: لهن على أزواجهن ترك مضارتهن، كما أن عليهن لأزواجهن.

و قوله: «وَ لِلرِّجالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ» قيل معناه: فضيلة منها الطاعة، و منها أن يملك التخلية، و منها زيادة الميراث [على قسم «١» المرأة، و الجهاد. هذا قول مجاهد، و قتادة. و قال ابن عباس: منزلة فى الأخذ عليها بالفضل فى المعاملة حتى قال: ما أحب أن استوفى منها جميع حقى، ليكون لى عليها الفضيلة.

اللغة: ..... ص : ۲۴۱

و تقول: رجل بين الرجولة أى القوة، و هو أرجلهما أى أقواهما، و فرس رجيل قوى على المشى. و الرّجل معروفة، لقوتها على المشى. و رجل من جراد أى قطعة منه تشبيهاً بالرجل، لأنها قطعة من الجملة. و الراجل الذى يمشى على رجله. و ارتجل الكلام ارتجالا، لأنه قوى عليه من غير ركوب فكرة، و لا روية. و ترجّل النهار، لأنه قوى ضياؤه بنزول الشمس الى الأرض. و رجّل شعره إذا طوله، لأنه قوى بكثرته من غير أن يركب بعضه بعضاً، فيقلّ فى رأى العين. و المرجَل معروف.

و أصل الباب: القوة.

و الدرجة: المنزلة، تقول: درجت الشىء أدرجه درجاً، و أدرجته إدراجاً، و درج القوم قرناً بعد قرن أى فنوا. و أدرجه اللّه إدراجاً، لأنه كطى الشىء

---

(۱) ما بين القوسين من مجمع البيان، لأن الجملة لا تتم بدونه.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۴۲

بمنزلة بعد منزلة و الدرج سفيط للطيب، لأنه بمنزلة ما يدرج فيه. و مدرَجة الطريق: قارعته. و أصل الباب الطى، فالدرجة منزلة من منازل الطى، و منه الدرجة التى يرتقى فيها.

المعنى: ..... ص : ۲۴۲

و قيل إن فى الآية نسخاً، لأن التى لم يدخل بها، لا عدة عليها بقوله:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِناتِ» الى قوله: «فَما لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَها» «۱» و لأن الحامل عدتها وضع ما فى بطنها بقوله «وَ أُولاتُ الْأَحْمالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ». «۲»

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۲۹] ..... ص : ۲۴۲

اشارة

الطَّلاقُ مَرَّتانِ فَإِمْساكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسانٍ وَ لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلاَّ أَنْ يَخافا أَلاَّ يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُناحَ عَلَيْهِما فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوها وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (۲۲۹)

آية بلا خلاف.

القراءة: ..... ص : ۲۴۲

قرأ حمزة، و أبو جعفر «إلا أن يخافا» بضم الياء، و الباقون بفتحها.

المعنى: ..... ص : ۳۴۲

قيل فی معنی قوله: «الطَّلاقُ مَرَّتانِ» قولان:
أحدهما- ما قال ابن عباس، و مجاهد: إن معناه البيان عن تفصيل الطلاق فی السنة، و هو أنه إذا أراد طلاقها فينبغی أن يطلقها فی طهر لم يقربها فيه بجماع،

---

(۱) سورة الأحزاب آية: ۴۹.
(۲) سورة الطلاق آية: ۴.

التبيان فی تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۴۳

تطليقة واحدة، ثم يتركها حتی تخرج من العدة، أو حتی تحيض و تطهر، ثم يطلقها ثانية.
و الثانی- ما قاله عروة، و قتادة: إن معناه البيان عن عدد الطلاق الذی يوجب البينونة، مما لا يوجبها. و فی الآية بيان أنه ليس بعد التطليقتين إلا الفرقة البائنة. و قال الزجاج: فی الآية حذف، لأن التقدير: الطلاق الذی يملك فيه الرجعة مرتان، بدلالة قوله: «فَإِمْساكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسانٍ». و المرتان معناه: دفعتان.

اللغة: ..... ص : ۳۴۳

و تقول مرَّ يمر مراً و استمر استمراراً، و أمرّه إمراراً و تمرّر تمرراً، و مرّره تمريراً. و المر: خلاف الحلو، و منه المرارة، لأن فيها المرة. و المرة مزاج من أمزجة البدن. و المرة شدة الفتل، لاستمراره علی إحكام. و المرير: الحبل المفتول. و فی التنزيل «ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوی «۱»» أی ذو قوة و شدة. و المرّ الذی يعمل به فی الطين و أصل الباب المرور: خلاف الوقوف.
و قوله «فَإِمْساكٌ بِمَعْرُوفٍ» رفع، و معناه: فالواجب إمساك عليه، و كان يجوز النصب علی فليمسك إمساكا، و الإمساك خلاف الإطلاق. تقول أمسك إمساكاً، و تمسك تمسكاً، و تماسك تماسكاً، و امتسك امتساكاً، و مسك تمسيكاً، و استمسك استمساكاً. و فلان ممسك: أی بخيل، و ما بفلان مُسكة، و لا تماسك:
إذا لم يكن فيه خير، لأنه منحل عن ضبط شیء من أموره. و المسك: الإهاب، لأنه يمسك البدن باحتوائه عليه. و المسك السواء «۲»، و سمی باستمساكه فی اليد.

المعنی: ..... ص : ۳۴۳

و قوله: «معروف» أی علی وجه جميل سائغ «۳» فی الشرع لا علی وجه الإضرار بهن.

---

(۱) سورة النجم آية: ۶. [.....]
(۲) فی مجمع البيان: السواد، و فی لسان العرب: السوار.
(۳) فی المطبوعة (سايع).

التبيان فی تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۴۴

و قوله: «أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسانٍ» قيل فيه قولان:
أحدهما- أنها الطلقة الثالثة،
و روی عن النبی (ص) أن رجلا سأله، فقال:

الطلاق مرتان فأين الثالثة؟ فأجابه: أو تسريح بإحسان. و قال السدى، و الضحاك: هو ترك المعتدة حتى تبين بانقضاء العدة، و هو المروى عن أبى جعفر، و أبى عبد اللّه (ع).

اللغة: ..... ص : ٣٤٤

و التسريح مأخوذ من السرح، و هو الانطلاق. تقول: سرح تسريحاً، و سرّح الماشية فى الرعى سرحاً: إذا أطلقها ترعى: و السرحان: الذئب، لاتباعه السرح. و السرحة: الشجرة المرتفعة، لانطلاقها فى جهة الطول. و المسرّح: المشط، لإطلاق الشعر به. و سرحت الماشية: إذا انطلقت فى المرعى. و سرحت العبد إذا أعتقته. و السرح: الجراد، لانطلاقه فى البلاد، و السريحة: القطعة من القد يشد بها نقال الإبل، و كل شيء قددته مستطيلا، فهو سريح.

النزول: ..... ص : ٣٤٤

و روى أن هذه الآية نزلت فى ثابت بن قيس، و زوجته، وردت عليه حديقته، و طلقها بإذن النبى (ص) رواه ابن جريج.

المعنى، و الحجة، و الاعراب: ..... ص : ٣٤٤

و قوله: «إِلَّا أَنْ يَخافا» معناه: إلا أن يظنا و قال الشاعر:

أتانى كلام عن نصيب بقوله و ما خفت يا سلّام أنك عائبى «١»

يعنى ما ظننت و أنشد الفراء:

إذا مت فادفنى الى جنب كرمة تروى عظامى بعد موتى عروقها

و لا تدفننى فى الفلاة فاننى أخاف إذا ما مت ألا أذوقها «٢»

---

(١) مر تخريجه فى ٢: ١٨٩. من هذا الكتاب.

(٢) قائلهما أبو محجن الثقفى، ديوانه: ٢٣، و معانى القرآن للفراء ١: ١٤۶ و غيرها كثير، و خبر أبى محجن فى الخمر مشهور.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٢، ص: ٢٤٥

و من ضم الياء، فتقديره: إلا أن يخافا على أن لا يقيما حدود اللّه. و قال أبو عبيدة «إِلَّا أَنْ يَخافا» معناه: يوقنا، «فَإِنْ خِفْتُمْ» معناه فان أيقنتم و قال أبو على الفارسى: خاف فعل يتعدى الى مفعول واحد، و ذلك المفعول تارة يكون (أن) وصلتها، و أخرى غيرها، فأما تعديه الى غير (أن) فنحو قوله: «تَخافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ» «١». و تعديته الى (أن) كقوله: «تَخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ» «٢» و قوله: «أَمْ يَخافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ رَسُولُهُ» «٣» فان عديته الى مفعول بأن ضعفت العين، أو اجتلبت حرف الجر كقولك: خوّفت ضعف الناس قولهم، و حرف الجر كقوله:

لو خافك اللّه عليه حرّمه

و من ذلك قوله: «إِنَّما ... الشَّيْطانُ يُخَوِّفُ أَوْلِياءَهُ» «۴» فيخوف قد حذف معه مفعول يقتضيه تقديره يخوف المؤمنين بأوليائه، فحذف المفعول، و الجار، فوصل الفعل الى المفعول الثانى، ألا ترى أنه لا يخوف أولياءه على حدّ قولك خوّفت اللصّ، و إنما يخوف غيرهم مما لا استنصار لديهم، و مثله فإذا خفت عليه بمنزلة المحذوف من قوله: «أولياءه» فإذا كان تعدى هذا الفعل على ما وصفنا، فقول حمزة «إلا أن يخافا»، مستقيم لأنه لما بنى الفعل للمفعول به أسند الفعل إليه، فلم يبق شيء يتعدى إليه، و أما (أن) من قوله: «أَلَّا يُقِيما

حُدُودَ اللَّهِ»، فان الفعل يتعدى إليه بالجارّ، كما تعدى بالجارّ فى قوله:

لو خافك اللَّه عليه حرمه

و موضع أن فى الآية جر بالجارّ المقدر، على قول الخليل، و الكسائى. و نصب، فى قول سيبويه، و أصحابه، لأنه لما حذف الجارّ، وصل الفعل الى المفعول الثانى، مثل استغفر اللَّه ذنباً، و امرأتك الخير، فقوله مستقيم على ما رأيت. فان قال قائل:

لو كان يخافا كما قد أخبره، لكان ينبغى أن يكون فان خيفا! قيل لا يلزمه هذا السؤال لأمرين:

---

(۱) سورة الروم آية: ۲۸.

(۲) سورة الانفال آية: ۲۶.

(۳) سورة النور آية: ۵۰.

(۴) سورة آل عمران آية: ۱۷۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۴۶

أحدهما- أن يكون انصرف من الغيبة الى الخطاب، كما قال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ» «۱» ثم قال: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» «۲»، و قال: «ما آتَيْتُمْ مِنْ زَكاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ» «۳» و نظائر ذلك كثيرة.

و الآخر- أن يكون الخطاب فى قوله: «فَإِنْ خِفْتُمْ» مصروفاً الى الولاة، و الفقهاء الذين يقومون بأمور الكافة، و جاز أن يكون الخطاب للكثرة فى من جعله انصرافاً من الغيبة الى الخطاب، لأن ضمير الاثنين فى «يخافا» ليس يراد به اثنان مخصوصان، و إنما يراد كل من كان هذا شأنه، فهذا حكمه.

و أما من قرأ بالفتح، فالمعنى أنه إذا خاف: من كل واحد من الزوج و المرأة «أَلَّا يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ» حل الافتداء، و لا يحتاج فى قولهم الى تقدير الجار، لأن الفعل يقتضى مفعولا يتعدى إليه، كما اقتضى فى قوله: «فَلا تَخافُوهُمْ وَ خافُونِ» «۴» و لا بدّ من تقدير الجار فى قراءة من ضم الياء، لأن الفعل قد استند الى المفعول، فلا يتعدى الى المفعول الآخر إلا بالجار. قال أبو على: فأما ما قاله الفراء فى قول حمزة «إِلَّا أَنْ يَخافا» من أنه اعتبر قراءة عبد اللَّه (إلا- أن يخافوا) فلم ينصبه، لأن الخوف فى قول عبد اللَّه واقع على (أن). و فى قراءة حمزة على الرجل، و المرأة، و حال الخوف التى معه.

المعنى: ..... ص : ۳۴۶

«أَلَّا يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ» قال ابن عباس و عروة و الضحاك: هو نشوز المرأة بغضا للزوج. و قال الشعبى هو نشوزها و نشوزه، و الذى روى عن أبى عبد اللَّه (ع) أنه إذا خاف أن تعصى اللَّه فيه بارتكاب محضور، و إخلال بواجب، و ألا تطيعه فيما يجب عليها، فحينئذ يحل له أن يخلعها، و مثله روى عن الحسن.

و قيل: إن الخوف من الإخلال بالحقوق التى تجب لكل واحد منهما على صاحبه، و حسن العشرة و جميل الصحبة.

---

(۱) سورة الفاتحة آية: ۱، ۴.

(۲) سورة الفاتحة آية: ۱، ۴.

(۳) سورة الروم آية: ۳۹.

(۴) سورة آل عمران آية: ۱۷۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۴۷

فان قيل كيف قال: «فَلا جُناحَ عَلَيْهِما»، و إنما الإباحة لأخذ الفدية! قيل لأنه لو خص بالذكر لأوهم أنها عاصية، و إن كانت الفدية له جائزة، فبين الاذن لهما لئلا يوهم أنه كالزنا المحرم على الآخذ، و المعطى. و ذكر الفراء وجهين:

أحدهما- أنه قال: هو كقوله «يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجانُ» «۱» و إنما هو من الملح دون العذب، فجاز الاتساع، و هذا هو الذى يليق بمذهبنا، لأن الذى يبيح الخلع- عندنا- هو ما لولاه، لكانت المرأة به عاصية.

و الوجه الثانى- على

قوله (ص): إن أظهرت الصدقة، فحسن و إن أسررت فحسن

، و إنما على مزاوجة الكلام كقوله «فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ» «۲»

و الثانى ليس بعد، و إن الفدية الجائزة فى الخلع- فعندنا- إن كان البغض منها، وحدها و خاف منها العصيان، جاز أن يأخذ المهر فما زاد عليه، و إن كان منهما، فيكون دون المهر. و رووا عن على (ع)

فقط، و لم يفصلوا، و به قال الربيع، و عطا، و الزهرى، و الشعبى. و قال ابن عباس، و ابن عمر، و رحا بن حوة، و ابراهيم، و مجاهد: إنه يجوز الزيادة على المهر، و النقصان، و لم يفصلوا، و الآية غير منسوخة عند أكثر المفسرين، ابن عباس و الحسن، و جميع أهل العلم إلا بكر بن عبد اللّه، فانه زعم أنها منسوخة بقوله «وَ إِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدالَ زَوْجٍ مَكانَ زَوْجٍ» «۳» الآية. و الخلع بالفدية على ثلاثة أوجه:

أحدها- أن تكون المرأة عجوزاً و ذميمة، فيضار بها ليفتدى بها، فهذا لا يحل له الفدى، لقوله «وَ إِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدالَ زَوْجٍ مَكانَ زَوْجٍ» «۴» الآية.

و الثانى- أن يرى الرجل امرأته على فاحشة، فيضاربها لتفتدى بخلعها، فهذا يجوز، و هو معنى قوله «وَ لا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ ما آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ» «۵» و الوجه الثالث:

«أَنْ يَخافا أَلَّا يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ» لسوء خلق أو لقلة نفقة من غير ظلم، أو

---

(۱) سورة الرحمن آية: ۲۲.

(۲) سورة البقرة آية: ۱۹۴. [.....]

(۳) سورة النساء آية: ۱۹

(۴) سورة النساء آية: ۱۹

(۵) سورة النساء آية: ۱۸.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۴۸

نحو ذلك فيجوز الفدية لهما جميعاً على ما فصلناه.

و استدل أصحابنا بهذه الآية على أن الطلاق الثلاث بلفظ واحد، لا يقع، لأنه قال: «مرتان» ثم ذكر الثالثة على الخلاف فى أنها قوله: «أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسانٍ» أو قوله: «فَإِنْ طَلَّقَها» و من طلق بلفظ واحد لا يكون أتى بالمرتين، و لا بالثالثة كما أنه لو أوجب فى اللعان أربع شهادات: و لو أتى بلفظ واحد لما وقع موقعه. و كما لو رمى تسع حصيات فى الجمار دفعة واحدة، لم يكن مجزياً له، فكذلك الطلاق، و متى ادعوا، فى ذلك خبراً، فعليهم أن يذكروه ليتكلم عليه، فأما مسائل الخلع، و فروعه، و شروطه فقد ذكرناها فى النهاية، و المبسوط، فلا معنى للتطويل بذكرها هاهنا لأن المطلوب هاهنا معانى القرآن، و تأويله دون مسائل الفقه.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۳۰] ..... ص : ۲۴۸

اشارة

فَإِنْ طَلَّقَها فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَها فَلا جُناحَ عَلَيْهِما أَنْ يَتَراجَعا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ وَ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُها لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٢٣٠)

آية واحدة بلا خلاف.

المعنى: ..... ص : ٢٤٨

قوله: «فَإِنْ طَلَّقَها فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ» المعنى فيه التطليقة الثالثة على ما روى عن أبى جعفر (ع)

و به قال السدى، و الضحاك، و الزجاج، و الجبائى، و النظام. و قال مجاهد: هو تفسير لقوله: «أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسانٍ» «١» فانه التطليقة الثالثة، و هو اختيار الطبرى.

و صفة الزوج الذى تحل المرأة، للزوج الأول أن يكون بالغاً، و يعقد عليها عقداً صحيحاً دائماً و يذوق عسيلتها، بان يطأها و تذوق هى عسيلته- بلا

---

(١) سورة البقرة آية: ٢٢٩

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٢٤٩

خلاف بين أهل العلم- فلا يحل لأحد أن يتزوجها فى العدة، و أما العقود الفاسدة أو عقود الشبهة فإنها لا تحل للزوج الاول، و متى وطأها بعقد صحيح فى زمان يحرم عليه وطؤها مثل أن تكون حائضاً، أو محرمة، أو معتكفة، فإنها تحلّ للأول لأن الوطء قد حصل فى نكاح صحيح، و إنما حرم الوطء لأمر، ضار عليه، هذا عند أكثر أهل العلم. و قال مالك: الوطء فى الحيض لا يحل للأول و إن وجب به المهر كله، و العدة.

الاعراب: ..... ص : ٢٤٩

و موضع (أن) فى قوله: «فَلا جُناحَ عَلَيْهِما أَنْ يَتَراجَعا» خفض، و تقديره فى أن يتراجعا- عند الخليل، و الكسائى، و الزجاج- و قال الفراء: موضعه النصب، و اختاره الزجاج، و باقى النحويين. و قال الفراء: الخفض لا أعرفه، و موضع (أن) الثانية فى قوله: «أَنْ يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ» نصب- بلا خلاف ب (ظنا)، و إنما جاز حذف (فى) من أن يتراجعا و لم يحز من التراجع، لأنه إنما جاز مع (أن) لطولها بالصلة، كما جاز (الذى ضربت زيد)، لطول الذى بالصلة، و لم يجز فى المصدر، كما لم يجز فى اسم الفاعل نحو (زيد ضارب عمرو) و تريد ضاربه.

المعنى: ..... ص : ٢٤٩

و قوله: «فَإِنْ طَلَّقَها» الثانية يعنى به الزوج الثانى و ذلك يدل على أن الوطء بعقد لا تحل للزوج الأول، لأن الطلاق لا يلحق نكاح شبهة. و الراجع المذكور هاهنا، هو بعقد مستأنف، و مهر جديد، بلا خلاف.

القراءة: ..... ص : ٢٤٩

و قوله: «يبينها» قرأ المفضل عن عاصم بالنون على وجه الاخبار من اللّه عن نفسه. الباقون بالياء، الكناية عن اللّه.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۲۵۰

المعنى: ..... ص : ۲۵۰

قوله: «لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» إنما خص العلم بذكر البيان و إن كان بياناً لغيرهم، لأنهم الذين ينتفعون ببيان الآيات، فصار غيرهم بمنزلة من لم يعتد به. و يجوز أيضاً أن يكونوا خصّوا بالذكر تشريفاً لهم، كما قال: «مَنْ كانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيلَ وَ مِيكالَ» «۱».

و الحدود: المراد بها ما تقدم بيانها من أحكام الطلاق، و الإيلاء، و الخلع، و غير ذلك.

و قوله: «إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ» لا يدل على وجوب الاجتهاد فی الشريعة، لأنه لا يمنع من تعلق أحكام كثيرة- فی الشرع- فی الظن، و إنما فيه دلالة على، من قال: لا يجوز: أن يعمل فی شيء من الدين إلا على اليقين، فأما الظن، فلا يجوز أن يتعلق فيه شيء من الأحكام، فالآية تبطل قوله.

و قوله: «فَلا تَحِلُّ لَهُ ... حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ» يدل على أن النكاح بغير ولی جائز، و أن المرأة يجوز لها العقد على نفسها، لأنه أضاف العقد إليها دون وليها.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۳۱] ..... ص : ۲۵۰

وَ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَ لا تُمْسِكُوهُنَّ ضِراراً لِتَعْتَدُوا وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَ لا تَتَّخِذُوا آياتِ اللَّهِ هُزُواً وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ ما أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتابِ وَ الْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (۲۳۱)

آية واحدة بلا خلاف.

قوله: «فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ» معناه: انقضى عدتهنّ بالأقراء، أو الأشهر،

---

(۱) سورة البقرة آية: ۹۸.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۲۵۱

أو الوضع. و المعنى: إذا بلغن قرب انقضاء عدّتهن، لأن بعد انقضاء العدة ليس له إمساكها، و الإمساك هاهنا المراجعة قبل انقضاء العدة، و به قال ابن عباس، و الحسن، و مجاهد، و قتادة، و قد يقال لمن دنا من البلد: فلان قد بلغ البلد. و المراد «بالمعروف» هذا الحق الذی يدعو إليه العقل، أو الشرع للمعرفة بصحته، بخلاف المنكر الذی يزجر عنه العقل، أو السمع لاستحالة المعرفة بصحته، فما يجوز المعرفة بصحته: معروف، و ما لا يجوز المعروف بصحته منكر.

و المراد به هاهنا أن يمسكها على الوجه الذی أباحه اللَّه له: من القيام بما يجب لها من النفقة، و حسن العشرة، و غير ذلك، و لا يقصد الإضرار بها.

و قد بينا أن التسريح أصله إرسال الماشية فی المرعى و منه قوله: «حِينَ تُرِيحُونَ وَ حِينَ تَسْرَحُونَ» «۱».

و قوله: «وَ لا تُمْسِكُوهُنَّ ضِراراً لِتَعْتَدُوا» معناه: لا تراجعوهن لا لرغبة فيهن بل لطلب الإضرار بهن إما فی تطويل العدة، أو طلب المفاداة أو غير ذلك، فان ذلك غير جائز.

و قوله: «وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ» فالظلم الضرر الذی ليس لأحد أن يضرّ به.

و قوله: «وَ لا تَتَّخِذُوا آياتِ اللَّهِ هُزُواً» يعنی ما ذكره من الأحكام فی الطلاق بما يجوز فيه المراجعة، و ما لهم على النساء من التربص حتى تعرا أو رفعوه مما ليس لهم عن ذلك «۲» و روى عن أبی الدرداء و أبی موسى الأشعری: أنهم قالوا: كان الرجل يطلق أو يعتق

ثم يقول: إنما كنت لاعباً،

فلذلك قال رسول اللّه (ص): من طلق لاعباً، أو أعتق لاعباً، فقد جاز عليه.

و قوله: «وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» معناه: التنبيه على أنه لا يسقط الجزاء على عمل من أعمالهم، لخفائه عنه، لأنه «بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» و الأجل هو

---

(۱) سورة النحل آية: ۶.

(۲) هكذا فى المطبوعة، و لم نتمكن من تصحيحها بما يناسب، و هى كما ترى.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۵۲

انقضاء مدة الانتظار. و الإمساك هاهنا: المنع من الذهاب و التسريح: الإرسال بتركهن بانقضاء العدة.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۳۲] ..... ص : ۲۵۲

اشارة

وَ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْواجَهُنَّ إِذا تَراضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذلِكُمْ أَزْكى لَكُمْ وَ أَطْهَرُ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (۲۳۲)

آية واحدة بلا خلاف.

النزول: ..... ص : ۲۵۲

قال قتادة، و الحسن: إن هذه الآية نزلت فى معقل بن يسار حين عضل أخته أن ترجع الى الزوج الأول، فانه طلقها، و خرجت من العدة ثم أرادا أن يجتمعا بعقد آخر على نكاح آخر، فمنعها من ذلك، فنزلت فيه الآية. و قال السدى: نزلت فى جابر بن عبد اللَّه عضل بنت عم له. و الوجهان لا يصحان على- مذهبنا-، لأن عندنا أنه لا ولاية للأخ، و لا لابن العم عليها و إنما هى ولية نفسها، فلا تأثير لعضلها.

المعنى: ..... ص : ۲۵۲

و الوجه فى ذلك أن تحمل الآية على المطلقين، لأنه خطاب لهم بقوله «وَ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ» نكاية قال: «فَلا تَعْضُلُوهُنَّ» بأن تراجعوهن عند قرب انقضاء عدتهن، و لا رغبة لكم فيهن، و إنما تريدون الإضرار بهن، فان ذلك مما لا يسوغ فى الدين، و الشرع، كما قال فى الأولى: «وَ لا تُمْسِكُوهُنَّ ضِراراً لِتَعْتَدُوا» و لا يطعن على ذلك قوله: «أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْواجَهُنَّ»، لأن المعنى فيه من يصيروا التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۵۳

أزواجهن، كما أنهم لا بد لهم من ذلك إذا حملوا على الزوج الأول، لأن بعد انقضاء العدة لا يكون زوجاً، و يكون المراد من كان أزواجهن، فما لهم إلا مثل ما عليهم. و يجوز أن يحمل العضل فى الآية على الجبر، و الحيلولة بينهن، و بين التزويج دون ما يتعلق بالولاية، لأن العضل هو الحبس.

اللغة: ..... ص : ۲۵۳

و قيل: إن العضل مأخوذ من المنع. و قيل: إنه مأخوذ من الضيق، قال أوس بن حجر:

و ليس أخوك الدائم العهد بالذى يذمّك إن وّلى و يرضيك مقبلا

و لكنه النائى إذا كنت آمنا و صاحبك الأدنى إذا الأمر أعضلا «۱»

و تقول: عضل المرأة يعضلها إذ منعها من التزويج ظلماً. و فى بعض اللغات يعضلها- بكسر الضاد- فى المضارع. و أعضل الداء الأطباء إذا أعياهم أن يقوموا به، لأنه امتنع عليهم بشدة، و هو داء عضال. و الأمر المعضل: الذى يغلب الناس، لامتناعه بصعوبته. و عضلت عليه إذا ضيقت عليه بما يحول بينه، و بين، ما يريد ظلماً، لأنك منعته بالضيق عليه مما يريد. و عضلت المرأة بولدها إذا عسرت ولادتها و كذلك أعضلت، و أعسرت، لأن الولد امتنع من الخروج عسراً. و فلان عضلة من العضل: أى داهية من الدواهى، لأنه امتنع بدهائه. و عضل الوادى بأهله:

إذا ضاق بأهله: و عضلة الساق: لحمة مكتنزة. و أصل الباب المنع. و قيل أصله التضييق.

الاعراب، و المعنى: ..... ص : ۲۵۳

موضع (أن) من قوله: «أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْواجَهُنَّ» جر عند الخليل، و الكسائى، و تقديره: من أن، و نصب عند غيرهما بالفعل.

و قوله: «ذلِكَ يُوعَظُ بِهِ» إنما قال بلفظ التوحيد و إن كان الخطاب للجميع

---

(۱) ديوانه رقم القصيدة: ۳۱.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۵۴

لأحد ثلاثة أوجه:

أحدها- أن (ذا) لما كان منها ما يستعمل الكاف معه كثيراً، صار بمنزلة شيء واحد. و لا يجوز على ذلك (أيها القوم هذا غلامك). و قال الفراء: توهم أن الكاف من (ذا)، و أنكر ذلك الزجاج، و قال: ليس فى أفصح اللغات بناء على توهم خطأ. و الوجه ما قلناه من التشبيه مما جعلت الكلمتان فيه بمنزلة شيء واحد.

و الوجه الثاني- على تقدير: ذلك أيها القبيل.

و الوجه الثالث- أن يكون خطاباً للرسول (ص).

و قوله: «وَ اللَّهُ يَعْلَمُ» معناه أنه يعلم من مصالح العباد ما لا يعلمون.

و قوله «مَنْ كانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» (من) فى موضع رفع ب (يوعظ)، و إنما خص المؤمن بالوعظ لأحد ثلاثة أقوال:

أحدها- لأنهم المشفقون بالوعظ، فنسب اليهم، كما قال «هُدىً لِلْمُتَّقِينَ» «۱» و «إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشاها» «۲».

و الثاني- لأنهم أولى بالاتعاض.

الثالث- إنما يلزمه الوعظ بعد قبوله الايمان و اعترافه باللَّه تعالى.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۳۳] ..... ص : ۲۵۴

اشارة

وَ الْوالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ لِمَنْ أَرادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضاعَةَ وَ عَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَ كِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَها لا تُضَارَّ والِدَةٌ بِوَلَدِها وَ لا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَ عَلَى الْوارِثِ مِثْلُ ذلِكَ فَإِنْ أَرادا فِصالاً عَنْ تَراضٍ مِنْهُما وَ تَشاوُرٍ فَلا جُناحَ

عَلَيْهِما وَ إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ إِذا سَلَّمْتُمْ ما آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (۲۳۳)

---

(۱) سورة البقرة آية: ۲.

(۲) سورة النازعات آية: ۴۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۵۵

آية واحدة بلا خلاف.

القراءة: ..... ص : ۲۵۵

قرأ ابن كثير، و أهل البصرة، و قتيبة: (لا تضار)- بتشديد الراء- و رفعها. و قرأ أبو جعفر بتخفيفها و سكون. الباقون بتشديدها و فتحها. و قرأ ابن كثير (ما آتيتم) قصرا، و كذلك «ما آتَيْتُمْ مِنْ رِباً» فى الروم «۱».

قوله: «يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ» فى حكم اللّه الذى أوجبه على عباده، فحذف للدلالة عليه.

الثانى- لأنه وقع موقع يرضعن، صرفا فى الكلام مع رفع الاشكال. و لو كان خبراً لكان كذباً، لوجود و الوالدات يرضعن أولادهن أكثر من حولين، و أقل منهما.

و فى الآية بيان لأمرين: أحدهما مندوب، و الثانى فرض، فالمندوب: هو أن يجعل الرضاع تمام الحولين، هى التى تستحق المرضعة الأجر فيهما، و لا تستحق فيما زاد عليهما، و هو الذى بينه اللّه تعالى بقوله: «فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ» «۲»، فتثبت المدة التى تستحق بها الأجرة على ما أوجبه اللّه فى هذه الآية.

اللغة: ..... ص : ۲۵۵

تقول: رُضع يرضَع، و رضِع يرضع رضاعة، و أرضعته أمه إرضاعاً، و ارتضاعاً، و استرضع استرضاعاً، و راضعه رضاعاً، و مراضعة. و لئيم راضع، لأنه يرضع لبن ناقته من لؤمه، لألّا يسمع الضيف صوت الشخب. و الرضعتان: الثنيتان:

مقدمتا الأسنان، لأنه يشرب عليهما اللبن. و أصل الباب الرضع: مصّ الثدى،

---

(۱) سورة البقرة آية: ۳۹، سورة الروم آية: ۵.

(۲) سورة الطلاق آية: ۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۵۶

لشرب اللبن منه. و معنى «حولين» سنتان، و هو مأخوذ من الانقلاب فى قولك:

حال الشىء عما كان عليه يحول، فالحول، لأنه انقلب عن الوقت الأول الى الثانى، و منه الاستحالة فى الكلام، لأنقلابه عن الصواب. و قيل أخذ من الانتقال من قولك: تحول عن المكان. و إنما قال: «كاملين» فان كانت التثنية تأتى على استيفاء العدة، لرفع التوهم، و إنه على طريقة التغليب، كقولهم: سرنا يوم الجمعة. و إن كان السير فى بعضه. و قد يقال: أقمنا حولين، و إن كانت الاقامة فى حولين، و بعض آخر «۱» فهو لرفع الإيهام الذى يعرض فى الكلام.

المعنى: ..... ص : ۲۵۶

فان قيل: هل يلزم فى كل مولود قيل: فيه خلاف: قال ابن عباس:

لا، لأنه يعتبر ذلك بقوله: «وَ حَمْلُهُ وَ فِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً» «٢» فان ولدت المرأة لستة أشهر، فحولين كاملين، و إن ولدت لسبعة أشهر، فثلاثة و عشرون شهراً، و إن ولدت لتسعة أشهر، فأحد و عشرين شهراً تطلب بذلك التكملة لثلاثين شهراً فى الحمل و الفصال الذى سقط به الفرض، و على هذا تدل أخبارنا، لأنهم رووا: أن ما نقص عن إحدى و عشرين شهراً فهو جور على الصبى. و قال الثورى: هو لازم فى كل ولد إذا اختلف والداه، رجعا الى الحولين من غير نقصان، و لا زيادة، و لا يجوز لهما غير ذلك، و الرضاع بعد الحولين لا حكم له فى التحريم- عندنا- و به قال ابن مسعود و ابن عباس و ابن عمر و أكثر العلماء، و روى عن عائشة أن رضاع الكثير يؤثر. و قال أبو على الجبائى لم يقم بهذا حجة و لا نزل له ظاهر القرآن.

و قوله: «وَ عَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَ كِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ» معناه أنه يجب على الأب إطعام أم الولد و كسوتها ما دامت فى الرضاعة اللازمة إذا كانت مطلقة، و به قال الضحاك و الثورى و أكثر المفسرين.

---

(١) هكذا فى المطبوعة و لعل الأصح (حول و بعض من آخر).

(٢) سورة الأحقاف آية: ١٥. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٢٥٧

اللغة، و الحجة: ..... ص : ٢٥٧

يقال كساه يكسوه كسوة: إذا ألبسه الثياب و اكتسى هو اكتساء: إذا لبس، و اكتست الأرض بالنبات إذا تغطت به، و كسوته مدحاً أو ذماً: إذا أثنيت عليه أو ذممته. و الكساء معروف، و أصل الباب الكسوة: اللباس.

و قوله: «لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَها» يدل على فساد قول المجبرة: فى حسن تكليف ما لا يطاق لأنه إذا لم يجز أن يكلف مع عدم الجدة لم يجز أن يكلف مع عدم القدرة، لأنه إنما لم يحسن فى الأول من حيث أنه لا طريق له الى أداء ما كلفه من غير جدة، فكذلك لا سبيل له الى أداء ما كلف الى الطاعة مع عدم القدرة، و لا ينافى ذلك قوله: «فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا» «١» لأنه ليس المراد نفى القدرة و إنما معناه: أنه يثقل عليهم كما يقول القائل: لا أستطيع أن أنظر الى كذا معناه:

أنه يثقل علىّ، و يقال: كلف وجهه كلفاً، و نجدّه كلف أى أثر، و الكلف بالشىء الايلاع به، لأنه لزوم يظهر أثره عليه، و كلف كلفا: إذا أحب. و تكلف الأمر تكلفاً: تحمله. و كلفه تكليفاً: ألزمه. و أصل الباب الكلف: ظهور الأثر.

و قوله: «لا تُضَارَّ والِدَةٌ بِوَلَدِها» أصله تضارر- بكسر الراء الأولى- و قيل- بفتحها- و أسكنت و أدغمت فى الراء بعدها. و من فتحها بالتقاء الساكنين، و هو الأقوى فيما قبله فتحة أو ألف نحو عضّ «٢» و لا- تضار زيداً. و قال بعضهم: لا يجوز ألّا تضارر بفتح الراء الأولى، لأن المولود لا يصح منه مضمارة، لأن الأفصح لو كان كذلك الكسر. قال الرمانى: غلط فى الاعتلالين أما الأول، فلأنه ينقلب عليه فى تضارّ إذا المضارة من إثنين فى الحقيقة، و إن لم يسم الفاعل. و لأنه إنما يرجع ذلك الى الزوج، و المرأة الأولى و الولد. فأما الأفصح، فعلى خلاف ما ذكر، لأن الفتح لغة أهل الحجاز، و بنى أسد، و كثير من العرب، و هو القياس، لأنه إذا جاز مدّ بالضم للاتباع، كانت الفتحة بذلك أولى، لأنها أخف، و لأنه يجوز مدّ بالفتح طلباً للخفة، فإذا اجتمع الاتباع و الاستخفاف كان أولى، و قوله: إن

---

(١) سورة الإسراء آية ٤٨:، و سورة الفرقان آية ٩

(٢) هكذا فى المطبوعة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٢٥٨

الفتحة فى تضار: هى الفتحة فى الراء الاولى، دعوى منه لا دليل عليها. و يدل على صحة ما قلناه: قوله: «مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ» «١» «وَ لا يُضَارَّ كاتِبٌ» «٢» كل ذلك بالفتح دون الكسر.

المعنى: ..... ص : ٢٥٨

و إنما قيل: «يضار» و الفعل من واحد لأنه لما كان معناه المبالغة كان بمنزلته من إثنين، و ذلك لأنه يضره إن رجع عليه، منه ضرورة، فكأنه قيل: لا تضار والدة من الزوج بولدها. و لو قيل فى ولدها لجاز فى المعنى، و كذلك فرض الوالد.

و عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه (ع) أى لا يترك جماعها خوف الحمل لأجل ولدها المرتضع «وَ لا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ» يعنى لا تمنع نفسها من الأب خوف الحمل، فيضر ذلك بالأب و قيل: «لا تُضَارَّ والِدَةٌ بِوَلَدِها» بأن ينزع الولد منها، و يسترضع امرأة أخرى مع إجابتها الى الرضاع باجرة المثل «وَ لا مَوْلُودٌ لَهُ» بولده أى لا تمتنع هى من الإرضاع إذا أعطيت أجرة مثلها، و الأولى حمل الآية على عموم ذلك.

و قيل: معناه أنّ على الوالدة ألّا تضار بولدها فيما يجب عليها من تعاهده، و القيام بأمره، و رضاعه، و غذاءه. و على الوالد ألّا يضار بولده فيما يجب عليه من النفقة عليه، و على أمه، و فى حفظه، و تعاهده.

و قوله: «وَ عَلَى الْوارِثِ مِثْلُ ذلِكَ» قال الحسن، و قتادة، و السدى: الوارث للولد. و قال قبيضة بن ذؤيب: هو الوالد، و الأول أقوى. فان قيل: أعلى كل وارث له، أم على بعضهم؟ قيل: ذكر أبو على الجبائى: أن على كل وارث نفقة الرضاع الأقرب فالأقرب يؤخذ به. و أما نفقة ما بعد الرضاع، فاختلفوا، فعندنا يلزم الوالدين- و إن عليا- النفقة على الولد و إن نزل، و لا يلزم غيرهم. و قال قوم:

يلزم العصبة دون الأم، و الأخوة من الأم، ذهب اليه عمر، و الحسن.

و قيل: على الوارث من الرجال، و النساء على قدر النصيب من الميراث، ذكره قتادة، و عموم الآية يقتضيه، غير أنا خصصناه بدليل. و قال أبو حنيفة،

---

(١) سورة المائدة آية: ٥٧.

(٢) سورة البقرة آية: ٢٨٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٢٥٩

و أبو يوسف، و محمد: على الوارث ممن كان ذا رحم محرم دون من كان ذا رحم ليس بمحرّم، كابن العم و ابن الأخت، فأوجبوا على ابن الأخت و لم يوجبوه على ابن العم و إن كان وارثه فى تلك الحال، و كذلك العمة و ابن العمة حكا ذلك أبو على الجبائى، و البلخى. و قال سفيان «وَ عَلَى الْوارِثِ»: أى الباقى من أبويه، و هذا مثل ما قلناه.

و قد روى فى أخبارنا: أن على الوارث كائناً من كان النفقة

، و هو ظاهر القرآن، و به قال قتادة، و أحمد و إسحاق، و الحسن و إبراهيم.

اللغة: ..... ص : ٢٥٩

و الميراث: تركة الميت، تقول: ورث يرث إرثاً، و و أرثه ميراثاً، و توارثوا توارثاً، و ورّثه توريثاً. و أورثه الحى ضعفاً. و التراث: الميراث. و ورّثت النار، و أورثتها: إذا حركت جمرها، ليشتعل، لأنه تظهر فيه النار عن الأول، كظهور الميراث فى الثانى عن الأول.

المعنى: ..... ص : ٢٥٩

و قوله: «مِثْلُ ذلِكَ» يعنى من النفقة، و به قال ابراهيم. و قال الضحاك:

من ترك المضارة. و المفهوم من الكلام، و عند أكثر العلماء: الأمران معاً، و هو أليق بالعموم.

و قوله: «فَإِنْ أَرادا فِصالًا» فالفصال: الفطام، لانفصال المولود عن الاغتذاء بثدى أمه الى غيره من الاغتذاء.

فان قيل: أى فصال ذاك أقبل الحولين أم بعدهما؟ قيل: فصال الحولين، لأن الفرض معلوم «١» إذا تنازعا رجعا إليه، فأما بعد الحولين، فلا يجب على واحد منهما اتباع الآخر فى دعائه. و به قال مجاهد، و قتادة، و ابن شهاب، و سفيان و ابن زيد. و روى عن ابن عباس: أنه إذا تراضيا على الفصال قبله أو بعده مضى، فان لم يتراضيا رجعا الى الحولين.

---

(١) فى المطبوعة (مغلوجة).

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٢٦٠

اللغة: ..... ص : ٢٦٠

و أصل الباب الفرق، يقال: فصل يفصل فصلا، و فاصله مفاصلة، و تفاصلوا تفاصلا، و استفصلوا استفصالا و انفصل انفصالا، و فصّله تفصيلا، و تفصل تفصلا.

و فواصل القلادة: شذر بين نظم الذهب. و الفصل: القضاء بين الحق، و الباطل، و هو الفيصل. و فصيلة الرجل بنو أبيه، لانفصالهم من أصل واحد. و الفصيل: الواحد من أولاد الإبل، لأنه فصل عن أمه و الفصيل: حائط قصير دون السور.

المعنى: ..... ص : ٢٦٠

و قوله: «فَلا جُناحَ عَلَيْهِما» يعنى لا حرج، على قول ابن عباس، و هو مأخوذ من «جَنَحُوا لِلسَّلْمِ» «١» أى مالوا. و الجناح: الميل عن الاستقامة.

و قوله: «إِذا سَلَّمْتُمْ ما آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ» معناه على قول مجاهد، و السدى:

أجر الأم بمقدار ما أرضعت أجرة المثل. و قال سفيان: أجرة المسترضعة. و قال ابن شهاب: سلّمتم الاسترضاع. و قال ابن جريج: أجرة الأم و النظير.

و قوله: «أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ» معناه: لأولادكم، و حذفت اللام لدلالة الاسترضاع عليه من حيث أنه لا يكون إلا للأولاد، و لا يجوز: دعوت زيداً، تريد لزيد، لأنه يجوز أن يكون المدعو، و المدعو له، إذ معنى دعوت زيداً لعمرو، خلاف دعوت زيداً فقط، فلا يجوز للالباس.

و فى الآية دلالة على أن الولادة لستة أشهر تصح، لأنه إذا ضم الى الحولين كان ثلاثين شهراً، و روى عن على (ع) و ابن عباس ذلك.

الاعراب: ..... ص : ٢٦٠

و من رفع «لا تضار» فعلا استئناف النفى. و قال الكسائى، و الفراء: هو منسوق على «لا تكلف». قال الرمانى هذا غلط، لأن النسق ب

(لا) إنما هو على إخراج الثانى مما دخل فيه الأول، نحو ضربت زيداً لا عمراً، فأما أن يقوم زيد

---

(۱) سورة الانفال آية: ۶۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۶۱

لا يقعد عمرو، فلا يجوز على النسق، و لكن يرفع على استئناف النفى ب (لا)، فكذلك «لا تضار» مستأنف فى اللفظ متصل فى المعنى، و قوله: «وَ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا» «۱» إنما جاز فى موضع الجزم للاتباع، و ليس ذلك فى «لا تضار».

اللغة: ..... ص : ۲۶۱

و الوسع: الطاقة مأخوذ من سعة المسلك الى العرض، فيتمكن لذلك. و لو ضاق لأعجز عنه، و السعة فيه بمنزلة القدرة، فلذلك قيل: الوسع بمعنى الطاقة.

و قوله: «و تشاور» فالتشاور مأخوذ من الشور، و هو اجتناء العسل، تقول: شرت العسل، و أنا أشوره شوراً، و اشيره إشارة: إذا اجتنيته من مكانه.

و المشورة: استخراج الرأى من المستشار، لأنه يجتنى منه «۲». و شاوره مشاورة، و أشار عليه إشارة، و استشار استشارة. و استشار العسل: إذا اجتناه و أشار الى الشيء إشارة: إذا أومأ اليه، و المشيرة الإصبع الذى تسمى السبابة لأنه يشار بها الشباب، و غيره. و الشابة: الهيبة، و اللباس الحسن لأنه مما يشاب اليه لحسنه و التشوير: استخراج سير الدابة كالاحسان.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۳۴] ..... ص : ۲۶۱

اشارة

وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذَرُونَ أَزْواجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ عَشْراً فَإِذا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِيما فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (۲۳۴)

آية واحدة بلا خلاف.

المعنى: ..... ص : ۲۶۱

هذه الآية ناسخة لقوله:

---

(۱) سورة آل عمران آية: ۱۲۰، ۱۲۵، ۱۸۶.

(۲) فى المطبوعة (يخشى منه).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۶۲

«وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذَرُونَ أَزْواجاً وَصِيَّةً لِأَزْواجِهِمْ مَتاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْراجٍ» «۱» و إن كانت مقدمة عليه فى التلاوة و عدة كل متوفى عنها زوجها: أربعة أشهر و عشراً سواء كانت مدخولا بها، أو غير مدخول، حرة كانت أو أمة، فان كانت حبلى، فعدتها أبعد الأجلين، من وضع الحمل أو مضى الأربعة أشهر، و عشرة أيام، و هو المروى عن على (ع)،

و وافقنا فی الأمـة الأصم، و خالف باقی الفقهاء فی ذلک، و قالوا: عدتها نصف عدة الحرة: شـهران و خمسة أیام، و إلیه ذهب قوم من أصحابنا، و قالوا فی عدة الحامل:

إنها بوضع الحمل، و إن کان بعـد علی المغتسل، و روی ذلک عن عمر، و أبی مسـعود البدری، و أبی هریرة. و عندنا أن وضع الحمل یختص بعدة المطلقة. و الذی یجب علی المعتدة فی عدة الوفاة اجتنابه فی قول ابن عباس، و ابن شهاب:

الزینـة، و الکحـل بالإثمـد، و ترک النقلـة عن المنزل. و قـال الحسن فی احـدی الروایتین عن ابن عباس: إن الواجب علیها الامتناع من الزواج لا غیر. و عندنا أن جمیع ذلک واجب.

الاعراب: ..... ص : ۲۶۲

و قوله: «وَ الَّذِینَ» رفع بالابتداء «و یُتَوَفَّوْنَ مِنْکُمْ» فی صلة الذین «وَ یَذَرُونَ أَزْواجاً» عطف علیه، و خبر الذین قیل فیه أربعة أقوال:

أولها- أن تکون الجملة علی تقدیر «وَ الَّذِینَ یُتَوَفَّوْنَ مِنْکُمْ وَ یَذَرُونَ أَزْواجاً» أزواجهم «یتربصن».

الثانی- علی تقدیر «یتربصن» بعدهم أزواجهم.

الثـالث- أن یکون الضـمیر فی یتربصن لمـا عـاد الی مضـاف فی المعنی، کـان کان بمنزلته علی تقـدیر «یتربصن» أزواجهم: هـذا قول الزجـاج و الأـول قول أبی العبـاس، و الثـانی قول الأخفش و نظیر قول الزجاج أن تقول: إذا مات، و خلف ابنتین، یرثان الثلثین، المعنی یرث ابنتاه الثلثین.

الرابع- أن یعدل عن الاخبار عن الأزواج، لأن المعنی علیه، و الفائدة

---

(۱) سورة البقرة آیة: ۲۴۰.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۲۶۳

فیه ذهب إلیه الکسائی، و الفراء، و أنکر ذلک أبو العباس، و الزجاج، لأنه لا یکون مبتدأ لا خبر له، و لا خبر إلا عن مخبر عنه، و أنشد الفراء «۱»:

لعلّی إن مالت بی الریح میلة علی ابن أبی دیان أن یتندما «۲»

المعنی لعل ابن أبی دیَّان أن یتندم، و هذا یجوز علی حذف أن یتندم لأجلی و قال أیضاً:

نحن بما عندنا و أنت بما عندک راض و الرأی مختلف «۳»

و قال أبو عبیدة: نظیر الآیة قول شدّاد بن عنتر:

فمن یک سائلا عنی فانی و حروة لا ترود و لا نعار

حروة اسم فرسه و إنمـا حـذف الخبر من الأول، لأن خبر الثانی یـدل علیه، لأنه أراد فانی حاضـر، و فرسـی حاضـرة لا ترود، و لا نعار، فدل بقوله: لا ترود و لا نعار: علی أنها حاضرة بتوعد و تتهدد فی قول أبی العباس.

و قوله: «یـذرون» یـترکون و ترک ماضـیه یـترک ترکـاً. و تقول ذره ترکـاً و کـذلک یـدع لیـذر سواء، و العلـة فی ذلـک أنهم کرهوا الواوات فی أول الکلام حتی أنهم لم یلحقوها، أو علی جهة الزیادة أصـلا، ففی رفض و ذر: دلیل علی الکراهة لها أصـلیة، و لیس بعد الضـعف إلا الاتباع فلما ضـعفت أصلیة امتنعت زیادة، فان قیل کیف قال و عشراً بالتأنیث و إنما العدة علی الأیام و اللیالی، و لذلک لم یجز أن تقول: عندی عشـر من الرجال و النساء. قیل لتغلیب اللیالی علی الأیام إذا اجتمعت فی التاریخ، و غیره، لأن ابتداء شـهور الأهلة اللیالی منذ طلوع الهلال فلما کانت الأوائل غلبت، لأن الأوائل أقوی من الثوانی و قال الشاعر:

---

(١) قائله ثابت قطنة التعكى، و اسمه ثابت بن كعب، ذهبت عينه فى الحرب فكان يحشوها بقطنة، و هو شاعر فارسى من شعراء خراسان فى عهد الدولة الاموية قال فيه حاجب الفيل:

لا يعرف الناس منه غير قطنته و ما سواها من الأنساب مجهول

(٢) تاريخ الطبرى ٨: ١٦٠، و معانى القرآن للفراء ١: ١٥٠ و هو من قصيدة يرثى بها يزيد بن المهلب، لما قتل فى سنة ١٠٢ فى خروجه على يزيد بن عبد الملك بن مروان.

(٣) مر تخريجه فى ١: ١٧٢، ٢٠٣.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٢٦۴

أقامت ثلاثاً بين يوم و ليلة و كان النكير أن تضيف و تجأرا «١»

معنى تضيف تميل و حكى الفراء: صمنا عشراً من شهر رمضان و لو أضاف الى الأيام فقال عشرة أيام، لم يجز إلا التذكير، و إنما جاز فى الأول لأنه بمعنى عشر من رمضان وقع العمل فى نهاره.

اللغة: ..... ص : ٢۶۴

و قوله: «فَإِذا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ» يقال: أجله تأجيلا: إذا أخره، و الآجل نقيض العاجل، و تأجل تأجلا و استاجله استئجالا، و أجلوا ما لهم يأجلونه أجلا:

إذا حبسوه فى المرعى، لأنهم أخروه فيه و الأجل: غاية الوقت فى محل الدين و غيره، لتأخره الى ذلك الوقت و أجل الشىء يأجل و هو آجل نقيض العاجل. لتأخره عن وقت غيره، و فعلته من أجل كذا أى لعاقبة كذا و هى متأخرة عن وقت الفعل الذى دعت. إليه و الأجل: القطيع من نفر الوحش، و جمعه آجال، و قد تأجل الصوار أى صار قطيعاً لتأخر بعضه عن بعض، و آجل عليهم شرّاً آجلا أى خبأه، لأنه أعقبهم شرّاً، و هو متأخر عن وقت فعله. و الآجلة الآخرة، و العاجلة الدنيا. و المأجل شبه حوض واسع يؤجّل فيه ماء البئر أياماً، ثم يفجر فى الزرع، و هو بالفارسية: (كرجه) و ذلك لتأخر الماء فيه.

و قوله: «وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» فالخبير: العالم، لأنه عالم بمخبر الخبر.

و الخبار: الأرض السهلة فيها حجارة، و أحفار. و أخبرت بالشىء إخباراً، لأنه تسهيل لطريق العلم به، و استخبره استخباراً، و تخبر تخبراً، و خبّره تخبيراً، و أخبره إخباراً، و تخبر القوم: بينهم خبرة: إذا اشتروا شاة، فذبحوها، و اقتسموا لحمها، و الشاة: خبيرة. و المخبرة: المزادة العظيمة. و الخابرة: أن يزرع على النصف، أو الثلث، أو نحوه. و الأكار: الخبير. و المخابرة: المؤاكرة، و ذلك لتسهيل الزراعة. و أصل الباب السهولة.

---

(١) اللسان ضيف. قائله النابغة الجعدى. فى المطبوعة (تجأوا) بدل (تجأرا) و هو تحريف.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٢۶۵

المعنى: ..... ص : ٢۶۵

و قوله:«فَإِذا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ» أى انقضت هذه المدة، و هى الأربعة أشهر و عشراً «فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِيما فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ» أى لا جناح عليكم أن تتركوهن إذا انقضت هذه المدة أن يتزوجن، و أن يتزين زينة لا ينكر مثلها. و هو معنى قوله «بالمعروف».

قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ٢٣۵] ..... ص : ٢۶۵

اشارة

وَ لا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِيما عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّساءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَ لكِنْ لا تُواعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلاً مَعْرُوفاً وَ لا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتابُ أَجَلَهُ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (۲۳۵)

آية فى الكوفى.

المعنى: ..... ص : ۲۶۵

قال ابن عباس: التعريض المباح فى العدة هو قول الرجل: أريد التزويج، و أحب امرأة من حالها، و من أمرها، و شأنها، فيذكر بعض الصفة التى هى عليها، هذا قول ابن عباس. و قال القاسم بن محمد، و عامر تقول: إنك لنافقة، و إنك لعجبة جميلة، و إن قضى اللّه شيئاً كان.

اللغة: ..... ص : ۲۶۵

و الخطبة: الذكر الذى يستدعى به الى عقدة النكاح، و الخطبة: الوعظ المنسق على ضرب من التأليف. و قيل: الخطبة: ما له أوّل، و آخر، مثل الرسالة. و الخطبة التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۶۶

للحال نحو الجلسة، و القعدة، تقول: خطب المرأة يخطبها خطبة، لأنه خاطب فى عقد النكاح. و خطب خطبة، لأنه خاطب بالزجر، و الوعظ على ضرب من تأليف اللفظ المخصوص. و خاطب مخاطبة، و خطاباً، و تخاطبوا تخاطباً. و الخطب: الأمر العظيم. و الخطبان: الحنظل الذى تشتدّ خضرته حتى تستحيل الى الغبرة، و الصفرة.

و أصل الباب الخطاب.

و الفرق بين التعريض، و الكناية أن التعريض: تضمين الكلام دلالة على شىء ليس فيه ذكر له، و الكناية: العدول عن الذكر الأخص بالشىء الى ذكر يدل عليه، فالأول كقول القائل: ما أقبح البخل، يعرض بأن المخاطب بخيل، و لعن اللّه الملحدين، يعرض له بالإلحاد. و الثانى كقولك: زيد ضربته، كنيت عنه بالهاء الموجودة فى (ضربته).

و قوله: «أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ» فالاكنان: إسرار العزم على النكاح دون إظهاره على قول ابن زيد، و مجاهد. و قال قوم: هو معنى التعريض بالخطبة إن شئت أظهرته، و ان شئت أضمرته. و تقول: كننت الشىء: إذا سترته، أكنه كنّاً و كنوناً و أكننته إكناناً إذا أضمرته، لأنك سترته فى نفسك. و استكن الرجل، و أكنن إذا صار فى كنّ، لأنه صار فيما يستره. و الكنانة الجعبة غير أنها صغيرة تتخذ للنبل. و الكنة: امرأة الابن أو ابن الأخ. و الجمع كنائن. و سمى الكانون كانوناً، لأنه يحتاج إليه فى وقت الاكتنان من البرد، و منه قوله:

«كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ» «۱» «وَ رَبُّكَ يَعْلَمُ ما تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَ ما يُعْلِنُونَ» «۲» و أصل الباب الكنّ: الستر.

و الفرق بين الأكنان و الكن: أن الأكنان: الإضمار فى النفس، و لا يقال كننته فى نفسى. و قيل: كننته معناه صنته كما قال: «كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ».

---

(۱) سورة الصافات آية: ۴۹. [.....]

(٢) سورة النمل آية ٧۴، و سورة القصص آية: ۶٩.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٢۶٧

المعنى: ..... ص : ٢۶٧

و قوله: «لا تُواعِدُوهُنَّ سِرًّا» قال الحسن، و إبراهيم، و أبو مجيلة: السرّ المنهى عنه هاهنا الزنا. و قال ابن عباس، و سعيد بن جبير، و الشعبى: هو العهد على الامتناع من تزويج غيرك. و قال مجاهد: هو أن تقول لها لا تفوتينى بنفسك، فانى ناكحك. و قال ابن زيد: هو اسرار عقدة النكاح فى العدة.

اللغة: ..... ص : ٢۶٧

و السرّ فى اللغة على ثلاثة أوجه: الإخفاء فى النفس، و الشرف فى الحسب، يقال: فلان فى سرَّ قومه إذا كان فى شرفهم، و صميمهم. و الجماع فى الفرج قال الشاعر:

ألا زعمت بسباسة اليوم أننى كبرت و ألا يشهد السر أمثالى «١»

و قال رؤبة:

فعفّ عن أسرارها بعد العسق و لم يضعها بين فرك و عشق «٢»

العشق اللصوق و قال الحطيئة:

و يحرم سرُ جارتهم عليهم و يأكل جارهم أنف القصاع «٣»

و قوله: «إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفاً» يعنى التعريض الذى أباحه اللّه تعالى.

و (إلا) بمعنى (لكن) لأن ما قبلها هو المنهى عنه، و ما بعدها هو المأذون فيه.

و تقديره: و لكن قولوا قولا معروفاً.

و قوله: «وَ لا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكاحِ»: تقديره على عقدة النكاح، و حذفت على،

---

(١) قائله امرؤ القيس ديوانه: ١۵٩ و روايته (و ألا يحسن السر) بدل (و ألا يشهد السر).

(٢) ديوانه: ١٠۴، و اللسان «عسق»، «عشق»، «فرك»، «سرر». الأسرار جمع سر. و العسق مصدر «عسق به يعسق» لزمه و أولع به. و الفرك- بكسر الفاء و سكون الراء- بغضة الرجل امرأته أو بالعكس، و امرأة فارك، و فروك: تكره زوجها و قد روى «العشق».

(٣) اللسان (أنف). أنف كل شيء: طرفه، و أوله.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٢۶٨

لدلالة العزم عليها، لأنه لا يكون إلا على معزوم عليه، كما قيل: ضربه الظهر و البطن أى على الظهر و البطن.

و العقد: الشد، تقول: عقد يعقد عقداً، و أعقدت العسل إعقاداً، و اعتقد صحة الأمر اعتقاداً، و تعاقدوا على الأمر تعاقداً، و عاقده معاقدة، و عقّد كلامه تعقيداً، و تعقد تعقداً، و انعقد انعقاداً، و عقد العبد، لأنه كعقد الحبل فى التوثيق.

و العقد: السمط من الجوهر. و العقد: الرمل للتداخل. و عقد اليمين: خلاف اللغو.

و ناقة عاقد أى لاقح، لأنها تعقد بذنبها، فيظهر أنها قد لقحت.

المعنى: ..... ص : ٢۶٨

و قوله: «حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتابُ أَجَلَهُ» معناه انقضاء العدة بلا خلاف. و الكتاب الذی يبلغ أجله هو القرآن و معناه: فرض الكتاب أجله. و يجوز أن يكون الكتاب نفسه هو الفرض، ذكره الزجاج، و وجه ثالث أن يكون ذلك على وجه التشبيه بكتاب الدين، ذكره الجبائی.

و قوله: «أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ» قد بينا أن الحلم من اللّه هو إمهال العقوبة المستحقة. و قال أبو علی الجبائی هو كل فعل يضاد حدوث العقوبة فی الإنسان، و هو من الإنسان ترك العقاب. و اللَّه تعالى لا يجوز عليه الترك، فهو ما وصفنا من نعمه التی تضاد عقوبته.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۳۶] ..... ص : ۲۶۸

اشارة

لا جُناحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّساءَ ما لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَ مَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَ عَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ (۲۳۶)

آية بلا خلاف.

القراءة: ..... ص : ۲۶۸

قرأ حمزة، و الكسائی، و خلف «تماسوهن» بضم التاء و بألف هاهنا التبيان فی تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۶۹

موضعان، و موضع فی الأحزاب، و قرأ أبو جعفر و أهل الكوفة إلا أبا بكر، و ابن ذكوان «قدره» بفتح الدال فی الموضعين. الباقون بإسكانها.

المعنى: ..... ص : ۲۶۹

المفروض صداقها داخلة فی دلالة الآية و إن لم يذكر، لأن التقدير ما لم تمسوهن ممن قد فرضتم لهن أو لم تفرضوا لهن فريضة، لأن أو تنبئ عن ذلك، لأنه لو كان على الجمع لكان بالواو.

و الفريضة المذكورة فی الآية: الصداق، بلا خلاف، لأنه يجب بالعقد للمرأة، فهو فرض لوجوبه بالعقد.

و متعة التی لم يدخل بها و لا يسمى لها صداق على قدر الرجل، و المرأة، قال ابن عباس، و الشعبی، و الربيع: خادم أو كسوة أو رزق، و هو المروی عن أبی جعفر و أبی عبد اللَّه (ع).

و قيل مثل نصف صداق تلك المرأة المنكوحة، حكى ذلك عن أبی حنيفة و أصحابه. و فی وجوب المتعة لكل مطلقة خلاف. قال الحسن و أبو العالية: المتعة لكل مطلقة إلا المختلعة، و المبارية، و الملاعنة. و قال سعيد بن المسيب:

المتعة التی لم يسم لها صداق، خاصة، و هو المروی عن أبی جعفر و أبی عبد اللَّه (ع).

و قد روی أيضاً أنها لكل مطلقة، و ذلك على وجه الاستحباب.

و المتعة للتی لم يدخل بها و لم يعرض لها يجبر عليها السلطان، و هو قول أهل العراق.

و قال أهل المدينة و شريح يؤمر لها، و لا يجبر عليها.

اللغة: ..... ص : ۲۶۹

و الموسع: الغنى فى سعة من ماله لعياله. و المقتر: الذى فى ضيق لفقره، تقول:
أقتر الرجل إقتاراً: إذا أقلّ، فهو مقتر أى مقلّ، و قترت الشيء أقتره قتراً، و أقترته إقتاراً، و قتّرته تقتيراً: إذا ضيقت الإنفاق منه. و القتار: دخان الشحم على النار، و نحوه، لغلبته بالاضافة الى بقيته. و القتر: الغبار. و القترة: ما يغشى الوجه التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۷۰
من غير الموت، و الكرب، لأنه كالقتار أو كالغبار يغشى الوجه، و فى التنزيل «تَرْهَقُها قَتَرَةٌ» «۱» و القتير: مسامير الدروع، لقلتها و صغرها. و القتير ابتداء الشيب، لقلته. و يجوز أن يكون مشبهاً بالدخان أول ما يرتفع. و القترة ناموس الصائد، لأنها كالقتار باخفائه إياها. و رجل قاتر: حسن الأخذ من ظهر البعير لا يعقره لقلة ما يأخذ منه، و أصل الباب الاقلال. و ابن قترة: حية خبيثة لا ينجو سليمها.

المعنى: ..... ص : ۲۷۰

و المتوفى عنها زوجها إذا لم يفرض لها صداق عليها العدة- بلا خلاف- و لها الميراث إجماعاً. و قال الحسن و الضحاك و أكثر الفقهاء. لها صداق مثلها. و حكى الجبائى عن بعض الفقهاء: أنه لا مهر لها، و هو الذى يليق بمذهبنا، و لا نص لأصحابنا فيها.

الاعراب، و المعنى: ..... ص : ۲۷۰

و يحتمل نصب «متاعا» وجهين: أحدهما- أن يكون حالا من قدره، لأنه معرفة، و العامل فيه الظرف. و الثانى- على المصدر، و العامل فيه «وَ مَتِّعُوهُنَّ».
و يحتمل نصب حقا وجهين: أحدهما- أن يكون حالا من «بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا» و العامل فيه معنى عرف حقا. الثانى- على التأكيد، لجملة الخبر كأنه قيل: أخبركم به حقا كأنه قيل: إيجاباً «عَلَى الْمُحْسِنِينَ» و إنما خص التى لم يدخل بها بالذكر فى رفع الجناح دون المدخول بها بالذكر و إن كان حكمهما واحداً لأمرين: أحدهما- لإزالة الشك فى الحرج على هذا الطلاق. و الثانى- لأن له أن يطلق أى وقت شاء، و ليس كذلك حكم المدخول بها، لأنه يجب أن يطلقها للعدة.
«و قدره» على تقدير أعطوهن قدر الوسع كما يقال: أخذ صدقاتهن لكل أربعين شاة بالرفع، و النصب. و قال الشاعر فى تسكين الدال:

---

(۱) سورة عبس آية: ۴۱.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۷۱

و ما صبّ رجلى فى حديد مجاشع مع القدر إلا حاجة لى أريدها «۱»

و قال آخر:

ألا يا لقومى للنوائب و القدر! و للأمر يأتى المرء من حيث لا يدرى! «۲»

قال أبو زيد: قدر القوم: أمرهم يقدرونه قدراً، و هذا قدر هذا أى مثله، و قدر اللّه الرزق يقدره. و روى السكونى يقدره قدراً. و قدرت الشيء بالشيء أقدره قدراً. و قدرت على الأمر أقدر عليه قدرة، و قدوراً، و قدارة. و نسأل اللّه خير القدر. و قال أبو الصقر: هذا قدر هذا، و أحمل قدر ما تطيق. قال أبو الحسن:
هو القدَر، و القدر. و خذ منه بقدَر كذا، و قدر كذا: لغتان فيه. و قوله:
«فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها» و قدرها «۳».

الحجة: ..... ص : ۲۷۱

و من قرأ «تمسوهن» بلا الف، فلقوله تعالى: «وَ لَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ» «۴» فانه من جاء على (فعل)، و كذلك قوله: «لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لا جَانٌّ» «۵» و من قرأ «تماسوهن بالف»، لأن (فاعل)، و (فعل) قد يراد بكل واحد منهما ما يراد بالآخر، نحو طابقت النعل و عاقبت اللصّ و لا- يلزم على ذلك فى آية الظهار «مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا» «۶» لأن المماسة محرمة فى الظهار على كل واحد من الزوجين للآخر، فلذلك لم يجز إلا- «مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا». و فى الآية دليل على أن العقد بغير مهر صحيح، لأنه لو لم يصح لما جاز فيه الطلاق، و لا وجبت المتعة.

---

(۱) قائله الفرزدق ديوانه: ۲۱۵، و اللسان (صبب)، (قدر)، و مقاييس اللغة ۵: ۶۲ و الأساس (صبب)، و إصلاح المنطق: ۱۰۹.

(۲) البيت لهدبة بن خشرم. اللسان (قدر) فى المطبوعة (بالقوم) بدل (لقومى) و (للام) بدل (للأمر).

(۳) سورة الرعد آية: ۱۹ و قد قرأت الآية «بقدرها» بفتح الدال، و بسكونها.

و خط المصحف بالسكون.

(۴) سورة آل عمران آية: ۴۷.

(۵) سورة الرحمن آية: ۷۴.

(۶) سورة المجادلة آية: ۳، ۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۷۲

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۳۷] ..... ص : ۲۷۲

اشارة

وَ إِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَ قَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ ما فَرَضْتُمْ إِلاَّ أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكاحِ وَ أَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوى وَ لا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (۲۳۷)

آية واحدة بلا خلاف.

روى سعيد بن المسيب: أن هذه الآية ناسخة لحكم المتعة فى الآية الأولى.

قال البلخى: و هذا ليس بصحيح، لأن الآية الأولى تضمنت حكم من لم يدخل بها، و لم يسم لها مهراً إذا طلقها، و هذه تضمنت حكم التى فرض لها صداق إذا طلقت قبل الدخول، و أحد الحكمين غير الآخر. و الذى قاله سعيد بن المسيب متوجه على ما قدمناه فى الآية من أن دليلها يتناول التى فرض لها المهر. و إن حملنا قوله:

«و متعوهن» على عمومه لزم أن تمتع كل مطلقة و إن سمى لها مهراً. و إن قلنا:

لا متعة للمفروض لها الصداق، فلا يلزم نسخ الآية أو تخصيصها إن نزلت معها.

و قال جميع أهل التأويل: إنه إذا طلق الرجل من سمى لها مهراً معلوماً قبل أن يدخل بها، فانه يستقر لها نصف المهر، فان كانت ما قبضت شيئاً وجب عليه تسليم نصف المهر، و إن كانت قد سلمت جميع المهر، وجب عليها ردّ نصف المهر، و يستقر لها النصف الآخر.

اللغة: ..... ص : ۲۷۲

و النصف: هو سهم من اثنين،، تقول: نصفه ينصفه، و انتصف انتصافاً، و نصفه تنصيفاً، و أنصفه إنصافاً، و تناصفوا تناصفاً، و ناصفه مناصفة، و تنصف تنصفاً. و النصف: المرأة بين المسنة و الحدثة، لأنها على نصف المسنة. و الناصف:

الخادم، هو ينصف الملوك أى يخدمهم، لأنه يعطيهم النصف من نفسه قسراً و ذلا. التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۷۳

و الانصاف، لأنه كالنصف فى العدل. و النصيف: الخمار، لأنه كالنصف فى أنه وسط بين الصغير، و الكبير، و يقال له: نصيفة. و منتصف الطريق: وسطه. و المنصف من الشراب الذى طبخ حتى ذهب نصفه. و النصيف: مكيال، لأنه على النصف بالتعديل بين الكبير و الصغير.

المعنى: ..... ص : ۲۷۳

و قوله: «أَنْ يَعْفُونَ» معناه: أن يصح عفوها، من الحرار البالغات غير المولى عليها، لفساد عقلها، فتترك ما يجب لها من نصف الصداق، و هو قول ابن عباس، و مجاهد، و جميع أهل العلم.

و قوله: «أَوْ يَعْفُوَا الَّذِی بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكاحِ» قال مجاهد، و الحسن، و علقمة:

إنه الولى، و هو المروى عن أبى جعفر، و أبى عبد اللّه (ع)

، غير أنه لا ولاية لأحد- عندنا- إلا الأب أو الجد على البكر غير البالغ، فأما من عداها، فلا ولاية له إلا بتولية منهما، روى عن على (ع).

و عن سعيد بن المسيب، و شريح، و حماد، و إبراهيم، و أبى حذيفة، و ابن شبرمة: أنه الزوج، و روى ذلك أيضاً فى أخبارنا غير أن الأول أظهر، و هو المذهب، و فيه خلاف بين الفقهاء ذكرناه فى الخلاف، و قوينا ما أخبرناه هناك.

و الألف و اللام فى قوله «عُقْدَةُ النِّكاحِ» بدل من الاضافة، فمن جعل الزوج قال: تقديره: الذى بيده عقدة نكاحه، و من جعل الولى، قال: تقدير الذى بيده عقدة نكاحها، و مثله قوله تعالى: «فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوى «۱» و معناه: هى مأواه و قراره و قال النابغة:

لهم شيمة لم يعطها اللّه غيرهم من الناس و الأحلام غير عوازب «۲»

---

(۱) سورة النازعات آية: ۴۱.

(۲) ديوانه: ۴۵ من قصيدته فى مدح عمرو بن الحارث الأصغر الأعرج الغسانى و ذلك حين فر من النعمان بن المنذر الى الشام. و الضمير فى «لهم» عائد الى ملوك غسان من بنى جفنة. و الشيمة: الخلق، و الطبيعة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۷۴

معناه و أحلامهم غير عوازب. و من جعل العفو للزوج قال: له أن يعفو عن جميع نصفه.

و من جعله للولى: قال أصحابنا له أن يعفو عن بعضه، و ليس له أن يعفو عن جميعه، فان امتنعت المرأة من ذلك لم يكن لها ذلك إذا اقتضت المصلحة ذلك، عن أبى عبد اللّه (ع).

و اختار الجبائى أن يكون المراد به الزوج، قال: لأنه ليس للولى أن يهب مال المرأة، و قوله: «وَ أَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوى خطاب للزوج و المرأة، قال لأنه ليس للولى أن يهب مال المرأة.

و قوله: «وَ أَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوى خطاب للزوج، و المرأة جميعاً- فى قول ابن عباس- و قيل: للزوج وحده عن الشعبى، و إنما جمع لأنه لكل زوج و قول ابن عباس أقوى لأنه العموم. و إنما كان العفو أقرب للتقوى من وجهين:

أحدهما- لاتقاء ظلم كل واحد صاحبه مما يجب من حقه.

الثانى- أنه أدعى الى اتقاء معاصى اللّه، للرغبة فيما رغّب فيه من العفو عماله.

الاعراب: ..... ص : ۲۷۴

و قوله: «فَنِصْفُ ما فَرَضْتُمْ» رفع على: عليكم نصف ما فرضتم، و كان يجوز أن ينصب فى العربية على فأدوا نصف ما فرضتم.
و قوله: «وَ لاـ تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ» الواو مضمومة، لأنها واو الجمع، و قياسها أن تكون مع ضم ما قبلها، فإذا لم يوصل اليه جعل الضم منها، و كان يجوز فيها الكسر، و مثله «اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ» «۱» على ضعف فيه، و قد مضى ذكره.

المعنى: ..... ص : ۲۷۴

و الذى يوجب المهر كاملا الجماع، و هو المراد بالمسيس، و قال أهل العراق:
و هو الخلوة التامة إذا أغلق الباب و أرخى الستر، و قد روى ذلك أصحابنا غير أن هذا يعتبر فى حق الثيب.

---

(۱) سورة البقرة آية: ۱۶، ۱۷۵. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۷۵

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۳۸] ..... ص : ۲۷۵

اشارة

حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَ الصَّلاةِ الْوُسْطى وَ قُومُوا لِلَّهِ قانِتِينَ (۲۳۸)
آية.

اللغة: ..... ص : ۲۷۵

الحفظ ضبط الشىء فى النفس، ثم يشبه به ضبطه بالمنع من الذهاب. و الحفظ خلاف النسيان تقول: حفظ حفظاً، و حافظ محافظة، و حفاظاً، و احتفظ به احتفاظاً، و تحفظ تحفظاً، و استحفظ استحفاظاً، و أحفظه إحفاظاً: إذا أغضبه، لأنه حفظ عليه ما يكرهه. و منه الحفيظة: الحمية. و الحافظ: خلاف المضيع. و الحفيظ: الموكل بالشىء، لأنه وكّل به ليحفظه و أهل الحفاظ: أهل الذمام، و منه قوله: «فَما أَرْسَلْناكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً» «۱».

المعنى: ..... ص : ۲۷۵

و معنى الآية الحث على مراعات الصلوات، و مواقيتهن، و ألا يقع فيها تضييع و تفريط.
و قوله «و الصلاة الوسطى» هى العصر فيما روى عن النبى (ص) و على (ع)
و ابن عباس، و الحسن. و قال زيد بن ثابت، و ابن عمر:
إنها الظهر، و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه (ع).
و قال قبيصة بن ذؤيب: هى المغرب، و قال جابر ابن عبد اللّه هى الغداة. و فيه خلاف بين الفقهاء ذكرناه فى الخلاف. و روى عن ابن عمر أنه قال: واحدة من الخمس غير متميزة. و قال الحسين بن على المغربى:

المعنى فيها صلاة الجماعة، لأن الوسط العدل، فلما كانت صلاة الجماعة أفضلها خصت بالذكر، و هذا وجه مليح غير أنه لم يذهب إليه أحد من المفسرين، فمن جعلها العصر قال: لأنها بين صلاتى النهار، و صلاتى الليل، و إنما حضّ عليها، لأنها وقت شغل الناس فى غالب الأمر، و من قال: إنها الظهر قال: لأنها وسط النهار، و قيل:

هى أول صلاة فرضت، فلها بذلك فضل. و من قال: هى المغرب قال: لأنها وسط فى الطول، و القصر من بين الصلوات، فهى أول صلاة الليل الذى رغّب فى الصلاة

---

(١) سورة النساء آية: ٧٩، و سورة الشورى آية: ۴٨.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٢٧۶

فيه، و أما من قال هى الغداة قال: لأنها بين الظلام و الضياء، و صلاة لا تجمع مع غيرها.

و قد جمع النبى (ص) بين الظهر و العصر بعرفة، و جمع بين المغرب و العشاء بالمزدلفة،

فهذه متواخية و تلك مفردة.

و قوله: «وَ قُومُوا لِلَّهِ قانِتِينَ» قال ابن عباس، و الحسن: معناه طائعين.

و قال عبد اللَّه بن مسعود: ساكتين، لأنهم نهوا بذلك عن الكلام فى الصلاة.

و قال مجاهد: معناه خاشعين فنهوا عن العبث، و التلفت فى الصلاة. و قال ابن عباس فى رواية: داعين و لذلك قال هى صلاة الصبح، لأنه لا صلاة فرض فيها قنوت إلا هى.

و عن أبى جعفر و أبى عبد اللَّه (ع) مثل ذلك إلا أنهما قالا: القنوت فى كل ركعتين قبل الركوع.

اللغة، و الاعراب: ..... ص : ٢٧۶

و أصل القنوت الدوام على أمر واحد. و قيل أصله الطاعة. و قيل أصله الدعاء فى حال القيام. و قال الرمانى و الوجه الأول أحسن بصرفه فى الباب، لأن المداوم على الطاعة قانت، و قال المداوم فى صلاته على السكوت إلا عن الذكر المشروع له، و كذلك المداوم. و يقال: فلان يقنت عليه أى يدعوا عليه دائماً.

و الصلاة الوسطى محفوظة بالعطف على الصلوات و كان يجوز النصب على «وَ الصَّلاةِ الْوُسْطى فخصوها بالمحافظة. و من حمل الصلاة الوسطى على صلاة الجماعة جعل قوله: «عَلَى الصَّلَواتِ» على عمومه. و من حملها على واحدة من الصلوات على الخلاف فيه اختلفوا، فمنهم من قال أراد بقوله «عَلَى الصَّلَواتِ» ما عدا هذه الصلاة و إلا كان يكون عطف الشيء على نفسه، و منهم من قال لا يمتنع أن يريد بالأول جميع الصلوات، و خص هذه بالذكر تعظيما لها و تأكيداً لفضلها.

قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ٢٣٩] ..... ص : ٢٧۶

اشارة

فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجالاً أَوْ رُكْباناً فَإِذا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَما عَلَّمَكُمْ ما لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (٢٣٩)

آية. التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٢٧٧

اللغة: ..... ص : ٢٧٧

معنى قوله: «فرجالا» أى على أرجلكم، لأن الراجل: هو الكائن على رجله واقفاً كان، أو ماشياً. و أحد الرجال: راجل و جمعه رجّال، مثل تاجر و تجّار، و صاحب، و صحّاب، و قائم، و قيام. و واحد الركبان: راكب، و جمعه ركبان، و ركاب، كفارس، و فرسان. و تقول: ركب يركب ركوباً، و أركبه إركاباً، و ارتكب ارتكاباً، و تراكب الشيء تراكباً، و تركب تركيباً، و ركبه تركيباً، و استركب استركاباً، و كل شيء علا شيئاً، فقد ركبه. و ركبه الدين، و نحوه. و الركبة معروفة، لروب البدن لها. و ركبة البعير فى يده. و الركاب: المطى. و ركاب السرج، لأنه يركب. و الركبان: أصلا الفخذين الذين عليهما لحم الفرج لركوبه إياهما. و فرس أركب، و الأنثى ركبى: إذا عظمت ركبتيهما و هو عيب. و أركب المهر: إذا أمكن أن يركب. و رجل مركب: الذى يغزوا على فرس غيره. و الراكبة: فسيلة تتعلق بالنخلة لا تبلغ الأرض. و ركبت الرجل أركبه ركباً: إذا ضربته بركبتك.

و الركوب: كل دابة تركب، و منه قوله: «فَمِنْها رَكُوبُهُمْ» «١» و أصل الباب الركوب: العلو على الشيء.

المعنى: ..... ص : ٢٧٧

و العامل فى قوله: «فرجالا» محذوف، و تقديره: فصلوا رجالا أو ركباناً.

و صلاة الخوف من العدّو: ركعتان كيف توجه إنما يجعل السجود أخفض من الركوع- فى قول ابراهيم، و الضحاك- فان لم يستطع، فليكن بتكبيرتين.

و روى أن علياً (ع) صلى ليلة الهرير خمس صلوات بالإيماء و قيل بالتكبير.

و إن النبى (ص) صلى يوم الأحزاب إيماء.

و روى أنه قضاها بعد أن فاتت بالليل.

و قال ابن عباس و الحسن: يجوز فى صلاة الخوف ركعة واحدة. و قال الحسن، و قتادة، و ابن زيد: يجوز أن يصلى الخائف ماشياً. و قال أهل العراق: لا يصلى ماشياً، لأن المشى

(١ سورة يس آية: ٧٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٢٧٨

عمل. و الذى نقوله: إن الخائف إن صلى منفرداً صلاة شدة الخوف صلى ركعتين يومئ إيماء، و يكون سجوده أخفض من ركوعه، و إن لم يتمكن كبر عن كل ركعة تكبيرة، و هكذا صلاة شدة الخوف إذا صلوها جماعة، و إن صلوا جماعة غير صلاة شدة الخوف، فقد بينا الخلاف فيه و كيفية فعلها فى خلاف الفقهاء.

و الذكر فى الآية قيل فى معناه قولان:

أحدهما- أنه الصلاة، أى فصلوا صلاة الأمن كما علمكم اللَّه، هذا قول الحسن، و ابن زيد.

الثانى- اذكروه بالثناء عليه، و الحمد له كما علمكم ما لم تعلموا من أمر دينكم، و غير ذلك من أموركم. و الأولى حمل الآية على عمومها فى الأمرين.

قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ٢٤٠] ..... ص : ٢٧٨

اشارة

وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذَرُونَ أَزْواجاً وَصِيَّةً لِأَزْواجِهِمْ مَتاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْراجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِي ما فَعَلْنَ فِي

أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (۲۴۰)

آية واحدة بلا خلاف.

قرأ نافع، و ابن كثير، و الكسائى، و أبو بكر عن عاصم «وصية» بالرفع.

الباقون بالنصب.

المعنى: ..... ص : ۲۷۸

هذه الآية منسوخة الحكم بالآية المتقدمة، و هى قوله: «وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذَرُونَ أَزْواجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ عَشْراً» بلا خلاف فى نسخ العدة إلّا أبا حذيفة، فانه قال: العدة أربعة أشهر و عشراً، و ما زاد الى الحول يثبت بالوصية و النفقة، فان أمتع الورثة من ذلك كان لها أن تتصرف فى نفسها، فأما حكم الوصية، فعندنا باق لم ينسخ و إن كان على وجه الاستحباب. و حكى عن ابن

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۷۹

عباس، و الحسن، و قتادة، و مجاهد: أنها منسوخة بآية الميراث، و قد بينا فساد قولهم: لا وصية لوارث. فأما آية الميراث، فلا تنافى الوصية، فلا يجوز أن تكون ناسخة لها، و قد مضى الكلام فى خبر الذين «۱» فى الآية المتقدمة، فلا وجه لإعادته.

المعنى، و الاعراب: ..... ص : ۲۷۹

و من نصب «وصية» فانه يحتمل قوله: «وصية» أمرين:

أحدهما- فليوصوا وصية لأزواجهم، فينصب على المصدر.

الثانى- كتب اللّه عليهم وصية لأزواجهم، فينصب على أنه مفعول به.

و المصدر المنصوب يدل على فعل الأمر المأخوذ منه، أما دلالته على فعله، فلأنه مشتق منه، و أما دلالة نصبه على الأمر منه، فلغلبة الباب فى الأمر، فأما دلالته على كتب، فلأن ما أمر اللّه به، فقد كتبه. و النصب يدل على الأمر به. و الرفع يحتمل ثلاثة أوجه: أحدها- فعليهم وصية لأزواجهم. الثانى- فلأزواجهم وصية كما تقول: لزيد مال. الثالث- كتب عليهم وصية لأزواجهم. و قال بعضهم:

لا يجوز غير الرفع، لأنه، لا يمكن الوصية بعد الوفاة، لأن الفرض كان لهن أوصى أو لم يوص. قال الرمانى: و هذا غلط، لأن المعنى و الذين يحضرهم الوفاة منكم، فلذلك قال: «يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ» على لفظ الحاضر الذى يتطاول على نحو قولك: الذين يصلون، فليعرضوا عن الذكر فيما يشغلهم. فأما قوله: الفرض كان لهم، فان لم يوصوا فقال قتادة و السدى: إنما كان لهن بالوصية على أنه لو كان على ما زعم، لم ينكر أن يوجبه اللّه على الورثة إن فرط الزوج فى الوصية.

و قوله: «مَتاعاً إِلَى الْحَوْلِ» نصب، و العامل فيه أحد أمرين:

أحدهما- جعل اللّه لهن ذلك متاعا، لأن ما قبله دل عليه.

و الثانى- متعوهن متاعاً. و قوله غير إخراج نصب بأحد الشيئين: أحدهما- بأن يكون صفة لمتاع. و الثانى- أن يكون مصدراً كأنه قيل: لا إخراجاً. قال

---

(۱) فى تفسير آية: ۲۳۴. و فى المطبوعة (جر الدين) و هو تصحيف.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۸۰

الفراء: هو كقولك: جئتك عن رغبة اليك فكأنه قال: متعوهن مقاماً فى مساكنهن، فيكون مصدراً وقع موقع الحال. و يجوز أن يكون

بمعنی الاقامة فی مساکنهن. و قال الحسن، و السدی: قوله: «فَإِنْ خَرَجْنَ فَلا جُناحَ عَلَیْکُمْ فِی ما فَعَلْنَ فِی أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ» دلیل علی سقوط النفقة، و السکنی بالخروج، لأنه إنما جعل لهن ذلک بالاقامة الی الحول، فان خرجن قبله بطل الحق الذی وجب بالاقامة.
و إنما یحتاج الی هذا التخریج من یوجب النفقة للمعتدة عن الوفاة. فأما من قال:
لا نفقة لها، و لا سکنی، فلا یحتاج الی ذلک، و هو مذهبنا، لأن المتوفی عنها زوجها لا نفقة لها، و إذا قلنا القرآن لا ینسخ بالسنة، قلنا: النفقة هاهنا علی وجه الاستحباب أو أنها تثبت بالوصیة، لأنا بینا أن الوصیة غیر منسوخة.

قوله تعالی:[سورة البقرة (۲): آیة ۲۴۱] ..... ص : ۲۸۰

اشارة

وَ لِلْمُطَلَّقاتِ مَتاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَی الْمُتَّقِینَ (۲۴۱)
آیة بلا خلاف.

المعنی: ..... ص : ۲۸۰

قال سعید بن المسیب الآیة منسوخة بقوله: «فَنِصْفُ ما فَرَضْتُمْ» و عندنا أنها مخصوصة بتلک إن نزلا معاً. و إن کانت تلک متأخرة فالأمر علی ما قال سعید ابن المسیب: إنها منسوخة، لأن عندنا لا تجب المتعة إلا للتی لم یدخل بها و لم یسم لها مهر. و إن سمی لها مهر، فلها ما سمی و إن لم یدخل بها فان فرض لها مهراً کان لها نصف مهرها، و لا متعة لها فی الحالین، فلا بد من تخصیص هذه الآیة. و قال سعید ابن جبیر و أبو العالیة و الزهری: المتعة واجبة لکل مطلقة، و به قال أبو حنیفة. و قال الحسن: هی للمطلقة التی لم یدخل بها و لم یفرض لها صداق مثل ما قلناه. و قال عطا، و مجاهد: هی للمدخول بها، و حکی أبو علی: للمطلقة البائنة.
و إنما کرر ذکر المتعة هاهنا و قد تقدم ذکرها قبل هذه الآیة، لأنه ذکر فی غیرها خاصاً و ذکر فیها عاماً فدخل فیه الأمة، و غیرها، و المتعة فی الموضع الذی یجب التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۲۸۱
علی قدر الرجل بظاهر الآیة، لأنه قال: «و عَلَی الْمُوسِعِ قَدَرُهُ»: مثلها و إن کان فوق قدره حکاه البلخی.
و قوله: «بالمعروف» معناه بالمعروف صحته، لأنه عدل بین الافراط، و التقصیر. و قال الضحاک: علی قدر المیسرة، و إنما خص المتاع بالمتقین و إن کان واجباً علی الفاسقین، تشریفاً لهم بالذکر اختصاصاً، و جعل غیرهم علی وجه التبع، کما قال: «هُدیً لِلْمُتَّقِینَ» «۱» و قیل: لأنه أخرج الکلام مخرج من لا یعتد بغیرهم لاحتقارهم، و جلالة المتقین بالتقوی، و لأنه إذا وجب علی المتقین، فهو واجب علی جمیع المتعبدین، لأن التقوی واجب علی المکلفین، و هذا إنما یدل علی أنه واجب بشریطة التقوی. فأما إذا وجب علی التقی و الفاجر، فالجواب هو الأول.

الاعراب: ..... ص : ۲۸۱

و قوله: «حَقًّا عَلَی الْمُتَّقِینَ» نصب علی المصدر، وقع موقع الحال، و العامل فیه «بالمعروف» کأنه قیل: عرف حقاً، و یجوز أن یکون العامل فیه الظرف.
و یجوز أن یعمل فیه معنی الجملة، کأنه قیل: أحق ذلک حقاً و کان یجوز أن یرفع علی أنه صفة لمتاع.

المعنی: ..... ص : ۲۸۱

و المتاع: النفقة مقدار ما تقیم فی العدة علی قول الجبائی: و علی ما قلناه قدر ما یوصی به لها بالمعروف الذی لا یضرّ بباقی الورثة.

قوله تعالی:[سورة البقرة (۲): آیة ۲۴۲] ..... ص : ۲۸۱

کَذلِکَ یُبَیِّنُ اللَّهُ لَکُمْ آیاتِهِ لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ (۲۴۲)

آیة.

التشبیه بقوله: «کَذلِکَ یُبَیِّنُ اللَّهُ» وقع علی البیان الذی تقدم فی الأحکام و الحجاج و المواعظ و الآداب و غیر ذلک مما یحتاج الناس الی عمله، و العمل علیه فی

---

(۱) سورة البقرة آیة: ۲.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۲۸۲

أمر دینهم و دنیاهم شبه البیان الذی یأتی بالبیان الماضی، و البیان: هو الأدلة التی یفرق بها بین الحق، و الباطل. و عبر عنه بأنه فعل یظهر به أمر علی طریقة حسنة، و لیس کلما یظهر به غیره ما لا یأتیه. و قد یکون ذلک بکلام فاسد یفهم به المراد، فلا یستحق صفة بیان. و الآیة هی العلامة فیما کان من الأمور العظیمة، لأن فی الآیة تفخیما لیس فی العلامة. و قوله: «لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ» معناه: لکی تعقلوا آیات اللَّه بالبیان عنها. و العقل مجموع علوم ضروریة یمیز بها بین القبیح، و الحسن، و یمکن معها الاستدلال بالشاهد علی الغائب.

قوله تعالی:[سورة البقرة (۲): آیة ۲۴۳] ..... ص : ۲۸۲

اشارة

أَ لَمْ تَرَ إِلَی الَّذِینَ خَرَجُوا مِنْ دِیارِهِمْ وَ هُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْیاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَی النَّاسِ وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَشْکُرُونَ (۲۴۳)

آیة واحدة بلا خلاف.

المعنی: ..... ص : ۲۸۲

معنی «أَ لَمْ تَرَ» أ لم تعلم، لأن الرؤیة مشترکة بین العلم- و هی رؤیة القلب- و بین رؤیة القلب. و قیل فی معنی قوله: «وَ هُمْ أُلُوفٌ» قولان:

أحدهما- أن معناه: الکثرة، فکأنه: و هم أکثر الناس، ذهب إلیه ابن عباس، و الضحاک، و الحسن. و قال ابن زید: معناه هم مؤتلفو القلوب، لم یخرجوا عن تباغض. و من قال: المراد به العدد الکثیر، اختلفوا، فقال ابن عباس: کانوا أربعین الفاً. و قال قوم: أربعة آلاف. و قال آخرون: ثمانیة آلاف و قال السدی:

بضعة و ثلاثون ألفاً. و الذی یقضی به الظاهر: أنهم أکثر من عشرة آلاف، لأن بناء (فُعول) للکثیر، و هو ما زاد علی العشرة. فأما ما نقص، فیقال فیه:

آلاف علی وزن (أفعال) نحو عشرة آلاف و لا یقال: عشرة ألوف. و قال الحسن، التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۲۸۳

و أکثر المفسرین: کانوا فرّوا من الطاعون الذی وقع بأرضهم. و قال الضحاک:

فرّوا من الجهاد.

و معنى الآيـة: الحضّ على الجهـاد، بـأنه لاـ ينفع- من الموت- فرار، و من أمر اللّه، لأـنه يجوز أن يعجله على جهـة العقاب، كما عجله لهؤلاء، للاعتبار. و فى الآيـة دليل على من أنكر عـذاب القبر و الرجعـة معاً، لأن الأحياء فى القبر، و فى الرجعـة مثل إحياء هؤلاء الذين أحياهم للعبرة.

و قوله: «فَقالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا» قيل فى معناه قولان:

أحـدهما- أن معناه أماتهم اللَّه، كما يقال: قالت السـماء، فهطلت، و قلت برأسـى كـذا، و قلت بيدى، و ذلك لما كان القول فى الأكثر اسـتفتاحاً للفعل، كالقول الذى هو تسـمية، و ما جرى مجراها مما كان يستفتح به الفعل، صار معنى قالت السماء، فهطلت أى استفتحت الهطلان، و صار بمنزلة استفتاح الافعال فلذلك صارت أماتتهم بمنزلة استفتاح الأفعال.

الثـانى- أن يكون أحيـاهم عنـد قول سـمعته الملائكـة بضـرب من العبرة. و يجوز- عنـدنا- أن يكونوا أحيوا فى غير زمان نبى. و قالت المعتزلـة: لا يجوز أن يكون ذلك إلا فى زمان نبى، لأن المعجزة لا يجوز ظهورها إلا للدلالـة على صـدق نبى، تكون له آية. و قد بينا فسـاد ذلك فى غير موضع، و أنه تجوز المعجزات على دين من الصادقين: من الأئمـة، و الأولياء و إن لم يكونوا أنبياء. و روى عن ابن عباس: أنه مرّ بهم نبىّ، فدعا اللَّه تعالى، فأحياهم.

و قوله: «إِنَّ اللَّهَ لَـذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ» إنما ذكر، و اتصل بما تقدم، لأنه لما ذكر النعمة عليهم بما آتاهم من الآية العظيمة فى أنفسـهم ليلزموا سبيل الهدى، و يتجنبوا طرق الردى ذكر عند ذلك ماله على الناس من الانعام مع ما هم من الكفران.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۴۴] ..... ص : ۲۸۳

اشارة

وَ قاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (۲۴۴)

آية بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۸۴

المعنى: ..... ص : ۲۸۴

قيل فيمن يتوجه إليه هذا الخطاب قولان:

أحدهما- أنه متوجه الى الصـحابة بعد ما ذكرهم بحال من فرّ من الموت، فلم ينفعه الفرار، حضهم على الجهاد، لئلّا يسلكوا سبيلهم فى الفرار من الجهاد، كما فرّ أولئك من الديار.

الثـانى- الخطـاب للـذين جرى ذكرهم على تقـدير، و قيـل لهم: قـاتلوا فى سبيـل اللّه. و القول الأـول أظهر، لأـن الكلام على وجهه، لا محذوف فيه.

و قوله: «وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَـمِيعٌ عَلِيمٌ» معناه هاهنا: أنه «سـميع» لما يقوله المنافق «عليم» بما يحبه المنافق، فاحذروا حاله. و قيل: «سـميع» لما يقوله المتعلل «عليم» بما يضمر، فإياكم و التعلل بالباطل. و قيل: «سميع» لقولكم إن قلتم كقول من قبلكم «عليم» بضمائركم.

و سبيل اللَّه الذى أمر بالقتال فيها: قتل فى دين اللّه، لاعزازه، و النصر له، و قتل فى طاعة اللّه، و قتل فى جهاد أعداء المؤمنين.

اللغة: ..... ص : ۲۸۴

و القتل: نقض البنيـة التى تحتاج إليها الحياة. و القتال: هو تعرض كل واحد منهما للقتل. و الفرق بين سـميع و سامع: أن سامعاً يقتضـى وجوه السـمع، و سـميع لا يدل عليه، و إنما معناه: أنه من كان على صـفة لأجلها يسمع المسموعات إذا وجدت و لذلك يوصف تعالى فيما لم يزل بأنه سميع، و لا يوصف بأنه سامع إلا بعد وجود المسموعات.

قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ٢٤٥] ..... ص : ٢٨٤

اشارة

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً كَثِيرَةً وَ اللَّهُ يَقْبِضُ وَ يَبْصُطُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٥)

آية واحدة بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٢٨٥

القراءة: ..... ص : ٢٨٥

قرأ أبو عمرو، و نـافع، و حمزة، و الكسـائى (فيضـاعفه) بـالرفع. و قرأ عـاصم بالألف، و النصب. و قرأ ابن كثير (فيضـعّفه) بالتشديـد، و الرفع. و قرأ ابن عامر بالتشديد و النصب.

المعنى، و اللغة: ..... ص : ٢٨٥

و القرض الذى دعا اللّه إليه قال ابن زيد هو الجهاد، و قال فى البر من النفل.

و القرض: هو قطع جزء من المال بالإعطاء على أن يردّ بدل منه. و قوله:

«يُقْرِضُ اللَّهَ» مجـاز «١» فى اللغـة لأـن حقيقته أن يسـتعمل فى الحاجـة، و فى هـذا الموضع يسـتحيل ذلـك، فلـذلك كان مجازاً، و قد يستعمل القرض فى غير الحاجة قال أمية بن أبى الصلت:

لا تخلطن خبيثات بطيبة و اخلع ثيابك منها و انج عريانا

كل امرئ سوف يجزى قرضه حسناً أو سيئاً و مديناً كالذى دانا «٢»

فهذا يبين أن القرض من غير عوز، و قال آخر:

و إذا جوزيت قرضاً فاجزه إنما ليس الفتى غير الحمل «٣»

و القرض القطع بالناب. قرض يقرض قرضاً: إذا قطع الشـىء بنابه، و قرّض تقريضاً، و تقرّض تقرضاً، و اقترض المال اقتراضاً. و القرض مـا أعطيته لتكافـاه، أو يرد بعينه. و اقترض اقتراضـاً، و اسـتقرض اسـتقراضاً، و تقارضـا الثنـاء: إذا أثنى كل واحـد منهما على صاحبه، و كذلك قارضه الثناء. و انقرضوا انقراضاً: إذا هلكوا. و الدنيا قروض: أى يتقارضها الناس من بينهم بالمكافاة. و قرض الشىء

---

(١) فى المطبوعة (محله) و هو تحريف.

(٢) اللسان (قرض) ذكر البيت الثانى فقط و روايته

(أو مديناً مثل ما دانا)

بدل (و مديناً ....).

(٣) قائله لبيد. اللسان (قرض) و رويته

(انما یجزی الفتی لیس الجمل).

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۲۸۶

یقرضه قرضاً و الشعر قریض. و منه قوله: (تَقْرِضُهُمْ ذاتَ الشِّمالِ) «۱» أی تقطعهم بمرورها علیهم و المقراض: الجلم الصغیر، و قراضات الثوب ما ینفیه الجلم.

الاعراب، و اللغة: ..... ص : ۲۸۶

و قوله: «فیضاعفه» من رفع عطفه علی قوله: «یقرض» و من نصب، فعلی جواب الاستفهام بالفاء. و الاختیار الرفع لأن فیه معنی الجزاء، و جواب الجزاء بالفاء لا یکون إلا رفعاً «و یضاعفه» أکثر فی الاستعمال، و إنما شدد أبو عمرو «یضعف لها العذاب ضعفین» «۲» و لم یشدد «فیضاعفه» لأن المضاعفة عنده لما لا یحّد. و التضعیف للمحدود، و تقول: ضعفت القوم أضعفهم ضعفاً: إذا کثرتهم، فصرت مع أصحابک علی الضعف منهم، و ضعف الشیء: مثلاه فی المقدار.

و أضعفت الشیء إضعافاً، و ضعّفته تضعیفاً، و ضاعفته مضاعفة، و هو الزیادة علی أصل الشیء حتی یصیر مثلین أو أکثر. و تضاعف الشیء تضاعفاً و ضعف ضعفاً. و الضعف خلاف القوة، لأنه قطع القوة عن التمام. و ضعف الشیء مثله فی المقدار إذا زید علیه، فکل واحد منهما ضعف. و التضعیف: تکریر الخوف، و استضعفت الرجل استضعافاً، و أصل الباب الضعف. و هو زیادة المثل.

و قوله: «وَ اللَّهُ یَقْبِضُ وَ یَبْصُطُ» قال الحسن، و ابن زید فی الرزق، و حکی الزجاج: أنه یقبض الصدقات و یبسط الجزاء علیها عاجلا، و آجلا علیها.

و القبض خلاف البسط و القبض ضم الکف علی الشیء قبضه قبضا و تقبضّ عنه تقبَّضا: إذا اشمأز منه، لأنه ضم نفسه عن الانبساط إلیه. و انقبض انقباضاً، و قبضت الرجل تقبیضا: إذا أعطیته لانضمام کفه علی ما أخذه. و رجل قبیض:

إذا کان منکمشا سریعاً لتجمعه للاسراع. و راع قبضة: إذا کان لا یتفسح فی رعیه، لانقباضه. و التقبض: التشنج. و قبض الإنسان: إذا مات. و الملک قابض الأرواح.

و البسط خلاف القبض تقول: بسط یبسط بسطاً، و انبسط انبساطاً، و بسطه تبسیطاً، و تبسّط تبسطاً. و البساط- بکسر الباء- ما بسطته. و البساط- بفتح الباء- الأرض الواسعة، و ناقة بسط: معها ولدها لانبساطه. و البسطة: الفضیلة فی

---

(۱) سورة الکهف آیة: ۱۷.

(۲) سورة الأحزاب آیة: ۳۰.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۲۸۷

الجسم أو المال، و نحو ذلک «وَ زادَهُ بَسْطَةً فِی الْعِلْمِ، وَ الْجِسْمِ» «۱» و کتب (بصطة) بالصاد، و بسطة بالسین، لأن القلب علی الساکن أقوی منه علی المتحرک.

المعنی: ..... ص : ۲۸۷

و معنی «مَنْ ذَا الَّذِی یُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً» التلطف فی الاستدعاء الی أعمال البرّ و الإنفاق فی سبیل الخیر.

و جهلت الیهود لما نزلت هذه الآیة، فقالوا اللَّه یستقرض منا فنحن أغنیاء و هو فقیر إلینا! فأنزل اللَّه تعالی «لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِینَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِیرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِیاءُ» «۲» ذکره الحسن و الهاء فی قوله: «وَ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ» عائدة الی اللَّه.

و معناه الی اللّه ترجعون فی الآخرة. و قیل الی التراب الذی خلقكم منه ذكره قتادة.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آیة ۲۴۶] ..... ص : ۲۸۷

اشارة

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِی إِسْرائِیلَ مِنْ بَعْدِ مُوسى إِذْ قالُوا لِنَبِیٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنا مَلِكاً نُقاتِلْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ قالَ هَلْ عَسَیْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَیْكُمُ الْقِتالُ أَلاَّ تُقاتِلُوا قالُوا وَ ما لَنا أَلاَّ نُقاتِلَ فِی سَبِیلِ اللَّهِ وَ قَدْ أُخْرِجْنا مِنْ دِیارِنا وَ أَبْنائِنا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَیْهِمُ الْقِتالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِیلاً مِنْهُمْ وَ اللَّهُ عَلِیمٌ بِالظَّالِمِینَ (۲۴۶)

آیة واحدة بلا خلاف.

القراءة: ..... ص : ۲۸۷

قرأ نافع عسیتم بكسر السین. الباقون بفتحها.

اللغة: ..... ص : ۲۸۷

الملأ: الجماعة الأشراف من الناس و روی أن رجلا من الأنصار قال یوم

---

(۱) سورة البقرة آیة: ۲۴۷.

(۲) سورة آل عمران: ۱۸۱.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۲۸۸

بدر: إن قتلنا الّا عجاز صلعا «۱»،

فقال النبی (ص): أولئك الملا من قریش لو رأیتهم فی أندیتهم لهبتهم، و لو أمروك لأطعتهم، و لاحتقرت فعالك عند فعالهم.

و تقول ملأت الإناء أملأه ملاء إذا أترعته، لأنه یجتمع فیه ما لا یكون معه مزید علیه، و امتلأ امتلاء: إذا طفح، و مالأت الرجل: إذا عاونته ممالأة.

و تمالؤوا علیّ: إذا تعاونوا. و ملوء الرجل ملاءة، فهو ملیء بالأمر: إذا أمكنه القیام به. و وعاء ملآن و الأنثى ملآی، و الجمع: ملاء. و الملأ: الجماعة من الناس یستجمعون للمشاورة. و الجمیع الاملاء قال الشاعر:

و قالت لنا الاملاء من كل معشر و خیر أقاویل الرجال سدیدها

و الاملاء: الریطة و أصل الباب الاملاء، و هو الاجتماع فیما لا یحتمل المزید، و منه شاب مالئ العین أی قد اجتمع له من الحسن فی العین ما لیس علیه مزید.

و الملأ: الخلق، لأن جمیع أفعال صاحبه تجری علیه.

المعنى: ..... ص : ۲۸۸

و قال السدی: إن النبی الذی قالت له بنوا إسرائیل ما حكاه یقال: شمعون سمته أمه بذلك لأن اللّه سمع دعاءها فیه. و قال قتادة: هو

يوشع بن نون. و قال وهب بن منبة:

هو شمويل، و هو المروى عن أبى جعفر (ع).

و كان سبب سؤالهم هذا استذلال الجبابرة لهم من الملوك الذين كانوا فى زمانهم إياهم على قول وهب، و الربيع. و قال السدى: قتال العمالقة. و إنما سألوا ملكا، ليكون آمراً عليهم تنتظم به كلمتهم، و تجتمع أمورهم، و يستقيم حالهم فى جهاد عدوّهم.

الاعراب، و اللغة: ..... ص : ٢٨٨

و أكثر النحويين على الجزم فى «نقاتل» مع النون، و قالوا: لا يجوز غير

---

(١) هكذا فى المطبوعة، و فى مجمع البيان (ان قتلنا عجايز صلعاً). و رواه لسان العرب فى (صلع)، قال: و فى حديث بدر ما قتلنا الا عجائز صلعاً: أى مشايخ صلعا. و فى (ملأ) قال:

و يروى أن النبى (ص) سمع رجلا من الأنصار- و قد رجعوا من غزوة بدر- يقول: ما قتلنا الا عجائز صلعا، فقال (ص): أولئك الملأ من قريش لو حضرت فعالهم لاحتقرت فعلك.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٢٨٩

الجزم. و أجاز الزجاج الرفع على ضعف فيه على تقرير: فانا نقاتل فى سبيل اللّه. و لو كان بالتاء لجاز الرفع على أن يكون صفة للملك. و الجزم على الجواب، كما قال «فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي» «١» بالجزم، و الرفع. و لو كان (نقاتل معه) لحسن الرفع أيضاً لعائد الذكر، و لا يجوز أن تقول: الذى مررت زيد، تريد: به. و دخلت (أن) فى قوله: «ما لَنا أَلَّا نُقاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، و أسقطت فى قوله: «وَ ما لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ» «٢» لأحد ثلاثة أشياء:

أولها- دخلت (أن) لتدل أن فيه معنى: ما منعنا من أن نقاتل، كما دخلت الباء فى خبر هل لما تضمنت معنى ما قال الفرزدق يهجو جريراً، و يذكر أن أباه كان ينكح اتاناً «٣».

يقول إذا اقلولى عليها و أقردت ألا هل أخو عيش لذيذ بدائم «۴»

معنى اقلولى: علاها، و معنى أقردت: ذلت.

و أما سقوطها فى الموضع الآخر، فعلى الأصل كأنه قيل: ما لنا غير مقاتلين، كما قال: «فَما لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ» «۵» هذا قول الفراء.

الثانى- أن تكون (أن) زائدة فى قول الأخفش، و هو ضعيف، لأنه لا يجوز الحمل على الزيادة لا لضرورة.

الثالث- على حذف الواو كأنه قال: و ما لنا و لأن نقاتل، كما قالوا: إياك أن تتكلم بمعنى إياك و أن تتكلم. قال الرمانى: و هذا ليس بالوجه، لأنه لا يحكم أحد بالحذف، و لا بالزيادة إلا عند الضرورة قال الشاعر:

فبح بالسرائر فى أهلها و إياك فى غيرهم أن تبوحا «۶»

فالآية مستغنية عن الواو مثل البيت سواء قال الشاعر:

فإياك المحاين أن تحينا

---

(١) سورة مريم آية: ۴.

(٢) سورة الحديد آية: ٨. [.....]

(٣) فى المطبوعة (اناثاً) بدل (أتانا).

(۴) ديوان جرير ۲: ۱۲۸.، و اللسان (قرد) و رواية الديوان (ليس ذو) بدل (هل أخو) و رواية اللسان (تقول) بدل (يقول).

(۵) سورة المدثر آية: ۴۹.

(۶) معانى القرآن للفراء ۱: ۱۶۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۹۰

فإنما هو على احذر المحاين لا على إضمار (أن). و قال المبرد فى (ما) وجه آخر، و هو أن يكون جحداً، و يكون تقديره: ما لنا ترك القتال. و على الوجه الأول (ما) استفهام، و إنما جاز، مالك أن تقوم، و لم يجوز مالك أن قمت، لأن المنع إنما يكون على الاستئناف، تقول: منعه أن يقوم، و لا يجوز أن يقوم منعه أن قام، كذا قال الفراء فى الكلام حذف، و تقديره: «وَ ما لَنا أَلَّا نُقاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ قَدْ أُخْرِجْنا مِنْ دِيارِنا وَ أَبْنائِنا» فسأل، فبعث، فوجب عليهم القتال «فلما كتب» «تولوا»، و إنما وجب أن يكون محذوفاً، لأن الكلام لا يدل عليه إلا من جهة الذكر له أو الحذف منه، فأما ما يدل عليه الكلام من غير جهة الذكر له، أو الحذف منه، فليس بمحذوف نحو قد عُرف زيد، فانه يدل على أنه عرفه عارف، و ليس بمحذوف، لأنه لم يدل عليه من جهة الذكر له و لا الحذف منه.

و عسيتم- بكسر السين- لغة، و الفتح أكثر. و قوله: «إِلَّا قَلِيلًا» لا يجوز فيه الرفع، لأنه استثناء بعد موجب، و كذلك قوله: «فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا» لا يجوز فيه الرفع.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۴۷] ..... ص : ۲۹۰

اشارة

وَ قالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طالُوتَ مَلِكاً قالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنا وَ نَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَ لَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمالِ قالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاهُ عَلَيْكُمْ وَ زادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ وَ اللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ (۲۴۷)

آية واحدة بلا خلاف.

المعنى: ..... ص : ۲۹۰

قال السدى، و وهب بن منبه: إنما أنكروا أن يكون طالوت ملكاً، لأنه لم يكن من سبط النبوة، و لا سبط المملكة بل كان من أجمل سبط فى بنى إسرائيل. التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۹۱

و قوله: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاهُ» معناه اختاره فى قول ابن عباس، و ابن زيد، و أصله الصفوة من الأدناس.

و قوله: «وَ زادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ» قيل فى معناه قولان:

قال الحسن: زيادة فى العلم و عُظماً فى الجسم. و قال الجبائى: كان إذا قام الرجل، فبسط يده رافعاً لها نال رأسه.

اللغة: ..... ص : ۲۹۱

يقال: جسم يجسم جسامة يعنى ضخم ضخامة. و رجل جسيم: عظيم الخلق.

و جسمه تجسيما، و تجسم تجسما. و هو أجسم منه أى أضخم. و أصل الباب الضخم.

و الجسم: هو الذاهب فى الجهات الثلاثة: الطول و العرض و العمق.

الاعراب و المعنى: ..... ص : ۲۹۱

و إنما لم يصرف (طالوت)، و صرف (جاموس) إذا سميت به، و إن كانا أعجميين- فى قول الزجاج- لأنه لما كان يدخله الألف و اللام نكر، نحو قولهم:

الجاموس. و كلما أعرب فى حال تنكيره فانه لا يعتد بالعجمة فيه، لأنه بمنزلة ما أصله عربى فأما ما أعرب فى حال تعريفه، فليس كذلك، لأنه لم يستعمل إلا على احدى الحالين دون الأخرى، فنقل لذلك.

و قوله: «وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ» قيل فى معناه ثلاثة أقوال:

أحدها- واسع الفضل، فحذف، كما حذف فى قولهم: فلان كبير أى كبير القدر. الثانى- واسع بمعنى: موسع أى يوسع على من يشاء من نعمه، كما جاء (أليم) بمعنى: مؤلم. و الثالث- واسع بمعنى ذو سعة نحو «عِيشَةٍ راضِيَةٍ» أى ذات رضى، و هم ناصب أى ذو نصب. و تامر، و لابن، أى ذو تمر و ذو لبن. و يجىء باب فى فاعل بمعنى ذو كذا. و قوله: «عليم» أى عليم بمن ينبغى أن يؤتيه الفضل إما للاستصلاح، و إما للامتحان. قال البلخى: و فى الآية دلالة على فساد قول من قال بأن الامامة وراثة، لان اللّه تعالى رد عليهم ما أنكروه من التعليل التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٢٩٢

عليهم من ليس من أهل النبوة، و لا المملكة، و بين أنه يجب بالعلم و القوة لا بالوراثة.

و قال أصحابنا فيها دلالة على أن من شرط الامام أن يكون أعلم رعيته و أفضلهم فى خصال الفضل، لأن اللّه تعالى علل تقديمه عليهم بكونه أعلم و أقوى فلو لا أنه شرط و إلا لم يكن له معنى.

قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ٢٤٨] ..... ص : ٢٩٢

اشارة

وَ قالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ بَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسى وَ آلُ هارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٤٨)

آية.

المعنى: ..... ص : ٢٩٢

قال الحسن: وجه الآية فى التابوت أن الملائكة كانت تحمله بين السماء و الأرض يرونه عياناً و قال ابن عباس و وهب: إن اللَّه انتزعه من أيدى أعدائهم الذين نهبوه منهم، فردّ عليهم «تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ» و قيل:

إن التابوت كان فى أيدى أعداء بنى إسرائيل من العمالقة الذين غلبوهم عليه- على قول ابن عباس، و وهب-، و روى ذلك عن أبى عبد اللَّه (ع).

و قال قتادة: كان فى برية التيه: خلفه هناك يوشع ابن نون. و قال وهب بن منبه: كان قدر التابوت نحواً من ثلاث أذرع فى ذراعين.

و روى عن على (ع). أنه قال: السكينة التى كانت فيه ريح هفافة لها وجه كوجه الإنسان.

و قال مجاهد لها رأس كرأس الهرة، و روى ذلك فى أخبارنا.

و قال وهب: روح من اللّه تكلمهم بالبيان عند وقوع الاختلاف. و قال عطا: كان فيه آية يسكنون إليها.

و السكينة مصدر وقع موقع الاسم نحو القضية و البقية و العزيمة و أخذ من معنى السكون لأن نفوسهم تسكن إليه و البقية التى ترك آل موسى، و آل هارون. قال التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٢٩٣

ابن عباس، و قتادة، و السدى:

إنها عصا موسى و رصاص للالواح، و هو المروى عن أبى جعفر.

و قال أبو جعفر التابوت هو الـذى وضـعت أم موسـى فيه موسـى حين ألقتهٔ فى اليم. و أقوى هذه الأقوال أن يحمل على أنه كان فيه ما يسـكنون إليه، و يجوز أن يكون ذلـك عصا موسـى و الرصاص، و غير ذلك مما اختلفوا فيه بعـد أن يكون فيه ما تسـكن النفس إليه، لأنـه تعـالى بين أن فيه سـكينهٔ، و هى فعيلـهٔ من السـكون، و لاـ يقطع بشـىء من ذلـك إلا بـدليل يوجب العلم. و قال الحسن: كان فيه التوراهٔ و شىء من ثياب موسى.

اللغهٔ: ..... ص : ۲۹۳

و فى التابوت لغتان فلغهٔ جميع العرب إلا الأنصار: التابوت بالتاء. و الأنصار تقول: التابوه بالهاء. و يقال: بقى بقاء و أبقاه إبقاء و اسـتبقاه استبقاء و تبقاه تبقياً و تباقى تباقياً و باقاه مباقاهٔ. و منه بقايا الخراج. و أصل الباب البقاء: خلاف الفناء.

و قوله: «تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَهُ» تقول: حمل يحمل حملا و احتمل احتمالا و تحامل تحاملا.

و تحمّل تحملا و حمّله تحميلا و حامله محاملهٔ. و انحمل انحمالا و استحمل استحمالا.

و الحمل من الضّان: الخروف. و الحمل: السحاب الكثير الماء. و الحمل: ما فى البطن.

و الحِمـل: مـا على الظهر. و الحمالـهٔ علّاقـهٔ السـيف. و المحمـل: الـذى يوكبه النـاس و الحمالـهٔ الديـهٔ، يتحملها قوم عن قوم و الحميل: الكفيل، و الحميل الغريب لأنه يحمل على القوم و ليس منهم. و حميل السيل: غثاؤه. و امرأهٔ حامل: حبلى لحملها الولد. و حملت فلاناً على فلان: إذا حرشـته عليه، لأنك حملته على مكروهه. و الحمولهٔ الإبل لأنها يحمل عليها الأثقال. و أصل الباب الحمل: كون الشـىء على الشـىء و قوله: «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» معنـاه إن كنتم مصـدقين و لاـ يجوز أن يكونوا على تثبيت الايمـان لهم، لأنهم كفروا حين ردّوا على نبيهم. و قيل: إن كنتم مؤمنين كما تزعمون.

قوله تعالى:[سورهٔ البقرهٔ (۲): آيهٔ ۲۴۹] ..... ص : ۲۹۳

اشارهٔ

فَلَمَّا فَصَلَ طالُوتُ بِالْجُنُودِ قالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَـرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَ مَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّى إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَهً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّـ قَلِيلاًـ مِنْهُمْ فَلَمَّا جـاوَزَهُ هُوَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قالُوا لا طاقَـهَ لَنَا الْيَوْمَ بِجالُوتَ وَ جُنُودِهِ قالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَهٍ قَلِيلَهٍ غَلَبَتْ فِئَهً كَثِيرَهً بِإِذْنِ اللَّهِ وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (۲۴۹)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۹۴

آيهٔ واحدهٔ بلا خلاف.

القراءهٔ: ..... ص : ۲۹۴

قرأ «غرفهٔ»- بالفتح- ابن كثير، و أبو عمرو، و نافع. الباقون بالضم، و هما لغتان.

اللغهٔ: ..... ص : ۲۹۴

قوله: «فَلَمَّا فَصَلَ» معناه قطع، و الفصل: القطع. يقال فصل اللحم عن العظم أى قطعه فأبانه عنه، و فصل الصبى فصلًا: إذا قطعه عن اللبن. و قول فصل أى يفصل بين الحق و الباطل. و الجنود جمع جند قال السدى: كانوا ثمانين ألف مقاتل، و الأجناد جمع القلة. و جنّد الجنود تجنيداً أى جمعهم. و الجند الأرض الغليظة و كل صنف من الخلق: جند على حدة. و فى الحديث: الأرواح جنود مجندة. و أصل الباب الجند: الغليظ من الأرض.

المعنى: ..... ص : ٢٩٤

قوله: «إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ» فمعنى الابتلاء هاهنا تمييز الصادق من الكاذب فى قوله- على قول الحسن-. و قال وهب بن منبة: السبب الذى لأجله ابتلوا بالنهر شكايتهم قلة المياه، و خوف التلف من العطش. و النهر الذى ابتلوا به، قال ابن عباس، و الربيع، و قتادة: هو نهر بين الأردن، و فلسطين. و روى عن ابن عباس التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٢٩٥
أيضاً أنه نهر فلسطين. و قوله: «فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ» الهاء عائدة على النهر فى اللفظ، و هو فى المعنى الماء.
و قوله: «فَلَيْسَ مِنِّي» معناه ليس على دينى، و لا من أهل ولايتى، فحذف و دلت من عليه.

اللغة: ..... ص : ٢٩٥

و يقال: طعم الماء كما يقال طعم الطعام و أنشدوا.
و إن شئت لم أطعم نقاخاً و لا بردا
و الغرفة بالفتح المرة من الغرف. و الغرفة بالضم ملء الكف من الماء، فالغرفة اسم للماء المغروف و الغرفة اسم للفعل. و قال بعضهم الاختيار الضم لأنه لو جاء على معنى المرة، لكان اغترافة. و هذا ليس بشيء، لأنه إذا كان المعنى واحداً جاز اغترافة، لأنه الأصل و جاز غرفة، لأنه أخف، و كلاهما حسن. و يقال غرف يغرف غرفاً و اغترف اغترافاً و المغرفة الآلة التى يغرف بها. و غرف غروف أى كبير و الغريف:
ماء فى الاجمة، لأنه يغرف من بين القصب. و مزادة غرفية مدبوغة بالغرف: و هو جنس من الدباغ. و الغريف شجر مجتمع من أى شجر كان. و الغرفة العلية. و أصل الباب الغرف.

المعنى: ..... ص : ٢٩٥

و قال ابن عباس، و قتادة، و الربيع: من استكثر من ذلك الماء عطش، و من لم يشرب إلا غرفة روى. و قال الفراء، و الحسن، و قتادة، و الربيع: و الذين جازوا النهر مع طالوت كان عددهم مثل عدد أهل بدر، و هم ثلاثة و بضعة عشر، و هم المؤمنون خاصة. و قال ابن عباس، و السدى: جاوزه الكافر، و المؤمن إلا أن الكافرين انخزلوا عنهم، و بقى المؤمنون على عدد أهل بدر. و هذا قوى، لقوله تعالى:
«فَلَمَّا جاوَزَهُ هُوَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ»، فلما رأوا كثرة جنود جالوت قال الكفار منهم «لا طاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجالُوتَ» و قال المؤمنون حينئذ الذين عدتهم عدّة أهل التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٢٩٦
بدر «كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ» قال البلخى: و يجوز أن يكونوا كلهم مؤمنين، غير أن بعضهم أشد إيقاناً و أقوى اعتقاداً، و هم الذين قالوا: «كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ».

اللغة: ..... ص : ۲۹۶

و تقول: جاز الشيء يجوزه: إذا قطعه. و أجازه إجازة: إذا استصوبه.

و الشيء يجوز: إذا لم يمنع منه دليل. و اجتاز فلان اجتيازاً، و استجاز فعل كذا استجازة. و تجوّز فى كلامه تجوّزاً. و تجاوز عن ذنبه تجاوزاً. و جاوزه فى الشيء تجاوزه، و جوّزه تجويزاً. و جوز كل شيء وسطه بمجاز الطريق، و هو وسطه الذى يجاز فيه: و قيل هذا اشتقاق الجوزاء، لأنها تعرض جوز السماء أى وسطها، و أما الجوز المعروف، ففارسى معرّب. و الجواز الصك للمسافر. و المجاز فى الكلام، لأنه خروج عن الآجل الى ما يجوز فى الاستعمال. و أصل الباب الجواز: المرور من غير شيء يصد، و منه التجاوز عن الذنب، لأن المرور عليه بالصفح.

المعنى: ..... ص : ۲۹۶

و قوله: «قالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ» قيل فيه ثلاثة أقوال:

أحدها- قال الذين يستيقنون، ذهب إليه السدى قال دريد بن الصمة:

فقلت لهم ظنوا بألفى مدجج سراتهم فى الفارسى المسرد

أى أيقنوا و قيل إنه استعارة فيما يكفى فيه الظن حتى يلزم العمل، فكيف المعرفة، فجاء على وجه المبالغة فى تأكد لزوم العمل.

الثانى- يحدثون نفوسهم و هو أصل الظن، لأن حديث النفس بالشيء قد يكون مع الشك و مع العلم إلا أنه قد على ركبت ما كان مع الشك.

الثالث- يظنون أنهم ملاقوا اللّه بالقتل فى تلك الواقعة.

و قوله: «كَمْ مِنْ فِئَةٍ» الفئة: الطائفة من الناس، و الجمع: فئين و فئات. و لا يجوز فى عدة إلا عدات، لأن نقص عدة من أوله. و ليس كذلك فئة، و ما نقص التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۲۹۷

من أوله يجرى فى الباب على اطراد بمنزلة غير المنقوص، فأما فئة و مائة. و ثبة و عزة، فان النقص فيه على غير اطراد، كما يكون فى عدة، و صلة، و زنة، و صفة، و جهة.

و تقول فأوت رأسه بالسيف إفاءة و فأواً: إذا قطعته و انفاء الشيء إنفاءً: إذا تقطع و أصل الباب القطع، فمنه الفئة، لأنهم قطعة من الناس.

و قوله: «غلبت» تقول: غلب يغلب غلباً و غالبه مغالبة و تغالبوا تغالباً.

و تغّلب تغلباً و غلبه تغليباً. و أشد أغلب: إذا كان غليظ العنق. و رجل أغلب كذلك، لأنه من إمارة الغلب. و اغلولب العشب إذا كثر لأنه غلب على غيره بكثرته. و أصل الباب الغلب: القهر.

المعنى: ..... ص : ۲۹۷

و قوله: «بِإِذْنِ اللَّهِ» معناه بنصر اللّه على قول الحسن، لأن اللّه إذا أذن فى القتال نصر فيه على الوجه الذى أذن فيه و يجوز فى (كم) الجر و النصب و إن كان على معنى الخبر فى قول الفراء. و فى الآية حذف لدلالة «۱» ما بقى عليه و هو فأتاهم التابوت بالصفة التى وعدوا بها، فصدّقوا لأن قوله «فَصَلَ طالُوتُ بِالْجُنُودِ» بعد تلك المنازعة منهم ينبئ أن الآية أتتهم، فانقادوا لأجلها.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۵۰] ..... ص : ۲۹۷

اشارة

وَ لَمَّا بَرَزُوا لِجالُوتَ وَ جُنُودِهِ قالُوا رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً وَ ثَبِّتْ أَقْدامَنا وَ انْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ (۲۵۰)

آیة بلا خلاف.

اللغة: ..... ص : ۲۹۷

البروز الظهور للقتال، و منه البراز، و هی الأرض: الفضاء. تقول: برز یبرز بروزاً، و بارزه مبارزة، و تبارز تبارزاً، و برَّز تبریزاً، و تبرّز تبرزاً. و رجل

---

(۱) فی المطبوعة الاله

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۲۹۸

برز، و امرأة برزة أی ذو عفة و فضل، لظهور ذاک فیها. و الجنود الجموع التی تعدّ للقتال واحدها جند، مأخوذ من الجند و هو الغلظ.

و قوله: «رَبَّنا أَفْرِغْ» فالافراغ: صب السیال علی جهة اخلاء المکان منه «۱» و أصله الخلو. و إنما قیل «أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً» تشبیهاً بتفریغ الإناء من جهة أنه نهایة ما توجبه الحکمة، کما أنه نهایة ما فی الواحد من الآنیة. و تقول فرغ یفرغ فراغا، و أفرغ إفراغاً، و فرّغ تفریغاً و تفرّغ تفرغاً، و استفرغ استفراغا، و افترغت افتراغاً: إذا صببت علیک الماء. و قوله: «سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ» «۲» معناه سنعمد، لأنه عمل مجرد من غیر شاغل، و منه قوله: «وَ أَصْبَحَ فُؤادُ أُمِّ مُوسى فارِغاً» «۳» أی خالیاً من الصبر و الفرغ مفرغ الدلو، و هو خرقة الذی یأخذ الماء، لأنه یفرغ منه الماء «و أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً» أی صبّ. و درهم مفرغ أی مصبوب فی قالب. و ضربة فریغة: واسعة. و فرغ الإناء، و فرغ الرجل من عمله.

و أصل الباب الفراغ الخلوّ.

و قوله: «وَ ثَبِّتْ أَقْدامَنا» تثبیت الأقدام یکون بشیئین: أحدهما- بتقویة قلوبهم. و الثانیة- بإلقاء الرعب فی قلوب أعدائهم حتی یظهر منهم الخور فی قتالهم و قیل باختلاف کلمتهم حتی یقع التخاذل منهم، و کذلک الصبر، لأنه من فعل العبد کما أن الثبوت فی الحرب من فعله، لأنه یجازی علیه، فأما النصر، ففعل اللّه تعالی، و الصبر: حبس النفس عما تنازع إلیه من الفعل. و هاهنا حبسها عما تنازع إلیه من الفرار من القتال. و التثبیت تمکین الشیء فی مکانه بلزومه إیاه. و قد یقال ثبت یثبت ثبوتاً، و أثبته إثباتاً و تثبت تثبتاً، و استثبت استثباتاً، و ثبته تثبیتاً. و رجل ثبت المقام: إذا کان شجاعاً لا یبرح موقفه، و طعنه فأثبت فیه الرمح أی نفذ فیه، لأنه یلزم فیه. و أثبت حجته إذا أقامها. و القول الثابت الصحیح یلزم العمل علیه، و منه قوله: «يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ» أی یؤدبهم به لیلزموا طریق

---

(۱) فی المطبوعة (علی جهة الاخلار منه المکان).

(۲) سورة الرحمن آیة: ۳۱.

(۳) سورة القصص آیة: ۱۰.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۲۹۹

الحق فیه. و فلان ثبت أی ثقة مأمون فیما روی. و أثبت الحسنات فی الدفتر، لأنک ضبطه، و أصل الباب اللزوم.

و قوله: «فانصرنا» النصر: هو المعونة علی العدوّ، و یکون ذلک بأشیاء منها بزیادة القوة، و منها الرعب من الملاقاة، و منها الاطلاع علی

العورة، و منها تخيل الكثرة، و منها اختلاف الكلمة التى تقع بلطف فى إعطاء النصر، و الفرق بين النصر، و اللطف: أن كل نصر من اللَّه، فهو لطف، و ليس كل لطف نصراً، لأن اللطف يكون فى إحدى طاعاته بدلا من معصيته، و قد يكون فى فعل طاعة من النوافل فأما العصمة فلا تكون إلا من معصية.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۵۱] ..... ص : ۲۹۹

اشارة

فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ قَتَلَ داوُدُ جالُوتَ وَ آتاهُ اللَّهُ الْمُلْکَ وَ الْحِکْمَةَ وَ عَلَّمَهُ مِمَّا يَشاءُ وَ لَوْ لا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَ لكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعالَمِينَ (۲۵۱)
آية.

القراءة: ..... ص : ۲۹۹

قرأ نافع، و أبان عن عاصم «دفاع اللَّه» الباقون «دفع» بلا ألف.

المعنى: ..... ص : ۲۹۹

فى الآية حذف و تقديره فاستجاب لهم ربهم، فهزموهم بنصره لهم، لأن ذكر الهزيمة «۱» بعد سؤال النصرة دليل على أنه كان على معنى الاجابة.

اللغة: ..... ص : ۲۹۹

و الهزم: الدفع، تقول: هزم القوم فى الحرب يهزمهم هزماً: إذا دفعهم بالقتال هرباً منه، و انهزموا انهزاماً، و تهزم السقاء: إذا يبس، فتصدّع لاندفاع بعضه على بعض، و الاهتزام الذبح تقول العرب: اهتزموا شاتكم قبل أن تهزل فتهلك،

---

(۱) فى المطبوعة (الهزية).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۰۰

لدفع صاعها بتذكيتها. و الهزمة: دفعك الشيء بقوة حتى تدخل عن موضعه فى الجسد، و زمزم هزمة، جبرئيل لإسماعيل (ع) و المهزم خشبة يحرك بها الجمر، لأنها يرفع بها بعضه عن بعض، و هزمة الرعد صوته، و أصابتهم هازمة من هوازم الدهر أى داهية كاسرة، لأنها كهازمة الجيش فى البلية، و هزمت عليك أى عطفت عليك.

المعنى: ..... ص : ۳۰۰

فالأولى أن يكون القوم هزموهم حقيقة لأنهم سنوا الهزيمة بأن فعلوا ما يلجئهم اليها و قال الجبائى: ذلك مجاز، لأنهم لم يفعلوا هزيمتهم، كما يقال: أخرجه من منزله إذا ألجأه الى الخروج، و لم يفعل خروجه، و هذا ليس بصحيح، لأنه ليس معنى هزمه فعل هزيمته، ليكون إذا صرف عن ذلك الى معنى غيره يكون مجازاً فى العبارة بل معناه ما قلناه.

و قوله: «بِإِذْنِ اللَّهِ» یحتمل أمرین: أحدهما- بأمر اللَّه. و الثانی بعلم اللَّه.

و قیل: إن سبب قتل داود جالوت کان أن جالوت طلب البراز، فخرج إلیه داود (ع) فرماه بحجر مقلاع فوقع بین عینیه و خرج من قفاه، فأصاب جماعة کثیرة من أهل عسکره فقتلهم، و انهزم القوم عن آخرهم، ذکر ذلک وهب بن منبه و غیره من المفسرین.

و قوله: «وَ آتاهُ اللَّهُ الْمُلْکَ وَ الْحِکْمَةَ» قیل فی معناه قولان: أحدهما- أنه جمع له الملک و النبوة فی حالة واحدة. و الآخر- أنه اختصه من علم السمع بحکمة لم یؤتها غیره.

و قوله: «وَ عَلَّمَهُ مِمَّا یَشاءُ» معناه أنه علمه أمور الدین و ما یشاء من أمور الدنیا، منها صنعة الدرع و عمل السرد، ذکره الزجاج، و الطبری. فان قیل:

ما الفائدة فی قوله: «وَ عَلَّمَهُ مِمَّا یَشاءُ» إذا کنا لا ندری ما الذی شاء من ذلک؟

قیل هو تعالی و إن لم یشرح لنا ما علمه فقد بین لنا أنه خصه من العلم بعد علم الدین بما لم یؤته غیره، لأن غیره من المؤمنین إنما نعلم ما دله اللّه علیه من أمر دینه التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۳۰۱

و دنیاه، و کان داود مساویاً لهم فی ذلک إن لم یکن أکثرهم علماً فیه، لأنه کان مؤمناً مثلهم، و کان معهم فی أمورهم، فلما بین لنا أنه «آتاهُ اللَّهُ الْمُلْکَ وَ الْحِکْمَةَ وَ عَلَّمَهُ مِمَّا یَشاءُ» بعد قتل جالوت، علمنا أنه کان خصه بما ذکره من الملک و الحکمة، و خصه منه بما لم یخصّ به أحداً سواه.

و قوله: «وَ لَوْ لا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ» قیل فی معناه ثلاثة أقوال:

أحدها-

یدفع اللّه بالبر عن الفاجر الهلاک، هذا قول علی (ع) و هو المروی عن أبی جعفر محمد بن علی (ع)

، و به قال مجاهد. الثانی- یدفع باللطف للمؤمن و الرعب فی قلب الفاجر. أن یعم الأرض الفساد. الثالث- قال الحسن، و البلخی: یزغ اللَّه بالسلطان فلا یزغ بالقرآن، لأنه یغنیه علی دفع الأشرار عن ظلم الناس، لأنه یرید منه المنع من الظلم و الفساد، کان مؤمناً أو فاسقاً.

اللغة: ..... ص : ۳۰۱

و أصل الدفع: الصرف عن الشیء، دفع دفعاً، و دافع مدافعة و دفاعاً، و اندفع اندفاعاً، و تدافع تدافعاً، و تدفع تدفعاً، و دفعه تدفیعاً، و استدفع استدفاعاً.

و الضیف المدفع، لتدافع الحی به لاحتقاره. و الدفاع السیل لتدافع بعضه علی بعض.

و الدفعة اندفاع الشیء جملة. و رجل مدفع أی عن نسبه.

الحجة: ..... ص : ۳۰۱

و قال الحسن: لم یکن داود نبیاً قبل قتله جالوت، لأنه لا یجوز أن یترأس من لیس بنبی علی نبی لأنه قلب ما یوجبه تدبیر الحکماء، لأن النبی یوثق بظاهره و باطنه و لا یخبر إلا بالحق و لا یدعو إلا الی حق، و لیس کذلک من لیس بنبی من أهل العقل.

و من قرأ «دفاع» بألف فوجهه: أن اللَّه لما أعان أولیاءه علی مدافعة أعدائه حتی هزموهم، حسن إضافة الدفاع إلیه، لما کان من معونته، و إرادته له. التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۳۰۲

و فی الآیة دلالة علی فساد قول المجبرة: إنه لیس للَّه علی الکافر نعمه، لأنه قال: «إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَی النَّاسِ» فعم الجمیع بالنعمة و

لم یخص، «وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَشْکُرُونَ» و یفسد به أیضاً قولهم: فی الارادة و أن جمیع ما أعطی اللَّه الکفار إنما هو لیکفروا لا لیؤمنوا، و ما روی أن طالوت هم بقتل داود لما رأی أن وجوه الناس أقبلت علیه بقتله جالوت روایة شاذة، فان صحت دلت علی أن طالوت لم یکن نبیاً، و لا إماماً، لأن النبی أو الامام لا بد أن یکون معصوماً.

قوله تعالی:[سورة البقرة (۲): آیة ۲۵۲] ..... ص : ۳۰۲

اشارة

تِلْکَ آیاتُ اللَّهِ نَتْلُوها عَلَیْکَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّکَ لَمِنَ الْمُرْسَلِینَ (۲۵۲)

الآیات المذکورة فی هذه الآیة المراد بها ما تقدم ذکره من إماتة ألوف من الناس دفعة واحدة بخلاف ما جرت به العادة ثم أحیاهم فی مقدار ساعة، و من تملیک طالوت و قد کان من الخاملین الذین لا تنقاد لهم النفوس بما جعله له من الآیة علماً علی تملیکه، و من نصرة أصحاب طالوت مع قلة عددهم، و ضعفهم علی جالوت و جنوده مع قوتهم و کثرة عددهم و شدة بطشهم حتی قهروهم و استعلوا علیهم، و کل ذلک مما لا یقدر علیه غیر اللَّه تعالی فهو دلالة علیه.

و قوله: «وَ إِنَّکَ لَمِنَ الْمُرْسَلِینَ» دلیل علی نبوته علی وجوه: منها ما فی الأحیاء بما تقدم من الدلالة علی النبوة. و منها أنه یجب التصدیق بتلک الأمور لنبوته (ع). و منها أنه أوحی إلیه به، کما أوحی الی المرسلین، لأنه سنة اللَّه عزّ و جل فی مثله. و منها الاستدعاء الی القیام بما أرسل به بعد قیام الحجة علیه. و منها أنه کما نصب تلک الآیات جعلک من المرسلین لما فی ذلک من الحکمة التی تدعو الی صلاح المکلفین. و إنما صارت الأخبار بذلک دلالة علی النبوة من جهة أنها أخبار عن عیون لم تشهدها و لا خالط أهل المعرفة بها، و متی قال قائل: إنه أخذها عن أهل العلم بالأخبار، فان قوله یبطل، لأنه لو کان کذلک لم یتکلم لخروجه عن العادة کخروج أن یصیر انسان من أعلم الناس بصناعة لم یشهدها و لا خالط التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۳۰۳

أهلها، و لأن فی أنبیائه تثبت معجزة من غیر تلک الجهة، و هو المنع من الازاحة مع توفر الأسباب الداعیة الی الحدیث به، و لا نشر له و هذا مما لا یقدر علیه إلا اللَّه تعالی.

اللغة: ..... ص : ۳۰۳

و الرسالة تحمل جملة من الکلام لها فائدة الی المقصود بالدلالة. و الحق هو وقوع الشیء موقعه الذی هو له من غیر تغییر عنه بما لا یجوز فیه. و التلاوة: ذکر الکلمة بعد الکلمة من غیر فاصلة، لأن التالی للشیء یلیه من غیر فصل بغیره.

و الأصل: التلوّ و هو إیقاع الشیء بعد الشیء الذی یلیه.

قوله تعالی:[سورة البقرة (۲): آیة ۲۵۳] ..... ص : ۳۰۳

تِلْکَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلی بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ کَلَّمَ اللَّهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجاتٍ وَ آتَیْنا عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ الْبَیِّناتِ وَ أَیَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِینَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَیِّناتُ وَ لکِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَ مِنْهُمْ مَنْ کَفَرَ وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَ لکِنَّ اللَّهَ یَفْعَلُ ما یُرِیدُ (۲۵۳)

آیة واحدة بلا خلاف.

إنما ذکر اللَّه تعالی تفضیل بعضهم علی بعض، لأمور: منها أن لا یغلط غالط منهم، فیسوَّی بینهم فی الفضل. کما استووا فی الرسالة، و ثانیها أن یبین أن تفضیل محمد (ص) کتفضیل من مضی من الأنبیاء بعضهم علی بعض. و ثالثها- أن الفضیلة قد تکون بعد أداء

الفريضة. و المراد الفضيلة المذكورة هاهنا ما خص كل واحد منهم من المنازل الجليلة التى هى أعلى من منزلة غيره، نحو كلامه لموسى بلا سفير، و إرساله محمداً (ص) الى الكافة من الناس المكلفين و الجن المتعدين، هذا قول مجاهد. التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٣٠٤

و يحتمل فضلناهم بأعمالهم التى استحقوا بها الفضيلة على غيرهم. و الفرق بين الابتداء بالفضيلة و بين المحاباة ان المحاباة اختصاص البعض بالنفع على ما توجبه الشهوة دون الحكمة، و ليس كذلك الابتداء بالفضيلة، لأنه قد يكون للمصلحة التى لولاها لفسد التدبير و أدى الى حرمان الثواب للجميع. فمن حسن النظر لهذا الإنسان تفضيل غيره عليه إذا كان فى ذلك مصلحة له فهذا وجه تدعو إليه الحكمة و ليس كالوجه الأول الذى انما تدعو إليه الشهوة.

و قوله: «وَ أَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ» معناه قويناه. و الروح: جبريل. و القدس اللَّه- على قول الحسن- و قال ابن عباس: روح القدس: الاسم الذى كان يحيى به الموتى. و الضمير فى قوله: «مِنْ بَعْدِهِمْ» عائد على الرسل. و قال قتادة، و الربيع:

على عيسى و موسى (ع). و جاز بلفظ الجميع، لأن ذكرهم قد يغنى عن ذكر المتبعين لهم. كما يقال: خرج الأمير فانكوا فى العدّو نكاية عظيمة.

و قوله: «وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا» إخبار عن قدرته على إلجائهم على الامتناع من الاقتتال، أو بأن يمنعهم من ذاك. هذا قول الحسن و غيره. و جملته انه أخبر انه قادر على أن يحول بينهم، و بين الاقتتال بالإلجاء و الاضطرار. و مثله «وَ لَوْ شِئْنا لَآتَيْنا كُلَّ نَفْسٍ هُداها» «وَ لَوْ شاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً» فان جميع ذلك دلالة على قدرته عليهم. و لا يدل قوله «وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا» على أنه قد شاء اقتتالهم، لأنه إذا احتمل الكلام وجهين: أحدهما- يجوز عليه و الآخر لا يجوز عليه، وجب حمله على ما يجوز عليه، دون ما لا يجوز عليه، فلذلك كان تقدير الكلام و لو شاء اللّه امتناعهم بالإلجاء ما اقتتلوا. و نظيره قول القائل و لو شاء السلطان الأعظم، لم يشرب النصارى الخمر فى سلطانه و لا نكحت المجوس الأمهات و البنات و ليس فى ذلك دليل على أنه قد شاءه و إنما كرر قوله: «وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا» لاختلاف المعنى. فمعنى الأول لو شاء اللَّه ما اقتتلوا قتالهم، و يجوز أن يكون لتأكيد البينة على هذا المعنى. و قال قوم: الأول معناه لو شاء اللّه ما اقتل التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٣٠٥

المحقون، و المبطلون بأن يحول. بينهم، و بينهم. و الثانى لو شاء اللَّه ما اقتتل المحقون فيما بينهم و المبطلون فيما بينهم.

قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ٢٥٤] ..... ص : ٣٠٥

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْناكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَ لا خُلَّةٌ وَ لا شَفاعَةٌ وَ الْكافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٥٤)

آية واحدة.

القراءة: ..... ص : ٣٠٥

قرأ أبو عمرو و ابن كثير «لا بَيْعٌ فِيهِ وَ لا خُلَّةٌ وَ لا شَفاعَةٌ» بالنصب فيها أجمع. الباقون بالضم.

المعنى: ..... ص : ٣٠٥

قوله «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» خطاب للمؤمنين يأمرهم بالإنفاق مما رزقهم.

و الإنفاق المأمور به على وجه الفرض هاهنا الزكاة و غيرها دون الفعل لأن ظاهر الامر الإيجاب فى قول الحسن. قال: لأنه مقرون بالوعيد. و قال ابن جريج: يدخل فى الخطاب الزكاة، و التطوع. و هو أقوى، لأنه أعم. و به قال البلخى. و ليس فى الآية وعيد على ترك النفقة. و انما فيها إخبار عن عظم أهوال يوم القيامة و شدائدها.

و قوله: «مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ» يعنى يوم القيامة.

اللغة: ..... ص : ۳۰۵

«لا بَيْعٌ فِيهِ» البيع هو استبدال المتاع بالثمن. تقول: باع يبيع بيعاً، و ابتاع ابتياعاً، و استباع استباعة، و بايعه مبايعة، و تبايعوا تبايعاً، و البيع: نقيض الشراء و البيع أيضاً الشراء لأنه تارة عقد على الاستبدال بالثمن، و تارة على الاستبدال بالمتاع.

و البيعة الصفقة على إيجاب البيع. و البيعة الصفقة على إيجاب الطاعة. و البيعان البائع التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۰۶

و المشترى. و البيعة كنيسة النصارى و جمعها بيع.

و قوله: «لا خُلَّةٌ». فالخلة خالص المودة. و الخلل: الافراج بين الشيئين. و خللته بالخلال أخله خلا: إذا صككته به و اختلت حاله اختلالا، لانحرافه بالفقر. و تخلل الطرق تخللا إذا قطع فرجة بعد فرجة. و أخل به إخلالا، و خاله يخاله مخالة: إذا صافاه المودة.

و الخلّ معروف لتخلله بحدته، و لطفه فيما ينساب فيه. و الخل: الرجل الخفيف الجسم. و الخل: الطريق فى الرمل. و الخل: عرق فى العنق يتصل بالرأس. و الخليل:

الخالص المودة من الخلة، لأنه من تخلل الاسرار بينهما. و قيل لأنه يمتنع من الشوب- فى المودة بالنقيصة- و الخليل أيضاً: المحتاج من الخلة. و الخلة: جفن السيف.

و فى فلان خلة: أى خصلة. و الخلة خلاف الحصن لأنه مرعى بتخلله الماشية للاعتداء به. و خلل أصابعه تخليلا. و قوله تعالى: (فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ) «۱» و قوله: «فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ» «۲» و الخلال: البلج. و أصل الباب: الخلل: الانفراج.

المعنى: ..... ص : ۳۰۶

و قوله: «وَ لا شَفاعَةٌ» و إن كان على لفظ العموم فالمراد به الخصوص بلا خلاف، لأن عندنا قد تكون شفاعة فى إسقاط الضرر. و عند مخالفينا فى الوعيد قد يكون فى زيادة المنافع فقد أجمعنا على ثبوت شفاعة و إنما ننفى نحن الشفاعة قطعاً عن الكفار. و مخالفونا عن كل مرتكب كبيرة إذا لم يتب منها.

و قوله: «وَ الْكافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ» إنما ذم اللّه تعالى الكافر بالظلم و إن كان الكفر أعظم منه لأمرين:

أحدهما- للدلالة على أن الكافر قد ضر نفسه بالخلود فى النار، فقد ظلم نفسه.

---

(۱) سورة النور آية: ۴۳، و سورة الروم آية: ۴۸.

(۲) سورة الإسراء آية: ۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۰۷

و الآخر- أنه لما نفى البيع فى ذلك اليوم و الخلة و الشفاعة، قال و ليس ذلك بظلم منا، بل الكافرون هم الظالمون، لأنهم عملوا ما استحقوا به حرمان الثواب.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۵۵] ..... ص : ۳۰۷

اشارة

اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَ لا نَوْمٌ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ وَ لا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِما شاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ لا يَؤُدُهُ حِفْظُهُما وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (۲۵۵)

آية واحدة «۱».

الاعراب: ..... ص : ۳۰۷

«اللَّه» رفع بالابتداء «لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ» خبره. و الكلام مخرجه مخرج النفى أن يصح إله سوى اللَّه. و حقيقة الإثبات الآله واحد هو اللّه. كأنه قيل اللَّه الآله دون غيره. و ارتفع هو فى لا إله إلا هو على أحد وجهين:

أحدهما- بالابتداء كأنه قال ما إله إلا اللّه.

و الثاني- أن يكون بدلا كأنه قال ما إله ثابتاً إلا اللَّه. و يجوز فى العربية لا إله إلا اللّه بالنصب على الاستثناء. و فيه دلالة على الامر بإخلاص العبادة للَّه تعالى.

اللغة، و المعنى: ..... ص : ۳۰۷

و الحى هو من كان على صفة لا يستحيل معها كونه عالماً قادراً، و ان شئت قلت:

هو من كان على صفة يجب لأجلها أن يدرك المدركات، إذا وجدت. و القيوم أصله قيووم على وزن فيعول. إلا أن الياء الساكنة إذا كانت بعدها واو متحركة قلبت ياء و أدغمت فيها قياساً مطرداً. و القيام أصله قيوام على وزن فيعال.

و قيل فى معنى القيوم، أربعة أقوال:

---

(۱) و فى مجمع البيان و المصحف الهاشمى آيتان، و فى أكثر التفاسير آية واحدة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۰۸

أحدها- قال الحسن إنه القائم على كل نفس بما كسبت حتى يجازيها بعملها من حيث هو عالم لا يخفى عليه شيء منه.

الثاني- قال سعيد بن جبير: إن معناه الدائم الوجود.

الثالث- قال قتادة: معناه: القائم بتدبير خلقه.

الرابع- قال قوم: إن معناه العالم بالأمور من قولهم: فلان قيوم هذا الكتاب أى هو عالم به. و كل هذه الوجوه تحتمل. و قال أمية بن أبى الصلت:

لم تخلق السماء و النجوم و الشمس معها قمر يقوم

قدره المهيمن القيوم و الحشر و الجنة و الجحيم

إلا لأمر شأنه عظيم «۱»

و قوله: «لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَ لا نَوْمٌ» فالسنة النوم بلا خلاف قال عدى ابن الرقاع:

و سنان أقصده النعاس فرنقت فى عينه سنة و ليس بنائم «٢»

فالسنة الثقلة من النعاس، تقول: وسن فلان وسناً إذا أخذته سنة النعاس، و قد علته و سنة، و رجل و سنان و وسن، و امرأة وسنانة، و وسنى، و أصل الباب:

النعاس. و النوم الاستثقال فى النوم، تقول نام ينام نوماً و أنامه إنامة، و نومه تنويماً و تناوم تناوماً، و استنام إليه: إذا استانس إليه، و اطمأن الى ناحيته، لأن حاله معه كحالة النائم فى المكان أنساً به و أصل الباب النوم خلاف اليقظة.

و قوله: «ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ» معناه أن أحداً ممن له شفاعة لا يشفع إلا بعد أن يأذن اللَّه له فى ذلك و يأمره به، فأما أن يبتدئ أحد بالشفاعة من غير إذن، كما يكون فيما بيننا، فليس ذلك لأحد.

---

(١) ديوانه: ٥٧، و تفسير أبى حيان ٢٥: ٢٧٧ و رواية أبى حيان (قمر يعوم) بدل (قمر يقوم) و فى تفسير الطبرى قد اجتهد محققه فأخطأ، لأنه اثبت (و الجسر) بدل (و الحشر) راجع صفحة ٣٨٨ من المجلد الخامس فى تفسير الطبرى.

(٢) الشعر و الشعراء: ٦٠٢، و اللسان (وسن)، (رنق). [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٣٠٩

و قوله: «يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ» قال: ابن جريج و مجاهد و السدى:

معناه ما مضى من الدنيا و ما خلفهم من الآخرة.

و قوله: «وَ لا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ» معناه من علومه، كقول القائل:

أللهم اغفر لنا علمك فينا، فإذا ظهرت آية يقولون قدرة اللَّه أى مقدور اللَّه و قوله:

«وَسِعَ كُرْسِيُّهُ» قال ابن عباس

كرسيه: علمه و هو المروى عن أبى جعفر، و أبى عبد اللَّه (ع).

و قال الحسن: الكرسى هو العرش.

و قيل: هو سرير دون العرش و قد روى ذلك عن أبى عبد اللَّه (ع).

و قيل: أصل ملكه. و كل ذلك محتمل.

أما العلم، فلأنه يقال للعلماء الكراسى، لأنهم المعتمد كما يقال: هم أوتاد الأرض، و هم الأصل الذى يعتمد عليه. و يقال لكل أصل يعتمد عليه. كرسى قال الشاعر:

تحف بهم بيض الوجوه و عصبة كراسىّ بالاحداث حين تنوب «١»

أى علماء بحوادث الأمور. و قال آخر:

نحن الكراسى ما تعدّ هوازن أفعالنا فى النائبات و لا أسد

و قال آخر:

ما لى بأمرك كرسى كاتمه و هل بكرسى علم الغيب مخلوق

و كل شيء تراكب فقد تكارس تكارساً، و منه الكراسة لتراكب بعض ورقها على بعض قال العجّاج:

يا صاح هل تعرف رسما مكرّساً قال نعم أعرفه و أبلسا «٢»

أى تكارس عليه التراب، فغطاه، و الكرس البعر و البول: إذا تلبد بعضه على بعض، و الأكارس الجموع الكثيرة، لا واحد له، لأنه بكثرته بمنزلة ما تراكب بعضه على بعض. و رجل كروس شديد الرأس، لأنه تضاعف القوى كتراكب الشيء بعضه على بعض، و الكرياس: كنيف فى أعلى السطح بقناة الى الأرض، لتراكب

(۱) أساس البلاغة (كرس).

(۲) ديوانه ۱: ۳۱، و التكامل ۱: ۲۵۲، و اللسان (بلس)، (كرس). يقال:

ابلس الرجل أى سكت عما فى نفسه، و أنكر و تحير، و لم ينطق. و قد مر فى ۱: ۱۵۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۱۰

بعض أبنيته على بعض، و سمى الكرسى بذلك، لتركيب بعضه على بعض. و يقال:

كرسى الملك من مكان كذا الى مكان كذا أى ملكه تشبيهاً بالكرسى المعروف.

و كرس يكرس كرساً، و أكرس إكراساً، و تكارس تكارساً، و تكرّس تكرساً، و كرّسه تكريساً، و أصل الباب الكرس: تراكب الشيء بعضه على بعض.

و الوجه فى خلق الكرسى إذا قلنا: أنه جسم هو أن اللّه تعبد تحمله الملائكة و التعبد عنده كما تعبد البشر بزيادة، و لم يخلقه ليجلس عليه، كما تقول المجسمة.

و اختاره الطبرى، لأنه عزّ و جل يتعالى عن ذلك، لأن ذلك من صفات الأجسام و لو احتاج الى الجلوس عليه، لكان جسما و محدثاً و قد ثبت قدمه.

و قوله: «وَ لا يَؤُدُهُ حِفْظُهُما» أى لا يثقله، و الهاء فى يؤوده راجعة الى اللّه و قيل إنها عائدة الى الكرسى. و الأود مصدر، آده يؤوده أوداً و أياداً إذا أثقله و جهده، و أودت العود فأنا آوده أوداً، فانآد و معناه عجته فانعاج، لأنه اعتمد عليه بالثقل حتى مال، و الأود، و الأوداء على وزن اعوج و عوجاء و المعنى واحد و الجمع الأود بوزن العوج و أصل الباب الثقل.

و قوله: «وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ» فالعلى يعنى بالاقتدار و نفوذ السلطان. و يقال علا بالاقتدار، و لا يقال رفيع، لأن الرفعة من المكان، و العلوّ منقول الى معنى الاقتدار يوضح ذلك قولهم: علا قرنه بمعنى اقتدر و لا يقال ارتفع عليه بمعنى اقتدر و كذلك استعلى عليه بالحجة، و لا يقال ارتفع عليه بالحجة. و تقول: علا يعلو علوّاً و أعلى إعلاء و علّى تعلية و استعلى استعلاء. و تعلى تعلياً. و تعالى تعالياً و اعتلاه اعتلاء، و عالى معالاة. و العلوّ- بضم العين و كسرها- نقيض السفل، و العلوّ التجبر، و منه قوله تعالى: «إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الْأَرْضِ» «۱» أى تجبر، لأنه طلب الاستعلاء على الناس بالسلطان و القهر. و اللّه العالى و المتعالى أى القادر القاهر، لأنه عال بالاقتدار، لأنه لا يعجزه شيء و العالية: القناة المستقيمة، لاستمرارها فى جهة العلوّ. و فلان من علية الناس أى من أشرافهم، لأنه علا بشرفه. و العلية: الغرفة

(۱) سورة القصص آية: ۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۱۱

و أصل الباب العلوّ. و العظيم معناه عظيم الشأن بأنه قادر، و لا يعجزه شيء، و عالم لا يخفى عليه شيء، فلا نهاية لمقدوره و معلومه، و قال قوم: العظيم بمعنى المعظم كما قالوا فى الخمر العتيقة معتقة، و الأول أقوى لأن على هذا كان يجب ألا يوصف بانه عظيم فيما لم يزل و قد علمنا خلافه.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۵۶] ..... ص : ۳۱۱

اشارة

لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى لا انْفِصامَ لَها وَ اللَّهُ سَمِيعٌ

عَلِيمٌ (٢٥٦)

آية واحدة.

المعنى: ..... ص : ٣١١

قيل فى معنى قوله: «لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ» أربعة أقوال: أولها- قال الحسن و قتادة و الضحاك: إنها فى أهل الكتاب خاصة الذين يؤخذ منهم الجزية.

الثاني- قال السدى و ابن زيد: إنها منسوخة بالآيات التى أمر فيها بالحرب نحو قوله: «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» «١» و قوله: «فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقابِ» «٢». الثالث- قال ابن عباس و سعيد بن جبير: إنها نزلت فى بعض أبناء الأنصار و كانوا يهوداً فأريد إكراههم على الإسلام. الرابع- قيل «لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ» أى لا تقولوا لمن دخل فيه بعد حرب إنه دخل مكرها، لأنه إذا رضى بعد الحرب، و صح إسلامه فليس بمكره، فان قيل كيف تقولون «لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ» و هم يقتلون عليه! قلنا المراد بذلك لا إكراه فيما هو دين فى الحقيقة، لأن ذلك من أفعال القلوب إذا فعل لوجه بوجوبه، فأما ما يكره عليه من إظهار الشهادتين، فليس بدين، كما أن من أكره على كلمة الكفر لم يكن كافراً.

و قوله: «قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ» معناه قد ظهر بكثرة الحجج، و الآيات

---

(١) سورة النساء آية: ٨٨.

(٢) سورة محمد آية: ۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٣١٢

الدالة لانضمام ما أتى الرسول فيه الى ما فى الفعل منه و الالف و اللام فى قوله «فِي الدِّينِ» يحتمل أمرين:

أحدهما- أن يكون مثل قوله «فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوى» «١» بمعنى هى مأواه فكذلك «لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ» أى فى دينه، لأنه قد تقدم ذكر اللّه كأنه قال:

لا إكراه فى دين اللّه.

و الثاني- لتعريف دين الإسلام.

اللغة، و المعنى: ..... ص : ٣١٢

و الغى ضد الرشد، تقول غوى يغوى غياً و غواية: إذا سلك خلاف طريق الرشد، و غوى: إذا خاب قال الشاعر:

و من يغو لا يعدم على الغى لائما «٢»

أى من يخب. و غوى الفصيل يغوى غياً: إذا قطع عن اللبن حتى يكاد يهلك و قوله: «رَبِّ بِما أَغْوَيْتَنِي» «٣» يحتمل أمرين: أحدهما- خيبتنى. الثاني- بما حكمت بغوايتى، و منه قوله: «أَغْوَيْناهُمْ كَما غَوَيْنا تَبَرَّأْنا إِلَيْكَ» «۴» و الأصل الغى سلوك طريق الهلاك.

و قوله: «فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ» قيل فيه خمسة أقوال: أحدها- ما روى عن عمر، و مجاهد، و قتادة: أنه الشيطان الثاني- قال سعيد بن جبير: هو الكاهن.

الثالث- قال أبو العالية: هو الساحر. و الرابع- قال قوم: هم مردة الجن و الانس.

الخامس- قال بعضهم: هى الأصنام. و أصل طاغوت من الطغيان، و وزنه فعلوت نحو جبروت، و تقديره: طيغوت إلا أن لام الفعل

قلبت الى موضع العين، كما قيل صاعقة

---

(۱) سورة النازعات آية: ۴۱.

(۲) قائله المرقش الأصغر و صدره:

من يلق خيراً يحمد الناس أمره العقد الفريد ۲: ۱۷۶، ۳: ۷۷، ۵: ۳۳۹.

(۳) سورة الحجر آية: ۳۹.

(۴) سورة القصص آية: ۳۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۱۳

و صاعقة، ثم قلبت الفاً لوقوعها فى موضع حركة، و انفتاح ما قبلها.

و معنى (يُؤْمِنْ بِاللَّهِ) يصدّق بالله.

و قوله (فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى فالعروة الوثقى الايمان بالله، عن مجاهد، و جرى ذلك مجرى المثل لحسن البيان بإخراج ما لا يقع به الاحساس إلى ما يقع به «۱» و العروة: عروة الدّلو و نحوه لأنها متعلقة، و عروت الرجل، أعروه عرواً: إذا ألممت به متعلقاً بسبب منه، و اعتراه «۲» يعتريه: إذا تعلق به، و عرته الحمى تعروه: إذا علقت به و عرّاه يعريه إذا اتخذ له عروة. و أصل الباب التعلق. و قال الازهرى العروة: كل نبات له أصل ثابت، كالشيح و القيصوم، و غيره. شبهت عرى الأشياء فى لزومها.

و قوله: «لَا انْفِصامَ لَها» أى لا انقطاع لها- فى قول السدى-. و الانكسار، و الانفصام و الانصداع و الانقطاع نظائر. قال اعشى بنى ثعلبة.

و مبسمها عن شتيت النبا ت غير أكس و لا منفصم «۳»

و انفصم انفصاماً: إذا انصدع، و فصمته تفصمه فصما: إذا صدعته من غير أن تكسره، و أصل الباب: الفصم، كصدع الزجاج.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۵۷] ..... ص : ۳۱۳

اشارة

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُماتِ أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (۲۵۷)

آية.

المعنى، و اللغة: ..... ص : ۳۱۳

معنى «وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا» نصيرهم، و معينهم فى كل ما بهم إليه الحاجة «۴»، مما

---

(۱) به ساقطة من المطبوعة.

(۲) فى المطبوعة اعتراءهم.

(۳) ديوانه: ۳۰ رقم القصيدة ۴. الشتيت: المتفرق المفلج من الأسنان الكسس:

قصر الأسنان. فى المطبوعة (عرائس) بدل (غير أكس) و روايته: (منقضم).

(۴) هذا ما استنبطناه و فى المطبوعة (كلما تهم اليه الحاجة).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۱۴

فيه صلاح لهم فى دينهم و دنياهم و إنما يوصف بالولى من كان أولى بغيره و أحق بتدبيره. و منه الوالى، لأنه يلى القوم بالتدبير و الأمر، و النهى، و منه المولى من فوق، لأنه يلى أمر العبد بسد الخلة، و ما به إليه الحاجة، و منه المولى من أسفل لأنه يلى أمر المالك بالطاعة، و المولى ابن العم لأنه يلى أمره بالنصرة لتلك القرابة، و ولى اليتيم لأنه يلى أمر ماله بالحفظ له و القيام عليه. و الولى فى الدين و غيره، لأنه يلى أمره بالنصرة و المعونة لما توجبه الحكمة، و المعاقدة لجميع هذه المواضع الأولى و الأحق ملحوظ فيه. و ولّى: إذا أدبر عن الشيء لأنه زال عن أن يليه بوجهه و استولى على الشيء: إذا احتوى عليه، لأنه وليه بالقهر.

و الله تعالى يتولى المؤمنين على ثلاثة أوجه: يتولاهم بالمعونة على إقامة الحجة، و يتولاهم بالنصرة لهم فى الحرب حتى يغلبوا، و يتولاهم بالمثوبة على الطاعة.

و قوله (يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ). و معناه: من ظلمات الكفر إلى نور الايمان، لأن الكفر كالظلمة فى المنع من إدراك الحق كما أن الظلمة مانعة من إدراك البصر. و قال قتادة: يخرجهم من ظلمة الضلالة إلى نور الهدى، و هذا قريب من الأول، و وجه إخراج الله تعالى المؤمنين من ظلمات الكفر و الضلال إلى نور الايمان باهدائهم إليه، و نصب الادّلة لهم، و ترغيبهم فيه، و فعله بهم من الالطاف ما يقوّى دواعيهم إلى الايمان، فإذا اختاروا هم الايمان، فكأن الله أخرجهم منها، و لم يجز أن يقال: إنه أخرج الكفار من الظلمات إلى النور من حيث قدّرهم على الايمان، و دعاهم إليه و رغبّهم فيه، كما فعل بالمؤمنين، لأنهم لم يختاروا الايمان، فلم يجز أن يقال: إنه أخرجهم منه لأنه توهم أنهم فعلوا الايمان. و قوله: (وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُماتِ) إنما أضاف إخراجهم «مِنَ النُّورِ» الذى هو الايمان إلى الكفر إلى الطاغوت، لما كان ذلك باغوائهم، و دعائهم، و إنما كفروا عند ذلك، فأضاف ذلك إليهم، فهو عكس الأول. فان قيل: كيف «يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ» و ما دخلوا فيه؟ التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۱۵

قلنا عنه جوابان:

أحدهما- إن ذلك يجرى مجرى قولهم: أخرجنى والدى من ميراثه. و لم يدخل فيه، و إنما ذلك لأنه لو لم يفعل ما فعل، لدخل فيه، فهو لذلك بمنزلة الداخل فيه الذى أخرج منه. قال الغنوى:

فان تكن الأيام أحسن مرة إلىّ فقد عادت لهنّ ذنوب «۱»

و لم يكن لها ذنوب قبل ذلك.

و الوجه الثانى- قال مجاهد: إنه فى قوم ارتدّوا عن الإسلام، و الاول أليق بمذهبنا، لأن عندنا لا يجوز أن يرتد المؤمن على الحقيقة، و إنما قال «يخرجونهم» على لفظ الجمع. و ان كان الطاغوت واحداً لأنه فى معنى جميع كما قال العباس بن مرداس:

فقلنا: أسلموا انّا أخوكم فقد برئت من الإحن الصدور «۲»

و إنما جاز ذلك فى الخفض، لأن كل واحد يقوم مقام الآخر فصار ذكر واحد ينوب عن جميعه، فأما ما يميز بالخلقة و صار بمنزلة الأشياء المختلفة فقياسه أن يجمع، كرجل و رجال. و إنما حسن فى الطاغوت، لأن جميعه يجرى مجرى واحد فى الضلال.

و فى الآية دليل على فساد قول المجبرة فى المخلوق، و الارادة، لأنه تعالى نسب الإخراج من نور الهدى إلى ظلمة الكفر و الضلال إلى الطاغوت منكراً لتلك الحال، و لم يكن لينكر شيئاً أراده و لا يغيب شيئاً عنه فعله (تعالى اللّه) عن ذلك.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۵۸] ..... ص : ۳۱۵

اشارة

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِی حَاجَّ إِبْراهِیمَ فِی رَبِّهِ أَنْ آتاهُ اللَّهُ الْمُلْکَ إِذْ قالَ إِبْراهِیمُ رَبِّیَ الَّذِی یُحْیِی وَ یُمِیتُ قالَ أَنَا أُحْیِی وَ أُمِیتُ قالَ إِبْراهِیمُ فَإِنَّ اللَّهَ یَأْتِی بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِها مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِی کَفَرَ وَ اللَّهُ لا یَهْدِی الْقَوْمَ الظَّالِمِینَ (٢٥٨)

---

(١) قائله کعب الغنوی من قصیدهٔ یرثی بها أخاه أبا المغوار. المغوار. العقد الفرید ٣: ٢١٧.

و روایته (لقد) بدل (فقد). [.....]

(٢) سیرهٔ ابن هشام ۴: ٩۵، و اللسان (أخو) و مجاز القرآن ١: ٩٧ من قصیدهٔ له فی یوم حنین، و فی هزیمهٔ هوزان یذکر قارب بن الأسود و فراره من بنی أبیه. و الإحن جمع احنهٔ: و هی الحقد.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج٢، ص: ٣١۶

آیهٔ.

القراءهٔ: ..... ص : ٣١۶

قرأ أهل المدینهٔ «أَنَا أُحْیِی وَ أُمِیتُ» بإثبات الألف إذا کان بعدها همزهٔ مضمومهٔ أو مفتوحهٔ. فان کان بعدها همزهٔ مکسورهٔ حذفوها إجماعاً.

المعنی: ..... ص : ٣١۶

قال مجاهد، و قتادهٔ و الربیع: إن المحاج لإبراهیم کان نمرود بن کنعان «١» و هو أوّل من تجبر فی الأرض بادعاء الربوبیهٔ. و قوله: (أَ لَمْ تَرَ إِلَی) دخلت إلی الکلام للتعجب من حال الکافر المحاج بالباطل، کما یقولون: أما تری إلی فلان کیف یصنع، و فیه معنی هل رأیت کفلان فی صنیعه کذا، و إنما دخلت (إلی) لهذا المعنی من بین حروف الجر، لأن إلی لما کانت نهایهٔ صارت بمنزلهٔ هل انتهت رؤیتک إلی من هذه صفته لتدل علی بعد وقوع مثله علی التعجب منه، لأن التعجب إنما یکون مما استبهم شبیه بما لم یجز عادهٔ به، و قد صارت إلی هاهنا بمنزلهٔ کاف التشبیه من حروف الاضافهٔ، لما بینا من العلهٔ إذ کان ما ندر مثله کالذی یبعد وقوعه.

و قوله: (أَنْ آتاهُ اللَّهُ الْمُلْکَ) معناه أعطاه و الهاء فی «آتاه» قال الحسن و أبو علی: إنها کنایهٔ عن المحاج لإبراهیم. و قال أبو حذیفهٔ و البلخی إنها عائدهٔ إلی إبراهیم.

فان قیل: کیف یجوز أن یؤتی اللَّه الکافر الملک؟ قیل: الملک علی وجهین:

أحدهما- یکون بکثرهٔ المال و اتساع الحال، فهذا یجوز أن ینعم اللَّه (عزّ و جلّ) به علی أحد من مؤمن و کافر، کما قال فی قصهٔ بنی إسرائیل:

---

(١) ابن کوش بن منام بن نوح. و قیل: انه نمروذ بن فالخ بن عامر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج٢، ص: ٣١٧

(وَ جَعَلَکُمْ مُلُوکاً وَ آتاکُمْ ما لَمْ یُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعالَمِینَ) «١».

و الثانی- ملک بتملیک الأمر و النهی و التدبیر لأمور الناس، فهذا لا یجوز أن یجعله اللَّه لأهل الضلال لما فیه من الاستفساد بنصب من هذا سبیله للناس، لأنه لا یصح مع علمه بفساده إرادهٔ الاستصلاح به کما یصح منا فیمن لا یعلم باطن حاله ممن یؤمن علینا. و من قال الهاء کنایهٔ عن إبراهیم (ع) لم یتوجه علیه السؤال، لأنه تعالی لم یؤت الکافر الملک، و إنما آتی نبیاً مرسلا.

و قوله «إِذْ قالَ إِبْراهِیمُ رَبِّیَ الَّذِی یُحْیِی وَ یُمِیتُ» معناه یحیی المیت و یمیت الحی، فقال الکافر عند ذلک: أنا أحیی و أمیت، یعنی أحییه بالتخلیة من الحبس ممن وجب علیه القتل و أمیت بالقتل من شئت ممن هو حی، و هذا جهل منه، لأنه اعتمد فی المعارضة علی العبارة فقط دون المعنی، عادلا- عن وجه الحجة بفعل الحیاة للمیت أو الموت للحی علی سبیل الاختراع کما یفعله اللَّه (تعالی) من إحیاء من قتل أو مات و دفن و ذلک معجز لا یقدر علیه سواه، فقال إبراهیم (فَإِنَّ اللَّهَ یَأْتِی بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِها مِنَ الْمَغْرِبِ) و لم یکن ذلک انتقالا من إبراهیم من دلیل إلی دلیل آخر من وجهین:

أحدهما- أن ذلک یجوز من کل حکیم بعد تمام ما ابتدأ به من الحجاج، و علامة تمامه ظهوره من غیر اعتراض علیه بشبهة لها تأثیر عند التأمل، و التدبر لموقعها من الحجة المعتمد علیها.

الثانی- أن إبراهیم إنما قال ذلک لیتبین أن من شأن من یقدر علی إحیاء الأموات و إماتة الأحیاء، أن یقدر علی الإتیان بالشمس من المشرق، فان کنت قادراً علی ذلک فأت بها من المغرب «فَبُهِتَ الَّذِی کَفَرَ» و إنما فعل ذلک، لأنه لو تشاغل معه بأنی أردت اختراع الحیاة و الموت من غیر سبب و لا علاج لاشتبه علی کثیر ممن حضر، فعدل إلی ما هو أوضح و أکشف، لأن الأنبیاء (ع) إنما بعثوا للبیان و الإیضاح، و لیس أمورهم مبنیة علی بناء الخصمین إذا تحاجا، و طلب

---

(۱) سورة المائدة آیة: ۲۲.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۳۱۸

کل واحد غلبة خصمه، فلذلک فعل إبراهیم (ع) ما فعل

و قد روی عن أبی عبد اللَّه (ع) أن إبراهیم قال له: احیی من قتلته إن کنت صادقا، ثم استظهر علیه بما قال.

اللغة: ..... ص : ۳۱۸

و الشمس معروفة و جمعها شموس، و قد شمس یومنا یشمس شموساً، فهو شامس: إذا اشتدت شمسه، و کذلک أشمس. و شمس الفرس شماساً، فهو شموس، إذا اشتد نفوره، لأنه کاشتداد الشمس فی الیوم ما یکون من زیادة حرّها، و توقّدها. و شمس فلان إذا اشتدت عداوته. قال الشاعر:

شمس العداوة حتی یستقاد لهم و أعظم الناس أحلاماً إذا قدروا «۱»

و الشمس فی القلادة و غیرها: دائرة مشرقة کالشمس. و شمس الشیء تشمیساً إذا ألقاه فی الشمس، و تشمس تشمساً: إذا قعد فی الشمس.

المعنی: ..... ص : ۳۱۸

و قوله: (فَبُهِتَ الَّذِی کَفَرَ) معناه تحیر عند الانقطاع بما بان من ظهور الحجة. فان قیل هلّا قال لإبراهیم. فلیأت ربک بها من المغرب؟ قلنا عن ذلک جوابان:

أحدهما- أنه لما علم بما رأی من الآیات منه أنه لو اقترح ذلک لفعل اللَّه ذلک فتزداد نصیحته، عدل عن ذلک، و لو قال ذلک و اقترح لأتی اللَّه بالشمس من المغرب تصدیقاً لإبراهیم (ع).

و الجواب الثانی- أنه (تعالی) خذله عن التلبیس و الشبهة.

اللغة: ..... ص : ۳۱۸

و فى بهت ثلاث لغات: بُهت على لفظ القرآن، و بُهت و بَهت على وزن ظرف و حـذر، و حكى بهت على وزن ذهب و البهت: الحيرة عند استيلاء الحجة، لأنها كالحيرة للمواجهة بالكذب، لأن تحير المكذب فى مذهبه كتحير المكذوب عليه،

---

(١) قائله الأخطل. اللسان (شمس).

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٣١٩

و منه قوله: (أَ تَأْخُذُونَهُ بُهْتاناً وَ إِثْماً مُبِيناً) «١» كأنه قال أ تأخـذونه ادعاء للكـذب فيه. و فى إبراهيم خمس لغات إبراهيم، و ابراهام، و ابراهم، و ابراهَم، و ابراهِم بإسقاط الياء و تعاقب الحركات الثلاث عليه.

المعنى: ..... ص : ٣١٩

و قوله (وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) لا يعارض قوله: (وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى «٢» لأن الهدى يتصرف على وجوه و أصـله واحـد و هو الدلالـة على الطريق المؤدى إلى البغيـة و اللَّه (تعـالى) قـد هـدى جميع المكلفين بأن دلّهم على طريق الحق و خص المؤمنين فى هـدايته لهم بالمعونـة على سـلوك طريق الحق، لأنه بمنزلـة الدلالة على طريق الحق و اللَّه (تعالى) لا يهدى للمعونة على بلوغ البغية فى فساد القوم الظالمين. و فى الآية دلالة على فساد «٣» قول من يقول:

المعارف ضـرورة، لأنها لو كانت ضرورة لما حاج إبراهيم الكافر، و لا ذكر له الدلالة على إثبات الصانع، و فيها دلالة على فساد التقليد و حسن المحاجة و الجدال، لأنه لو كان ذلك غير جائز لما فعل إبراهيم (ع) ذلك.

قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ٢٥٩] ..... ص : ٣١٩

اشارة

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلى قَرْيَةٍ وَ هِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها قالَ أَنَّى يُحْيِي هذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِها فَأَماتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قالَ كَمْ لَبِثْتَ قالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عامٍ فَانْظُرْ إِلى طَعامِكَ وَ شَرابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَ انْظُرْ إِلى حِمارِكَ وَ لِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَ انْظُرْ إِلَى الْعِظامِ كَيْفَ نُنْشِزُها ثُمَّ نَكْسُوها لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩)

آية واحدة.

---

(١) النساء آية: ١٩.

(٢) حم السجدة آية: ١٧.

(٣) «على فساد» ساقطة من المطبوعة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٣٢٠

القراءة: ..... ص : ٣٢٠

قرأ حمزة، و الكسائى، و خلف، و يعقوب. و الكسائى عن أبى بكر (يتسنّ) بحـذف الهاء و فى الوقف بإثباتها بلا خلاف. قرأ ابن عامر و أهل الكوفة (ننشزها) بالزاى الباقون بالراء. و قرأ حمزة و الكسائى (قال اعلم) بهمزة موصولة الباقون بقطعها.

الاعراب: ..... ص : ۳۲۰

هذه الآية معطوفة على الآية الأولى و تقديره أ رأيت ك «الَّذِي حَاجَّ إِبْراهِيمَ فِي رَبِّهِ» و ك «كَالَّذِي مَرَّ عَلى قَرْيَةٍ» و موضع الكاف نصب ب (تر) و معناه التعجب منه لأن كلما خرج فى بابه يعظمه عن حد نظائره مما يتعجب منه نحو (ما أجهله) أى قد خرج بعظم جهله عن حد نظائره، و كذلك لو قلت: هل رأيت كزيد الجاهل، لدللت على مثل الأول فى التعجب، لما بينا إلا أن (ما أفعله) صيغة موضوعة للتعجب، و ليس كذلك هل رأيت لأنها فى الأصل للاستفهام، و نحو قولك: هل رأيت فى الدنانير مثل هذا الدينار فهذا استفهام محض لا تعجب فيه، لأن أمثاله كثير، فلم يخرج بعظم حاله عن حد نظائره، كما خرج الأول بعظم جهله. و قيل: الكاف زائدة للتوكيد، كما زيدت فى ليس كمثله شيء و الأول الوجه، لأنه لا يحكم بالزيادة إلا للضرورة.

المعنى: ..... ص : ۳۲۰

و قال قتادة و الربيع:

الذى مر على قرية هو عزير، و روى ذلك عن أبى عبد اللَّه (ع).

و قال وهب بن منبه:

هو أرميا، و هو المروى عن أبى جعفر (ع).

و قال ابن إسحاق: هو الخضر، و القرية التى مرَّ عليها. قال وهب بن منبه، و قتادة، و الربيع هى بيت المقدس لما خر به بخت نصر، و قال ابن زيد: هى القرية التى خرج منها الألوف «حَذَرَ الْمَوْتِ». و قوله: «وَ هِيَ خاوِيَةٌ» معناه خاليه. و قال ابن عباس، و الربيع، و الضحاك خراب. قال قوم: معناه و هى قائمة على أساسها و قد وقع التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۲۱

و قد وقع سقفها. و أصل الخواء «۱» الخلاء قال الراجز:

يبدو خواء الأرض من خوليه «۲»

و الخواء: الفرجة بين الشيئين يخلو ما بينهما. و خوت الدار فهى خاوية.

تخوى خواء. إذا باد أهلها بخلوها منهم و الخوى: الجوع، خوى يخوى خوى: يخلو البطن من الغذاء. و التخوية التفريج بين العضدين و الجبينين يخلو ما بينهما بتباعدهما.

و التخوية تمكين البعير لنفسه فى بروكه، لأنه تفحصه الأرض بخلوها مما يمنع من تمكنه. و اخواء النجم: سقوطه من غير مطر بخلوه من المطر. خوى النجم و اخوى. و خوى المنزل إذا تهدم، لأنه بتهدمه يخلو من أهله و أصل الباب الخلو.

و قوله: «عَلى عُرُوشِها» يعنى على أبنيتها و منه «وَ ما كانُوا يَعْرِشُونَ» «۳» أى يبنون. و منه عريش مكة: أبنيتها و خيامها، و كل بناء: عرش، عرش يعِرش و يعرُش عرشاً: إذا بنى. و العرش البيت، و جمعه عروش لارتفاع أبنيته.

و العرش: السرير، لارتفاعه على غيره. و عرش الرجل: قوام أمره و عرش البيت:

سقفه، لارتفاعه. و التعريش جعل الخشب تحت الكرم ليمتد عليه. تقول:

عرشته تعريشاً. و عرشته أعرشه عرشاً. و ذلك، لارتفاعه فى امتداده على الخشب الذى تعمده. و التعريش رفع الحمار رأسه شاحيا فاه على عانته، عرش بعانته تعريشاً. و العريش ظلة من شجر أو نحوه، لارتفاعه على ما يستره. و عرش البئر طيّها بالخشب بعد طيها بالحجارة. و العرشان من الفرس: آخر شعر العرف لارتفاع العرف على العنق. وثل عرشه: إذا قتله. و أصل الباب: الارتفاع.

و القرية أصلها من قريت الماء: إذا جمعته، سميت بذلك لاجتماع الناس فيها للاقامة بها.

المعنى: ..... ص : ۳۲۱

و قوله «أَنَّى يُحْيِي هذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِها» معناه كيف، و ذلك يدل على أن

---

(۱) فى المطبوعة (الخوأ)

(۲) فى المطبوعة (خو)

(۳) سورة الاعراف آية: ۳۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۲۲

«انى». فى قوله «فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ» «۱» معناه كيف شئتم دون ما قاله بعضهم من أن معناه حيث شئتم، لان معناه هاهنا لا يكون إلا على كيف.

و لقائل أن يقول: إن اللفظ مشترك. و إنما يستفاد بحسب مواضعه. و قال الزجاج:

معناه من أين فى الموضعين.

و قوله «فَأَماتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ» قال أبو على لا- يجوز أن يكون الذى أماته ثم أحياه نبيا لأن اللّه تعالى عجب منه و لو لا ذلك، لجاز أن يكون نبيا على أنه شك فى ذلك قبل البلوغ لحال التكليف، ثم نبى فى ما بعده، و على هذا لا يمتنع أن يكون نبياً فى ما تقدم. و الأول أقوى، و أقرب. و يجوز هذه الآية أن تكون فى غير زمان نبى. و قال الجبائى: لا يجوز ذلك لأن المعجزات لا تجوز إلا للأنبياء لأنها دالة عليهم. فلو وقعت المعجزة فى غير زمن نبى لم يكن وقوعها دليلا- على النبوة، و هذا ليس بصحيح- عندنا- لأن المعجزات تدل على صدق من ظهرت على يده، و ربما كان نبياً و ربما كان إماماً أو ولياً للّه، و ما روى أن الحياة جعلت فى عينيه أولا- ليرى كيف يحيى اللّه الموتى لا- يجوز، لأن الرأى هو الإنسان بكماله غير أنه يجوز أن يكون أول ما نفخ فيه الروح عيناه، و تكون الحياة قد وجدت فى جميع الروح، و لم يحصل فى البدن من الروح إلا ما فى العينين دون ما فى البدن.

اللغة، و المعنى: ..... ص : ۳۲۲

و قوله: (مِائَةَ عامٍ) معناه مائة سنة، و العام جمعه أعوام، و هو حول يأتى بعد شتوة و صيفة، لأن فيه سبحاً طويلًا بما يمكن من التصرف فيه. و العوم:

السباحة. عام فى الماء يعُوم عوماً: إذا سبح. و السّفينة تعوم فى جريها.

و الإبل تعوم فى سيرها، لأنها تسبح فى السير بجريها. و الاعتيام: اصطفاء خيار مال الرجل ليجرى «۲» فى أحده له شيئاً بعد شىء كالسابح فى الماء الجارى

---

(۱) سورة البقرة آية: ۲۰۵

(۲) فى المطبوعة (لا يجرى)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۲۳

و اعتام الموت النفوس أولًا أولًا، لأنه يجرى فى أحدها حالًا بعد حال كجرى السابح فى الماء، و أصل الباب السبح.

و قوله: «ثُمَّ بَعَثَهُ» يعنى أحياه. و قوله: «كَمْ لَبِثْتَ» موضع نصب بلبثت، كأنه قيل: أ مائة سنة لبثت أو أقل أو أكثر؟ فقال «لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ» لأن اللّه تعالى أماته فى أول النهار و أحياه بعد مائة سنة فى آخر النهار، فقال:

«يوما» ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال «أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ». و اللبث المكث، لبث لبثاً فهو لابث و تلبث تلبثاً إذا تمكث و لبثه تلبيثا، و أصل الباب المكث.

و قوله: «فَانْظُرْ إِلى طَعامِكَ وَ شَرابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ» معناه لم تغيره السنون.

و قيل: كان زاده عصيراً و تيناً و عنباً، فوجد العصير حلواً، و التين، و العنب كما جناه لم يتغير، أو هو مأخوذ من السنة، و الأصل فيه على قولهم: سانيته مساناة إذا عاملته سنة سنة أن يكون فى الوصل لم يتسن، نحو لم يتعد، و الأصل الواو، بدليل قولهم سنوات فإذا وقف جاء بهاء السكت، و يجوز أن يكون على قولهم: سانهة و سنهات، و اكتريت مسانهة. و الهاء على هذا أصلية مجزومة بلم، و لا يجوز أن يكون من الأسن، لأنه لو كان منه لقيل لم يتأسن. قال الزجاج لا يجوز أن يكون من قوله: «مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ» «١» لأن معنى مسنون منصوب على سنة الطريق قال الشاعر:

ليست بسنهاء و لا رُجبّيَّة و لكن عرايا فى السنين الجوائح «٢»

فجعل الهاء أصلية. و السنهاء: النخلة القديمة، لأنه قد مرت عليها سنون

---

(١) سورة الحجر آية: ٢٦، ٢٨، ٣٣

(٢) قائله سويد بن الصامت الانصارى و قيل أحيحة بن الجلاح. اللسان (عرا)، (خور)، (رحب)، (قرح)، (سنه) و أمالى القالى ١: ٢١. الرجبية- بضم الراء و تشديد الجيم المفتوحة أو فتحها بغير تشديد-: نسبة شاذة الى رجبة- ضم فسكون-: البناء تحت النخلة الكريمة لدعمها إذا خيف عليها لكثرة حملها. و العرايا جمع عرية و هى التى يوهب ثمرها فى عامها. الجوائح: السنين المجدبة. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٣٢٤

كثيرة. و إنما علم بأنه مات مائة سنة بشيئين:

أحدهما- باخبار من أراه المعجزة فى نفسه و حماره و طعامه، و شرابه من تقطع أوصاله، ثم اتصال بعضها الى بعض حتى رجع الى حاله التى كان عليها فى أول أمره.

و الآخر- بالآيات الدالة على ذلك لما رجع الى وطنه فرأى ولد ولده شيوخاً و قد كان خلف أباهم شبابا الى غير ذلك من الأمور التى تغيرت، و الأحوال التى تقلبت مع تظاهر الأخبار عما يسأل عنه أنه كان فى مائة سنة.

و قوله: «وَ لِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ» قيل بعث و أولاده أولاده شيوخ.

و روى عن على (ع) أن عزيراً خرج من أهله و امرأته حامل و له خمسون سنة.

فأماته اللَّه مائة سنة، ثم بعثه فرجع إلى أهله ابن خمسين سنة و له ابن له مائة سنة، فكان ابنه أكبر منه، و ذلك من آيات اللَّه.

و قيل: لتتعظ أنت و يتعظ الناس بك، فيكون الاعتبار عاماً. و دخلت الواو فى الكلام لاتصال اللام بفعل محذوف كأنه قال: و لنجعله آية للناس. فعلنا ذاك، لأن الواو لو سقطت اتصلت اللام بالفعل المتقدم.

و قوله: «وَ انْظُرْ إِلى حِمارِكَ» فالحمار يقال للوحشى و الأهلى لأن الحمرة أغلب على الوحشى ثم صار لكل حمار تشبيهاً بالوحشى، و الحمرة لون أحمر تقول: احمر احمراراً و احمار احميراراً و المحمر: فرس هجين، لأنه كالحمار فى التقصير، و حمارة القيظ: شدّة حرّه، و حمار السرج الذى يركبه السرج و حمر فو الفرس يحمر حمرا إذا أنتن. و الحمارة حجارة عريضة توضع على اللحد لركوب التراب عليها كالحمار و جمعها حمائر. و ما يخفى على الأسود و الأحمر أى العرب و العجم، لأن السواد أغلب على لون العرب كما الحمرة أغلب على العجم. و موت أحمر:

شديد مشبه بحمرة النار فى شدة الإيقاد. و عبث حمر شديد، و أصل الباب الحمرة. و منه الحمرة طائر كالعصفور، لأنه تغلب عليه الحمرة.

و قوله: «وَ انْظُرْ إِلَى الْعِظامِ كَيْفَ نُنْشِزُها» فمن قرأ بالراء غير المعجمة التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۲۵
ذهب إلى النشور، و هو الحياة بعد الموت. نشر الميت: إذا عاش و نشره اللَّه و أنشره:
إذا أحياه. و منه قوله «ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ» «۱» و قوله: «ثُمَّ إِذا شاءَ أَنْشَرَهُ» «۲» و النشر خلاف الطى. يقال: نشرت الثوب و غيره أنشره نشراً و انتشر انتشاراً. و النشر إذاعة الحديث و النشر: الرائحة الطيبة، و ربما قيل فى الخبيثة. و النشر نحت «۳» العود بالمنشار. و النشر نبات الربيع. و النشر: اكتساء البازى ريشاً واسعاً طويلًا. و النشرة عن المريض الرقية حتى يفيق و التناشر: عرض كتابة الغلمان على المعلّم ينشرونه عليه أى يرونه إياه، و ذلك لبسط الكتاب بين يديه. و أصل الباب الانبساط. و من قرأ بالزاء فمعناه يرفع بعضها إلى بعض و أصل النشوز: الارتفاع فمنه النشز المرتفع من الأرض. و منه نشوز المرأة رفعها عن طاعة زوجها.
و قوله: «ثُمَّ نَكْسُوها لَحْماً» معناه نغطيها باللحم كما نغطى باللباس. و إنما قيل ذلك لأجل التفصيل الذى كان عليه، فوصله اللَّه عز و جل حتى صار كجزء.
منه قال الجعدى «۴»:
فالحمد للَّه إذ لم يأتنى أجلى حتى اكتسيت من الإسلام سربالا «۵»
فجعل الإسلام غطاء للكفر كما يجعل غطاء للمعصية قوله «فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ» أى ظهر. «قالَ أَعْلَمُ» فمن قطع الهمزة جعل ذلك أخباراً عن نفسه و من وصلها احتمل أمرين:
أحدهما- أن يكون ذلك أمراً من اللَّه له. و الثانى- أن يكون تذكيراً للنفس بالواجب و أخرجه مخرج الأمر لها كأنه قال: يا أيها الإنسان. و فى الآية دليل على بطلان قول من قال: المعارف ضرورة، لأنه لما شك أراه اللَّه الآيات التى

---

(۱) سورة المؤمنون آية: ۱۴.
(۲) سورة عبس آية: ۲۲.
(۳) فى المطبوعة (حث).
(۴) هو النابغة الجعدى. و قيل: انه للبيد بن ربيعة العامرى. و قيل: لقردة بن نفاثة السلولى.
(۵) ديوان النابغة: ۸۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۲۶
استبصر بها و لو كان مضطراً إلى المعرفة باللَّه و ما يجوز عليه و ما لا يجوز لم يحتج إلى دليل يعلم به ما هو مضطر إليه و كان يقال: ان عند الموت لم تحصل له المعارف الضرورية كما يحصل لمن لا يريد اللَّه إعادته إلى التكليف فتكون الاماتة كالنوم.
و المعلوم خلافه.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۶۰] ..... ص : ۳۲۶

اشارة

وَ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتى قالَ أَ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلى وَ لكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَ اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (۲۶۰)
آية واحدة بلا خلاف.

القراءة: ..... ص : ۳۲۶

قرأ حمزة وحده «فصرهن» بكسر الصاد. الباقون بضمها.

الاعراب: ..... ص : ٣٢٦

العامل في قوله: «و إذ» يحتمل أن يكون أحد شيئين: أحدهما- ما قال الزجاج: و اذكر إذ قال. و الثاني- أ لم تر إذ قال عطفا على «أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْراهِيمَ فِي رَبِّهِ».

المعنى: ..... ص : ٣٢٦

و قيل في سبب سؤال إبراهيم أن يريه كيف يحيي الموتى ثلاثة أقوال:

أحدها- قال الحسن، و قتادة، و الضحاك،

و أبو عبد اللَّه الصادق (ع): أنه رأى جيفة قد مزَّقها السباع تأكل منها سباع البرّ و سباع الهواء و دواب البحر فسأل اللَّه (تعالى) أن يريه كيف يحييها

و قال ابن إسحاق كان سبب ذلك منازعة نمرود له في الأحياء، و توّعده إياه بالقتل إن لم يحيي اللَّه الميت بحيث يشاهده، و لذلك قال التبيان في تفسير القرآن، ج٢، ص: ٣٢٧

ليطمئن قلبي إلى أنه لا يقتلني الجبار، و قال قوم إنما سأل ذلك لقومه، كما سأل موسى الرّؤية، لقومه. و قال قوم: إنما سأله، لأنه أحب أن يعلم ذلك علم عيان بعد أن كان عالماً به من جهة الاستدلال. و هو أقوى الوجوه. و قال قوم: إنما سأل ذلك، لأنه كان شاكاً فيه. و روى فيه رواية، فهذا باطل، لأن الشك في أن اللَّه قادر على احياء الموتى كفر لا يجوز على الأنبياء، لأنه تعالى لا يجوز أن يبعث إلى خلقه من هو جاهل بما يجوز عليه و ما لا يجوز. و الذي يبين ذلك أن اللَّه تعالى لما قال له «أَ وَ لَمْ تُؤْمِنْ» فقرر أنه قال إبراهيم «بَلى وَ لكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي» فبين أنه عارف بذلك مصدق به، و إنما سأل تخفيف المحنة بمقاساة الشبهات، و دفعها عن النفس.

و الالف في قوله «أَ وَ لَمْ تُؤْمِنْ» ألف إيجاب قال الشاعر:

أ لستم خير من ركب المطايا و أندى العالمين بطون راح «١»

أي قد آمنت لا محالة، فلم تسأل ذا، فقال: «لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي» و قوله (لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) معناه ليزداد يقيناً إلى يقينه، و هو قول الحسن، و قتادة، و سعيد بن جبير، و الربيع، و مجاهد، و لا يجوز «لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي» بالعلم بعد الشك الذي قد اضطرب به لما بيناه، و لكن يجوز أن يطلب علم البيان بعد علم الاستدلال. و قيل معناه «لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي» بأن لا يقتلني الجبار.

اللغة و المعنى: ..... ص : ٣٢٧

و يقال: اطمأن يطمئن اطمئناناً: إذا تواطئوا المطمئن من الأرض ما انخفض و تطامن، و اطمأن إليه إذا وثق به، لسكون نفسه إليه، و لتوطى حاله بالأمانة عنده، و أصل الباب التوطئة.

و قوله: (قالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ) قيل أنها الديك، و الطاووس، و الغراب، و الحمام. أمر أن يقطعها و يخلط ريشها بدمها، و يجعل على كل جبل منهن جزءاً،

---

(١) مر تخرجه ١: ١٣٢- ٤٠٠.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۲۸

هذا قول مجاهد، و ابن جريج، و ابن زيد، و ابن إسحاق، و الطير معروف يقال:

طار يطير طيراناً و أطاره اطارة و طيره تطييراً، و تطاير تطايراً و طايره مطايرة، و استطار استطارة، فأما تطير تطيراً فمن الطيرة لأنه زجر الطير بما يكره، و تطاير الشيء إذا تفرق فى الهواء، و طائر الإنسان: عمله الذى قلّده من خير أو شر، لأنه كطائر الزجر فى البركة أو الشؤم قال اللّه (تعالى) (وَ كُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ) «۱» و المطير ضرب من الوشى لأن عليه تماثيل الطيور. و فجر مستطير أى منتشر فى الأفق كانتشار الطيران. و غبار مستطار، كذا كلام العرب للفرق و فرس مطار و هو الحديد الفؤاد لأنه طيار فى جريه و أصل الباب الطيران.

و قوله (فصرهن) فمن قرأ بضم الصاد احتمل معنيين:

أحدهما- يقطعهن على قول ابن عباس، و سعيد بن جبير، و الحسن، و مجاهد.

و قال توبة بن الحمير:

فأدنت لى الأسباب حتى بلغتها بنهضى و قد كان ارتقائى يصورها «۲»

أى يقطعها.

و الثانى- أن معناه اضممهن إليك على قول عطا و ابن زيد من صاره يصوره صوراً: إذا أماله. قال المعلى «۳» العبدى:

و جاءت خلعة دهس صفايا يصور عنوقها أحوى زنيم «۴»

معناه أن هذه الغنم يعطف عنوقها هذا التيس الأحوى، و من قال بالكسر احتمل ذلك أيضاً الوجهين اللذين ذكرناهما فى الضم و قال بعض بنى سليم:

---

(۱) سورة الأسرى آية: ۱۳.

(۲) بنهضى أى بنهوضى.

(۳) هو المعلى بن جمال العبدى. فى المطبوعة (المعلم) بدل (المعلى).

(۴) اللسان: (ظأب) (ظاب) (صور) (دهس) (خلع) (صوع) (عشق) (زنم) و فى بعض الروايات (يصوع) بدل (يصور). الخلعة- بكسر الخاء و ضمها-: خيار المال. و الدهس جمع دهساء و هى من المعزى السوداء المشربة حمرة لا تغلو. الأحوى من المعزى: التيس الذى تضرب حمرته الى السواد. و الزنيم الذى له زنمتان فى حلقه.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۲۹

و فرع يصير الجيد و حفٍ كأنه على الليت قنوان الكروم الدّوالح «۱»

معناه يميل الجيد. و إذا كان بمعنى قطعهن فإليك من صلة خذ «۲». و إذا كان بمعنى أملهن يجوز أن يكون إلى متعلقاً به «۳». و يجوز أن يكون متعلقاً بصرهن، و هو الأقوى على قول سيبويه لأنه أقوى كذا قال أبو على الفارسى و إذا كان بمعنى أملهن إليك و قطعهن «ثُمَّ اجْعَلْ عَلى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً». و الصور العطف يقال صاره يصوره صورا إذا عطفه. قال الشاعر:

و ما يقبل الأحياء من حب خندف و لكن أطراف الرياح يصورها

و الصور التقطيع. صاره يصوره. و الصور: ميل لأنه انقطاع إلى الشىء بالميل إليه و منه الصورة لتقطيعها بالتأليف على بعض الأمثلة صور يصور تصويراً و تصوَّر تصورا و الصوار: القطيع من بقر الوحش، لانقطاعه بالانفراد عن غيره.

و الصِّيِور: النخل الصغار، و الصور: قرن ينفخ فيه لاجتماع الصورة به. و يجوز للانقطاع إليه بالدعاء إليه و الصور: جمع صورة. و الصوار. النفحة من المسك و أصل الباب القطع. و قال الفراء: صاره يصيره بمعنى قطعه من المقلوب من صراه يصريه و أنشد:

يقولون ان الشام يقتل أهله فمن لى إذا لم آته بخلود

تعرب آبائى فهلا صراهم من الموت أن لم يذهبوا و جدودى «۴»

قال المبرّد لا يجوز ذلک، لأن سيبويه قال: إن كل واحد من اللفظين إذا تصرف فى بابه لم يكن أحدهما أصلا للآخر: نحو جذب يجذب جذباً، فهو جاذب،

---

(١) اللسان: (صير) و معانى القرآن للفراء ١: ١٧۴. الفرع: الشعر التام. الوحف: الأسود الحسن الكثير. الليت: العنق. قنوان جمع قنو- بكسر و سكون- عذق النخل بما فيه من الرطب و استعاره هنا لعناقيد العنب. و الدوالح جمع دالح و هو المنقل بالحمل- هنا- و أصله فى ما يمشى. يقال بعير دالح.

(٢) فى المطبوعة (خذ) غير منقطة.

(٣) فى المطبوعة (عليه) بدل (به).

(۴) فى المطبوعة (فمن ان انه بخلود) و (يعرب) بدل (تعرب) اللسان: (شأم)- ذكر البيت الأول فقط-. و معانى القرآن للفراء ۴: ١٧۴ تعرب القوم: سكنوا البادية. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٣٣٠

و جبذ يجبذ جبذا فهو جابذ فلذلک لما تصرف صاره يصيره صيراً كما ينصرف صراه يصريه صرياً، لم يكن أحدهما أصلا للآخر، و لكن المقلوب نحو قسى لأن بابه على تأخير السين نحو قوس، و اقواس و قويس.

المعنى: ..... ص : ٣٣٠

و قوله «ثُمَّ اجْعَلْ عَلى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً» قال ابن عباس، و الحسن و قتادة: إنها كانت أربعة. و قال ابن جريج، و السدى: كانت سبعة. و قال مجاهد، و الضحاک كل جبل على العموم بحسب الإمكان، كأنه قيل كل فرقة على جبل يمكنک التفرقة عليه.

و روى عن أبى جعفر، و أبى عبد الله (عليهما السلام) «١»

أنها كانت عشرة.

و فى رواية أخرى أنها كانت سبعة،

و الفرق بين الجزء و السهم أن السهم من الجملة ما انقسمت عليه، و ليس كذلک الجزء نحو الاثنين و هو سهم من العشرة لأنها تنقسم عليه، و ليس كذلک الثلاثة و هو جزء منها لأنه بعض لها فان قيل:

كيف أجيب ابراهيم إلى آيات الآخرة دون موسى فى قوله «رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ». «٢» قيل عنه جوابان:

أحدهما- أنه سأل أية لا يصح معها بقاء التكليف من وقوع الضرورة التى لا يعترضها الشكوک بوجه من الوجوه، و ابراهيم إنما سأل فى شىء خاص يصح معه التكليف.

و القول الآخر- أن الأحوال قد تختلف فيكون الأصلح الأصوب فى بعض الأوقات الاجابة، و فى وقت آخر المنع فيما لم يتقدم فيه إذن. فان قيل: كيف قال:

«ثم ادعهن» و دعاء الجماد قبيح؟ قلنا إنما أراد بذلک الاشارة إليها و الإيماء لتقبل عليه إذا أحياها اللّه. فأما من قال أنه جعل على كل جبل طيراً ثم دعاها فبعيد، لأن ذلک لا يفيد ما طلب، لأنه إنما طلب ما يعلم به كونه قادراً على إحياء الموتى، و ليس فى مجىء طير حى بالإيماء إليه ما يدل عليه. و فى الكلام حذف، فكأنه قال: فقطعهن

---

(۱) فی المطبوعهٔ زیادهٔ عنها فی هذا الموضع.

(۲) سورهٔ الاعراف آیهٔ: ۱۴۲.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۳۳۱

و اجعل علی کل جبل منهن جزأ فان اللَّه یحییهن، فإذا أحیاهن فادعهن یأتینک سعیاً، فیکون الإیماء إلیها بعد أن صارت أحیاء، لأن الإیماء إلی الجماد لا یحسن، فان قیل: إذا أحیاها اللَّه کفی ذلک فی باب الدلالهٔ، فلا معنی لدعائها، لأن دعاء البهائم قبیح؟ قلنا: وجه الحسن فی ذلک أنه یشیر إلیها، فسمی ذلک دعاء لتأتی إلیه فیتحقق کونها أحیاء و یکون ذلک أبهر فی باب الاعجاز. و قال الطبری معنی الدعاء هاهنا الاخبار عن تکوینها أحیاء کما قال «کُونُوا قِرَدَهً خاسِئِینَ» «۱» و قوله:
«ائْتِیا طَوْعاً أَوْ کَرْهاً قالَتا أَتَیْنا طائِعِینَ».

اللغهٔ: ..... ص : ۳۳۱

و الجبل وتد من أوتاد الأرض معروف. و جبل فلان علی کذا أی طبع علیه و أجبل القوم أجبالًا: إذا صاروا فی الجبال و تجبلوا إذا دخلوها، و رجل ذو جبلهٔ إذا کان غلیظ الجسم، لأنه کالجبل فی الغلظ. و الجبلهٔ الأمهٔ من الناس و أجبل الحافر: إذا أفضی إلی صلابهٔ لا یمکنه الحفر فیه، و منه أجبل الشاعر إذا صعب علیه القول، و الجزء: بعض. الجزإ جزأته تجزئهٔ إذا بعضته، و الجزء الاجتزاء بالرطب عن الماء جزأت الوحشیهٔ جزوءا لاکتفائها بالجزء الذی فی الرطب منه و الجزاء نصاب السکین و أصل الباب الجزء البعض.

قوله تعالی:[سورهٔ البقرهٔ (۲): آیهٔ ۲۶۱] ..... ص : ۳۳۱

مَثَلُ الَّذِینَ یُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ کَمَثَلِ حَبَّهٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِی کُلِّ سُنْبُلَهٍ مِائَهُ حَبَّهٍ وَ اللَّهُ یُضاعِفُ لِمَنْ یَشاءُ وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِیمٌ (۲۶۱)

آیهٔ واحدهٔ بلا خلاف.

هذه الآیهٔ متصلهٔ بقوله: «مَنْ ذَا الَّذِی یُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً» و ما بینهما الاعتراض بالاستدعاء إلی الحق مما أمر اللَّه بالحجج و العبر التی ذکرها من احیاء

---

(۱) سورهٔ البقرهٔ آیهٔ: ۶۵.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۳۳۲

الموتی لإبراهیم و من حاجه للذی ادعی أنه رب العباد إلی غیر ذلک مما تقدم ذکره مع البیان عنه و قال الربیع و السدی الآیهٔ تدل علی أن النفقهٔ فی سبیل اللَّه بسبعمائهٔ ضعف لقوله «سَبْعَ سَنابِلَ» فأما غیرها فبالحسنهٔ عشرهٔ. و قد بینا فی ما تقدم
أبواب البر کلها من سبیل اللّه فیمکن أن یقال ذلک عام فی جمیع ذلک. و الذی ذکرناه مروی عن أبی عبد اللّه (ع)
و اختاره الجبائی: فان قیل هل رئی فی سنبلهٔ مائهٔ حبهٔ حتی یضرب المثل بها؟ قیل عنه ثلاثهٔ أجوبهٔ: أولها- أن ذلک متصور فشبه لذاک و إن لم یر کما قال امرؤ القیس:
و مسنونهٔ زرق کأنیاب أغوال
و قال تعالی «طَلْعُها کَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّیاطِینِ» «۱» الثانی- أنه قد رئی ذلک فی سنبل الدخن. الثالث- أن السنبلهٔ تنبت مائهٔ حبهٔ فقیل فیها علی ذلک المعنی- کما یقال- فی هذه الحبهٔ حب کثیر و الاول هو الوجه. و الوعد بالمضاعفهٔ لمن أنفق فی سبیل اللَّه- فی قول ابن عباس- و قال الضحاک و لغیرهم من المطیعین. و قوله: «أنبتت» فالنبت الحشیش و کلما ینبت من الأرض یقال فیه نبت نبتاً. و نباتاً. و

أنبته اللَّه إنباتاً: و نبته تنبيتاً قال (تعالى): «وَ اللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً» «۲» على تقدير فنبتم نباتاً و انه لحسن النبت. و المنبت الأصل. فلان فى منبت صدق أى فى أصل كريم، لأنه يخرج منه كما يخرج النبات. و النبوت: شجر الخشخاش. و أنبت الغلام: إذا راهق و استبان شعر عانته.

و السنبلة على وزن فنعله لقولهم أسبل الزرع بمعنى سنبل إذا صار فيه السنبل.

و الأصل فيه الاسبال، و هو إرسال الستر و نحوه. فمنه أسبل الزرع، لأنه استرسل بالسنبل كما يسترسل الستر فى الاسبال فيطول، لأنه صار فيه حب مستور كما يستر بالاسبال. فأما السبيل الطريق، فلأنه يرسل فيه المار به.

و المائة: عدد معروف يجمع على مئات و مئين «۳». و يقال أمأت الغنم إذا بلغت مائة. و أمأيتها أنا أى وفيتها مائة. و المأى «۴» النميمة بين القوم

---

(۱) سورة الصافات آية: ۶۵.

(۲) سورة نوح آية: ۱۷.

(۳) فى المطبوعة (مبين و ميون).

(۴) فى المطبوعة (و الثانى).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۳۳

مأيت بينهم أمأى إذا دببت بينهم بالشر.

و قوله (واسِعٌ عَلِيمٌ) معناه واسع المقدرة لا يضيق عنه ما شاء من الزيادة «عليم» بمن يستحق الزيادة- على قول ابن زيد- و يحتمل أن يكون المراد «واسع» الرحمة لا يضيق عن مضاعفة «عليم» بما كان من النفقة.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۶۲] ..... ص : ۳۳۳

اشارة

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ ما أَنْفَقُوا مَنًّا وَ لا أَذىً لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (۲۶۲)

آية بلا خلاف.

الاعراب: ..... ص : ۳۳۳

«الذين» رفع بالابتداء. و «ينفقون» خبره و «أموالهم» نصب لأنه مفعول به.

اللغة و المعنى: ..... ص : ۳۳۳

و الإنفاق إخراج الشيء عن الملك. و قوله «فِي سَبِيلِ اللَّهِ» قال ابن زيد:

هو الجهاد. و قال الجبائى:

أبواب البرّ كلها، و هو الصحيح عندنا. و المروى عن أبى عبد اللَّه (ع).

و قوله: «ثُمَّ لا- یُتْبِعُونَ ما أَنْفَقُوا مَنًّا» فالمن هو ذکر ما ینغص المعروف کقول القائل: أحسنت إلی فلان و نعشته و أغنیته و ما أشبه ذلک مما ینغص النعمة و أصل المن: القطع و منه قولهم: حبل منین أی ضعیف، لأنه مقطع و منیته أی قطعته و منه قوله: «فَلَهُمْ أَجْرٌ غَیْرُ مَمْنُونٍ» «۱» أی غیر مقطوع و سمی ما یکدر النعمة و المعروف بانه منّة لأنه قطع الحق الذی یجب به. و المنة: النعمة العظیمة سمیت بذلک لأنها تجل عن قطع الحق بها لعظمها. و منه قوله:

---

(۱) سورة التین آیة: ۶.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۳۳۴

«یَمُنُّونَ عَلَیْکَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَیَّ إِسْلامَکُمْ بَلِ اللَّهُ یَمُنُّ عَلَیْکُمْ أَنْ هَداکُمْ لِلْإِیمانِ»«۱»

أنعم علیکم. و المنة: القوة فی القلب و المنّ: الذی یقع من السماء، و المن الذی یوزن به، لأنه یقطع علی مقدار مخصوص.

و قوله: «وَ لا- أَذیً» فهو نحو قولهم أنت أبداً فقیر، و من أبلانی بک و أراحنی اللَّه منک، و ما أشبه ذلک مما یؤذی قلب المعطی و قوله «لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ» و الأجر هو النفع المستحق بالعمل «وَ لا خَوْفٌ عَلَیْهِمْ» فالخوف یوقع الضرر الذی لا یؤمن وقوعه.

«وَ لا هُمْ یَحْزَنُونَ» فالحزن الغم الذی یغلظ علی النفس. و منه الحزن:

الأرض الغلیظة. و قیل فی معناه قولان:

أحدهما- لا- خوف علیهم لفوت الأجر. و الثانی- لا- خوف علیهم لاهوال الآخرة. و قیل أنه دلیل علی أن الوعد بشرط لأنه مغموم الکلام. لأن تقدیره فی المعنی ان لم یتبعوا ما أنفقوا منا و لا أذی، فلهم من الأجر کذا، و لیس فی الآیة ما یدل علی صحة القول بالإحباط أصلا، لأن الوعد متی کان مشروطاً بأن لا یتبع بالمن و الأذی فمتی اتبع بهما لم یحصل الشرط الذی یوجب استحقاق الثواب فلم یحصل شیء أصلا ثم انحبط، و إنما کان فیه لبس لو ثبت استحقاقهم بنفس الإنفاق فإذا اتبع بالمن انحبط ذلک. و هذا لیس فی الآیة.

و روی عن النبی (ص) أنه قال: المنان: بما یعطی لا یکلمه اللَّه و لا ینظر إلیه و لا یزکیه و له عذاب ألیم.

و قال الضحاک لأن یمسک ماله خیر له من أن ینفقه ثم یتبعه مناً و أذی.

قوله تعالی:[سورة البقرة (۲): آیة ۲۶۳] ..... ص : ۳۳۴

اشارة

قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَ مَغْفِرَةٌ خَیْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ یَتْبَعُها أَذیً وَ اللَّهُ غَنِیٌّ حَلِیمٌ (۲۶۳)

آیة بلا خلاف.

---

(۱) سورة الحجرات آیة: ۱۷.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۳۳۵

القول المعروف معناه ما کان حسناً جمیلًا لا وجه فیه من وجوه القبح، و هو أن تقول للسائل قولا معروفاً علیه حسناً من غیر صدقة تعطیها إیاه. و قال الحسن:

و هو قول حسن لاعتراف العقل به، و تقبله إیاه دون إنکاره له. و المغفرة هاهنا قیل فی معناها ثلاثة أقوال.

أولها- ستر الحلة علی السائل. الثانی- قال الحسن: المغفرة له بالعفو عن ظلمه. الثالث- قال الجبائی: معناه أی سلامته فی المعصیة لأن

حالها كحال المغفرة فى الامان من العقوبة.

اللغة: ..... ص : ۳۳۵

و قوله. «وَ اللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ» فالغنى هو الحى الذى ليس بمحتاج، و معناه هاهنا غنى عن كل شيء من صدقة و غيرها. و إنما دعاكم إليها لينفعكم بها. و قال الرماني: الغنى الواسع الملك فاللَّه غنى لأنه مالك لجميع الأشياء لأنه قادر عليها لا يتعذر عليه شيء منها. و الغنى ضد الحاجة. تقول: غنى يغنى غنى و أغناه اغتناء و استغنى استغناء و غنى غناء و تغنى تغنياً. و الغناء ممدود: الصوت الحسن.
و يقال فيه أغنية و أغانى و الغنى: الكفاية للغنى به عن غيره. و المغنى المنزل غنى بالدار: إذا أقام بها و منه قوله «كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ» «۱» و الغانية: الشابة المتزوجة لغناها بزوجها عن غيره. و هى أيضاً العفيفة لغناها بعفتها. و الغنية الاستغناء: و الحلم: الامهال بتأخير العقوبة للانابة، و لو وقع موقع حليم حميد أو عليم، لما حسن لأنه تعالى لما نهاهم أن يتبعوا الصدقة بالمن، بين أنهم إن خالفوا ذلك فهو غنى عن طاعتهم حليم. فى أن لا يعاجلهم بالعقوبة.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۶۴] ..... ص : ۳۳۵

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَ الْأَذى كَالَّذِي يُنْفِقُ مالَهُ رِئاءَ النَّاسِ وَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوانٍ عَلَيْهِ تُرابٌ فَأَصابَهُ وابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لا يَقْدِرُونَ عَلى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ (۲۶۴)

---

(۱) سورة يونس آية: ۲۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۳۶

آية بلا خلاف.

المعنى: ..... ص : ۳۳۶

ضرب اللَّه (تعالى) هذه الآية مثلا لعمل المنافق و المنّان جميعاً، فإنهما إذا فعلا فعلًا لغير وجه اللَّه أو قرنا الإنفاق بالمن و الأذى، فإنهما لا يستحقان عليه ثواباً. و شبه ذلك بالصفا الذى أزال المطر ما عليه من التراب، فانه لا يقدر أحد على ردّ ذلك التراب عليه فكذلك إذا رفع المنان صدقته و قرن بها المن فقد أوقعها على وجه لا طريق له إلى استدراكه، و تلا فيه لوقوعه على الوجه الذى لا يستحق عليه الثواب فان وجوه الافعال تابعة للحدوث، فإذا فاتت فلا طريق إلى تلافيها و ليس فيها ما يدل على أن الثواب الثابت المستقر يزول بالمن فيما بعد و لا بالرياء الذى يحصل فيما يتجدد فليس فى الآية ما يدل على ما قالوه.
و قوله: «رِئاءَ النَّاسِ» إنما جمع بين همزتين و لم يجمع فى ذوائب جمع ذؤابة، لوقوع الألف فى الجمع بين الهمزتين، فلم يجز ذؤائب «۱»، فأما الواحد فاجتمع لخفته و هما أيضاً مفتوحان فهو أخف لها.
و قوله: «كَالَّذِي يُنْفِقُ مالَهُ رِئاءَ النَّاسِ» يدخل فيه المؤمن و الكافر إذا أخرجا الإنفاق للرياء. و قوله: «وَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» صفة للكافر خاصة «فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوانٍ» يعنى الحجارة الصلبة «عَلَيْهِ تُرابٌ».

اللغة: ..... ص : ۳۳۶

فالتراب و الترب واحد یقال ترب الرجل إذا افتقر، لأنه لصق بالتراب للفقر و منه قوله: «مِسْکِیناً ذا مَتْرَبَةٍ» «٢» لأنه قعد علی التراب للفقر و أترب الرجل إذا استغنی لأنه کثر ماله حتی صار کالتراب. و الترب الذی ینشأ معک. و قیل فیه

---

(١) فی المطبوعة (فلم یجز ذوائب) و الصحیح ما ذکرنا.

(٢) سورة البلد آیة: ١۶.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج٢، ص: ٣٣٧

أقوال: منها للعبهم بالتراب إذ هم صبیان أقران. و منها- لأنهم خرجوا إلی عفر الترب فی وقت من الزمان. و منها- لأنهم علی الاشتباه کالتراب. و قوله:

«عُرُباً أَتْراباً» «١» أی أشباه أمثال. و الترائب «٢» عظام الصدر واحدها تریبة.

قیل لأنها متشابهة کالأتراب أو کتشابه التراب. و منه قوله: «مِنْ بَیْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ» «٣».

و قوله: «فَأَصابَهُ وابِلٌ» فالوابل: المطر الشدید الوقع، یقال وبلت السماء تبل وبلا: إذا اشتد وقع المطر.

و قوله: «فَأَخَذْناهُ أَخْذاً وَبِیلًا» «۴» أی شدیداً. و الوبیل: المرعی الوخیم. و الوبال: سوء العاقبة. و الموبل: المغلظ القلب. و الوبیلة: الحزمة من الحطب لأنها مشدودة. و الوبیل: العصا الغلیظة. و الوابلة: طرد العضد فی الکتف. و أصل الباب الشدة. و الصفوان واحده صفوانة مثل مرجان و مرجانة و سعدان و سعدانة و قال الکسائی: جمع صفوان صُفِی. و أنکر ذلک المبرَّد و قال: إنما هو صفاء و صفی مثل عصا و عصِی وقفاً و قفی و کذلک ذکران و صفران- بکسر الصاد- و إنما هو جمع صفا نحو خرب و خربان، و ورل و ورلان. و قال معنی صفا و صفوان واحد.

و قوله: «فَتَرَکَهُ صَلْداً» فالصلد: الحجر الأملس الصلب قال الشاعر:

و لست بجلب جلب ریح و قرّة و لا بصفا صلد عن الخیر معزل «۵»

و قال رؤبة.

---

(١) سورة الواقعة آیة: ٣٧.

(٢) فی المطبوعة (التربیة) ورل: دابة علی خلقة الضب الا أنه أعظم منه. و الجمع أورال و ورلان و أرؤل. [.....]

(٣) سورة الطارق آیة: ٧.

(۴) سورة المزمل آیة: ١۶.

(۵) البیت لتأبط شراً. اللسان (جلب) و روایته (جلب لیل) بدل (جلب ریح) و فی اللسان (عزل) کما هنا. الجلب:- بکسر الجیم أو ضمها مع سکون اللام-: السحاب المعترض تراه کأنه جبل. و یقال هو السحاب الرقیق. و القرة- بکسر القاف- و القر- بضم القاف- البرد الشدید.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج٢، ص: ٣٣٨

لما رأتنی خلق المموه براق أصلاد الجبین الأجله «١»

و الصلد الذی لا ینبت شیئاً من الأرض لأنه کالحجر الصلد، و الصلد: البخیل و صلد الزند صلوداً إذا لم یور ناراً و فرس صلود: إذا أبطأ عرقه. و قدر صلود إذا أبطأ غلیها. و أصل الباب ملاسة فی صلابة و یقال صلد یصلد صلداً فهو صلد.

و قوله: «وَ اللَّهُ لا یَهْدِی الْقَوْمَ الْکافِرِینَ» معناه أنه لا یهدیهم إلی طریق الجنة علی وجه الانابة لهم و یحتمل لا یهدیهم بمعنی لا یقبل أعمالهم کما یقبل أعمال المهتدین من المؤمنین، لأن أعمالهم لا یقع علی وجه بها المدح.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۶۵] ..... ص : ۳۳۸

اشارة

وَ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ وَ تَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصابَها وابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَها ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْها وابِلٌ فَطَلٌّ وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (۲۶۵)
آية.

القراءة: ..... ص : ۳۳۸

قرأ عاصم و ابن عامر بربوة- بفتح الراء- الباقون بضمها. و قرأ ابن كثير و أبو عمرو و نافع (أكلها) بإسكان الكاف الباقون بالتثقيل.

المعنى: ..... ص : ۳۳۸

و هذا مثل ضربه اللَّه لمن أنفق ماله ابتغاء مرضاة اللَّه أى طلباً لرضاه. و قوله:
«وَ تَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ» بقوة اليقين و البصيرة فى الدين فى قول ابن زيد، و السدى، و أبى صالح و الشعبى. الثانى- قال الحسن و مجاهد: معناه أنهم يتثبتون أين يضعون صدقاتهم. الثالث- قال أبو على: معناه توطيناً لنفوسهم على الثبوت على طاعة اللَّه و اعترض على قول مجاهد بأنه لم يقل تثبيتاً. و هذا ليس بشىء لأنه لا يجوز أن يقول القائل يثبتوا أنفسهم تثبيتاً إذا كانوا كذلك فهم لا يتثبتون أين يضعون

---

(۱) ديوانه: ۱۶۵ من قصيدة مر الاستشهاد ببعض أبياتها فى ۱: ۲۸- ۳۰۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۳۹
الصدقات. و قوله: «كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ» إنما خصت بالربوة لأنها إذا كانت بربوة فتثبتها أحسن و ربيعها أكثر كما قال الأعشى:
ما روضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل «۱»
فخص بها الحزن لما بيناه.

اللغة: ..... ص : ۳۳۹

و الربو: الزيادة يقال ربا الشىء يربو إذْ زاد. و أصابه ربو: إذا أصابه نفس فى جوفه، لزيادة النفس على عادته. و الربوة: العلو من الأرض لزيادته على غيره بارتفاعه. و الربا فى المال: المعاملة على أن يأخذ أكثر مما يعطى للزيادة على ما يفرض يقال ربا المال يربو رباً و أربى صاحبه فهو مرب. و أصل الباب الزيادة. و فى الربوة ثلاث لغات- فتح الراء و ضمها و كسرها-. و فيها أربع لغات أخر رباوة و رباوة و رباوة و ربا. فتلك سبع لغات.

المعنى و اللغة: ..... ص : ۳۳۹

و قال ابن عباس، و الضحاك، و الحسن، و مجاهد، و السدى، و الربيع:

الربوة و الرابية المرتفع من الأرض «فَآتَتْ أُكُلَها» فالفرق بين الاكل و الاكل ان الاكل بالفتح المصدر و الاكل بالضم الطعام الذی يؤكل «ضِعْفَيْنِ» يعنی مثلين فی قول الزجاج لأن ضعف الشیء مثله زائداً عليه و ضعفاه مثلاه زائدين عليه.

و قال قوم: ضعف الشیء مثلاه. و قوله «فطل» قال الحسن و الضحاك و الربيع و قتادة هو اللين من المطر. و إنما ذكر الطل هاهنا لتشبيه أضعاف النفقة به كثرت أو قلت: إذ كان خيرها لا يختلف على حال فی قول الحسن و قتادة. و إنما قيل لما مضى «فَإِنْ لَمْ يُصِبْها وابِلٌ فَطَلٌّ» لأن فيه إضمار (كان) كأنه قيل: فان يكن لم يصبها وابل، فطل. و مثله قد أعتقت عبدين فان لم أعتق اثنين فواحداً بقيمتهما.

---

(۱) ديوانه ۵۷ رقم القصيدة ۶. الرياض جمع روضة و هی البستان. و الحزن ضد المنخفض من الأرض. و رياض الحزن أطيب من رياض المنخفضات لأن الريح تهب عليها فتهيج رائحتها.

مسبل أی منزل للماء.

التبيان فی تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۴۰

و المعنى ان أكن لم أعتق قال الشاعر:

إذا ما انتسبنا لم تلدنی لئيمة و لم تجدی من أن تقری بها بدا «۱»

كأنه قال: أكن لم تلدنی لئيمة. و الطل المطر الصغار القطر يقال: أطلت السماء فهی مطلة. و روضة طلة ندية. و الطل: إبطال الذم بأن لا يثار بصاحبه. طل دمه فهو مطلول لأنه بمنزلة ما جاء عليه الطل، و أذهبه كأنه قيل غسله. و الطل و الطلل ما شخص من الدار، لأنه كموضع الندى بالطل لغمارة الناس له خلاف المستوى، و القفر، لأن الخصب حيث تكون الأبنية. و صار الطلل اسماً لكل شخص. و الاطلال: الاشراف على الشیء و الطل: الشحم، ما بالناقة طل أی ما بها طرق. و طلة الرجل امرأته. و أصل الباب الطل: المطر.

و قوله: «وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» معناه عالم بأفعالكم، فيجازيكم بحسنها و فی ذلك ترغيب و ترهيب.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۶۶] ..... ص : ۳۴۰

اشارة

أَ يَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَ أَعْنابٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ لَهُ فِيها مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ وَ أَصابَهُ الْكِبَرُ وَ لَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفاءُ فَأَصابَها إِعْصارٌ فِيهِ نارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (۲۶۶)

آية واحدة بلا خلاف.

المعنى: ..... ص : ۳۴۰

معنى قوله: «أَ يَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ» التقدير (على) مثل ضربه اللَّه فی الحسرة بسلب النعمة فقيل هو مثل للمرائی فی النفقة، لأنه ينتفع بها عاجلا و تنقطع عنه آجلا فی أحوج ما يكون إليه. هذا قول السدی و قال مجاهد: هو مثل للمفرط فی طاعة اللَّه بملاذّ الدنيا يحصل فی الآخرة على الحسرة العظمى. و قال ابن عباس: هو مثل للذی يختم عمله بفساد.

---

(۱) قائله زائدة بن صعصعة الفقعسی و قد مر فی ۱: ۲۸۹- ۳۵۲.

التبيان فی تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۴۱

اللغة: ..... ص : ۳۴۱

و قوله: «أَ یَوَدُّ أَحَدُکُمْ أَنْ تَکُونَ لَهُ جَنَّةٌ» فأتی بمستقبل ثم عطف علیه بماض فی قوله «وَ أَصابَهُ الْکِبَرُ» قال الفراء یجوز ذلک فی یود لأنها تلتقی مرة ب (أن) و مرة ب (لو) فجاز أن یقدر أحداهما مکان الاخری، لاتفاق المعنی، فکأنه قال أ یود أحدکم لو کانت له جنة من نخیل و أعناب و أصابه الکبر. قال الرمانی: و عندی أنه قد دل بأن علی الاستقبال، و بتضمین الکلام معنی لو علی التمنی، کأنه قیل أ یحب ذلک متمنیاً له. و التمنی یقع علی الماضی و المستقبل أ لا تری أنه یصح أن یتمنی أن کان له ولد. و یصح أن یتمنی أن یکون له ولد. و المحبة لا تقع إلا علی المستقبل، لأنه لا یجوز أن یقال أحب أن کان لی ولد و یجوز أحب أن یکون لی ولد. و الفرق بین المودة و المحبة أن المودة قد تکون بمعنی التمنی نحو قولک: أود لو قدم زید بمعنی أتمنی لو قدم، و لا یجوز أحب لو قدم. و قوله أن تکون له جنة، فالجنة: البستان الکثیرة الشجر لأن الشجر یجنه بکثرته فیه.

و النخل معروف. و قیل: إنه مأخوذ من نخل المنخل، لاستخلاصه کاستخلاص اللباب بالنخل. و النخل و النخیل جمع نخلة. و هی شجرة التمر. و قوله: (کَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ خاوِیَةٍ) «۱» و قوله «کَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ» «۲» فذکر علی اللفظ و أنث علی المعنی. و النخل نخل الدّقیق نخلته نخلا. و منه المنخل، لأنه آلة النخل و النخالة معروفة و النخل نخل السماء بالثلج أو ما صغر من القطر و الانتخال الاختیار و التنخل «۳»: التخیر و أصل الباب النخل: الدقیق. و العنب: ثمر الکرم معروف و رجل عانب و عنب. و العناب معروف. و العناب ما تقطعه الخائنه مشبه بالعنب فی التعلق. و رجل عناب: عظیم الانف مشبه بعنقود العنب فی التعلق و العظم. و أصل الباب العنب. و قوله: «مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ» و تحت نقیض فوق و فی الحدیث

---

(۱) سورة الحاقة آیة: ۷.

(۲) سورة القمر آیة: ۲۰.

(۳) فی المطبوعة: (التنخر).

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۳۴۲

«لا تقوم الساعة حتی یظهر التحوت» أی الذین کانوا تحت أقدام الناس لا یشعر بهم ذلًا.

و الأنهار جمع نهر و هو المجری الواسع من مجاری الماء قال الشاعر:

ملکت بها کفی فأنهرت فتقها یری قائم من دونها ما وراءها «۱»

معناه وسّعت فتقها کالنهر.

و قوله: «فِیها مِنْ کُلِّ الثَّمَراتِ» فالثمرة: طعام الناس من الشجر. و قوله:

«وَ أَصابَهُ الْکِبَرُ» فالاصابة الوقوع علی المقصود. و المراد هاهنا: لحقه الکبر، و الکبر حال زائدة علی مقدار آخر. و المراد هاهنا: الشیخوخة. و الفرق بین الکبیر و الکثیر أن الکثیر مضمن بعدد و لیس کذلک الکبیر نحو دار واحدة کبیرة. و لا یجوز کثیرة. و الذریة: الولد من الناس. و الضعفاء: جمع ضعیف، و الضعف نقصان القوة. و قوله: «فَأَصابَها إِعْصارٌ فِیهِ نارٌ فَاحْتَرَقَتْ» فالعصر عصر الثوب و نحوه من کل شیء رطب عصرته أعصره عصراً فهو معصور، و عصیر. و اعتصرته اعتصاراً، و تعصر تعصراً، و عصّره تعصیراً. و انعصر انعصاراً. و العصر الدهر.

و فی التنزیل «وَ الْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِی خُسْرٍ» «۲» و العصر العشی. و منه صلاة العصر لأنها تعصر أی تؤخر کما یؤخر الشیء بالتعصر فیه. و العصر النجاة من الحدب و منه قوله تعالی: «فِیهِ یُغاثُ النَّاسُ وَ فِیهِ یَعْصِرُونَ» «۳» لأنه کعصر الثوب فی الخروج من حال إلی حال. و العصر: العطیة. و الاعتصار: الالتجاء. و المعتصر:

الملجأ. و الاعصار: غبار يلتف بين السماء و الأرض كالتفاف الثوب فى العصير.
و المعصر فوق الكاعب. و المعصرات السحاب. و منه قوله «وَ أَنْزَلْنا مِنَ الْمُعْصِراتِ ماءً ثَجَّاجاً» «۴» و العصرة: الدينة يقال هو لأموالنا عصرة: أى دينة. و أصل الباب: عصر الثوب. و الإحراق إحراق النار أحرقته بالنار فاحترق احتراقاً و حرّقته تحريقاً و تحرق تحرقاً و الحرق حكّ البعير أحد نابيه بالآخر يكون وعيداً و تهديداً

---

(۱) انظر ۱: ۲۶، ۲: ۵۷.

(۲) سورة العصر آية: ۱- ۲.

(۳) سورة يوسف آية: ۴۹.

(۴) سورة النبأ آية: ۱۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۴۳

من فحول الإبل، لالتهابه غضبا كالتهاب الإحراق. و الحرق: حك الحديدة بالمبرد حرقت الحديدة أحرقها حرقاً: إذا بردتها للتفريق بالإحراق. و الحرق: قطع عصبة فى الورك لا تلتئم كما لا يرجع ما أحرق، يقال حرق الورك فهو محروق و الحرق:
الثوب يقع فيه الحرق من دق القصار لأنه كالاحراق بالنار فى أنه لا يرجع إلى الحال. و منه ريش حرق لأنه كالمنقطع بالإحراق. و الحرّاق: ما اقتبست به النار للإحراق. و الحرقة ما يجده من حدة لأنه كالاحراق بالنار. و الحرّاقات: سفن يتخذ منها مرامى نيران يرمى بها العدو فى البحر و أصل الباب الإحراق. و الفكر:
جولان القلب بالخواطر يقال: أفكر إفكاراً و فكّر تفكيراً و تفكر تفكراً و رجل فكير كثير الفكر. و قوله: «فاحترقت» فالاحتراق: افتراق الاجزاء بالنار و البيان: هو الدلالة على ما بيناه- فى ما مضى- و قال الرمانى: البيان اظهار المعنى بما يتميز به من غيره على جهة الصواب. و لا يقال للحن من الكلام بيان و إن فهم به المراد، لأن البيان على الإطلاق ممدوح. و للحن عيب لكن يقال قد أبان عن مراده مجازاً.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۶۷] ..... ص : ۳۴۳

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّباتِ ما كَسَبْتُمْ وَ مِمَّا أَخْرَجْنا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ لا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَ لَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (۲۶۷)
آية.

المعنى: ..... ص : ۳۴۳

هذا خطاب للمؤمنين دون سائر الناس و قال الحسن، و علقمة: كل شيء فى القرآن «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» فإنما أنزل بالمدينة و كلما فيه «يا أَيُّهَا النَّاسُ» أنزل بمكة و قوله: «أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّباتِ ما كَسَبْتُمْ» يدخل فيه الزكاة المفروضة و غيرها من أنواع النفقة. و قال عبيدة السلمانى، و الحسن: هى مختصة بالزكاة.
و قال الجبائى: هى فى المتطوع، لأن الفرض من الصدقة له مقدار من القيمة إن التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۴۴
قصر كان ديناً عليه إلى أن يؤديه على التمام. فأما إذا كان مال المزكى كله ردياً فجاز له أن يعطى منه و لا يدخل فى ما نهى عنه، لأن

تقدير ما جعله اللَّه للفقير فى مال الغنى تقدير حصة الشريك، فليس لأحد الشريكين أن يأخذ الجيد و يعطى صاحبه الردى لما فيه من الوكس فإذا استوى فى الرداوة جاز له إعطاء الردى، لأنه حينئذ لم يبخسه حقاً هو له كما يبخسه فى الأول و قوله: «وَ لا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ»

روى عن على (ع)، و البراء بن عازب، و الحسن، و قتادة: أنها نزلت لأن بعضهم كان يأتى بالحشف فيدخله فى تمر الصدقة فنزلت فيه الآية.

قال ابن زيد: الخبيث الحرام. و الأول أقوى، لأنه قال: «أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّباتِ ما كَسَبْتُمْ وَ مِمَّا أَخْرَجْنا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ» ثم قال: «وَ لا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ» يعنى من الذى كسبتم إذ أخرجه اللَّه من الأرض. و الحرام و إن كان خبيثاً فليس من ذلك غير أنه يمكن أن يراد به ذلك لأنه لا ينافى السبب.

و روى عن أبى عبد اللَّه (ع) أنها نزلت فى أقوام لهم أموال من ربا الجاهلية كانوا يتصدقون منها، فنهى اللَّه عن ذلك و أمر بالصدقة من الحلال.

و يقوى الوجه الاول قوله: «وَ لَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ» و الإغماض لا يكون فى شيء ردى متسامح فى أخذه دون ما هو حرام. و فى الفقهاء من استدل بهذه الآية على أن الرقبة الكافرة لا تجزى فى الكفارة و ضعفه قوم و قالوا: العتق ليس بإنفاق. و الاولى أن يكون ذلك صحيحاً لأن الإنفاق يقع على كل ما يخرج لوجه اللَّه عتقاً كان أو غيره. اللغة و التيمم: التعمد تيممت الشيء تيمماً.

و منه قوله: «فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً» «۱» أى تعمدوا، و قال خفاف:

فعمداً على عين تيممت مالكا «۲»

و قال آخر:

يممته الرمح شزراً ثم قلت له هذى المروءة لا لعب الزحاليق «۳»

---

(۱) سورة النساء آية: ۴۲، و سورة المائدة آية: ۷. [.....]

(۲) اللسان (عمد) و صدره:

ان تك خيلى قد أصيب صميمها

(۳) قائله: عامر بن مالك. و الزحاليف لغة فى الزحاليق واحدها زحلوقة و هى أثر تزلج الصبيان من فوق طين أو رمل.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۴۵

و اليم: لجة البحر، لأنه يتعمد به البعيد من الأرض، و يم الرجل: إذا غرق فى البحر، و يم الساحل إذا طما عليه يم البحر فغلب عليه. و اليمامة، و اليمام: الحمام الطورانية تتعمد إلى أوكارها بحسن هدايتها. و قال الخليل: أممته قصدت أمامه و يممته: تعمدته من أى جهة كان. و قال غيره: هما سواء. و الخبيث: الرديء من كل شيء، خبث خبثاً و تخبّث تخبثاً و تخابث تخابثاً و خبثه تخبيثاً. و الخبثة: الريبة، و خبث الفضة ما نقاه الكير لأنه ينفى الرديء و أصله الرداءة.

الاعراب و اللغة: ..... ص : ۳۴۵

و قوله:«وَ لَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ» إنما فتحت (أن) فى قول الفراء من أجل (إلا) إذ وقعت عليها. و هى فى موضع خفض فى الأصل عنده (إن) لأن الكلام فى معنى الجزاء و هو إن أغمضتم بعض الإغماض أخذتموه، و مثله «إِلَّا أَنْ يَخافا أَلَّا يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ» «۱» و أنكر ذلك أبو العباس و قال: (أن) هذه التى بمعنى المصدر مفتوحة على كل حال و ذلك نحو أن تأتينى خير لك. و إنما المعنى و لستم بآخذيه إلا ـ لاغماضكم فيه. و الإغماض فى البيع الحط من الثمن لعيب فيه، أغمض إغماضاً و ذلك لاخفاض بعض

الثمن بالحط له. و الغموض: الخفاء.

غمض يغمض غموضاً فهو غامض. و التغميض إطباق الجفن و غمض العين. و الغمض المطمئن من الأرض حتى يغيب من فيه و أصل الباب: الخفاء.

المعنى: ..... ص : ۳۴۵

و قيل فى معنى «إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ» قولان قال البراء بن عازب إلا أن تتساهلوا فيه. و قال ابن عباس، و الحسن و قتادة إلا أن تحطّوا من الثمن فيه.

و قال الزجاج: و لستم بآخذيه إلا بوكس فكيف تعطونه فى الصدقة قال الطرماح ابن حكيم:

---

(۱) سورة البقرة آية: ۲۲۹.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۴۶

لم يفتنا بالوتر قوم و للضيم رجال يرضون بالإغماض «۱»

أى بالوكس قوله: «وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ» هاهنا معناه أنه غنى عن صدقاتكم و إنما دعاكم إليها لنفعكم، فأما «حميد» ففيه ثلاثة أقوال:

أحدها- أنه مستحق للحمد على نعمه. الثانى- موجب للحمد على طاعته.

و الثالث- قال الحسن: معناه مستحمداً إلى خلقه بما يعطون من النعم لعباده أى مبتدع لهم إلى ما يوجب لهم الحمد. و حميد فى هذا الموضع أليق من حليم كما أن حليماً أليق بالآية المتقدمة من حميد، لما بيناه و إنما قلنا ذلك لأنه لما أمرهم بالإنفاق من طيب ما كسبوه بين أنه غنى عن ذلك و أنه يحمدهم على ما يفعلونه إذا فعلوه على ما أمرهم به و معناه أنه يجازيهم عليه.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۶۸] ..... ص : ۳۴۶

اشارة

الشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَ يَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشاءِ وَ اللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَ فَضْلاً وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ (۲۶۸)

آية واحدة بلا خلاف.

المعنى: ..... ص : ۳۴۶

معنى الآية الوعد من الشيطان أنكم متى أخرجتم من أموالكم الصدقة و أديتم الزكاة الواجبة عليكم فى أموالكم افتقرتم. و يأمركم أيضاً بالفحشاء من المعاصى و ترك طاعته. و اللّه (تعالى) يعد بالمغفرة منه و الستر عليكم، و الصفح عن العقوبة «و فضلًا» يعنى و يعدكم أن يخلف عليكم خيراً من صدقتكم و يتفضل عليكم و يسبغ عليكم فى أرزاقكم قال ابن عباس: اثنان من اللّه، و اثنان من الشيطان.

فاللذان من الشيطان الوعد بالفقر و الامر بالفحشاء. و اللذان من اللّه المغفرة على المعاصى و الفضل فى الرزق.

---

(١) ديوانه: ٨۶ من قصيدة مجد بها قومه، و قبله:

اننا معشر شمائلنا الصبر إذا الخسوف مال بالاخفاض نصر للذليل فى ندوة الحى مرائيب للثأى المنهاض.

من يرم جمعهم يجدهم مراجيح حماة للعزل الاحراض

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٣٤٧

اللغة و المعنى: ..... ص : ٣٤٧

و الفقر: الحاجة و هو ضد الغنى يقال: أفقره اللَّه إفقاراً و افتقر افتقاراً و تفاقر تفاقراً، لأن الفقر بمنزلة كسر الفقار فى تعذر المراد. و الفقار: عظام منتظمة فى النخاع تسمى خرز الظهر واحدها فقرة. و الإفقار: إعارة الدابة لتركب ثم ترد. و الإفقار: دنو الصيد. و الفاقرة الداهية، لأنها تكسر الفقار. و منه قوله:

«تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ» «١» و أصل الباب الفقار: خرز الظهر. و تقول وعدته الخير، و وعدته بالخير و الأصل فيه تعديته بغير حرف الاضافة إلا أنه كثر استعماله فى التعدى بحرف الاضافة حتى صار أصلا فيه لكثرته. و أمرته بالخير أكثر فى الكلام و إنما يجوز أمرته الخير فى الشعر و قوله: (وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ) حكى البلخى أنه بغير واو فى مصاحف أهل الشام و لم يقرأ به أحد فان صح فهو دلالة على نقصان الحروف من كثير من القرآن على ما اختلفوا فيه. و الفرق بين الوعد و الوعيد أن الوعيد فى الشر خاصة، و الوعد بالتقييد للخير و الشر معاً غير أنه إذا أطلق لم يكن إلا فى الخير، و كذلك إذا أبهم التقييد كقولك وعدته بأشياء لأنه بمنزلة المطلق. و حدّ الوعد: هو الخبر بفعل الخير فى المطلق. و الوعيد: هو الخبر بفعل الشر. و الأمر هو قول القائل لمن هو دونه: افعل، مع إرادة المأمور به، فان انضم إليه الزجر عن الإخلال به كان مقتضياً للإيجاب. و قال ابن مسعود للشيطان لمة و للملك لمة.

و مثله

روى عن أبى عبد اللَّه (ع) فلمة الشيطان وعده بالفقر و أمره بالفاحشة و لمة الملك أمره بالإنفاق و نهيه عن المعاصى.

و قال أبو مسلم و الازهرى الفحشاء البخل و الفاحش البخيل قال طرفة:

عقيلة مال الفاحش المتشدد «٢»

---

(١) سورة القيامة آية: ٢۵.

(٢) هو طرفة بن العبد البكرى. معلقته، و اللسان: (فحش) و صدره:

أرى الموت يعتام الكرام و يصطفى

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٣٤٨

و قال الحسين بن على المغربى و الذى يقوى قوله ما أنشده أبو حيرة الراحل من طى:

قد أخذ المجد كما أرادا ليس بفحاش يضن الزادا

و قال الرمانى: و اللَّه ما قالاه بعيد. و الفحشاء المعاصى فى أغلب الاستعمال و معنى البيت الذى أنشداه أن الفاحش هو سيء الرد بسؤاله و ضيفانه و ذلك من البخل لا محالة قال كعب:

أخى ما أخى لا فاحش عند بيته و لا برم عند اللقاء هبوب «١»

فتلخيص معنى الآية أن الشيطان يحملكم على أن تؤدوا فى الصدقة ردىء المال يخوفكم الفقر بإعطاء الجيد- و الفَقر و الفُقر لغتان- و يعدكم الفقر: معناه بالفقر فحذف الباء و عدَّى الفعل فنصب قال:

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به فقد تركتك ذا مال و ذا نشب

و قوله: «وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ» معناه واسع يعطى من سعة مقدوراته «عليم» حيث يضع ذلك و يعلم الغيب و الشهادة.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۶۹] ..... ص : ۳۴۸

اشارة

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشاءُ وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَ ما يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الْأَلْبابِ (۲۶۹)

آية.

القراءة و المعنى: ..... ص : ۳۴۸

قرأ يعقوب (و من يؤت)- بكسر التاء- الباقون بالفتح قيل فى معنى الحكمة فى الآية وجوه قال ابن عباس و ابن مسعود: هو علم القرآن ناسخه و منسوخه و محكمه و متشابهه و مقدمه و مؤخره و حلاله و حرامه و أمثاله. و قال ابن

---

(۱) هكذا فى المطبوعة. و فى أمالى القالى ۲: ۱۴۶: و لا ورع عند اللقاء هبوب و فى مجمع البيان: عند اللقاب هبوب.

بيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۴۹

زيد: هو علم الدين. و قال السدى: هو النبوة. و قال مجاهد الاصابة. و قال ابراهيم النخعى: الفهم. و قال الربيع: الخشية. و قال قوم: هو العلم الذى تعظم منفعته و تحل فائدته و هو جميع ما قالوه. و قال قتادة: و الضحاك، و فى رواية عن مجاهد:

هو القرآن، و الفقه. و هو المروى عن أبى عبد اللَّه (ع)

و إنما قيل للعلم: حكمة لأنه يمتنع به من القبيح لما فيه من الدعاء إلى الحسن، و الزجر عن القبيح. و قال الجبائى: هو ما آتاه اللَّه أنبياءه و أممهم من كتبه و آياته و دلالاته التى يدلهم بها على معرفتهم به و بدينه و ذلك تفضل منه يؤتيه من يشاء. و قوله: «وَ ما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ» و كل مكلف ذو لب لأنه إنما يطلق عليهم هذه الصفة لما فيها من المدحة فلذلك عقد التذكر بهم و هم الذين يستعملون ما توجبه عقولهم من طاعة اللَّه فى كل ما أمر به و دعا إليه و «يؤت» جزم ب (من) و الجواب «فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً» و من قرأ يؤت بكسر التاء على ما روى عن يعقوب ذهب إلى أن معناه و من يؤته الحكمة، و إنما حذف الهاء فى الصلة و يكون (من) على هذا المعنى «الذى» لا معنى الجزاء.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۷۰] ..... ص : ۳۴۹

وَ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَ ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ (۲۷۰)

آية بلا خلاف.

(ما) فى قوله و ما أنفقتم بمعنى الذى و ما بعده صلتها و العائد إليها الهاء فى قوله: «فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ» لأنها لا يجوز أن تعود على النفقة، لأنها مؤنثة، و لا على النفقة و النذر، لأن ذلك يوجب التثنية. و المراد بالإنفاق هاهنا ما يخرجه فى طاعة اللَّه: واجباتها و مندوباتها.

و قوله: «أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ» فالنذر هو عقد الشيء على النفس فعل شيء من البرّ بشرط، و لا ينعقد ذلك إلا بقوله للَّه علىّ كذا، و لا يثبت بغير هذا اللفظ. و أصل النذر الخوف لأنه يعقد ذلك على نفسه خوف التقصير فى الأمر و منه التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۵۰

نذر الدم: العقد على سفكه للخوف من مضرة صاحبه قال الشاعر:

هم ينذرون دمى و أنذر إن لقيت بأن أشدا

و منه الانذار: الاعلام بموقع العدو، للخوف منه ليتقى يقال: نذرت النذر أنذره نذراً و جمعه نذور و قوله: «فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ» معناه يجازى عليه لأنه عالم به، فدل بذكر العلم على تحقيق الجزاء إيجازاً للكلام و قوله «وَ ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ» وعيد للظالمين و هم الفاعلون لضرر يستحق عليه الذم. و المراد بالظالمين هاهنا الذين كانوا إنفاقهم على غير الوجه المأذون لهم فيه من رباً أو ضرار أو شقاق أو من مال مغصوب أو مأخوذ من غير وجهه. و سمى ذلك ظلماً، لأنه وضع فيه فى غير موضعه، و الأنصار جمع نصير مثل شريف و أشراف، و باب فعيل يجمع على فعلاء مثل عليم و علماء و كريم و كرماء، و قد ورد فيه فعال مثل نصير و نصار.

و النصير: هو المعين على العدو، فعلى هذا لا تدل الآية على أنه لا شفاعة لمرتكبى الكبائر لأن أحداً لا يقول أن لهم معيناً على عدوهم بل إنما نقول لهم من يسأل فى بابهم على وجه التضرع و لا يسمى ذلك نصر على حال.

قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ٢٧١] ..... ص : ٣٥٠

اشارة

إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَ إِنْ تُخْفُوها وَ تُؤْتُوهَا الْفُقَراءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ يُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئاتِكُمْ وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٧١)

آية واحدة بلا خلاف.

القراءة: ..... ص : ٣٥٠

قرأ ابن عامر و حمزة و الكسائى و خلف فنعما- بفتح النون و كسر العين- و قرأ ابن كثير، و ورش، و يعقوب، و حفص، و الأعشى و البرجمى- بكسر النون و العين- و قرأ أهل المدينة- إلا ورشاً- و أبو عمر، و أبو بكر- إلا الأعشى- و البرجمى- بكسر النون و سكون العين- و كذلك فى النساء فى قوله: «نِعِمَّا يَعِظُكُمْ التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٣٥١

بِهِ»

و قرأ ابن عامر و حفص «و يكفر» بالياء و الرفع. و قرأ أهل المدينة، و حمزة و الكسائى و خلف عن أبى بكر بالنون و الجزم. الباقون بالنون و الرفع.

المعنى الاعراب: ..... ص : ٣٥١

قال أبو على الفارسى: المعنى فى قوله «إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقاتِ فَنِعِمَّا هِيَ» إن فى نعم ضمير الفاعل و «ما» فى موضع نصب و هى تفسير الفاعل المضمر قبل الذكر و التقدير نعم شيئاً أبدءوها. فالابداء هو المخصوص بالمدح إلا أن المضاف حذف و أقيم المضاف إليه الذى هو ضمير الصدقات مقامه، فالمخصوص بالمدح هو الإبداء بالصدقات لأن الصدقات تدل على ذلك قوله: «وَ إِنْ تُخْفُوها وَ تُؤْتُوهَا الْفُقَراءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ» أى الإخفاء خير لكم. فكما أن هو ضمير الإخفاء و ليس بالصدقات كذلك ينبغى أن يكون ضمير الإبداء مراداً و إنما كان الإخفاء- و اللَّه أعلم- خيراً لأنه أبعد من أن يشوب الصدقة مراءاة للناس و تصنع لهم فيخلص للَّه (تعالى) و لم يكن المسلمون إذ ذاك ممن يسبق إليهم ظنه فى منع واجب. و الفرق بين الصدقة و الزكاة أن الزكاة لا تكون إلا فرضاً و الصدقات قد تكون فرضاً، و قد تكون نفلا. و اختلفوا فى الصدقة التى إخفاؤها أفضل. فقال ابن عباس، و سفيان، و اختاره الجبائى: انها صدقة التطوع، لأنها أبعد من الرياء فأما الصدقة الواجبة فإظهارها عندهم أفضل لأنه أبعد من التهمة. و قال يزيد بن أبى حبيب: الصدقات على

أهل الكتاب إظهارها أولى، و هى على المسلمين إخفاؤها أفضل.

و قال الحسن، و قتادة: الإخفاء فى كل صدقة من زكاة و غيرها أفضل، و هو الأقوى لأنه عموم الآية و عليه تدل أخبارنا

و قد روى عن أبى عبد اللَّه (ع) أن الإخفاء فى النوافل أفضل.

و قال أبو القاسم الإبداء خير. و المفسرون على خلافه.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۵۲

اللغة: ..... ص : ۳۵۲

و الإخفاء: هو الستر تقول أخفيت الشـىء أخفيه إخفاء: إذا سترته: و الخفى الاظهار خفيته أخفيه خفياً إذا أظهرته لأنه إظهار يخفى قال الشاعر:

فان تدفنوا الداء لا تخفه و أن تبعثوا الحرب لا نقعد «۱»

و الخفاء: الغطاء و الخوافى من ريش الطائر ما دون القوادم لأنها يخفى بها و الخفية عريش الأسد لأنه يختفى فيها تقول: اختفى اختفاء و خفى تخفيـة و تخفّى تخفيـاً و اسـتخفى اسـتخفاء و أصـل البـاب الستر. و الإبـداء و الاظهـار و الإعلاـن نظائر و الإخفاء و الاسـرار و الإغماض نظائر. تقول بدا الشىء يبدو: إذا ظهر، و أبديته:

إذا أظهرته.

الاعراب و القراءة: ..... ص : ۳۵۲

و ضـعف النحويون بأجمعهم قراءة أبى عمرو، و قالوا لا يجوز إسكان العين مع الإدغام و إنما هو إخفاء يظن السامع أنه إسكان. و إنما لم يجز الإسـكان مع الإدغام لأنه جمع بين ساكنين فى غير حروف المد و اللين فى نحو دابة و غير ذلك. و قد أنشد سيبويه فى الجمع بين ساكنين مثل اجتماعهما فى نعما قول الشاعر:

كأنها بعد كلال الزاجر و مسحه مر عقاب كاسر «۲»

و أنكره أصـحابه. و من رفع يكفر عطفه على موضع (ما) بعـد الفاء و من جزم فعلى موضع الفاء. و مثل الاول قوله: (مَنْ يُضْـلِلِ اللَّهُ فَلا هـادِيَ لَهُ وَ يَـذَرُهُمْ) و نظير الثانى «فَأَصَّدَّقَ وَ أَكُنْ» فمن اختار الجزم فلانه أبين فى الاتصال بالجزاء و من رفع فلانه أشـكل بما دخلت له الفاء إذ كانت إنما دخلت لاستقبال الكلام بعدها و إن كان فى معنى الجواب. و من قرأ بالياء فمعناه «و يكفر الله» و قوله:

---

(۱) قاله امرؤ القيس بن عابس الكندى. ديوان امر القيس: ۳۴۳، و اللسان (خفا) و روايته (فان تكتموا السر لا نخفه).

(۲) اللسان (كسر) فى المطبوعة (كأنه) بدل (كأنها) و (مر) ساقطة. و أنشده سيبويه: و مسح مر عقاب كاسر.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۵۳

«مِنْ سَـيِّئاتِكُمْ» دخلت من للتبعيض لأنه إنما يكفّر بالطاعـة- غير التوبـة- الصـغائر. هذا على مذهب من يقول بالصـغائر و الإحباط. فأما على مذهبنا فإنما كان كذلك لأن إسقاط العقاب كله تفضل، فله أن يتفضل بإسقاط بعضه دون بعض فلو لم يدخل من لافادته يسقط جميع العقـاب. و قال قوم من زائـدة و الـذى ذكرناه أولى لأنه لا حاجـة بنا إلى الحكم بزيادتها مع إمكان حملها على فائـدة «وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» معناه أنه تعالى بما تعملونه فى صدقاتكم من إخفائها و إعلانها عالم خبير به لا يخفى عليه شـىء من ذلك فيجازى على جميعه بحسبه.

و روى عن النبى (ص) أنه قال لابن العاص «نعما بالمال الصالح للرجل الصالح»
فاختار أبو عبيد لأجل هذه الرواية قراءة أبى عمرو و قال الزجاج هذه رواية غير مضبوطة و لا يجوز عند البصريين ذلك لأن فيه جمعا بين ساكنين من غير حرف مد و لين و فى نعم ثلاث لغات نعم و نعم و نعما.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۷۲] ..... ص : ۳۵۳

اشارة

لَيْسَ عَلَيْكَ هُداهُمْ وَ لكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَنْ يَشاءُ وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَ ما تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَ أَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ (۲۷۲)
آية واحدة.

المعنى: ..... ص : ۳۵۳

قيل فى وجه اتصال هذه الآية بما قبلها قولان: أحدهما- ما قاله ابن عباس و سعيد بن جبير و قتادة ليس عليك هداهم بمنع المشركين الأقرباء من الصدقة ليدخلوا فى الإسلام فعلى هذا معناه الاباحة. الثانى- قال الحسن، و أبو على الجبائى، و الزجاج: «لَيْسَ عَلَيْكَ هُداهُمْ» بالحمل على النفقة فى وجوه البرّ فعلى هذا معناه التسلية و التقدير ليس عليك أن تهدى الناس إلى نيل الثواب، و الجنة و إنما عليك أن تهديهم إلى الايمان بأن تدلهم عليه لأنه (عليه السلام) كان يغتم إذا لم يؤمنوا التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۵۴
و لم يقبلوا منه لعلمه بما يصيرون إليه من العقاب فسلّاه اللّه بهذا القول. و إنه لا- ينبغى ترك مواساة ذوى القربى من أهل الشرك ليدخلوا فى الإسلام فيكون ذلك مبيحاً للصدقة المندوبة عليهم. و قال ابن عباس، و ابن الحنفية، و سعيد بن جبير:
نزلت هذه الآية لأنهم كانوا يتقون الصدقة على المشركين حتى نزلت «لَيْسَ عَلَيْكَ هُداهُمْ» و قوله. «وَ لكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَنْ يَشاءُ» إنما علق الهداية بالمشيئة لمن كان فى المعلوم أنه يصلح باللطف و ليس كل أحد يصلح به فلذلك جاء الاختصاص بالمشيئة. و قال أبو على الجبائى: الهداية فى الآية هو إلى طريق الجنة و ذلك يختص بالمؤمنين المستحقين للثواب و الأول اختيار البلخى و ابن الأخشاد و الزجاج و أكثر أهل العلم.
و قوله: (وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَ ما تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغاءَ وَجْهِ اللَّهِ) معناه فلهذا يجب ألا تمنوا بالصدقة و الإنفاق: إذ كان لأنفسكم من حيث هو ذخر لكم و لابتغاء وجه اللّه الذى هو يوّفر به الجزاء لكم فهو من كل وجه عائد عليكم و ليس كتمليك اللَّه لعباده إذ نفعه راجع عليهم كيف تصرفت الحال بهم، فلذلك افترق ذكر العطية منه (تعالى)، و العطية من غيره. و معنى قوله «إِلَّا ابْتِغاءَ وَجْهِ اللَّهِ» إلا ابتغاء رضوان اللَّه. و استدل بذلك على حسن باطن المعنيين بالآية.
و انهم كانوا ينفقونه لوجه اللّه خالصاً. و قيل معناه و ما تنفقون إلا ابتغاء وجه اللَّه، فكيف يضيع سعيكم و إنفاقكم. و قيل فى ذكر الوجه قولان:
أحدهما- لتحقيق الاضافة إليه، لأن ذكره يزيل الإبهام انه له أو لغيره، لأنك إذا اختصصت ذكر الوجه و معناه التبيين، دل على أنك أردت الاختصاص و إزالة الإبهام، و رفع الاشتراك و حققت الاضافة.
و الثانى- لأشرف الذكرين فى الصفة لأنه إذا قلت: فعلته لوجه زيد فهو أشرف فى الذكر من فعلته [لزيد]. لأن وجه الشىء فى الأصل أشرف ما فيه ثم كثر حتى صار يدل على شرف الذكر فى الصفة فقط من غير تحقيق وجه ألا ترى أنك تقول:
وجه هذا الأمر كذا و هذا أوجه الرأى و هذا أوجه الدليل فلا تريد تحقيق الوجه التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۵۵

و إنما يريد أشرف ما فيه من أجل شدة ظهوره و شدة بيانه.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۷۳] ..... ص : ۳۵۵

اشارة

لِلْفُقَراءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجاهِلُ أَغْنِياءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيماهُمْ لا يَسْئَلُونَ النَّاسَ إِلْحافاً وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (۲۷۳)

آية واحدة.

قرأ حمزة و عاصم و ابن عامر «يحسبهم)- بفتح السين- الباقون بكسرها.

قال مجاهد، و السدى: الفقراء مذكورون فى الآية هم فقراء المهاجرين.

و قال أبو جعفر (ع) نزلت فى أصحاب الصّفة.

و العامل فى الفقراء محذوف و تقديره النفقة للفقراء و قد تقدم ما يدل عليه. و قال بعضهم هو مردود على اللام الاولى فى قوله: (وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ» قال الرمانى هذا لا يجوز لأن بدل الشىء من غيره لا يكون إلا و المعنى يشتمل عليه. و ليس كذلك ذكر النفس هاهنا، لأن الإنفاق لها من حيث هو عائد عليها، و للفقراء من حيث هو. و اصل إليهم و ليس من باب «وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» لأن الأمر لازم للمستطيع خاصة و لا يجوز أن يكون العامل فيه «تنفقوا» لأنه لا يفصل بين العامل و المعمول فيه بما ليس منه كما لا يجوز كانت الحمى تأخذ.

اللغة: ..... ص : ۳۵۵

و قوله: «الَّذِينَ أُحْصِرُوا» فالاحصار منع النفس عن التصرف لمرض أو حاجة أو مخافة و الحصر هو منع الغير و ليس كالأول، لأنه منع النفس. و قال قتادة و ابن زيد: منعوا أنفسهم من التصرف فى التجارة للمعاش خوف العدو من الكفار.

و قال السدى: منعهم الكفار و الخوف منهم، و لو كان الأمر على ما ذكر لكان التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۵۶

حصروا لأن الذى يمنعه العدو محصور و الذى يمنع نفسه محصر، و يحسبهم- بفتح السين و كسرها- لغتان و معناه يظنهم و لا يعرف حالهم «أَغْنِياءَ مِنَ التَّعَفُّفِ) و قوله: (لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ» ليس معناه أنهم لا يقدرون و إنما معناه أنهم ألزموا أنفسهم أمر الجهاد فمنعهم ذلك من التصرف كقولك: أمرنى الوالى أن أقيم، فما أقدر أن أبرح معناه ألزمت نفسى طاعته لا أنى لا أقدر عليه.

و تقول ضربت فى الأرض ضرباً و مضرباً إذا سرت فيها و ضرب الجرح إذا آلم ضرباناً و ضرباً، و ضرب الفحل الناقة: إذا طرقها ضرباً و الضريب. الجليد تقول:

ضربت الأرض و جلدت. رواه الكسائى. و قوله: «تَعْرِفُهُمْ بِسِيماهُمْ» فالسيما العلامة.

المعنى: ..... ص : ۳۵۶

و قال مجاهد: معناه هاهنا التخشع. و قال السدى، و الربيع: علامة الفقر و أصل سيما الارتفاع لأنها علامة رفعت للظهور. و منه السؤم فى البيع: و هو الزيادة فى مقدار الثمن، للارتفاع فيه عن الحد. و منه سوم الخسف للتوقع فيه بتحميل ما يشق. و منه سوم الماشية إرسالها فى المرعى. و قوله: «لا يَسْئَلُونَ النَّاسَ إِلْحافاً» لا يدل على أنهم كانوا يسألون غير إلحاف- فى قول الفراء، و الزجاج، و البلخى،

و الجبائی- و إنما هو كقولك ما رأيت مثله. و أنت لم ترد أن له مثلًا ما رأيته و إنما تريد أنه ليس له مثل فيرى. و قال الزجاج معناه لم يكن سؤال، فيكون إلحاح كما قال امرؤ القيس:

على لا حب لا يهتدى بمناره إذا سافه العود النباطى جرجرا «۱»

و المعنى لا منار به فيهتدى بها، و إنما وجهوه على ذلك، لأن فى الكلام

---

(۱) ديوانه: ۸۹. اللاحب: الطريق الواضح. و المنار: العلامة توضع لإرشاد المسافرين. سافه: شمه. العود: الجمل المسن الضخم. جرجر: رغا و ضج. و قد مر صدره فى ۱: ۱۸۹- ۲۸۹- ۴۴۴. فى المطبوعة و آمالى المرتضى ۱: ۲۲۸ الدبافى بدل (النباطى)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۵۷

دليلًا عليه، لأنه (تعالى) وصفهم بالتعفف و المعرفة بسيماهم دون الإفصاح بسؤالهم لأنهم لو أفصحوا به لم يحسبهم الجاهل أغنياء، لأنه إنما يجهل ما ينال بالاستدلال و إنما جاز هذا الاختصاص بالذكر لأن المعنى نفى صفة الذم عنهم. و قوله: «إلحافاً» قال الزجاج هو مأخوذ من اللحاف لاشتماله على وجوه الطلب فى المسألة كاشتمال اللحاف فى التغطية و قال غيره: لأنه يلزم لزوم اللحاف فى غير وقته. و فى الآية دلالة على فساد قول المجبرة فى الاستطاعة، لأنه تعالى إذا عذر من لا يستطيع للمخافة كان من لا يستطيع لعدم القدرة أعذر. و قوله «وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ» معناه يجازيكم عليه كما قال «و ما تنفقوا من خير يعلمه الله».

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۷۴] ..... ص : ۳۵۷

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ سِرًّا وَ عَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (۲۷۴)

آية.

ذكر ابن عباس أن هذه الآية نزلت فى على بن أبى طالب (ع) كانت معه أربعة دراهم فأنفقها على هذه الصفة بالليل و النهار. و فى السر و العلانية. و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد اللَّه (ع)

و روى عن أبى ذر (ره) و الأوزاعى إنها نزلت فى النفقة على الخيل فى سبيل اللّه. و قيل هى فى كل من أنفق ماله فى طاعة اللَّه على هذه الصفة و إذا قلنا أنها نزلت فى على (ع) فحكمها سار فى كل من فعل مثل فعله.

و له فضل الاختصاص بالسبق إلى ذلك. و نزول الآية من جهته. و قيل فى قسمة الأموال فى الإنفاق على الليل و النهار و الاسرار و الإعلان أفضل من الإنفاق على غير ذلك الوجه قولان: قال ابن عباس: إن هذا كان يعمل به حتى نزل فرض الزكاة فى براءة. و الثانى- ان الأفضل موافقة هذه الصفة التى وصفها اللَّه. و هو الأقوى لأنه الظاهر، و قال الرمانى، و من تابعه من المعتزلة لا يجب هذا الوعد

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۵۸

إذا ارتكب صاحبها الكبيرة من الجرم كما لا يجب إن ارتد عن الايمان إلى الكفر و إنما يجب لمن أخلصها مما يفسق بها و هذا عندنا ليس بصحيح، لأن القول بالإحباط باطل و مفارقة الكبيرة بعد فعل الطاعة لا تحبط ثواب الطاعة بحال. و إنما يستحق بمعصيته العقاب و للَّه فيه المشيئة، فأما الارتداد فعندنا أن المؤمن على الحقيقة لا يجوز أن يقع منه كفر، و متى وقع ممن كان على ظاهر الايمان ارتداد علمنا أن ما كان يظهره لم يكن إيماناً على الحقيقة، و إنما قلنا ذلك لأنه لو كان إيماناً لكان مستحقاً به الثواب الدائم فإذا ارتد فيما بعد استحق بارتداده عقاباً دائماً فيجتمع له استحقاق الثواب الدائم و العقاب الدائم و ذلك خلاف الإجماع و قوله: «الذين» رفع بالابتداء و ما بعده صلة له و خبره «فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ» و إنما دخل الفاء فى خبر الذين لأن فيها معنى الجزاء، لأنه يدل على أن الأجر من أجل الإنفاق فى طاعة اللَّه. و لا يجوز أن يقال زيد فله درهم لأنه ليس فيه معنى الجزاء و إنما رفع «وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ» و نصب «لا رَيْبَ فِيهِ» لأجل تكرير (لا) فى جواب إذا قال الشاعر:

و ما صرمتک حتی قلت معلنة لا ناقة لیَ فی هذا و لا جمل

فأما «لا رَیْبَ فِیهِ»، فجواب (هل) من ریب فیه، فقیل لا ریب فیه علی عموم النفی کما أن السؤال علی استغراق الجنس بمن فالاعتماد فی أحدهما علی عموم النفی و فی الآخر علی اشتمال النفی علی شیئین قد توهم إثبات أحدهما. و الإنفاق إخراج ما کان من المال عن الملک و لهذا لا یصح فی صفة اللَّه (تعالی) الإنفاق:

و هو موصوف بالإعطاء لعباده ما شاء من نعمه لأن الإعطاء إیصال الشیء إلی الآخذ له و السر: إخفاء الشیء فی النفس فأما اخفاؤه فی خباء، فلیس بسر فی الحقیقة، و منه السِّرار و المسّارة لأن کل واحد منهما یخفی الشیء عن غیره إلا عن صاحبه، و العلانیة، نقیض السر و هو إظهار الشیء و إبرازه من النفس.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۳۵۹

قوله تعالی:[سورة البقرة (۲): آیة ۲۷۵] ..... ص : ۳۵۹

اشارة

الَّذِینَ یَأْکُلُونَ الرِّبا لا یَقُومُونَ إِلاَّ کَما یَقُومُ الَّذِی یَتَخَبَّطُهُ الشَّیْطانُ مِنَ الْمَسِّ ذلِکَ بِأَنَّهُمْ قالُوا إِنَّمَا الْبَیْعُ مِثْلُ الرِّبا وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَیْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبا فَمَنْ جاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهی فَلَهُ ما سَلَفَ وَ أَمْرُهُ إِلَی اللَّهِ وَ مَنْ عادَ فَأُولئِکَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِیها خالِدُونَ (۲۷۵)

آیة.

المعنی: ..... ص : ۳۵۹

أصل الربا: الزیادة من قولهم ربا الشیء یربو ربواً إذا زاد. و الربا: هو الزیادة علی رأس المال. فی نسیئة أو مماثلة و ذلک کالزیادة علی مقدار الدین للزیادة فی الأجل أو کاعطاء درهم بدرهمین أو دینار بدینارین،

و المنصوص عن النبی (ص) تحریم التفاضل فی ستة أشیاء الذهب، و الفضة، و الحنطة، و الشعیر، و التمر، و الملح. و قیل: الزبیب: فقال النبی (ص) فیها مثلًا بمثل یداً بید من زاد أو استزاد، فقد أربی.

هذه الستة أشیاء لا خلاف فی حصول الربا فیها، و باقی الأشیاء عند الفقهاء مقیس علیها. و فیها خلاف بینهم، و عندنا أن الربا فی کل ما یکال أو یوزن إذا کان الجنس واحداً، منصوص علیه. و الربا محرم متوعد علیه کبیرة بلا خلاف، بهذه الآیة، و بقوله: «یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ ذَرُوا ما بَقِیَ مِنَ الرِّبا إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ» «۱» و قوله: «لا یَقُومُونَ إِلَّا کَما یَقُومُ الَّذِی یَتَخَبَّطُهُ الشَّیْطانُ مِنَ الْمَسِّ» قال ابن عباس، و سعید بن جبیر، و الحسن، و مجاهد، و قتادة: إن قیامهم علی هذه الصفة یکون

---

(۱) سورة البقرة آیة: ۷۸- ۷۹.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۳۶۰

یوم القیامة: إذا قاموا من قبورهم، و یکون ذلک إمارة لأهل الموقف علی أنهم أکلة الربا. و قوله: «یَتَخَبَّطُهُ الشَّیْطانُ» مثل عند أبی علی الجبائی لا حقیقة علی وجه التشبیه بحال من تغلب علیه المرة السوداء، فتضعف نفسه و یلج الشیطان بإغوائه علیه فیقع عند تلک الحال و یحصل به الصرع من فعل اللَّه. و نسب إلی الشیطان مجازاً لما کان عند وسوسته. و کان أبو الهذیل و ابن الأخشاد یجیزان أن یکون الصرع من فعل الشیطان فی بعض الناس دون بعض قالا. لأن الظاهر من القرآن یشهد به، و لیس فی العقل ما یمنع منه و قال الجبائی: لا یجوز ذلک، لأن الشیطان خلق ضعیف لم یقدره اللّه علی کید البشر بالقتل و التخبیط و لو قوی علی ذلک لقتل المؤمنین الصالحین

و الداعين إلى الخير، لأنهم أعداؤه، و من أشد الأشياء عليه. و فى ذلك نظر و أصل الخبط: الضرب على غير استواء، خبطته أخبطه خبطاً. و الخبط ضرب البعير الأرض بيديه و التخبط المس بالجنون أو التخبيل، لأنه كالضرب على غير استواء فى الادهاش. و الخبطة البقية من طعام أو ماء أو غيره لأنه كالصبة من الدلو و هى الخبطة به، و الخبط: ورق تعلفه الإبل.

و الخباط: داء كالجنون، لأنه اضطراب فى العقل كالاضطراب فى الضرب.

و الخبطة كالزكمة، لأنها تضرب بالانحدار على اضطراب. و الخباط سمة فى الفخذ لأنها تضرب فيه على اضطراب و معنى قوله: «ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا» إن المشركين قالوا: الزيادة على رأس المال بعد مصيره على جهة الدين كالزيادة عليه فى ابتداء البيع و ذلك خطأ، لأن أحدهما محرم و الآخر مباح، و هو أيضاً منفصل منه فى العقد، لأن الزيادة فى أحدهما لتأخير الدين و فى الآخر لأجل البيع. و الفرق بين البيع و الربا: أن البيع ببدل لأن الثمن فيه بدل المثمن. و الربا ليس كذلك و إنما هو زيادة من غير بدل للتأخير فى الأجل أو زيادة فى الجنس «وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبا» و قوله: «فَمَنْ جاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهى فَلَهُ ما سَلَفَ» قال أبو جعفر من أدرك الإسلام و تاب مما كان عمله فى الجاهلية، وضع اللَّه عنه ما سلف. و قال السدى: له ما أكل، و ليس عليه ردّ ما سلف، فأما ما لم التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٣٦١

يقبض بعد، فلا يجوز له أخذه. و له رأس المال. و قال الطبرى: الموعظة التذكير و التخويف الذى ذكره اللَّه و خوفهم به من آى القرآن و أوعدهم عليه إذا أكلوا الربا من أنواع العقاب. و قوله: «وَ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ» معناه بعد مجىء الموعظة و التحريم، و بعد انتهاء أكله إلى اللَّه (تعالى) عصمته، و توفيقه إن شاء عصمه عن أكله و ثبته فى انتهائه عنه، و إن شاء خذله. و يحتمل أن يكون أراد، فله ما سلف يعنى من الربا المأخوذ دون العقاب الذى استحقه.

اللغة: ..... ص : ٣٦١

و قوله: «وَ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ» معناه فى جواز العفو عنه إن لم يتب و كل شىء قدمته امامك فهو سلف. و السلوف التقدم يقال: سلف يسلف سلوفاً و منه الأمم السالفة أى الماضية. و السالفة أعلى العنق. و الاسلاف الإعطاء قبل الاستحقاق تقول أسلفت المال إسلافاً، و سلافة الخمر: صفوها لأنه أول ما يخرج من عصيرها و السلفة: جلد رقيق يجعل بطانة للخفاف. و سلف الرجل: المتزوج باخت امرأته و السلفة ما تدخره المرأة لتتحف به زائراً، و أصل الباب التقدم. و قوله: «وَ مَنْ عادَ» فالعود هو الرجوع تقول عاد يعود عوداً إذا رجع. و عيادة المريض: المصير إليه لتعرف خبره. و العود: من عيدان الشجر، لأنه يعود إذا قطع و منه العود الذى يتبخر به.

و العود: المسن من الإبل. و المعاد كل شىء إليه المصير. فالآخرة معاد الناس أى مرجع. و قوله: «لَرادُّكَ إِلى مَعادٍ» «١» يعنى مكة بأن يفتحها عليه.

و الاعادة: فعل الشىء ثانية و هو المبدئ المعيد. و العادة تكرر الشىء مرة بعد مرة. و تعود الخير عادة. و العيد كل يوم مجمع عظيم، لأنه يعود فى السنة أو فى الأسبوع. و العائدة الصلة لأنها تعود بنفع على صاحبها و أصل الباب الرجوع.

---

(١) سورة القصص آية: ٨٥.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٣٦٢

تقول: عاد عوداً و اعتاد اعتياداً و استعاد استعادة و عوّد تعويداً، و تعود تعوداً، و عاود معاودة.

المعنى: ..... ص : ٣٦٢

و معنى الآيـة و من عاد لأكل الربا بعـد التحريم. و قال ما كان يقوله قبل مجىء الموعظة من أن البيع مثل الربا «فَأُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ» لأن ذلك لا يصدر إلا من كافر، لأن مستحل الربا كافر بالإجماع فلذلك توعده بعذاب الأبد. و الخلود و الوعيد فى الآيـة يتوجه إلى من أربى، و إن لم يـأكله و إنمـا ذكر اللّه الـذين يـأكلون الربا لأنها نزلت فى قوم كانوا يأكلونه، فوصـفهم بصـفتهم و حكمهـا سائر فى جميع من أربى. و الآيـة الأخرى التى ذكرناها و تبين معناها فيما بعـد تبين ما قلناه و عليه أيضاً الإجماع و قيل فى علة تحريم الربا أن فيه تعطيل المعايش و الاجلاب و المتاجر إذا وجد المربى من يعطيه دراهم و فضلا بدراهم.

و قال أبو عبد اللّه (ع) إنما شدد فى تحريم الربا لئلا يمتنع الناس من اصطناع المعروف فرضاً أو رفداً

و أما ذكر الموعظة هاهنا و أنها فى قوله: «قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ» لامرين:

أحـدهما- أن كل تأنيب ليس بحقيقى جاز فيه التذكير و التأنيث فجاء القرآن بالوجهين معاً. و الثانى- أنه ذكر هاهنا لوقوع الفصل بين الفعل و الفاعل بالضـمير و أنث فى الموضع الذى لم يفصل. و الربا محرم فى النقد و النسيئة بلا خلاف و كان بعض من تقدم يقول لا ربـا إلاـ فى النسـيئة و الـذى كـان يربيه أهل الجاهليـة أن يؤخروا الـدين عن محله إلى محل آخر بزيادة فيه و هـذا حرام بلا خلاف. و مسائل البيع الصحيح منها و الفاسد و فروعها بيناها فى النهاية و المبسوط و كذلك مسائل الصرف فلا نطول بذكرها فى هذا الكتاب.

قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ٢٧٦] ..... ص : ٣٦٢

اشارة

يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا وَ يُرْبِي الصَّدَقاتِ وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦)

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٣٦٣

آية واحدة

اللغة: ..... ص : ٣٦٣

المحق: نقصان الشـىء حالا بعد حال. محقه اللّه يمحقه محقاً، فانمحق و امتحق أى هلك و تلف بذهابه حالا بعد حال. و المحاق آخر الشهر لا محاق الهلال فيه.

و الشىء محيق بمعنى ممحوق و أصل الباب المحق فان قيل بأى شىء «يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا وَ يُرْبِي الصَّدَقاتِ؟» قلنا: يمحقه بأن ينقصه حالا بعد حال. و قال البلخى محقه فى الدنيا بسقوط عدالته و الحكم بفسقه و تسميته بالفسق.

المعنى: ..... ص : ٣٦٣

و قوله «وَ يُرْبِي الصَّدَقـاتِ» معنـاه يزيـدها بمـا يثمر المـال فى نفسه و بالأـجر عليه و ذلك بحسب الانتفاع بها و حسن النيـة فيها و وجه زيادته على المستحق بالعمل تفضل بالوعد به

و قـد روى عن النبى (ص) أن اللّه يقبل الصدقة، و لا يقبل منها إلا الطيب و يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم مهره أو فصـيله حتى أن اللقمة لتصير مثل أحد،

و ذلـك قوله: «يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبـا وَ يُرْبِي الصَّدَقـاتِ» و قوله: «وَ اللَّهُ لاـ يُحِبُّ كُـلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ» إنما لم يقل كل كافر مع دخول الكفار فى الكافر لأن كل كفار كافر و ليس كل كافر كفار للدلالة على أن مستـحل الربا فى قوله «إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا» مع أنه كافر كفار، و يجوز

للدلالة على صفات الذم إذ قد يتوهم أن الكفار من استكثر من كفر نعمة إنسان لا يبلغ به استحقاق العقاب و يجوز أن يكون من باب الاختصاص لعظم المنزلة فى الأمر الذى تعلق به الذكر «و الأثيم» هو المتمادى فى الإثم. و الآثم: الفاعل للاثم و إنما قال لا يحبه و لم يقل يبغضه لأنه إذا لم يحب المكلف فهو يبغضه فقولك لا ـ يحبه اللّه من صفات الذم كما أن قولك لم ينصف فى المعاملة من صفات الذم.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٣۶۴

قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ٢٧٧] ..... ص : ٣۶۴

اشارة

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ آتَوُا الزَّكاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٧)

آية واحدة.

المعنى: ..... ص : ٣۶۴

إن قيل: إذا كان الثواب يستحق بخلوص الايمان فلم يشرط غيره من الخصال؟

قلنا: لم يذكر ذلك ليكون شرطاً فى استحقاق الثواب على الايمان و إنما بين أن كل خصلة من هذه الخصال يستحق به الثواب و نظير ذلك ما ذكره فى آية الوعيد فى قوله: «وَ الَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ وَ لا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ لا يَزْنُونَ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أَثاماً يُضاعَفْ لَهُ الْعَذابُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ يَخْلُدْ فِيهِ مُهاناً» «١» فإنما بين أن كل خصلة من هذه الخصال يستحق بها العقاب لأن من المعلوم أن من دعا مع اللّه إلهاً آخر لا يحتاج إلى شرط عمل آخر استحق العقاب و إن كان الوعيد إنما يتوجه عليه بمجموع تلك الخصال لكان فيه تسهيل لكل واحد منها و ليس التقييد فى آيتى الوعيد يجرى مجرى قوله: «وَ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَناتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمانِينَ جَلْدَةً» «٢» من قبل أن هذا معلق بحكم يجب بوجوبه و يرتفع بارتفاعه بإجماع و ليس كذلك ذكر هذه الخصال.

و هذه الآية تدل على أن أفعال الجوارح ليست من الايمان و إن الايمان هو التصديق بما وجب لأنها لو كانت من الايمان، لكان قوله «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا» قد اشتمل عليها فلا ـ معنى لذكرها بواو العطف إذ لا ـ يعطف الشيء على نفسه. فان قيل ذلك يجرى مجرى قوله: «الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» «٣» و قوله:

---

(١) سورة الفرقان آية: ۶٨.

(٢) سورة النور آية: ۴. [.....]

(٣) سورة محمد آية: ١، و سورة النحل آية: ٨٨.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٣۶۵

«الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآياتِنا» «١» قلنا و الخلاف فى هاتين كالخلاف فى تلك لأنا لا نقول إن التكذيب بالآيات هو الكفر نفسه و إنما نقول هو دلالة على الكفر و كذلك الصد عن سبيل اللّه كما نقول: إن قول النبى (ص) فلان كافر يدل على كفره. و إن لم يكن ذلك كفراً و قال قوم: من المرجئة إن الوعد بهذه الخصال يدل على بطلان التحابط، لأنه تعالى ضمن الثواب بنفس فعل هذه الخصال، و لم يشرط ألا يأتى بما يحبطها فان قيل لا بد أن يكون ذلك مشروطاً كما أن الوعيد على الكفر لا بد أن يكون مشروطاً بارتفاع التوبة منه،

لأن كل واحد من الأمرين إنما يستحق بخلوه مما ينافيه و إذا اتبع بكبيرة لم يخلص كما لم يخلص ما اتبع بتوبة.
قلنا: إنما شرطنا الوعيد على الكفر بعدم التوبة لمكان الإجماع، لا لأن التوبة تسقط العقاب على الكفر، و إنما وعد اللّه (تعالى) تفضلا بإسقاط العقاب على المعاصى بالتوبة منها، و ليس مثل ذلك موجوداً فى آية الوعد لأنه ليس على شرط انتفاء الكبيرة إجماع، و العمل هو التغيير للشىء بالاحداث له أو فيه فإذا قيل:
عمل فلان الصالحات كان معناه أحدثها و إذا قيل: عمل الموازين و الخوض و السروج و الصفر و غير ذلك، كان المراد أنه أحدث فيها ما تتغير به صورتها.

قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ٢٧٨] ..... ص : ٣٦٥

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ ذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨)
آية واحدة.

النزول: ..... ص : ٣٦٥

ذكر السدى و ابن جريج و عكرمة أن هذه الآية نزلت فى بقية من الربا كانت للعباس و مسعود و عبد يأليل و حبيب و ربيعة. و بنى عمرو بن عمير و
روى عن أبى جعفر (ع) أن الوليد بن المغيره كان يربى فى الجاهلية و كان بقى له بقايا على

---

(١) سورة البقرة آية: ٣٩، و سورة المائدة آية: ١١، ٨٩ و سورة الحج آية: ٥٧ و سورة الحديد آية: ١٩، و سورة التغابن آية: ١٠.
التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٣۶۶
ثقيف فأراد خالد بن الوليد المطالبة بها بعد أن أسلم فنزلت هذه الآية فى المنع من ذلك.

المعنى: ..... ص : ٣۶۶

و معنى «ذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ الرِّبا» ظاهره تحريم ما بقى ديناً من الربا و إيجاب أخذ رأس المال دون الزيادة على جهة الربا. و قوله: «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» قيل فيه قولان: أحدهما- من كان مؤمناً فهذا حكمه. و الثانى- إذ كنتم مؤمنين. و الأول هو الأقوى.

اللغة: ..... ص : ٣۶۶

و معنى «ذروا» اتركوا. و لم يستعمل منه وذر، و لا واذر لكراهية الواو مبتدأة لأنها لم تزد أولًا فى كلامهم كزيادة أختيها الياء و الهمزة. قال الخليل:
إذا التقت واوان فى أول الكلمة أشبه بنباح الكلب فرفضوا ذلك إلا فيما هو عارض لا يعتد به فاستعملوا يذر، لأنه لا تظهر فيه الواو، و مثله يدع. فأما وعد فجاء على الأصل. فان قيل: لم جاز وصف المبهم بالوصول، و لم يحسن بالمضاف فجاز أن يقول: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» و لم يحسن (يا أيها غلام زيد) قلنا: لأن المبهم حقه أن يوصف بالجنس المعرَّف بالألف و اللام، لأنه إذا عرض فيه تنكير

بطلت دلالته على الجنس، فاحتيج إلى وصفه بالجنس لذلك. فان قيل: هلا جاز (يا أيها غلام الرجل) كما جاز (نعم غلام الرجل) إذ المضاف إلى الجنس يقوم مقام الجنس. قيل: لأنه لا يجوز فى الأسماء التامة أن تكون ثلاثة أسماء بمنزلة اسم واحد منها. و قد جعل (يا أيها الرجل) بمنزلة اسمين ضم أحدهما إلى الآخر نحو (حضرموت) ليكون بذلك أشد اتصالًا بالموصوف من سائر الصفات، فلم يجز فى المضاف لما يجب له من شدة الاتصال و جاز فى نعم، لأنه على الانفصال.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۶۷

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۷۹] ..... ص : ۳۶۷

اشارة

فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَ لا تُظْلَمُونَ (۲۷۹)

آية.

القراءة: ..... ص : ۳۶۷

قرأ (فآذنوا) من الرباعى ممدودة حمزة و عاصم: من آذنت أى أعلمت.

الباقون (فأذنوا).

المعنى: ..... ص : ۳۶۷

و التقدير فى قوله:«فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا» يعنى ترك ما بقى من الربا أو تجنب ما بقى من الربا، لأن ما تقدم دلّ عليه. و قال ابن عباس، و قتادة، و الربيع: من عامل بالربا استتابه الامام فان تاب، و إلا قتله. و قال البلخى: لو اجتمع أهل قرية على اظهار المعاملة بالربا، لكان على الامام محاربتهم، و إن كانوا محرمين له، و لو فعل الواحد بعد الواحد، و الأكثر منكر لفعله لم يقتل الواحد، لكن يقام عليه من الحكم ما يستحقه. و عندنا أنه يؤدبه الامام ثلاث مرات بما يرتدع معه عن فعل مثله فان عاد رابعاً قتله.

اللغة: ..... ص : ۳۶۷

و معنى قوله:«فاذنوا» ممدوداً: علموا غيركم. و من قرأ بالقصر فهو من أذنت به آذن اذناً إذا علمت به. و قوله: «بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ» فالحرب: القتال.

و الحرب: الشدة. و الحربة: التى يطعن بها من آلة الحرب. و التحريب: التحريش.

لأنه حمل على ما هو كالحرب من الأذى. و المحراب: مقام الامام، لأنه كموضع الحرب فى شدة التحفظ. و الحربا: المسمار الذى يجمع حلقتى الدرع. و الحرباء: دويبة التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۶۸

أكبر من العظاءة، لأنه ينتصب على الشجرة كمصلوب أخذ من الحرب لشدة طلبه للشمس تدور معها كيفما دارت. و أصل الباب الشدة. و معنى قوله: (وَ إِنْ تُبْتُمْ) يعنى من الربا لأن الكلام يدل عليه، فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون بأخذ الزيادة على رأس المال و لا تظلمون بالنقصان. و روى فى الشواذ «لا تَظْلِمُونَ وَ لا تُظْلَمُونَ» و المعنى واحد و إنما فيه تقديم و تأخير و موضع (لا تظلمون) نصب على الحال. و تقديره فلكم رؤس أموالكم غير ظالمين و لا مظلومين.

و قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ٢٨٠] ..... ص : ٣٦٨

وَ إِنْ كانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلى مَيْسَرَةٍ وَ أَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨٠)

معنى قوله: وَ إِنْ كانَ ذُو عُسْرَةٍ أى من غرمائكم إن كان معسراً. و ارتفع ذو عسرة لأحد وجهين:

أحدهما- حذف الخبر، و تقديره و إن كان ذو عسرة غريماً لكم. الثاني- أن تكون كان التامة المكتفية باسمها و تقديره و إن وقع ذو عسرة أو وجد ذو عسرة و كان يجوز و إن كان ذا عسرة على تقدير و إن كان الذى عليه الدين ذا عسرة.

و روى ذلك فى قراءة أبى. و قوله: (فنظرة) معناه فعليكم نظرة، و هل الانظار واجب فى كل دين أو فى دين الربا فقط. قيل فيه ثلاثة أقوال:

أولها- قال شريح، و إبراهيم فى دين الربا خاصة. و الثاني- قال ابن عباس، و الضحاك، و الحسن:

فى كل دين. و هو قول أبى جعفر، و أبى عبد اللَّه (ع).

الثالث- بالآية يجب فى دين الربا و بالقياس فى كل دين، و استدل على أنه يجب فى كل دين بأنه لا يخلو أن يجب فى ذمته أو فى رقبته أو عين ماله، فلو كان فى رقبته لكان إذا مات بطل وجوبه، و لو كان فى عين ما له كان إذا هلك بطل وجوبه فصح أنه فى ذمته، و لا سبيل له عليه فى غير ذلك من حبس أو نحوه.

و قرأ نافع (ميسرة)- بضم السين- الباقون بفتحها، و هما لغتان: التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٣٦٩

و معناه إلى أن يوسع عليه.

و قال أبو جعفر (ع) إلى أن يبلغ خبره الامام فيقضى عنه من سهم الغارمين إذا كان أنفقه فى معروف.

و قوله: (وَ أَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ) معناه على المعسر بما عليه من الدين خير لكم. و قيل إن معناه و إن تصدقوا بجميع المال على الفقراء. و الاول أليق بما تقدم. و روى عن ابن عباس، و عمر أن آخر ما نزل من القرآن آى الربا. و روى عن مجاهد (ميسره) بالهاء فى الوصل مضافاً إلى الهاء. و لم يجز ذلك البصريون لأنه ليس فى الكلام مفعله. و الإعسار الذى يجب فيه الانظار قال الجبائى: التعذر بالاعدام أو بكساد المتاع و نحوه.

و روى عن أبى عبد اللَّه (ع) هو إذا لم يقدر على ما يفضل عن قوته و قوة عياله على الاقتصاد.

و روى عن عطا (فناظرة) و هو شاذ، و هو مصدر نحو قوله: «لَيْسَ لِوَقْعَتِها كاذِبَةٌ» «١» «و تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ» «٢» و كذلك العاقبة و العافية.

قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ٢٨١] ..... ص : ٣٦٩

اشارة

وَ اتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ (٢٨١)

آية واحدة.

القراءة و النزول: ..... ص : ٣٦٩

قرأ أبو عمرو، وحده (ترجعون) بفتح التاء الباقون بضمها. قال ابن عباس و عطية و السدى: هذه الآية آخر ما نزلت من القرآن. و قال جبريل (ع) ضعها فى رأس الثمانين و المائتين من البقرة.

المعنى: ..... ص : ۳۶۹

و قيل في معنى ترجعون فيه إلى اللَّه قولان:

أحدهما- ترجعون فيه إلى جزاء اللَّه. الثانى- ترجعون فيه إلى ملك اللَّه

---

(۱) سورة الواقعة آية: ۲.

(۲) سورة القيامة آية: ۲۵.

التبيان في تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۷۰

لنفعكم و ضركم دون غيره ممن كان ملكه إياه في دار الدنيا. و قوله (ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ) قيل فيه وجهان: أحدهما- توفى جزاء ما كسبت من الاعمال.

الثاني- توفى بما كسبت من الثواب أو العقاب، لأن الكسب على وجهين: كسب العبد لفعله و كسبه لما ليس من فعله ككسبه المال و قوله: (وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ) معناه لا ينقصون ما يستحقونه من الثواب و لا يزداد عليهم فيما يستحقونه من العقاب و الآية تدل على أن الجزاء لا يكون إلا على الكسب لأنه لو كان خاصاً لجرى مجرى توفى كل نفس ما قالت و ليس مفهومه كذلك لأنه عام فيما يجازى به العبد و موضع «ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ» نصب بانه عطف على صفة يوماً إلا أنه حذف منه فيه لدلالة الأول عليه.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۸۲] ..... ص : ۳۷۰

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا تَدايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَ لْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَ لا يَأْبَ كاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَما عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَ لْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَ لْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَ لا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَ اسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَداءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما فَتُذَكِّرَ إِحْداهُمَا الْأُخْرى وَ لا يَأْبَ الشُّهَداءُ إِذا ما دُعُوا وَ لا تَسْئَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلى أَجَلِهِ ذلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَ أَقْوَمُ لِلشَّهادَةِ وَ أَدْنى أَلَّا تَرْتابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجارَةً حاضِرَةً تُدِيرُونَها بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَلَّا تَكْتُبُوها وَ أَشْهِدُوا إِذا تَبايَعْتُمْ وَ لا يُضَارَّ كاتِبٌ وَ لا شَهِيدٌ وَ إِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ يُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (۲۸۲)

التبيان في تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۷۱

آية واحدة.

القراءة: ..... ص : ۳۷۱

قرأ حمزة وحده (ان تضل إحداهما) بكسر الالف. الباقون بفتحها. و قرأ ابن كثير، و أبو عمرو (فتذكر) بالتخفيف و النصب. و قرأ حمزة بالتشديد، و الرفع. و قرأ (تجارة حاضرة) بالنصب عاصم. الباقون بالرفع.

المعنى: ..... ص : ۳۷۱

قوله: «إِذا تَدايَنْتُمْ» معناه تعاملتم بدين. و إنما قال: «بدين» و إن كان تداينتم أفاده لأمرين:

أحدهما- أنه على وجه التأكيد كما تقول ضربته ضرباً. و الثاني- أن تداينتم يكون بمعنى تجازيتم من الدين الذى هو الجزاء فإذا قال: بدين اختص بالدين خاصة «إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى» معناه معلوم و قوله: «فَاكْتُبُوهُ» ظاهره الأمر بالكتابة. و اختلفوا فى مقتضاه، فقال أبو سعيد الخدرى، و الشعبى، و الحسن:

هو مندوب إليه. و قال الربيع، و كعب: هو على الفرض. و الاول أصح، لإجماع أهل عصرنا على ذلك. و لقوله تعالى «فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمانَتَهُ» و مفهومه فان أمنه فيما له أن يأمنه. و قال ابن عباس: هذه الآية فى السَّلم خاصة. و قال غيره: حكمها فى كل دين من سلم أو تأخير ثمن فى بيع. و هو الأقوى لآية العموم. فأما القرض فلا مدخل له فيه لأنه لا يجوز مؤجلا و قوله: (وَ لا يَأْبَ التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۷۲

كاتِبٌ)

ظاهره النهى عن الامتناع من الكتابة، و النهى يقتضى تحريم الامتناع.

و قال عامر الشعبى هو فرض على الكفاية كالجهاد، و هو اختيار الرمانى، و الجبائى و جوز الجبائى أن يأخذ الكاتب و الشاهد الأجرة على ذلك. و عندنا لا يجوز ذلك. و الورق الذى يكتب فيه على صاحب الدين دون من عليه الدين. و يكون الكتاب فى يده لأنه له. و قال السدى واجب على الكاتب فى حال فراغه. و قال مجاهد و عطا هو واجب إذا أمر. و قال الضحاك نسختها قوله: «وَ لا يُضَارَّ كاتِبٌ وَ لا شَهِيدٌ».

و قوله: (أَنْ يَكْتُبَ كَما عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ) يعنى الكاتب «وَ لْيُمْلِلِ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ» أمر لمن عليه الحق بالاملال و هو و الاملاء بمعنى تقول أمليت عليه و أمللت عليه بمعنى واحد. و قوله: (وَ لْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ) معناه لا يملل إلا الحق الذى عليه و الإملال المراد به الندب لأنه لو أملأ غيره و أشهد هو كان جائزاً بلا خلاف.

و قوله: (وَ لا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً) أى لا ينقص منه شيئاً و البخس النقص ظلماً. و قد بخسه حقه يبخسه بخساً إذا نقصه ظلماً و منه قوله تعالى «وَ لا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ» أى لا تنقصوهم ظالمين لهم و منه قوله (وَ شَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ) أى ناقص عن حقه و البخس فقأ العين لأنه إدخال نقص على صاحبها و تباخس القوم فى البيع إذا تعاتبوا و قوله: (فَإِنْ كانَ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً) قال مجاهد السفيه: الجاهل.

و قال السدى الصغير و أصل السفه الخفة و من ذلك قول الشاعر:

مشين كما اهتزت رماح تسفهت أعاليها مرّ الرياح النواسم «۱»

أى استخفتها الرياح و قال الشاعر:

نخاف أن يسفه أحلامنا فنحمل الدهر مع الخامل

أى تخف أحلامنا فالسفيه الجاهل، لأنه خفيف العقل بنقصه. و قوله:

«أَوْ ضَعِيفاً» قال مجاهد و الشعبى: هو الأحمق. و قال الطبرى: هو العاجز عن الاملاء بالعى أو بالخرس «أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ» قال ابن عباس: هو العى الأخرس. و قيل: المجنون. و الهاء فى قوله «وليه» عائدة إلى السفيه- فى قول

---

(۱) اللسان (سفه).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۷۳

الضحاك، و ابن زيد- الذى يقوم مقامه. و قال الربيع: ترجع إلى ولى الحق.

و الاول أقوى. و إذا أشهد الولى على نفسه فلا يلزمه المال فى ذمته بل يلزم ذلك فى مال المولى عليه. و قوله: «وَ اسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجالِكُمْ» يعنى من رجال الأحرار المسلمين دون الكفار و العبيد- فى قول مجاهد- و الحرية ليست عندنا شرطاً فى قبول الشهادة و

إنما الإسلام شرط من العدالة. و به قال شريح و البتى، و أبو ثور، و مثله قوله: (وَ أَنْكِحُوا الْأَيامى مِنْكُمْ وَ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبادِكُمْ وَ إِمائِكُمْ) «١» و قوله: «فَإِنْ لَمْ يَكُونا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتانِ» يحتمل رفعه أربعة أوجه:

أحدها- فليكن رجل و امرأتان. الثانى- فليشهد رجل و امرأتان.

الثالث- فالشاهد رجل و امرأتان. الرابع- فرجل و امرأتان يشهدون و كل ذلك حسن. و كان يجوز أن ينصب رجلا و امرأتين بمعنى و استشهدوا رجلا و امرأتين.

و قوله: «أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما فَتُذَكِّرَ إِحْداهُمَا الْأُخْرى يحتمل وجهين:

أحدهما- قال الربيع و السدى و الضحاك و أكثر المفسرين إنه من الذكر الذى هو ضد النسيان. و قال سفيان بن عيينة: هو من الذكر. و معناه أن تجعلها كذكر من الرجال. و معنى أن تضل لأن تضل أو من أجل أن. فان قيل لم قال «أَنْ تَضِلَّ» و إنما الاشهاد، للاذكار لا للضلال قيل عنه جوابان:

أحدهما- قال سيبويه أنه لما كان الضلال سبب الاذكار قدّم لذلك و جاز لتعلق كل واحد منهما بالآخر فى حكم واحد فصار بمنزلة ما وقع الاشهاد للمرأتين من أجل الضلال، كما وقع من أجل الاذكار و كثيراً فى السبب و المسبب أن يحمل كل واحد منهما على الآخر، و مثله أعددت الخشبة أن تميل الحائط فأدعمه و إنما أعددته فى الحقيقة للدعم و لكن حمل عليه الميل لأنه سببه.

الثانى- قال الفراء إنه بمعنى الجزاء على أن تذكر إحداهما الأخرى إن ضلت إلا- أنه لما قدّمت (أن) اتصلت بما قبلها من العامل فانفتحت. و مثله يعجبنى أن سأل السائل فيعطى. و إنما يعجبك الإعطاء دون المسألة. و مثله قوله:

---

(١) سورة النور آية: ٣٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٣٧٤

«وَ لَوْ لا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنا» «١» و معناه و لو لا- أن يقولوا أن أصابهم مصيبة، و إنما قدّم و أخر. قال الرمانى قول سيبويه فى هذا أقوى لما فى الثانى من الدعوى لإخراج الجزاء إلى المصدر لغير فائدة.

و أنكر بعضهم قراءة حمزة «إن تضل»- بكسر الهمزة- و قال الرمانى:

لا معنى لهذا الإنكار، لأن عليها إجماع الأمة و تسليم القراءة بها و لها وجه صحيح فى العربية. و قال أبو على الفارسى إن حمزة جعل إن للجزاء، و الفاء فى قوله «فتذكر» جواب الجزاء، و يكون موضع جوابه رفعاً بكونها وصفاً للمنكرين و هما المرأتان فى الآى و قوله: (فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتانِ) خبر ابتداء محذوف، و تقديره فمن يشهد رجل و امرأتان، و انفتحت اللام فى هذه القراءة لالتقاء الساكنين، و موضعهما الجزم و لو كسرت، لكان جائزاً و قال قوم: غلط سفيان بن عيينة فى تأويله، لأن إحداهما إذا نسيت لم تجعلها الأخرى ذكراً و هذا ليس بشىء، لأن المعنى تذكرها تصير معها بمنزلة الذكر لأن بعدهما من النسيان إذا اجتمعا بمنزلة بعد الذكر، فان قيل: فلم قال «فَتُذَكِّرَ إِحْداهُمَا الْأُخْرى فكرر لفظ إحداهما، و لو قال فتذكرها الأخرى لقام مقامه مع اختصاره. قيل قال الحسين بن على المغربى: إن تضل إحداهما يعنى إحدى الشهادتين أى تضيع بالنسيان فتذكر أحدى المرأتين الأخرى، لئلا يتكرر لفظ إحداهما بلا معنى و يؤيد ذلك أنه يسمى ناسى الشهادة ضالًا. و يجوز أن يقال: ضلت الشهادة إذا ضاعت كما قال تعالى: «قالُوا ضَلُّوا عَنَّا» «٢» أى ضاعوا منا و يحتمل أن يكون إنما كرر لئلا يفصل بين الفعل و الفاعل بالمفعول فان ذلك مكروه غير جيد، فعلى هذا يكون إحداهما الفاعلة و الاخرى مفعولًا بها. و قوله: (وَ لا يَأْبَ الشُّهَداءُ إِذا ما دُعُوا) قيل فى معنى ما دعوا إليه ثلاثة أقوال:

أحدها- لاثبات الشهادة فى الكتاب و تحملها ذهب إليه ابن عباس، و قتادة،

---

(١) سورة القصص آية: ٤٧.

(۲) سورة الاعراف آية: ۳۶، و سورة المؤمن آية: ۷۳.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۷۵

و الربيع. الثانى- قال مجاهد، و عامر، و عطا ذلك إذا دعوا لإقامتها. الثالث- فى رواية عن ابن عباس، و الحسن، و أبى عبد اللَّه (ع) لإقامتها و إثباتها.

و هو أعم فائدة. و قال الطبرى: لا يجوز إلا إذا دعوا لإقامتها، لأن قبل أن يشهدوا لا يوصفون بأنهم شهداء. و هذا باطل لأنه تعالى قال: «وَ اسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجالِكُمْ» فسماهما شاهدين قبل إقامة الشهادة.

اللغة: ..... ص : ۳۷۵

و قوله: (وَ لا تَسْئَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلى أَجَلِهِ) فالسأم:

الملل، سئم يسأم سأماً إذا مل من الشيء و ضجر منه قال زهير:

سئمت تكاليف الحياة و من يعش ثمانين حولا لا أبالك يسأم «۱»

و الصغير: خلاف الكبير صغر الشيء يصغر صغراً، و صغره تصغيراً و استصغره استصغاراً و تصاغر تصاغراً. و صغر يصغر صغراً و صغاراً: إذا رضى بالضيم، لأنه رضى باستصغاره. و تصاغرت إليه نفسه ذلًا و مهانة. و الاصغار حنين الناقة الحفيض و الإكبار حنينها الكبير. و الهاء فى قوله: «أجله» يحتمل أن تكون عائدة إلى أجل الدين. و هو الأقوى. و الثانى إلى أجل الشاهد. أى الوقت الذى تجوز فيه الشهادة. و قوله: «ذلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ» معناه أعدل و القسط: العدل تقول: أقسط إقساطاً، فهو مقسط إذا عدل و منه قوله: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» و القسط: الحصة تقول أخذ فلان قسطه أى حصته. و قد تقسطوا الشيء بينهم أى اقتسموه على القسط أى على العدل. و كل مقدار قسط لأنه عدل غيره بالمساواة له. و القسوط: الجور لأنه عدول عن الحق قسط يقسط قسطاً، فهو قاسط إذا جاز عن الحق. و قوله تعالى: أَمَّا الْقاسِطُونَ فَكانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً»

«۲» و الرجل القسطاء: التى فى ساقها اعوجاج لعدوله عن الاستقامة.

---

(۱) من معلقته الشهيرة: ديوانه ۹.

(۲) سورة الجن آية: ۱۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۷۶

المعنى: ..... ص : ۳۷۶

و قوله: «وَ أَقْوَمُ لِلشَّهادَةِ» معناه أصح لها مأخوذ من الاستقامة. و قوله:

«وَ أَدْنى أَلَّا تَرْتابُوا» أى أقرب ألا تشكوا بأن ينكر من عليه الحق. و قيل:

بالا ترتابوا بالشاهد أن يضل، و قوله: «إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجارَةً حاضِرَةً» فمن رفع احتمل رفعه أمرين:

أحدهما- أن تكون (كان) تامة بمعنى وقع، فيكون اسم كان، و يحتمل أن تكون ناقصة و يكون اسمها و الخبر تديرونها. و من نصب معناه أن تكون التبايع تجارة أو التجارة تجارة. و قوله: «وَ أَشْهِدُوا إِذا تَبايَعْتُمْ» قال الضحاك:

الاشهاد: فرض فى التبايع و به قال أصحاب الطاهر و اختاره الطبرى. و قال الحسن، و الشعبى ذو ندب. و هو الصحيح و به قال جميع الفقهاء. و قوله «وَ لا يُضَارَّ» أصله يضارر- بكسر الراء- عند الحسن، و قتادة، و عطا، و ابن زيد، و قيل:

المضارة و هو أن يشهد الشاهد بما لم يستشهد فيه، و يكتب الكاتب بما لم يمل عليه.
ذهب إليه الحسن، و طاوس، و هو الأقوى. بدلالة قوله «وَ إِنْ تَفْعَلُوا» يعنى المضارة «فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ» أى معصية فى قول ابن عباس، و مجاهد، و الضحاك. و من دعا الشاهد و هو مشغول، فتأخر لا يكون فاسقاً بلا خلاف. و قال ابن مسعود، و مجاهد- بفتح الراء- و معناه لا يدعى الكاتب، و الشاهد، و هو مشغول على وجه الإضرار به. و معنى قوله: «صَغِيراً أَوْ كَبِيراً» معناه هو فى العادة صغير جرت العادة بكتب مثله، و لا يريد بذلك ما قدره حبة أو قيراط، لأن ذلك لم تجر العادة بكتب مثله، و الاشهاد عليه و ليس فى الآية ما يدل على أنه لا يجوز الحكم بالشاهد و اليمين، لأن الحكم بالشاهد و المرأتين أو بالشاهدين لا يمنع من قيام الدلالة على جواب الحكم بالشاهد مع اليمين. و لا يكون ذلك نسخاً لذلك، لأنه ليس بمناف للمذكور فى الآية و الحكم بالشاهد و المرأتين يختص بما يكون مالا- أو المقصد به المال فأما الحدود التى هى حق اللّه و حقوق الآدميين و ما يوجب القصاص، فلا يحكم التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۷۷
فيها بشهادة رجل و امرأتين، و كذلك عندنا فى الشاهد، و اليمين حكم الشاهد و المرأتين سواء. و قد بسطنا مسائل الشهادات، و فروعها، و ما يقبل منها و ما لا- يقبل و أحكام شهادة النساء و العبيد و غير ذلك فى كتابينا النهاية، و المبسوط، فلا معنى للتطويل بذكرها هاهنا. و قوله: «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» معناه اتقوا معاصيه و عقابه.
و قوله: «وَ يُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ» معناه يعلمكم ما فيه صلاح دينكم و دنياكم و ما ينبغى لكم فعله، و ما يحرم عليكم. و اللَّه عليم بذلك و بما سواه من المعلومات فلذلك، قال «بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ».

الاعراب: ..... ص : ۳۷۷

و قال أبو على الفارسى «أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما فَتُذَكِّرَ إِحْداهُمَا الْأُخْرى لا يكون متعلقاً بقوله: «وَ اسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجالِكُمْ» «أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما» و لكن يتعلق بأن يفعل مضمر دل عليه هذا الكلام، لأن قوله: «فَإِنْ لَمْ يَكُونا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتانِ» يدل على قولك و استشهدوا رجلًا و امرأتين، فتعلق (ان) إنما هو بهذا الفعل المدلول عليه. قال و يجوز أن تتعلق (ان) بأحد ثلاثة أشياء.
أحدها- المضمر الذى دل عليه قوله: «وَ اسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ». الثانى- الفعل الذى هو فليشهد رجل و امرأتان. الثالث- الفعل الذى هو خبر المبتدأ، و تقديره فرجل و امرأتان يشهدون، فيكون يشهدون خبر المبتدأ. قال و قوله: «مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَداءِ» فيه ذكر يعود إلى الموصوفين الذين هم «فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتانِ»، و لا يجوز أن يكون فيه ذكر لشهيدين المتقدم ذكرهما لاختلاف إعراب الموصوفين ألا ترى أن شهيدين منصوبان، و رجل و امرأتان اعرابهم الرفع، فإذا كان كذلك علمت أن الوصف الذى هو ظرف إنما هو وصف لقوله: «فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتانِ» دون من تقدم ذكرهما من الشاهدين، و الشرط و جزاؤه وصف للمرأتين، لأن الشرط، و الجزاء جملة يوصف بها كما يوصل بها فى قوله: «الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ ....» الآية «۱».

---

(۱) سورة الحج آية ۴۱.
التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۷۸

اللغة: ..... ص : ۳۷۸

و أما إحدى فهو مؤنث الواحد و الواحد الذى مؤنثه إحدى إنما هو اسم و ليس. بوصف و لذلك جاء احدى على بناء لا يكون للصفات أبداً كما كان الذى هو مذكره كذلك و قال أحمد بن يحيى قالوا: هو إحدى الأحد، و واحد الأحدين و واحد الآحاد و

أنشد:

عدّونى الثعلب فيما عدّوا حتى استثاروا بى أحدى الأحد

ليثاً هزبراً ذا سلاح معتدى «۱»

المعنى: ..... ص : ۳۷۸

و قوله: «إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجارَةً حاضِرَةً» استثناء من جملة ما أمر اللَّه بكتابته و الاشهاد عليه عند التبايع فاستثنى منه يداً بيد فانه لا يحتاج إلى الكتابة و لا الاشهاد عليه، و الأول يحتاج إليه على خلاف، فى كونه ندباً أو وجوباً كما ذكرناه.

و قيل فى البقرة خمسمائة حكم و فى هذه الآية أربعة عشر حكماً أولها قوله:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا تَدايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ» و الثانى- «وَ لْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كاتِبٌ بِالْعَدْلِ» الثالث- «وَ لا يَأْبَ كاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَما عَلَّمَهُ اللَّهُ» و الرابع- «وَ لْيُمْلِلِ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ» و هو أقداره إذا أملاه. الخامس- «وَ لْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَ لا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً». أى لا يخون، و لا ينقصه. السادس- «فَإِنْ كانَ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ» أى لا يحسن «فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ» السابع- «وَ اسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجالِكُمْ» و الثامن- «فَإِنْ لَمْ يَكُونا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَداءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما فَتُذَكِّرَ إِحْداهُمَا الْأُخْرى التاسع- «وَ لا يَأْبَ الشُّهَداءُ إِذا ما دُعُوا» و العاشر- «وَ لا تَسْئَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلى أَجَلِهِ» أى لا تضجروا. و الحادى عشر- «ذلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَ أَقْوَمُ لِلشَّهادَةِ وَ أَدْنى أَلَّا تَرْتابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجارَةً حاضِرَةً

---

(۱) هكذا فى المطبوعة. و لم نجدها فى مصادرنا- و هى كما ترى.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۷۹

تُدِيرُونَها بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَلَّا تَكْتُبُوها» الثانى عشر- «وَ أَشْهِدُوا إِذا تَبايَعْتُمْ» الثالث عشر- «وَ لا يُضَارَّ كاتِبٌ وَ لا شَهِيدٌ» الرابع عشر- «وَ إِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ» و قال قوم: فيها إحدى و عشرون حكماً: «إِذا تَدايَنْتُمْ» حكم «فَاكْتُبُوهُ» حكم «وَ لا يَبْخَسْ» حكم «فَإِنْ كانَ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً» حكم «أَوْ ضَعِيفاً» حكم «أَوْ لا يَسْتَطِيعُ» حكم «فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ» حكم «بالعدل» حكم «وَ اسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ» حكم «فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتانِ» حكم «مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَداءِ» حكم «وَ لا يَأْبَ الشُّهَداءُ» حكم «وَ لا تَسْئَمُوا» حكم «إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجارَةً حاضِرَةً» حكم «وَ أَشْهِدُوا إِذا تَبايَعْتُمْ» حكم «وَ لا يُضَارَّ كاتِبٌ» حكم «وَ لا شَهِيدٌ» حكم.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۸۳] ..... ص : ۳۷۹

اشارة

وَ إِنْ كُنْتُمْ عَلى سَفَرٍ وَ لَمْ تَجِدُوا كاتِباً فَرِهانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمانَتَهُ وَ لْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَ لا تَكْتُمُوا الشَّهادَةَ وَ مَنْ يَكْتُمْها فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (۲۸۳)

آية بلا خلاف.

القراءة و اللغة: ..... ص : ۳۷۹

قرأ أبو عمرو و ابن كثير «فرهن» على وزن فعل. الباقون «فرهان» على فعال. الرهن مصدر رهنت الشيء أرهنه رهناً و أرهنته إرهاناً. و

الأول أفصح قال الشاعر فى أرهنت:

فلما خشيت أظافيره نجوت و أرهنته مالكا «۱»

و قال الازهرى:

أرهنت فى الشيء إذا سلفت فيه.

---

(١) قيل ان البيت لهمام بن مرة، و فى الصحاح لعبد اللّه بن همام السلولى. اللسان (رهن) و روايته (اظافيرهم) بدل (أظافيره). فى المطبوعة (نحرت) بدل نجوت.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ٣٨٠

قال الشاعر:

عيدّية أرهنت فيها الدنانير «۱»

و أرهنته ارتهاناً و تراهنوا تراهناً. و راهنه مراهنة و استرهنه استرهاناً.

و الإنسان رهين عمله. و كل شيء يحتبس غيره فهو رهينة و مرتهنة. و أصل الباب الرهن:

حبس الشيء بما عليه و واحد الرهن رهان. و هو جمع الجمعِ نحو ثمار و ثمر فى قول الكسائى، و الفراء. و قال أبو عبيدة: واحده رهن نحو سقف و سُقف. و قيل لا يعرف فى الأسماء فَعل و فُعل غير هذين. و زاد بعضهم قَلب النخلة و قُلب. فأما (رهان) فهو جمع رهن، و هو على القياس نحو حبل و حبال، و فعل و فعال، و كبش و كباش، و إنما اختار أبو عمرو: فرهن لأنه موافق لخط المصحف، و لغلبة الاستعمال فى الرهان فى الخيل، و اختاره الزجاج أيضاً. و من اختار (رهان) فلاطراده فى باب الجمع. و كل حسن. و ارتفع (فرهن) بأنه خبر ابتداء محذوف تقديره فالوثيقة رهن و يجوز فعليه رهن. و لو قرئ «فرهناً» بالنصب بمعنى فارتهنوا رهناً جاز فى العربية، و لكن لم يقرأ به أحد. و شاهد الرهن قول قعنب بن أم صاحب:

بانت سعاد و أمسى دونها عدن و غلقت عندها من قبلك الرهن «۲»

المعنى: ..... ص : ٣٨٠

و من شرط صحة الرهن أن يكون مقبوضاً لقوله: «فَرِهانٌ مَقْبُوضَةٌ» فان لم يقبض لم ينعقد الرهن. و مسائل الرهن ذكرناها فى النهاية و المبسوط مستوفاة فلا فائدة للتطويل بذكرها هاهنا. و يجوز أخذ الرهن فى الحضر مع وجود الكاتب، لما

روى أن النبى (ص) اشترى طعاماً نساء و رهن فيه درعاً.

و

قوله (ع) لا يغلق الرهن.

معناه أن يقول الراهن إن جئتك بفكاكه إلى شهر و إلا فهو لك بالدين.

و هذا باطل بلا خلاف.

---

(١) اللسان (عود) و صدره: ظلت تجوب بها البلدان ناجية. [.....]

(٢) اللسان (رهن).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ٣٨١

و قوله: «وَ لا تَكْتُمُوا الشَّهادَةَ» يعنى بعد تحملها «وَ مَنْ يَكْتُمْها فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ» إنما أضاف إلى القلب مجازاً، لأنه محل الكتمان، و إلا

فالآثم هو الحى.
و قوله: «فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً» معناه ان أتمنه فلم يقبض منه رهناً «فَلْيُؤَدِّ الَّذِی اؤْتُمِنَ أَمانَتَهُ» يعنى الـذى عليه الـدين «وَ لْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ» أن يظلمه أو يخونه «وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ» بما تسرونه و تكتمونه.
و دل قوله: «فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً» على أن الاشهاد و الكتابة فى المداينة ليس بواجب، و إنما هو على جهة الاحتياط. و قد روى عن ابن عباس، و مجاهد، و غيرهما «فان لم تجدوا كتابا» يعنى ما تكتبون فيه من طرس أو غيره. و المشهور هو الاول الذى حكيناه عن قراء أهل الأمصار، و حكى عن بعضهم أنه قرأ «فانه آثم قلبه» بالنصب فان صح فهو من قولهم: سفهت نفسك و أثمت قلبك.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۸۴] ..... ص : ۳۸۱

اشارة

لِلَّهِ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ وَ إِنْ تُبْدُوا ما فِی أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۲۸۴)
آية واحدة بلا خلاف.

القراءة: ..... ص : ۳۸۱

قرأ «فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ» بالرفع عاصم، و ابن عامر على الاستئناف فى قول المبرد. و يجوز أن يكون محمولا على تأويل «يحاسبكم» لأنه لو دخلته الفاء كان رفعاً، فيكون فيه على هذا معنى الجواب. و قرأ الباقون على الجزم: عطفاً على «يحاسبكم» و هو جواب الشرط، و كان يجوز أن يقرأ فيغفر بالنصب على مصدر الفعل الأول و تقديره إن يكن محاسبة، فيغفر لمن يشاء.
و روى ذلك عن أبن عباس.
التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۸۲

المعنى: ..... ص : ۳۸۲

و اللام فى قوله: «لِلَّه» لام الملك و معناه ان للَّه تصريف السماوات و الأرض و تدبيرهما لقدرته على ذلك و ليس لأحد منعه منه و إنما ذكر قوله: «وَ إِنْ تُبْدُوا ما فِی أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ» لأن المعنى فيه كتمان الشهادة. و يحتمل أن يريد جميع الأحكام التى تقدمت فى السورة. خوفهم اللَّه من العمل بخلافها. و قال قوم هذه الآية منسوخة بقوله: «لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها» «۱» و رووا فى ذلك خبراً ضعيفاً، و هذا لا يجوز لأمرين:
أحدهما- أن الاخبار التى لا تتضمن معنى الأمر و النهى و الاباحة لا يجوز نسخها، و هذا خبر محض خال من ذلك.
الثانى- لا يجوز تكليف نفس ما ليس فى وسعها على وجه، فينسخ. و يجوز أن تكون الآية الثانية بينت الاولى و أزالت توهم من صرف ذلك إلى غير وجهه، فلم يضبط الرواية فيه، و ظن أن ما يخطر للنفس أو تحدث نفسه به مما لا يتعلق بتكليفه فان اللّه يؤاخذه به. و الأمر بخلاف ذلك، و إنما المراد بالآية ما يتناوله الأمر و النهى من الاعتقادات و الإرادات و غير ذلك مما هو مستور عنا. فأما ما لا يدخل فى التكليف فخارج عنه لدلالة العقل. و لقوله (ع) تجوز لهذه الأمة عن نسيانها و ما حدثت به أنفسها. و قوله: (فيغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء) معناه ممن يستحق العقاب بأنه إن شاء عاقبه، و إن شاء عفا عنه. و ذلك يقوّى جواز العفو عقلًا، و إنما يقطع

على عقـاب بعض العصـاة لـدليل، و هم الكفار- عنـدنا- فأما من عـداهم فلا دليل يقطع به على أنهم معاقبون لا محالـة. و الآيات التى يستدلون بها نبين الوجه فيها إذا انتهينا إليها إن شاء اللَّه.

قوله تعالى:[سورة البقرة (۲): آية ۲۸۵] ..... ص : ۳۸۲

اشارة

آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَ الْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَ قالُوا سَمِعْنا وَ أَطَعْنا غُفْرانَكَ رَبَّنا وَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ (۲۸۵)

---

(۱) سورة البقرة آية: ۲۸۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۸۳

آية.

القراءة: ..... ص : ۳۸۳

قرأ حمزة و الكسائى و خلف «و كتابه»: الباقون «و كتبه» على الجمع فمن وحّد احتمل وجهين:

أحـدهما- أن يكون أراد به القرآن لاـ غير. و الثـانى- أن يكون أراد جنس الكتـاب، فيوافق قراءة من قرأ على الجمع فى المعنى. و قرأ يعقوب «لا يفرق» بالياء رداً على الرسول حسب. الباقون بالنون رداً على الرسول و المؤمنين و هذا أليق بسياق الآية.

المعنى و الاعراب: ..... ص : ۳۸۳

و قوله: «لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ» معناه يقولون ذلك على الحكايـة كما قال «وَ الْمَلائِكَةُ باسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا» «۱» أى يقولون اخرجوا. و المعنى إنا لا نؤمن ببعضـهم و نكفر ببعض، كما فعل اليهود، و النصارى. و قوله: «سَمِعْنا وَ أَطَعْنا» تقديره سمعنا قوله و أطعنا أمره و قبلنـا مـا سـمعنا، لأن من لا يقبل ما يسـمع يقال له أصم كما قال تعالى «صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ» «۲» و إنما حذف لدلالة الكلام عليه لأنهم مدحوا به، و كان اعترافاً منهم بما يلزمهم مثل ما قبله. و قوله:

«غفرانـك» نصب على أنه نزل من الفعل المأخوذ منه كأنه قيل: اللهم اغفر لنا غفرانك فاسـتغنى بالمصـدر عن الفعل فى الـدعاء فصار بـدلا منه معاقباً له. و قال بعضـهم معناه نسألك غفرانك و الاول أقوى، لأنه على الفعل الـذى أخـذ منه أولى من حيث كان يـدل عليه بالتضمين نحو (حمداً و شكراً) أى أحمد حمداً، و أشكر شكراً.

---

(۱) سورة الانعام آية: ۹۳.

(۲) سورة البقرة آية:- ۱۷۱.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۸۴

و أجاز الزجاج و الفراء غفرانك بالرفع بمعنى غفرانك بغيتنا و أنشد الزجاج:

و من يغترب عن قومه لا يزل يرى مصارع مظلوم مجراً و مسحبا

و تدفن منه الصالحات و إن یسیء یکن ما أساء النار فی رأس کبکبا «۱»

و قوله: «وَ إِلَیْکَ الْمَصِیرُ» معناه و إلی جزائک المصیر فجعل مصیرهم إلی جزائه مصیراً إلیه کقول ابراهیم: «إِنِّی ذاهِبٌ إِلی رَبِّی سَیَهْدِینِ» «۲» و معناه إلی ثواب ربی أو إلی ما أمرنی به ربی.

قوله تعالی:[سورة البقرة (۲): آیة ۲۸۶] ..... ص : ۳۸۴

اشارة

لا یُکَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها لَها ما کَسَبَتْ وَ عَلَیْها مَا اکْتَسَبَتْ رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِینا أَوْ أَخْطَأْنا رَبَّنا وَ لا تَحْمِلْ عَلَیْنا إِصْراً کَما حَمَلْتَهُ عَلَی الَّذِینَ مِنْ قَبْلِنا رَبَّنا وَ لا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ وَ اعْفُ عَنَّا وَ اغْفِرْ لَنا وَ ارْحَمْنا أَنْتَ مَوْلانا فَانْصُرْنا عَلَی الْقَوْمِ الْکافِرِینَ (۲۸۶)

آیة.

المعنی: ..... ص : ۳۸۴

فی هذه الآیة دلالة واضحة علی بطلان مذهب المجبرة فی تجویزهم تکلیف اللَّه العبد ما لا یطیقه لأنه صریح بأنه لا یکلفهم إلا ما یطیقونه لأن الوسع هو ما یتسع به قدرة الإنسان و هو فوق المجهود و استفراغ القدرة. یقول القائل: لیس هذا

---

(۱) البیتین للأعشی دیوانه ۱۱۳ رقم القصیدة ۱۴. و اللسان (کبب) و فی الدیوان هکذا:

متی یغترب عن قومه لا یجد له علی من له رهط حوالیه مغضبا

و یحطم بظلم لا یزال یری له مصارع مظلوم مجراً و مسحبا

و تدفن منه ....

مجر و مسحب مصدر میمی من جر و سحب. کبکب: جبل.

(۲) سورة الصافات آیة: ۹۹.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۳۸۵

فی وسعی. أی لا أقدر علیه و إن قدرتی لا تتسع لذلک. و من قال: معناه لا یکلف اللَّه نفساً إلا ما یحل لها من قولهم لا یسعک هذا أی لا- یحل لک أن تفعله کان ذلک خطأ، لأن رجلا لو قال لعبده: أنا لا آمرک إلا بما أطلقت لک أن تفعله کان ذلک خطأ وعیاً، لأن نفس أمره اطلاق. و کأنه قال: أنا لا أطلق لک إلا ما أطلق.

و لا- آمرک إلا- بما آمرک. و قوله: «لَها ما کَسَبَتْ» معناه لها ثواب ما کسبت من الطاعات و علیها جزاء ما کسبت من المعاصی و القبائح. و یجوز أیضاً أن یسمی الثواب و العقاب کسباً من حیث حصلا بکسبه. و قوله: «لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِینا أَوْ أَخْطَأْنا» إنما جاز الرغبة إلیه تعالی فی ذلک و إن علمنا أنه لا یؤاخذ بذلک، و لم یجز أن یقول:

لا تجر علینا لأمرین أحدهما- أن قوله: لا تجر علینا یدل علی تسخط الداعی، و لیس کذلک «لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِینا» لأن الإنسان قد یتعرض للنسیان، فیقع منه الفعل الذی فیه جنایة علی النفس، و یحسن الاعتذار بالنسیان، فیجری الدعاء مجری الاعتذار إذا قال العبد لسیده لا تؤاخذنی بکذا فانی نسیت، فلحسن الاعتذار حسن الدعاء به. و الثانی- «إِنْ نَسِینا». بمعنی ترکنا لشبهة دخلت علینا.

و النسیان بمعنی الترک معروف. نحو قوله: «نَسُوا اللَّهَ فَنَسِیَهُمْ» «۱» أی ترکوا عبادته، فترک ثوابهم. و قال الجبائی معناه ما ترکناه لخطأ فی التأویل و اعتقدنا صحته لشبهة و هو فاسد. فأما لا تجر علینا، فلا یقال إلا لمن اعتید منه الجور، و لا یجوز أن یؤاخذ أحد أحداً بما

نسيه عند أكثر أهل العدل إلا ما يحكى عن جعفر بن ميسر من أن اللّه تعالى يؤاخذ الأنبياء بما يفعلونه من الصغائر على وجه السهو و النسيان لعظم أقدارهم. و قال كان يجوز أن يؤاخذ اللَّه العبد بما يفعله ناسياً أو ساهياً، و لكن تفضل بالعفو فى قوله: «لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها» ذكر ذلك البلخى، و هذا غلط، لأنه كما لم يجز تكليف فعله و لا تركه لم

(۱) سورة التوبة آية: ۶۸.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۸۶

يجز أن يؤاخذ به، و لا يشبه ذلك المتولد الذى لا يصح تكليفه بعد وجود سببه، لأنه يجوز أن يتعمده بأن يتعمد سببه، و ليس كذلك ما يفعله على جهة السهو و النسيان.

اللغة، و المعنى: ..... ص : ۳۸۶

و قوله: «وَ لا تَحْمِلْ عَلَيْنا إِصْراً» قيل فى معنى الإصر قولان:

أحدهما- لا تحمل علينا عهداً فنعجز عن القيام به. ذهب إليه ابن عباس، و قتادة، و مجاهد.

الثانى- قال الربيع، و مالك: معناه لا تحمل علينا ثقلا و الإصر فى اللغة الثقل قال النابغة:

يا مانع الضيم إن يغشى سراتهم و الحامل الإصر منهم بعد ما غرقوا «۱»

و كلما عطفك على شيء، فهو إصر من عهد أو رحم، و جمعه إصار. تقول أصره ياصره إصراً. و الاسم الإصر قال الحطيئة:

عطفوا علىّ بغير آصرة فقد عظم الأواصر «۲»

و قال النابغة:

ا يا بن الحواضن و الحاضنات أ ينقض أصرك حالا فحالا «۳» أى عهدك. و الايصر: حبيل قصير يشد به أسفل الخباء إلى وتد لأنه يعطف به. و الاصرة: صلة الرحم للعطف بها و الماصر حبل على طريق أو نهر تحبس به السفن أو السابلة لتؤخذ منهم العشور و كلأ آصر أى يحبس من ينتهى إليه لكثرته. و الاصار: كساء يحتش فيه الحشيش. و أصل الباب العطف، فالاصر: الثقل لأنه يعطف حامله بثقله عليه. و قوله: «لا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ» قيل

(۱) فى المطبوعة (فيا مانع) بدل (يا مانع) و (و الخامل) بدل (و الحامل).

(۲) اللسان (أصر).

(۳) فى المطبوعة (ا تنقض) بدل (ا ينقض).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۸۷

فيه قولان:

أحدهما- ما يثقل علينا من نحو ما كلف بنى إسرائيل من قتل أنفسهم و بتيه أربعين سنة و غير ذلك كما يقول القائل لا أطيق أنظر إلى فلان و لا أسمع كلامه.

الثانى- ما لا طاقة لنا به من العذاب فى دار الدنيا. و قوله. «أَنْتَ مَوْلانا» معناه أنت ولينا أى أولى بالتصرف فينا، و قال الحسن هذا على وجه التعليم للدعاء، و معناه قولوا ربنا لا تؤاخذنا. و الثانى- أنه على وجه الحكاية أى يقولون ربنا.

و الفرق بين أخطأ و خطئ أن أخطأ قد يكون على وجه الإثم، و غير الإثم فأما خطئ فاثم لا غير قال الشاعر:

و الناس يلحون الأمير إذا هم خطئوا الصواب و لا يلام المرشد «۱»

(١) قائله عبيدة بن الأبرص الاسدى. ديوانه: ٥۴، و حماسة البحترى: ٢٣۶، و اللسان (أمر) و رواية الديوان:

و الناس يلحون الأمير إذا غوى خطب الصواب و لا يلام المرشد

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٣٨٨

٣-سورة آل عمران ..... ص : ٣٨٨

اشارة

مائتا آية فى الكوفى روى عن ابن عباس و قتادة و مجاهد و جميع المفسرين أن هذه السورة مدنية و قيل ان من أولها إلى راس نيف و ستين آية نزلت فى قصة وفد نجران لما جاءوا يحاجون النبى (ص) فى قول ابن اسحق و الربيع.

[سورة آل‌عمران (٣): الآيات ١ الى ٢] ..... ص : ٣٨٨

اشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
الم (١) اللَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢)
آيتان فى الكوفى و آية واحدة فى ما عداه.

القراءة و اللغة: ..... ص : ٣٨٨

و قرأ أبو جعفر و الأعشى و البرجمى (ألم) بسكون الميم (اللَّه) بقطع الهمزة و قرأ عمر بن الخطاب (الحى القيام) و هى لغة أهل الحجاز. و يقولون فى الصّواغ صيّاغ. الباقون (قيوم) و إنما فتحت الميم من (ألم اللَّه) لأحد أمرين:
أحدهما- استثقالًا للكسر بعد الياء الساكنة، فصرف إلى الفتح، لأنه أخف كما فعلوا فى (كيف) (و أين). و قال الزجاج، و الفراء: ألقى عليها حركة الهمزة و هى الفتحة من قولك: اللَّه. و قال المبرد: هذا لا يجوز لأنها ألف وصل تسقط فى الدرج، فلا يجوز ذلك كما لا يجوز فى (إن الكافرون) الفتح على الفاء التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٣٨٩
حركة الهمزة. قال الفراء: و الفرق بين ذلك و بين الهجاء أنه لما كان ينوى به الوقف قوى بما بعده الاستيناف، فكانت الهمزة فى حكم الثبات كما كانت فى انصاف البيوت. نحو قول الشاعر:
و لا يبادر فى الشتاء وليدتى القدر تنزلها بغير جعال «١»
و أجاز الأخفش الكسر، و خالفه الزجاج، و قال: لا يجوز لأن قبل الهمزة ياء ساكنة قبلها كسرة، فلم يجز غير الفتح، كما لا يجوز فى كيف. و يمكن الفرق بينهما بأن كيف موصولة و هذا مفصول جاز أن ينوى به الوقف. و قد بينا معنى (اللَّه) و هو أنه الذى تحق له العبادة.

اللغة و المعنى: ..... ص : ٣٨٩

و قوله: (لا إِلهَ إِلَّا هُوَ) معناه لا تحق العبادة لسواه، و إنما كان كذلك لأنه الذى يقدر على أصول النعم التى يستحق بها العبادة، و لأن

نعمة كل منعم فرع على نعمه، فصار لا تحق العبادة لسواه. و (الحى): هو الذى لا يستحيل لما هو عليه من الصفة كونه عالماً قادراً. قال الرمانى: و العالم: مدرك لمعلومه و المدرك:

هو المتبين للشيء على ما هو به من أى وجه صح تبيينه، فالرأى مدرك و كذلك العالم إلا أنه قد كثرت صفة الإدراك على ما طريقه الاحساس من العباد، و هذا القول منه يدل على أنه كان يذهب مذهب البغداديين: فى أن وصف القديم بأنه مدرك يرجع إلى كونه عالماً من أن يكون له صفة زائدة. و هذا بخلاف مذهب شيخه أبى على، و البصريين. «و القيوم» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- القائم بتدبير عباده فى ما يضرهم و ينفعهم، و هو قول مجاهد، و الربيع، و الزجاج، بدلالة قوله: «قائِماً بِالْقِسْطِ» «۲» و «قائِمٌ عَلى كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ» «۳».

---

(۱) اللسان (جعل) فى المطبوعة (وليدنا) بدل (وليدتى) الجعال، و الجعالة- بضم الجيم و كسره- ما تنزل به القدر من خرقة و غيرها، و الجمع جعل مثل كتاب و كتب.

(۲) سورة آل عمران آية: ۱۸.

(۳) سورة الرعد آية: ۳۵. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۹۰

الثانى- حكى عن محمد بن جعفر بن الزبير، و اختاره الجبائى أنه الدائم.

و أصل الوصف بقيوم الاستقامة. فعلى قول مجاهد يكون لاستقامة التدبير، و على القول الآخر لاستقامة الصفة بالوجود من حيث لا يجوز عليه التغيير بوجه من الوجوه كما يجوز على ما يحول و يتبدل. و تقول هذا معنى قائم فى النفس أى موجود على الاستقامة دون الاضطراب. و أصل «قيوم» قيووم على وزن فيعول فقلبت الواو الأولى ياءً، لأن ما قبلها ياء ساكنة، و أدغمت نحو سيد و ميت.

و لا يجوز أن يكون وزنه فعولًا لأنه لو كان كذلك لكان قووما، فوصف اللّه تعالى بالحى القيوم يتضمن أنه يستحق العبادة من حيث أن هذه الصفة دلت على أنه القادر على ما يستحق به العبادة دون غيره، لأن صفة قيوم صفة مبالغة لا تجوز إلا للَّه على المعنيين معاً من معنى الموجود أو [القائم على عموم الخلق بالتدبير.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۳] ..... ص : ۳۹۰

نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ وَ أَنْزَلَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ (۳)

آية.

قيل فى معنى قوله: «نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ» وجهان:

أحدهما- بالصدق فى أخباره و جميع دلالاته التى تقوم مقام الخبر فى تعلقها بمدلولها على ما هو به، ففى جميع ذلك معنى التصديق.

و الثانى- بالحق أى بما توجبه الحكمة من الانزال كما أتى بما يوجبه الحكم من الإرسال و هو حق من الوجهين. و قوله: (مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ) نصب على الحال و معناه لما قبله من كتاب أو رسول فى قول مجاهد و قتادة و الربيع و جميع المفسرين. و إنما قيل لما قبله لما بين يديه، لأنه ظاهر له كظهوره لما بين يديه.

و قيل فى معنى «مصدقا» هاهنا قولان:

أحدهما- «مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ» و ذلك لموافقته ما تقدم الخبر به و فيه آية تدل على صحة نبوة النبى (ص) من حيث لا يكون ذلك إلا من عند علام الغيوب. التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۹۱

الثانى- مصدقاً أنه يخبر بصدق الأنبياء فى ما أتوا به خلاف من يؤمن ببعض، و يكفر ببعض. و التوراة مأخوذة من وريت بك زنادى

إذا ظهر به الخبر كما يتقدح بالزناد النار فالأصل الظهور، فهى تورية لظهور الحق. و قيل فى وريها أقوال:

أحدها- قال البصريون تورية فوعلة فقلبت (الواو) الأولى (تاءً) لئلا يجتمع واوان فى أول الكلمة نحو حوقلة و دوخلة. و الثانى- قال الكوفيون: تفعلة على وزن تثقلة و تثقلة، و هو قليل جداً لا يكاد يعرف تفعلة فى الكلام. الثالث- قال بعضهم هو تفعلة إلا أنه صرف إلى الفتح استثقالا للكسر فى المعتل و هو بناء يكثر نحو توفية و توقية و توصية، و ما أشبه ذلك. قال الزجاج: و هذا ردىء لأنه يجىء منه فى توفية توفاة و هذا لا يجوز. و الإنجيل مأخوذ من النجل، و هو الأصل و قال الزجاج وزنه أفعيل من النجل بإجماع أهل اللغة فسمى انجيلا لأنه أصل من أصول العلم.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (٣): آية ۴] ..... ص : ٣٩١

اشارة

مِنْ قَبْلُ هُدىً لِلنَّاسِ وَ أَنْزَلَ الْفُرْقانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ (۴)

المعنى: ..... ص : ٣٩١

قوله: «من قبل» أى من قبل إنزال الكتاب فلما قطعه عن الاضافة نبأه على الضم. و قوله: «هُدىً لِلنَّاسِ» أى بياناً و دلالة لهم، و فى ذلك دلالة على أن اللَّه تعالى هدى الكافر إلى الايمان، كما هدى المؤمن بقوله «للناس»، بخلاف ما تقوله المجبرة: إن اللَّه ما هدى الكافر. و موضع (هدى) نصب على الحال من الكتاب و قوله: (وَ أَنْزَلَ الْفُرْقانَ) يعنى به القرآن و إنما كرر ذلك لما اختلفت دلالات صفاته و إن كانت لموصوف واحد لأن لكل صفة منها فائدة غير الأخرى لأن الفرقان هو الذى يفرق به بين الحق و الباطل فيما يحتاج إليه من أمور الدين فى الحجج، التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٣٩٢

و الأحكام، و ذلك كله فى القرآن و قيل أراد بالفرقان النصر و وصفه بالكتاب يفيد ان من شأنه أن يكتب. و قد بينا لذلك نظائر فى الشعر و غيره فى ما تقدم. و قوله:

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ) قرن بالوعيد لما بين اللّه الحجج الدالة على توحيده، و صفاته: أعقب ذلك بوعيد من يخالف فى ذلك و يجحده ليتكامل به التكليف. و قوله: (وَ اللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ) معناه أنه قادر لا يتمكن أحد من منعه من عذاب من يريد عذابه لأنه «عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ» و إنما كان منيعاً لأنه قادر لنفسه لا يعجزه شىء.

اللغة: ..... ص : ٣٩٢

و أصل الاعزاز الامتناع، و منه أرض عزاز ممتنعة السكون لصعوبتها، و منه قولهم من عز، بز: أى من غلب سلب لأن الغالب يمتنع من الضيم، و النقمة، العقوبة: نقم ينقم نقماً و نقمة و يقال نقمت، و نقمت عليه أى أردت له عقوبة، و انتقم منه انتقاماً أى عاقبه عقاباً و أصل الباب: العقوبة. و منه النعمة خلاف النقمة.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (٣): آية ۵] ..... ص : ٣٩٢

اشارة

إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَ لا فِي السَّماءِ (۵)

آية.

المعنى: ..... ص : ۳۹۲

لما ذكر اللَّه تعالى الوعيد على الإخلال بمعرفته مع نصب الادلة على توحيده و صفاته اقتضى أن يذكر أنه لا يخفى عليه شيء فى الأرض، و لا فى السماء، فيكون فى ذلك تحذير من الاغترار بالاستسرار بمعصيته، لأن المجازى لا تخفى عليه خافية، فجرى ذلك موصولا بذكر التوحيد فى أول السورة، لأنه من الصفات الدالة على التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۹۳
ما لا تحق إلا له. فان قيل لم قال: (لا يَخْفى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَ لا فِي السَّماءِ) و لم يقل لا يخفى عليه شيء على وجه من الوجوه إذ كان أشد مبالغة؟ قيل: ليعلمنا أن الغرض علم ما يستسر به فى الأرض أو فى السماء. و لأن الإفصاح بذكر ذلك أعظم فى النفس و أهول فى الصدر مع الدلالة على أنه عالم بكل شيء إلا أنه على وجه التصرف فى العبارة عن وجوه الدلالة. فان قيل: لم قال «لا يَخْفى عَلَيْهِ شَيْءٌ» و لم يقل عالم بكل شيء فى الأرض و السماء؟ قيل لأن الوصف بأنه «لا يَخْفى عَلَيْهِ شَيْءٌ» يدل على أنه يعلمه من كل وجه يصح أن يعلم منه مع ما فيه من التصرف فى العبارة، و إنما قلنا: لا يخفى عليه شيء من حيث كان عالماً لنفسه. و العالم للنفس يجب أن يعلم كل ما يصح أن يكون معلوماً. و ما يصح أن يكون معلوماً لا نهاية له، فوجب أن يكون عالماً به و إنما يجوز أن يعلم الشيء من وجه دون وجه، و يخفى عليه شيء من وجه دون وجه من كان عالماً بعلم يستفيده:- العلم حالا بعد حال-. فأما من كان عالماً لنفسه، فلا يجوز أن يخفى عليه شيء بوجه من الوجوه.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۶] ..... ص : ۳۹۳

اشارة

هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحامِ كَيْفَ يَشاءُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (۶)
آية واحدة.

اللغة: ..... ص : ۳۹۳

التصوير: جعل الشيء على صورة لم يكن عليها. و الصورة: هيئة يكون عليها الشيء بالتأليف. و الفرق بين الصورة و الصيغة أن الصيغة: عبارة عما وضع فى اللغة لتدل على أمر من الأمور، و ليس كذلك الصورة، لأن دلالتها على جعل جاعل قياسية. و الأرحام: جمع رحم و أصله: الرحمة، و ذلك لأنها مما يتراحم به و يتعاطف يقولون: وصلتك رحم. و أصل الصورة: الميل يقولون صاره يصوره: إذا أماله، فهى صورة لأنها مائلة إلى بنية بالشبه لها.
التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۳۹۴

المعنى: ..... ص : ۳۹۴

و قوله:(كيف يشاء) معناه كيف يريد و المشيئة هى الارادة و معنى «يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحامِ كَيْفَ يَشاءُ» من ذكر أو أنثى أو أبيض أو أسود أو تام أو ناقص إلى غير ذلك ما تختلف به الصور، و فيه حجة على النصارى فى ادعائهم إلهية المسيح و ذلك أن اللَّه تعالى صوره فى الرحم كما شاء، فهو لذلك عبد مربوب و قوله: (لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) معناه أنه تعالى لما ذكر ما يدل عليه من قوله:

(هُوَ الَّذِی یُصَوِّرُکُمْ فِی الْأَرْحامِ کَیْفَ یَشاءُ) ذکر الـدلیل و المـدلول علیه و إنما ذکر «الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ» تحذیراً بعد ذکر الدلیل لیعلم أنه عزیز لا یتهیأ لأحد منعه من عقوبهٔ من یرید عقابه حکیم فی فعل العقاب و فی جمیع أفعاله.

قوله تعالى:[سورة آلعمران (٣): آية ٧] ..... ص : ٣٩۴

اشارة

هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ مِنْهُ آیاتٌ مُحْکَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْکِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ زَیْغٌ فَیَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَهِٔ وَ ابْتِغاءَ تَأْوِیلِهِ وَ ما یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ یَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ کُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَ ما یَذَّکَّرُ إِلاَّ أُولُوا الْأَلْبابِ (٧)

المعنى: ..... ص : ٣٩۴

قوله: (هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ) یعنی القرآن (مِنْهُ آیاتٌ مُحْکَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْکِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ) فالمحکم هو ما علم المراد بظاهره من غیر قرینـهٔ تقترن إلیه و لا دلالهٔ تدل على المراد به لوضوحه، نحو قوله: «إِنَّ اللَّهَ لا یَظْلِمُ التبیان فی تفسیر القرآن، ج٢، ص: ٣٩۵

النَّاسَ شَیْئاً»

«١» و قوله: «لا یَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّهٍٔ» «٢» لأنه لا یحتاج فی معرفهٔ المراد به إلى دلیل. و المتشابه: ما لا یعلم المراد بظاهره حتى یقترن به ما یدل على المراد منه. نحو قوله: «وَ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلى عِلْمٍ» «٣» فانه یفارق قوله: «وَ أَضَلَّهُمُ السَّامِرِیُّ» «۴» لأن إضلال السامری قبیح و إضلال اللَّه بمعنى حکمه بأن العبد ضال لیس قبیح بل هو حسن. و اختلف أهل التأویل فی المحکم، و المتشابه على خمسهٔ أقوال:

فقال ابن عباس: المحکم الناسخ، و المتشابه المنسوخ.

الثانی- قال مجاهد: المحکم ما لا یشتبه معناه، و المتشابه ما اشتبهت معانیه.

نحو قوله: «وَ ما یُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفاسِقِینَ» «۵» و نحو قوله: «وَ الَّذِینَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً» «۶».

الثالث- قال محمد بن جعفر بن الزبیر، و الجبائی: إن المحکم ما لا یحتمل إلا وجهاً واحداً، و المتشابه ما یحتمل وجهین فصاعداً.

الرابع- قال ابن زید: إن المحکم: هو الذی لم تتکرر ألفاظه. و المتشابه هو المتکرر الألفاظ.

الخامس- ما روی عن جابر أن المحکم: ما یعلم تعیین تأویله، و المتشابه ما لا یعلم تعیین تأویله. نحو قوله: «یَسْئَلُونَکَ عَنِ السَّاعَهِٔ أَیَّانَ مُرْساها» «٧».

و قوله: (هُنَّ أُمُّ الْکِتابِ) معناه أصل الکتاب الـذی یستدل به على المتشابه، و غیره من أمور الدین. و قیل فی توحید أم الکتاب قولان: أحدهما- أنه قدر تقدیر الجواب على وجه الحکایهٔ کأنه قیل: ما أم الکتاب؟ فقیل هن أم الکتاب کما یقال: من نظیر زید؟ فیقال: نحن نظیره. الثانی- أن یکون ذلک

---

(١) سورهٔ یونس آیهٔ: ۴۴.

(٢) سورهٔ النساء آیهٔ: ٣٩.

(٣) سورهٔ الجاثیهٔ آیهٔ: ٢٢.

(۴) سورهٔ طه آیهٔ: ٨۵.

(۵) سورة البقرة آیة: ۲۶.

(۶) سورة محمد آیة: ۱۷.

(۷) سورة الاعراف آیة: ۱۸۶، و سورة النازعات آیة: ۴۲.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۳۹۶

مثل قوله: «وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْیَمَ وَ أُمَّهُ آیَةً» «۱» بمعنی الجمیع آیة و لو أرید أن کل واحد منهما آیة علی التفصیل، لقیل آیتین. فان قیل: لم أنزل فی القرآن المتشابه؟ و هلا أنزله کله محکما: قیل للحث علی النظر الذی یوجب العلم دون الاتکال علی الخبر من غیر نظر، و ذلک أنه لو لم یعلم بالنظر أن جمیع ما یأتی به الرسول حق یجوز أن یکون الخبر کذباً، و بطلت دلالة السمع، و فائدته، فلحاجة العباد إلی ذلک من الوجه الذی بیناه، أنزل اللَّه متشابهاً، و لو لا ذلک لما بان منزلة العلماء، و فضلهم علی غیرهم، لأنه لو کان کله محکماً لکان من یتکلم باللغة العربیة عالماً به، و لا کان یشتبه علی أحد المراد به فیتساوی الناس فی علم ذلک، علی أن المصلحة معتبرة فی انزال القرآن، فما أنزله متشابهاً لأن المصلحة اقتضت ذلک، و ما أنزله محکما فلمثل ذلک. و المتشابه فی القرآن یقع فیما اختلف الناس فیه من أمور الدین: من ذلک قوله تعالی «ثُمَّ اسْتَوی عَلَی الْعَرْشِ» «۲» فاحتمل فی اللغة أن یکون کاستواء الجالس علی السریر و احتمل أن یکون بمعنی الاستیلاء نحو قول الشاعر:

ثم استوی بشر علی العراق من غیر سیف و دم مهراق «۳»

و أحد الوجهین لا یجوز علیه تعالی لقوله: «لَیْسَ کَمِثْلِهِ شَیْءٌ» «۴» و قوله «لَمْ یَکُنْ لَهُ کُفُواً أَحَدٌ».

و الآخر یجوز علیه، فهذا من المحکم الذی یرد إلیه المتشابه. و من ذلک قوله:

«رَبَّنا وَ لا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ» «۵» فاحتمل ظاهره تکلیف المشاق، و احتمل تکلیف ما لا یطاق و أحدهما لا یجوز علیه تعالی «لا یُکَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها» «۶»

---

(۱) سورة المؤمنون آیة: ۵۱.

(۲) سورة الاعراف آیة: ۵۳، و سورة یونس آیه: ۳، و سورة الفرقان آیة ۵۹، و سورة ألم السجدة آیة: ۴، و سورة الحدید آیة: ۴.

(۳) مر تخریجه فی ۱: ۱۲۵.

(۴) سورة الشوری آیة: ۱۱.

(۵) سورة البقرة آیة: ۲۸۶.

(۶) سورة البقرة آیة: ۲۸۶، و سورة الطلاق آیة: ۷.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۳۹۷

فرددنا إلیه المتشابه و من ذلک قوله: «قُلْ کُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» «۱» فرددناه إلی المحکم الذی هو قوله: «وَ یَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ ما هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ یَقُولُونَ عَلَی اللَّهِ الْکَذِبَ وَ هُمْ یَعْلَمُونَ» «۲» و من ذلک قوله: «وَ ما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ یَشاءَ اللَّهُ» «۳» متشابه، و بین المراد بالمحکم الذی هو قوله: «وَ مَا اللَّهُ یُرِیدُ ظُلْماً لِلْعالَمِینَ» «۴» و من ذلک اعتراض الملحدین فی باب النبوة بما یوهم المناقضة کقوله: «قُلْ أَ إِنَّکُمْ لَتَکْفُرُونَ بِالَّذِی خَلَقَ الْأَرْضَ فِی یَوْمَیْنِ وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَنْداداً ذلِکَ رَبُّ الْعالَمِینَ وَ جَعَلَ فِیها رَواسِیَ مِنْ فَوْقِها وَ بارَکَ فِیها وَ قَدَّرَ فِیها أَقْواتَها فِی أَرْبَعَةِ أَیَّامٍ سَواءً لِلسَّائِلِینَ ثُمَّ اسْتَوی إِلَی السَّماءِ وَ هِیَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِیا طَوْعاً أَوْ کَرْهاً قالَتا أَتَیْنا طائِعِینَ فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِی یَوْمَیْنِ» «۵» فقال الیومان و الاربعة و الیومان ثمانیة ثم قال «هُوَ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِی سِتَّةِ أَیَّامٍ» فأوهموا أن ذلک مناقضة و لیس الأمر علی ما ظنوه لأن ذلک یجری مجری قول القائل: سرنا من البصرة إلی بغداد فی عشرة أیام و سرنا إلی الکوفة فی خمسة عشر یوماً فالعشرة داخلة فی الخمسة عشر و لا یضاف فیقال: عشرة، و خمسة عشر خمسة و عشرون

يوماً كان فيها السير، فكذلك خلق اللَّه الأرض فى يومين و قضاهن سبع سماوات فى يومين و تمم خلقهن فى ستة أيام. و تقديره خلق الأرض فى يومين من غير تتميم و جعل فيها رواسى و ما تم به خلقها فى أربعة أيام فيها اليومان الأولان كما يقال: جعل الدور فى شهرين و فرغ منهن فى أربعة أشهر. فيكون المحكم قد أبان عن معناه أنه على جهة خلق الأرض فى يومين من غير تتميم، و ليس على وجه التضاد على ما ظنوه.

فان قيل: كيف يكون المحكم حجة مع جواز تقييده بما فى العقل؟ و فى ذلك إمكان كل مبطل أن يدعيه فتذهب فائدة الاحتجاج بالمحكم؟ قلنا: لا يجب ذلك من قبل أن التقييد بما فى العقل إنما يجوز فيما كان رداً إلى تعارف من جهة

---

(١) سورة النساء آية: ٧٧. [.....]

(٢) سورة آل عمران آية: ٧٨.

(٣) سورة التكوير آية: ٢٩، و سورة الدهر آية: ٣٠.

(۴) سورة آل عمران آية: ١٠٨.

(۵) سورة حم السجدة آية: ٩- ١٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٣٩٨

العقول دون ما لا يتعارف فى العقول بل يحتاج إلى مقدمات لا يتعارفها العقلاء من أهل اللغة، و المراعى فى ذلك أن يكون هناك تعارف من جهة العقل تقتضيه الحكمة دون عادة أو تعارف شيء لأن الحجة فى الأول دون الثانى، و من جهة التباس ذلك دخل الغلط على كثير من الناس.

فان قيل: كيف عددتم من جملة المحكم قوله: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» مع الاشتباه فيه بدخول الكاف؟ قلنا إنما قلنا انه محكم لأن مفهومه ليس مثله شيء على وجه من الوجوه دون أن يكون عند أحد من أهل التأويل ليس مثل مثله شيء فدخول الكاف و إن اشتبه على بعض الناس لم دخلت فلم يشتبه عليه المعنى الأول الذى من أجله كان محكماً. و قد حكينا فيما مضى عن المرتضى (ره) على بن الحسين الموسوى أنه قال: الكاف ليست زائدة و إنما نفى أن يكون لمثله مثل فإذا ثبت ذلك علم أنه لا مثل له، لأنه لو كان له مثل لكان له أمثال، فكان يكون لمثله مثل، فإذا لم يكن له مثل مثل دل على أنه لا مثل له غير أن هذا تدقيق فى المعنى، فتصير الآية على هذا متشابهة، لأن ذلك معلوم بالادلة. و قد يكون الشيء محكماً من وجه و متشابهاً من وجه كما يكون معلوماً من وجه، و مجهولًا من وجه، فتصح الحجة به من وجه المعلوم دون المجهول.

الاعراب: ..... ص : ٣٩٨

و (أخر) لا ينصرف لأنه معدول عن الالف و اللام و هو صفة. و قال الكسائى:

لأنه صفة. قال المبرد: هذا غلط، و قال (لُبد) صفة و كذلك (حُطم) و هما منصرفان قال اللَّه تعالى «أَهْلَكْتُ مالًا لُبَداً» «١» و حكى عن أبى عبيدة أنه قال:

لم يصرفوا (أخر) لأن واحده لا ينصرف فى معرفة و لا نكرة. قال المبرد: و هذا غلط، لأنه يلزم أن لا يصرف غضاباً و عطاشاً، لأن واحده غضبان و عطشان و هو لا ينصرف.

---

(١) سورة البلد آية: ۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٣٩٩

اللغة و المعنى: ..... ص : ۳۹۹

و قوله:(فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ» يعنى ميل يقال: أزاغه اللّه إزاغة أى أماله إمالة قال تعالى «فَلَمَّا زاغُوا أَزاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ» «۱» و منه قوله: «لا تُزِغْ قُلُوبَنا» «۲» و التزايغ التمايل فى الأسنان. و المعنى إن الذين فى قلوبهم ميل عن الحق اما بشك أو جهل فان كليهما زيغ «فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ» و معناه يحتجون به فى باطلهم «ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ» و معناه طلباً للفتنة «وَ ابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ» و التأويل:

التفسير و أصله المرجع، و المصير من قولهم: آل أمره إلى كذا يؤول أولاـ إذا صار إليه. و أولته تأويلاـ إذا صيرته إليه. و قوله: «وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا» «۳» قيل معناه أحسن جزاء، لأن أمر العباد يؤول إلى الجزاء. و أصل الباب: المصير «وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ» يعنى تفسيره «إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ» يعنى الثابتون فيه تقول: رسخ الشىء رسوخاً إذا ثبت فى موضعه. و أرسخته إرساخاً، كما أن الخبر يرسخ فى الصحيفة، و رسخ الغدير إذا ذهب ماؤه، فنضب، لأنه ثبت وحده من غير ماء، و أصل الباب الثبوت.

النزول: ..... ص : ۳۹۹

و قال الربيع: نزلت هذه الآية فى وفد نجران، لما حاجّوا النبى (ص) فى المسيح، فقالوا: أ ليس هو كلمة اللّه و روح منه؟ فقال بلى، فقالوا: حسبنا، فأنزل اللّه تعالى (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ) ثم أنزل (إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) «۴»

و قال قتادة: بل كل من احتج بالمتشابه لباطله، داخل فيه، فمنهم الحرورية و السبابية، و غيرهم.

---

(۱) سورة الصف آية: ۵.

(۲) سورة آل عمران آية: ۸.

(۳) سورة النساء آية: ۵۸، و سورة الإسراء آية: ۳۵.

(۴) سورة آل عمران آية: ۵۹.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۰۰

المعنى و الاعراب اللغة: ..... ص : ۴۰۰

و قوله: «ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ» قال السدى: الفتنة هاهنا الشرك. و قال مجاهد:

اللبس. و قيل الضلال عن الحق، و هو أعم فائدة. و أصل الفتنة: التخليص من قولهم فتنت الذهب بالنار: إذا أخلصته، فالذى يبتغى الفتنة، يبتغى التخليص إلى الضلال بما يورده من الأشياء. و قوله: (وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ) قيل فى معناه قولان: أحدهما- ما يعلم تأويل جميع المتشابه «إلا اللّه»، لأن فيه ما يعلم الناس، و فيه ما لا يعلمه الناس من نحو تعيين الصغيرة عند من قال بها، و وقت الساعة، و ما بيننا و بينها من المدة. هذا قول عائشة، و الحسن، و مالك، و اختاره الجبائى، و أكثر المتأولين. و عندهم أن الوقف على قوله «إلا اللّه» و يكون قوله:

«وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ» مستأنفاً و التأويل على قولهم: معناه المتأول، كما قال تعالى «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ» يعنى الموعود به. و الوجه الثانى- ما قاله ابن عباس، و مجاهد، و الربيع «وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ» يعلمونه قائلين آمنا كما قال الشاعر:

و الريح تبكى شجوة و البرق يلمع فى الغمامة

يعنى و البرق أيضاً يبكيه لامعاً فى غمامة. و قوله: «كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا» حذف المضاف من «كل» عند البصريين، لأنه اسم دال على المضاف كثير فى الكلام فلا يجيزون «إِنَّا كُلٌّ فِيها» على الصفة و يجيزه الكوفيون، لأنه إنما حذف عندهم لدلالته على المضاف فقط اسماً كان أو صفة. و إنما بنى قبل على الغاية، و لم يبن كل، و إن حذف من كل واحد منهما المضاف، لأن قبل ظرف يعرف، و ينكر، ففرق بين ذلك بالبناء الذى يدل على تعريفه بالمضاف، و الاعراب الذى يدل على تنكيره بالانفصال، و ليس كذلك كل لأنه معرفة فى الافراد دون نكرة فأما (ليس غير) فمشبه بحسب لما فيه من معنى الأمر.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ۴٠١

و قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (٣): آية ٨] ..... ص : ۴٠١

اشارة

رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا وَ هَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٨)

آية.

المعنى: ..... ص : ۴٠١

هذه حكاية عن الراسخين فى العلم الذين ذكرهم فى الآية الاولى، القائلين «آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا» القائلين «رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا» و قيل فى معنى لا تزغ قلوبنا قولان:

أحدهما- «لا تُزِغْ قُلُوبَنا» عن الحق بمنع اللطف الذى يستحق معه أن تنسب قلوبنا إلى الزيغ. و الثانى- قال أبو على معناه لا تزغ قلوبنا عن الثواب بعد أن دعوتنا إليه و دللتنا عليه، و لا يجوز أن يكون المراد لا تزغ قلوبنا عن الايمان، لأنه تعالى كما لا يأمر بالكفر كذلك لا يزيغ عن الايمان. فان قيل: هلا جاز على هذا أن يقولوا: ربنا لا تظلمنا، و لا تجر علينا؟ قلنا لأن فى تجر علينا تسخط السائل لاستعماله ممن جرت عادته بالجور، و ليس كذلك «لا تُزِغْ قُلُوبَنا» على معنى سؤال اللطف، و ان كان لا يجوز فى حكمته تعالى منع اللطف. كما لا يجوز فعل الجور و ذلك بمنزلة سؤال الملائكة فى قولهم «فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا وَ اتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَ قِهِمْ عَذابَ الْجَحِيمِ رَبَّنا وَ أَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ» «١» و اللّه لا يجوز عليه خلف الوعد، كما لا يجوز عليه فعل الجور يبين ذلك قوله: «فَلَمَّا زاغُوا أَزاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ» «٢» و معناه فلما مالوا عن الحق نسب اللّه قلوبهم إلى الزيغ، لما كانت عليه. و إنما أضاف الزيغ إلى القلب، و إن كان المراد به الجملة لأن القلب أشرف الأعضاء، و هو محل السرور، و الغم فلذلك خص بالذكر.

---

(١) سورة مؤمن آية: ٧- ٨.

(٢) سورة الصف آية: ۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ۴٠٢

اللغة: ..... ص : ۴٠٢

و قوله:«وَ هَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً» فالهبة مصدر وهبه يهبه هبة، فهو واهب. و الشيء موهوب و تواهب الناس بينهم تواهباً و استوهبه

استيهاباً. و أصل الباب الهبة، و هى تمليك الشيء من غير مثامنة. و الهبة و النحلة و الصلة نظائر.

و معنى من لدنك من عندك و فى لدن خمس لغات: لدن، و لدن- بضم اللام و الدال- و لدن- بفتح اللام و تسكين الدال، و كسر النون- ولد- بحذف النون-.

قوله تعالى:[سورة آلعمران (۳): آية ۹] ..... ص : ۴۰۲

رَبَّنا إِنَّکَ جامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعادَ (۹)

آية بلا خلاف.

معنى الآية «رَبَّنا إِنَّکَ جامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ» للجزاء «إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعادَ» فى وعد و لا وعيد «فَاغْفِرْ لَنا» فان قيل هل فى قوله: «إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعادَ» متصل بالدعاء على جهة الحكاية أو استئناف. قلنا عنه جوابان:

أحدهما- أنه متصل بالدعاء، لأن حمل الكلام على الاتصال إذا صح المعنى أولى من حمله على الانفصال، لأن الاتصال أقرب إلى التشاكل، و أبعد من التنافر.

الثاني- أنه على الاستئناف لأنه لو كان على الاتصال لقال انک لا تخلف الميعاد، فاختار أبو على الجبائى هذا الوجه، و أجاز الزجاج الأمرين. و قد يجوز حمل الكلام تارة على المخاطبة و تارة على الغيبة تصرفاً فى الكلام، كما قال: «حَتَّى إِذا کُنْتُمْ فِي الْفُلْکِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ» «۱» و الآية دالة على أنه لا يخلف وعده، و لا وعيده، و لا ينافى ذلک ما يجوزه من العفو عن فساق أهل الملة، لأن ما يجوز العفو عنه إذا عفا کشف ذلک عندنا أنه ما عناه بالخطاب، و إنما الممنوع منه أن يعينه بالخطاب و بأنه لا يعفو عنه ثم يعفو، فيکون ذلک خلفاً فى الوعيد و ذلک لا يجوز عليه تعالى.

---

(۱) سورة يونس آية: ۲۳.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۰۳

و الميعاد، و الوعد إذا أطلقا تناولا الخير، و الشر. يبين ذلک قوله: «وَ نادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنا ما وَعَدَنا رَبُّنا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَ رَبُّکُمْ حَقًّا» «۱» و لا يجوز أن يقال وعد بالخير فأما وعد بالشر، فيجوز. و اللام فى قوله: «لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ» معناه فى يوم و إنما جاز ذلک لما دخل الكلام من معنى اللام و تقديره جامع الناس للجزاء فى يوم لا ريب فيه، فلما حذف لفظ الجزاء دخلت على ما يليه فأغنيت عن فى لأن حروف الاضافة متآخية، لما يجمعها من معنى الاضافة. و قد كان يجوز فتح أن فى قوله: «إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ» على تقدير «جامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ» ل «إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعادَ» و لم يقرأ به.

قوله تعالى:[سورة آلعمران (۳): آية ۱۰] ..... ص : ۴۰۳

اشارة

إِنَّ الَّذِينَ کَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَ أُولئِکَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ (۱۰)

آية واحدة بلا خلاف.

المعنى: ..... ص : ۴۰۳

إن قيل كيف تتصل هذه الآية بما قبلها؟ قلنا: اتصال الوعيد بالدعاء، للإخلاص منه خوفاً من استحقاق المتوعد به، و الفرق بين «لَنْ

تُغْنِيَ عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ» و بين لن تغنيهم عن اللّه شيئاً. أن لن تغنيهم عن اللّه لاـ يدل على الوعيد كما يدل «لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ» لأن تقديره من عذاب اللّه. و معنى من هاهنا يحتمل أمرين: قال أبو عبيدة معناها: عند. و قال المبرد: من هاهنا على أصلها، لابتداء الغاية. و تقديره «لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ» غناء ابتداء الشيء الذى خلقه، و لا يكون الغناء إلا منه، فمن هذه تقع على ما هو أول الغناء و آخره و الوقود: الحطب، و الوقود اللهب. و هو إيقاد النار. و الغنى ضد الحاجة. و بمعنى «لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ» أنه إن يكون شيء تبقى الحاجة إلى اللّه تعالى بل الحاجة باقية على كل حال.

---

(١) سورة الاعراف آية: ٤٣.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٤٠٤

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (٣): آية ١١] ..... ص : ٤٠٤

اشارة

كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقابِ (١١)

آية بلا خلاف.

اللغة: ..... ص : ٤٠٤

الدأب: العادة، يقال دأب يدأب دأباً و دئاباً إذا اعتاد الشيء و تمرن عليه.

قال امرؤ القيس:

كدأبك من أم الحويرث قبلها و جارتها أم الرباب بمأسل «١»

أى كعادتك من أم الحويرث.

المعنى: ..... ص : ٤٠٤

و معنى قوله: «كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ» كعادتهم فى التكذيب بالحق و قيل فى الكفر و قيل فى قبح الفعل و قيل فى تكذيب الرسل و كل ذلك متقارب فى المعنى. و قال قوم: معناه كدأب آل فرعون فى عقاب اللّه إياهم على ما سلف من ذنوبهم، و معاصيهم، و الكاف فى قوله: «كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ» متصلة بمحذوف.

و تقديره عادتهم كدأب آل فرعون. و موضع الكاف رفع لأنها فى موضع خبر الابتداء، و لا يجوز أن يعمل فيها كفروا، لأن صلة الذى قد انقطعت بالخبر، و هو «لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ» و لاـ أولادهم و لكن يجوز نصبه ب «وَقُودُ النَّارِ»، لأن فيه معنى الفعل على تقدير تتقد النار بأجسادهم كما تتقد بأجسام آل فرعون

---

(١) ديوانه: ١٢٥. معلقته المشهورة و قبله:

و ان شفائى عبرة مهراقة فهل عند رسم دارس من معول

مر فى ٢: ١٤٨ برواية: (كديتك) بدل (كدابك) و قد استشهد به الشيخ (قده) على ان الدين هو العادة. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۰۵

فهذا تقديره فى المعنى. و قوله: «فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ» بمعنى عاقبهم اللّه بذنوبهم و سمى المعاقبة مؤاخذة لأنها أخذ بالذنب و الأخذ بالذنب عقوبة و الذنب و الجرم واحد تقول أذنب يذنب اذناباً فهو مذنب و الذنب التلو للشيء ذنبه يذنبه ذنباً إذا تلا و الذنوب التلو لأنها تالية للحبل فى الجذب و الذنوب النصيب لأنه كالدلو فى الانعام قال الشاعر:

لنا ذنوب و لكم ذنوب فان أبيتم فلنا قليب «۱»

و الذنوب: الفرس الوافر شعر الذنب. و أصل الباب: التلو، فالذنب الجرم لما يتلوه من استحقاق الذم كما قيل العقاب، لأنه يستحق عقيب الذنب.

قوله تعالى:[سورة آلعمران (۳): آية ۱۲] ..... ص : ۴۰۵

اشارة

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَ تُحْشَرُونَ إِلى جَهَنَّمَ وَ بِئْسَ الْمِهادُ (۱۲)

آية.

القراءة، و الحجة: ..... ص : ۴۰۵

قرأ أهل الكوفة إلا عاصماً سيغلبون، و يحشرون بالياء، فيهما: الباقون بالتاء. من اختار التاء، فلقوله: (قَدْ كانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ) فأجرى جميعه على الخطاب. و من اختار الياء، فللتصرف فى الكلام و الانتقال من خطاب المواجه إلى الخبر بلفظ الغائب. و قيل: إن الخطاب لليهود، و الاخبار عن عبدة الأوثان لأن اليهود أظهروا، الشماتة بما كان من المشركين يوم أحد، فقيل لهم سيغلبون يعنى المشركين. و على هذا لا يجوز إلا بالياء. و قيل التاء فى عموم الفريقين.

و مثله قال زيد المال ماله. و قال المال مالى. و قل له سنخرج و سيخرج. و كل ذلك جائز حسن.

---

(۱) اللسان: (ذنب). و روايته: (لها ذنوب) بدل (لنا ذنوب) و (القليب) بدل (قليب).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۰۶

النزول: ..... ص : ۴۰۶

و قال ابن عباس، و قتادة و ابن إسحاق: إن هذه الآية نزلت لما هلكت قريش يوم بدر، فجمع النبى (ص) اليهود بسوق قينقاع فدعاهم إلى الإسلام و حذرهم مثل ما نزل بقريش من الانتقام، فقالوا: لسنا كقريش الاغمار الذين لا يعرفون القتال، لئن حاربتنا لتعرفن البأس. فانزل اللّه «قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَ تُحْشَرُونَ» الآية.

المعنى: ..... ص : ۴۰۶

و معنى «وَ بِئْسَ الْمِهادُ» قال مجاهد: بئس ما مهدوا، لأنفسهم. و قال الحسن:

معناه بئس القرار، و قيل بئس الفراش الممهد لهم، و قال البلخى: لا يجوز الوعد، و الوعيد بغير شرط، لأن فيه بأساً من الايمان أو

الکفر و ذلک بمنزلة الصد عنه.

و تأول الآیة علی حذف الشرط، فکأنه قال: و بئس المهاد لمن مات علی کفره غیر تائب منه. و قال الرمانی: و هذا لا یصح من قبل أن السورة قد دلت علی معنی الوعد من غیر شرط یوجب الشک، فلو کان فی قطع الوعید بأس بمنزلة الصد عن الایمان لکان فی قطع الوعد بأمان ما یوجب الاتکال علیه دون ما یلزم من الاجتهاد. و الذی یخرجه من ذلک أن العقاب من أجل الکفر کما أن الثواب من أجل الایمان. و هذا لیس بشیء، لأن للبلخی أن یشرط الوعد بالثواب بانتفاء ما یبطله من الکبائر، کما أنه شرط الوعید بالعقاب بانتفاء ما یزیله من التوبة، فقد سوی بین الأمرین. و قال البلخی و الجبائی: قوله: «وَ بِئْسَ الْمِهادُ» مجاز کما قیل للمرض: شر، و إن کان خیراً من جهة أنه حکمة، و صواب، فقیل لجهنم «بِئْسَ الْمِهادُ» لعظیم الآلام، لأن أصل نعم و بئس: الحمد، و الذم إلا أنه کثر استعماله فی المنافع، و المضار حتی سقط عن اسم مجاز. و إن کان مغیراً عن أصله.

و فی الآیة دلالة علی صحة نبوة النبی (ص) لأنها تضمنت الخبر عما یکون من التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۴۰۷

غلبة المؤمنین للمشرکین. و کان الأمر علی ما قال، و لا یکون ذلک علی الاتفاق، و کما أنه بین أخباراً کثیرة من الاستقبال، فکان کما قال، فکما أن کل واحد منهما کان معجزاً، لأنه من علام الغیوب اختص به الرسول لیبینه من سائر الناس کذلک هذه الآیة.

قوله تعالی:[سورة آل‌عمران (۳): آیة ۱۳] ..... ص : ۴۰۷

اشارة

قَدْ کانَ لَکُمْ آیَةٌ فِی فِئَتَیْنِ الْتَقَتا فِئَةٌ تُقاتِلُ فِی سَبِیلِ اللَّهِ وَ أُخْری کافِرَةٌ یَرَوْنَهُمْ مِثْلَیْهِمْ رَأْیَ الْعَیْنِ وَ اللَّهُ یُؤَیِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ یَشاءُ إِنَّ فِی ذلِکَ لَعِبْرَةً لِأُولِی الْأَبْصارِ (۱۳)

آیة واحدة.

القراءة، و الحجة: ..... ص : ۴۰۷

قرأ أهل المدینة، و أبان عن عاصم، و ابن شاهی عن حفص «ترونهم» بالتاء الباقون بالیاء. من قرأ بالیاء، فلأن الخطاب للیهود و الخبر عن غیرهم ممن حضر بدراً. و من قرأ بالتاء وجه الخطاب إلی الجمیع.

اللغة، و المعنی، و الاعراب: ..... ص : ۴۰۷

الآیة: العلامة، و الدلالة علی صدق النبی (ص). و الفئة الفرقة من فأوت رأسه بالسیف إذا فلقته. و قال ابن عباس: هاهنا هم المؤمنون من أهل بدر و مشرکوا قریش، و به قال الحسن، و مجاهد. و قوله: (فئة) یحتمل ثلاثة أوجه من الاعراب: الرفع علی الاستئناف بتقدیر منهم فئة کذا، و أخری کذا. و یجوز الجر علی البدل. و یجوز النصب علی الحال کقول کثیر:

و کنت کذی رجلین رجل صحیحة و رجل رمی فیها الزمان فشلت «۱»

أنشد بالرفع و الجر و قال ابن مفرغ:

---

(۱) دیوانه ۱: ۴۶، و معانی القرآن للفراء ۱: ۱۹۲ و هو من قصیدته التائیة المشهورة فی المطبوعة (هی) بدل (رمی).

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۴۰۸

و كنت كذى رجلين رجل صحيحة و رجل رماها صائب الحدثان

فأما التى صحت فأزد شنوءة و أما التى شلت فأزد عمان «١»

و قال آخر:

إذا مت كان الناس نصفين شامت و آخر متن بالذى كنت أصنع

و لا_ يجوز أن تقول مررت بثلاثـة صـريع و جريـح بـالجر، لأنه لم يسـتوف العـدة و لكن يجوز بالرفع على تقـدير منهم صـريع و منهم جريح. فان قلت: مررت بثلاثة صريع، و جريح، و سليم، جاز فيه الرفع و الجر، فان زدت فيه اقتتلوا جاز فيه الأوجه الثلاثة. و لم يقرأ إلا بالرفع.

المعنى: ..... ص : ۴۰۸

و قال ابن مسعود، و الحسن: الفئة: المسلمة هى التى كانت ترى الكافرة مثليهم. و قال السدى: رأى المشركون المسلمين مثل عددهم، لأنهم كانوا ثلاثمائـة و بضـعة عشـر فرأوهـم أضـعاف ذلك. و هذا يحتمل على قراءة من قرأ بالياء، فأما من قرأ بالتاء، فلا يحتمل ذلك إلا_ أن يكون الخطـاب لليهود الـذين مـا حضـروا و هم المعنيون بقوله: «مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا» و هم يهود بنى قنيقاع فكأنه قيل لهم ترون المشـركين مثلى المسـلمين مع أن اللَّه ظفرهم بهم، فلا_ تغتروا بكثرتكم. و اختار البلخى هـذا الوجه و اختلفوا فى عـدة المشـركين يوم بدر،

فروى عن على (ع) و ابن مسعود أنهم كانوا الفاً.

و قال عروة بن الزبير، و قتادة، و الربيع

كانوا بين تسعمائة إلى الالف و أما عدة المسلمين، فثلاثمائة و بضعة عشر فى قول قتادة، و الربيع، و أكثر المفسرين. و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد اللَّه (ع).

و معنى

---

(١) الوحشيات لأبى تمام: ١٨٣، و خزانة الأدب ٢: ٣٧٨. و أزد شـنوءة: قبيلة كانت مع أهل الشام فى حرب صـفين، و أزد عمان: قبيلة كانت مع أهل العراق و رواية الشعر

فكنتم كذى رجلين: رجل صحيحة و رجل بها ريب من الحدثان

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ۴۰۹

«يَرَوْنَهُـمْ مِثْلَيْهِمْ» يحتمـل وجوهـاً أحـدها- مـا روى عن ابن مسـعود، و غيره من أهـل العلم أن اللَّه قلـل المشـركين يـوم بـدر فى أعين المسلمين لتقوى قلوبهم فرأوهم مثلى عدتهم.

و قـال الفراء يحتمـل ثلاثـة أمثـالهم كمـا يقول القائـل إلى الف و احتاج إلى مثليه أى مضافاً إليه لا بمعنى بـدلا منه، فكـذلك ترونهم مثليهم مضافاً إليهم فـذلك ثلاثة أمثالهم، و أنكر هذا الوجه الزجاج، لمخالفته لظاهر الكلام. و ما جاء فى الآية الأخرى فى الانفال من تقليل الاعـداد. فان قيل كيف يصـح تقليل الاعـداد مع حصول الرؤيـة و ارتفاع الموانع و هل هذا إلا ما تقوله المجبرة من أنه يجوز أن يكون بحضـرتنا أشـياء تـدرك بعضـها دون بعض بحسب ما يفعل فينا من الإدراك و هـذا عندنا سفسـطة تقليل فى المشاهدات؟ قلنا: يحتمل أن يكون التقليل فى أعين المؤمنين بأن يظنونهم قليلى العـدد، لأنهم أدركوا بعضـهم دون بعض، لأن العلم بما يـدركه الإنسان جملة غير العلم بما يدركه مفصـلا، و لهذا: إذا رأينا جيشاً كبيراً أو جمعاً عظيما ندرك جميعهم، و نتبين أطرافهم و مع هذا نشك فى أعـدادهم حتى يقع الخلف بين النـاس فى حزر عـددهم، فعلى هـذا يكون تأويـل الآيـة. و قـد ذكر الفراء عن ابن عبـاس أنه قال: رأى

المسلمون المشركين مثليهم فى الحزر بستمائة و كان المشركون سبعمائة و خمسين. فأما قوله فى الأنفال: «وَ إِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَ يُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ» «۱» فلا ينافى هذا لأن هذه آية للمسلمين أخبرهم بها و تلك آية لأهل الكفر حجة عليهم. على أنك تقول فى الكلام إني لأرى كثيركم قليلا أى تهونون على لأني أرى الثلاثة اثنين ذكره الفراء، و هو جيد. و قيل: الوجه فى تقليل الكفار فى أعين المؤمنين أن يكون أقوى لقلوب المؤمنين، فلا- يفزعوا، و لا- يفشلوا، و يتجرءوا على قتالهم. و الوجه فى تقليل المؤمنين فى أعين الكفار إذا رأوهم قليلين استهانوا بهم و استحقروهم فلم يأخذوا أهبتهم و لم يستعدوا كل الاستعداد فيظفر بهم المؤمنون، و هو جيد أيضاً. و قال البلخى إنما قال مثليهم و هم كانوا ثلاثة أمثالهم لأنه أقام الحجة عليهم بأنهم و إن كانوا ثلاثة أمثالهم فلم يخرجوا من أن يكونوا

---

(۱) سورة الانفال آية: ۴۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۱۰

مثليهم. و المعتمد ما قلناه أولا.

اللغة و المعنى: ..... ص : ۴۱۰

و قوله: «وَ اللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشاءُ» فالأيد القوة و منه قوله: «داوُدَ ذَا الْأَيْدِ» «۱» و تقول: ادته أئيده أيداً، كقولك بعته أبيعه بيعاً بمعنى قويته.

و أيدته أؤيده تأييداً. و النصر: المعونة على الاعداء، و هو على وجهين: نصر بالغلبة، و نصر بالحجة، و لو هزم قوم من المؤمنين، لجاز أن يقال: هم المنصورون بالحجة و محمودو العاقبة، و ان سر عدوهم بظفر العاجل.

و الآية التى ذكرها اللّه تعالى كانت فى الفئتين من وجهين:

أحدهما- غلبة القليل العدد فى نفسه للكثير فى ذلك بخلاف ما تجرى به العادة بما أمدهم اللّه به من الملائكة و قوّى به نفوسهم من تقليل العدة. و الثانى- بالوعد المتقدم بالغلبة لإحدى الطائفتين لا- محالة. و قوله: (إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصارِ» معناه لأولى العقول، كما يقال له بصر بالأمور، و ليس المراد بالأبصار الحواس التى يشترك فيها سائر الحيوان. و العبرة الآية تقول: اعتبرت بالشيء عبرة و اعتباراً و العبور: النفوذ عبرت النهر أعبره عبوراً: إذا قطعته.

و المعبرة:السفينة التى يعبر فيها. و العبارة الكلام، يعبر بالمعنى إلى المخاطب، فالعبارة تفسير الرؤيا. و التعبير وزن الدنانير، و غيرها. و العبرة: الدمعة من العين. و أصل الباب العبور النفوذ.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۴] ..... ص : ۴۱۰

اشارة

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ مِنَ النِّساءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقَناطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَ الْأَنْعامِ وَ الْحَرْثِ ذلِكَ مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (۱۴)

---

(۱) سورة ص آية: ۱۷.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۱۱

آیة واحدة بلا خلاف.

المعنی، و اللغة: ..... ص : ۴۱۱

قیل فی المزین لحب الشهوات ثلاثة أقوال: قال الحسن: زینه الشیطان، لأنه لا أحد أشد ذماً لها من خالقها. الثانی- ما قاله الزجاج: انه زینه اللَّه بما جعل فی الطباع من المنازعة، کما قال تعالی «إِنَّا جَعَلْنا ما عَلَی الْأَرْضِ زِینَةً لَها» «۱» الثالث- ما قاله أبو علی أنه زین اللّه عز و جل ما یحسن منه، و زین الشیطان ما یقبح منه.

و الشهوات: جمع شهوة و هی توقان النفس إلی الشیء یقال: اشتهی یشتهی شهوة، و اشتهاء و شهاه تشهیة، و تشهی تشهیاً. و الشهوة من فعل اللَّه تعالی لا یقدر علیها أحد من البشر، و هی ضروریة فینا، لأنه لا یمکننا دفعها عن أنفسنا.

و القناطیر: جمع قنطار. و اختلفوا فی مقدار القنطار، فقال معاذ بن جبل، و ابن عمر، و أبی بن کعب، و أبو هریرة: هو ألف و مأتا أوقیة. و قال ابن عباس، و الحسن، و الضحاک: هو ألف و مأتا مثقال. و روی عن الحسن أیضاً أنه ألف دینار أو اثنا عشر ألف درهم. و قال قتادة: ثمانون ألفاً من الدراهم أو مائة رطل.

و قال مجاهد، و عطا: سبعون ألف دینار. و قال أبو نضر

هو ملیء مسک ثور ذهباً. و به قال الفراء: و هو المروی عن أبی جعفر.

و قال الربیع و ابن أنس: هو المال الکثیر. و معنی المقنطرة: المضاعفة- علی قول قتادة- و قال قتادة- و قال الفراء: هی تسعة قناطیر، و قیل هی کقولک دراهم مدرهمة أی مجعولة کذلک. و قال السدی مضروبة دراهم أو دنانیر. و القنطرة: البناء المعقود للعبور و القنطر الداهیة. و أصل الباب القنطرة المعروفة. و القنطار لأنه مال عظیم کالقنطرة. و الذهب، و الفضة معروفان.

---

(۱) سورة الکهف آیة: ۷.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۴۱۲

و تقول فضضته تفضیضاً. و فض الجمع یفضه فضاً إذا فرقه. و منه قوله: «لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِکَ» «۱» و فضضت الخاتم کسرته و لا یفضض اللَّه فاک أی لا یکسره.

و افتضضت الماء: إذا شربته. و أصل الباب التفرق.

و الخیل: الافراس سمیت خیلا، لاختیالها فی مشیها. و الاختیال: من التخیل، لأنه یتخیل به صاحبه فی صورة من هو أعظم منه کبراً. و الخیال کالظل، لأنه یتخیل به صورة الشیء تقول: خلت زیداً أخال خیلاناً إذا خشیته لأنه یتخیل إلی النفس أنه هو. و الأخیل: الشقراق و هو طائر الغالب علیه الخضرة مشرب حمرة، لأنه یتخیل مرة أخضر و مرة أحمر. و أصل الباب التخیل: التشبه بالشیء، و منه أخال علیه الأمر یخیل إذا اشتبه علیه، فهو مخیل.

و قوله: «المسومة» قیل فی معناه أربعة أقوال قال سعید بن جبیر و ابن عباس و الحسن و الربیع هی الراعیة و قال مجاهد و عکرمة و السدی: هی الحسنة، و قال ابن عباس فی روایة، و قتادة: المعلمة. و قال ابن زید: هی المعدة للجهاد فمن قال: هی الراعیة، فمن قولهم: اسمت الماشیة و سومتها إذا رعیتها. و سأمت، فهی سائمة إذا کانت راعیة، و منه تسیمون: أی ترعون. و من قال: الحسنة فمن السیما مقصور. و یقال فیه سیمیاء أیضاً و هو الحسن. قال الشاعر:

غلام رماه اللَّه بالحسن یافعاً له سیمیاء لا یشق علی البصر

و من قال المعلمة، فمن السیماء التی هی العلامة کقوله تعالی: «یُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِیماهُمْ» و من قال المعدة للجهاد، فهو راجع إلی العلامة لأنها معدة بالعلامة و أصل الباب العلامة. و قوله: «و الانعام» فهی الإبل، و البقر، و الغنم من الضان و المعز و لا یقال لجنس

منها على الانفراد نعم إلا الإبل خاصة لأنه غلب عليها فى التفصيل و الجملة. و الحرث: الزرع. و قوله: «ذلِكَ مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا» فالمتاع: ما يستنفع به مدة ثم يفنى. و قوله: «وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ» فالمآب:

(۱) سورة آل عمران آية: ۱۶۰.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۱۳

المرجع من آب يؤوب أوباً و إياباً و أوبة، و مآباً إذا رجع و تأوب تأوباً إذا رجع و أوبه تأويباً: إذا رجعه. و أصل الباب الأوب الرجوع.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۵] ..... ص : ۴۱۳

اشارة

قُلْ أَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَ أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ وَ رِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ (۱۵)

آية واحدة بلا خلاف.

القراءة و المعنى: ..... ص : ۴۱۳

قرأ عاصم وحده فى رواية أبى بكر و رضوان- بضم الراء- الباقون بكسرها فالضم لغة قيس، و تميم. و الكسر لغة أهل الحجاز. قيل فى آخر الاستفهام بقوله أؤنبئكم قولان:

أحدهما- ان اخره عند قوله بخير من ذلكم، ثم استأنف للذين اتقوا.

الثانى- عند قوله: «عِنْدَ رَبِّهِمْ» ثم استأنف جنات على تقدير الجواب، كأنه قيل:

ما هو ذلك الخير، فقيل هو جنات. و مثله: «قُلْ أَ فَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذلِكُمُ النَّارُ» «۱» أى هى النار، و يجوز فى إعراب جنات فى العربية الرفع، و الجر، فالجر على أن يكون فى آخر الكلام عند ربهم. و لا يجوز الجر على الوجه الآخر للفصل باللام، كما لا يجوز أمرت لك بألفين و لأخيك مأتين حتى تقول بمائتين و لو قدمت فقلت و مأتين لأخيك جاز، و لا يجوز النصب فى جنات على موضع الباء فيما لم يكن الباء فيه زائدة كما لا يحسن مررت برجل زيداً و يحسن خشنت بصدره و صدر زيد، لأن الباء زائدة، و لا يجوز أن تكون زائدة فى بخير لأن نبأت لا يجوز الاقتصار فيه على المفعول الثانى دون الثالث، لأنه بمعنى أعلمت، و لا يجوز أعلمت زيداً

(۱) سورة الحج آية: ۷۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۱۴

أخاك حتى تقول خيراً من عمرو، أو نحوه. و قد تقدم تفسير الجنات و الأنهار.

و قوله: «خالدين» نصب على الحال و معنى تأويل قوله: «وَ أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ» فلا معنى لإعادته. و الرضا و المرضاة: معنى واحد. و معنى قوله: «لِلَّذِينَ اتَّقَوْا» يعنى ما حرم عليهم- فى قول الحسن-. فان قيل ما تقولون أنتم لأنكم تقولون إن من لا يتقى جميع ما حرم عليه إذا كان عارفاً باللَّه و مصدقاً لجميع ما وجب عليه موعود له بالجنة؟ قلنا: نقول إن هذه الآية تدل على أن من اتقى جميع ما حرم عليه، فله الجنة، و ما وعد بها من غير أن يقترن بها شيء من استحقاق العقاب قطعاً. و من ليس معه إلا التصديق بجميع ما وجب عليه و قد أخل

بكثير من الواجبات و ارتكب كثيراً من المحظورات فانا نقطع على استحقاقه الثواب مع استحقاقه للعقاب و نجوز فعل العقاب به و نجوز العفو عنه مع القطع على وجوب الثواب له، ففارق المتقى على ما تراه.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۶] ..... ص : ۴۱۴

اشارة

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا إِنَّنا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَ قِنا عَذابَ النَّارِ (۱۶)

آية بلا خلاف.

الاعراب: ..... ص : ۴۱۴

موضع الذين يحتمل ثلاثة أوجه من الاعراب الجر. و الرفع، و النصب، فالجر للاتباع، للذين اتقوا و الرفع على تقديرهم الذين يقولون. و النصب على المدح و تقديره أعنى.

اللغة: ..... ص : ۴۱۴

و قوله:«فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا» فالمغفرة هى الستر للذنب برفع التبعة، و الذنب، و الجرم بمعنى واحد و إنما الفرق بينهما من جهة الأصل، لأن أصل الذنب الاتباع، التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۱۵

فالذنب ما يتبع عليه العبد من قبيح عمله كالتبعة و الجرم أصله القطع، فالجرم القبيح الذى ينقطع به عن الواجب، و الفرق بين القول، و الكلام أن القول فيه معنى الحكاية و ليس كذلك الكلام.

المعنى: ..... ص : ۴۱۵

و قوله: «وَ قِنا عَذابَ النَّارِ» قيل فى معنى هذه المسألة قولان:

أحدهما- مسألة اللّه ما هو من حكمه نحو قوله: «فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا» و الفائدة فى هذا الدعاء التعبد بما فيه مصلحة للعباد. الثانى- مسألة اللّه عز و جل ما لا يجوز أن يعطيه العبد إلا بعد المسألة لأنه لا يكون لطفاً إلا بعد المسألة و على مذهبنا وجه حسن السؤال إن العفو تفضل من اللّه لا يجب عند التوبة، و يجوز أيضاً العفو مع عدم التوبة، فيكون وجه السؤال «فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَ قِنا عَذابَ النَّارِ» ان منا مصرين و لم نتب.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۷] ..... ص : ۴۱۵

اشارة

الصَّابِرِينَ وَ الصَّادِقِينَ وَ الْقانِتِينَ وَ الْمُنْفِقِينَ وَ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحارِ (۱۷)

الاعراب، و اللغة، و المعنى: ..... ص : ۴۱۵

الصابرین نصب علی المدح و کذلک باقی الصفات، و یجوز أن تکون جراً صفات «لِلَّذِینَ اتَّقَوْا» و معنی الصابرین: الحابسین نفوسهم بمنعها عما حرم اللَّه (تعالی) علیها، فالصابر الممدوح: هو الحابس نفسه عن جمیع معاصی اللَّه، و المقیم علی ما أوجب علیه من العبادات، و الصادقین هم المخبرون بالشیء علی ما هو به و هی أیضاً صفة مدح «و القانتین» قال قتادة: هم المطیعون. و قال الزجاج: هم الدائمون علی العبادة، لأن أصل القنوت الدوام. «و المنفقین»: الذین یخرجون ما أوجب اللَّه علیهم من الزکوات، و غیرها من الحقوق. و یدخل فی ذلک المتطوعون التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۴۱۶

بالإنفاق فیما رغب اللَّه فی الإنفاق فیه. «وَ الْمُسْتَغْفِرِینَ بِالْأَسْحارِ» قال قتادة: هم المصلون بالأسحار. و قال أنس بن مالک: هم الذین یسألون المغفرة، و هو الأظهر.

و الأول جائز أیضاً، لأنه قد تطلب المغفرة بالصلاة، کما تطلب بالدعاء.

اللغة: ..... ص : ۴۱۶

و الاسحار: جمع سحر، و هو الوقت الذی قبل طلوع الفجر. و أصله:

الخفاء، و سمی السحر، لخفاء الشخص فیه. و منه السحر، لخفاء سببه. و منه السحر الرئة لخفاء موضعها. و المسحر الذی یأکل الطعام لخفاء مسالکه.

و روی عن أبی عبد اللَّه أن من استغفر اللَّه سبعین مرة فی وقت السحر، فهو من أهل هذه الآیة.

قوله تعالی:[سورة آل‌عمران (۳): آیة ۱۸] ..... ص : ۴۱۶

اشارة

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ وَ الْمَلائِکَةُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ قائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ (۱۸)

المعنی: ..... ص : ۴۱۶

حقیقة الشهادة الاخبار بالشیء عن مشاهدة أو ما یقوم مقام الشهادة من الدلالات الواضحة، و الحجج اللائحة علی وحدانیته من عجیب خلقه، و لطیف حکمته فی ما خلق. و قال أبو عبیدة: معنی «شَهِدَ اللَّهُ» قضی اللَّه «أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَ الْمَلائِکَةُ» شهود «وَ أُولُوا الْعِلْمِ» و حکی عمرو بن عبید عن الحسن، و روی ذلک فی تفسیرنا أن فی الآیة تقدیماً، و تأخیراً. و تقدیرها «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ قائِماً بِالْقِسْطِ» أی بالعدل، و شهد الملائکة أنه لا إله إلا هو قائماً بالقسط، و شهد أولوا العلم أنه لا إله إلا هو قائماً بالقسط. و أولوا العلم: هم المؤمنون.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۴۱۷

القراءة، و الحجة، و الاعراب: ..... ص : ۴۱۷

و قرأ أبو المهلب عمر بن محارب بن دثار «شُهَداءَ لِلَّهِ» علی وزن فعلاء جمع شهید، نصب علی الحال برده علی ما قبله من الکلام کأنه قال: الذین یقولون ربنا إننا آمنا شهداء للَّه أنه لا إله إلا هو، و هی جائزة غیر أنها شهادة لم یوافق علیها أحد من قراء الأمصار، ذکر ذلک البلخی. و (إن) الأولی، و الثانیة تحتمل أربعة أوجه من العربیة، فتحهما جمیعاً و کسرهما جمیعاً، و فتح الأولی و کسر الثانیة، و

كسر الأولى و فتح الثانية. فمن فتحهما أوقع الشهادة على أن الثانية و حذف حرف الاضافة من الأولى، و تقديره «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ» «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ» «۱» و قال أبو على الفارسى: يجوز أن يكون نصبها على البدل من شيئين.

أحدهما- من قوله «أَنَّهُ لا إِلهَ» و تقديره شهد اللّه «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ» و يجوز بدل الشىء من الشىء و هو هو.

و الثانى- أن يكون بدل الاشتمال، لأن الإسلام يشتمل على التوحيد و العدل و غير ذلك. و من كسرهما اعترض بالأولى للتعظيم للّه عز و جل به كما قيل لبيك إن الحمد. و كسر الثانية على الحكاية، لأن فى معنى شهد معنى قال. و قال المؤرخ: شهد بمعنى قال بلغة قيس عيلان.

الثالث- من فتح الأولى و كسر الثانية- و هو أجودها، و عليه أكثر القراء- أوقع الشهادة على الأولى و استأنف الثانية و هو أحسن الوجوه و أظهرها.

الرابع- من كسر الأولى، فعلى الاعتراض، ثم فتح الثانية بإيقاع الشهادة عليها. و هو المروى عن ابن عباس، و قيل فى نصب قائماً قولان:

أحدهما- أنه حال من اسم اللّه على تقدير شهد اللّه قائماً بالقسط.

الثانى- على الحال من هو و تقديره لا إله إلا هو قائماً بالقسط. و قال مجاهد:

---

(۱) سورة آل عمران آية: ۱۹.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۱۸

معنى قائماً بالقسط أى قائماً بالعدل كما تقول: قائماً بالتدبير أى يجريه على الاستقامة فكذلك يجرى التدبير على الاستقامة و العدل فى جميع الأمور.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۹] ..... ص : ۴۱۸

اشارة

إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ وَ مَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِآياتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ (۱۹)

آية.

القراءة، و اللغة، و المعنى: ..... ص : ۴۱۸

قرأ «أن الدين» بفتح الهمزة الكسائى و حكى ذلك عن ابن مسعود. الباقون بكسرها و قد بينا الوجه فيه. معنى الدين هاهنا الطاعة فمعناه ان الطاعة للّه عز و جل هى الإسلام. قال الأعشى:

هو دان الرباب إذ كرهوا الد ين دراكا بغزوة و صيال «۱»

و معناه ذلّلهم للطاعة إذ كرهوا الطاعة، و الدين الجزاء. من قولهم كما تدين تدان أى كما تجزى تجزى. و منه قوله: «مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» أى يوم الجزاء، و سميت الطاعة ديناً، لأنها للجزاء، و منه الدين، لأنه كالجزاء فى وجوب القضاء.

و الإسلام أصله السلم، فأسلم معناه دخل فى السلم كقولهم أقحط بمعنى دخل القحط و أربع دخل فى الربيع، و أصل السلم السلامة، لأنه انقياد على السلامة، و يصلح أن يكون أصله التسليم، لأنه تسليم، لأمر اللّه، و التسليم من السلامة، لأنه تأدية الشىء على السلامة من الفساد و النقصان، فالإسلام: هو تأدية الطاعات على السلامة من الإدغال، و الإسلام، و الايمان عندنا و عند المعتزلة بمعنى واحد

غير أن عندهم أن فعل الواجبات من أفعال الجوارح من الايمان «و عندنا أن أفعال

(۱) انظر ۲: ۱۴۷.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۱۹

الواجبات من أفعال الجوارح من الايمان» «۱» و عندنا أن أفعال الواجبات من أفعال القلوب- التى هى التصديق- من الايمان، فأما أفعال الجوارح، فليست من الايمان، و إن كانت واجبة. و قد بينا ذلك فى ما مضى و سنبينه إن شاء الله.

و الإسلام: يفيد الانقياد لكل ما جاء به النبى (ص) من العبادات الشرعية و ترك النكير عليه، و الاستسلام له، فإذا قلنا: دين المؤمن هو الايمان، و هو الإسلام، فالإسلام هو الايمان. و نظير ذلك قولنا: الإنسان، و الإنسان حيوان على الصورة الانسانية، فالحيوان على الصورة الانسانية بشر.

و قوله: «وَ مَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ» قال الربيع: المراد بالكتاب: التوراة. و قال محمد بن جعفر بن الزبير: هو الإنجيل. و قال الجبائى: خرج مخرج الجنس، و معناه كتب الله المتقدمة التى بين فيها الحلال و الحرام.

و الاختلاف ذهاب أحد النفيسين إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر فهذا الاختلاف فى الأديان. فأما الاختلاف فى الأجناس، فهو امتناع أحد الشيئين أن يسد مسد الآخر فيما يرجع إلى ذاته. و البغى: طلب الاستعلاء بالظلم و أصله من بغيت الحاجة إذا طلبتها، و ليس فى الآية ما يدل على أن الذين اختلفوا بغياً كانوا معاندين، لأن البغى قد يحمل على العدول عن طريق العلم، كما يحمل على عناد أهل العلم. و لأنه قد يقع الخلف بينهم و إن كانوا بأجمعهم مبطلين، كاختلاف اليهود و النصارى فى المسيح، فنسبه النصارى إلى الإلهية، و اليهود إلى الفرية.

الاعراب، و المعنى: ..... ص : ۴۱۹

و العامل فى «بَغْياً بَيْنَهُمْ» يحتمل أمرين: أحدهما- (اختلف) هذا المذكور، و تقديره: و ما اختلف فيه بغياً بينهم إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءهم العلم، هذا قول الأخفش و قال الزجاج: نصبه محذوف دل عليه اختلف المذكور، و تقديره اختلفوا بغياً بينهم. و قوله: «وَ مَنْ يَكْفُرْ بِآياتِ اللَّهِ» معناه: من يجحد آيات اللَّه

(۱) ما بين القوسين زائد حسب ما يظهر.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۲۰

يعنى أدلته و بيناته «فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ» و فى الآخر سريع الحساب للجزاء.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۲۰] ..... ص : ۴۲۰

اشارة

فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَ مَنِ اتَّبَعَنِ وَ قُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ وَ الْأُمِّيِّينَ أَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ (۲۰)

آية بلا خلاف.

المعنى: ..... ص : ۴۲۰

المعنى بقوله: «فَإِنْ حَاجُّوكَ» نصارى نجران- على قول جميع المفسرين- فان قيل: لم قال: «وَ مَنِ اتَّبَعَنِ» و لم يؤكد الضمير، فلم يقل: أسلمت أنا و لا- يجوز أن يقول القائل قمت و زيد إلا بعد أن يقول قمت أنا و زيد؟ قيل: إنما جاز هاهنا لطول الكلام، فصار طوله عوضاً من تأكيد الضمير المتصل، و لو قال أسلمت و زيد لم يجز حتى يقول: أسلمت أنا و زيد، فإذا قال: أسلمت اليوم بانشراح صدرى و من جاء معى حسن. فان قيل ما الحجة فى قوله: «فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ»؟ قلنا فيه وجهان:

أحدهما- أنه أراد إلزامهم على- ما أقروا به من أن اللّه خالقهم- اتباع أمره فى «أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ» «۱» فلذلك قال: «أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ» أى انقدت لأمره فى اخلاص التوحيد له.

الثانى- أنه ذكر الأصل الذى يلزم جميع المكلفين الإقرار به لأنه لا ينتقض فى ما يحتاج إلى العمل عليه فى الدين الذى هو طريق النجاة من العذاب إلى النعيم، و معنى قوله: «وجهى» يريد نفسى و إنما أضاف الإسلام إلى الوجه، لأنه لما كان وجه الشىء أشرف ما فيه ذكر بدلا منه ليدل على شرف الذكر. و مثله «كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» «۲» أى إلا هو. و قوله: (وَ قُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ)

---

(۱) سورة الإسراء آية: ۲۳.

(۲) سورة القصص آية: ۸۸.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۲۱

يعنى اليهود و النصارى، «و الأميين» الذين لا كتاب لهم على قول ابن عباس و غيره. من أهل التأويل، و هم مشركوا العرب، كما قال: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ» «۱» و قال: «النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ» «۲» أى الذى لا يكتب.

و إنما قيل لمن لا يكتب أمى، لأنه نسب إلى ما عليه الأمة فى الخلقة لأنهم خلقوا لا يكتبون شيئاً. و إنما يستفيدون الكتابة.

و قوله: (وَ مَنِ اتَّبَعَنِ) من حذف الياء اجتزاء بالكسرة و إنما حذفها حمزة، و الكسائى و عاصم، و حذف الياء فى أواخر الآى أحسن لأنها تشبه القوافى. و يجوز فى وسط الآى أيضاً و أحسنها ما كان قبلها نون مثل قوله: «وَ مَنِ اتَّبَعَنِ»، فان لم يكن نون، فانه يجوز أيضاً نحو قولك هذا غلام، و ما أشبه ذلك. و الأجود أن تقول هذا غلامى و إن شئت أسكنت الياء. و إن شئت فتحتها.

و قوله: (ء أسلمتم) أمر فى صورة الاستفهام، و إنما كان كذلك، لأنه بمنزلة طلب الفعل، و الاستدعاء إليه فذكر ذلك للدلالة على أمرين من غير تصريح به ليقر المأمور به بما يلزمه فيه، كما تقول لمن توصيه بما هو أعود عليه: أقبلت هذا.

و معناه اقبل، و مثله قوله تعالى: «فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ» «۳» معناه انتهوا، و أقروا به. و تقول لغيرك: هل أنت كاف عنا. و معناه اكفف. و يقول القائل لغيره:

أين أنت، و معناه اثبت مكانك لا تبرح.

و قوله: «فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا» معناه اهتدوا إلى طريق الحق «وَ إِنْ تَوَلَّوْا» معناه كفروا، و لم يقبلوا و اعرضوا عنه «فَإِنَّما عَلَيْكَ الْبَلاغُ» و معناه عليك البلاغ، فقط دون ألا يتولوا، لأنه ليس عليك ألا يتولوا. و قوله:

«وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ» معناه هاهنا لا- يفوته شىء من أعمالهم التى يجازيهم بها، لأنه بصير بهم أى عالم بهم و بسرائرهم و ظواهر أعمالهم، لا يخفى عليه خافية. و قيل معناه يعلم ما يكون منك فى التبليغ، و منهم فى الايمان، و الكفر.

---

(۱) سورة الجمعة آية: ۲. [.....]

(۲) سورة الاعراف آية: ۱۵۶، ۱۵۷.

(۳) سورة المائدة آیة: ۹۴.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۴۲۲

قوله تعالی:[سورة آلعمران (۳): آیة ۲۱] ..... ص : ۴۲۲

اشارة

إِنَّ الَّذِینَ یَکْفُرُونَ بِآیاتِ اللَّهِ وَ یَقْتُلُونَ النَّبِیِّینَ بِغَیْرِ حَقٍّ وَ یَقْتُلُونَ الَّذِینَ یَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِیمٍ (۲۱)

آیة واحدة.

القراءة: ..... ص : ۴۲۲

قرأ حمزة و نصیر «و یقاتلون الذین یأمرون» بالف لأن فی مصحف عبد اللَّه «و قاتلوا» و الأجود ما علیه الجماعة.

المعنی: ..... ص : ۴۲۲

و قوله: «إِنَّ الَّذِینَ یَکْفُرُونَ» معناه یجحدون «بِآیاتِ اللَّهِ» یعنی حججه و بیناته «وَ یَقْتُلُونَ النَّبِیِّینَ»

روی أبو عبیدة بن الجراح قال: قلت یا رسول اللَّه أی الناس أشد عذاباً یوم القیامة قال: رجل قتل نبیاً أو رجلا أمر بمعروف و نهی عن منکر، ثم قرأ رسول اللَّه «وَ یَقْتُلُونَ الَّذِینَ یَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِیمٍ» ثم قال یا أبا عبیدة، قتلت بنو إسرائیل ثلاثة و أربعین نبیاً من أول النهار فی ساعة واحدة، فقام مائة رجل و اثنا عشر رجلا من عُباد بنی إسرائیل فأمروا من قتلهم بالمعروف، و نهوهم عن المنکر فقتلوا جمیعاً من آخر النهار فی ذلک الیوم، و هم الذین ذکرهم اللَّه.

و استدل الرمانی بذلک علی جواز انکار المنکر مع خوف القتل، و بالخبر الذی

رواه الحسن عن النبی (ص) أنه قال: أفضل الجهاد کلمة حق عند سلطان جائر یقتل علیها.

و قال عمرو بن عبید: لا نعلم عملا من أعمال البشر أفضل من القیام بالقسط یقتل علیه. و هذا الذی ذکروه غیر صحیح، لأن من شرط إنکار المنکر ألا یکون فیه مفسدة، و ألا یؤدی إلی قتل المنکر، و متی أدی ذلک إلی قتله، فقد انتفی عنه الشرطان معاً فیجب أن یکون قبیحاً، و الاخبار التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۴۲۳

التی رووها أخبار آحاد لا یعارض بها علی أدلة العقول علی أنه لا یمتنع أن یکون الوجه فیها و فی قوله: «وَ یَقْتُلُونَ الَّذِینَ یَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ» هو من غلب علی ظنه أن إنکاره لا یؤدی إلی مفسدة فحسن منه ذلک بل وجب و إن تعقب- فی ما بعد- القتل، لأنه لیس من شرطه أن یعلم ذلک بل یکفی فیه غلبة الظن.

و قوله: «بِغَیْرِ حَقٍّ» لا یدل علی أن قتل النبیین یکون بحق بل المراد بذلک أن قتلهم لا یکون إلا بغیر حق، کما قال: «وَ مَنْ یَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ» «۱». و المعنی ان ذلک لا یکون علیه برهان کما قال امرؤ القیس:

علی لا حب لا یهتدی بمناره إذا سافه العود الدیا فی جرجرا «۲»

و تقول: لا خیر عنده یرجی. و أنت ترید لا خیر عنده أصلا. و کذلک أراد امرؤ القیس أنه لا منار هناک، فیهتدی به قال أبو ذؤیب:

متفلق انشاؤها عن قانی کالقرط صاو غیره لا یرضع

أی لیس له بقیة لبن فیرضع، و معنی صاو فی البیت صوت یابس النخلة.

و قوله: «وَ يَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ» معناه الـذين يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر. و قوله: «فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ» إنما خاطبهم بـذلك و إن كان الخبر عن أسـلافهم من حيث رضوا هم بأفعالهم، فأجملوا معهم على تقـدير فبشـر أخلافهم بأن العقاب لهم، و كأسـلافهم. فان قيل لم جاز أن تقول إن الذى يقوم، فيكرمك، و لم يجز ليت الذى يقوم فيكرمك؟ قلنا: لأن دخول الفاء لشبه الجزاء، لأن الذى يحتاج إلى صلهٔ فصلتها قامت مقام الشرط، فلذلك دخل الفاء فى الجواب كما دخل فى جواب الشرط، و ليت تبطل معنى الجزاء و ليس كذلك أن لأنها بمنزلهٔ الابتداء.

قوله تعالى:[سورهٔ آلعمران (۳): آيهٔ ۲۲] ..... ص : ۴۲۳

اشارهٔ

أُولئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ (۲۲)

---

(۱) سورهٔ المؤمنون آيهٔ: ۱۱۸.

(۲) مر تخريجه فى ۲: ۳۵۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۲۴

آيهٔ بلا خلاف.

المعنى: ..... ص : ۴۲۴

حبوط العمل- عندنا- هو إيقاعه على خلاف الوجه المأمور به، فإذا أوقعه كذلك لم يستحق عليه الثواب، فجاز لذلك أن يقال: أحبط عمله، و متى أوقعه على الوجه المنهى عنه، اسـتحق مع ذلك العقاب، و ليس المراد بذلك بطلان ما يسـتحق عليه من الحمد و الثناء. و لا بطلان الثواب بمـا يستحق من العقـاب، لأن الثواب إذا ثبت فلا يزول على وجه بما يسـتحق صاحبه من العقاب، لأنه لا تنافى بين المستحقين، و لا تضاد. و أما حبوطها فى الدنيا، فلأنهم لم ينالوا بها مدحاً و لا ثناء.

و أصـل الحبوط مـأخوذ من قولهم: حبطت بطون الماشـيهٔ: إذا فسـدت من مآكـل الربيع. فعلى ما حررناه إنما تبطل الطاعـهٔ حتى تصـير بمنزلـهٔ ما لم تفعل إذا وقعت على خلاف الوجه المأمور به و عنـد المعتزلهٔ، و من خالفنا فى ذلك أن أحدهما يبطل صاحبه إذا كان ما يسـتحق عليه من الثواب أو العقاب أكثر مما يستحق على الآخر فانه يبطل الأقل على خلاف بينهم فى أنه يتحبط على طريق الموازنهٔ أو غير الموازنـهٔ، قال الرمانى: و الفرق بين حبوط الفريضهٔ و حبوط النافلهٔ أن النافلهٔ من الفاسق لا بد عليها من منفعهٔ عاجلهٔ، لأن اللَّه رغب فيها إن أقام على فسقه أو لم يقم.

و الترغيب من الحكيم لا يكون إلا لمنفعهٔ، فأما الفريضهٔ من الفاسق، فلانتقاض المضـرهٔ التى كان يستحقها على ترك المضرهٔ، و هذا- على مذهبنا- لا يصح على ما فصـلناه، و لا على مذهب شـيوخه، لأن المستحق على النوافل لا يكون إلا ثواباً و الثواب لا يصح فعله فى دار التكليف، فكيف يصح ما قاله. و قوله: «وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ» يدل على أنه تعالى لا ينصـر كافراً لأنه لو نصره، لكان أعظم ناصر و اللَّه تعالى نفى على وجه العموم أن يكون لهم ناصر، و لأن مفهوم الكلام أنه لا ينفعهم نصر لكفرهم.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۲۵

قوله تعالى:[سورهٔ آلعمران (۳): آيهٔ ۲۳] ..... ص : ۴۲۵

اشارة

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ يُدْعَوْنَ إِلى كِتابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَ هُمْ مُعْرِضُونَ (۲۳)

آية بلا خلاف.

المعنى: ..... ص : ۴۲۵

معنى «أَ لَمْ تَرَ» أ لم تعلم «إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا» معناه الذين أعطوا «نَصِيباً» أى حظاً و إنما قيل «أُوتُوا نَصِيباً» منه، لأنهم يعلمون بعض ما فيه «مِنَ الْكِتابِ» قال ابن عباس، و الزجاج، و الجبائى: إنه التوراة دعى إليها اليهود فأبوا لعلمهم بلزوم الحجة عليهم بما فيه من الدلالة على نبوة نبينا (ص) و تصديقه. و الثانى- قال الحسن، و قتادة: دعوا إلى القرآن، لأن ما فيه موافق ما فى التوراة فى أصول الديانة و أركان الشريعة. و فى الصفة التى تقدمت البشارة بها.

و الحكم الذى دعوا فيه إلى الكتاب يحتمل ثلاثة أشياء: أحدها- أن يكون نبوة النبى (ص). و الثانى- أن يكون أمر إبراهيم فان دينه الإسلام. و الثالث- أن يكون حداً من الحدود، لأنهم نازعوا فى ذلك، و ليس فى القرآن دليل على تعيين ذلك و إنما هو محتمل لكل واحد منها.

و الفرق بين الدعاء إلى الشيء و الأمر به أن الأمر له صيغة مخصوصة و فيه زجر عن المخالفة عند من قال: إنه يقتضى الإيجاب. و الدعاء قد يكون بالخبر و غيره من الدلالات على معنى الخبر و إنما دعوا إلى المحاكمة لتظهر الحجة فأبوا إلا المخالفة.

و الحكم هو الخبر الذى يفصل الحق من الباطل بامتناعه من الإلباس و هو مأخوذ من الحكمة. و هو الخبر الذى توجب صحته الحكمة. و إنما يقال حكم بالباطل لأنه جعل موضع الحق باطلا بدلا منه. و قولهم ليس هذا حكم كذا معناه ليس هذا حقه فإنما دعوا إلى كتاب اللَّه ليفصل الحق من الباطل فيما اختلفوا فيه. و معنى التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۲۶

قوله: «يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَ هُمْ مُعْرِضُونَ» فالتولى عن الشيء هو الاعراض عنه، فليس على وجه التكرار لأن معناه يتولى عن الداعى، و هو معرض عما دعا إليه، لأنه قد كان يمكنه أن يتولى عنه و هو متأمل لما دعا إليه، فلما لم يفعل كان العيب له ألزم و الذم على ما فعل أعظم.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۲۴] ..... ص : ۴۲۶

اشارة

ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَعْدُوداتٍ وَ غَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ (۲۴)

آية بلا خلاف.

المعنى: ..... ص : ۴۲۶

الأيام المعدودات قيل فيها قولان:

أحدهما- هى الأيام التى عبدوا فيها العجل و هى أربعون يوماً. ذكره قتادة، و الربيع، و الحسن إلا أن الحسن قال: سبعة أيام. و الثانى- قال الجبائى: أرادوا أياماً منقطعة لانقضاء العذاب فيها و انقطاعه.

اللغة: ..... ص : ۴۲۶

و قوله: «وَ غَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ» فالغرور الاطماع فى ما لا يصح. غره يغره غروراً، فهو مغرور و اعتره اغتراراً. و الغرور: الشيطان، لأنه يغر الناس. و الغار:

الغافل، لأنه كالمغتر. و الغرارة: الدنيا، لأنها تغر أهلها. و الغر: الغمر الذى لم يجرب الأمور، و مصدره الغرارة، لأن من شأنه أن يقبل الغرور. و الغرر: الخطر الذى يقدم فيه على ما لا ينبغى، لأنه كحال الغرور فى الطمع المذموم. و الغرارة:

الوعاء، لأنها تغر بعظمها و خفاء ما فيها. و الغر: آثار طى الثوب. أطوه على غره أى على آثار طيه. و الغرغرة: التغرغر فى الحلق. و الغرغرة: حكاية صوت الراعى.

و الغر: زق الطائر فرخه. غره يغره غراً: إذا زقه و ذلك، لأنه كالغرغرة فى الحلق. التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۲۷

و الغُرة: الجبهة. و أصل الباب الغرور الطماع فى غير مطمع.

و قوله: «ما كانُوا يَفْتَرُونَ» فالافتراء: الكذب، و فرى فلان كذباً يفريه فرية، و الفرى: الشق، فريت الأديم فرياً، و فرية. مفرية: مشقوقة. و قد تفرو بجورها أى تشق. و الفرى: الإصر العظيم، لأنه يشق على النفس. و أصل الباب:

الفرى: الشق. و منه الافتراء، لأنه يشق على النفس.

المعنى: ..... ص : ۴۲۷

و الافتراء الذى غرهم قيل فيه قولان: أحدهما- قوله: «نَحْنُ أَبْناءُ اللَّهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ» فى قول قتادة، و قال مجاهد غرهم قوله: «لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُوداتٍ» و ليس فى الآية ما يدل على خلاف ما نذهب إليه من جواز العفو و إخراج المعاقبين من أهل الملة من النار من حيث أن اللَّه ذم هؤلاء بانه لا تمسهم النار إلا أياماً معدودات. و ذلك انا لا نقول أن الأيام التى يعاقب فيها الفاسق بعدد أيام عصيانه بل إنما نقول: إن عقاب من ثبت دوام ثوابه لا يكون إلا منقطعاً و إن لم يحط العلم مقداره. و اللَّه تعالى عاب أهل الكتاب بذلك من حيث قطعوا على ما قالوه و حكموا به و ذلك بخلاف ما قلناه.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (٣): آية ٢٥] ..... ص : ۴۲۷

فَكَيْفَ إِذا جَمَعْناهُمْ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ وَ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ (٢٥)

آية بلا خلاف.

«كيف» موضوعة للسؤال عن الحال. و معناها هاهنا التنبيه بصيغة السؤال عن حال من يساق إلى النار. و فيه بلاغة، و اختصار شديد، لأن تقديره أى حال يكون حال من اغتر بالدعاوى الباطلة حتى أداه ذلك إلى الخلود فى العقوبة؟ و نظيره قول القائل: أنا أكرمك و إن لم تجئنى فكيف إذا جئتنى؟ معناه فكيف إكرامى لك إذا جئتنى. و التقدير: كيف حالها إذا جمعناهم؟ لأنه خبر ابتداء محذوف. التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۲۸

و قوله: «لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ» معناه لجزاء يوم. و اللام يدل على هذا التقدير. و لو قال: جمعناهم فى يوم لما دل على ذلك. و مثله جئته ليوم الخميس أى لما يكون فى يوم الخميس. و قال الفراء. معناه فى يوم.

و قوله: «وَ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- «وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ» من ثواب أو عقاب. الثانى- ما كسبت من ثواب أو عقاب بمعنى اجتلبت بعملها من الثواب أو العقاب، كما تقول كسب فلان المال بالتجارة و الزراعة. فان قيل: كيف قال: «وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ» و ما كسبت، لا نهاية له، لأنه

دائم و ما لا نهایة له لا یصح فعله؟ قلنا: معناه أنه توفی کل نفس ما کسبت حالا بعد حال، فأما أن یفعل جمیع المستحق فمحال لکن لا ینتهی إلی حد ینقطع و لا یفعل فیما بعده. «وَ هُمْ لا یُظْلَمُونَ» معناه لا یبخسون، فلا یبخس المحسن جزاء إحسانه، و لا یعاقب مسیء فوق جزائه.

و قوله تعالی.[سورة آل‌عمران (۳): آیة ۲۶] ..... ص : ۴۲۸

اشارة

قُلِ اللَّهُمَّ مالِکَ الْمُلْکِ تُؤْتِی الْمُلْکَ مَنْ تَشاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْکَ مِمَّنْ تَشاءُ وَ تُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشاءُ بِیَدِکَ الْخَیْرُ إِنَّکَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ (۲۶)

آیة واحدة.

اللغة: ..... ص : ۴۲۸

قیل فی زیادة المیم فی اللهم قولان: أحدهما- قال الخلیل: إنها عوض من یاء التی هی أداة للنداء بدلالة أنه لا یجوز أن تقول غفر اللهم لی، و لا یجوز أیضاً مع (یا) فی الکلام. و الثانی- ما قاله الفراء: إنها المیم فی قولک یا اللّه أمنا بخیر فألقیت الهمزة و طرحت حرکتها علی ما قبلها. و مثله هلم و إنما هی هل أم، قال: و ما قاله الخلیل لا یجوز لأن المیم إنما تزاد مخففة فی مثل فم و ابنم، و لأنها قد اجتمعت مع (یا) فی قول الشاعر: التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۲، ص: ۴۲۹

و ما علیک أن تقولی کلما سبحت أو صلیت یا اللهما

أردد علینا شیخنا مسلما «۱»

قال الرمانی: لا یفسد قول الخلیل بما قاله، لأنها عوض من حرفین فشددت کما قیل قمتن و ضربتن لما کانت النون عوضاً من حرفین فی قمتم، و ذهبتم، فأما قمن و ذهبن فعوض من حرف واحد، و أما البیت فإنما جاز فیه لضرورة الشعر، و أما هل، فلا تدخل علی (أم) بوجه من الوجوه. و الأصل فی (ها) أنها للتنبیه دخلت علی (لم) فی قول الخلیل.

الاعراب: ..... ص : ۴۲۹

و قوله:«مالِکَ الْمُلْکِ» أکثر النحویین علی أنه منصوب بأنه منادی مضاف و تقدیره یا مالک الملک. و قال الزجاج: یحتمل هذا و یحتمل أیضاً أن یکون صفة من اللهم، لأن اللهم منادی، و المیم فی آخره عوض من یاء فی أوله ثم وصفه بعد ذلک کما تقول یا زید ذا الحجة.

المعنی: ..... ص : ۴۲۹

و معنی الآیة قیل فیه أربعة أقوال:

أحدها- أن الملک هاهنا النبوة ذکره مجاهد. و [الثانی قال الزجاج:

مالک العباد، و ما ملکوا. و [الثالث قال قوم: مالک أمر الدنیا و الآخرة.

و الرابع: أنه أفاد صفة لا تجوز الاله من أنه مالک کل ملک.

و قوله: «تُؤْتِی الْمُلْکَ مَنْ تَشاءُ» تقدیره من تشاء أن تؤتیه و تنزع الملک ممن تشاء أن تنزعه، کما تقول: خذ ما شئت و اترک ما شئت. و معناه ما شئت أن تترکه.

---

(۱) اللسان (أله)، و معانی القرآن للفراء ۱: ۲۰۳ و غیرهما من کتب اللغة و النحو و الأدب، و رأیتها مختلفة.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۴۳۰

اللغة: .... ص : ۴۳۰

و النزع:قلع الشیء عن الشیء، نزع ینزع نزعاً. و منه قوله: «وَ النَّازِعاتِ غَرْقاً» قال أبو عبیدة هی النجوم تنزع أی تطلع و النزع الشبه للقوم نزع إلی أخواله أی نزع إلیهم بالشبه، فصار واحداً منهم بشبهه لهم. و النزاع: الحنین إلی الشیء و المنازعة: الخصومة. و النزوع عن الشیء الترک له. و النزع: ذهاب الشعر عن مقدم الرأس. و المنزعة: آلة النزع. و أصل الباب النزع: القلع.

المعنی: ..... ص : ۴۳۰

و قال البلخی و الجبائی لا یجوز أن یعطی اللَّه الملک للفاسق لأنه تملیک الأمر العظیم من السیاسة و التدبیر مع المال الکثیر، لقوله: «لا یَنالُ عَهْدِی الظَّالِمِینَ» «۱» و الملک من أعظم العهود، و لا ینافی ذلک قوله: «أَ لَمْ تَرَ إِلَی الَّذِی حَاجَّ إِبْراهِیمَ فِی رَبِّهِ أَنْ آتاهُ اللَّهُ الْمُلْکَ» «۲» لأمرین: أحدهما- قال مجاهد الهاء کنایة عن إبراهیم و الملک المراد به النبوة و التقدیر أن آتی اللَّه إبراهیم النبوة. و الثانی- أن یکون المراد بالملک المال دون السیاسة، و التدبیر فان قیل: ما الفرق بین تملیک الکافر العبید و الإماء و بین تملیکه السیاسة و التدبیر: قیل: لأن لا یجعل للجاهل أن یسوس العالم، و هذا الذی ذکره البلخی بعینه یُستدل به علی الامام یجب أن یکون معصوماً، و لا یکون فی باطنه کافراً، و لا فاسقاً.

فان قیل: إن ذلک عادة و جاز أن یکلفنا اللَّه اختیاره علی ظاهر العدالة فإذ أبان فسقه انخلعت إمامته و إنما لا یجوز أن یختار اللَّه (تعالی) من فی باطنه فاسق، لأنه یعلم البواطن لما جاز منا أن نختاره؟ قلنا عن ذلک جوابان:

أحدهما- أن الامام- عندنا- اللَّه (تعالی) یختاره، فوجب أن یکون

---

(۱) سورة البقرة آیة: ۱۲۴.

(۲) سورة البقرة آیة: ۲۵۸.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۴۳۱

مأمون الباطن علی ما قلتموه. و ما الفرق بین أن یختار من فی باطنه فاسق و بین أن یکلفنا ذلک مع علمه بأنا لا نختار إلا الفاسق.

و الجواب الثانی- أنه إذا کانت علة الحاجة إلی الامام ارتفاع العصمة فلو کان الامام غیر معصوم لاحتاج إلی امام آخر و أدی ذلک إلی التسلسل و ذلک باطل.

و قوله: «بِیَدِکَ الْخَیْرُ» معناه إنک قادر علی الخیر و إنما خص الخیر بالذکر و إن کان بیده کل شیء من خیر أو شر، لأن الغرض ترغیب العبد، و إنما یرغب فی الخیر دون الشر، و قال الحسن، و قتادة: هذه الآیة نزلت جواباً لما سأل اللَّه النبی (ص) أن یجعل لأمته ملک فارس و الروم فأنزل اللَّه الآیة.

قوله تعالی:[سورة آل‌عمران (۳): آیة ۲۷] ..... ص : ۴۳۱

اشارة

تُولِجُ اللَّيْلَ فِی النَّهارِ وَ تُولِجُ النَّهارَ فِی اللَّيْلِ وَ تُخْرِجُ الْحَیَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ تُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَیِّ وَ تَرْزُقُ مَنْ تَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ (٢٧)
آية بلا خلاف.

القراءة و اللغة: ..... ص : ٤٣١

قرأ بتشديد الياء «من الميت» نافع و حمزة و الكسائی و حفص الباقون بالتخفيف.
الإيلاج: الإدخال يقال: أولجه ايلاجاً، و ولج ولوجاً. و منه قوله: «حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِی سَمِّ الْخِياطِ» «١» و الوليجة بطانة الرجل لأنه يطلعه على داخل أمره. و منه قوله: «وَ لَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لا رَسُولِهِ وَ لَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً» «٢» و التولج كناس الظبی لأنه يدخله ليأوی إليه و الولجة شیء يكون بين يدی فناء القوم لأنه مدخل إلی أفنائهم و أصل الباب الدخول.

---

(١) سورة الاعراف آية: ٢٩.

(٢) سورة التوبة آية: ١٧.

التبيان فی تفسير القرآن، ج٢، ص: ٤٣٢

المعنى: ..... ص : ٤٣٢

قيل فی معنى الآية قولان: أحدهما- ما روی عن ابن مسعود، و ابن عباس، و مجاهد، و الحسن، و قتادة، و السدی، و الضحاك، و ابن زيد: انه يجعل ما نقص من أحدهما زيادة فی الآخر. و قال الجبائی: معناه يدخل أحدهما فی الآخر بإتيانه بدلا منه فی مكانه.
و قوله: «وَ تُخْرِجُ الْحَیَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ تُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَیِّ» قيل فی معناه قولان:
أحدهما- يخرج الحی من النطفة، و هی ميتة، و النطفة من الحی و كذلك الدجاجة من البيضة و البيضة من الدجاجة، هذا قول عبد اللَّه بن مسعود، و مجاهد، و الضحاك، و السدی، و قتادة، و ابن زيد.
الثانی- ما قاله الحسن
و روی ذلك عن أبی جعفر و أبی عبد اللَّه (ع) أنه إخراج المؤمن من الكافر، و الكافر من المؤمن.
و الفرق بين تخفيف الياء و تشديدها أن الميت بالتخفيف الذی قد مات و بالتثقيل الذی لم يمت قال المبرد: و لا خلاف بين علماء البصريين أنهما سواء و أنشد لابن الرعلاء الغسانی:
ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الأحياء
انما الميت من يعيش كئيباً كاسفاً باله قليل الرخاء «١»
فجمع بين اللغتين و إنما كرر فی عدة مواضع فی القرآن لما فيه من عظم المنفعة و جزيل الفائدة.
و قوله: «بِغَيْرِ حِسابٍ» قيل فيه ثلاثة أقوال: أولها- قال الحسن و الربيع:
بغير نقصان، لأنه لا نهاية لما فی مقدوره فما يوجد منه لا ينقصه، و لا هو على حساب جزء من كذا و كذا جزءاً منه، فهو بغير حساب التجزئة. الثانی- بغير حساب التقتير كما يقال فلان ينفق بغير حساب، لأن من عادة المقتر ألا ينفق إلا

---

(١) اللسان (موت) و روايته (شقياً) بدل (كئيباً).

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ۴٣٣

بحساب ذكره الزجاج. الثالث- ما قاله الجبائى: ان معناه بغير حساب الاستحقاق، لأنه تفضل و ذلك، لأن النعيم منه بحساب و منه بغير حساب فأما العقاب فجميعه بحساب.

قوله تعالى:[سورة آلعمران (٣): آية ٢٨] ..... ص : ۴٣٣

اشارة

لاـ يَتَّخِـذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِى شَيْءٍ إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً وَ يُحَـذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٢٨)

آية واحدة.

القراءة، و الحجة: ..... ص : ۴٣٣

قال الفراء، و الحسن، و مجاهد: «تقية» و به قرأ يعقوب. الباقون «تقاة» و أمال «تقاة» الكسائى. و قرأ حمزة، و نافع بين بين. الباقون بالتفخيم، و هو الأجود، لأن فيه حرفاً مستعلياً، و هو القاف. و من أمال، ليؤذن أن الالف منقلبة من الياء. معنى قوله: «يَتَّخِـذِ الْمُؤْمِنُونَ» نهى للمؤمنين أن يتخذوا الكافرين أولياء يعنى أنصاراً، و كسر الذال لالتقاء الساكنين، و لو رفع، لكان جائزاً بمعنى لا ينبغى لهم أن يتخذوا.

المعنى: ..... ص : ۴٣٣

و قوله:«مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ» من لابتداء الغاية. و تقدير الآية لاـ تجعلوا ابتداء الولاية مكاناً دون المؤمنين لأن مكان المؤمن الأعلى و مكان الكافر الأدنى، كما تقول زيد دونك و لست تريد أنه فى موضع مسفل، و أنك فى موضع مرتفع لكن جعلت الشرف بمنزلة الارتفاع و الخيانة كالاستفال. و فى الآية دلالة على أنه لا يجوز ملاطفة الكفار. قال ابن عباس: نهى اللَّه سبحانه المؤمنين أن يلاطفوا الكفار قال تعالى: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ۴٣۴

خَبالًا»

«١» و قال: «لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» «٢» و قال: «فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» «٣» و قال «وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ» «۴» و قال تعالى: «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ الْكُفَّارَ وَ الْمُنافِقِينَ وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ» «۵» و قال تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصارى أَوْلِياءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ) «۶» و كل ذلك يدل على أنه ينبغى أن يعاملوا بالغلظة و الجفوة دون الملاطفة، و الملاينة إلا ما وقع من النادر لعارض من الأمر.

النظم: ..... ص : ۴٣۴

و وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنه (تعالى) لما بين عظيم آياته بما فى مقدوراته مما لا يقدر عليه سواه، دل على أنه ينبغى أن تكون الرغبة فى ما عنده و عند أوليائه من المؤمنين دون أعدائه الكافرين، فنهى عن اتخاذهم أولياء دون أهل التقوى الذين سلكوا طريق

الهدی. و الولی هو الأولی، و هو أیضاً الذی یلی أمر من ارتضی فعله بالمعونة و النصرة. و تجری علی وجهین:

أحدهما- المعین بالنصرة. و الآخر- المعان فمن ذلک قوله: «اللَّهُ وَلِیُّ الَّذِینَ آمَنُوا» أی معینهم بنصرته، و المؤمن ولی اللَّه أی معان بنصرة اللَّه. و قوله:

«وَ مَنْ یَفْعَلْ ذلِکَ» یعنی من اتخذ الکافرین أولیاء «فَلَیْسَ مِنَ اللَّهِ فِی شَیْءٍ» أی لیس هو من أولیاء اللَّه الصالحین و اللَّه بریء منهم «إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً» فالتقیة الاظهار باللسان خلاف ما ینطوی علیه القلب للخوف علی النفس إذا کان ما یبطنه هو الحق فان کان ما یبطنه باطلا کان ذلک نفاقاً.

اللغة: ..... ص : ۴۳۴

و قوله: (تقاة) أصله وقاة فأبدلت الواو المضمومة تاء استثقالا لها، لأنهم

---

(۱) سورة آل عمران آیة: ۱۱۸.

(۲) سورة المجادلة آیة: ۲۲.

(۳) سورة الانعام آیة: ۶۸.

(۴) سورة الاعراف آیة: ۱۹۸. [.....]

(۵) سورة التوبة آیة: ۷۴.

(۶) سورة المائدة آیة: ۵۴.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۴۳۵

یفرون منها إلی الهمزة تارة و إلی التاء أخری فأما التاء فلقربها من الواو مع أنها من حروف الزیادة. و أما الهمزة فلأنها نظیرتها فی الطرف الآخر من مخارج الحروف مع حسن زیادتها أولا، و وزن تقاة فعله مثل تؤدة، و تخمة و تکأة، و هی مصدر اتقی تقاة، و تقیة، و تقوی، و اتقاء.

حکم التقیة: ..... ص : ۴۳۵

و التقیة- عندنا- واجبة عند الخوف علی النفس و قد روی رخصة فی جواز الإفصاح بالحق عندها. روی الحسن أن مسیلمة الکذاب أخذ رجلین من أصحاب رسول اللَّه (ص) فقال لأحدهما أ تشهد أن محمداً رسول اللَّه؟ قال: نعم. قال:

أ فتشهد أنی رسول اللَّه؟ قال: نعم، ثم دعا بالآخر فقال أ تشهد أن محمداً رسول اللَّه؟

قال: نعم، فقال له أ فتشهد أنی رسول اللَّه؟ قال إنی أصم- قالها ثلاثاً کل ذلک تقیة- فتقول ذلک فضرب عنقه فبلغ ذلک «۱» فقال أما هذا المقتول فمضی علی صدقه و تقیته و أخذ بفضله فهنیئاً له. و أما الآخر فقبل رخصة اللَّه، فلا تبعة علیه فعلی هذا التقیة رخصة و الإفصاح بالحق فضیلة. و ظاهر أخبارنا یدل علی أنها واجبة، و خلافها خطأ.

و قوله: «وَ یُحَذِّرُکُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ» یعنی إیاه فوضع نفسه مکان إیاه، و نفسه یعنی عذابه، و أضافه إلی نفسه علی وجه الاختصاص، و التحقیق کما لو حققه بصفة بأن یقول یحذرکم اللَّه المجازی لکم. و قوله: (وَ إِلَی اللَّهِ الْمَصِیرُ) معناه إلی جزاء اللَّه المصیر أی المرجع.

قوله تعالی:[سورة آل‌عمران (۳): آیة ۲۹] ..... ص : ۴۳۵

اشارة

قُلْ إِنْ تُخْفُوا ما فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَ يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۲۹)

آية واحدة.

---

(۱) يعنى رسول اللّه (ص).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۳۶

النظم: ..... ص : ۴۳۶

وجه اتصال هـذه الآيـة بما قبلها. أنه لما تقـدم النهى عن اتخاذ الكفار أولياء خوفوا من الإعلان بخلاف الاظهار فى ما نهوا عنه بأن اللّه (تعالى) يعلم الأسرار كما يعلم الإعلان.

اللغة: ..... ص : ۴۳۶

و الصـدر معروف. و الصـدر: أعلى مقـدم كـل شـيء. و الصـدر: الانصـراف عن المـاء بعـد الرى. تقول: صـدرت الإبل عن الماء فهى صادرة. و المصدر: الحوض الذى تصدر عنه الإبل. و التصدير: حزام الرجل لميله إلى الصدور. و الصدار:

شبيه بالفقيرة تلبسها المرأة لأنه قصير يغطى الصدر و ما حاذاه و كذلك الصدرة.

و أصل الباب الصدر المعروف.

و قوله: «يَعْلَمْهُ اللَّهُ» جزم، لأنه جواب الشرط، و ان كان اللّه يعلمه كان أو لم يكن، و معناه يعلمه كائناً. و لا يصح وصفه بذلك قبل أن يكون. و المعنى:

و مـا تفعلوا من خير يجـاز اللّه عليه، لأنه يعلمه، فلا يـذهب عليه شـيء منه و إنما قال: «وَ يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ» ليـذكر بمعلومات اللّه على التفصـيل بعلم الضـمير و إنما رفعه على الاستئناف. و قوله: «وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» معناه التحذير من عقاب من لا يعجزه شيء أصلا من حيث أنه قادر على كل شيء يصح أن يكون مقدوراً له.

قوله تعالى:[سورة آلعمران (۳): آية ۳۰] ..... ص : ۴۳۶

اشارة

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَ ما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَ بَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَ يُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَ اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ (۳۰)

آية بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۳۷

الاعراب: ..... ص : ۴۳۷

قيل فى انتصاب يوم ثلاثة أوجه: أحدها- أنه منصوب ب (يحذركم) اللّه أى يحذركم نفسه يوم تجد. الثانى- بالمصير و تقديره و إلى

اللَّه المصير يوم تجد. الثالث- اذكر يوم تجد. و قوله: «ما عملت» معنى (ما) هاهنا الذى لأنه عمل فيها (تجد) و تكون فى موضع نصب. و يحتمل أيضاً أن تكون مع ما بعدها بمنزلة المصدر، و تقديره: يوم تجد كل نفس عملها، بمعنى جزاء عملها. و قوله: «و ما عملت» يجوز أن تكون (ما) بمعنى الذى، و يقوى ذلك قوله: «تود» بالرفع و يجوز أن يكون بمعنى الجزاء، و تود على هذا يحتمل أن يكون مفتوحاً أو مكسوراً. و الرفع جائز على ضعف.

المعنى: ..... ص : ۴۳۷

و معنى تجد النفس عملها يحتمل أمرين: أحدهما- جزاء عملها من الثواب أو العقاب. الثانى- تجد بيان عملها بما ترى من صحائف الحسنات، و السيئات.

و حكم الآية جار على فريقين ولى اللَّه و عدوه، فأحدها يرى حسناته، و الآخر يرى سيئاته. و يحتمل أيضاً أن يكون متناولا لمن جمع بين الطاعة و المعصية، فان من جمع بينها فانه يرى استحقاقه للعقاب على معاصيه حاصلا، فانه يود أيضاً أنه لم يكن فعلها. و الأمد الغاية التى ينتهى إليها قال الطرماح:

كل حى مستكمل عدة العمر و مردّ إذا انقضى أمده

أى غاية أجله. فان قيل كيف يتصل التحذير بالرأفة؟ قيل: قال الحسن:

إن من رأفته بهم أن حذرهم نفسه، و قد بينا أن معنى قوله «وَ يُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ» عذابه. و فسرنا معنى رؤوف فى ما مضى. و إن معناه رحيم بعباده.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۳۱] ..... ص : ۴۳۷

اشارة

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۳۱)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۳۸

آية.

النزول: ..... ص : ۴۳۸

قيل: إن هذه الآية نزلت فى قوم من أهل الكتاب، قالوا: نحن الذين نحب ربنا فجعل اللَّه تصديق ذلك اتباع رسله. هذا قول الحسن و ابن جريج. و قال محمد بن جعفر بن الزبير: إنها نزلت فى وفد نجران من النصارى.

اللغة: ..... ص : ۴۳۸

و المحبة: هى الارادة إلا- أنها تضاف إلى المراد تارة، و إلى متعلق المراد أخرى نحو أن تقول: أحب زيداً و أحب إكرام زيد، و لا تقول فى الارادة ذلك لأنك تقول: أريد إكرام زيد، و لا تقول أريد زيداً. و إنما كان كذلك لقوة تصرف المحبة فى موضع مثل الطباع الذى يجرى مجرى الشهوة، فعوملت تلك المعاملة فى الاضافة و محبة اللّه للعبد هى ارادته لثوابه و محبة العبد للّه هى ارادته لطاعاته.

القراءة، و الحجة، و الاعراب: ..... ص : ۴۳۸

و قوله:(فـاتبعونى) أثبتت اليـاء فيه بلاـ خلاـف، لأنهـا فى وسط آيـة و حـذفت من قوله: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ» لأنها رأس آيـة نوى بها الوقف لتشاكـل رءوس الآـى، لأن سبيل الفواصل سبيل القوافى. و قيل أحببت فلاناً، فهو محبوب، فجاء مفعول للاسـتغناء به عن حببت حتى صار ذلك مهملا، و قد جاء على الأصل قول عنترة:

و لقد نزلت فلا تظنى غيره منى بمنزلة المحب المكرم «۱»

و قد حكى الزجاج عن الكسائى (حببت) من الثلاثى، و أجاز القراءة بفتح

---

(۱) معلقته الشهيرة و غيرها.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۳۹

التاء غير أنه قال هذه لغة قد ماتت. و قول: (وَ يَغْفِرْ لَكُمْ) لا يجوز فى القياس إدغام الراء فى اللام كما جاز إدغام اللام فى الراء فى هل رأيت، لأن الراء مكررة، و لا يدغم الزائد فى الناقص للإخلال به، و قياسـها فى ذلك قياس الضاد، لأنه يجوز هل ضربت بالإدغام و لا يجوز انقض له إلا بالإظهار لما فى الضاد من الاسـتطالة، و قال الزجاج: روى عن أبى عمرو إدغام الراء فى اللام، و غلط عليه لأنه خطأ فاحش بإجماع علماء النحويين: الموثوق بهم، و أجاز الفراء إدغامها فى اللام كما يجوز إدغام الياء فى الميم.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۳۲] ..... ص : ۴۳۹

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكافِرِينَ (۳۲)

آية بلا خلاف.

قال محمـد بن جعفر بن الزبير: نزلت هـذه الآيـة فى وفـد نجران، و فيها دلالة على بطلان مذهب المجبرة، لأنه قال لا يحب الكافرين و معنى لا يحبهم لا يريد ثوابهم من أجل كفرهم، فاذن لا يريد كفرهم، لأنه لو أراده لم يكن نفى محبته لكفرهم، و الطاعة إتباع الداعى فيما دعا إليه بأمره أو إرادته، و لـذلك قـد يكون الإنسان مطيعاً للشـيطان فيما يـدعوه إليه، و إن لم يقصد أن يطيعه، لأنه إذا مال مع ما يجـده فى نفسه من الـدعاء إلى المعصـية، فقد أطاع الداعى إليها. فان قيل ما الفرق بين الطاعة و موافقة الارادة؟ قيل: موافقة الارادة قد تكون طاعـة، و قـد تكون غير طاعة إذا لم تقع موقع الداعى إلى الفعل نحو ارادتى، لأن يتصدق زيد بدرهم من غير أن يشـعر بذلك، فلاـ يكون بفعله مطيعاً لى و لو فعله من أجل إرادتى لكان مطيعاً و كـذلك لو أحسن بـدعائى إلى ذلك فمال معه. و قوله: «فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكافِرِينَ» معناه أنه يبغضهم و لا يريد ثوابهم، فدل بالنفى على الإثبات و كان ذلك أبلغ، لأنه لو قال إنه يبغضهم لجاز أن يتوهم أنه يبغضـهم من وجه و يحبهم من وجه كمـا يعلم الشـىء من وجه، و يجهل من وجه، فإذا قيل لا يعلمه التبيان فى تفسـير القرآن، ج۲، ص: ۴۴۰

لم يحتمل الوجوه.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۳۳] ..... ص : ۴۴۰

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ (۳۳)

آية واحدة.

معنى اصـطفى: اختار و اجتبى و أصـله من الصفوة، و هذا من حسن البيان الذى يمثل فيه المعلوم بالمرئى و ذلك أن الصافى هو النقى

من شائب الكدر فيما يشاهد فمثل به خلوص هؤلاء القوم من الفساد لما علم اللَّه ذلك من حالهم لأنهم كخلوص الصافى من شائب الأدناس. فان قيل: بما ذا اختارهم أ باختيار دينهم أو بغيره؟

قيل فيه ثلاثة أقوال:

أحدها- بمعنى أنه اختار دينهم و اصطفاه، كما قال: «وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ» «۱» و هذا قول الفراء:

و [الثانى قال الزجاج و اختاره الجبائى: انه اختيارهم للنبوة على عالمى زمانهم.

الثالث- قال البلخى: بالتفضيل على غيرهم بما رتبهم على من الأمور الجليلة، لما فى ذلك من المصلحة.

و الاصطفاء هو الاختصاص بحال خالصة من الأدناس. و يقال ذلك على وجهين. يقال: اصطفاه لنفسه أى جعله خالصاً له يختص به. و الثانى- اصطفاه على غيره أى اختصه بالتفضيل على غيره و هو معنى الآية فان قيل: كيف يجوز اختصاصهم بالتفضيل قبل العمل؟ قيل: إذا كان فى المعلوم أن صلاح الخلق لا يتم إلا بتقديم الاعلام لذلك بما قدم من البشارة بهم، و الاخبار بما يكون من حسن أفعالهم و التشويق إليهم بما يكون من جلالتهم إلى غيره من الآيات التى تشهد لهم، و القوى فى العقول و الافهام التى كانت لهم، وجب فى الحكمة تقديم ذلك لما فيه

---

(۱) سورة يوسف آية: ۸۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۴۱

من حسن التدبير.

فان قيل: من آل ابراهيم؟ قيل: قال ابن عباس، و الحسن: هم المؤمنون الذين على دينه، فيكون بمعنى اختصهم بميزة كانت منهم على عالمى زمانهم. و قيل:

آل عمران هم آل ابراهيم كما قال: «ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ» فهم موسى و هرون ابنا عمران. و قال الحسن: آل عمران المسيح، لأن أمه مريم بنت عمران. و فى قراءة أهل البيت «و آل محمد على العالمين». و قال أيضاً: إن آل إبراهيم: هم آل محمد الذين هم أهله. و قد بينا فيما مضى أن الآل بمعنى الأهل. و الآية تدل على أن الذين اصطفاهم معصومون منزهون، لأنه لا يختار و لا يصطفى إلا من كان كذلك، و يكون ظاهره و باطنه واحداً، فإذاً يجب أن يختص الاصطفاء بآل إبراهيم و آل عمران من كان مرضياً معصوماً سواء كان نبياً أو إماماً.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۳۴] ..... ص : ۴۴۱

اشارة

ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (۳۴)

اللغة، و الاعراب: ..... ص : ۴۴۱

وزن ذرية فعلية، مثل قمرية. و يحتمل أن يكون على وزن فعلولة. و أصله ذرورة إلا أنه كره التضعيف، فقلبت الراء الأخيرة ياء، فصار ذروية و قلبت الواو للياء التى بعدها ياء و أدغمت إحداهما فى الاخرى، فصار ذرية. قال الزجاج: و الاول أجود و أقيس. و يحتمل نصبها وجهين:

أحدهما- أن يكون حالا و العامل فيها اصطفى. و الثانى- أن يكون على البدل من مفعول اصطفى.

المعنى: ..... ص : ۴۴۱

و معنى قوله: «بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ» أى فى الاجتماع على الصواب. قال الحسن: التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ۴۴۲
«وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ» «١» فى الاجتماع على الهدى. و به قال قتادة. الثانى- قال الجبائى و غيره:
إنه فى التناسل إذ جميعهم ذرية آدم، ثم ذرية نوح، ثم ذرية إبراهيم، و هو المروى عن أبى عبد اللَّه (ع)
، لأنه قال الذين اصطفاهم اللَّه بعضهم من نسل بعض. و قوله: «وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» قيل فيه قولان:
أحدهما- أنه سميع لما تقوله الذرية عليم بما تضمره، فلذلك فضلها على غيرها لما فى معلومه من استقامتها فى قولها، و فعلها. و الثانى- سميع لما تقوله امرأة عمران من قوله: «إِنِّی نَذَرْتُ لَکَ ما فِی بَطْنِی مُحَرَّراً» عليم بما تضمره ليدل على أنه لا يضيع لها شىء من جزاء عملها و نبه بذلك على استحسان ذلك منها، لأن قول القائل قد علمت ما فعلت يجرى فى الوعد و الوعيد معاً على حد واحد.

قوله تعالى:[سورة آلعمران (٣): آية ٣۵] ..... ص : ۴۴۲

اشارة

إِذْ قالَتِ امْرَأَتُ عِمْرانَ رَبِّ إِنِّی نَذَرْتُ لَکَ ما فِی بَطْنِی مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّی إِنَّکَ أَنْتَ السَّمِیعُ الْعَلِیمُ (٣۵)
آية واحدة بلا خلاف.

الاعراب، و المعنى: ..... ص : ۴۴۲

امرأة عمران المذكورة فى الآية هى أم مريم بنت عمران أم المسيح، و قيل أن اسمها كانت حنَّة. و (إذ) تدل على ما مضى. و قيل فيما يتعلق به (إذ) أربعة أقوال:
أحدها- قال الأخفش و المبرد: أنه اذكر إذ قالت.
الثانى- قال الزجاج: انه متعلق باصطفى آل عمران إذا قالت.
الثالث- يتعلق بسميع عليم إذ قالت، فيعمل فيه معنى الصفتين على تقدير مدرك لنيتها و قولها إذ قالت ذكره الرمانى.
الرابع- قال أبو عبيدة: ان (إذ) زائدة، فلا موضع لها من الاعراب

---

(١) سورة التوبة آية: ٧٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ۴۴٣
و هذا خطأ عند البصريين. و قوله: «نَذَرْتُ لَکَ ما فِی بَطْنِی مُحَرَّراً» فالنذر قد بيناه فيما مضى، و هو قول القائل: للَّه علىّ كذا و كذا. و قيل فى معنى «محرراً» ثلاثة أقوال: أحدها- قال الشعبى: معناه مخلصاً للعبادة. و قال مجاهد: خادماً للبيعة. و قال محمد بن جعفر بن الزبير: عتيقاً من الدنيا لطاعة اللَّه.

اللغة: ..... ص : ۴۴٣

و معنى (محرر) فى اللغة يحتمل أمرين: أحدهما- معتق من الحرية.

تقول: حررته تحريراً: إذا أعتقته أى جعلته حرّاً. الثانى- من تحرير الكتاب و هو إخلاصه من الضرر و الفساد. و أصل الباب الحرارة، لأن الحر يحمى فى مواضع الانفة. فالمحرر يخلص من الاضطراب كما يخلص حرارة النار الذهب و نحوه من شائبة الفساد، و هو نصب على الحال من (ما) و تقديره نذرت لك الذى فى بطنى محرراً و العامل فيه نذرت.

و قوله: «فَتَقَبَّلْ مِنِّی» فأصل التقبل المقابلة، و ذلك للاعتداد بالشيء فيما يقابل بالجزاء عليه. و تقبل الصنيع مشبه بتقبل الهدية من جهة أخذه دون رده.

و قوله «إِنَّکَ أَنْتَ السَّمِیعُ الْعَلِیمُ» معناه السميع لما أقول العليم بما أنوى، فلهذا صحت الثقة لى.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۳۶] ..... ص : ۴۴۳

اشارة

فَلَمَّا وَضَعَتْها قالَتْ رَبِّ إِنِّی وَضَعْتُها أُنْثی وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ وَ لَیْسَ الذَّکَرُ کَالْأُنْثی وَ إِنِّی سَمَّیْتُها مَرْیَمَ وَ إِنِّی أُعِیذُها بِکَ وَ ذُرِّیَّتَها مِنَ الشَّیْطانِ الرَّجِیمِ (۳۶)

آية بلا خلاف.

القراءة، و المعنى: ..... ص : ۴۴۳

قرأ (و اللَّه أعلم بما وضعتُ) ابن عامر، و أبو عمرو عن عاصم، و يعقوب التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۴۴

بمعنى قولى (فَلَمَّا وَضَعَتْها قالَتْ رَبِّ إِنِّی وَضَعْتُها أُنْثی قيل: فيه قولان:

أحدهما- الاعتذار من العدول عن النذر، لأنها أنثى. الثانى- تقديم الذكر فى السؤال لها بأنها أنثى و ذلك ان عيب الأنثى أفظع، و هو إليها أسرع، و سعيها أضعف، و عقلها أنقص فقدمت ذكر الأنثى ليصح القصد لها فى السؤال على هذا الوجه.

و قوله: «وَ لَیْسَ الذَّکَرُ کَالْأُنْثی اعتذار بأن الأنثى لا تصلح لما يصلح له الذكر، و إنما كان يجوز لهم التحرير فى الذكور دون الإناث، لأنها لا تصلح لما يصلح له الذكر من التحرير لخدمة المسجد المقدس، لما يلحقها من الحيض و النفاس، و الصيانة عن التبرج للناس. و قال قتادة: لم يكن التحرير إلا للغلمان فيما جرت به العادة. و الهاء فى قوله: «وضعتها» يحتمل أن يكون كناية عن (ما) فى قوله «نَذَرْتُ لَکَ ما فِی بَطْنِی» و جاز ذلك لوقوع (ما) على مؤنث. و يحتمل أن يكون كناية عن معلوم قد دل عليه الكلام.

اللغة: ..... ص : ۴۴۴

و أصل الوضع: الحط. وضعه يضعه وضعاً. و وضعت بمعنى ولدت أى وضعت الولد. و منه الموضع: مكان الوضع. و التواضع: خلاف التكبر لأنه وضع العبد من نفسه. و الضعة: الخساسة لأنها تضع من قدر صاحبها. و الوضيعة: ذهاب شيء من رأس المال. و المواضعة: المواهبة فى التباع لوضع ما ينفق عليه فى ذلك.

و الإيضاع فى السير: الرفق فيه لأنه حط عن شدة الاسراع. و منه قوله تعالى:

«وَ لَأَوْضَعُوا خِلالَکُمْ» «۱» و أصل الباب: الحط.

المعنى: ..... ص : ۴۴۴

فان قیل هل یجوز أن تقول: و اللَّه أعلم بأن الجسم محدث من زید العالم به، کما قالت: «وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ»؟ قیل: لا یجوز لأن علم کل واحد منهما یجوز أن ینقلب عنه إلی خلافه، و لیس کذلک بأنه یعلم اللَّه، و أفعل من کذا إنما یقال للمبالغة فی الصفة. و من ضم التاء جعل ذلک من کلام أم مریم علی وجه

---

(۱) سورة التوبة آیة: ۴۸.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۴۴۵

التسبیح و الانقطاع إلیه تعالی کما یقول القائل: قد کان کذا و کذا، و أنت تعلم لا علی وجه الاعلام بل علی ما قلناه. و اسکان التاء أجود لامرین: أحدهما- أن قولها «إِنِّی وَضَعْتُها أُنْثی قد أغنی عن ذلک. و الثانی- أنه کان یجب أن تقول و أنت أعلم، لأنها تخاطب اللَّه تعالی.

و قوله: «وَ إِنِّی أُعِیذُها بِکَ وَ ذُرِّیَّتَها مِنَ الشَّیْطانِ الرَّجِیمِ» قیل فی معناه قولان: أحدهما

- الاستعاذة من طعن الشیطان للطفل الذی له یستهل صارخاً، فوقاها اللَّه عز و جل و ولدها عیسی منه بحجاب علی ما رواه أبو هریرة عن النبی (ص)

الثانی- قال الحسن انها استعاذت من إغواء الشیطان.

اللغة: ..... ص : ۴۴۵

و الرجیم بمعنی الموجود بالشبهة و أصل الرجم: الرمی بالحجارة رجم یرجم رجماً و الرجم القذف بالغیب لأنه رمی العبد به. و منه (لَأَرْجُمَنَّکَ وَ اهْجُرْنِی مَلِیًّا) «۱» و الرجم الاخبار عن الظن لأنه رمی بالخبر لا عن یقین. و منه «رَجْماً بِالْغَیْبِ» «۲» و الرجوم النجوم، لأن من شأنها أن یرمی بها الشیاطین و منه قوله: «وَ جَعَلْناها رُجُوماً لِلشَّیاطِینِ» «۳». و الرجام القبور التی علیها الحجارة. و المراجمة المباراة فی الکلام، و العمل له من کل واحد من النفیسین لرمی صاحبه بما یکیده و أصل الباب الرمی.

قوله تعالی:[سورة آلعمران (۳): آیة ۳۷] ..... ص : ۴۴۵

اشارة

فَتَقَبَّلَها رَبُّها بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَ أَنْبَتَها نَباتاً حَسَناً وَ کَفَّلَها زَکَرِیَّا کُلَّما دَخَلَ عَلَیْها زَکَرِیَّا الْمِحْرابَ وَجَدَ عِنْدَها رِزْقاً قالَ یا مَرْیَمُ أَنَّی لَکِ هذا قالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ یَرْزُقُ مَنْ یَشاءُ بِغَیْرِ حِسابٍ (۳۷)

---

(۱) سورة مریم آیة: ۴۶.

(۲) سورة الکهف آیة: ۲۳.

(۳) سورة الملک آیة: ۵.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۴۴۶

آیة واحدة بلا خلاف.

القراءة، و المعنی، و اللغة: ..... ص : ۴۴۶

قرأ أهـل الكوفـة «كفلهـا» بالتشديـد. البـاقون بـالتخفيف. و التخفيف أليق بقوله «أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ» «۱» و قرأ أهـل الكوفـة إلاـ أبا بكر (زكريا) مقصوراً.

الباقون بالمد. و نصب (زكرياء) مع المد أبو بكر. الباقون بالرفع.

قوله: «فَتَقَبَّلَها رَبُّها بِقَبُولٍ حَسَنٍ» معناه رضـيها فى النذر الذى نذرته بالإخلاص للعبادة فى بيت المقدس، و لم يقبل قبلها أنثى فى ذلك المعنى. و إنما جاء مصدر تقبلها على القبول دون التقبل، لأن فيه معنى قبلها. و قال أبو عمرو:

لا نظير للقبول فى المصادر، ففتح فاء الفعل و الباب كله مضـموم الفاء كالدخول، و الخروج، و قال سـيبويه: جاءت خمسة مصادر على فعول: قبول، و وضوح، و ظهور، و ولوغ، و وقود إلا أن الأكثر فى وقود الضم إذا أريد المصدر.

و أجاز الزجاج فى القبول الضم.

و قوله: «وَ أَنْبَتَها نَباتاً حَسَـناً» معناه أنشأها إنشاء حسـناً فى عـذابها و حسن تربيتها. و الكفل تضـمن مؤنـة الإنسان كفلته أكفله كفلا فأنا كافل:

إذا تكلفت مؤنته. و منه «وَ كَفَّلَهـا زَكَرِيَّا» و من قرأ بالتثقيل فمعناه كفلها اللّه زكريا و الكفيل: الضامن. و الكفل: مؤخر العجز. و الكفل من الرجال الذى يكون فى مؤخر الحرب همته الفرار. و الكفل النصيب.

و منه قـوله: «يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ» «۲» و قوله: «وَ مَنْ يَشْـفَعْ شَـفاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْها» «۳» و أصـل الباب التأخر فمنه الكفالة الضمان. و فى زكريا ثلاث لغات: المد، و القصر. و قد قرئ بهما و زكرىً بالياء المشددة و أحكامها مختلفة

---

(۱) سورة آل عمران آية: ۴۴.

(۲) سورة الحديد آية: ۲۸.

(۳) سورة النساء آية: ۸۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۴۷

فى الجمع. و التثنية، فمن مد قال فى التثنية: زكرياوان. و فى الجمع زكرياوون.

و من قصـر قـال فى التثنيـة زكريـان. و فى الجمع زكريون. و الـذى بالياء زكريان فى التثنيـة، و زكريون فى الجمع، و زكرياء بالمـد لا يجوز صرفه لأن فيه ألفى التأنيث.

و من قال: لأنه أعجمى معرفة يلزمه إذا نكر أن يصـرفه، و هذا لا يجوز. و أما زكرى، فانه ينصرف لأنه نبأ النسب خرج إلى شبه العربى كما خرج مدائنى إلى شبه الواحد على قول المبرد. و المحراب: مقام الامام من المسجد و أصله أكرم موضع فى المجلس و أشرفه قال عدى بن زيد العبادى:

كدمى العجاج فى المحاريب أو كال بيض فى الروض زهره مستنير «۱»

و قيل هو المكان العالى ذكره الزجاج قال الشاعر:

ربة محراب إذا جئتها لم ألقها أو أرتقى سلما «۲»

و قوله: «وَجَدَ عِنْدَها رِزْقاً»، فالرزق هو ما للإنسان، الانتفاع به على وجه ليس لأحد منعه.

المعنى: ..... ص : ۴۴۷

و قيلَ إنه كان فاكهة الصـيف فى الشـتاء و فاكهة الشـتاء فى الصـيف فى قول ابن عباس، و مجاهد، و قتادة، و السدى، و ابن اسـحق. و قـال: تكلمت فى المهـد، و لم تلقم ثـدياً قط، و إنما كان يأتيها رزقها من الجنـة، و هـذه تكرمـة من اللّه تعالى لها. و عنـدنا يجوز فعل

ذلک بالأولیاء و الصالحین، و إن لم یکونوا أنبیاء. و من منع منه قالوا فیه قولین: أحـدهما- أن ذلک کان آیـة لدعوة زکریا لها بالرزق فی الجملة.

و الثانی- قال قوم: هو تأسـیس لنبوة المسـیح، و الأول قول الجبائی. و اختار وجهاً آخر أن یکون اللَّه (تعالی) سـخر لها بعض عباده أن یأتیها به بلطفه علی مجری

(۱) دیوانه فی شعراء الجاهلیة: ۴۵۵. یصف نساء یقول: هن کتماثیل العاج فی محاریب المعابـد. و البیض: یعنی بیض النعام. و الروض جمع روضة و هی البستان. [.....]

(۲) قائله وضاح الیمنی اللسان (حرب). و قد استشهد به علی أن المحراب صدر البیت، و أکرم موضع فیه، و الجمع المحاریب.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۴۴۸

العادة، و لا یکون معجزاً، و هـذا خلاف جمیع أقوال المفسـرین، لأنهم کلهم قالوا لما رأی زکریا ذلک قال: الـذی یقدر علی أن یأتی مریم بـالرزق یقـدر أن یخلق الولـد من امرأة عـاقر، فهنالـک سـأله أن یرزقه ولـداً. و یحتمـل إیصـال قوله: «إِنَّ اللَّهَ یَرْزُقُ مَنْ یَشاءُ بِغَیْرِ حِسـابٍ» بمـا تقـدم من وجهین: أحـدهما- أن یکون حکایـة لقول مریم. و الثـانی- أن یکون استئنافاً من اللَّه الاخبـار به. و الأولی أن یکون علی الاستئناف، لأنه لیس من معنی الجواب عما سئلت عنه فی شیء. و قال الحسن:

هو علی الحکایة. و قوله: «بغیر حساب» معناه بغیر حساب الاستحقاق علی العمل، لأنه تفضل یبتدئ اللَّه به من یشاء من خلقه. و یحتمل أن یکون المراد بغیر تقتیر کما یحسب الذی یخاف الاملاق. و قد بینا فیما مضـی معنی (أنی) و أن معناه من أین لک. و قال قوم معناه کیف لک. و الأول أظهر.

قوله تعالی:[سورة آل‌عمران (۳): آیة ۳۸] ..... ص : ۴۴۸

اشارة

هُنالِکَ دَعا زَکَرِیَّا رَبَّهُ قالَ رَبِّ هَبْ لِی مِنْ لَدُنْکَ ذُرِّیَّةً طَیِّبَةً إِنَّکَ سَمِیعُ الدُّعاءِ (۳۸)

آیة واحدة.

اللغة و المعنی: ..... ص : ۴۴۸

معنی هنالـک: عنـد ذلـک. و الأصـل فیه الطرف من المکـان نحو رأیته هنـا و هناک، و هنالک، و الفصل بینهما، القرب و البعـد، فهنا للقریب و هنالک للبعیـد، و هناک لما بینهما. و قال الزجاج: و یسـتعمل فی الحال کقوله من هاهنا قلت: کـذا أی من هذا الوجه. و فیه معنی الاشارة کقولک: ذا، و ذاک. و زیـدت اللام لتأکیـد التعریف، لأن الأصل فی زیادتها التعریف إلا أنها کسـرت لالتقاء الساکنین کما کسرت فی ذلک. و لا یجوز إعرابها، لأن فیها معنی الحرف.

و معنی الآیة عند ذلک الذی رأی من فاکهة الصـیف فی الشـتاء، و فاکهة الشـتاء فی الصـیف علی خلاف ما جرت به العادة، طمع فی رزق الولد من العاقر التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۴۴۹

علی خلاف مجری العادة، فسأل ذلک. و زکریا (ع) و إن کان عالماً بانه تعالی یقدر علی خلق الولد من العاقر، و إن لم تجر به العادة، فانه کان یجوز ألا یفعل ذلک لبعض التدبیر، فلما رأی خرق العادة بخلق الفاکهة فی غیر وقتها قوی ظنه أنه یفعل ذلک:

إذا اقتضت المصـلحة، و قوی فی نفسه مـا کـان علمه، کما أن ابراهیم و إن کان عالماً بأنه (تعالی) یقـدر علی إحیاء المیت سأل ذلک

مشاهـدة لتأكـد معرفته و تزول عنه خواطره. و قال الجبائی: إن اللَّه تعالی کان أذن له فی المسألـة و جعل وقته الـذی أذن له فیه الوقت الذی رأی فیه المعجزة الظاهرة فلذلک دعا.

و قوله: «قالَ رَبِّ هَبْ لِی مِنْ لَدُنْکَ ذُرِّیَّةً طَیِّبَةً» فالهبة تملیک الشـیء من غیر ثمن تقول: وهب یهب، فهو واهب و الشـیء موهوب، و تواهبوا الأـمر بینهم تواهبـاً، و اسـتوهبه استیهابـاً. و قوله من لـدنک معنـاه من عنـدک و إنمـا بنی و لم یبن عنـد، لأـنه اسـتبهم اسـتبهام الحروف، لأنه لاـ یقع فی جواب أین کمـا یقع عنـد نحو قوله أین زیـد فتقول عنـدک، و لاـ تقول لـدنک. «ذریـة» تقع علی الجمع، و الواحـد. و قیل أن المراد هاهنا واحد لقوله «فَهَبْ لِی مِنْ لَدُنْکَ وَلِیًّا» «۱» و أمـا بمعنی الجمع، فمثل قوله: «ذُرِّیَّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ» «۲» و قوله: «طیبة» قال السدی معناه مبارکة. و إنما أنث طیبة، و هو سأل ولداً ذکراً علی تأنیث الذریة کما قال الشاعر:

أبوک خلیفة ولدته أخری و أنت خلیفة ذاک بالکمال «۳»

و قال آخر:

فما نزدری من حیة جبلیة سکات إذا ما عاض لیس بأدردا «۴»

فجمع التأنیث، و التذکیر فی بیت واحد مرة علی اللفظ، و مرة علی المعنی.

---

(۱) سورة مریم آیة: ۴.

(۲) سورة الاسراء آیة: ۳.

(۳) اللسان: (خلف)، و معانی القرآن للفراء ۱: ۲۰۸.

(۴) اللسان: (سکت)، و معانی القرآن للفراء ۱: ۲۰۸. الحیة الجبلیة لسعها أشد.

و حیة سـکوت و سـکات- بضم السـین-: إذا لم یشـعر الملسوع بها حتی تلسـعه. و الأدرد: الذی سـقطت أسـنانه، فلم یبق فی فمه سن. یصف رجلا داهیة شبهه بالحیة الجبلیة السکوت.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۴۵۰

و إنمـا یجوز هـذا فی أسـماء الأجناس دون الاعلام نحو طلحـة، و حمزة، و عنترة، لا یجوز أن تقول جاءت طلحـة من قبل أن التـذکیر الحقیقی یغلب علی تأنیث اللفظ فأما قوله:

و عنترة الفیحاء جاءت ملاماً کأنک فند من عمایة أسود

فإنما أراد شفة عنترة، فحذف المضاف و أقام المضاف إلیه مقامه. و قوله:

«إِنَّکَ سَـمِیعُ الـدُّعاءِ» معناه سامع الـدعاء بمعنی قابل الـدعاء. و منه قول القائل: سـمع اللَّه لمن حمـده أی قبل اللَّه دعاه و أصل السـمع ادراک المسـموع و إنمـا قیـل للقابـل سـامع لأـن من کان أهلا أن یسـمع منه فهو أهل أن یقبل منه خلاف من لا یعتـد بکلامه فکلامه بمنزلة ما لم یسمع.

قوله تعالی:[سورة آل‌عمران (۳): آیة ۳۹] ..... ص : ۴۵۰

اشارة

فَنادَتْهُ الْمَلائِکَةُ وَ هُوَ قائِمٌ یُصَلِّی فِی الْمِحْرابِ أَنَّ اللَّهَ یُبَشِّرُکَ بِیَحْیی مُصَدِّقاً بِکَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَ سَیِّداً وَ حَصُوراً وَ نَبِیًّا مِنَ الصَّالِحِینَ (۳۹)

آیة واحدة بلا خلاف.

القراءة: ..... ص : ۴۵۰

قرأ حمزة و الكسائی و خلف «فناداه الملائكة» على التذكير، و الامالة. الباقون على التأنيث، فالأول على المعنى، و الثانی على اللفظ. و قرأ حمزة و ابن عامر «إن اللَّه» بكسر الهمزة على الحكاية. الباقون بفتحها على اعمال المناداة، و تقديره نادته بأن اللَّه. و قرأ حمزة و الكسائی «يبشرك» بفتح الياء و تخفيف الشين و ضمها. الباقون بضم الياء و تشديد الشين.

المعنى و اللغة: ..... ص : ۴۵۰

و قال السدی الذی نادی زكريا جبريل وحده، فعلى هذا يكون ذهب مذهب التبيان فی تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۵۱
الجمع كما يقولون: ذهب فی السفن و إنما خرج فی سفينة و خرج على البغال و إنما ركب بغلا واحداً. و قال غيره: ناداه جماعة من الملائكة كأنه قيل: النداء جاء من قبل الملائكة و إنما جاز ذلك لعادة جارية نحو قولهم: ناداه أهل العسكر، و ناداه أهل البلد. و قوله: «وَ هُوَ قائِمٌ يُصَلِّی» جملة فی موضع الحال. و قوله: «أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ» فی بشره من البشری ثلاث لغات: بشره يبشره و بشره يبشره بشراً، و أبشره بشاراً عن أبی العباس. و قرأ حميد «يبشرك» من أبشر، و كل ذلك لظهور السرور فی بشرة الوجه. و قيل إن المثقل من البشارة، و المخفف من السرور، و المعنيان متقاربان. و أنشد الأخفش:

و إذا لقيت الباهشين إلى الندى غبراً أكفهم بقاع ممحل

فأعنهم و ابشر بما بشروا به و إذا هم نزلوا بضنك فانزل «۱»

قال الزجاج هذا على بشر يبشر إذا فرح. و أصل هذا كله أن بشرة الإنسان تنبسط عند السرور. و قوله: (بيحيى) قال قتادة سمی يحيى، لأن اللَّه تعالى أحياه بالايمان سماه اللَّه بهذا الاسم قبل مولده.

و قوله: (مصدقاً) نصب على الحال من يحيى «بكلمة» يعنی المسيح (ع) فی قول ابن عباس، و مجاهد، و قتادة، و الربيع، و الضحاك، و السدی و جميع أهل التأويل إلا ما حكی عن أبی عبيدة أنه قال «بكلمة» أی بكتاب اللَّه كما يقولون أنشدنی فلان كلمة فلان أی قصيدته و إن طالت، و إنما سمی المسيح كلمة اللَّه لامرين:

أحدهما- أنه كان بكلمة اللَّه من غير أب من ولد آدم.

و الثانی- لأن الناس يهتدون به فی الدين كما يهتدون بكلام اللَّه.

و قوله: «و سيداً» يعنی مالكا لمن يجب عليه طاعته، و من ذلك سيد الغلام

---

(۱) قائله عبد قيس بن خفاف البرجمی. اللسان: (كرب)، (بشر)، (يسر)، معانی القرآن للفراء ۱: ۲۱۲ و البيتان من قصيدة ينصح بها ولده جبيل. و رواية المصادر مختلفة. البهش: الفرح. بهش الى الشیء: فرح به و أسرع اليه. الندى: الكرم. الممحل: المجدب. الضنك: الضيق.

التبيان فی تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۵۲

يعنی مالكه، و لا يقال سيد الثوب بمعنی مالك الثوب، لأنه لا يتصور هناك وجوب طاعته. و أصل السواد الشخص، فقيل سيد القوم بمعنی مالك السواد الأعظم، و هو الشخص الذی تجب طاعته لمالكه، و هذا إذا قيل مضافاً أو مقيداً فأما إذا اطلق فلا ينبغی إلا للَّه تعالى، لأنه المالك لجميع الخلق. و قيل: معناه هاهنا و سيداً فی العلم و العبادة فی قول قتادة. و قال الجبائی: معناه و سيداً للمؤمنين بالرئاسة لهم. و قال الضحاك: سيداً فی الحلم و التقی. و قيل سواد الإنسان لشخصه، لأنه يستر به لستر سواد الظلمة بتكاثفه، و تسوله. «و حصورا» معناه الممتنع من الجماع.

و منه قيل للذی يمتنع أن يخرج مع ندمائه شيأ للنفقة حصور قال الأخطل:

و شارب مربح بالكأس نادمنى لا بالحصور و لا فيها بسوار «۱»

يعنى معربد و يقال للذى يكتم سره حصور و يقال: حصر فى قراءته إذا امتنع بالانقطاع فيها. و منه حصر العدو منعه الناس من التصرف. و قال عبد اللَّه:

الحصور العنين. و قال سعيد بن المسيب إنما كان معه مثل هدب الثوب. و قال الحسن، و قتادة

هو الذى لا يأتى النساء، و هو المروى عن أبى عبد اللَّه (ع)

، و قال بعضهم هو الذى لا يبالى ألا يأتى النساء. و قوله: «وَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ» (من) هاهنا لتبيين الصفة ليس المراد به التبعيض، لأن النبى لا يكون إلا صالحاً.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۴۰] ..... ص : ۴۵۲

اشارة

قالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَ قَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَ امْرَأَتِي عاقِرٌ قالَ كَذلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ ما يَشاءُ (۴۰)

---

(۱) ديوانه: ۱۱۶، و اللسان: (حصر)، (سأر)، (سور)، و طبقات فحول الشعراء: ۴۳۲، و مجاز القرآن ۱: ۹۲. المربح: المعطى الربح للتاجر.

يريد أنه يغالى بثمن الخمر و لا يبالى بما يبذل فيها. و السوار: الذى تسور الخمر فى دماغه فيعربد على رفاقه.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۵۳

المعنى: ..... ص : ۴۵۳

إن قيل لم راجع هذه المراجعة مع ما بشره اللَّه تعالى بأنه يهب له ذرية طيبة، و بعد أن سأل ذلك؟ قيل: إنما راجع ليعرف على أى حال يكون ذلك أ يرده إلى حال الشباب و امرأته، أم مع الكبر، فقال اللَّه (تعالى) «كَذلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ ما يَشاءُ» أى على هذه الحال، و تقديره كذلك الأمر الذى أنت عليه «يَفْعَلُ اللَّهُ ما يَشاءُ» هذا قاله الحسن. و قيل فى وجه آخر، و هو أنه قال على وجه الاستعظام لمقدور اللَّه و التعجب الذى يحدث للإنسان عند ظهور آية عظيمة من آيات اللَّه، كما يقول القائل: كيف سمحت نفسك بإخراج الملك النفيس من يدك تعجباً من جوده، و اعترافاً بعظمه. و قال بعضهم: إن ذلك إنما كان للوسوسة التى خالطت قلبه من قبل الشيطان حتى خيلت إليه أن النداء كان من غير الملائكة. و هذا لا يجوز، لأن النداء كان على وجه الاعجاز على عادة الملك فيما يأتى به من الوحى عن اللَّه، و الأنبياء (ع) لا يجوز عليهم تلاعب الشيطان بهم حتى يختلط عليهم طريق الافهام، فلا يعرفوا نداء ملك من نداء شيطان أو انسان.

اللغة: ..... ص : ۴۵۳

و الغلام: هو الشباب من الناس. يقال: غلام بين الغلومية و الغلومة و الغلمة.

و الاغتلام: شدة طلب النكاح. و الغيلم «۱» منع الماء من الآبار، لأنه طلب الظهور. و غلم الأديم جعله فى غلمة ليتفسخ عنه صوفه، لأنه طلب لتقطعه.

و قوله: «وَ قَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ» و المراد بلغت الكبر، لأن الكبر بمنزلة الطالب له، فهو يأتيه بحدوثه فيه. و الإنسان أيضاً يأتيه بمرور السنين عليه، كما يقول القائل:

يقطعنى الثوب. و إنما هو يقطع الثوب. و لا يجوز أن يقول بلغنى البلد بمعنى بلغت البلد، لأن البلد لا يأتيه أصلا. و قوله: «وَ امْرَأَتِي عاقِرٌ» فالعاقر من النساء التي لا تلد. يقال: امرأة عاقر، و رجل عاقر. و قال عامر بن الطفيل:

---

(۱) الضفدع. ذكر السلحفاة: الشاب الكثير الشعر.

لبئس الفتى ان كنت أعور عاقرا جباناً فما عذرى لدى كل محضر «۱»

و ذلك لأنه كالذى حدث به عقر يقعده عما يحاول من الامر. و عقر كل شيء أصله. و عقر العاقر المصدر. و العقر: دية فرج المرأة: إذا غصبت نفسها و بيضة العقر آخر بيضة. و العقر: الجرح. و العقر: محلة القوم. و العاقر معروف.

و العقار الخمر. و المعاقرة إدمان شربها مع أهلها. و أصل الباب: العقر الذى هو أصل كل شيء، فعقر العاقر لانقطاع أصل النسل.

قوله تعالى:[سورة آلعمران (۳): آية ۴۱] ..... ص : ۴۵۴

اشارة

قالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزاً وَ اذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً وَ سَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِبْكارِ (۴۱)

الآية: العلامة و إنما سأل العلامة، و الآية لوقت الحمل الذى سأل ربه ليتعجل السرور به فى قول الحسن، فجعل اللّه تعالى آيته فى إمساك لسانه، فلم يقدر أن يكلم الناس إلا إيماء من غير آفة حدثت فى لسانه، كما يقال فى مريم «ثَلاثَ لَيالٍ سَوِيًّا» هذا قول الحسن، و قتادة، و الربيع، و أكثر المفسرين.

اللغة: ..... ص : ۴۵۴

و فى وزن «آية» ثلاثة أقوال:

أحدها- فعلة إلا أنه شذ من جهة إعلال العين مع كون اللام حرف علة.

و إنما القياس فى مثله أعلال اللام نحو حياة و نواة. و نظيرها راية و طاية، و شذ ذلك، للاشعار بقوة اعلال العين.

الثانى- فعلة آية إلا أنها قلبت كراهية التضعيف نحو طاى فى طيى.

---

(۱) ديوانه: ۱۱۹ و مجاز القرآن ۱: ۹۲ فى المطبوعة (اغدر) بدل (اعور).

و عامر بن الطفيل أحد العوران. ذهبت عينه يوم فيف الريح و أما عقمه، فقد قال: ما لى ولد و انى لعاهر الذكر، و انى لأعور البصر.

الثالث- فاعلة منقوصة و هذا ضعيف، لأنهم صغروها أيية و لو كانت فاعلة لقالوا أوية إلا أنه يجوز على ترخيم التصغير نحو فطيمة. «و الرمز» الإيماء بالشفتين. و قد يستعمل فى الإيماء بالحاجبين، و العينين و اليدين. و الاول أغلب.

قال جؤية بن عائذ:

و كان تكلم الابطال رمزا و غمغمة لهم مثل الهرير «۱»

يقال منه: رمز يرمز رمزاً. و يقال: ارتمز: إذا تحرك. و أصله الحركة.

المعنى، و اللغة: ..... ص : ۴۵۵

و قال مجاهد: الرمز تحريك الشفتين. و قال قتادة الرمز الاشارة. و قوله:

«وَ اذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً» معناه أنه لما منع من كلام الناس عرف أنه لا يمنع من الذكر للّه و التسبيح له، و ذلك أعظم الآية و أبين المعجزة. و قوله: «سبح» معناه هاهنا صل يقال فرغت من سبحتى أى من صلاتى. و أصل التسبيح التعظيم للّه و تنزيهه عما لا يليق به. و العشى من حين زوال الشمس إلى غروب الشمس فى قول مجاهد. قال الشاعر:

فلا الظل من برد الضحى يستطيعه و لا الغى من برد العشى تذوق

و العشاء من لدن غروب الشمس إلى أن يولى صدر الليل. و العشاء طعام العشى.

و العشا ضعف العين و التعاشى: التعامى، لابهام أنه بمنزلة من هو فى ظلمة لا يبصر و أصل الباب الظلمة. و الأبكار من حين طلوع الفجر إلى وقت الضحى. و أصله التعجيل بالشيء يقال: أبكر ابكاراً و بكر يبكر بكوراً. و قال عمر بن أبى ربيعة:

أمن آل نعم أنت عاد فمبكر «۲»

و قال جرير:

ألا بكرت سلمى فجد بكورها و شق العصا بعد اجتماع أميرها «۳»

---

(۱) لم نجد هذا البيت. فى المطبوعة (كأن) بدل (و كان) و الصحيح ما ذكرنا.

(۲) ديوانه مطلع قصيدته الرائية المشهورة و تتمه البيت: غداة غد أم رائح فمهجر.

(۳) ديوانه: ۱۳۶. يجيب حكيم بن معية الربعى، و كان هجا جريراً. شق العصا: التفرق.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۵۶

و يقال فى كل شيء تقدم: بكر و منه الباكورة أول ما يجيء من الفاكهة.

و قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۴۲] ..... ص : ۴۵۶

وَ إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاكِ وَ طَهَّرَكِ وَ اصْطَفاكِ عَلى نِساءِ الْعالَمِينَ (۴۲)

آية واحدة.

العامل فى (إذ) يحتمل أن يكون أحد شيئين:

أحدهما- سميع عليم إذ قالت امرأة عمران. و إذ قالت الملائكة يكون عطفاً على (إذ) الاولى.

الثانى- اذكر إذ قالت، لأن المخاطب فى حال تذكير و تعريف. و قوله:

«اصْطَفاكِ عَلى نِساءِ الْعالَمِينَ» يحتمل وجهين: قال الحسن و ابن جريج

على عالمى زمانها. و هو قول أبى جعفر (ع)

، لأن فاطمة سيدة نساء العالمين.

و روى عن النبى (ص) أنه قال: فضلت خديجة على نساء أمتى كما فضلت مريم على نساء العالمين. و قال أيضاً (ع) حسبك من نساء العالمين بأربع مريم بنت عمران و آسية امرأة فرعون و خديجة بنت خويلد و فاطمة بنت محمد (ص).

الثانى- ما قاله الزجاج، و اختاره الجبائى: إن معناه اختارك على نساء العالمين بحال جليلة من ولادة المسيح عيسى (ع).

و قوله: (و طهرك) فى معناه قولان:

أحدهما- قال الحسن، و مجاهد: طهرك من الكفر.

و الثانى- ذكره الزجاج أن معناه طهرك من سائر الأدناس: الحيض، و النفاس، و غيرهما. و إنما كرر لفظ اصطفاك، لأن معنى الأول اصطفاك بالتفريغ لعبادته بما لطف لك حتى انقطعت إلى طاعته و صرت متوفرة على اتباع مرضاته و معنى الثانى اصطفاك بالاختيار لولادة نبيه عيسى (ع) على قول الجبائى.

و قال أبو جعفر (ع) اصطفاها أولا من ذرية الأنبياء و طهرها من السفاح.

و الثانى- التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۵۷

اصطفاها لولادة عيسى (ع) من غير فحل. و فى ظهور الملائكة لمريم قالوا قولين:

أحدهما- أن ذلك معجزة لزكريا (ع)، لأن مريم لم تكن نبيئة، لقول اللَّه تعالى «وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ» «۱». و الثانى- أن يكون ذلك برهاناً لنبوة عيسى (ع) كما كان ظهور الشهب و الغمامة و غير ذلك معجزة للنبى (ص) قبل بعثته، فالأول قول الجبائى، و الثانى قول ابن الأخشاد.

و يجوز عندنا أن يكون ذلك معجزة لها و كرامة، و إن لم تكن نبيئة لأن اظهار المعجزات- عندنا- تجوز على يد الأولياء، و الصالحين، لأنها إنما تدل على صدق من ظهرت على يده سواء كان نبياً أو إماماً أو صالحاً، على أنه يحتمل أن يكون اللَّه تعالى قال ذلك لمريم على لسان زكريا (ع). و قد يقال: قال اللَّه لها، و إن كان بواسطة كما تقول: قال اللَّه للخلق كذا و كذا و إن كان على لسان النبى (ص)، و لا يحتاج مع ذلك إلى ما قالوه.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۴۳] ..... ص : ۴۵۷

يا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَ اسْجُدِي وَ ارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (۴۳)

آية واحدة بلا خلاف.

قيل فى معنى قوله: «اقنتى» ثلاثة أقوال:

أحدها- قال سعيد بن جبير أن معناه اخلصى لربك العبادة. الثانى- قال قتادة معناه اديمى الطاعة. الثالث- قال مجاهد اطلبى القيام فى الصلاة. و أصل القنوت الدوام على الشيء و قوله: «و اسجدى» و أصل السجود الانخفاض الشديد للخضوع قال الشاعر:

فكلتاهما خرت و اسجد رأسها كما سجدت نصرانة لم تحنف «۲»

و كذلك القول فى الركوع إلا أن السجود أشد انخفاضاً. و قد بينا فيما

---

(۱) سورة يوسف آية: ۱۰۹ و سورة النحل آية: ۴۳ و سورة الأنبياء آية: ۷.

(۲) مر تخريجه فى ۱: ۲۸۱. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۵۸

مضى حقيقته. و إنما قدم ذكر السجود فى الآية على الركوع، لأن النية به التأخير و التقدير اركعى و اسجدى، لأن الواو لا توجب الترتيب، لأنها نظيرة التثنية إذا اتفقت الأسماء و الصفات. تقول جاءنى زيد و عمرو، و لو جمعت بينهما فى الخبر لقلت جاءنى الزيدان.

و قوله: (مع الراكعين) فيه قولان: أحدهما- أن معناه افعلى مثل فعلهم. الثانى- قال الجبائى: أى فى صلاة الجماعة.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۴۴] ..... ص : ۴۵۸

اشارة

ذلِکَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْکَ وَ ما کُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَکْفُلُ مَرْيَمَ وَ ما کُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (۴۴)

آية.

المعنى، و اللغة: ..... ص : ۴۵۸

ذلك إشارة إلى الاخبار عما تقدم من القصص. و فيه احتجاج على المشركين، من حيث أنه جاء بما لا يعلم إلا من أربعة أوجه: إما مشاهدة الحال، أو قراءة الكتب، أو تعليم بعض العباد، أو بوحى من اللّه. و قد بطلت الأوجه الثلاثة للعلم بأنها لم تكن حاصلة للنبى (ص)، فصح أنه على الوجه الرابع: بوحى من اللَّه (تعالى). و الإيحاء: هو إلقاء المعنى إلى صاحبه فقوله: «نُوحِيهِ إِلَيْکَ» أى نلقى معناه اليك. و الإيحاء: الإرسال إلى الأنبياء تقول: أوحى اللَّه إليه أى أرسل إليه ملكا. و الإيحاء الإلهام و منه قوله تعالى «وَ أَوْحى رَبُّکَ إِلَى النَّحْلِ» «۱» أى ألهمها و قوله: «بِأَنَّ رَبَّکَ أَوْحى لَها» «۲» معناه ألقى إليها معنى ما أراد فيها. قال العجاج:

---

(۱) سورة النحل آية: ۶۸.

(۲) سورة الزلزال آية: ۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۵۹

أوحى لها القرار فاستقرت «۱»

و الإيحاء الإيماء قال الشاعر:

فأوحت إلينا و الأنامل رسلها

و منه قوله: «فَأَوْحى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُکْرَةً وَ عَشِيًّا» «۲» أى أشار إليهم، و الوحى: الكتاب. يقال: وحى يحى وحياً أى كتب، لأن به يلقى المعنى إلى صاحبه قال رؤبة:

لقدر كان وحاه الواحى

و قال:

فى سور من ربنا موحية

و قال آخر:

من رسم آثار كوحى الواحى

و أصل الباب إلقاء المعنى إلى صاحبه. و قوله: «أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوارِيِّينَ» «۳» أى ألقى إليهم و ألهمهم إلهاماً. و منه قوله: «وَ إِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إِلى أَوْلِيائِهِمْ» «۴» أى يلقون إليهم و قوله: «وَ أُوحِيَ إِلَيَّ هذَا الْقُرْآنُ» «۵» أى ألقى إلى. و الغيب: خفاء الشيء عن الإدراك. تقول غاب عنى كذا يغيب غيباً و غياباً. و الغائب: نقيض الحاضر.

و قوله: «وَ ما کُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَکْفُلُ مَرْيَمَ» قيل فيه قولان:

أحدهما- التعجب من حرصهم على كفالتها، لفضلها. ذكره قتادة، لأنه

---

(۱) ديوانه: ۵ و اللسان (وحى) من رجز يذكر فيه ربه و يثنى عليه بآلائه، أوله:

الحمد للّه الذى استقلت باذنه السماء و اطمأنت

باذنه الأرض و ما تعتت أوحى لها القرار فاستقرت

و شدها بالراسيات التبت رب البلاد و العباد القنت

و فى أحد روايتى اللسان (وحى لها) بدل (أوحى لها).

(۲) سورة مريم آية: ۱۱.

(۳) سورة المائدة آية: ۱۱۴.

(۴) سورة الانعام آية: ۱۲۱.

(۵) سورة الانعام آية: ۱۹.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۶۰

قال: فشاح القوم عليها، فقال زكريا: أنا أولى، لأن خالتها عندى. و قال القوم:

نحن أولى لأنها بنت إمامنا، لأن عمران كان إمام الجماعة.

الثانى- التعجب من تدافعهم لكفالتها، لشدة الأزمة التى لحقتهم حتى وفق لها خير الكفلاء بها زكريا (ع). و فى الآية حذف و تقديرها (إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ) لينظروا «أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ» أى أيهم أحق بكفالتها. و الأقلام معناها هاهنا القداح و ذلك أنهم ألقوها تلقاء الجرية، فاستقبلت عصا زكريا جرية الماء مصعدة.

و انحدرت أقلام الباقين، فقرعهم زكريا فى قول الربيع، و كان ذلك معجزة له (ع).

و القلم: الذى يكتب به. و القلم: الذى يجال بين القوم، كل إنسان و قلمه، و هو القدح. و القلم: قص الظفر قلمته تقليماً. و مقالم الرمح كعوبه. و القلامة هى المقلومة عن طرف الظفر و أصل الباب قطع طرف الشىء.

و قوله: (وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ) فيه دلالة على أنهم قد بلغوا فى التشاح عليها إلى حد الخصومة، و فى وقت التشاح قولان: أحدهما- حين ولادتها و حمل أمها إياها إلى الكنيسة تشاحوا فى الذى يخصها و يحضنها و يكفل بتربيتها، و هو الأكثر. و قال بعضهم إنه كان ذلك بعد كبرها و عجز زكريا عن تربيتها.

و (إذ) الأولى متعلقة بقوله: «وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ» و الثانية بقوله: «يختصمون» على قول الزجاج.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۴۵] ..... ص : ۴۶۰

إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (۴۵)

آية عند الجميع.

العامل فى (إذ) يحتمل أمرين أحدهما- و ما كنت لديهم إذ قالت الملائكة.

الثانى- يختصمون «إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ»: «أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ» فالتبشير إخبار المرء بما يسر التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۶۱
من الأمر سمى بذلك لظهور السرور فى بشرة وجهه عند إخباره بما يسره، لأن أصله البشرة و هى ظاهر الجلد. و قوله: «بِكَلِمَةٍ مِنْهُ» هو المسيح سماه اللَّه كلمة على قول ابن عباس و قتادة و ذلك يحتمل ثلاثة أوجه: سمى بذلك، لأنه كان بكلمة اللَّه من غير والد و هو قوله: «كُنْ فَيَكُونُ» «۱». الثانى- لأن اللَّه تعالى بشر به فى الكتب السالفة، كما تقول: الذى يخبرنا بأمر يكون [إذا خرج موافقاً لأمره «۲» قد جاء فى قول لى و كلامى. فمن البشارة به فى التوراة آتانا اللَّه من سبينا، فأشرق من ساعير و استعلن من جبال فاران. و ساعير هو الموضع الذى بعث منه المسيح (ع). الثالث- لأن اللَّه يهدى به كما يهدى بكلمته. و القول الثانى مما قيل فى الكلمة: أنها بمعنى البشارة كأنه قيل ببشارة منه: ولد اسمه المسيح و التأويل الأول أقوى، لقوله: «إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَ كَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ» «۳»، و لأنه معلوم من دين المسلمين أن كلمة اللَّه المسيح (ع)، و إنما ذكر الضمير فى اسمه و هو عائد إلى

الکلمۀ، لأنه واقع علی مذکر، فإذا ذکر ذهب إلی المعنی، و إذا أنث ذهب إلی اللفظ. و قیل فی تسمیۀ المسیح مسیحاً: قولان: أحدهما- قال الحسن، و سعید: لأنه مُسح بالبرکۀ. و قال آخرون: لأنه مُسح بالتطهر من الذنوب. و قال الجبائی سمی بذلک، لأنه مُسح بدهن زیت بورک فیه. و کانت الأنبیاء تتمسح به. فان قیل: یجب علی ذلک أن یکون الأنبیاء کلهم یسمون مسیحاً؟ قلنا: لا یمتنع أن یختص بذلک بعضهم، و إن کان المعنی فی الجمیع حاصلا، کما قالوا فی إبراهیم خلیل اللَّه. و أصله ممسوح عدل عن مفعول إلی فعیل. و قوله: (وجیهاً) نصب علی الحال. و معنی الوجیه الکریم علی من یسأله

---

(۱) سورة البقرة آیۀ: ۱۱۸ و سورة آل عمران آیۀ: ۴۷ و سورة الانعام آیۀ: ۷۳ و سورة النحل: ۴۰ و سورة مریم آیۀ: ۳۵ و سورة یس آیۀ: ۸۲ و سورة المؤمن آیۀ: ۶۸.

(۲) ما بین القوسین من مجمع البیان و کان فی المطبوعۀ نقص فی هذا الموضع کما أن الجملۀ التی بعدها لا تقرأ.

(۳) سورة آل عمران آیۀ: ۱۷۰.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۴۶۲

لأنه لا یرده لکرم وجهه عنده، خلاف من یبذل وجهه للمسألۀ فیرد، یقال منه وجه الرجل یوجه وجاهۀ، و له جاه عند الناس وجاهۀ أی منزلۀ رفیعۀ. قوله:

«وَ مِنَ الْمُقَرَّبِینَ» معناه إلی ثواب اللَّه و کرامته، و کذلک التقرب إلی اللّه إنما هو التقرب إلی ثوابه و کرامته. و فی الآیۀ دلالۀ علی تکذیب الیهود فی الفریۀ علی أم المسیح و تکذیب النصاری فی ادعاء إلهیته علی ما ذکره محمد بن جعفر بن الزبیر و غیره.

قوله تعالی:[سورة آلعمران (۳): آیۀ ۴۶] ..... ص : ۴۶۲

اشارة

وَ یُکَلِّمُ النَّاسَ فِی الْمَهْدِ وَ کَهْلًا وَ مِنَ الصَّالِحِینَ (۴۶)

آیۀ.

الاعراب: ..... ص : ۴۶۲

موضع «وَ یُکَلِّمُ النَّاسَ فِی الْمَهْدِ» نصب علی الحال عطفاً علی (وجیهاً) و مکلما و کذلک عطف علیه (و کهلا) بالنصب. و یجوز عطف الفاعل علی الفعل لتقارب معنیهما قال الشاعر:

بات یغشاها بعضب باتر یقصد فی أسوقها و جائر «۱»

أی و یجور و قال آخر:

یا لیتنی عَلقت غیر خارج قبل الصباح ذات خلق بارج

أم صبی قد حبا أمّ دارج «۲»

أی أو درج و یجوز فی قوله: «و کهلا» أن یکون معطوفاً علی الظرف من قوله: «فی المهد».

اللغة: ..... ص : ۴۶۲

و المهد مضجع الصبى فى رضاعه فى قول ابن عباس، مأخوذ من التمهيد.

---

(۱) معانى القرآن للفراء ۱: ۲۱۳ و أمالى ابن الشجرى ۲: ۱۶۷ و خزانة الأدب ۲: ۳۴۵ و اللسان (كهل) و رواية البيت مختلفة. فبعضها (بت أعشيها ....).

(۲) هكذا فى المطبوعة و رواية اللسان (درج):

يا ليتنى قد زرت غير خارج أم صبى قد حبا و دارج

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۶۳

و الكهل: من كان فوق حال الغلومة، و دون الشيخوخة. و منه اكتهل النبت: إذا طال، و قوى. و منه الكاهل فوق الظهر إلى ما يلى العنق و المرأة كهلة. قال الراجز:

و لا أعود بعدها كريا امارس الكهلة و الصبيان «۱»

و قيل الكهولة بلوغ أربع و ثلاثين سنة. و قال مجاهد: الكهل: الحليم و أصل الباب العلو، فالكهل لعلو سنه، أو لعلو منزلته.

المعنى: ..... ص : ۴۶۳

و وجه كلامه فى المهد تبرئة لأمه مما قذفت به، و جلالة له بالمعجزة التى ظهرت فيه. فان قيل: فما معنى «و كهلا» و ليس بمنكر الكلام من الكهل؟ قيل فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- يكلمهم كهلا بالوحى الذى يأتيه من قبل اللّه. الثانى- انه يبلغ حال الكهل فى السن، و فى ذلك أيضاً إعجاز لكون المخبر على ما أخبر به. الثالث- أن المراد به الرد على النصارى بما كان منه من التقلب فى الأحوال، لأنه مناف لصفة الآله. فان قيل كيف جحدت النصارى كلام المسيح فى المهد و هو معجزة عظيمة؟

قلنا: لأن فى ذلك إبطال مذهبهم، لأنه قال: «إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ» «۲» فاستمروا على تكذيب من أخبر أنه شاهده كذلك. و فى ظهور المعجزة فى تلك الحال قيل فيه قولان:

أحدهما- إنها كانت مقرونة بنبوة المسيح، لأنه كمل عقله فى تلك الحال حتى عرف اللّه بالاستدلال، ثم أوحى إليه بما تكلم به، هذا قول أبى على الجبائى.

و قال ابن الاخشاذ: إن كل ذلك كان على جهة التأسيس لنبوته، و التمكين لها بما يكون دالا عليها، و بشارة متقدمة لها. و يجوز- عندنا- الوجهان. و يجوز

---

(۱) قائله عذافر الفقيمى أمالى القالى ۲: ۲۱۵ و شرح أدب الكاتب لابن السيد: ۲۱۷، ۳۸۹، و اللسان (كهل)، (كرا)، (شعفر)، (أمم) و غيرها كثير. كريا: مكارى و كان عذافر يكرى ابله الى مكة فأكر معه- رجل من أهل البصرة- بعيراً يركبه هو و زوجته و فى الطريق قال بهما رجز طويل.

(۲) سورة مريم آية: ۳۰. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۶۴

أيضاً أن يكون ذلك معجزة لمريم تدل على براءة ساحتها مما قذفت على ما بينا جوازه فيما مضى.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۴۷] ..... ص : ۴۶۴

اشارة

قالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَ لَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قالَ كَذلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ ما يَشاءُ إِذا قَضى أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٤٧)

آية واحدة.

المعنى: ..... ص : ۴۶۴

إن قيل كيف سألت مريم عن خلق الولد من غير مسيس مع أنها لا تنكر ذلك فى مقدور اللَّه تعالى؟ قلنا: فيه وجهان: أحدهما- أنها استفهمت أ يكون ذلك، و هى على حالتها من غير بشر أم على مجرى العادة من بشر، كما يقول القائل:

كيف تبعث بفلان فى هذا السفر، و ليس معه ما يركبه معناه، لأنه قوى أم هناك مركوب؟ الثانى- ان فى البشرة: التعجب مما خرج عن المعتاد فتعجبت من عظم قدرة اللّه كما يقول القائل عند الآية يراها: ما أعظم اللَّه، و كما يقول القائل لغيره كيف تهب ضيعتك، و هى أجل شيء لك. و ليس يشك فى هبته و إنما يتعجب من جوده. و قوله: «قالَ كَذلِكِ اللَّهُ» حكاية ما قال لها الملك. و قوله: «كُنْ فَيَكُونُ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- أنه على جهة المثل لأن منزلة جميع ما يريد احداثه من جسم أو عرض كثر ذلك أو قل، فإنما هو بمنزلة قول القائل: كن، فى أنه يكون بغير علاج، و لا معاناة، و لا تكلف سبب، و لا أداة، و لا شغل ببعض عن بعض، و لا انتهاء فيه إلى حد لا يمكن ضعفه، و لا زيادة عليه.

الثانى- ان معناه أن اللَّه تعالى جعل «كن» علامة للملائكة فيما يريد إحداثه التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۶۵

لما فيها من اللطف، و الاعتبار. و يمكن الدلالة على الأمور المقدورة للَّه تعالى.

و قول من قال ان قوله: «كن» سبب للحوادث التى يفعلها اللّه تعالى فاسد من وجوه:

أحدها- ان القادر بقدرة يقدر على أن يفعل من غير سبب، فالقادر للنفس بذلك أولي. و منها أن «كن» محدثة فلو احتاجت إلى «كن» أخرى لتسلسل، و ذلك فاسد. و لو استند ذلك إلى كن قديمة، لوجب قدم المكون، لأنه كان يجب أن يكون عقيبه، لأن الفاء توجب التعقيب و ذلك يؤدى إلى قدم المكونات.

و منها أنه لو ولدت لولدت من فعلنا كالاعتماد. و إنما استعمل القديم لفظة الأمر فيما ليس بأمر هاهنا ليدل بذلك على أن فعله بمنزلة فعل المأمور فى أنه لا كلفة على الآمر، فكذلك هذا لا كلفة على الفاعل، و ذلك على عادة العرب فى جعلهم وقوع الشيء عقيب الارادة بمنزلة الجواب عن السؤال قال الشاعر:

و قالت لنا العينان سمعاً و طاعة و حدرتا كالدر لما يثقب «۱»

فجعل انحدار الدمع قولا على الوجه الذى بيناه. و قوله: «كُنْ فَيَكُونُ» هاهنا لا يجوز فيه إلا الرفع، لأنه لا يصلح أن يكون جواباً للّام فى كن لأن الجواب يجب بوجود الاول نحو آتنى فأكرمك و قم فأقوم معك. و لا يجوز قم فيقوم، لأنه بتقدير قم فإنك إن تقم يقم. و هذا لا معنى له، و لكن يجوز الرفع على الاختيار انه سيقوم و يجوز فى قوله: «إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» «۲» النصب، لأنه معطوف على «أن نقول» كأنه قيل أن نقول فيكون.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۴۸] ..... ص : ۴۶۵

اشارة

وَ يُعَلِّمُهُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ (۴۸)

---

(۱) مر تخريجه فى ۱: ۴۳۱.

(۲) سورة النحل آية: ۴۰.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۶۶

القراءة، و الحجة: ..... ص : ۴۶۶

قرأ أهل المدينـة، و عاصم، و يعقوب (و يعلمه) بالياء الباقون بالنون. فمن قرأ بالياء حمله على (يخلق ما يشاء) و يعلمه. و من قرأ بالنون حمله على قوله:

(نوحيه إليک). و النون أفخم فى الاخبار، لأن الياء حكاية عن الملك.

المعنى، و الاعراب: ..... ص : ۴۶۶

و معنى قوله: «وَ يُعَلِّمُهُ الْكِتابَ» قال ابن جريج: الكتابة بيده. و قال أبو على:

كتـاب آخر غير التوراة، و الإنجيـل نحو الزبور أو غيره. فان قيل: لم أفرد التوراة و الإنجيل بالـذكر مع دخولهما فى الحكمـة؟ قيل: إنما أفردهما بالذكر تنبيهاً على فضـلهما مع جلالة موقعهما كما قال: «وَ مَلائِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيلَ وَ مِيكالَ» «۱» و موضع يعلمه من الاعراب يحتمـل أن يكون نصـباً بـالعطف على وجيهاً. و يحتمل أن يكون لا موضع له من الاعراب، لأنه عطف على جملـة لا موضع لها، و هى قوله: «كَذلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ ما يَشاءُ». و قال بعضهم: هو عطف على «نُوحِيهِ إِلَيْكَ» قال الرمانى:

هـذا لاـ يجوز، لأـنه يخرجه من معنى البشـارة به لمريم. و إنمـا هو محمول على مشاكلته لا على جهـة العطف عليه. و عـد أهل الكوفة التوراة و الإنجيل، و لم يعدوا رسولا إلى بنى إسرائيل لتنكب الاستئناف بأن المفتوحة. و الاستئناف بذكر المنصوب كثير فى الكلام. و أما أهل المدينة فإنما طلبوا تمام صفة المسيح، لأن تقديره و معلماً كذا و رسولا إلى كذا.

قوله تعالى:[سورة آلعمران (۳): آية ۴۹] ..... ص : ۴۶۶

اشارة

وَ رَسُولاً إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ وَ أُحْيِ الْمَوْتى بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (۴۹)

---

(۱) سورة البقرة آية: ۹۸.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۶۷

آية.

القراءة: ..... ص : ۴۶۷

قرأ أهل المدینة و یعقوب (طائراً بأذن اللَّه) الباقون. (طیراً) و هو الأجود، لأنه اسم جنس و طائر صفة. و قرأ نافع وحده (إنی أخلق) بکسر الهمزة. الباقون بفتحها.

الاعراب، و الحجة: ..... ص : ۴۶۷

یحتمل نصب قوله: «و رسولا» وجهین:

أحدهما- بتقدیر و یجعله رسولا فحذف لدلالة الاشارة علیه. و الثانی- أن یکون نصباً علی الحال عطفاً علی وجیهاً، لا أنه فی ذلک الوقت یکون رسولا- بمعنی أنه یرسل رسولا- و قال الزجاج وجهاً ثالثاً بمعنی یکلمهم رسولا فی المهد ب «أَنِّی قَدْ جِئْتُکُمْ بِآیَةٍ مِنْ رَبِّکُمْ» و لو قرئت (إنی) بالکسر «قد جئتکم» کان صواباً.

و المعنی یقول «أَنِّی قَدْ جِئْتُکُمْ بِآیَةٍ مِنْ رَبِّکُمْ» أی بعلامة تدل علی ثبوت رسالتی.

و موضع «إنی أخلق» یحتمل أن یکون خفضاً و رفعاً، فمن قرأ بالخفض فعلی البدل من آیة بمعنی جئتکم بأنی أخلق لکم من الطین. و الرفع أرید به الآیة إنی أخلق من الطین. و جائز أن یکون «أَنِّی أَخْلُقُ لَکُمْ» مخبرهم بهذه الآیة ما هی أی أقول لکم «أَنِّی أَخْلُقُ لَکُمْ مِنَ الطِّینِ کَهَیْئَةِ الطَّیْرِ».

المعنی: ..... ص : ۴۶۷

و المراد بالخلق التقدیر دون الأحداث، یقال فی التفسیر أنه صنع من الطین کهیئة الخفاش، و نفخ فیه فصار طائراً. و جاز أن یقول فیه للفظ الطین. و قال فی التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۴۶۸

موضع آخر. «فَتَنْفُخُ فِیها فَتَکُونُ طَیْراً بِإِذْنِی» «۱» للفظ الهیئة.

اللغة: ..... ص : ۴۶۸

و الطین معروف. و منه طنت الکتاب طیناً أی جعلت علیه طیناً، لأختمه.

و طینت البیت تطییناً. و الطیانة: حرفة الطیان و الطینة: قطعة من طین یختم بها الصک و نحوه. و الهیأة: الحال الظاهرة هاء فلان یهاء هیئة. و من قرأ (هیئت) معناه تهیأت لک فأما «هَیْتَ لَکَ» فهلم لک و الهییء: الحسن الهیئة من کل شیء.

و المهایاة: أمر یتهایا علیه القوم فیتراضون به. و قوله: «فَأَنْفُخُ فِیهِ» النفخ معروف تقول نفخ ینفخ نفخاً، و انتفخ انتفاخاً، و نفخه نفخاً. و النفاخة للماء، و النفخة نحو الورم فی البطن. و النفخة: نفخة الصور یوم القیامة. و المنفاخ کیر الحداد.

و أصل الباب نفخ الریح التی تخرج من الفم.

المعنی: ..... ص : ۴۶۸

و معنی «فَأَنْفُخُ فِیهِ» یعنی أنفخ فیه الروح و هو جسم رقیق کالریح، و هو غیر الحیاة، لأن الجسم إنما یحیا بما یفعله اللَّه تعالی فیه من الحیاة، لأن الأجسام کلها متماثلة یحیی اللَّه منها ما یشاء. و إنما قید قوله: «فَیَکُونُ طَیْراً بِإِذْنِ اللَّهِ» و لم یقید قوله: «أَخْلُقُ لَکُمْ مِنَ الطِّینِ کَهَیْئَةِ الطَّیْرِ» بذکر إذن اللَّه لینبه بذکر الاذن أنه من فعل اللَّه دون عیسی. و أما التصویر و النفخ، ففعله، لأنه مما یدخل تحت مقدور القدر، و لیس کذلک انقلاب الجماد حیواناً فانه لا یقدر علی ذلک أحد سواه تعالی. و قوله: «وَ أُحْیِ الْمَوْتی بِإِذْنِ اللَّهِ» علی وجه المجاز إضافة إلی نفسه و حقیقته ادعوا اللَّه باحیاء الموتی فیحییهم اللَّه فیحیون باذنه.

اللغة و المعنى: ...... ص : ۴۶۸

و قوله: «وَ أُبْرِئُ الْأَكْمَهَ» فالبرء و الشفاء و العافية نظائر فى اللغة.

---

(١) سورة المائدة آية: ١١٣.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ۴۶۹

و الأكمه الذى يولد أعمى فى قول قتادة، و أبى على و قال الحسن، و السدى: هو الأعمى. و الكمه عند العرب العمى كمه يكمه كمهاً قال سويد بن أبى كاهل:

كمهت عيناه حتى ابيضتا فهو يلحى نفسه لما نزع «١»

و الأبرص معروف. و قوله: «وَ أُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ» أى أخبركم و أعلمكم بالذى تأكلونه، فتكون (ما) بمعنى الذى و يحتمل أن تكون (ما) مع ما بعدها بمنزلة المصدر، و يكون تقديره أخبركم بأكلكم.

و الأول أجود لقوله: «وَ ما تَدَّخِرُونَ» و يحتمل أن يكون المراد أيضاً و ادخاركم.

و الادخار الافتعال من الذخر ذخرت أذخر ذخراً و أذخرت اذخاراً. و أصل الباب الذخر، و هو خبء الشىء لتأتيه. و إنما أبدلت الدال من الذال فى «تدخرون» لتعديل الحروف أو أبدلت الدال من الذال بوجهين الجهر و اختلاف المخرج، فبدل ذلك بالدال، لأنها موافقة للتاء بالمخرج و الدال بالجهر، فلذلك كان الاختيار، و كان يجوز تذخرون بالذال على الأصل و نظير ذلك فى التعديل بين الحروف و ازدجر، فمن اضطر، و اصطبر، لموافقة الطاء للضاد و الضاد بالاستعلاء و الاطباق، و لم يجز إدغام الزاى فى الدال، لأنها من حروف الصفير. و لكن يجوز مزجر. و لم يدغم الضاد فى الطاء لأن فيها استطالة. و المجهور من الحروف: كل حرف أشبع الاعتماد عليه فى موضعه و منع النفس أن يجرى معه. و المهموس: كل حرف أضعف الاعتماد عليه فى موضعه و جرى معه النفس. و قوله: «إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» و إن كانت آية للجميع، لأن معناه «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» باللَّه إذ كان لا يصح العلم بمدلول المعجزة إلا لمن آمن باللَّه، لأن العلم بالمرسل قبل العلم بالرسول. و إنما يقال هى آية للجميع بأن يقدموا قبل ذلك الاستدلال على التوحيد. و أيضاً بأن من استحق وصفه بأنه مؤمن علم أن ذلك من آيات اللَّه عز و جل.

---

(١) اللسان (كمه) و روايته (لما) بدل (حتى) و كذلك رواية المفضليات: ۴۰۵.

يلحى نفسه أى يلومها. لما نزع يعنى لما ترك.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ۴۷۰

قوله تعالى:[سورة آلعمران (٣): آية ۵٠] ..... ص : ۴۷۰

اشارة

وَ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْراةِ وَ لِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ (۵٠)

آية واحدة.

الاعراب: ..... ص : ۴۷۰

و مصدقاً نصب على الحال و تقديره قد جئتكم مصدقاً، لأن أول الكلام يدل عليه و نظيره جئته بما يجب و معرفاً له، و ليس عطفاً على وجيهاً و لا رسولا لقوله «لِما بَيْنَ يَدَيَّ» و لم يقل لما بين يديه.

المعنى: ..... ص : ۴۷۰

و قوله: «وَ لِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ» فإنما أحل لهم لحوم الإبل و الثروب و أشياء من الطير و الحيتان، مما كان محرماً فى شرع موسى (ع) و لم يحل لهم جميع ما كان محرماً عليهم من الظلم، و الغصب، و الكذب، و العبث و غير ذلك، فلذلك قال «بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ» و بمثل هذا قال قتادة و الربيع، و ابن جريج و وهب ابن منبه، و أكثر المفسرين. و قال أبو عبيدة أراد كل الذى حرم عليكم و استشهد على ذلك بقول لبيد:

تراك أمكنة إذا لم أرضها أو يعتلق بعض النفوس حمامها «۱»

قال معناه أو يعتلق نفسى حمامها. و أنكر الزجاج تأويله. و قال: هو خطاء من وجهين:

أحدهما- أن البعض لا يكون بمعنى الكل. و الآخر- أنه لا يجوز تحليل

---

(۱) اللسان (بعض) ذكر العجز فقط.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۷۱

المحرمات أجمع، لأنه يدخل فى ذلك الكذب، و الظلم، و الكفر قال: و معنى البيت أو يعتلق نفسى حمامها، كما يقول القائل: بعضنا يعرفك يريد أنا أعرفك، و هذا أيضاً إنما هو تبعيض صحيح. و وجه الآية ما ذكره أبو على، و جماعة من المفسرين أن قوماً من اليهود حرموا على نفوسهم أشياء ما حرمها اللّه عليهم، فجاء بتحليل ذلك. قال الرمانى: تأويل الآية على ما قالوه، لكنه لا يمتنع أن يوضع البعض فى موضع الكل إذا كانت هناك قرينة تدل عليه، كما يجوز وضع الكل فى موضع البعض بقرينة.

قوله: «وَ لِأُحِلَّ لَكُمْ» معطوف على معنى الكلام الأول، لأن معناه جئتكم لأصدق ما بين يدى من التوراة، و لأحل لكم، كما يقول القائل: جئته معتذراً و لأجتلب عطفه. و الإحلال هو الإطلاق فى الفعل بتحسينه، و التحريم هو حظر الفعل بتقبيحه. و الفرق بين التصديق، و التقليد أن التصديق لا يكون إلا فيما يبرهن عند صاحبه. و التقليد يكون فيما لم يتبرهن، و لهذا لم نكن مقلدين للنبى (ص) و إن كنا مصدقين له.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۵۱] ..... ص : ۴۷۲

إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ (۵۱)

آية.

قوله: «إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ» استئناف كلام، لأنه رأس آية، و عليه جميع العلماء. و كان يجوز أن تفتح الهمزة على قوله: «و جئتكم» ب «إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ». و الفرق بين قوله «إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ» و قوله «ربنا» أن الأول آكد فى إقراره بالربوبية، لأنه ذكر على التفصيل، فهو أبعد من الغلط فى التأويل، لأن لقائل أن يقول الذكر قد يجوز فى الجملة على التغليب كما يغلب التذكير على التأنيث فى الجملة دون التفصيل.

و الربوبية هى تنشئة الشيء حالا بعد حال حتى يبلغ حد الكمال فى التربية، التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۷۲

فلما كان اللّه تعالى مالكاً لانشاء العالم كان رباً، و لا تطلق هذه الصفة إلا عليه تعالى، لأن إطلاقها يقتضى الملك بجميع الخلق، فأما

إجراؤها على غيره، فعلى وجه التقييد، كقولك رب الدار، و رب الضيعة. و قالوا فى وصف قوم من العلماء: هم أرباب البيان يراد به شدة اقتدارهم عليه. و قوله: «هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ» فالاستقامة استمرار الشىء فى جهة واحدة، و نظيرها الاستواء: خلاف الاعوجاج، فلذلك قيل للطريق المؤدى إلى المراد الموصل إلى الحق: طريق الاستقامة، لأنه يفضى بصاحبه إلى غرضه، و قد استوفينا معناه فى سورة الحمد. و قد يوصف الدليل بأنه طريق مستقيم، لأنه يؤدى إلى الحق اليقين. و فى الآية حجة على النصارى بما قاله المسيح مما يقرون به أنه فى الإنجيل من نحو هذا الكلام، لأن فيه أذهب إلى إلهى، و إلهكم، كقوله هاهنا: «إِنَّ اللَّهَ رَبِّى وَ رَبُّكُمْ».

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۵۲] ..... ص : ۴۷۲

اشارة

فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قالَ مَنْ أَنْصارِى إِلَى اللَّهِ قالَ الْحَوارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ اشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (۵۲)

آية.

اللغة: .... ص : ۴۷۲

الاحساس هو الوجود بالحاسة، أحس يحس إحساساً. و الحس القتل، لأنه يحس بألمه، و منه قوله: «إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ» «۱» و الحس: العطف، لاحساس الرقة على صاحبه. و الأصل فيه إدراك الشىء من جهة الملابسة. و معنى الآية: فلما علم عيسى منهم الكفر، قال: «مَنْ أَنْصارِى إِلَى اللَّهِ». و الأنصار جمع نصير مثل شريف و أشراف، و شهيد و أشهاد. و إنما لم يحمل على ناصر لأنه يجب أن يحمل على نظيره من فعيل و أفعال.

---

(۱) سورة آل عمران آية: ۱۵۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۷۳

المعنى: ..... ص : ۴۷۳

و قوله: «مَنْ أَنْصارِى إِلَى اللَّهِ» قيل فيه ثلاثة أقوال:

أحدها- من أعوانى على هؤلاء الكفار إلى معونة اللَّه أى مع معونة اللَّه فى قول السدى، و ابن جريج. و إنما جاز أن تكون (إلى) بمعنى (مع) لما دخل الكلام من معنى الاضافة و معنى المصاحبة، و نظيره «الذود إلى الذود إبل» أى مع الذود. و مثله «وَ لا تَأْكُلُوا أَمْوالَهُمْ إِلى أَمْوالِكُمْ» «۱» أى مع أموالكم، و قولك: قدم زيد و معه مال، فلا يجوز فيه إلى و كذلك قدم إلى أهله، لا يجوز فيه مع، لاختلاف المعنى.

الثانى- قال الحسن من أنصارى فى السبيل إلى اللَّه، لأنه دعاهم إلى سبيل اللَّه.

الثالث- قال الجبائى: من أنصارى للَّه، كما قال: «هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ» «۲» و وجه ذلك أن العرض يصلح فيه اللام على طريق العلة و إلى طريق النهاية. فان قيل عيسى إنما بعث بالوعظ دون الحرب لم استنصر عليهم؟ قلنا: للحماية من الكافرين الذين أرادوا قتله عند اظهار الدعوة- فى قول الحسن و مجاهد- و قال آخرون: يجوز أن يكون طلب النصرة للتمكين من إقامة الحجة و إنما قاله ليتميز الموافق من المخالف. و قوله: «قالَ الْحَوارِيُّونَ» اختلفوا فى تسميتهم حواريين على ثلاثة

أقوال قال سعید بن جبیر: سموا بذلک لنقاء ثیابهم. الثانی- قال ابن جریج عن أبی أرطاء أنهم کانوا قصارین یبیضون الثیاب. الثالث- قال قتادة، و الضحاک: لأنهم خاصة الأنبیاء یذهب إلی نقاء قلوبهم کنقاء الأبیض بالتحویر.

و قد روی عن النبی (ص) أنه قال: الزبیر ابن عمتی و حواری من أمتی.

---

(۱) سورة النساء آیة: ۲.

(۲) سورة یونس آیة: ۳۵.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۴۷۴

اللغة: ..... ص : ۴۷۴

و أصل الحواری الحور، و هو شدة البیاض. و منه الحواری من الطعام لشدة بیاضه. و منه الأحور، و الحوراء لنقاء بیاض العین، و منه الحواریات نساء الأنصار لبیاضهن. قال أبو جلدة الیشکری «۱»:

فقل للحواریات یبکین غیرنا و لا تبکنا إلا الکلاب النوابح «۲»

و قال بعض بنی کلاب:

و لکنه ألقی زمام قلوصه لیحیا کریماً أو یموت حواریا

أی ناصراً لرفاقه غیر خاذل لهم. و المحور: الحدیدة التی تدور علیها البکرة، لأنها تنصقل حتی تبیض و حار یحور: إذا رجع، لانقلابه فی الطریق الذی جاء فیه کانقلاب المحور بالتحویر.

المعنی: ..... ص : ۴۷۴

و فی الآیة حجة علی من زعم أن المسیح و الذین آمنوا به، کانوا نصاری فبین اللَّه تعالی أنهم کانوا مسلمین کما بین ذلک فی قصة ابراهیم (ع) حیث قال «ما کانَ إِبْراهِیمُ یَهُودِیًّا وَ لا نَصْرانِیًّا وَ لکِنْ کانَ حَنِیفاً مُسْلِماً».

قوله تعالی: [سورة آل‌عمران (۳): آیة ۵۳] ..... ص : ۴۷۴

رَبَّنا آمَنَّا بِما أَنْزَلْتَ وَ اتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاکْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِینَ (۵۳)

آیة واحدة بلا خلاف.

---

(۱) هو أبو جلدة بن عبید بن منفذ الیشکری من شعراء الدولة الامویة، و کان من أخص الناس بالحجاج ثم فارقه و خرج مع ابن الأشعث، و صار من أشد الناس تحریضاً علی الحجاج.

(۲) اللسان (حور)، و الاغانی ۱۱: ۳۱۱ و حماسة بن الشجری: ۶۵ و هو من أبیات قالها فی التحریض علی قتال أهل الشام.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۴۷۵

هذا حکایة لقول الحواریین حیث قالوا «آمَنَّا بِاللَّهِ وَ اشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ». قالوا «ربنا» و معناه یا ربنا و نصبه، لأنه نداء مضاف. «آمنا» أی صدقنا. و إنما لم یقل رب العباد آمنا للاختصاص بما أنعم به علیهم من الایمان الذی أجابوا إلیه دون غیرهم ممن عدل عنه. و إنما قال «رَبَّنا آمَنَّا» علی لفظ الخطاب و لم یعدل إلی لفظ الغائب، فکان أبلغ فی التعظیم، کما تقول السمع و الطاعة للملک، فیکون أفخم

من أن يقال: لك أيها الملك، لأن المشاهدة أغنت عن التصريح بالخطاب و صار كالاستدلال له مع الغنى عنه و ليس كذلك استعماله مع الحاجة إليه، لأنه لا يدل على ابتداء له. فان قيل لم حذف (يا) من يا ربنا آمنا، و لم يحذف من «يا عبادی لا خوف عليكم» «۱»؟ قلنا حذف للاستغناء عن تنبيه المدعو، و ليس كذلك الثانی لأنه بشارة للعباد ينبغی أن يمد بها لأن سماعها مما يسر. و قوله: (وَ اتَّبَعْنَا الرَّسُولَ) فالاتباع سلوك طريقة الداعی على الاجابة إلى ما دعا إليه، و ليس كل إجابة اتباعاً، لأن اجابة الدعاء يجوز على اللَّه تعالى و لا يجوز عليه الاتباع. و قوله:

«فَاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ» قيل معناه قولان:

أحدهما- اثبت أسماءنا مع اسمائهم لنفوز بمثل ما فازوا، و ننال من الكرامة مثل ما نالوا، و نستمتع بالدخول فی جملتهم و الانضمام إليهم. الثانی- يصل ما بيننا و بينهم بالخلة على التقوى، و المودة على سلوك طريق الهدى، و تجنب طريق الردى، و على هذا يكونون فيه بمنزلة من كتب عليهم. و حقيقة الشاهد المخبر بالشیء عن مشاهدة، و قد يتصرف فيه، فيقال: البرهان شاهد بحق أی هو بمنزلة المخبر به عن مشاهدة. و يقال هذا شاهد أی معد للشهادة و المراد فی الآية الشاهدين بالحق المنكرين للباطل.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۵۴] ..... ص : ۴۷۵

اشارة

وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ (۵۴)

آية.

---

(۱) سورة الزخرف آية ۶۸.

التبيان فی تفسير القرآن، ج‌۲، ص: ۴۷۶

المعنى: ..... ص : ۴۷۶

قيل فی معنى الآية قولان:

أحدهما- قال السدی مكروا بالمسيح بالحيلة عليه، لقتله و مكر الله بردهم بالخيبة، لالقائه شبه المسيح على غيره. الثانی- «مَكَرُوا» بإضمار الكفر «وَ مَكَرَ اللَّهُ» بمجازاتهم عليه بالعقوبة. و المكر، و إن كان قبيحاً فإنما أضافه تعالى إلى نفسه لمزاوجة الكلام، كما قال: «فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ» «۱» و ليس باعتداء و إنما هو جزاء، و هذا أحد وجوه البلاغة، لأنه على أربعة أقسام:

أحدها- المزاوجة نحو «وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ». و الثانی- المجانسة نحو قوله:

«يَخافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصارُ» «۲». الثالث- المطابقة نحو قوله:

«ما ذا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قالُوا خَيْراً» «۳» بالنصب على مطابقة الجواب للسؤال.

و الرابع- المقابلة نحو قوله: «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ باسِرَةٌ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ» «۴» قال الشاعر:

و اعلم و أيقن ان ملكك زائل و اعلم بأن كما تدين تدان «۵»

أی كما تجزی تجزی. و الأول ليس بجزاء و أصل المكر الالتفاف، فمنه المكر ضروب من الشجر مثل الدعل و نحوه، لالتفافه. و الممكورة من النساء الملتفة و المكر طين أحمر شبيه بالمغرة. و ثوب ممكور إذا صبغ بذلك الطين. و المكر الاحتيال

(۱) سورة البقرة آية ۱۹۴.

(۲) سورة النور آية: ۳۷. [.....]

(۳) سورة النحل آية: ۳۰.

(۴) سورة القيامة آية ۲۲- ۲۵.

(۵) اللسان (زنا)، (دان) و جمهرة الأمثال للعسكرى: ۱۶۹ و غيرها و قد نسبه فى اللسان الى خويلد بن نوفل الكلابى. و قيل: هو لبعض الكلابيين. و قيل: ليزيد بن الصعق الكلابى. و قد مر البيت فى ۱: ۳۶ و روايته هناك (بأنك ما تدين تدان).

و روايته اللسان:

يا حار أيقن أن ملكك زائل و اعلم بأن كما تدين تدان

و حار: ترخيم حارث. و المخاطب هنا الحارث بن أبى شمر الغسانى و كان قد اغتصب ابنة الشاعر فخاطبه فى قصيدة منها هذا البيت.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۷۷

على العبد، لالتفاف المكروه عليه. و حد المكر: خبء يختدع به العبد لإيقاعه فى الضر. و الفرق بين المكر و الحيلة أن الحيلة قد تكون، لإظهار ما تعسر من الفعل من غير قصد إلى الإضرار بالعبد. و المكر حيلة على العبد توقعه فى مثل الرهق.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۵۵] ..... ص : ۴۷۷

اشارة

إِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَ رافِعُكَ إِلَيَّ وَ مُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ جاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (۵۵)

آية.

الاعراب: ..... ص : ۴۷۷

العامل فى (إذ) يحتمل أحد أمرين.

أحدهما- قوله: «وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ» «إذ قال». و الآخر ذاك «إِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسى و عيسى فى موضع الضم، لأنه مناداً مفرد، و لكن لا يبين فيه لأنه منقوص، و عيسى لا ينصرف لاجتماع العجمة و التعريف على قول الزجاج، لأنه حمل الألف على حكم الملحق بمخرج و لم يحملها على التأنيث، فأما الألف فى زكريا، فلا يكون إلا للتأنيث، لأنه لا مثال له فى الأصول. و إذا عرب جرى على قياس كلامهم فى أن الالف الزائدة لا تخلو أن تكون للتأنيث أو للإلحاق، فإذا بطل أحدهما صح أنها للآخر. و إنما وجب ذلك، لأنه يجرى مجرى الاعراب بالعوامل، فأما الاشتقاق، فلا يجب، لأنه تصريف من أصل المشتق، و ليس العربى بأصل للعجمى، و ذلك نحو العيس و هو بياض الإبل و العوس و هو السياسة لو كان عربياً، لصلح أخذه من أحد الأصلين. و إذا أخذ من أحدهما التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۷۸

امتنع من الآخر، فلذلك إذا أخذ من العجمى امتنع من العربى.

و قوله: «إِنِّي مُتَوَفِّيكَ» قيل فى معناه ثلاثة أقوال:

أحدها- قابضك برفعك من الأرض إلى السماء من غير وفاة موت فى قول الحسن و ابن جريج و ابن زيد. الثانى- متوفيك وفاة نوم

فی قول ابن عباس و وهب ابن منبهٔ. و الثالث- ان فيه تقديماً و تأخيراً، و معناه إنی رافعک، و متوفيک فيما بعد ذكره الفراء. و قوله: «و رافعک» قيل فی معناه قولان:

أحدهما- رافعک فی السماء فجعل ذلک رفعاً إليه للتفخيم و اجراءه على طريق التعظيم. و الآخر- مصيرک إلى كرامتی كما يقال رفع إلى السلطان، و رفع الكتاب إلى الديوان. و قال ابراهيم «إِنِّی ذاهِبٌ إِلی رَبِّی». و إنما ذهب من العراق إلى الشام. و إنما أراد إلى حيث أمرنی ربی بالمضی إليه. و قوله: (و مطهرک) قيل فيه قولان:

أحدهما- مطهرک بإخراجک من بين الارجاس، لأن كونه فی جملتهم بمنزلهٔ التنجيس له بهم، و إن كان عليه السلام طاهراً فی كل حال، و إنما ذلک على إزالته عن مجاورهٔ الانجاس. و الثانی- قال أبو علی: تطهيره: منعه من كفر يفعلونه بالقتل الذی كانوا هموا به لأن ذلک نجس طهره اللّه منه. و قوله: وَ جاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوکَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلی يَوْمِ الْقِيامَةِ يحتمل أن يكون جعلهم فوقهم بالحجهٔ و البرهان، و يحتمل أن يكون ذلک بالعز و الغلبهٔ، و قال الحسن، و قتادهٔ، و الربيع: المعنی بهذه الآيهٔ أهل الايمان. و ما جاء به دون الذين كذبوه أو كذبوا عليه. و قال ابن زيد: المعنی به النصاری، و هم فرق اليهود من حيث كانوا اليهود أذل منهم إلى يوم القيامهٔ، و لهذا زال الملک عنهم و إن كان ثابتاً فی النصاری فی بلاد الروم و غيرها، فهم أعز منهم و فوقهم. و قال الجبائی فيه دلالهٔ على أنه لا يكون لليهود مملكهٔ إلى يوم القيامهٔ كما للروم. و الوجه الأول أقوی، لأنه أظهر إذا كان على جهة التبيان فی تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۷۹

الترغيب فی الحق، و قوله: «ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ» وجه اتصاله بالكلام كأنه قال أما الدنيا فأنتم فيها على هذه الحال، و أما الآخرهٔ.

فيقع فيها التوفيهٔ للحقوق على التمام و الكمال. و إنما عدل عن الغيبهٔ إلى الخطاب فی قوله: «ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ» لتغلب الحاضر على الغائب لما دخل معه فی المعنی كما يقول بعض الملوک: قد بلغنی عن أهل بلد كذا جميل، فأحسن إليكم معشر الرعيهٔ.

و قوله تعالى:[سورهٔ آل‌عمران (۳): آيهٔ ۵۶] ..... ص : ۴۷۹

فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذاباً شَدِيداً فِی الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ (۵۶)

آيهٔ واحدهٔ بلا خلاف.

معنی قوله «فأما» تفصيل المجمل على قولک فيجازی العباد أما المؤمن فبالثواب و أما الكافر فبالعقاب. و قوله: «فأعذبهم» فالعذاب: استمرار الآلام لأن أصله استمرار الشیء، فمنه العذوبهٔ لاستمرار العذب فی الحلق، و منه العذبهٔ لاستمرارها بالحركهٔ. و قوله «شديداً» فالشدهٔ صعوبهٔ بالانتقام. و القوهٔ: عظم القدرهٔ، فالشدهٔ نقيض الرخاوهٔ. و القوهٔ نقيض الضعف، فشدهٔ العذاب قد تكون بالتضعيف، و قد تكون بالتحبيس. و قوله: «فِی الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ» فعذابهم فی الدنيا إذلالهم بالقتل، و الأسر، و السبی، و الخسف، و الجزيهٔ، و كلما فعل على وجه الذلهٔ و الاهانهٔ. و فی الآخرهٔ عذاب الأبد. و الفرق بين الآخرهٔ و الانتهاء أن الآخرهٔ قد تكون بعد العمل، فأما الانتهاء فجزء منه لا يكون بعد كماله هذا إذا اطلق فان أضيف فقيل آخر العمل فمعناه انتهاء العمل. و قوله: «وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ» فالنصرهٔ هی المعونهٔ على العدو خاصهٔ. و المعونهٔ هی زيادهٔ فی القوهٔ و قد تكون على العدو، و غير العدو.

التبيان فی تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۸۰

قوله تعالى:[سورهٔ آل‌عمران (۳): آيهٔ ۵۷] ..... ص : ۴۸۰

وَ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (۵۷)

آيهٔ واحدهٔ بلا خلاف.

قرأ (فیوفیهم) بالیاء حفص و رویس. الباقون بالنون.

فان قیل: لم کرر الوعد هاهنا و قد ذکر فی غیر هذا الموضع من القرآن؟

قلنا: لیس ذلک بتکریر فی المعنی، لأن معنی ذلک آمنوا بک یا عیسی و عملوا الصالحات فیما دعوتهم إلیه من الهدی، لأنه تفصیل ما أجمل فی قوله: «ثُمَّ إِلَیَّ مَرْجِعُکُمْ فَأَحْکُمُ بَیْنَکُمْ فِیما کُنْتُمْ فِیهِ تَخْتَلِفُونَ» و قوله: (وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ) لیس بتقیید للوعد بکل واحدة من الخصلتین علی اختلاف فائدة الصفتین، و فی الآیة دلالة علی بطلان مذهب المجبرة فی أن اللَّه تعالی یرید الظلم، لأنه قال:

«لا یُحِبُّ الظَّالِمِینَ» و إذا لم یحب الظالم لم یحب فعل الظلم، لأنه إنما لم یجز محبة الظالم لظلمه.

و المحبة هی الارادة، و فی الآیة دلالة علی أنه لا یجازی المحسن بما یستحقه المسیء و لا المسیء بما یستحقه المحسن، لأن ذلک ظلم. و معنی التوفیة فی الآیة مساواة مقدار الاستحقاق لأن المقدار لا یخلو أن یکون مساویاً أو زائداً أو ناقصاً، و الزیادة علی مقدار الاستحقاق لا- یجوز أن یعطی ثواب العمل من لیس بعامل لکن تجوز الزیادة علی وجه التفضل، فأما التوفیة، فواجبة فی الحکمة و النقصان لا یجوز، لأنه ظلم. و فی الآیة دلالة علی بطلان القول بالتحابط، لأنه تعالی وعد بتوفیة الأجور و لم یشرط الإحباط، فوجب حمل الکلام علی ظاهره.

قوله تعالی:[سورة آلعمران (۳): آیة ۵۸] ..... ص : ۴۸۱

اشارة

ذلِکَ نَتْلُوهُ عَلَیْکَ مِنَ الْآیاتِ وَ الذِّکْرِ الْحَکِیمِ (۵۸)

آیة واحدة. التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۴۸۱

المعنی: ..... ص : ۴۸۱

«ذلک» اشارة إلی الاخبار عن عیسی، و زکریا، و یحیی، عن الحواریین، و الیهود من بنی إسرائیل، و هو فی موضع نصب بما تقدم. و «نَتْلُوهُ عَلَیْکَ» لما فیه من الآیة لمن تذکر فی ذلک و اعتبر به. و الذکر و إن کان حکمة فإنما وصفه بأنه حکیم من حیث لما کان ما فیه من الدلالة بمنزلة الناطق بالحکمة حسن وصفه بأنه حکیم من هذه الجهة، کما وصفت الدلالة بأنها دلیل لما فیها من البیان، و ذلک لأنه الناطق بالبیان.

الاعراب: ..... ص : ۴۸۱

و موضع «نتلوه» من الاعراب یحتمل أمرین:

أحدهما- أن یکون رفعاً بأنه خبر ذلک، و الثانی- ألّا یکون له موضع، لأنه صلة ذلک و تقدیره: الذی نتلوه علیک من الآیات، و یکون موضع «من الآیات» رفعاً بأنه خبر ذلک. ذکره الزجاج و أنشدوا فی مثله:

عدس ما للعباد علیک إمارة أمنت و هذا تحملین طلیق «۱»

بمعنی و الذی تحملین طلیق.

المعنی: ..... ص : ۴۸۱

و قیل فی معنی قوله:«نَتْلُوهُ عَلَیْکَ» قولان:

أحدهما- نکلمک به، و یکون وضع «نتلوه» موضع نکلم کما یقول القائل:

انشأ زید الکتاب و تلاوهٔ عمرو، فالتلاوهٔ تکون اظهار الکلام علی جههٔ الحکایهٔ الثانی- «نَتْلُوهُ عَلَیْکَ» بأمرنا جبریل أن یتلوه علیک علی قول الجبائی، و الذکر حصول ما به یظهر المعنی للنفس و یکون کلاماً و غیر کلام من بیان أو خاطر علی

(۱) البیت مشهور فی کتب النحو.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۴۸۲

البال، و لیس إذا ظهر الشیء للنفس دل علی صحته، لأن الضدین قد یظهران و لا یجوز صحتهما معاً.

قوله تعالی:[سورهٔ آلعمران (۳): آیهٔ ۵۹] ..... ص : ۴۸۲

إِنَّ مَثَلَ عِیسی عِنْدَ اللَّهِ کَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ (۵۹)

آیهٔ.

قال ابن عباس، و الحسن و قتادهٔ: هذه الآیهٔ نزلت فی وفد نجران: السید و العاقب، قالا للنبی (ص) هل رأیت ولداً من غیر ذکر، فأنزل اللَّه تعالی الآیهٔ.

و المثل ذکر سائر یدل علی أن سبیل الثانی سبیل الأول، فذکر اللَّه آدم بأن انشأه من غیر والد یدل علی أن سبیل الثانی سبیل الأول فی باب الإمکان، و القدرهٔ. و فی ذلک دلالهٔ علی [بطلان قول من حرم النظر، لأن اللَّه تعالی احتج به علی المشرکین و لا یجوز أن یدلهم إلا بما فیه دلیل فقیاس خلق عیسی من غیر ذکر کقیاس خلق آدم بل هو فیه أوجب، لأنه فی آدم من غیر أنثی، و لا ذکر. و معنی «خلقه» أنشأه، و لا موضع له من الاعراب، لأنه لا یصلح أن یکون صفهٔ لآدم من حیث هو نکرهٔ، و لا یکون حالا له، لأنه ماض فهو متصل فی المعنی غیر متصل فی اللفظ من علامات الاتصال من اعراب أو مرتبهٔ کالصلهٔ. و قوله: «کُنْ فَیَکُونُ» قد بینا معناه فیما مضی و أنه اخبار عن سرعهٔ الفعل و تیسره من غیر مشقهٔ و لا إبطاء.

و قیل إنه یفعله عند قوله: «کن» و یکون ذلک علامهٔ للملائکهٔ علی ما یرید اللَّه إنشاءه. و قوله: «فیکون» رفع لا یجوز فیه النصب علی جواب الأمر فی کن، لأن جواب الشرط غیره فی نفسه أو معناه نحو آتنی فأکرمک و آتنی فتحسن إلی، فهذا یجوز، لأن تقدیره فإنک إن تأتنی تحسن إلی، و لا یجوز تقدیر (أن)، فیکون بالنصب، لأن تقدیره کن فإنک أن تکن. فهذا لا یصح، لأن الجواب هو الشرط علی معناه، و لکن یجوز الرفع علی فهو یکون.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۴۸۳

قوله تعالی:[سورهٔ آلعمران (۳): آیهٔ ۶۰] ..... ص : ۴۸۳

اشارهٔ

الْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ فَلا تَکُنْ مِنَ الْمُمْتَرِینَ (۶۰)

آیهٔ.

الاعراب: ..... ص : ۴۸۳

الحق رفع بأنه خبر ابتداء محذوف و تقدیره ذلک الاخبار فی أمر عیسی الحق من ربک، فحذف، لتقدم ذکره و أغنی بشاهد الحال عن الاشارة إلیه کما تقول الهلال أی هذا الهلال.

المعنی و اللغة: ..... ص : ۴۸۳

و قوله: «فَلا تَکُنْ مِنَ الْمُمْتَرِینَ» یحتمل أمرین:

أحدهما- أن یکون خطاباً للنبی (ص) و المراد به غیره، کما قال. «یا أَیُّهَا النَّبِیُّ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ» «۱»- و الآخر- «فَلا تَکُنْ مِنَ الْمُمْتَرِینَ» أیها السامع للبرهان من المکلفین کائناً من کان.

و الامتراء الشک، و مثله المریة و أصله الاستخراج مری الضرع یمریه مریاً:

إذا استخرج اللبن منه یمسحه لیدر، و کذلک الریح تمری السحاب مریاً. فالامتراء شک کحال المستخرج لما لا یعرف. و إنما قال: «الْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ» و لم یقتصر علی قوله: «ذلک الحق» «فَلا تَکُنْ مِنَ الْمُمْتَرِینَ» لأن فی هذه الآیة دلالة علی أنه الحق، لأنه من ربک، و لو قال ذلک الحق «فَلا تَکُنْ مِنَ الْمُمْتَرِینَ» لأن فی هذه الآیة دلالة علی أنه الحق، لأنه من ربک. و لو قال: ذلک الحق فلا تکن «۲» لم یفد هذه الفائدة. و الفرق بین قوله: «فَلا تَکُنْ مِنَ الْمُمْتَرِینَ» و بین قوله: فلا تکن ممتریاً أن ذلک أبلغ فی النهی، لأنه اشارة إلی قوم قد عرفت حالهم فی النقص و العیب.

---

(۱) سورة الطلاق آیة: ۱.

(۲) هکذا فی المطبوعة و فیه تکرار کما تری.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۴۸۴

قوله تعالی:[سورة آل‌عمران (۳): آیة ۶۱] ..... ص : ۴۸۴

اشارة

فَمَنْ حَاجَّکَ فِیهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَکَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَکُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَکُمْ وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَکُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَی الْکاذِبِینَ (۶۱)

آیة بلا خلاف.

المعنی: ..... ص : ۴۸۴

الهاء فی قوله: «فیه» یحتمل أن تکون عائدة إلی أحد أمرین:

أحدهما- إلی عیسی فی قوله: «إِنَّ مَثَلَ عِیسی عِنْدَ اللَّهِ» فی قول قتادة.

الثانی- أن تکون عائدة علی الحق فی قوله «الْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ». و الذین دعاهم النبی (ص) فی المباهلة نصاری نجران، و لما نزلت الآیة أخذ النبی (ص) بید علی و فاطمة و الحسن و الحسین علیهم السلام، ثم دعا النصاری إلی المباهلة، فاحجموا عنها، و أقروا بالذلة و الجزیة. و یقال: إن بعضهم قال لبعض إن باهلتموه اضطرم الوادی ناراً علیکم و لم یبق نصرانی و لا نصرانیة إلی یوم القیامة.

و روی أن النبی (ص) قال لأصحابه: مثل ذلک. و لا خلاف بین أهل العلم أنهم لم یجیبوا إلی المباهلة.

اللغة، و المعنى: ..... ص : ۴۸۴

«و تعالوا» أصله من العلو، يقال منه تعاليت أتعالى تعالياً: إذا جئت و أصله المجيء إلى الارتفاع إلا أنه كثر فى الاستعمال حتى صار لكل مجيء و صار تعالى بمنزلة هلم. و قيل فى معنى الابتهال قولان:

أحدهما- الالتعان بهله اللَّه أى لعنه و عليه بهلة اللّه. الثانى «نبتهل» نـدعوا بهلاك الكاذب. و قال لبيد: التبيان فى تفسير القرآن، ج ۲، ص: ۴۸۵

نظر الدهر إليهم فابتهل «۱»

أى دعا عليهم بالهلاك كاللعن، و هو المباعدة من رحمة اللَّه عقاباً على معصيته فلذلك لا يجوز أن يلعن من ليس بعاص من طفل أو بهيمة أو نحو ذلك، و قال أبو بكر الرازى: الآية تدل على أن الحسن و الحسين ابناه، و أن ولد البنت ابن على الحقيقة. و قال ابن أبى علان: فيها دلالة على أن الحسن و الحسين كانا مكلفين فى تلك الحال، لأن المباهلة لا تجوز إلا مع البالغين.

و استدل أصحابنا بهذه الآية على أن أمير المؤمنين (ع) كان أفضل الصحابة من وجهين:

أحدهما- أن موضوع المباهلة ليتميز المحق من المبطل و ذلك لا يصح أن يفعل إلا بمن هو مأمون الباطن مقطوعاً على صحة عقيدته أفضل الناس عند اللَّه.

و الثانى- أنه (ص) جعله مثل نفسه بقوله: «وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَكُمْ» لأنه أراد بقوله «أبناءنا» الحسن و الحسين (ع) بلا خلاف. و بقوله: «وَ نِساءَنا وَ نِساءَكُمْ» فاطمة (ع) و بقوله: «و أنفسنا» أراد به نفسه، و نفس على (ع) لأنه لم يحضر غيرهما بلا خلاف، و إذا جعله مثل نفسه، وجب ألا يدانيه أحد فى الفضل، و لا يقاربه. و متى قيل لهم أنه أدخل فى المباهلة الحسن و الحسين (ع) مع كونهما غير بالغين و غير مستحقين للثواب، و إن كانا مستحقين للثواب لم يكونا أفضل الصحابة. قال لهم أصحابنا: إن الحسن و الحسين (ع). كانا بالغين مكلفين، لأن البلوغ و كمال العقل لا يفتقر إلى شرط مخصوص، و لذلك تكلم عيسى فى المهد بما دل على كونه مكلفاً عاقلا، و قد حكيت ذلك عن امام من أئمة المعتزلة مثل ذلك و قالوا أيضاً أعنى أصحابنا: إنهما كانا أفضل الصحابة بعد أبيهما وجدهما، لأن كثرة الثواب ليس بموقوف على كثرة الافعال، فصغر سنهما لا يمنع من أن يكون

---

(۱) ديوانه قصيدة ۳۹ البيت ۸۱، و أمالى الشريف المرتضى ۱: ۴۵ و أساس البلاغة (بهل) و صدره:

فى قروم سادة من قومه

التبيان فى تفسير القرآن، ج ۲، ص: ۴۸۶

معرفتهما و طاعتهما للّه، و إقرارهما بالنبى (ص) وقع على وجه يستحق به من الثواب ما يزيد على ثواب كل من عاصرهما سوى جدهما و أبيهما. و قد فرغنا الكلام فى ذلك و استقصيناه فى كتاب الامامة.

قوله تعالى:[سورة آلعمران (۳): آية ۶۲] ..... ص : ۴۸۶

اشارة

إِنَّ هذا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَ ما مِنْ إِلهٍ إِلاَّ اللَّهُ وَ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (۶۲)

آية.

المعنى، و اللغة: ..... ص : ۴۸۶

إن قيل: لم قال: «إِنَّ هذا لَهُوَ الْقَصَصُ» مع قيام الحجة، و شهادة المعجزة له؟ قلنا: معناه البيان عن أن مخالفتهم له بعد وضوح أمره يجرى مجرى العناد فيه، و كذلك قوله: «وَ ما مِنْ إِلهٍ إِلَّا اللَّهُ». و القصص: الخبر الذى تتابع فيه المعانى و أصله اتباع الأثر، و فلان يقص أثر فلان أى يتبعه. و قوله: (و ما من إله إلا اللَّه) دخول (من) فيه تدل على عموم النفى لكل إله غير اللَّه. و لو قال:
ما إله إلا اللَّه لم يفد ذلك و إنما أفادت (من) هذا المعنى، لأن أصلها لابتداء الغاية فدلت على استغراق النفى من ابتداء الغاية إلى انتهائها. و لا يجوز جر اسم اللَّه على البدل من إله، لأن ذلك لا يحسن فى الكلام، لأن (من) لا تدخل فى الإيجاب و ما بعد (إلا) هنا إيجاب، و لا تدخل أيضاً على المعرفة للعموم، و لا يحسن إلا رفعه على الموضع، كأنه قيل ما لكم إله إلا اللَّه. و ما لكم مستحق للعبادة إلا اللَّه قال الشاعر:
ابنى لبينى لستم بيد الأيد ليست لها عضد
أنشدوه بالجر، فعلى هذا يجوز ما جاءنى من رجل إلا زيد، و ليس هو وجه الكلام، و لكنه يتبعه و إن لم يصلح إعادة العامل فيه، كما يقال: اختصم زيد و عمرو، و لا يجوز و اختصم عمرو، و قوله: «وَ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» معناه التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ۴٨٧
لا أحد يستحق إطلاق هذه الصفة إلا هو، فوصل ذلك بذكر التوحيد فى الإلهية لأنه حجة على صحته من حيث لو كان إله آخر، لبطل إطلاق هذه الصفة.

الاعراب: ..... ص : ۴٨٧

و موضع هو من الاعراب يحتمل أمرين:
أحدهما- أن يكون فصلا، و هو الذى تسمية الكوفيون عماداً، فلا يكون له موضع من الاعراب، لأنه فى حكم الحرف و يكون القصص خبر إن. و الآخر- أن يكون اسماً موضعه رفع بالابتداء و القصص خبر إن و الجملة خبر إن.

قوله تعالى:[سورة آلعمران (٣): آية ۶٣] ..... ص : ۴٨٧

اشارة

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ (۶٣)

اللغة و المعنى: ..... ص : ۴٨٧

التولى عن الحق هو اعتقاد خلافه بعد ظهوره، لأنه كالادبار عنه بعد الإقبال. و تولى عنه خلاف تولى إليه. و الأصل واحد كما أن رغب عنه خلاف رغب فيه. و هو الزوال بالوجه عن جهته إلى غيره، فأصل التولى كون الشىء يلى غيره من غير فصل بينه و بينه، فقيل تولى عنه أى زال عن جهته. و قوله: «فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ» إنما خص المفسدين بأنه عليم بهم على جهة التهديد لهم، و الوعد بما يعلمه مما وقع من إفسادهم كما يقول القائل أنا أعلم بسر فلان، و ما يجرى إليه من الفساد. و الإفساد إيقاع الشىء على خلاف ما توجبه الحكمة، و هو ضد الإصلاح، لأنه إيقاع الشىء على مقدار ما توجبه الحكمة. و الفرق بين الفساد، و القبيح: أن الفساد تغيير عن المقدار الذى تدعو إليه الحكمة بدلالة أن نقيضه الصلاح، فإذا قصر عن المقدار أو أفرط لم يصلح، فإذا كان على المقدار صلح، و ليس كذلك القبيح، لأنه ليس فيه معنى المقدار. و إنما القبيح ما تزجر عنه الحكمة كما أن الحسن ما تدعو إليه الحكمة.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۴۸۸

قوله تعالی:[سورة آل‌عمران (۳): آیة ۶۴] ..... ص : ۴۸۸

اشارة

قُلْ یا أَهْلَ الْکِتابِ تَعالَوْا إِلی کَلِمَةٍ سَواءٍ بَیْنَنا وَ بَیْنَکُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَ لا نُشْرِکَ بِهِ شَیْئاً وَ لا یَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (۶۴)

آیة واحدة.

النزول: ..... ص : ۴۸۸

قیل فی من نزلت هذه الآیة ثلاثة أقوال:

أحدها- ذکره الحسن، و السدی، و ابن زید، و محمد بن جعفر بن الزبیر:

أنهم نصاری نجران. و الثانی- قال قتادة، و الربیع، و ابن جریج: أنهم یهود المدینة، و قد روی ذلک أصحابنا. و وجه هذا القول أنهم أطاعوا الأحبار طاعة الأرباب، فسلکوا بهم طریق الضلال. و یدل علی ذلک قوله: (عز و جل) «اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ» «۱»

و روی عن أبی عبد اللَّه (ع) أنه قال ما عبدوهم من دون اللّه و إنما حرموا لهم حلالا و أحلوا لهم حراماً، فکان ذلک اتخاذ الأرباب من دون اللَّه.

الثالث- ذکره أبو علی الجبائی أنها فی الفریقین من أهل الکتاب علی ظاهر الکلام.

المعنی، و الاعراب، و اللغة: ..... ص : ۴۸۸

و قوله: «إِلی کَلِمَةٍ سَواءٍ» فسواء اسم و لیس بصفة و إنما جر سواء بتقدیر ذات سواء فی قول الزجاج. و کان یجوز نصبه علی المصدر، و موضع «أن لا» خفض علی البدل من (کلمة). و قال الرمانی: إنما أجراه علی الاول، و هو الثانی و لا یجوز فی مثل قولک مررت برجل سواء علیه الخیر و الشر غیر الرفع لأمرین:

أحدهما- أن رفع الثانی بتقدیر محذوف، کأنه قال هی «ألا تعبد إلا

---

(۱) سورة التوبة آیة: ۳۲.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۴۸۹

الله»، فیکون سواء من صفة الکلمة فی اللفظ، و المعنی. و یجوز أن یکون موضعه خفضاً علی البدل من الکلمة، و تقدیره تعالوا إلی ألا نعبد إلا اللَّه، و کذلک جاء ما لا یصلح للأول علی الاستئناف، نحو «الَّذِی جَعَلْناهُ لِلنَّاسِ سَواءً الْعاکِفُ فِیهِ وَ الْبادِ» «۱» و کذلک «أَمْ حَسِبَ الَّذِینَ اجْتَرَحُوا السَّیِّئاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ کَالَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَواءً مَحْیاهُمْ وَ مَماتُهُمْ» «۲». الثانی- أن یقع بمعنی المصدر فی موضع الصفة الجاریة بتقدیر (کلمة) مستویة «بَیْنَنا وَ بَیْنَکُمْ» فیها الامتناع من عبادة غیر اللَّه. و إنما جاز، لأن لا نعت بغیر معنی الکلمة، فصار بمنزلة إضمار الکلمة. و الفرق بین کلمة عدل و کلمة سواء [أن «کَلِمَةٍ سَواءٍ»] بمعنی

مستوية و أن عدل بمعنى عادلة فيما يكون منها، كما تقول رجل عدل أى عادل، فاما كلمة مستوية فمستقيمة، كما يقال: الرجل مستو- فى نفسه- غير مائل عن جهته، فلذلك فسر سواء على الوجهين، فكان يجوز فى العربية الجزم فى «أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ» على طريق النهى، كقولك آتنى وقت يأتى الناس لا تجىء فى غير ذلك من الأوقات، و يجوز فيه الرفع أيضاً بمعنى الحكاية على أن تقول «أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ» و أجاز الفراء الجزم عطفاً على موضع (أن) لأنها فى موضع جواب الامر على تقدير «تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَ لا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً» كما تقول: تعالوا لا نقل إلا خيراً، و هذا لا يجوز عند البصريين، لأن (أن) لا توافق معنى الجواب كالفاء فى قوله: «فَأَصَّدَّقَ وَ أَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ» «۳» كما توافقه «إذا» فى قوله: «وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذا هُمْ يَقْنَطُونَ» «۴» و اللام فى قوله: «فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» إنما اتصل بما قبله على تقدير: قابلوا إعراضهم عن الحق بخلافه للإنكار عليهم و تجديداً للإقرار به عند صدهم أى أقيموا على إسلامكم، و قولوا لهم: «اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» مقيمون على الإسلام.

---

(۱) سورة الحج آية: ۲۵.

(۲) سورة الجاثية آية: ۲۰.

(۳) سورة المنافقين آية: ۱۰.

(۴) سورة الروم آية: ۳۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۹۰

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۶۵] ..... ص : ۴۹۰

اشارة

يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْراهِيمَ وَ ما أُنْزِلَتِ التَّوْراةُ وَ الْإِنْجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (۶۵)

آية واحدة.

النزول: ..... ص : ۴۹۰

روى عن ابن عباس، و الحسن، و قتادة و السدى أن أحبار اليهود و نصارى نجران اجتمعوا عند رسول اللَّه (ص) فتنازعوا فى ابراهيم، فقالت اليهود:

ما كان إلا يهودياً. و قالت النصارى ما كان إلا نصرانياً، فأنزل اللَّه تعالى هذه الآية.

اللغة: ..... ص : ۴۹۰

و قوله: لِمَ تُحَاجُّونَ، فالحجاج، و المحاجة واحد، و هو الجدال أما بحجة أو شبهة، و قد يسمى الجدال بإبهام الحجة حجاجاً، و على ذلك كان أهل الكتاب فى ادعائهم لإبراهيم، لأنهم أوهموا صحة الدعوى من غير سلوك لطريق الهدى و لا تعلق بما يظن به صحة المعنى. و أما الحجة فهو البيان الذى يشهد لصحة المقالة، و هى و الدلالة بمعنى واحد. و الفرق بين الحجاج و الجدال أن الحجاج يتضمن اما بحجة أو شبهة أو إبهام فى الحقيقة، لأن أصله من الجدل، و هو شدة الفتل.

المعنى: ..... ص : ۴۹۰

و قوله: «أَ فَلا تَعْقِلُونَ» معناه أ فلا تعقلون فساد هذه الدعوى إذ العقل يمنع من الاقامة على دعوى بغير حجة، فكيف بما قد علم، و ظهر فساده بالمناقضة.

و فى ذلك دلالة على ان العاقل لا يعذر فى الاقامة على الدعوى من غير حجة، لما فيه من البيان عن الفساد و الانتقاض. و لأن العقل طريق العلم، فكيف يضل عن المرشد من قد جعل اللّه إليه السبيل!.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۹۱

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۶۶] ..... ص : ۴۹۱

اشارة

ها أَنْتُمْ هؤُلاءِ حاجَجْتُمْ فِيما لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (۶۶)

آية واحدة.

القراءة: ..... ص : ۴۹۱

قرأ أهل المدينة و أبو عمرو (ها أنتم) بتخفيف الهمزة حيث وقع الباقون بتخفيفها «۱» و كلهم أثبت الالف قبل الهمزة إلا ابن عامر عن قنبل فانه حذفها.

المعنى و اللغة: ..... ص : ۴۹۱

(ها) للتنبيه و إنما نبههم على أنفسهم و ان كان الإنسان لا ينبه على نفسه و إنما ينبه على ما أغفله من حاله، لأن المراد بذلك تنبيههم بذكر ما يعلمون على ما لا يعلمون، فلذلك خرج التنبيه على النفس، و المراد على حال النفس. و لو جاء على الأصل، لكان لا بد من ذكر النفس للبيان، ففيه مع ذلك إيجاز. و قد كثر التنبيه فى هذا و لم يكثر فى ها أنت، لأن ذا مبهم من حيث يصلح لكل حاضر و المعنى فيه على واحد بعينه مما يصلح له فقوى بالتنبيه، لتحريك النفس على طلبه بعينه، و ليس كذلك أنت، لأنه لا يصلح لكل حاضر فى الجملة، و إنما هو للمخاطب. إن قيل أين خبر أنتم فى «ها أنتم»؟ قيل: يحتمل أمرين:

أحدهما- حاججتم على أن يكون «هؤلاء» تابعاً عطف بيان.

و الثانى- أن يكون الخبر «هؤلاء» على معنى هؤلاء بمعنى الذين و ما بعده صلة له. فان قيل: ما الذى حاجوا فيه مما لهم به علم؟ قلنا: أما الذى لهم به علم فما وجدوه فى كتبهم، لأنهم يعلمون أنهم وجدوه فيها و أما الذى ليس لهم به علم

---

(۱) هكذا وجدناه فى الأصل و هو كما ترى. و فى مجمع البيان. قرأ أهل الكوفة (ها أنتم) بالمد و الهمزة و قرأ أهل المدينة و أبو عمرو بغير مد و لا همزة الا بقدر خروج الالف الساكنة.

و قرأ ابن عامر بالمد دون الهمزة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۹۲

فشأن إبراهيم على قول السدى و أبى على. و قوله: «وَ اللَّهُ يَعْلَمُ» يعنى شأن ابراهيم و كلما ليس عليه دليل، لأنه علام الغيوب العالم بغير تعليم «وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ» ذلك، فينبغى أن تلتمسوا حقه من باطله من جهة عالم به. قال أبو على الفارسى: وجه قراءة ابن كثير أنه أبدل

من الهمزة هاء و التقدير أ أنتم، فأبدل من همزة الاستفهام هاء، و ذلك جائز. قال: و لا يجوز على هذا أن تكون (ها) للتنبيه. و حذف الألف منها فى مثل هلم، لأن الحذف إنما يجوز إذا كان فيها تضعيف

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۶۷] ..... ص : ۴۹۲

اشارة

ما كانَ إِبْراهِيمُ يَهُودِيًّا وَ لا نَصْرانِيًّا وَ لكِنْ كانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (۶۷)

آية.

المعنى: ..... ص : ۴۹۲

ذكر الحسن، و قتادة، و عامر، و هو

المروى عن أبى جعفر (ع): أن اليهود قالت: كان ابراهيم يهودياً، و قالت النصارى كان نصرانياً، فاكذبهم اللّه فى ذلك بانزال هذه الآية.

فان قيل: هل كان اللَّه تعبد باليهودية و النصرانية ثم نسخها أم لا؟ قلنا: كان الذى بعثه اللّه به شرع موسى ثم شرع عيسى ثم نسخهما فأما اليهودية و النصرانية فصفتا ذم قد دل القرآن و الإجماع على ذلك، لأن موسى لم يكن يهودياً، و عيسى لم يكن نصرانياً، لقوله تعالى: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ» و اليهودية ملة محرفة عن شرع موسى و كذلك النصرانية محرفة عن شرع عيسى. و قيل فى أصل الصفة بيهود قولان:

أحدهما- أنهم ولد يهود. و الآخر- أنه مأخوذ من هاد يهود إذا رجع.

و فى النصارى قولان:

أحدهما- أنه مأخوذ من ناصرة قرية بالشام. و الآخر- أنه من نصر المسيح. و كيف تصرفت الحال فقد صارتا صفتى ذم تجريان على فرقتين ضالتين. التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۹۳

فان قيل: إن كان ابراهيم لم يكن يهودياً و لا نصرانياً، لأن التوراة و الإنجيل أنزلا بعده، فيجب أن لا يكون مسلماً، لأن القرآن أيضاً أنزل بعده؟

قلنا: لا يجب ذلك، لأن التوراة و الإنجيل أنزلا من بعده من غير أن يكون فيها ذكر له بأنه كان يهودياً أو نصرانياً. و القرآن أنزل من بعده و فيه الذكر له بأنه كان حنيفاً مسلماً. و قيل فى معنى الحنيف قولان:

أحدهما- المستقيم الدين، لأن الحنف هو الاستقامة فى اللغة. و إنما سمى من كان معوج الرجل أحنف على طريق التفاؤل كما قيل للضرير إنه بصير. و الثانى- إن الحنيف هو المائل إلى الحق فى الدين فيكون مأخوذاً من الحنف فى القدم، و هو الميل. فان قيل: هل كان إبراهيم على جميع ما نحن عليه الآن من شرع الإسلام؟ قلنا: هو (ع) كان مسلماً، و إن كان على بعض شريعتنا، لأن فى شرعنا تلاوة الكتاب فى صلاتنا و ما أنزل القرآن إلا على نبينا، و إنما قلنا: إنه مسلم باقامة بعض الشريعة، لأن أصحاب النبى (ص) كانوا مسلمين فى الابتداء قبل استكمال الشرع. و قد سماه اللَّه تعالى مسلماً، فلا مرية تبقى بعد ذلك.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۶۸] ..... ص : ۴۹۳

اشارة

إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ هذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (٦٨)
آية واحدة.

المعنى: ..... ص : ۴۹۳

معنى قوله: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ هذَا النَّبِيُّ» أى أحقهم بنصرته بالمعونة أو الحجة، لأن الذين اتبعوه فى زمانه تولوه بالنصرة على عدوه حتى ظهر أمره، و علت كلمته. و سائر المؤمنين يتولونه بالحجة بما كان عليه من الحق و تبرئته من كل عيب، فاللَّه تعالى ولى المؤمنين، لأنه يوليهم النصرة، و المؤمن ولى اللَّه لهذا المعنى بعينه. و قيل، لأنه يولى صفاته التعظيم. و يجوز، التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۹۴
لأنهم يتولون نصرة ما أمر به من الدين. و قيل و اللّه ولى المؤمنين، لأنه يتولى نصرهم. و المؤمنون أولياء اللَّه، لأنهم يتولون نصر دينه الذى أمرهم به.

اللغة: ..... ص : ۴۹۴

«و أولى» الذى هو بمعنى أفعل من غيره لا يجمع و لا يثنى، لأنه يتضمن معنى الفعل و المصدر على تقدير يزيد فضله على فضله فى أفضل منه. و معنى قولنا:
هذا الفعل أولى من غيره أى بأن يفعل. و قولنا زيد أولى من غيره معناه: أنه على حال هو بها أحق من غيره. و قوله: «لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ» فالاتباع جريان الثانى على طريقة الاول من حيث هو عليه كالمدلول الذى يتبع الدليل فى سلوك الطريق أو فى التصحيح، لأنه إن صح الدليل صح المدلول عليه لصحته، و كذلك المأموم الذى يتبع الامام.
فان قيل: لم فصل ذكر النبى (ص) من ذكر المؤمنين؟ قلنا: يحتمل أمرين:
أحدهما- أنه بمعنى و الذين آمنوا به، فتقدم ذكره ليدخل فى الولاية و يعود إليه الكتابة. و الثانى- أن اختصاصه بالذكر بالحال العليا فى الفضل.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۶۹] ..... ص : ۴۹۴

اشارة

وَدَّتْ طائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَ ما يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَ ما يَشْعُرُونَ (٦٩)

اللغة: ..... ص : ۴۹۴

معنى ودت: تمنت و إذا كانت بمعنى التمنى، فهى تصلح للماضى و الحاضر و المستقبل فلذلك جاز ب (لو) و ليس كذلك المحبة و الارادة، لأنهما لا يتعلقان إلا بالمستقبل فلا يجوز أن يكون بمعنى أرادت «لَوْ يُضِلُّونَكُمْ» كما يجوز ودت «لَوْ يُضِلُّونَكُمْ»، لأن الارادة تجرى مجرى الاستدعاء إلى الفعل أو مجرى العلة التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۹۵
فى ترتيب الفعل، فأما التمنى، فهو تقدير شىء فى النفس يستمتع بتقريره. و الفرق بين ودّ لو يضله، و بين ود أن يضله: أن (أن) للاستقبال و ليس كذلك (لو) و قوله: (لو يضلونكم) فالاضلال: الإهلاك بالدخول فى الضلال. و أصل الضلال الهلاك من قوله: «أ

إِذا ضَلَلْنا فِي الْأَرْضِ» «۱» أى هلكنا.

المعنى: ..... ص : ۴۹۵

و قوله: «وَ ما يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ» قيل فيه قولان:
أحدهما- أن المؤمنين لا يقبلون ما يدعونهم إليه من ترك الإسلام إلى غيره من الأديان فيحصل عليهم حينئذ الإثم و الوبال، و الاستدعاء إلى الضلال.
و الثاني- «وَ ما يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ» بفعل الضلال كما يقال ما أهلك إلا نفسه أى لا يعتد بهلاك غيره فى عظم هلاكه.

اللغة: ..... ص : ۴۹۵

و الفرق بين أضله عن الطريق و بين أخرجه عن الطريق: أن أضله عنه يكون بالاستدعاء إلى غيره دون فعل الضلال. و أخرجه عنه قد يكون بفعل الخروج منه.
و الفرق بين الإضلال و الاستدعاء إلى الضلال أن الإضلال لا يكون إلا إذا قبل المدعو، فأما الاستدعاء إلى الضلال، فيكون، قبل المدعو أم لم يقبل. و حقيقة الإضلال: الدعاء إلى الضلال الذى يقبله المدعو. و قال بعضهم: إنه لا يصح إضلال أحد بغيره. و إنما يقال ذلك على وجه المجاز ذهب إلى أنه يفعل فعل الضلال فى غيره، لأنه لا يوصف بأنه مضل لغيره إلا إذا أضل المدعو باغوائه.
قال الرمانى:
و هذا غير صحيح، لأنه يذم بالاستدعاء إلى الضلال الذى يقبله المدعو أكثر مما يذم بالاستدعاء إلى الضلال الذى لا يقبله المدعو، فلذلك فرق بين الاستدعاءين فوصف أحدهما بالإضلال و لم يوصف الآخر.

---

(۱) سورة الم السجدة آية: ۱۰. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۹۶

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۷۰] ..... ص : ۴۹۶

اشارة

يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (۷۰)
آية واحدة بلا خلاف.

اللغة: ..... ص : ۴۹۶

قوله: «يا أهل» نصب، لأنه منادى مضاف. و قوله: «لم» أصله لما، لأنها (ما) التى للاستفهام دخلت عليها اللام و إنما حذفت لاتصالها بحرف الاضافة مع وقوعها ظرفا تدل عليها الفتحة. و كذلك قياسها مع سائر حروف الاضافة مثل «فيم تبشرون» «۱» «عم يتساءلون» «۲» و إنما حذفت الالف من (ما) فى الاستفهام، و لم تحذف من (ما) فى الصلات لأن الظرف أقوى على التغيير من وسط الاسم كما يقوى على التغيير بالاعراب، و التنوين. و الالف فى الصلة بمنزلة حرف فى وسط الاسم، لأنه لا يتم إلا بصلته، و ليس كذلك

الاستفهام، لأن الالف فيه منتهى الاسم، و (لم) أصلها (لما) و هى مخالفة عند البصريين ل (كم) على ما قاله الكسائى أن أصلها كما، لأن (كم) مخالفة (لما) فى اللفظ، و المعنى: أما فى اللفظ، فلأنه كان يجب أن تبقى الفتحة لتدل على الالف، كما بقيت فى (لم) و نحوه، و الامر بخلافه. و أما فى المعنى، فلأن (كم) سؤال عن العدد، و (ما) سؤال عن الجنس، فليست منها فى شىء، و لا لكاف التشبيه فى (كم) معنى، و يلزمه فى متى أن تكون أصلها (ما) إلا أنهم زادوا التاء، لأنه تغيير من غير دليل، فإذا لم يمنع فى أحدهما لم يمنع فى الآخر.

و إنما بنى على نظيره فى حذف الالف، فلذلك يلزمه أن يبنى على نظيره فى زيادة التاء قبل الالف، نحو (رهبوتى خير من رحمونى) قال الزجاج: قول الكسائى فى هذا لا يعرج عليه.

---

(۱) سورة الحجر آية: ۵۴.

(۲) سورة النبأ آية: ۱.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۹۷

المعنى: ..... ص : ۴۹۷

و قوله: «لِمَ تَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ» معناه لم تجحدون آيات اللّه. «وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- و أنتم تشهدون بما يدل على صحتها من كتابكم الذى فيه البشارة بها فى قول قتادة و الربيع و السدى.

و الثانى- و أنتم تشهدون بمثلها من آيات الأنبياء التى تقرون بها. و الشهادة الخبر بالشىء عن مشاهدة: إما للخبر به، و إما لما يظهر به ظهوره بالمشاهدة. فإذا شهد بالإقرار، فهو مشاهدة المخبر به، و إذا شهد بالملك، فهو يظهر به ظهوره بالمشاهدة. و إنما قيل: شهد بالباطل، لأنه يخبر عن مشاهدة فى دعواه. و قوله:

«وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ» فيه حذف، و تقديره «و أنتم تشهدون» ما عليكم فيه الحجة فحذف للإيجاز مع الاستغناء عنه بالتوبيخ الذى تضمنه الكلام. و الحجة فى ذلك من وجهين:

أحدهما- الإقرار بما فيه من البشارة من الكتاب. و الثانى- الإقرار بمثله من الآيات.

قوله تعالى:[سورة آلعمران (۳): آية ۷۱] ..... ص : ۴۹۷

اشارة

يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْباطِلِ وَ تَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۷۱)

آية بلا خلاف.

المعنى: ..... ص : ۴۹۷

قيل فى معنى قوله: «لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْباطِلِ» ثلاثة أقوال:

أحدها- بتحريف التوراة و الإنجيل فى قول الحسن و ابن زيد.

الثانى- قال ابن عباس، و قتادة: بإظهار الإسلام، و إبطان النفاق، و فى قلوبهم من اليهودية و النصرانية مأمناً، لأنهم يداعوا إلى اظهار

الإسلام فی صدر التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۴۹۸

النهار و الرجوع عنه فی آخره لتشکیک الناس فیه.

الثالث- بالایمان بموسی، و عیسی، و الکفر بمحمد (ص).

و الحق الـذی کتموه- فی قول الحسن، و غیره من المفسـرین-: هو مـا وجـدوه من صـفة النبی (ص) و البشـارة به فی کتبهم علی وجه العناد من علمائهم.

و قوله: «وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» فیه حـذف و تقدیره و أنتم تعلمون الحق، لأن التقریع قد دل علی أنهم کتموا الحق و هم یعلمون أنه حق. و لو کتموه و هم لاـ یعلمون أنه حق لم یلاـئم معنی التقریع الـذی دل علی أنهم کتموا الحق و هم یعلمون أنه حق و لم یلاـئم معنی التقریع الذی دل علیه الکلام. و قیل أیضاً: و أنتم تعلمون الأمور التی یصح بها التکلیف. و الأول أصح، لما بیناه من الذم علی الکتمان.

فان قیل: إذا کانوا یعلمون الحق فی الـدین، فقـد صح کونهم معاندین فلم ینکر مذهب أصـحاب المعارف الذین یقولون أن کل کافر معانـد؟ قلنـا: هـذا فی قوم مخصوصـین یجوز علی مثلهم الکتمـان، فأمـا الخلق الکثیر، فلاـ یصـح ذلک منهم، کما یجوز الکتمان علی القلیل، و لا یجوز علی الکثیر فیما طریقه الاخبار.

علی أن فی الآیـة مـا یـدل علی فسـاد قول أصـحاب المعارف. و هو الاخبار بأنهم کتموا الحق الـذی علموا، فلو اشترک الناس فیه، لما صـح الکتمان کما لا یصـح فی ما یعلمونه من المشاهدات و الضـروریات، لاشتراکهم فی العلم به. و قوله: (وَ تَکْتُمُونَ الْحَقَّ) رفع، لأنه معطوف علی قوله: «تلبسون» و کان یجوز النصب، فتقول:

و تکتموا الحق علی الصرف، کما لو قلت لم تقوم و تقعد کان جائزاً أی لم تجمع الفعلین و أنت مستغن بأحدهما عن الآخر.

قوله تعالی:[سورة آل‌عمران (۳): آیة ۷۲] ..... ص : ۴۹۸

اشارة

وَ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْکِتابِ آمِنُوا بِالَّذِی أُنْزِلَ عَلَی الَّذِینَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهارِ وَ اکْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ یَرْجِعُونَ (۷۲)

آیة التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۴۹۹

اللغة: ..... ص : ۴۹۹

الطائفة الجماعة. و قیل فی أصلها قولان:

أحدهما- أنه کالرفقة التی من شأنها أن تطوف البلاد فی السـفر الذی یقع علیه الاجتماع. و الآخر- أنها جماعة یستوی بها حلقة یطاف حولها. و إنما دخلت هاء التأنیث فیها لمعنی المضاعفة اللازمة کما دخلت فی الجماعة، لأن فی أصل التأنیث معنی التضـعیف من أجل أنه مرکب علی التذکیر.

المعنی: ..... ص : ۴۹۹

و فی قوله: «آمِنُوا بِالَّذِی أُنْزِلَ عَلَی الَّذِینَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهارِ وَ اکْفُرُوا آخِرَهُ» ثلاثة أقوال.

أولها- أظهروا الایمان لهم فی أول النهار و ارجعوا عنه فی آخره، فانه أحری أن ینقلبوا عن دینهم.

الثانی- آمنوا بصلاتهم إلی بیت المقدس فی أول النهار، و اکفروا بصلاتهم إلی الکعبة فی آخره لیرجعوا بذلک عن دینهم.

الثالث- أظهروا الايمان فى صدر النهار لما سلف لكم من الإقرار بصفة محمد (ص)، ثم ارجعوا فى آخره لتوهموهم أنه كان وقع عليكم غلط فى صفته.

و الوجه الأول قول أكثر أهل العلم. و وجه النهار هو أوله عند جميع المفسرين، كقتادة، و الربيع، و مجاهد. و انما سمى أول النهار بأنه وجهه لأحد أمرين:

أحدهما- لأنه أول ما يواجه منه كما يقال، لأول الثوب وجه الثوب. الثانى- لأنه كالوجه فى أنه أعلاه و أشرف ما فيه قال ربيع ابن زياد:

من كان مسروراً بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار «۱»

---

(۱) اللسان (وجه) و الاغانى ۱۶: ۲۷، و مجاز القرآن ۱: ۹۷، و حماسة أبى تمام ۳: ۲۶ و خزانة الأدب ۳: ۵۳۸ من أبيات قالها لما قتل حميمه مالك بن زهير، و قد استعد لطلب ثاره و بعده:

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۰۰

و قيل فى معنى البيت: انه كان من عادتهم أن لا تنوح نساؤهم على قتلاهم إلا بعد أن يؤخذ بثاره، فأراد الشاعر أن يبين أنهم أخذوا بثار مالك بأن النساء ينحن عليه. و لذلك قال فى البيت الذى بعده:

يجد النساء حواسراً يندبنه

و قوله: «لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» فيه حذف و تقديره: لعلهم يرجعون عن دينهم فى قول ابن عباس، و الحسن، و قتادة، و مجاهد.

قوله تعالى:[سورة آلعمران (۳): آية ۷۳] ..... ص : ۵۰۰

اشارة

وَ لا تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتى أَحَدٌ مِثْلَ ما أُوتِيتُمْ أَوْ يُحاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ (۷۳)

آية.

المعنى، و الاعراب: ..... ص : ۵۰۰

قال الحسن: القائلين «لا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ» هم يهود خيبر ليهود المدينة. و قال قتادة، و الربيع، و السدى، و ابن زيد: هم بعض اليهود لبعض.

و قيل فى معنى الآية ستة أقوال:

أحدها- قال الحسن، و مجاهد: أعرض بقوله: «قُلْ إِنَّ الْهُدى هُدَى اللَّهِ» و تقديره: «وَ لا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ» و لا تؤمنوا «أَنْ يُؤْتى أَحَدٌ مِثْلَ ما أُوتِيتُمْ» و لا تؤمنوا «أَوْ يُحاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ» لأنه لا حجة لهم. و قال أبو على الفارسى. و تقديره و لا تصدقوا ب «أَنْ يُؤْتى أَحَدٌ مِثْلَ ما أُوتِيتُمْ» «إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ».

يجد النساء حوسراً يندبنه يبكين قبل تبلج الاسحار

قد كن يخبأن الوجوه تستراً فاليوم حين برزن للنظار

يخمشن حرات الوجوه على امرئ سهل الخليفة طيب الاخبار

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۰۱

الثانى- قال السدى، و ابن جريج: هو على الاتصال بالهدى دون الاعتراض، و المعنى «قُلْ إِنَّ الْهُدى هُدَى اللَّهِ أَنْ» لا «يُؤْتى أَحَدٌ مِثْلَ ما أُوتِيتُمْ» أيها المسلمون، كقوله «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا» «۱» و أن لا «يُحاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ» لأنه لا حجة لهم.

الثالث- قال الكسائى، و الفراء: «أَوْ يُحاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ» بمعنى حتى «يُحاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ» على التبعيد كما يقال لا تلتقى معه أو تقوم الساعة.

الرابع- قال أبو على: «قُلْ إِنَّ الْهُدى هُدَى اللَّهِ» فلا تجحدوا «أَنْ يُؤْتى أَحَدٌ مِثْلَ ما أُوتِيتُمْ».

الخامس- قال الزجاج: «وَ لا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ» لئلا تكون طريقاً لعبدة الأوثان إلى تصديقه.

السادس- «أَوْ يُحاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ» ان اعترفتم به، فيلزمكم العمل به منهم، لاقراركم بصحته.

و فى دخول اللام فى قوله: «إلا لمن» قيل فيه قولان:

أحدهما- أن تكون زائدة كاللام فى قوله: «رَدِفَ لَكُمْ» «۲» أى ردفكم بمعنى لا- تصدقوا إلا- من تبع دينكم. قال المبرد: إنما يسوغ ذلك على تقدير المصدر بعد تمام الكلام، فأما قام لزيد بمعنى قام زيد، فلا يجوز، لأنه لا يحمل على التأويل إلا بعد التمام.

و القول الآخر- لا تعترفوا بالحق «إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ» فتدخل للتعدية، و قال أبو على الفارسى لا يجوز أن يتعلق اللام فى قوله: (لمن تبع دينكم) بقوله: «و لا- تؤمنوا»، لأنه قد تعلق به حرف الجر فى قوله: (بأن يؤتى) كما لا يتعلق مفعولان بفعل واحد. فان قيل: لم جاز حذف (لا) من قوله تعالى «أَنْ يُؤْتى أَحَدٌ مِثْلَ ما أُوتِيتُمْ» على قول من قال ذلك؟ قلنا: الدلالة عليها كالدلالة فى

---

(۱) سورة النساء آية: ۱۷۵.

(۲) سورة النمل آية: ۷۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۰۲

جواب القسم، نحو و اللَّه أقوم أى لا أقوم قال امرؤ القيس:

فقلت يمين اللَّه أبرح قاعدا و لو قطعوا رأسى لديك و أوصالى «۱»

أى لا أبرح. و الدليل عليه فى الآية اتصاله بالعرض فى اختصاص أهل الايمان،، فلا يتبعه فى المعنى إلا على «أن لا» «يُؤْتى أَحَدٌ مِثْلَ ما أُوتِيتُمْ» و كذلك «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا» «۲» لأن البيان لا يكون طريقاً إلى الضلال.

و قال المبرد تقديره كراهة «أن تضلوا»، و كراهة «أَنْ يُؤْتى أَحَدٌ مِثْلَ ما أُوتِيتُمْ» فحمله على الأكثر، لأن حذف المضاف و إقامة المضاف إليه مقامه أكثر من حذف (لا). و قوله: «وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ» معناه واسع الرحمة عليم بالمصلحة، فمن صلح له ذلك من غيركم فهو يؤتيه تفضلا عليه.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۷۴] ..... ص : ۵۰۲

اشارة

يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (۷۴)

آية.

اللغة: ..... ص : ۵۰۲

الاختصاص: انفراد بعض الأشياء بمعنى دون غيره، كالانفراد بالملك أو الفعل أو العلم أو السبب أو الطلب أو غير ذلك. و يصح الانفراد بالنفس و غير النفس، و ليس كذلك الاختصاص، لأنه نقيض الاشتراك. و الانفراد نقيض الازدواج.

و الفرق بين الاختصاص، و الخاصة: أن الخاصة تحتمل الاضافة و غير الاضافة، لأنها نقيض العامة، فأما الاختصاص، فلا يكون إلا على الاضافة، لأنه اختصاص بكذا دون كذا.

المعنى: ..... ص : ۵۰۲

و قيل فى معنى الرحمة هاهنا قولان:

---

(١) مر البيت فى ٢: ٢٢٧.

(٢) سورة النساء آية: ١٧۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۰۳

أحدهما- قال الحسن، و مجاهد، و الربيع، و الجبائى: إنها السورة و قال ابن جريج: هى القرآن، و الإسلام. و وجه هذا القول أنه يختصهم بالإسلام بما لهم من اللطف فيه. و فى الآية دلالة على أن النبوة ليست مستحقة بالافعال، لأنها لو كانت جزاء، لما جاز أن يقول يختص بها من يشاء، كما لا يجوز أن يختص بعقابه من يشاء من عباده. فان قيل اللطف مستحق، و هو يختص به من يشاء من عباده؟

قلنا: لأنه قد يكون لطفاً على وجه الاختصاص دون الاشتراك و ليس كذلك الثواب.

اللغة: ..... ص : ۵۰۳

و قوله:«وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ»، فالفضل الزيادة عن الإحسان و أصله على الطلاق الزيادة يقال فى بدنه فضل أى زيادة. و الفاضل: الزائد على غيره فى خصال الخير، فأما التفضل، فزيادة النفع على مقدار الاستحقاق ثم كثر استعماله حتى صار لكل نفع قصد به فاعله أن ينفع صاحبه.

و قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (٣): آية ٧۵] ..... ص : ۵۰۳

اشارة

وَ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَ مِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ ما دُمْتَ عَلَيْهِ قائِماً ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا لَيْسَ عَلَيْنا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (٧۵)

آية بلا خلاف.

القراءة، و الحجة: ..... ص : ۵۰۳

قرأ أبو عمرو (يؤده إليك) بإسكان الهاء. الباقون باشباعها.

قال الزجاج: هذا غلط من الراوى كما غلط فى (بارئكم) «۱» بإسكان

(۱) سورة البقرة آية: ۵۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۰۴

الهمزة، و إنما كان أبو عمرو يختلس الحركة فيما رواه الضباط عنه كسيبويه و غيره.

و إنما لم يجز حذف الحركة، كما لم يجز فى هذا غلام فاعلم، لأنه لما حذفت الياء تركت الكسرة لتدل عليها.

المعنى، و اللغة: ..... ص : ۵۰۴

و القنطار: قد ذكرنا الخلاف فى مقداره، فانه على قول الحسن ألف و مأتا مثقال. و فى قول أبى نضرة ملأ مسك ثور ذهباً. و قيل سبعون ألفاً عن مجاهد.

و عن أبى صالح أنه مائة رطل. و الفرق بين «تَأْمَنْهُ بِقِنْطارٍ» و تأمنه على قنطار أن معنى الباء الصاق الأمانة، و معنى على استعلاء الأمانة، و هما يتعاقبان فى هذا الموضع، لتقارب المعنى، كما يقال: مررت به و مررت عليه، و قوله: (إلا ما دمت عليه قائماً) قيل فى معناه قولان:

أحدهما- «إِلَّا ما دُمْتَ عَلَيْهِ قائِماً» بالتقاضى و المطالبة فى قول قتادة، و مجاهد و [الثانى قال السدى إلا ما دمت عليه قائماً بالاجتماع معه، و الملازمة. و معناه إلا ما دمت عليه قائماً على رأسه.

و دِمت و دُمت لغتان مثل مت و مت لكن من كسر الدال و الميم قال فى المستقبل: تدام و تمات، و هى لغة أزد السراة، و من جاورهم.

و قوله: «ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا لَيْسَ عَلَيْنا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال قتادة و السدى: قالت اليهود ليس علينا فيما أصبنا من أموال العرب سبيل، لأنهم مشركون. و [الثانى قال الحسن و ابن جريج: لأنهم تحولوا عن دينهم الذى عاملناهم عليه و ادعوا أنهم وجدوا ذلك فى كتابهم. و قوله: (و هم يعلمون) معناه يعلمون هذا الكذب على اللّه تعالى، فيقدمون عليه، و الحجة قائمة عليهم فيه. و قال قوم: قوله: «وَ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطارٍ يُؤَدِّهِ التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۰۵

إِلَيْكَ»

يعنى النصارى، لأنهم لا يستحلون أموال من خالفهم، و عنى بقوله:

«وَ مِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينارٍ» اليهود لأنهم يستحلون مال كل من خالفهم فى حل السبت.

و على هذا يسقط سؤال من يقول أى فائدة فى ذكر ذلك، لأن من المعلوم فى كل حال من كل أمة أن فيها من يؤدى الامانة و فيها من لا يؤديها، فلا فائدة فى ذلك؟

فان هذا ميز بين الفريقين. و من قال بالأول يمكنه أن يقول فائدة الآية القطع على أن فيهم هؤلاء، و هؤلاء و سائر الناس يجوز أن لا يكون فيهم إلا أحد الفريقين، فلذلك فائدة بينة. و يمكن أيضاً أن تكون الفائدة أن هؤلاء لا يؤدون الأمانة لاستحلالهم ذلك بقوله: «ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا لَيْسَ عَلَيْنا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ» و سائر الفرق و إن كان منهم من لا يؤدى الامانة، لا نعلم أنه يستحلها و ذلك فائدة.

قوله تعالى:[سورة آلعمران (۳): آية ۷۶] ..... ص : ۵۰۵

بَلى مَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ وَ اتَّقى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (۷۶)

آية.

الهاء فى قوله: «بعهده» يحتمل أن تكون عائدة على اسم اللَّه فى قوله:

«وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ» و يحتمل أن تكون عائدة على (من) فى قوله:

«بَلى مَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ» لأن العهد يضاف إلى الفاعل، و المفعول. تقول هذا عهد فلان الذى عُهد إليه به، و هذا عهد فلان الذى عهده إلى غيره. و وفى و أوفى لغتان، فأهل الحجاز يقولون أوفيت و أهل نجد يقولون وفيت. و قوله: (بلى) يحتمل معنيين:

أحدهما- الاضراب عن الأول على وجه الإنكار للأول و على هذا الوجه «مَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ» تكون مكتفية، نحو قولك: ما قدم فلان، فتقول بلى أى بلى قد قدم. و قال الزجاج: بلى هاهنا وقف تام لأنهم لما قالوا «لَيْسَ عَلَيْنا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ» قيل «بلى» أى بلى عليهم سبيل.

و الثانى- الاضراب عن الأول و الاعتماد على البيان الثانى و على هذا الوجه التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۰۶

لا تكون مكتفية، نحو ان تقول قد قدَّم زيد، حدساً لغواً من القول، بلى لو كان متيقناً لعمل على قوله. فكذلك الآية تدل على ما تقدم على ادعائهم خلاف الصواب فى التقوى فقيل: «بلى» للاضراب عن الأول، و الاعتماد على البيان الثانى.

و الفرق بين بلى و نعم أن بلى جواب النفى، نحو قوله. «أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى «۱» فأما أزيد فى الدار فجوابه، نعم، أو، لا. و إنما جاز إمالة بلى لمشابهتها الاسم من وجهين.

أحدهما- أنه يوقف عليها فى الجواب، كما يوقف على الاسم نحو من رأيت من النساء، فيقول الحبلى، و كذلك إذا قال أ ليس زيد فى الدار قلت بلى. و لأنها على ثلاثة أحرف و هى أصل العدة التى يكون عليها الاسم و لذلك خالفت (لا) فى الامالة.

و إنما قال «فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ» و لم يقل فان اللَّه يحبه فيرد العامل إلى اللفظ، لابانة الصفة التى تجب بها محبة اللَّه و إن كان فيه معنى فان اللَّه يحبهم.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۷۷] ..... ص : ۵۰۶

اشارة

إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَ أَيْمانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُولئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَ لا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ لا يُزَكِّيهِمْ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (۷۷)

آية واحدة.

النزول: ..... ص : ۵۰۶

اختلفوا فى سبب نزول هذه الآية، فقال مجاهد، و عامر الشعبى: إنها نزلت فى رجل حلف يميناً فاجرة فى تنفيق سلعته. و قال ابن جريج: إنها نزلت فى الأشعث بن قيس و خصم له فى أرض قام ليحلف عند رسول اللَّه، فنزلت الآية فنكل الأشعث، و اعترف بالحق، و رد الأرض. و قال عكرمة نزلت فى جماعة من

---

(۱) سورة الاعراف آية: ۱۷۱.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۰۷

اليهود: حى بن أحطب، و كعب بن الأشرف، و أبى رافع، و كنانة بن أبى الحقيق. و قال الحسن كتبوا كتاباً بأيديهم ثم حلفوا أنه من

عند اللَّه فيما ادعوا من أنه ليس علينا فى الأميين سبيل.

المعنى: ..... ص : ۵۰۷

و عهد اللَّه هو ما يلزم الوفاء به. و يستحق بنقضه الوعيد. و هو ما أخذه على العبد و أوجبه عليه بما جعل فى عقله من قبح تركه، و ذلك فى كل واجب عليه، فانه يلزم بنقضه الوعيد إلا أن يتوب أو يجتنب الكبيرة. و العهد: هو العقد الذى تقدم به إلى العبد بما يجده فى عقله من الزجر عن خلاف الحق، و الدعاء إلى التمسك به، و العمل عليه، و إنما وصف ما اشتروه من عرض الدنيا بأنه ثمن قليل مع ما قرن به الوعيد لأمرين:

أحدهما- لأنه قليل فى جنب ما يؤدى إليه من العقاب و التنكيل. و الثانى- هو أنه مع كونه قليلا، الاقدام فيه على اليمين مع نقض العهد عظيم: و قوله:

«أُولئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ» معناه لا نصيب وافر لهم. و قيل فى أصل الخلاف قولان:

أحدهما- الخلق: التقدير، فيوافق معناه، لأن النصيب: الوافر من الخير بالتقدير لصاحبه يكون نصيباً له. و الآخر- من الخلق، لأنه نصيب مما يوجبه الخلق الكريم. و قوله: «وَ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- «لا يكلمهم» بما يسرهم بل بما يسوءهم وقت الحساب لهم، لأن الغرض إنما هو الوعيد، فلذلك تبعه معنى لا يكلمهم بما يسر مع أن ظاهر قوله:

«ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا حِسابَهُمْ» «۱» أنه يكلمهم بما يسوءهم فى محاسبته لهم، هذا قول أبى على. الثانى- لا يكلمهم أصلا، و تثبت المحاسبة بكلام الملائكة لهم (ع) بأمر اللَّه إياهم، فيكون على العادة فى احتقار إنسان على أن يكلمه الملك لنقصان المنزلة. و قوله:

---

(۱) سورة الغاشية آية: ۲۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۰۸

«وَ لا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ» أى لا يرحمهم، كما يقول القائل لغيره: انظر إلى يريد ارحمنى و فى ذلك دلالة على أن النظر مع تعديته بحرف (إلى) لا يفيد الرؤية، لأنه لا يجوز حملها فى الآية على أنه لا يراهم بلا خلاف. و قوله: «وَ لا يُزَكِّيهِمْ» معناه لا يحكم بزكاتهم دون أن يكون معناه لا يفعل الايمان الذى هو الزكاء لهم، لأنهم فى ذلك، و المؤمنين سواء، فلو أوجب ما زعمت المجبرة، لكان لا يزكيهم، و لا يزكى المؤمنين أيضاً فى الآخرة و ذلك باطل.

قوله تعالى:[سورة آلعمران (۳): آية ۷۸] ..... ص : ۵۰۸

اشارة

وَ إِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتابِ وَ ما هُوَ مِنَ الْكِتابِ وَ يَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ ما هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (۷۸)

آية.

اللغة، و المعنى، و الاعراب: ..... ص : ۵۰۸

«وَ إِنَّ مِنْهُمْ» الكناية بالهاء و الميم راجعة على أهل الكتاب فى قوله: «مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطارٍ» فى قول جميع المفسرين: الحسن و غيره.

و قوله: «يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ» قال مجاهد، و قتادة، و ابن جريج، و الربيع: معناه يحرفونه بالتغيير و التبديل. و أصل اللىّ: الفتل من قولك لويت يده إذا فتلتها قال الشاعر:

لوى يده اللَّه الذى هو غالبه «۱»

و منه لويت العمود إذا ثنيته و قال الآخر:

---

(۱) قائله فرعان بن الأعرف السعدى التميمى، فى ولده منازل يدعو عليه. لان منازل ضرب والده عند ما تزوج على امه. و صدره:

نحون مالى ظالماً و لوى يدى!

و هو من أبيات يقولها فى ابنه منازل لان منازل عق أباه و هو فرعان و ضربه لأنه تزوج على أمه امرأة شابة، فغضب لأمه ثم استاق مال أبيه و اعتزل مع أمه فقال فيه الأبيات.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۰۹

فلو كان فى ليلى سدى من خصومة للويت أعناق الخصوم الملاويا «۱»

و منه لويت الغريم لياً و لياناً إذا مطلته حقه قال الشاعر:

تطيلين ليانى و أنت مليئة و احسن يا ذات الوشاح التقاضيا

فقيل لتحريف الكلام بقلبه عن وجهه: لىّ اللسان به، لأنه قتله عن جهته. و قوله: «لفريقاً» نصب بأنه اسم (ان) و اللام لام التأكيد و يجوز دخولها على اسم (ان) إذا كان مؤخراً، فان قدم لم يجز دخولها عليه، لا تقول:

ان لزيداً فى الدار. و إنما امتنع ذلك لئلا يجتمع حرفا التأكيد، لأن (ان) للتأكيد و اللام للتأكيد أيضاً فلم يجز الجمع بينهما لئلا يتوهم اختلاف المعنى، كما لم يجز دخول التعريف على التعريف، و التأنيث على التأنيث، فأما قولهم: جاءنى القوم كلهم أجمعون، فكل تأكيد للقوم و أجمعون تأكيد لكل. و قوله: «لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتابِ» معناه لتظنوه. و الفرق بين حسبت و زعمت: أن زعمت يحتمل أن يكون يقيناً أو ظناً، و حسبت لا يحتمل اليقين أصلا. و قوله: «ألسنتهم» جمع لسان على التذكير كحمار و أحمرة. و يقال ألسن على التأنيث كعناق و أعنق.

المعنى: ..... ص : ۵۰۹

و قوله: «وَ ما هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» دلالة على أن المعاصى ليست من عند اللَّه بخلاف ما تقوله المجبرة. و لا من فعله، لأنها لو كانت من فعله، لكانت من عنده، و ليس لهم أن يقولوا إنها من عنده خلقاً و فعلا، و ليست من عنده إنزالا و لا أمراً، و ذلك أنها لو كانت من عنده فعلا أو خلقاً، لكانت من عنده على آكد الوجوه فلم يجز إطلاق النفى بأنها ليست من عند اللَّه. و كما لا يجوز أن تكون من عند اللَّه من وجه من الوجوه، لإطلاق النفى بأنه ليس من عند اللَّه، فوجب العموم فيها بإطلاق النفى.

---

(۱) قائله مجنون بنى عامر، و لم نجده فى ديوانه، و هو فى اللسان (شدا)، (شذا)، (لوى) و الاغانى ۲: ۳۳. و غيرها.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۱۰

فان قيل: أ ليس الايمان عندكم من عنده، و مع ذلك ليس من عنده من كل الوجوه، فهلا جاز مثل ذلك فى تأويل الآية؟ قيل: لا يجوز ذلك، لأن اطلاق النفى يوجب العموم، و ليس كذلك اطلاق الإثبات ألا ترى أنك تقول: ما عندى طعام، فإنما تنفى القليل، و

الكثير، و ليس كذلک إذا قلت عندى طعام، لأنه لا يجب أن يكون عندک جميع الطعام فبان الفرق بين النفى و الإثبات.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۷۹] ..... ص : ۵۱۰

اشارة

ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتابَ وَ الْحُكْمَ وَ النُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِباداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِما كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتابَ وَ بِما كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (۷۹)

آية واحدة.

القراءة و النزول: ..... ص : ۵۱۰

قرأ ابن كثير، و نافع، و أبو عمرو (تعلمون) مخففاً الباقون بالتشديد.

روى عن ابن عباس أنه قال: سبب نزول هذه الآية أن قوماً من اليهود قالوا للنبى (ص) أ تدعونا إلى عبادتک كما دعا المسيح النصارى فنزلت الآية.

اللغة، و المعنى: ..... ص : ۵۱۰

و قوله: (لبشر) فانه يقع على القليل و الكثير و هو بمنزلة المصدر مثل الخلق و غيره، تقول: هذا بشر و هؤلاء بشر كما تقول: هذا خلق و هؤلاء خلق. و إنما وقع المصدر على القليل، و الكثير، لأنه جنس الفعل كما وجب فى اسماء الأجناس كالماء و التراب و نحوه و قوله: «أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتابَ» معناه أعطاه «الْكِتابَ، وَ الْحُكْمَ وَ النُّبُوَّةَ»، أن «يَقُولَ لِلنَّاسِ: كُونُوا عِباداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لكِنْ» يقول لهم:

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۱۱

«كُونُوا رَبَّانِيِّينَ». و حذف يقول لدلالة الكلام عليه. و معناه فى قول الحسن:

علماء فقهاء. و قال سعيد بن جبير: حكماء أتقياء. و قال ابن أبى رزين: حكماء علماء. و قال الزجاج: معناه معلمى الناس. و قال غيره: مدبرى أمر الناس فى الولاية بالإصلاح.

اللغة: ..... ص : ۵۱۱

و فى أصل ربانى قولان:

أحدهما- الربان و هو الذى يربّ أمر الناس بتدبيره له و إصلاحه إياه، يقال رب أمره يربه ربابة، و هو ربان: إذا دبره، و أصلحه، و نظيره نعس ينعس، فهو نعسان. و أكثر ما يجىء فعلان من فعل يفعل، نحو عطش يعطش، فهو عطشان، فيكون العالم ربانياً، لأنه بالعلم يدبر الأمر و يصلحه الثانى- إنه مضاف إلى علم الرب تعالى، و هو على الدين الذى أمر به إلا أنه غير فى الاضافة، ليدل على هذا المعنى، كما قيل: بحرانى، و كما قيل للعظيم الرقبة: رقبانى، و للعظيم اللحية: لحيانى.

و كما قيل لصاحب القصب: قصبانى، فكذلک صاحب علم الدين الذى أمر به الرب ربانى.

الحجة، و المعنى: ..... ص : ۵۱۱

و من قرأ بـالتخفیف أراد بمـا کنتم تعلمونه أنتم. و من قرأ بالتشدیـد أراد تعلمونه، لسواکم. و قوله: «وَ بِما کُنْتُمْ تَـدْرُسُونَ» یقوی قراءة من قرأ بالتخفیف.

و التشدیـد أکثر فائدة، لأنه یفید أنهم علماء، و أنهم یعلمون غیرهم. و التخفیف لا یفید أکثر من کونهم عالمین. و إنما دخلت الباء فی قوله: «بِما کُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ» لأحد ثلاثة أشیاء:

أحدها- کونوا معلمی الناس بعلمکم، کما تقول: انفعوهم بمالکم.

الثانی- کونوا ممن یستحق أن یطلق علیه صفة عالم بعلمه علی جهة المدح له التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۵۱۲

باخلاصه مما یحبطه.

الثالث- کونوا ربانیین فی علمکم و دراستکم و وقعت الباء فی موضع فی.

قوله تعالی:[سورة آل‌عمران (۳): آیة ۸۰] ..... ص : ۵۱۲

اشارة

وَ لا یَأْمُرَکُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِکَةَ وَ النَّبِیِّینَ أَرْباباً أَ یَأْمُرُکُمْ بِالْکُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (۸۰)

آیة.

القراءة، و الحجة: ..... ص : ۵۱۲

قرأ عاصم و حمزة و ابن عامر (و لا یأمرکم) بنصب الراء. الباقون برفعها فمن نصب عطف علی ما عملت فیه (أن) علی تقـدیر (ما کانَ لِبَشَرٍ أَنْ یُؤْتِیَهُ اللَّهُ) کذا (و لا یأمرکم) بکذا و من رفع استأنف الکلام، لأنه بعد انقضاء الآیة، و تمامها.

المعنی: ..... ص : ۵۱۲

و فی الآیـة دلالـة علی أن الأنبیـاء لاـ یجوز أن یقع منهم ما ذکره دون أن یکون ذلک اخباراً عن أنه لا یقع منهم، لأنها خرجت مخرج التنزیه للنبی عن ذلک کما قال: «ما کانَ لِلَّهِ أَنْ یَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ» «۱» و معناه لا یجوز ذلک علیه، و کذلک قوله: «مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَ مـا کانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ» «۲» یـدل علی أن ذلـک غیر جـائز علیه، و لو جـاز أن یحمـل علی نفی الوقوع دون الامتناع، لجاز أن یحمل علی التحریم دون الانتفـاء، لأـن اللفـظ یصـلح له، لو لاـ مـا قـارنه من ظـاهر التعظیم للأنبیـاء، و التنزیه لهم عن الـدعاء إلی الفساد أو اعتقاد الضـلال، و یجب حمل الکلام علی ظاهر الحال إلا أن یکون هناک ما یقتضـی صرفه عن ظاهره، علی أنه لو حمل علی النفی لما کان فیه تکذیب للمخالف. و الآیة خرجت مخرج التکذیب لهم فی

---

(۱) سورة مریم آیة: ۳۵. [.....]

(۲) سورة المؤمنون آیة: ۹۲.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۵۱۳

دعواهم أن المسیح أمرهم بعبادته.

و الالـف فی قوله: «أ یـأمرکم» ألف انکـار و أصـلها الاسـتفهام. و إنمـا اسـتعملت فی الإنکـار، لأنه مما لو أقر به المخاطب به، لظهرت

صحته و بان سقوطه، فلذلک جاء الکلام علی السؤال، و إن لم یکن الغرض تعرف الجواب.

و إنما لم تجز العبادة إلا للّه تعالی، لأنها تستحق بأصول النعم من خلق القدرة، و الحیاة، و العقل، و الشهوة، و غیر ذلک مما لا یقدر علیه سواه. و لیس فی الآیة ما یدل علی أن فی أفعال الجوارح کفراً، لأن قوله: «أ یَأْمُرُکُمْ بِالْکُفْرِ» معناه الامر باعتقاد أن الملائکة و النبیین أرباب، و ذلک کفر لا محالة. و لم یجر فی الآیة، لتوجیه العبادة إلیهم ذکر، فأما من عند غیر اللّه فانا نقطع علی أن فیه کفراً هو الجحد بالقلب، لأن نفس هذا الفعل کفر، فسقطت شبهة المخالف.

قوله تعالی:[سورة آل‌عمران (۳): آیة ۸۱] ..... ص : ۵۱۳

اشارة

وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِیثاقَ النَّبِیِّینَ لَما آتَیْتُکُمْ مِنْ کِتابٍ وَ حِکْمَةٍ ثُمَّ جاءَکُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَکُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلی ذلِکُمْ إِصْرِی قالُوا أَقْرَرْنا قالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَکُمْ مِنَ الشَّاهِدِینَ (۸۱)

القراءة، و المعنی: ..... ص : ۵۱۳

قرأ نافع «لما آتیناکم» علی الجمع. الباقون علی التوحید بالتاء. و قرأ حمزة «لما» بکسر اللام. الباقون بفتحها. التقدیر اذکروا «إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِیثاقَ النَّبِیِّینَ» لأن (إذ) لما مضی و معنی أخذ المیثاق من النبیین بنصرة من لم یلقوه و لم یدرکوا زمانه هو أنهم ینصرونه بتصدیقه عند قومهم، و یأمرونهم بالإقرار به، کما قیل:

إنما أخذ اللَّه میثاق النبیین الماضین بتصدیق محمد (ص)، هذا قول علی (ع)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۵۱۴

و عبد اللّه بن عباس (ره)، و قتادة و السدی، و قال طاوس: أخذ المیثاق الأول من الأنبیاء لتؤمنن بالآخر.

و روی عن أبی عبد اللَّه (ع) أنه قال تقدیره: و إذ أخذ اللَّه میثاق أمم النبیین بتصدیق کل أمة نبیها، و العمل بما جاءهم به، و إنهم خالفوهم فیما بعد، و ما وفوا به و ترکوا کثیراً من شریعته، و حرفوا کثیراً منه.

الاعراب، و الحجة، و المعنی: ..... ص : ۵۱۴

و قوله: «لَما آتَیْتُکُمْ مِنْ کِتابٍ» قیل فی معنی (ما) فی لما وجهان:

أحدهما- أنها بمعنی الذی و تقدیره الذی آتیتکموه من کتاب، لتفعلن لأجله کذا. الثانی- أنها بمعنی الجزاء، و تقدیره، لان آتیکم شیئاً «مِنْ کِتابٍ، وَ حِکْمَةٍ ثُمَّ جاءَکُمْ رَسُولٌ»، «لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ»، لأجله. و تقدیره أی شیء آتیتکم. و مهما آتیتکم. و یکفی جواب القسم من جواب الجزاء، کقوله: «لَئِنْ أَشْرَکْتَ لَیَحْبَطَنَّ عَمَلُکَ» «۱» و فی معنی (من) قولان:

أحدهما- أنها للتبیین ل (ما) کقولک ما عندک من ورق و عین.

الثانی- أن تکون زائدة، و تقدیره الذی آتیتکم: کتاب و حکمة، فیکون فی موضع خبر (ما)، و أنکر هذا القول أکثر النحویین، لأن (من) لا تزاد إلا فی غیر الواجب من نحو النفی و الاستفهام، و الجزاء. و الأول أصح، لأنه لا یجوز أن یحکم بزیادة حرف أو لفظ مع إمکان حمله علی فائدة. و اللام فی قوله:

«لما» لام الابتداء. و اللام فی قوله: «لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ» لام القسم، کما تقول لعبد اللَّه: و اللَّه لتأتینه. و قال قوم: اللام الأول خلف من القسم

یجاب بجوابه، نحو لمن قدم ما أحسن، و لمن أتاک لأتیته، و أنکر هذا القائل أن تکون الثانیة تأکیداً للأولی، لوقوع (ما) و (لا) فی جوابها، کما تقع فی جواب القسم.

و القول الأول أصح، لأن فیه افصاحاً بالقسم، نحو لزید و اللّه ما ضربته و القول

(۱) سورة الزمر آیة: ۶۵.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۵۱۵

الثانی- صواب علی تقدیر آخر، و ان یکون اللام خلفاً من القسم، کافیاً منه، فلا یحتاج إلی ذکره معه و من ذکره معه لم یجعله خلفاً منه، لأنه أضعف منه، و الخلف أقوی من الدال الذی لیس بخلف، لأنه بمنزلة الأصل الموضوع للمعنی یفهم به من غیر واسطة. و من کسر اللام فی قوله: «لما» یحتمل أمرین:

أحدهما- أن یکون علی التقدیم و التأخیر. و الثانی- بمعنی أخذ اللّه میثاقهم لذلک. و قال بعضهم القراءة بالکسر لا تجوز، لأنه لیس کل شیء أوتی الکتاب و هذا غلط من وجهین:

أحدهما- أنه أوتی الکتاب لعلمه به مهتدیاً بما فیه، و ان لم ینزل علیه.

و الآخر- أنه یجوز ذلک علی التغلیب بالذکر فی الجملة، لأنه بمنزلة من أوتی الکتاب بما أوتی من الحکم و النبوة. فان قیل لم لا یجوز أن یکون (لما) آتیتکم من کتاب و حکمة، بمعنی لتبلغن ما آتیتکم من کتاب و حکمة ثم یحذف؟ قیل لأنه لا یجوز الحذف فی الکلام من غیر دلیل ینبئ عن المراد. و من زعم أن الدلیل علی حذف الفعل لام القسم، فقد غلط، لأنها لام الابتداء التی تدخل علی الأسماء، نحو «لَمَنْ تَبِعَکَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْکُمْ أَجْمَعِینَ» «۱».

المعنی و اللغة: ..... ص : ۵۱۵

و قیل فی معنی قوله: «وَ أَخَذْتُمْ عَلی ذلِکُمْ إِصْرِی» قولان:

أحدهما- و قبلتم علی ذلک عهدی. و الثانی- «وَ أَخَذْتُمْ عَلی ذلِکُمْ إِصْرِی» من المتبعین لکم کما یقال: أخذت بیعتی أی قبلتها، و أخذتها علی غیرک بمعنی عقدتها علی غیرک. و الإصر العقد، و جمعه اصار و أصله العقد و منه المأصر، لأنه عقد یحبس به عن النفوذ إلا بإذن. و منه الأصر الثقل، لأنه عقد یثقل القیام به. و منه قولهم مالک اصرة تأصرنی علیک أی عاطفة تعطفنی علیک من عقد جوار

(۱) سورة الاعراف آیة: ۱۷.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۵۱۶

أو نحوه. و قوله: «فاشهدوا» معناه فاشهدوا علی أممکم بذلک «وَ أَنَا مَعَکُمْ مِنَ الشَّاهِدِینَ» علیکم، و علیهم روی ذلک عن علی بن أبی طالب علیه السلام.

قوله تعالی:[سورة آل‌عمران (۳): آیة ۸۲] ..... ص : ۵۱۶

اشارة

فَمَنْ تَوَلَّی بَعْدَ ذلِکَ فَأُولئِکَ هُمُ الْفاسِقُونَ (۸۲)

آیة.

المعنی: ..... ص : ۵۱۶

التولی عن الایمان بالنبی (ص) کفر- بلا خلاف- و إنما قال «فَأُولئِکَ هُمُ الْفاسِقُونَ» و لم یقل الکافرون، لأن تقدیر الکلام فأولئک هم الفاسقون فی کفرهم أی المتمردون فیه بخروجهم إلی الأفحش منه، و ذلک أن أصل الفسق الخروج عن أمر اللَّه إلی حال توبقه، فلذلک قیل للخارج عن أمر اللَّه إلی أفحش منازل الکفر، فاسق.

الاعراب: ..... ص : ۵۱۶

و موضع (هم) من الاعراب یحتمل أمرین:
أحدهما- أن یکون رفعاً بأنه مبتدأ ثان و الفاسقون خبره. و الجملة خبر أولئک. و الآخر- أنه لا موضع له، لأنه فصل جاء لیؤذن أن الخبر معرفة أو ما قارب المعرفة و یسمی الکوفیون ذلک عماداً. و قوله: «فَمَنْ تَوَلَّی» و إن کان شرطاً و جزاء فی المستقبل فان الماضی یدخل فیه من وجهین:
أحدهما- أن یکون تقدیره فمن یصح أنه تولی، کما قال: «إِنْ کانَ قَمِیصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ» «۱» أی إن یصح أن «قَمِیصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ» و الآخر مساواة الماضی للمستقبل، فیدخل فی دلالته. و إنما جاز جواب الجزاء بالفاء و لم یجز ب (ثم)، لأن الثانی یجب بوجوب الأول بلا فصل، فلذلک جاء

---

(۱) سورة یوسف آیة: ۲۶.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۵۱۷

بالفاء دون (ثم)، لأنها للتراخی بین الشیئین، و ذلک نحو قولک إن تأتنی، فلک درهم، فوجوب الدرهم بالإتیان عقیبه بلا فصل. و إنما جاز وقوع الماضی موقع المستقبل فی الجزاء و لم یجز فی قام زید غداً، لأن حرف الجزاء، لما کان یعمل فی الفعل قوی علی نقله من الماضی إلی الاستقبال، و لیس کذلک (غد) و ما أشبهه مما یدل علی الاستقبال، لأنه نظیر الفعل فی الدلالة من غیر عمل یوجب القوة، فلذلک جری علی المناقضة.

قوله تعالی:[سورة آلعمران (۳): آیة ۸۳] ..... ص : ۵۱۷

اشارة

أَ فَغَیْرَ دِینِ اللَّهِ یَبْغُونَ وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ کَرْهاً وَ إِلَیْهِ یُرْجَعُونَ (۸۳)
. آیة.

القراءة، و الحجة، و الاعراب: ..... ص : ۵۱۷

قرأ أهل البصرة، و حفص یبغون بالیاء. الباقون بالتاء. و قرأ یعقوب و حفص و إلیه یرجعون بالیاء. و کسر یعقوب الجیم، و فتح الیاء. فمن قرأ بالیاء أراد الاخبار عن الیهود و غیرهم من المشرکین و التاء لجمیع المکلفین. و من قرأ بالتاء فیهما، فعلی الخطاب، فیهما.

قوله: «أ فَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ» عطف جملة على جملة مثلها لو قيل أو غير دين اللَّه يبغون إلا أن الفاء رتبت. كأنه قيل أبعد تلك الآيات غير دين اللّه تبغون أى تطلبون.

المعنى: ..... ص : ٥١٧

و قوله: «وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً» قيل فى معناه ستة أقوال:

أولها- قال ابن عباس: أسلم من فى السماوات و الأرض بالحالة الناطقة عنه الدالة عليه عند أخذ الميثاق عليهم. التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٥١٨

الثانى- قول أبى العالية، و مجاهد: ان معناه «أسلم» أى بالإقرار بالعبودية و إن كان فيهم من أشرك فى العبادة، كقوله: «وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ» «١» و قوله: «وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ» «٢» و معناه ما ركب اللَّه فى عقول الخلائق من الدعاء إلى الإقرار بالربوبية ليتنبهوا على ما فيه من الدلالة.

الثالث- قال الحسن: «وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً» قال: أكره أقوام على الإسلام و جاء أقوام طائعين.

الرابع- قال قتادة: أسلم المؤمن طوعاً، و الكافر كرهاً عند موته، كما قال:

«فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا» «٣» و اختاره البلخى. و معناه التخويف لهم من التأخر عما هذه سبيله.

الخامس- قال عامر، و الشعبى و الزجاج، و الجبائى أن معنان: استسلم بالانقياد و الذلة، كما قال تعالى: «قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا» «٤» أى استسلمنا، و معناه الاحتجاج به.

و سادسها- قال الفراء و الأزهرى إنما قال «طَوْعاً وَ كَرْهاً» لأن فيهم من أسلم ابتداء رغبة فى الإسلام، و فيهم من أسلم بعد أن قوتل و حورب، فسمى ذلك كرهاً مجازاً و إن كان الإسلام وقع عنده طوعاً.

و قوله: «طَوْعاً وَ كَرْهاً» نصب على أنه مصدر، وقع موقع الحال، و تقديره طائعاً أو كارهاً، كما تقول أتانى ركضاً أى راكضاً. و لا يجوز أن تقول أتانى كلاماً أى متكلماً، لأن الكلام ليس بضرب من الإتيان و الركض ضرب منه.

قوله: «إليه ترجعون» معنا تردون إليه للجزاء فإياكم و مخالفة الإسلام فيجازيكم بالعقاب. قال اللَّه تعالى: «وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ» «٥».

---

(١) سورة الزخرف آية: ٨٧.

(٢) سورة لقمان آية: ٢٥.

(٣) سورة المؤمن آية: ٨٥.

(٤) سورة الحجرات آية: ١٤.

(٥) سورة آل عمران آية: ٨٥.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٥١٩

النزول: ..... ص : ٥١٩

و روى عن أبى عبد اللَّه (ع) أنها نزلت فى الحارث بن سويد بن الصامت.

و كان ارتد بعد قتله المحذر بن ديار البلوى غدراً فى الإسلام، و هرب و حديثه مشروح ثم ندم، فكاتب قومه سلوا رسول اللَّه (ص)

هل لى توبة، فنزلت الآيات إلى قوله: «إِلَّا الَّذِينَ تابُوا»، فرجع فأسلم.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۸۴] ..... ص : ۵۱۹

اشارة

قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ ما أُنْزِلَ عَلَيْنا وَ ما أُنْزِلَ عَلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ وَ ما أُوتِيَ مُوسى وَ عِيسى وَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (۸۴)

آية.

المعنى: ..... ص : ۵۱۹

قيل فى تأويل هذه الآية قولان:

أحدهما- أن معناها الإنكار على الكفار ما ذهبوا إليه من الايمان ببعض النبيين دون بعض، فأمر اللَّه تعالى النبى (ص)، و المؤمنين أن يقولوا: إنا نؤمن بجميع النبيين، و لا نفرق بين أحد منهم. الثانى- أن معناها موافقة ما تقدم الوعد به من إيمان النبى الامى بجميع من تقدم من النبيين على التفصيل. و قال له فى أول الآية (قل) خطاباً للنبى (ص) فجرى الكلام على التوحيد، و ما بعده على الجمع.

و قيل فى ذلك قولان:

أحدهما أن المتكلم قد يخبر عن نفسه بلفظ الجمع للتفخيم كما قال تعالى: «وَ لَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ ثُمَّ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ» «۱». و الثانى- أنه أراد دخول الأمة فى الخطاب الأول، و الأمر بالإقرار. و يجوز أن يقال: فى الواحد

---

(۱) سورة الاعراف آية: ۱۰.

المتكلم، فعلنا و لا يجوز للواحد المخاطب فعلتم. و الفرق بينهما: أن الكلام بالجملة الواحدة يصح بجماعة مخاطبين، و لا يصح الكلام بالجملة الواحدة بجماعة متكلمين.

فلذلك جاز فى فعلنا فى الواحد للتفخيم، لأنه لا يصح أن يكون خطاباً للجماعة فلم يصرف عنهم. بغير قرينة لما يدخله من الإلباس فى مفهوم العبارة. و قوله:

«وَ ما أُنْزِلَ عَلَيْنا» فى الاخبار عن المسلمين إنما جاز ذلك، و إن كان قد أنزل على النبى (ص)، لأن التقدير أنزل علينا على لسان نبينا كما تقول: أمرنا به و نهينا عنه- على لسان نبينا-، و مثل ذلك ما قاله فى سورة البقرة من قوله: «قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْنا» «۱» و قال بعضهم: لا يجوز أن يكون ذلك إلا إخباراً عن النبى (ص) الذى أنزل عليه، و هذا غلط، لأن الآية الأخرى تشهد بخلافه. فان قيل: ما معنى قوله: «وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» بعد الإقرار بالايمان على التفصيل؟

قيل: معناه و نحن له مستسلمون بالطاعة فى جميع ما أمر به، و دعا إليه. و لأن أهل الملل المخالفة، تعترف بصفة مؤمن، و ينتفى من صفة مسلم.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۸۵] ..... ص : ۵۲۰

اشارة

وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ (۸۵)
آيهٔ واحدهٔ.

اللغهٔ، و النزول، و المعنى: ..... ص : ۵۲۰

الابتغاء: الطلب تقول: بغى فلان كذا أى طلبه، و منه بغى فلان على فلان: إذا طلب الاستعلاء عليه ظلماً و منه البغى: الفاجرهٔ، لطلبها الزنى. و منه ينبغى كذا، لأنه حقيق بالطلب. و الإسلام: هو الاستسلام لأمر اللَّه بطاعته فيما دعا إليه، فكل ذلك اسلام، و ان اختلفت فيه الشرائع، و تفرقت المذاهب، لأن مبتغيه ديناً ناج، و مبتغى غيره ديناً هالك. و الايمان، و الإسلام واحد،

---

(۱) سورهٔ البقرهٔ آيهٔ: ۱۳۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۲۱

لأن (مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً) فهو مبطل، كما أن من يبتغى غير الايمان ديناً، فهو مبطل، و ذلك كمن يبتغى غير عبادهٔ الآله ديناً، فهو كافر، و من يبتغ غير عبادهٔ الخالق ديناً، فهو كافر. و الآله هو الخالق.
و قال عكرمهٔ: إن قوماً من اليهود قالوا: نحن المسلمون، فأنزل اللَّه تعالى «وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ» «۱» فأمرهم بالخروج إلى الحج الذى هو من فرض الإسلام، فقعدوا عنه و بان انسلاخهم من الإسلام، لمخالفتهم له فأنزل اللَّه تعالى «وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ» فالخسران ذهاب رأس المال. و يقال: خسر نفسه أى أهلك نفسه. و قيل خسر عمله أى أبطل عمله بأن أوقعه على وجه يقبح لا يستحق عليه الثواب. و كل واحد منهما خسر لذهاب رأس المال.

قوله تعالى:[سورهٔ آلعمران (۳): آيهٔ ۸۶] ..... ص : ۵۲۱

اشارهٔ

كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ وَ شَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَ جاءَهُمُ الْبَيِّناتُ وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (۸۶)
آيهٔ.

النزول: ..... ص : ۵۲۱

قال الحسن: نزلت هذه الآيهٔ فى أهل الكتاب الذين كانوا يؤمنون بالنبى (ص) قبل مبعثه بما يجدونه فى كتبهم من صفاته و دلائله، فلما بعثه اللَّه جحدوا ذلك، و أنكروه .. و قال مجاهد، و السدى:
نزلت فى رجل من الأنصار يقال له الحارث بن سويد ارتد عن الإسلام، ثم تاب، و حسن إسلامه فقبل اللَّه إسلامه بقوله: «إِلَّا الَّذِينَ تابُوا» فيما بعد تمام الآيهٔ. و كذلك رويناه عن أبى عبد اللَّه (ع)
و قيل نزلت فى قوم أرادوا من النبى (ص) أن يحكم لهم بالإسلام،

---

(۱) سورهٔ آل عمران آيهٔ: ۹۷.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۲۲

و فى قلوبهم الكفر، فاطلعه اللَّه على أسرارهم و ما فى ضمائرهم.

اللغة، و المعنى: ..... ص : ٥٢٢

و قوله «كيف» أصلها للاستفهام، و المراد بها هاهنا إنكار أن تقع هذه الهداية من اللَّه تعالى. و إنما دخل (كيف) معنى الإنكار مع أن أصلها الاستفهام، لأن المسئول يسأل عن أغراض مختلفة، فقد يسأل للتعجيز عن إقامة البرهان، و قد يسأل للتوبيخ مما يظهر من معنى الجواب فى السؤال، و قد يسأل لما يظهر فيه من الإنكار، فالأصل فيه الاستفهام، لكن من شأن العالم إذا أورد مثل هذا أن يصرف إلى غير الاستعلام إلا أنه يراد من المسئول طلب الجواب، فان قيل كيف خص هؤلاء المذكورون بمجيء البينات مع أنها قد جاءت كل مكلف للايمان قيل عنه جوابان:

أحدهما- لأن البينات التى جاءتهم هى ما فى كتبهم من البشارة بالنبى (ص).

الثانى- للتبعيد من حال الهداية و التفحيش لتجويزها فى هذه الفرقة. و قوله:

«وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» فالهداية هاهنا تحتمل ثلاثة أشياء.

أولها سلوك طريق أهل الحق المهتدين بهم فى المدح لهم و الثناء عليهم.

الثانى- فى اللفظ الذى يصلح به من حسنت نيته. و كان الحق معتمده، و هو أن يحكم لهم بالهداية.

الثالث- فى إيجاب الجواب الذى يستحقه من خلصت طاعته، و لم يحبطهما بسوء عمله. فان قيل كيف أطلق قوله: «وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» مع قوله «وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ» قلنا: لأنه لا يستحق اطلاق الصفة بالهداية إلا على جهة المدحة كقوله أولئك الذين هدى اللَّه. فأما بالتقييد، فيجوز لكل مدلول إلى طريق الحق اليقين.

و ليس فى الآية ما يدل على صحة الإحباط، للايمان و لا إحباط المستحق عليه من الثواب، لأنه لم يجر لذلك ذكر. و قوله: «كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ» يعنى بعد التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٥٢٣

إظهارهم الايمان و شهادتهم أن الرسول حق، و إن كانوا فى باطنهم منافقين. و ليس فيها أنهم كانوا فى باطنهم مؤمنين مستحقين للثواب، فزال ذلك بالكفر فلا متعلق بذلك فى صحة الإحباط.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (٣): آية ٨٧] ..... ص : ٥٢٣

أُولئِكَ جَزاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَ الْمَلائِكَةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧)

آية.

إن قيل: إذا كان لعن الملائكة و الناس أجمعين تابعاً للعن اللَّه، فهلا اقتصر عليه فى الذكر؟ قيل الوجه فى ذلك أن لا يوهم أن لعنهم لا يجوز إلا للَّه عز و جل كما لا يجوز أن يعاقبهم إلا اللَّه أو من يأمرهم بذلك. و ليس فى قوله: «وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ» دلالة على أنه يجوز للكافر أن يلعن نفسه، لأن لعنه لنفسه دعاء عليها بالابعاد من رحمة اللّه. و ذلك يوجب رغبته فيما دعا به، و لا يجوز لأحد أن يرغب فى أن يعاقبه اللَّه، لأن ذلك ينافى الزجر به و التحذير منه. و أما رغبة المؤمن فى أن يعاقب اللَّه الكافر فجائز حسن، لأنه لا ينافى زجره بل هو أبلغ فى زجره، فان قيل: لم قال: «وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ» و من وافق الكافر فى مذهبه لا يرى لعنه؟

قيل عن ذلك ثلاثة أجوبة:

أحدها- إن له أن يلعنه، و إنما لا يفعله لجهله بأنه يستحق اللعن. و يصح منه معرفة اللَّه، و معرفة استحقاق اللعن لكل كافر، فحينئذ يعلم أن له أن يلعنه و إنما لا يصح أن يلعن الكافر مع اعتقاده أنه لا يستحق اللعن، لأنه لو صح ذلك لأدى إلى أن يصح أن يلعن نفسه لمشاركته له فيما استحق به اللعن. و قد بينا فساده.

و الثانی- أن ذلک فی الآخرة، لأن بعضهم یلعن بعضاً. و قد استقرت علیهم لعنة الجمیع، و إن کانت علی التفریق.

و الثالث- أن یحمل لفظ الناس علی الخصوص، فیحمل علی ثلاثة فصاعداً، التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۵۲۴

فلذلک قال: «أجمعین» و کان یجوز أن یرفع «وَ الْمَلائِکَةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِینَ» لأن الأول تقدیره علیهم أن یلعنهم اللَّه، فیحمل الثانی علی معنی الأول، کما قال الشاعر:

هل أنت باعث دینار لحاجتنا أو عبد رب أخا عون بن مخراق «۱»

و الاتباع أجود لیکون الکلام علی نسق واحد، و إنما ذکر وعید الکفار هاهنا مع کونه مذکوراً فی مواضع کثیرة فی القرآن، للتأکید و تغلیظاً فی الزجر لأنه لما جری ذکر الکافر عقب ذلک بلعنه، و وعیده، کما إذا جری ذکر المؤمن عقب ذلک بالرحمة لیکون أرغب له فی فعل الطاعة و التمسک بالایمان.

قوله تعالی:[سورة آل‌عمران (۳): آیة ۸۸] ..... ص : ۵۲۴

اشارة

خالِدِینَ فِیها لا یُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ وَ لا هُمْ یُنْظَرُونَ (۸۸)

آیة.

اللغة: ..... ص : ۵۲۴

الخلود فی اللغة هو طول المکث، و لذلک یقال خلده فی السجن و خلد الکتاب فی الدیوان. و قیل للأثافی: خوالد ما دامت فی موضعها، فإذا زالت لا تسمی خوالد. و الفرق بین الخلود و الدوام: أن الخلود یقتضی (فی) کقولک خلد فی الحبس و لا یقتضی ذلک الدوام، و لذلک جاز وصفه تعالی بالدوام دون الخلود.

إلا أن خلود الکفار المراد به التأبید بلا خلاف بین الأمة.

المعنی: ..... ص : ۵۲۴

و قوله: «فیها» الهاء راجعة إلی اللعنة. و معنی خلودهم فیها استحقاقهم لها دائماً مع ما توجبه من ألیم العقاب، فأما من لیس بکافر من فساق أهل الصلاة

---

(۱) مر تخریجه فی ۱: ۲۰۷.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۵۲۵

فلا یتوجه إلیه الوعید بالخلود، لأنه لا یستحق إلا عقاباً منقطعاً به مع ثبوت استحقاقه للثواب الدائم، لأنه لو کان کذلک لأدی إلی اجتماع استحقاق الثواب الدائم، و العقاب الدائم لشخص واحد. و الإجماع بخلافه. و الإحباط- عندنا- باطل، فلا یمکن أن یقال یحبط أحدهما الآخر، و إنما حسن العقاب الدائم علی المعاصی المنقطعة، کما حسن الثواب الدائم علی الطاعة المنقطعة، فلا یجوز أن یستحق الدوام علی الأصغر، و لا یستحق علی الأکثر، فلما کانت نعم اللَّه تعالی أعظم النعم کانت معاصیه أعظم المعاصی، و کانت طاعته أصغر منها. و أیضاً، فانه یحسن الذم للدائم علی المعاصی المنقطعة فالعقاب یجری مجراه.

اللغة: ..... ص : ۵۲۵

و قوله: «لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ» فالتخفيف هو تغيير الشىء عن حال الصعوبة إلى السهولة، و هو تسهيل لما فيه كلفة و مشقة و أصله من خفة الجسم ضد ثقله. و منه تخفيف المحنة معناه تسهيلها. و قوله: «وَ لا هُمْ يُنْظَرُونَ» معناه لا يمهلون و إنما نفى إنظارهم للانابة لما علم من حالهم أنهم لا ينيبون كما قال: «وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ» «۱» على أن التبقية ليست واجبة. و إن علم أنه لو بقاه لتاب و أناب عند أكثر المتكلمين. و من قال يجب تبقيته متى علم أنه لو بقاه لآمن، فجوابه هو الأول. و قيل فى الفرق بين الانظار و الامهال أن الانظار تأخير العبد لينظر فى أمره. و الامهال تأخيره لتسهيل ما يتكلفه من عمله.

قوله تعالى:[سورة آلعمران (۳): آية ۸۹] ..... ص : ۵۲۵

اشارة

إِلَّا الَّذِينَ تابُوا مِنْ بَعْدِ ذلِكَ وَ أَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۸۹)
آية.

---

(۱) سورة الانعام آية: ۲۸. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۲۶

المعنى: ..... ص : ۵۲۶

إن قيل إذا كانت التوبة من الذنب لا تصلح إلا بعد فعله، فلم قال: «مِنْ بَعْدِ ذلِكَ»؟ قيل فائدته أنه يفيد معنى تابوا منه، لأن توبتهم من غيره لا تنفع فى التخلص منه، كما لا تنفع التوبة من الكبير فى التخلص من الصغير، فأما من قال:

إن التوبة من معصية لا تصح مع الاقامة على معصية أخرى، فانه يقول ذلك على وجه التأكيد، فان قيل: إذا كانت التوبة وحدها تسقط العقاب و تحصل الثواب فلم شرط معها الإصلاح؟ قيل الوجه فى ذلك إزالة الإبهام لئلا يعتقد، أنه إذا حصل الايمان، و التوبة من الكفر لا يضر معه شىء من أفعال القبائح، كقوله: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ» «۱» فذكر مع الايمان عمل الصالحات، لازالة الإيهام بأن من كان مؤمناً فى الحكم، لم يضره مع ذلك ما عمله من المعاصى. و قبول التوبة واجب، لأنها طاعة و استحقاق الثواب بها ثابت عقلا، فأما سقوط العقاب عندها، فإنما هو تفضل من اللَّه، و لو لا أن السمع ورد بذلك، و إلا، فلا دلالة فى العقل على ذلك. و قوله: «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» دخلت الفاء لشبهه بالجزاء، إذا كان الكلام قد تضمن معنى إن تابوا «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» أى يغفر لهم و ليست فى موضع خبر الذين، لأن الذين فى موضع نصب بالاستثناء من الجملة الأولى التى هى قوله: «أُولئِكَ جَزاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ ....» الآية، و ذكر المغفرة فى الآية دليل على أن إسقاط العقاب بالتوبة تفضل، لأنه لو كان واجباً لما استحق بذلك الإثم بأنه غفور، لأنه لا يقال هو غفور إلا فيما له المؤاخذة، فأما ما لا يجوز المؤاخذة به فلا يجوز تعليقه بالمغفرة.

قوله تعالى:[سورة آلعمران (۳): آية ۹۰] ..... ص : ۵۲۶

اشارة

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ ثُمَّ ازْدادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَ أُولئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ (٩٠)

(١) سورة حم السجدة آية: ٨.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٥٢٧

آية بلا خلاف.

المعنى: ..... ص : ٥٢٧

قيل فى المعنى بهذه الآية أربعة أقوال:

أحدها- قال ابن عباس هى فرقة ارتدت ثم عزمت على إظهار التوبة على جهة التورية، فاطلع اللَّه نبيه على ذلك بانزال هذه الآية. و قال أبو العالية لم تقبل توبتهم من ذنوب أصابوها مع الاقامة على كفرهم. و قال قتادة: هم اليهود آمنوا بموسى و كفروا بعيسى «ثُمَّ ازْدادُوا كُفْراً» بمحمد (ص) «لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ» عند حضور موتهم. و قال الحسن: هم اليهود و النصارى كفروا بالنبى (ص) «لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ» التى كانت فى حال إيمانهم، فان قيل: لمَ لم تقبل التوبة من هذه الفرقة؟ قيل: لأنها كفرت بعد إيمانها ثم ازدادت كفراً إلى انقضاء أجلها، فحصلت على ضلالتها، فلم تقبل منها التوبة الاولى فى حال كفرها بعد إيمانها، و لا التوبة الثانية فى حال إيجابها. و قيل: إنما لم تقبل توبتهم، لأنهم لم يكونوا فيها مخلصين بدلالة قوله: «وَ أُولئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ». و قال الطبرى: إنه لا يجوز تأويل من قال لن تقبل توبتهم عند حضور موتهم. قال: لأنه لا خلاف بين الأمة أن الكافر إذا أسلم قبل موته بطرفة عين فى أن حكمه حكم المسلمين فى وجوب الصلاة عليه و مواريثه و دفنه فى مقام المسلمين و اجراء جميع أحكام الإسلام عليه، و لو كان إسلامه غير صحيح، لما جاز ذلك. و هذا الذى قاله ليس بصحيح، لأنه لا يمتنع أن نتعبد بإجراء احكام الإسلام عليه و ان كان إسلامه على وجه من الإلجاء لا يثبت معه استحقاق الثواب عليه، كما أنا تعبدنا بإجراء أحكام الإسلام على المنافقين و إن كانوا كفاراً. و إنما لم يجز قبول التوبة فى حال الإلجاء إليه، لأن فعل الملجأ كفعل المكره فى سقوط الحمد و الذم. و قد قال اللَّه تعالى: «وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ حَتَّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ» «١». و قال:

(١) سورة النساء آية: ١٧.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٥٢٨

«فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا قالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَ كَفَرْنا بِما كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ. فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا»»

فأما إذا عاد فى الذنب، فلا يعود إليه العقاب الذى سقط بالتوبة، لأنه إذا تاب منه صار بمنزلة ما لم يعمله، فلا يجوز عقابه عليه كما لا يجوز عقابه على ما لم يعمله سواء قلنا أن سقوط العقاب عند التوبة كان تفضلا أو واجباً. و قد دل السمع على وجوب قبول التوبة و عليه إجماع الأمة. و قال تعالى «وَ هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَ يَعْفُوا عَنِ السَّيِّئاتِ» «٢» و قال: «غافِرِ الذَّنْبِ وَ قابِلِ التَّوْبِ» «٣» و غير ذلك من الآى.

قوله تعالى:[سورة آل‏عمران (٣): آية ٩١] ..... ص : ٥٢٨

اشارة

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ ماتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَباً وَ لَوِ افْتَدى بِهِ أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ

(۹۱)

آیة.

اللغة: ..... ص : ۵۲۸

الملء أصله الملأ، و هو تطفیح الأناء. و منه الملأ الاشراف، لأنهم یملئون العین هیبة و جلالة. و منه رجل ملیء بالأمر، و هو أملأ به من غیره. و الملأ اسم للمقدار الذی یملأ. و الملأ بفتح العین مصدر ملأت الأناء ملأ. و مثله الرعی بکسر الراء: النبات، و بفتح الراء مصدر رعیته. قال الزجاج: و من قال: هما سواء فقد غلط.

الاعراب: ..... ص : ۵۲۸

و قوله: «ذهباً» نصب علی التمییز. و التمییز علی ضربین تمییز المقادیر و تمییز الاعداد و کله مستحق النصب لاشتغال العامل بالاضافة أو ما عاقبها من النون

---

(۱) سورة المؤمن آیة: ۸۴- ۸۵.

(۲) سورة الشوری آیة: ۲۵.

(۳) سورة المؤمن آیة: ۳.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۵۲۹

الزائدة، فجری ذلک مجری الحال فی اشتغال العامل بصاحبها، و مجری المفعول فی اشتغال العامل عنه بالفاعل. و مثل ذلک، عندی ملء زق عسلا و قدر نحی سمناً.

المعنی: ..... ص : ۵۲۹

و قوله: «وَ لَوِ افْتَدی بِهِ» فالفدیة البدل من الشیء فی إزالة الاذیة. و منه قوله: «وَ فَدَیْناهُ بِذِبْحٍ عَظِیمٍ» «۱» لأنه بدل منه فی ازالة الذبح عنه، و منه فداء الأسیر بغیره، لأنه بدل منه فی إزالة القتل و الأسر عنه. و قیل فی معنی الافتداء هاهنا قولان:

أحدهما- البیان عن أن ما کلفه فی الدنیا یسیر فی جنب ما یبذله فی الآخرة من الفداء الکثیر لو وجد إلیه السبیل، قال قتادة یجاء بالکافر یوم القیامة فیقال له أ رأیت لو کان لک ملء الأرض ذهباً، لکنت تفتدی به، فیقول: نعم، فیقال لقد سئلت أیسر من ذلک، فلم تفعل.

و الثانی- ما حکاه الزجاج أنه لو افتدی به فی دار الدنیا مع الاقامة علی الکفر لم یقبل منه. و قیل فی دخول الواو فی قوله «وَ لَوِ افْتَدی بِهِ» قولان قال:

قوم: هی زائدة أجاز ذلک الفراء. و المعنی لو افتدی به. قال الزجاج: و هذا غلط، لأن الکلام یجب حمله علی فائدة إذا أمکن، و لا یحمل علی الزیادة. و الثانی- أنها دخلت لتفصیل نفی القبول بعد الإجمال، و ذلک أن قوله «فَلَنْ یُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَباً» قد عم وجوه القبول بالنفی ثم أتی بالتفصیل، لئلا یتطرق علیه سوء التأویل، و لو قیل: بغیر واو لم یکن قد عم النفی وجوه القبول، فقد دخلت الواو لهذه الفائدة من نفی التفصیل بعد الجملة، فأما الواو فی قوله «وَ لِیَکُونَ مِنَ الْمُوقِنِینَ» فإنها عاطفة علی محذوف فی التقدیر، و المعنی «وَ کَذلِکَ نُرِی إِبْراهِیمَ مَلَکُوتَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» لیعتبر «وَ لِیَکُونَ مِنَ الْمُوقِنِینَ» «۲».

(۱) سورة الصافات آية: ۷.

(۲) سورة الانعام آية: ۷۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۳۰

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۹۲] ..... ص : ۵۳۰

اشارة

لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (۹۲)

آية واحدة.

المعنى: ..... ص : ۵۳۰

قيل فى معنى البر قولان:

أحدهما- البر من اللَّه بالثواب فى الجنة. الثانى- البر بفعل الخير الذى يستحقون به الأجر. و قال السدى و عمرو بن ميمون: البر الجنة. فان قيل: كيف قال «لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ» و الفقير لا يجب عليه الصدقة و ينال الجنة، و ان لم ينفق؟ قلنا: الكلام خرج مخرج الحث على الصدقة إلا أنه على ما يصح و يجوز من إمكان النفقة، فهو مقيد بذلك فى الجملة إلا أنه اطلق الكلام للمبالغة فى الترغيب فيه. و يجوز «لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ» فى سبل الخير من الصدقة من وجوه الطاعة. و قال الحسن: هو الزكاة الواجبة و ما فرض تعالى فى الأموال خاصة. و الأولى أن تحمل الآية على الخصوص بأن يقول: هى متوجهة إلى من يجب عليه إخراج شيء أوجبه اللَّه عليه دون من لم يجب عليه، و يكون ذلك أيضاً مشروطاً بأن لا يعفو اللَّه عنه- على مذهبنا فى جواز العفو- أو يقول «لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ» الكامل الواقع على أشرف الوجوه «حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ». و قوله: «فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ» إنما جاء على جهة جواب الشرط و إن كان اللَّه يعلمه على كل حال، لامرين: التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۳۱

أحدهما- لأن فيه معنى الجزاء، فتقديره «وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ» يجازيكم به قل أو كثر، لأنه عليم به لا يخفى عليه شيء منه.

الثانى- فانه يعلمه اللَّه موجوداً على الحد الذى تفعلونه من حسن النية أو قبحها.

اللغة: ..... ص : ۵۳۱

و الفرق بين البر، و الخير: أن البر هو النفع الواصل إلى الغير مع القصد إلى ذلك، و الخير يكون خيراً، و ان وقع عن سهو. و ضد البر العقوق. و ضد الخير الشر، فبذلك بين الفرق بينهما.

النظم: ..... ص : ۵۳۱

و وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنه تعالى لما ذكر فى الآية الاولى «فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَباً وَ لَوِ افْتَدى بِهِ» وصل ذلك بقوله «لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ» لئلا يؤدى امتناع غناء الفدية إلى الفتور فى الصدقة، و ما جرى مجراها من وجوه الطاعة.

قوله تعالى: [سورة آل‌عمران (۳): آية ۹۳] ..... ص : ۵۳۱

اشارة

كُلُّ الطَّعامِ كانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرائِيلَ إِلاَّ ما حَرَّمَ إِسْرائِيلُ عَلى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْراةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْراةِ فَاتْلُوها إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (٩٣)

آية واحدة.

النظم: ..... ص : ۵۳۱

وجه اتصال هذه الآية بما تقدم أنه تعالى، لما ذكر الإنفاق مما يحب، و من جملة ما يحب الطعام، فذكر حكمه، و أنه كان مباحاً حلالا «لِبَنِي إِسْرائِيلَ إِلَّا ما حَرَّمَ إِسْرائِيلُ عَلى نَفْسِهِ».

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۳۲

النزول، و القصة، و المعنى: ..... ص : ۵۳۲

و كان سبب نزول هذه الآية أن اليهود أنكروا تحليل النبى (ص) لحوم الإبل، فبين اللّه تعالى أنها كانت محللة، لإبراهيم، و ولده إلى أن حرمها إسرائيل على نفسه، و حاجهم بالتوراة، فلم يجسروا على إحضار التوراة لعلمهم بصدق النبى (ص) فيما أخبر أنه فيها.

و كان إسرائيل و هو يعقوب بن إسحاق بن ابراهيم نذر إن برأ من النساء أن يحرم أحب الطعام و الشراب إليه و هو لحوم الإبل و ألبانها، فلما برأ و فى للّه بنذره. و قال ابن عباس و الحسن: إن إسرائيل أخذه وجع العرق الذى يقال له النساء، فنذر إن شفاه اللّه أن يحرم العروق و لحم الإبل [على نفسه ، و هو أحب الطعام إليه.

فان قيل: كيف يجوز للإنسان أن يحرم على نفسه شيئاً، و هو لا يعلم ما له فيه من المصلحة مما له فيه المفسدة؟ قلنا: يجوز ذلك إذا أذن اللّه له فى ذلك و أعلمه، و كان اللّه أذن لاسرائيل فى هذا النذر، فلذلك نذر. و فى الناس من استدل بهذه الآية على أنه يجوز للنبى (ص) أن يجتهد فى الأحكام، لأنه إذا كان أعلم و رأيه أفضل كان اجتهاده أحق و هذا الذى ذكروه إن جعل دليلا على أنه كان يجوز أن يتعبد النبى بالاجتهاد، كان صحيحاً، و إن جعل دليلا على أنه كان متعبداً به، فليس فيه دليل عليه، لأنا قد بينا أن إسرائيل ما حرم ذلك إلا بإذن اللّه، فمن أين إن ذلك كان محرماً له من طريق الاجتهاد، فأما من امتنع من جواز تعبد النبى (ص) بالاجتهاد، بأن ذلك يؤدى إلى جواز مخالفة أمته له إذا أداهم الاجتهاد إلى خلاف اجتهاده فقد أبعد، لأنه لا يمتنع أن يجتهد النبى (ص) الاجتهاد إلى خلاف ما أدى اجتهاد الأمة إليه، فوجب اتباعه و لا يلتفت إلى اجتهاد من يخالفه، كما أن الأمة يجوز أن تجمع على حد عن اجتهاد، و إن لم يجز مخالفتها فبطل قول الفريقين.

قوله تعالى: [سورة آل‌عمران (۳): آية ۹۴] ..... ص : ۵۳۲

اشارة

فَمَنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩٤)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۳۳

اللغة: ..... ص : ۵۳۳

الافتراء: اقتراف الكـذب و أصـله قطع ما يقـدر من الأدم، يقال فرى الأديم يفريه فرياً: إذا قطعه، فقيل للكذب الفريهٔ، لأنه يقطع به على التقدير من غير تحقيق.

المعنى: ..... ص : ۵۳۳

فان قيل: كيف قال: «افْتَرى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ»
و على للاسـتعلاء، فما معناها ها هنا؟ قلنا: معناها إضافته الكـذب إليه من جهـهٔ أنه أمر بما لم يأمر به اللَّه فأوجب ما لم يوجبه، و كذب عليه بخلاف كـذب له، لأن كـذب عليه يفيـد أنه كذب فيما يكرهه، و كذب له قد يجوز فيما يريده. فان قيل كيف قيد وعيد المفترى على اللَّه الكـذب ب «من بعـد ذلـك» و هو يسـتحق الوعيـد بالكـذب عليه على كـل حـال؟ قلنا: المراد به البيان أنه يلزم من بعـد إقامهٔ الحجهٔ على العبد فيه، لأنه لو كذب على اللَّه (عز و جل) فيما ليس بمحجوج فيه لجرى مجرى كذب الصبى الذى لا يستحق الوعيد به. و إنمـا وصف المفترى على اللّه كـذباً بـأنه ظـالم، من حيث كـان ظالماً لنفسه، و لمن اسـتدعى إلى مـذهبه فيما يكـذب به، لأن ذلك الكذب يستحق به العقاب.
و الظلم و الجور واحد و إن كان أصلهما مختلفاً، لأن أصل الظلم النقصان للحق.
و الجور العدول عن الحق، و لذلك قيل فى ضد الظلم الانصاف. و فى ضد الجور العدل. و الانصاف هو إعطاء الحق على التمام.

قوله تعالى:[سورهٔ آلعمران (۳): آيهٔ ۹۵] ..... ص : ۵۳۳

اشارة

قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (۹۵)
التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۳۴
آيهٔ.

المعنى: ..... ص : ۵۳۴

معنى قوله: «قُلْ صَدَقَ اللَّهُ» البيان عن أن الخبر بأن «كُلُّ الطَّعامِ كانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرائِيلَ إِلَّا ما حَرَّمَ إِسْرائِيلُ عَلى نَفْسِهِ» صـدق، لأن اللَّه تعالى أخبر به.
و قوله: (فاتبعوا) فالاتباع إلحاق الثانى بالأول لما له به من التعلق فالقوهٔ للأول، و الثانى يستمد منه، فهم يلحقون بإبراهيم (ع) لتمسكهم بملته و التابع ثان متدبر بتدبير الأول متصـرف بتصـريفه فى نفسه، و الصـحيح أن شريعهٔ نبينا ناسخهٔ لشريعهٔ كل من تقدم من الأنبياء، و أن نبينا لم يكن متعبداً بشريعهٔ من تقدم.
و إنما وافقت شـريعته شـريعهٔ إبراهيم، فلـذلك قال اللَّه تعالى «فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْراهِيمَ» و إلا فاللَّه هو الـذى أوحى بها إليه و أوجبها عليه، و كانت شريعهٔ له. فان قيل إذا كانت الشرائع بحسب المصالح، فكيف رغب فى شريعهٔ الإسلام بأنها ملهٔ إبراهيم؟
قلنا: لأن المصالح إذا وافقت ما تميل إليه النفس و يتقبله العقل بغير كلمهٔ كانت أحق بالرغبهٔ، كما أنها إذا وافقت الغنى بدلا من الفقر، كانت أعظم فى النعمهٔ، و كان المشركون يميلون إلى اتباع ملهٔ إبراهيم، فلذلك خوطبوا بذلك. و الحنيف: المستقيم:
الدين الذى على شـريعهٔ إبراهيم فى حجه و نسكه و طيب مأكله، و تلك الشريعهٔ هى الحنيفيهٔ. و أصل الحنف الاستقامهٔ و إنما وصف

المائل القدم بالأحنف تفاؤلا بها.

و قيل أصله الميل و إنما قيل الحنيف بمعنى المائل إلى الحق فيما كان عليه إبراهيم من الشرع.

قوله تعالى:[سورة آلعمران (۳): آية ۹۶] ..... ص : ۵۳۴

اشارة

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِی بِبَكَّةَ مُبارَكاً وَ هُدىً لِلْعالَمِينَ (۹۶)

آية بلا خلاف.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۳۵

المعنى، و اللغة، و الاعراب: ..... ص : ۵۳۵

أول الشیء ابتداؤه، و يجوز أن يكون المبتدأ له آخر، و يجوز أن لا يكون له آخر، لأن الواحد أول العدد. و لا نهاية، لآخره، و نعيم أهل الجنة له أول، و لا آخر له، فعلى هذا إنما كان أول بيت، لأنه لم يكن قبله بيت يحج إليه.

و روى عن علی (ع) أنه قال: أول بيت وضع للعبادة البيت الحرام.

و قد كانت قبله بيوت كثيرة. و قيل أول بيت رغب فيه، و طلب به البركة مكة. و قال مجاهد: لم يوضع قبله بيت. و إنما دحيت الأرض من تحتها. و به قال قتادة.

و روى أصحابنا: أن أول شیء خلق اللّه من الأرض موضع الكعبة، ثم دحيت الأرض من تحتها. و بكة قيل معناه ثلاثة أقوال:

أحدها- قال ابن شهاب و ضمرة بن ربيعة:

بكة هو المسجد، و مكة الحرم كله تدخل فيه البيوت، و هو قول أبی جعفر (ع)

و قال أبو عبيدة، بكة هی بطن مكة، و قال مجاهد: هی مكة.

و أصل بكة من البك، و هو الزحم تقول بكه يبكه بكاً إذا زحمه و تباك الناس بالموضع إذا ازدحموا، فبكة مزدحم الناس للطواف. و هو ما حول الكعبة من داخل المسجد الحرام، و منه البك: دق العنق، لأنه فكه بشدة زحمة، فقيل:

سميت بكة، لأنها تبك أعناق الجبابرة إذا ألحدوا فيها بظلم لم يمهلوا. و أما مكة، فقال الزجاج يجوز أن يكون اشتقاقها كاشتقاق بكة. و أبدلت الميم من الباء، كقولهم: ضربة لازب و لازم، و يجوز أن يكون من قولهم: امتك الفصيل ما فی ضرع الناقة إذا مص مصاً شديداً حتى لا يبقى منه شيئاً، فسميت مكة بذلك لازدحام الناس فيه. قال و الأول أحسن، و يقال مك المشاش مكاً إذا تمشش بفيه.

و نصب قوله: «مباركا» يحتمل أمرين:

أحدهما- أن يكون حالا من الضمير الذی فيه. الثانی- على الظرف من بكة على معنى الذی استقر ببكة مباركا. و على هذا القول لا يكون قد وضع قبله بيت التبيان فی تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۳۶

كما يجوز فی التقدير الأول. و قوله: «وَ هُدىً لِلْعالَمِينَ» معناه أنه دلالة لهم على اللّه من حيث هو المدبر لهم بما لا يقدرون عليه من أمن الوحش فيه حتى يجتمع الكلب و الظبی، فلا يعدو عليه و حتى يأنس الطير فلا يمتنع منه كما يمتنع من غيره إلى غير ذلك من الآثار و البينة فيه مع البركة التی يجدها من حج إليه مع ما له من الثواب الجزيل عليه. و أصل البركة الثبوت من قولك برك بركا و بروكا إذا ثبت على حاله، فالبركة ثبوت الخير بنموه و تزايده و منه البركاء: الثبوت فی الحرب. و منه البركة شبه حوض يمسك الماء، لثبوته فيه. و منه قول الناس: تبارك اللّه، لثبوته لم يزل، و لا يزال وحده، و منه البرك الصدر، لثبوت الحفظ فيه.

و قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (٣): آية ٩٧] ..... ص : ۵۳۶

اشارة

فِيهِ آياتٌ بَيِّناتٌ مَقامُ إِبْراهِيمَ وَ مَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ (٩٧)
آية.

القراءة: ..... ص : ۵۳۶

قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر (حج البيت) بكسر الحاء. الباقون بفتحها فمن فتح أراد المصدر الجارى على فعله، و من كسر أراد الاسم.

المعنى: ..... ص : ۵۳۶

الآيات التى بمكة أشياء، منها ما قال مجاهد فى مقام إبراهيم، و هو أثر قدميه داخلة فى حجر صلد بقدرة اللَّه تعالى، ليكون ذلك علامة يهتدى بها، و دلالة يرجع إليها مع غير ذلك من الآيات التى فيه من أمن الخائف، و إمحاق الجمار على كثرة الرامى. و امتناع الطير من العلو عليه. و استشفاء المريض من ماء به. و من تعجيل العقوبة لمن انتهك فيه حرمة على عادة كانت جارية. و من إهلاك أصحاب الفيل التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ۵۳۷
لما قصدوا، لتخريبه. و روى عن ابن عباس أنه قرأ «آية بينة مقام إبراهيم» فجعل مقام إبراهيم هو الآية. و الأول عليه القراء، و المفسرون. و قوله: «مقام إبراهيم» رفع بأنه خبر ابتداء محذوف. و تقديره هى مقام إبراهيم و غير مقام إبراهيم، و قيل التقدير منها مقام إبراهيم. و قوله: «وَ مَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً» قيل فيه قولان:
أحدهما- الدلالة على ما عطف عليه قلوب العرب فى الجاهلية، من أمر من جنى جناية، ثم لاذ بالحرم، و من تبعة تلحقه أو مكروه ينزل به. فأما فى الإسلام فمن جنى فيه جناية أقيم عليه الحد إلا القاتل، فانه يخرج منه، فيقتل فى قول الحسن، و قتادة. و عندنا أنه إذا قتل فى الحرم قتل فيه.
الثانى-
أنه خبر، و المراد به الأمر، و معناه أن من وجب عليه حد، فلاذ بالحرم و التجأ إليه، فلا يبايع و لا يشارى و لا يعامل حتى يخرج من الحرم، فيقام عليه الحد- فى قول ابن عباس و ابن عمر- و هو المروى عن أبى عبد اللّه و أبى جعفر (ع)
و أجمعت الصحابة على أن من كانت له جناية فى غيره ثم عاذ به أنه لا يؤاخذ بتلك الجناية فيه. و أجمعوا أيضاً أن من أصاب الحد فيه أنه يقام عليه الحد فيه. و إنما اختلفوا فيما به يخرج ليقام عليه الحد.
و روى عن أبى جعفر (ع) أنه قال: من دخله عارفاً بجميع ما أوجب اللَّه عليه، كان آمنا فى الآخرة من أليم العقاب الدائم.
و السبيل الذى يلزم بها الحج، قال ابن عباس، و ابن عمر: هى الزاد، و الراحلة.
و قال ابن الزبير، و الحسن: ما يبلغه كائناً ما كان. و فيه خلاف بين الفقهاء ذكرناه فى الخلاف. و عندنا هو وجود الزاد و الراحلة و نفقة من تلزمه نفقته و الرجوع إلى كفاية عند العود إما من مال أو ضياع أو عقار أو صناعة أو حرفة مع الصحة و السلامة و زوال الموانع و إمكان المسير.
و قوله: «و من كفر» معناه من جحد فرض الحج فلم يره واجباً فى قول التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ۵۳۸

ابن عباس، و الحسن، و الضحاك. فأما من تركه و هو يعتقد فرضه، فانه لا يكون كافراً و إن كان عاصياً. و فى الآية دلالة على فساد مذهب المجبرة إن الاستطاعة مع الفعل، لأن اللَّه تعالى أوجب الحج على المستطيع. و من لا يستطيع، فلا يجب عليه و ذلك لا يكون إلا قبل فعل الحج. و قال قوم: معنى «و من كفر» يعنى ترك الحج و السبب فى ذلك أنه لما نزل قوله: «وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً» «۱» قالت اليهود نحن المسلمون فأنزل اللَّه هذه الآية فأمرهم بالحج إن كانوا صادقين فامتنعوا، فقال اللَّه تعالى و من ترك من هؤلاء فهو كافر، و اللّه غنى عن العالمين.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۹۸] ..... ص : ۵۳۸

اشارة

قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلى ما تَعْمَلُونَ (۹۸)

آية.

المعنى: ..... ص : ۵۳۸

قوله: «يا أَهْلَ الْكِتابِ» خطاب لليهود و النصارى. و إنما أجرى عليهم أهل الكتاب مع أنهم لا يعملون به، و لم يجز ذلك فى أهل القرآن حتى يقال، فيمن لا يعمل بالقرآن أنه من أهل القرآن لأمرين:

أحدهما- أن القرآن اسم خاص لكتاب اللَّه، فأما الكتاب فيجوز أن يراد به يا أهل الكتاب المحرف عن جهته، و الآخر- الاحتجاج عليهم بالكتاب، لإقرارهم به، كأنه قيل يا من يقر بأنه من أهل كتاب اللَّه «لِمَ تَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ» و آيات اللّه المراد بها هاهنا معجزات نبينا محمد (ص) التى كانت له، و العلامات التى وافقت فى صفته، مما تقدمت به البشارة، و خاطبهم اللَّه فى هذه بأن قال له «قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ» على وجه التلطف فى استدعائهم إلى الحق، و توجيه الخطاب إليهم. و قال فى موضع آخر «يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَكْفُرُونَ» «۲» على وجه الاهانة

---

(۱) سورة آل عمران آية: ۸۵.

(۲) سورة آل عمران آية: ۷۰.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۲، ص: ۵۳۹

لهم لصدهم عن الحق بتوجيه الخطاب إلى غيرهم و إنما جاء لفظ التوبيخ فى الآية على لفظ الاستفهام، لأنه كسؤال التعجيز عن إقامة البرهان، فكذلك سؤال التوبيخ سؤال تعجيز عن إقامة العذر كأنه قيل: هات العذر فى ذلك إن أمكنك، كما قيل له هات البرهان إن كنت محقاً فى قولك و مذهبك.

اللغة: ..... ص : ۵۳۹

و أصل لم لما و حذفت الالف فى الاستفهام منها، و لم تحذف فى الخبر لأنها فى الاستفهام ظرف يقوى فيه التغيير قياساً على حروف الاعراب و نحوها، و أما الخبر فإنها تقع وسطاً إذا كانت موصولة، لأن تمامها أخر صلتها و الجزاء يجرى مجرى الصلة، لأن (ما) فيه عاملة.

قوله تعالى:[سورة آلعمران (۳): آية ۹۹] ..... ص : ۵۳۹

اشارة

قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَها عِوَجاً وَ أَنْتُمْ شُهَداءُ وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (۹۹)

آية بلا خلاف.

المعنى: ..... ص : ۵۳۹

قوله: «لم تصدون» معناه لم تمنعون، لأن الصد المنع. و قيل فى كيفية صدهم عن سبيل اللّه قولان:

أحدهما- أنهم كانوا يغزون بين الأوس، و الخزرج، بتذكيرهم الحروب التى كانت بينهم حتى تدخلهم العصبية و حمية الجاهلية فينسلخون عن الدين- هذا قول زيد بن اسلم- و قال الآية فى اليهود خاصة. و قال الحسن الآية فى اليهود و النصارى معاً و معناها لم تصدون بالتكذيب بالنبى (ص) و إن صفته ليست فى كتبهم و لا تقدمت البشارة به عندهم و قوله: «من آمن» موضعه النصب بأنه

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۴۰

مفعول تصدون. و قوله: «تَبْغُونَها عِوَجاً» الكناية راجعة إلى السبيل، و معناه تطلبون لها عوجا يعنى عدو لا عن طريق الحق، و هو الضلال كأنه قال تبغونها ضلالا.

اللغة: ..... ص : ۵۴۰

و العوج- بفتح العين، هو ميل كل شيء منتصب، نحو القناة و الحائط، و بكسر العين- إنما هو الميل عن الاستواء فى طريق الدين، و فى القول، و فى الأرض. و منه قوله: «لا تَرى فِيها عِوَجاً» «۱» و قال عبد بنى الحسحاس:

بغاك و ما تبغيه حتى وجدته كأنك قد واعدته أمس موعدا «۲»

أى طلبك و ما تطلبه هذا فى بغيت الحاجة فأما بغى عليه، فمعناه تطاول بظلمه له. و تقول: ابغنى كذا بكسر الهمزة أى أطلبه لى. و إذا قلت: أبغنى بفتح الهمزة، فمعناه أعنى على طلبه. و مثله احملنى و أحملنى و المسنى و ألمسنى. و احلب لى و احلبنى أى أعنى على الحلب. و أصل ذلك ابغ لى غير أنه حذفت اللام لكثرة الاستعمال.

المعنى: ..... ص : ۵۴۰

و قوله: «وَ أَنْتُمْ شُهَداءُ» قيل فيه قولان:

أحدهما- «أَنْتُمْ شُهَداءُ» على بطلان صدكم عن دين اللّه، و تكون الآية مختصة بقوم معاندين، لأنهم جحدوا ما علموه و يجوز أن تكون فى الجميع، لإقرارهم بأنه لا يجوز الصد عن دين اللّه، فلذلك صح ما ألزموا.

الثانى- «وَ أَنْتُمْ شُهَداءُ» أى عقلاء كما قال اللّه تعالى «أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ» «۳» أى و هو عاقل، و ذلك أنه يشهد الدليل الذى يميز به الحق من الباطل

---

(۱) سورة طه آية: ۱۰۷.

(۲) ديوانه: ۴۱ و روايته (الا) بدل (حتى) و قد ذكره ابن هشام فى المغنى ۱:

۱۱۱، و قال: الا بمعنى حتى.

(٣) سورة ق آية: ٣٧.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ۵۴۱

فيما يتعلق بالدين و يؤديه إليه.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (٣): آية ١٠٠] ..... ص : ۵۴۱

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ كافِرِينَ (١٠٠)

آية.

النزول: ..... ص : ۵۴۱

قال زيد بن أسلم و السدى أن هذه الآية نزلت فى الأوس و الخزرج لما أغزى قوم من اليهود بينهم ليفتنوهم عن دينهم.

اللغة، و الاعراب، و المعنى: ..... ص : ۵۴۱

و قوله: «إن تطيعوا» فالطاعة موافقة الارادة الجاذبة للفعل بالترغيب فيه، و الاجابة موافقة الارادة الداعية إلى الفعل و لذلك يجوز أن يكون اللَّه تعالى مجيباً للعبد إذا فعل ما دعا العبد به، و لم يجز أن يكون مطيعاً له. و (يا) حرف النداء و أى هو المنادى. و (ها) للتنبيه و هو اسم مبهم يحتاج أن يوصف بالواحد و الجميع لشدة إبهامه من حيث، لا يوقف عليه دون ما يوضحه. و لم يجز مثل ذلك فى هذا، و إن كان اسماً مبهما، لأنه يدخله التثنية، و الجمع، نحو هؤلاء و هذان و ليس كذلك أى.

فان قيل لم جاز صفة المبهم بالموصول و لم يجز بالمعطوف؟ قيل: لأن الموصول بمنزلة اسم واحد لنقصانه عن التمام إلا بصلته، فعومل لذلك معاملة المفرد، و ليس كذلك المعطوف، لأنه اسم تام، فلذلك لم يجز يا أيها الطويل و القصير على الصفة، و جاز يا أيها الذى أكرم زيداً على الصفة، و يجوز يا أيها الطويل و القصير على أن يكون القصير منادا أيضاً و يجوز أن تقول يا هذا و تقف عليه. و لا- يجوز أن تقول يا أيها و تقف، و إن كانا مبهمين لا يحتاجان إلى صلة، لأن أى و صلة إلى نداء التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ۵۴۲

ما فيه الألف و اللام، كما أن الذى وصلة إلى صفة المعرفة بالجملة، و لذلك جاز النصب فى يا هذا الكريم، و لم يجز فى يا أيها الكريم. و معنى الآية النهى عن طاعة الكفار و بيان أن من أطاعهم يدعوه ذلك إلى الارتداد عن دينه بعد أن كان مؤمناً و رجوعه كافراً.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (٣): آية ١٠١] ..... ص : ۵۴۲

اشارة

وَ كَيْفَ تَكْفُرُونَ وَ أَنْتُمْ تُتْلى عَلَيْكُمْ آياتُ اللَّهِ وَ فِيكُمْ رَسُولُهُ وَ مَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٠١)

آية.

النزول: ..... ص : ۵۴۲

روى عن ابن عباس أن سبب نزول هذه الآية أنه كانت بين الأوس، و الخزرج حرب فى الجاهلية كل شهر، فبينما هم جلوس إذ ذكروا ما كان بينهم حتى غضبوا، فقام بعضهم إلى بعض بالسلاح فنزلت هذه الآية و ما بعدها. و قال الحسن نزلت فى مشركى العرب.

المعنى و اللغة: ..... ص : ۵۴۲

«و كيف» موضوعة للاستفهام، و معناها هاهنا التعجب و إنما استعملت فى ذلك، لأنها طلب للجواب عما حمل على الفساد فيما لا يصح فيه الاعتذار. و التعجب هو حدوث إدراك ما لم يكن يقدر لخفاء سببه، و خروجه عن العادة فى مثله، و لذلك لم يجز فى صفة القديم، و لكن يجوز فى وصفه تعجيب العباد من بعض الأمور. و صيغة التعجب فى اللغة ما أفعله، و أفعل به إلا أنه قد يجىء كلام متضمن بمعنى التعجب، و إن لم يكن فى الأصل مما وضع له. و قوله: «وَ فِيكُمْ رَسُولُهُ» خطاب للذين عاصروه، فأما اليوم، فقد قال الزجاج: يجوز أن يقال: فينا رسول اللَّه، و يراد به أن أثاره قائمة فينا، و أعلامه ظاهرة، و ذلك بمنزلة لو كان التبيان فى تفسير القرآن، ج ۲، ص: ۵۴۳
موجوداً فينا. و قوله: «وَ مَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ» معناه يمتنع و العصم: المنع. تقول عصمه يعصمه عصماً، و منه قوله: «لا عاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ» «۱» أى لا مانع.
و العصم: الأوعال لامتناعها بالجبال. و المعصم لأنه يمتنع و العصام: الحبل، و السبب، لأنه يعتصم به.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۰۲] ..... ص : ۵۴۳

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَ لا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (۱۰۲)
آية بلا خلاف.

المعنى: ..... ص : ۵۴۳

ذكر ابن عباس و طاوس أن هذه الآية محكمة غير منسوخة. و قال قتادة، و الربيع، و السدى، و ابن زيد:
هى منسوخة بقوله. «فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ» «۲» و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه (ع)
لأنهم ذهبوا إلى أنه يدخل فيه القيام بالقسط فى حال الخوف، و الامن، و أنكر أبو على الجبائى نسخ الآية و ذلك، لأن من اتقى جميع معاصيه، فقد اتقى اللّه حق تقاته. و مثل هذا لا يجوز أن ينسخ، لأنه إباحة لبعض المعاصى. قال الرمانى: و الذى عندى أنه إذا وجه على «اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ» بأن تقوموا له بالحق فى الخوف و الامن لم يدخل عليه ما ذكره أبو على. و هذا صحيح، لأنه لا يمتنع أن يكون أوجب عليهم أن يتقوا اللَّه على كل حال ثم أباح ترك الواجب عند الخوف على النفس، كما قال «إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ» «۳» و أنكر البلخى أيضاً نسخ الآية و قال: لأن فى ذلك إيجاب الأمر بما لا يستطاع. قال الرمانى: و هذا أيضاً لا يلزم، لأن «ما استطعتم» إنما هو من غير تحمل مشقة بتحريم التقية.

(۱) سورة هود آية: ۴۳.

(۲) سورة التغابن آية: ۱۶. [.....]

(۳) سورة النحل آية: ۱۰۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۴۴

و قيل فى معنى قوله: «حق تقاته» قولان:

أحدهما- قال ابن مسعود، و الحسن، و قتادة:

إن يطاع فلا يعصى و يشكر فلا يكفر و يذكر فلا ينسى، و هو المروى عن أبى عبد اللَّه (ع).

و قال الجبائى:

هو أن يتقى جميع معاصيه. و ظاهر الآية يقتضى أنه خطاب للمؤمنين خاصة، و يجوز أن يحمل من جهة المعنى على جميع المكلفين على التغليب، لأنه معلوم أنه يجب عليهم من ذلك مثل ما يجب على المؤمنين من اتقاء جميع معاصى اللَّه.

اللغة: ..... ص : ۵۴۴

و قوله: «تقاته» هو من وقيت. قال الزجاج: يجوز فيه ثلاثة أوجه تقاة و وقاة و اقاة و حمله على قياس وجوه و أجوه و إن كان هذا المثال لم يجىء منه شىء على الأصل نحو تخمة و تكأة و نقاة غير أنه حمله على الأكثر من نظائره و جعل اختصاص هذا البناء فى الاستعمال، لا يمنع من حمله على نظيره فى القياس، لأن بإزاء قوة الاستعمال قوة النظير فى الباب.

المعنى، و اللغة: ..... ص : ۵۴۴

و قوله: «وَ لا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» معناه لا تتركوا الإسلام و إنما قال: «فلا تموتن» بلفظ النهى عن الموت من حيث أن الموت لا بد منه، فكأنه قال كونوا على الإسلام، فإذا ورد عليكم الموت صادفكم على الإسلام، فالنهى فى الحقيقة عن ترك الإسلام، لئلا يهلكوا بالاقتطاع عن التمكين منه بالموت إلا أنه وضع كلام موضع كلام على جهة تصرف الابدال، لحسن الاستعارة، و زوال اللبس، لأنه لما كان يمكنهم أن يفارقوه بالإسلام فترك الإسلام صار بمنزلة ما قد دخل فى إمكانهم. و مثله قولهم لا أراك هاهنا أى لا تكونن هاهنا، فان من كان هاهنا رأيته إلا أن هذا خرج مخرج النهى لغير المنهى عنه فتباعد عن الأصل، فالأول أحسن لأنه أعدل.

و روى عن أبى عبد اللَّه (ع) «و أنتم مسلمون» التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۴۵

بالتشديد، و معناه إلا و أنتم مستسلمون لما أتى به النبى (ص) و منقادون له.

قوله تعالى:[سورة آلعمران (۳): آية ۱۰۳] ..... ص : ۵۴۵

اشارة

وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَ لا تَفَرَّقُوا وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً وَ كُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (۱۰۳)

آية.

المعنى، و اللغة، و الاعراب: ..... ص : ۵۴۵

و معنى قوله: «و اعتصموا» امتنعوا بحبل اللَّه و استمسكوا به أى بعهد اللَّه، لأنه سبب النجاة كالحبل الذى يتمسك به للنجاة من بئر أو نحوها. و منه الحبل الأمان، لأنه سبب النجاة. و منه قوله: «إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَ حَبْلٍ مِنَ النَّاسِ» «۱» و معناه بأمان، قال الأعشى:

و إذا تجوزها حبال قبيلة أخذت من الأخرى إليك حبالها «۲»

و منه الحبل الحمل فى البطن و أصله الحبل المفتول قال ذو الرمة:

هل حبل خرقاء بعد اليوم مرموم أم هل لها آخر الأيام تكليم

و فى معنى قوله: «بحبل الله» قولان

قال أبو سعيد الخدرى عن النبى (ص) أنه كتاب اللَّه.

و به قال ابن مسعود، و قتادة و السدى. و قال ابن زيد «حبل الله» دين اللَّه أى دين الإسلام. و قوله: «جميعاً» منصوب على الحال. و المعنى اعتصموا بحبل اللَّه مجتمعين على الاعتصام به. و قوله: «وَ لا تَفَرَّقُوا» أصله و لا تتفرقوا،

---

(۱) سورة آل عمران آية: ۱۱۲.

(۲) ديوانه: ۲۴ رقم القصيدة ۳ فى المطبوعة (أجوزها) بدل (تجوزها) و هو أيضاً فى اللسان (حبل) و مشكل القرآن: ۳۵۸ و غيرها كما أثبتناه. و البيت من قصيدته فى قيس ابن معديكرب. يصف ناقة يقول: لا تحتاج الى حث بل هى سريعة الجرى عارفة طرق الق بائل.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۴۶

فحذفت احدى التائين، لاجتماع المثلين. و المحذوفة الثانية، لأن الأولى علامة الاستقبال، و هو مجزوم بالنهى و علامة الجزم سقوط النون. و قال ابن مسعود و قتادة: معناه و لا تفرقوا عن دين اللَّه الذى أمر فيه بلزوم الجماعة و الائتلاف على الطاعة. و قال الحسن: معناه و لا تفرقوا عن رسول اللَّه (ص). و قوله: «وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً» معناه ما كان بين الأوس و الخزرج من الحروب التى تطاولت مائة و عشرين سنة إلى أن ألف بين قلوبهم بالإسلام، و زالت تلك الأحقاد، هذا قول ابن إسحاق. و قال الحسن: هو ما كان من مشركى العرب من الطوائل.

و قوله: «وَ كُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ» معنى الشفا الحرف، لأن شفا الشيء حرفه، و يثنى شفوان، لأنه من الواو، و جمعه إشفاء. و لا يجوز فيه الامالة. و إنما قال: «فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها» و إن لم يكونوا فيها، لأنهم كانوا بمنزلة من هو فيها من حيث كانوا مستحقين لدخولها. و إنما أنقذهم النبى (ص) بدعائهم إلى الإسلام، و دخولهم فيه، فصاروا بمنزلة الخارج منها.

و أصل الأخ أن الأخ مقصده مقصد أخيه، و كذلك فى الصداقة أن تكون إرادة كل واحد منهما موافقة للاخر يقولون: يتوخى فلان شأن فلان أى يقصده فى سيره، و يقولون: خذ على هذا الوخى أى على هذا القصد. و قوله: «كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ» الكاف فى موضع نصب، و المعنى مثل البيان الذى تلى عليكم «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» معناه لتهتدوا و تكونوا على رجاء هداية.

و الهاء فى قوله فأنقذكم منها كناية عن الحفرة فترك شفا، وردت الكناية على الحفرة. و مثل ذلك قول العجاج.

طول الليالى أسرعت فى نقضى طوين طولى و طوين عرضى

فترك الطول و أخبر عن الليالى. فان قالوا إذا كان اللَّه هو الذى ألف بين قلوبهم و أنقذهم من النار، فقد صح أن أفعال الخلق فعل له و خلق من خلقه؟

قيل: لا يجب ذلك، لأنا نقول أن النبى (ص) ألف بين قلوب العرب و أنقذهم من التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۴۷

النار، و لا يجب من ذلك أن تكون أفعالهم أفعالا للنبى (ص)، و لا مشاركا لهم.

و معنى ألف بين قلوبهم و أنقذهم من النار أنه دعاهم إلى الايمان و بين لهم و هداهم، و رغبهم و حذرهم، فلما كان إسلامهم و نجاتهم بمعونته و دعائه، كان هو المؤلف لقلوبهم، و المنقذ لهم من النار على هذا المعنى، لا أنه صنع أفعالهم، و أحدثها.

فان قیل: فقد فعل اللّه مثل ذلک بالکافرین هلا قلتم أنه ألف بینهم؟ قلنا: لا نقول ذلک و إن کان فعل بهم فی الابتداء مثل الذی فعل بالمؤمن، لأنه لم یوجد منهم إیمان، فلا یجوز إطلاق ذلک علیهم، و لما وجد من المؤمن ذلک جاز إضافة ذلک إلی اللَّه تعالی و جری ذلک مجری قوله «هدی للمتقین» أنه أضیف إلی المتقین من حیث اهتدوا به. و ان کان هدایة للکافرین أیضاً. و یجوز أن یقال: ألف اللَّه بین الکفار، فلم یأتلفوا و انقذهم، فلم یستنقذوا، فیقید ذلک، کما قال: «وَ أَمَّا ثَمُودُ، فَهَدَیْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمی عَلَی الْهُدی «۱» و لا یجوز أن یقال: هدی اللَّه ثمود و یسکت. و مثل ذلک لو أن إنساناً اعطی ولدین له مالا و أمرهما بالتجارة و بین لهما وجوه المکاسب فکسب أحدهما مالا و استغنی، وضیع الآخر، فافتقر جاز أن یقال أن فلاناً أغنی ولده الغنی، و لا یجوز أن یقال اغنی ولده الفقیر علی أنا لا نقول ان اللَّه تعالی فعل بالکافر جمیع ما فعل بالمؤمن، لأن الذی سوی بینهما ما یتعلق بازاحة العلة فی التکلیف من الاقدار و الاعلام و الدلالة، و ما به یتمکن من فعل الایمان، فأما الالطاف التی یفعلها اللَّه بالمؤمن بعد إیمانه التی علمها له بعد الایمان و لم یعلمها للکافر، فلا نقول أنه فعل بالکافر مثلها، و لا یمتنع أن تکون هذه الزیادة من الالطاف مشروطة بحال الایمان، فالإطلاق لا یصح علی کل حال.

قوله تعالی:[سورة آلعمران (۳): آیة ۱۰۴] ..... ص : ۵۴۷

اشارة

وَ لْتَکُنْ مِنْکُمْ أُمَّةٌ یَدْعُونَ إِلَی الْخَیْرِ وَ یَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ یَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْکَرِ وَ أُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (۱۰۴)

---

(۱) سورة حم السجدة آیة: ۱۷.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۵۴۸

آیة.

الاعراب، و المعنی: ..... ص : ۵۴۸

قوله: «و لتکن» أمر و اللام لام الأمر و إنما سکنت مع الواو و لم یکن لام الاضافة لأن تسکین لام الامر یؤذن بعملها أنه الجزم، و لیس کذلک لام الاضافة.

و لم یسکن مع ثم، لأن ثم بمنزلة کلمة منفصلة. و قوله: «منکم أمة» «من» هاهنا للتبعیض علی قول أکثر المفسرین، لأن الأمر بإنکار المنکر، و الامر بالمعروف متوجه إلی فرقة منهم غیر معینة، لأنه فرض علی الکفایة فأی فرقة قامت به سقط عن الباقین. و قال الزجاج التقدیر «و لیکن» جمیعکم و (من) دخلت لتخص المخاطبین من بین سائر الأجناس، کما قال: «فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ» «۱» و قال الشاعر:

أخو رغائب یعطیها و یسلبها یأبی الظلامة منه النوفل الزفر «۲»

لأنه وصفه بإعطاء الرغائب، و النوفل الکثیر الإعطاء للنوافل. و الزفر: الذی یحمل الأثقال، فعلی هذا الأمر بالمعروف، و النهی عن المنکر من فرض الأعیان لا یسقط بقیام البعض عن الباقین. و هو الذی اختاره الزجاج، و به قال الجبائی، و اختاره.

اللغة: ..... ص : ۵۴۸

و الأمة فى اللغة تقسم خمسة أقسام:

أحدها- الجماعة. و الثانى- القامة. و الثالث- الاستقامة. و الرابع- النعمة و الخامس القدوة. و الأصل فى ذلك كله القصد من قولهم: أمه يؤمه. أماً إذا

---

(۱) سورة الحج آية: ۳۰.

(۲) قائله أعشى باهلة اللسان (زفر) و أمالى الشريف المرتضى ۲: ۲۱ و هو من قصيدة من المراثى المفضلة المشهورة بالبلاغة و البراعة و روايته (يسألها) بدل (يسلبها).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۴۹

قصده، فالجماعة سميت أمة لاجتماعها على مقصد واحد. و الأمة: القدوة، لأنه تأتم به الجماعة. و الأمة النعمة، لأنها المقصد الذى هو البغية. و الامة القامة، لاستمرارها فى العلو على مقصد واحد. و المعروف هو الفعل الحسن الذى له صفة زائدة على حسنه. و ربما كان واجباً أو ندباً، فان كان واجباً فالأمر به واجب.

و ان كان ندباً فالأمر به ندب. و المنكر هو القبيح فالنهى عنه كله واجب.

و الإنكار هو إظهار كراهة الشىء لما فيه من وجه القبح، و نقيضه الإقرار و هو إظهار تقبل الشىء من حيث هو صواب حسن.

المعنى: ..... ص : ۵۴۹

و الامر بالمعروف و النهى عن المنكر واجبان بلا خلاف و أكثر المتكلمين يذهبون إلى أنه من فروض الكفايات. و منهم من قال من فروض الأعيان، و هو الصحيح على ما بيناه. و اختلفوا، فقال جماعة ان طريق وجوب انكار المنكر العقل، لأنه كما تجب كراهته وجب المنع منه إذا لم يمكن قيام الدلالة على الكراهة.

و إلا كان تاركه بمنزلة الراضى به. و قال آخرون و هو الصحيح عندنا: إن طريق، وجوبه السمع و أجمعت الأمة على ذلك، و يكفى المكلف الدلالة على كراهته من جهة الخير و ما جرى مجراه و قد استوفينا ما يتعلق بذلك فى شرح جمل العلم.

فان قيل هل يجب فى إنكار المنكر حمل السلاح؟ قلنا: نعم إذا احتيج إليه بحسب الإمكان، لأن اللَّه تعالى قد أمر به، فإذا لم ينجح فيه الوعظ و التخويف، و لا التناول باليد وجب حمل السلاح، لأن الفريضة لا تسقط مع الإمكان إلا بزوال المنكر الذى لزم به الجهاد إلا أنه لا يجوز أن يقصد القتال إلا و غرضه إنكار المنكر.

و أكثر أصحابنا على أن هذا النوع من إنكار المنكر لا يجوز الاقدام عليه إلا بإذن سلطان الوقت. و من خالفنا جوز ذلك من غير الاذن مثل الدفاع عن النفس سواء. و قال البلخى: إنما يجوز لسائر الناس ذلك إذا لم يكن إمام، و لا من نصبه، فأما مع وجوده، فلا ينبغى، لأحد أن يفعل ذلك إلا عند الضرورة. و قوله: التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۵۰

«وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» معناه هم الفائزون بثواب اللَّه، و الخلاص من عقابه.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۰۵] ..... ص : ۵۵۰

اشارة

وَ لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَ اخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْبَيِّناتُ وَ أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ (۱۰۵)

آية.

المعنى: ..... ص : ۵۵۰

قال الحسن، و الربيع: المعنى بهذا التفرق فى الآية اليهود و النصارى، فكأنه قال يا أيها المؤمنون «لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا» يعنى اليهود و النصارى. و قوله:

«مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْبَيِّناتُ» معناه من بعد ما نصبت لهم الادلة و لا يدل ذلك على عناد الجميع، لأن قيام البينات إنما يعلم بها الحق إذا نظر فيها و استدل بها على الحق، فان قيل إذا كان التفرق فى الدين هو الاختلاف فيه، فلم ذكر الوصفان؟ قلنا: لأن معنى «تفرقوا» يعنى بالعداوة و اختلفوا فى الديانة، فمعنى الصفة الأولى مخالف لمعنى الصفة الثانية، و فيمن نفى القياس، و الاجتهاد من استدل بهذه الآية على المنع من الاختلاف جملة فى الأصول و الفروع، و اعترض من خالف فى ذلك بأن قال لا يدل ذلك على فساد الاختلاف فى مسائل الاجتهاد، كما لا يدل على فساد الاختلاف فى المسائل المنصوص عليها، كاختلاف حكم المسافر و المقيم فى الصلاة و الصيام، و غير ذلك من الأحكام، لأن جميعه مدلول على صحته إما بالنص عليه و إما بالرضى به، و هذا ليس بشيء، لأن لمن خالف فى ذلك أن يقول: الظاهر يمنع من الاختلاف على كل حال إلا ما أخرجه الدليل، و ما ذكره أخرجناه بالإجماع فالاجود فى الطعن أن يقال: و قد دل الدليل على وجوب التعبد بالقياس و الاجتهاد! قلنا: إن يخص ذلك أيضاً و يصير الكلام فى صحة ذلك أو فساده، فالاستدلال بالآية إذاً صحيح على نفى الاجتهاد. و قوله: «جاءَهُمُ الْبَيِّناتُ» إنما حذفت منه علامة التأنيث إذا تقدم، فكذلك لا يلحقه علامة التأنيث لشبهها علامة التثنية و الجمع.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۵۱

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۰۶] ..... ص : ۵۵۱

اشارة

يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (۱۰۶)

آية بلا خلاف.

الاعراب: ..... ص : ۵۵۱

العامل فى قوله: «يوم» قوله «عظيم» و تقديره عظيم عذابهم يوم تبيض وجوه. و لا يجوز أن يكون العامل فيه عذاب موصول، قد فصلت صفته بينه، و بين معموله، لكن يجوز أن تعمل فيه الجملة، لأنها فى معنى يعذبون يوم تبيض وجوه، كما تقول المال لزيد الجمعة فالعامل الفعل و الجملة خلف منه.

المعنى: ..... ص : ۵۵۱

و المعنى بهذه الآية الذين كفروا بعد إيمانهم. و قيل فيهم أربعة أقوال:

أحدها- قال الحسن: الذين كفروا بعد اظهار الايمان بالنفاق.

الثاني- قال قتادة الذين كفروا بالارتداد.

الثالث- قال أبي بن كعب: إنهم جميع الكفار، لاعراضهم عما يوجبه الإقرار بالتوحيد حين أشهدهم اللّه على أنفسهم أ لست بربكم

قالوا بلى شهدنا.

الرابع- ذكره الزجاج و أبو على الجبائى. الذين كفروا من أهل الكتاب بالنبى (ص) بعد إيمانهم به أى بنعته و صفته قبل مبعثه، و هذا الوجه، و الوجه الأول يليق بمذهبنا فى الموافاة، فأما الارتداد عن الايمان الحقيقى، فلا يجوز عندنا على ما مضى فى غير موضع.

فان قيل إذا كان «الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ» كفاراً «وَ أَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ» مؤمنين هلَّا دل ذلك على أنه لا واسطة بين الكفر، و الايمان من التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۵۲

الفسق؟ قلنا: لا يجب ذلك، لأن ذكر اسوداد الوجوه و ابيضاضها لا يمنع أن يكون هناك وجوه أخر مغبرة أو نحوها من الألوان أو يكون أدخلوا فى جملة الكفار الذين اسودت وجوههم على التغليب لأعظم الصفتين كما يغلب المذكر على المؤنث، و ليس ذكر اليوم بأنه تسود فيه وجوه و تبيض وجوه بمانع من أن يكون فيه وجوه عليها الغبرة، كما أن القائل إذا قال هذا يوم يعفو فيه السلطان عن قوم و يعاقب فيه قوماً لا يدل على أنه ليس هناك من لا يستحق واحداً من الأمرين على أن الآية تدل على أن «الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ» هم المرتدون، لأنه قال «أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ» و ليس كل الكفار هذه صورتهم، جاز لنا إثبات فاسقين مثل ذلك، و ليس قوله: «يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ» يجرى مجرى قوله:

«وَ إِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا» «۱» لأن ذاك إنما ذكر على وجه المثل، كأنه قال حال الذى يبشر بالأنثى بمنزلة حالة من اسود وجهه، لما حدث فيه من التغير: و إن لم يسود فى الحقيقة. و عرفنا عن ذلك دليل، و ليس فى هذه الآية ما يدلنا على العدول عن ظاهرها.

و جواب أما فى قوله: «فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ» محذوف و تقديره «فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ» فيقال لهم «أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ» فحذف لدلالة اسوداد الوجوه على حال التوبيخ حتى كأنه ناطق به، و قد يحذف القول فى مواضع كثيرة استغناء بما قبله من البيان، كقوله: «وَ لَوْ تَرى إِذِ الْمُجْرِمُونَ ناكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنا أَبْصَرْنا وَ سَمِعْنا فَارْجِعْنا» «۲» أى يقولون ربنا لدلالة تنكيس الرأس من المجرم على سؤال الاقالة. و قيل فى قوله تعالى «وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْماعِيلُ رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا» «۳» معناه يقول «رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا» و مثله «وَ الْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ» «۴» أى يقولون «سلام عليكم» و نظائر ذلك كثيرة جداً.

---

(۱) سورة النحل آية: ۶۸.

(۲) سورة الم السجدة آية: ۱۲.

(۳) سورة البقرة آية: ۱۲۷.

(۴) سورة الرعد آية: ۲۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۵۳

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۰۷] ..... ص : ۵۵۳

وَ أَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَتِ اللَّهِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (۱۰۷)

إن قيل: لم ذكر تعالى حال الكافرين و حال المؤمنين و لم يذكر حال الفاسقين؟

قلنا: ليقابل اسوداد الوجوه لابيضاض الوجوه بالعلامتين، و حال الفاسقين موقوفة على دلالة أخرى و آية أخرى. و قوله: «فَفِي رَحْمَتِ اللَّهِ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- انهم فى ثواب اللَّه و ان الرحمة هى الثواب.

و الثانى- انهم فى ثواب رحمة اللَّه، فحذف، كما قال: (وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ) «۱» ذكره الزجاج. و الاول أجود، لأن الرحمة هاهنا هى الثواب

و إذا صح حمل الكلام على ظاهره من غير حذف كان أولى من تقدير محذوف منه من غير ضرورة. و الآية تدل على أن ثواب اللَّه تفضل، لأن رحمة اللَّه إنما هى نعمته، و كل نعمة فانه يستحق بها الشكر، و كل نعمة تفضل، و لو لم تكن تفضلا لم تكن نعمة. و قيل فى وجه كونه تفضلا قولان:

أحدهما- إنما كان تفضلا، لأن السبب الذى هو التكليف تفضل.

و الثانى- إنه تفضل لأنه بمنزلة إيجاز الوعد فى أنه تفضل مستحق، لأن المبتدئ به قد كان له أن لا يفعله، فلما فعله وجب عليه الوفاء به، لأنه لا يجوز الخلف، و هو مع ذلك تفضلا، لأنه جر إليه تفضل، و اختار الرمانى هذا الوجه.

و إنما كرر الظرف فى قوله: «فَفِي رَحْمَتِ اللَّهِ هُمْ فِيها خالِدُونَ» لأمرين:

أحدهما- للتأكيد، و الثانى- للبيان عن صحة الصفتين أنهم فى رحمة اللَّه، و انهم فيها خالدون، و كل واحدة قائمة بنفسها.

---

(۱) سورة الصافات آية: ۷.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۵۴

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۰۸] ..... ص : ۵۵۴

اشارة

تِلْكَ آياتُ اللَّهِ نَتْلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَ مَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعالَمِينَ (۱۰۸)

آية بلا خلاف.

المعنى: ..... ص : ۵۵۴

قال الفراء معنى «تِلْكَ آياتُ اللَّهِ نَتْلُوها عَلَيْكَ» أى مواعظه و حججه و معنى «نتلوها» أى نقرأها عليك. و الفرق بين تلك، و هذه أن تلك إشارة إلى ما هو بعيد فجازت الاشارة بها إليه لانقضاء الآية و صلح هذه لقربها فى التلاوة، و لو كانت بعيدة لم يصلح أحدهما مكان الآخر. و انما قال «آياتُ اللَّهِ نَتْلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ» فقيده (بالحق)، لأنه لما حقق الوعيد بأنه واقع لا محالة نفى عنه حال الظلم كعادة أهل الخير، ليكون الإنسان على بصيرة فى سلوك الضلالة مع الهلاك أو الهدى مع النجاة، و معنى «نَتْلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ» أى معاملتى حق، و يحتمل أن يكون المراد «نتلوها» المعنى الحق، لأن معنى التلاوة حق من حيث يتعلق معتقدها بالشيء على ما هو به.

اللغة، و المعنى: ..... ص : ۵۵۴

و الفرق بين تلوت عليه، و تلوت لديه أن عليه يدل على إقرار التلاوة، لأن معنى عليه استعلاء الشيء، فهى تنبئ عن استعلائه بالظهور للنفس، كما يظهر لها بعلو الصوت و ليس كذلك لديه، لأن معناه عنده. و فى الآية دلالة على فساد قول المجبرة: أن اللَّه تعالى يريد الظلم، لأنه لو أراد ظلم بعضهم لبعض، لكان قد أراد ظلمهم و كذلك لو أراد ظلم الإنسان لغيره، لجاز أن يريد أن يظلمه هو، لأنه لا فرق بينهما فى القبح، و يدل أيضاً على أنه لا يفعل ظلمهم، لأنه لا يفعل ما لا يريده. التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۵۵

و قوله: «وَ مَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعالَمِينَ» فيه نفى لإرادة ظلمهم على كل حال بخلاف ما يقولونه.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۰۹] ..... ص : ۵۵۵

اشارة

وَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (١٠٩)

آية.

النظم: ..... ص : ۵۵۵

وجه اتصال هـذه الآيـة بما قبلها، وجه اتصال الـدليل بالمـدلول عليه، لأنه لما قال: «وَ مَا اللَّهُ يُرِيـدُ ظُلْماً لِلْعالَمِينَ» وصـله بذكر غناه عن الظلم إذ الغنى عنه العالم بقبحه، و معناه لا يجوز وقوعه منه.

المعنى: ..... ص : ۵۵۵

و قوله: «وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ» لا يدل على أن الأمور كانت ذاهبة عنه، لأمرين:

أحدهما- لأنها بمنزلة الذاهبة بهلاكها و فنائها ثم إعادتها، لأنه تعالى يعيدها للجزاء على الاعمال و العوض على الآلام.

و الثاني- لأنه قد ملك العباد كثيراً من التدبير فى الدنيا فيزول جميع ذلك فى الآخرة و يرجع إليه كله. و قوله: «وَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ» معنـاه و للّه ملـك ما فى السـماوات. و الملك: هو ما له أن يتصـرف فيه. و لا يجوز أن يقول مكان ذلك و للّه خلق ما فى السـماوات، لأن ذلك يدخل فيه معاصى العباد، و اللّه تعالى منزه عنها و الآية خرجت مخرج التعظيم للّه تعالى، و ذكر عظيم المدح.

و فى وقوع المظهر بموقع المضمر فى قوله: (وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) فيه قولان: التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۵۶

أحدهما- ليكون كل واحد من الكلامين مكتفياً بنفسه.

و الثاني- لأن المظهر فى اسم اللّه تعالى أفخم فى الذكر من المضمر و صفة ملكه موضع تفخيم، و ليس كقول الشاعر «۱»

لا أرى الموت يسبق الموت شيء لغص الموت ذا الغنى و الفقيرا «۲»

لأن البيت مفتقر إلى الضـمير و الآيـة مسـتغنية عنه و إنما احتاج البيت إليه، لأن الخبر الـذى هو جملـة لا يتصل بالمخبر عنه إلا بضـمير يعود إليه. (و ما) تقع على ما يعقل و ما لا يعقل إذا ذهب به مـذهب الجنس، فما يعقل داخل فيه حقيقـة و لو قال بدلا منه و للّه من فى السماوات بلفظة (من) لما دخل فيه إلا العقلاء أو الكل على جهة التغليب دون الحقيقة.

قوله تعالى:[سورة آلعمران (٣): آية ١١٠] ..... ص : ۵۵۶

اشارة

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَـأْمُرُونَ بِـالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ تُؤْمِنُـونَ بِـاللَّهِ وَ لَـوْ آمَنَ أَهْـلُ الْكِتـابِ لَكـانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَ أَكْثَرُهُمُ الْفاسِقُونَ (١١٠)

آية واحدة.

النظم: ..... ص : ۵۵۶

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها اتصال المدح على الفعل الذى تقدم به الأمر، لأنه قد تقدم إيجاب الأمر بالمعروف، و النهى عن المنكر

ثم مدح على قبوله و التمسك به، و يجوز أيضاً أن يكون اتصال التعظيم للَّه تعالى بمدح المطيعين له فى الأشياء التى بينت، لأنهم بلطف اللَّه تعالى أطاعوا.

---

(۱) هو عدى بن زيد. و قيل انه ينسب الى ولده سوادة بن عدى. و نسبه بعضهم لاميه بن أبى الصلت.

(۲) حماسة البحترى: ۹۸ و شعراء الجاهلية: ۴۶۸، و سيبويه ۱: ۳۰ و خزانة الأدب ۱: ۱۸۳، ۳: ۵۳۴، ۴: ۵۵۲ و أمالى بن الشجرى ۱: ۲۴۳، ۲۸۸ و شرح شواهد المغنى: ۲۹ و هو من أبيات متفرقة فى هذه الكتب و غيرها من الحكم فى التأمل فى الحياة و الموت.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۵۷

المعنى: ..... ص : ۵۵۷

و قوله: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ» إنما لم يقل أنتم لأحد أمور:

أحدها- قال الحسن أن ذلك لما قد كان فى الكتب المتقدمة ما يسمع من الخير فى هذه الأمة من جهة البشارة. و قال نحن آخرها و أكرمها على اللَّه. و كذلك

روى عن النبى (ص) أنه قال «أنتم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها و أكرمها على الله» فهو موافق لمعنى أنتم خير أمة

إلا أنه ذكر «كنتم» لتقدم البشارة به، و يكون التقدير «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ» فى الكتب الماضية فحققوا ذلك بالافعال الجميلة.

الثانى- أن كان زائدة و دخولها و خروجها بمعنى، إلا أن فيها تأكيد وقوع الأمر لا محالة، لأنه بمنزلة ما قد كان فى الحقيقة، كما قال «وَ اذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ» «۱» و فى موضع آخر «وَ اذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ» «۲» و نظيره قوله: «وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً» لأن مغفرته المستأنفة كالماضية فى تحقيق الوقوع لا محالة.

الثالث- أن (كان) تامة هاهنا و معناه حدثتم خير أمة و يكون خير أمة نصباً على الحال.

و الرابع- «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ» فى اللوح المحفوظ.

و الخامس- كنتم مذ أنتم ليدل على أنهم كذلك مذ أول أمرهم. و اختلف المفسرون فى المعنى بقوله: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ» فقال قوم: هم الذين هاجروا مع النبى (ص) ذكره ابن عباس، و عمر بن الخطاب، و السدى. و قال عكرمة: نزلت فى ابن مسعود، و سالم مولى أبى حذيفة و أبى بن كعب، و معاذ بن جبل. و قال الضحاك: هم أصحاب رسول اللَّه (ص) خاصة. و قال مجاهد معناه «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ» إذا فعلتم، ما تضمنته الآية من الأمر بالمعروف، و النهى عن المنكر.

و الايمان باللَّه و العمل بما أوجبه. و قال الربيع: معناه «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ»، لأنه لم

---

(۱) سورة الانفال آية: ۲۶. [.....]

(۲) سورة الاعراف آية: ۸۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۵۸

يكن أمة أكثر استجابة فى الإسلام، من هذه الأمة. فان قيل: لم قيل للحسن معروف مع أن القبيح أيضاً يعرف أنه قبيح، و لا يجوز أن يطلق عليه اسم معروف؟ قلنا: لأن القبيح بمنزلة ما لا يعرف لخموله و سقوطه. و الحسن بمنزلة النبيه الذى يعرف بجلالته و علو قدره. و يعرف أيضاً بالملابسة الظاهرة و المشاهدة فأما القبيح، فلا يستحق هذه المنزلة. و قوله: (وَ لَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتابِ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ) معناه لو صدقوا بالنبى (ص) و قوله: «منهم المؤمنون» يعنى معترفون بما دلت عليه كتبهم فى صفة نبينا (ص)، و البشارة به. و قيل: إنها تناولت من آمن منهم كعبد اللَّه بن سلام، و أخيه، و غيرهما. و قوله: «وَ أَكْثَرُهُمُ الْفاسِقُونَ» يعنى من لم يؤمن منهم، و إنما وصفهم

بالفسق دون الكفر الذى هو أعظم، لأن الغرض الاشعار بأنهم خرجوا بالفسق عما يوجبه كتابهم من الإقرار بالحق فى نبوة النبى (ص). و أصل الفسق الخروج. و وجه آخر و هو أنهم فى الكفار بمنزلة الفساق فى العصاة بخروجهم إلى الحال الفاحشة التى هى أشنع و أفظع من حال من لم يقدم إليه ذكر فيه، و ليس فى الآية ما يدل على أن الإجماع حجة على ما بيناه فى أصول الفقه. و تلخيص الشافى، و جملته أن هذا الخطاب لا يجوز أن يكون المراد به جميع الأمة، لأن أكثرها بخلاف هذه الصفة بل فيها من يأمر بالمنكر و ينهى عن المعروف. و متى كان المراد بها بعض الأمة، فنحن نقول ان فى الامة من هذه صفته، و هو من دل الدليل على عصمته، فمن أين لو أنا، فرضنا فقدهم، لكان إجماعهم حجة و استوفينا هناك ما تقتضيه الأسئلة و الجوابات، فلا نطول بذكره هاهنا.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۱۱] ..... ص : ۵۵۸

اشارة

لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً وَ إِنْ يُقاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ (۱۱۱)
آية.

النظم: ..... ص : ۵۵۸

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها اتصال البشارة بالغلبة بما تقدم من الامر التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۵۹
بالمحاربة، لأنه قد تقدم الأمر بإنكار المنكر، فالفريضة اللازمة إذ لم تترك إلا بالمحاربة.

المعنى، و الاعراب: ..... ص : ۵۵۹

و الأذى المذكور فى الآية هو أن يسمعوا منهم كذباً على اللَّه يدعونهم به إلى الضلالة فى قول الحسن، و قتادة يقول أهل الحجاز آذيتنى إذا أسمعته كلاماً يثقل عليه. و قال البلخى، و الطبرى الاستثناء منقطع هاهنا، لأن الأذى ليس من الضرر فى شيء، و هذا ليس بصحيح، لأنه إذا أمكن حمله على الاستثناء الحقيقى لم يجز حمله على المنقطع. و المعنى فى الآية لن يضروكم إلا ضرراً يسيراً، فالأذى وقع موقع المصدر الأول. و إذا كان الأذى ضرراً فالاستثناء متصل. و المنقطع لا يكون فيه الثانى مخصصاً للأول، كقولك ما فى الدار أحد إلا حماراً، و كقولك ما زاد إلا ما نقص و ما نفع إلا ما ضر. و قوله: «وَ إِنْ يُقاتِلُوكُمْ» جزم، لأنه شرط «و يولوكم» جزم لأنه جزاء. و قوله: «ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ» رفع على الاستئناف، و لم يعطف ليجرى الثانى على مثال الأول، لأن سبب التولية القتال. و ليس كذلك منع النصر، لأن سببه الكفر. و الرفع أشكل برءوس الآى المتقدمة، و هو مع ذلك عطف جملة على جملة و فى الآية دلالة على النبوة، لوقوع مخبرها على ما تضمنته قبل وقوع مخبرها، لأن يهود المدينة من بنى قريظة و بنى النضير، و بنى قينقاع و يهود خيبر الذين حاربوه (ص) و المسلمين ما قاتلوهم قط إلا ولوا الأدبار منهزمين.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۱۲] ..... ص : ۵۵۹

اشارة

ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ ما ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَ حَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَ باؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كانُوا يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذلِكَ بِما عَصَوْا وَ كانُوا يَعْتَدُونَ (۱۱۲)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۶۰

آيةٌ بلا خلاف.

المعنى، و اللغة، و الاعراب: ..... ص : ۵۶۰

قال الحسن: المعنى بقوله: «ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ» اليهود أذلهم اللّه عز و جل، فلا عز لهم و لا منعة، و أدركتهم هذه الأمة. و إن المجوس لتجبيهم الجزية «و ضربت» مأخوذ من الضرب، و إنما قيل ضربت، لأنها ثبتت عليهم كما ثبتت بالضرب كما أخذت منه الضريبة، لأنها تثبت على صاحبها كما تثبت الضرب. و قوله: «أَيْنَما ثُقِفُوا» أى أينما وجدوا، يقال: ثقفته أى وجدته، و لقيته. فان قيل: كيف جاز عقابهم على ما لم يفعلوه من قتل الأنبياء. و إنما فعله أسلافهم دونهم. قلنا:

عنه جوابان:

أحدهما- أنهم عوقبوا على رضاهم بذلك. و أجرى عليهم صفة القتل لعظم الجرم فى رضاهم به، فكأنهم، فعلوه على نحو «يُذَبِّحُ أَبْناءَهُمْ» و إنما أمر به.

و الثانى- أن تكون الصفة تعم الجميع، فيدخلوا فى الجملة و يجرى عليهم الوصف على التغليب كما يغلب المذكر على المؤنث إذا اجتمعا، فكذلك غلب القاتل على الراضى. و قوله: «إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ» فالحبل هو العهد من اللّه، و عهد من من الناس على وجه الذمة، و غيرها من وجوه الأمان فى قول ابن عباس، و الحسن و مجاهد، و قتادة، و السدى، و الربيع. و سمى العهد حبلا، لأنه يعقد به الأمان كما يعقد بالحبل من حيث يلزم به الشيء كما يلزم بالحبل. و قال الأعشى:

فإذا تجوزها حبال قبيلة أخذت من الأخرى اليك حبالها «۱»

و العامل فى الباء من قوله «إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ» يحتمل أن يكون العامل محذوفا و المعنى إلا أن تعتصموا بحبل من اللّه على قول الفراء و أنشد:

---

(۱) ديوانه: ۲۴ رقم القصيدة ۳ انظر ۲: ۵۴۵ من هذا الكتاب فثم تخريج البيت.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۶۱

رأتنى بحبليها فصدت مخافة و فى الحبل روعاء الفؤاد فروق «۱»

أراد رأتنى أقبلت بحبليها فحذف العامل فى الباء و قال آخر: «۲»

قريب الخطو يحسب من رآنى و لست مقيداً أنى بقيد «۳»

قال الرمانى، على بن عيسى ما ذكره الفراء ضعيف من وجهين:

أحدهما- حذف الموصول و ذلك لا يجوز عند البصريين فى شيء من الكلام لأنه إذا احتاج إلى صلة تبين عنه فالحاجة إلى البيان عنه بذكره أشد. و إنما يجوز حذف الشيء للاستغناء بدلالة غيره عليه، فلو دل دليل عليه لحذف مع صلته، لأنه معها بمنزلة شيء واحد. و الوجه الآخر أن الكلام إذا صح معناه من غير حذف لم يجز تأويله على الحذف. و قوله «إلا بحبل» قيل فى هذا الاستثناء قولان:

أحدهما- أنه منقطع، لأن الدلالة لازمة لهم على كل حال، فيجرى مجرى قوله: «وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً»» فعامل الاعراب موجود و المعنى على الانقطاع. و مثله «لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً وَ لا تَأْثِيماً إِلَّا قِيلًا سَلاماً» «۵»

---

(۱) قائله حميد بن ثور الهلالى ديوانه: ۳۵، و معانى القرآن للفراء ۱: ۲۳۰، و اللسان (تسع)، (فرق)، (حبل) و رواية الديوان:

فجئت بحبليها فردت مخافة الى النفس روعاء الجنان فروق

و رواية اللسان مختلفة ففى مادة (حبل) مثل التبيان و فى مادة (فرق):

رأتنى مجليها فصدت مخافة و فى الخيل روعاء الفؤاد فروق

و فى مادة (نسع):

رأتنى بنسعيها فردت مخافتى الى الصدر روعاء الفؤاد فروق

(٢) هو أبو الطمحان القينى، حنظلة بن الشرقى من بنى كنانة بن القين و هو أحد المعمرين. و قيل انه لعدى بن زيد. و قيل للمسحاج بن سباع الضبى.

(٣) كتاب المعمرين: ۵۷ و معانى القرآن للفراء ١: ٢٣٠، و الاغانى طبعة دار الثقافة- بيروت- ٢: ٣١٣، ٣١، و طبعة ليدن ١٢: ٣۴٧ و حماسة البحترى: ٢٠٢ و امالى القالى ١: ١١٠ و أمالى الشريف المرتضى ١: ۴۶، ٢۵٧ و اللسان (ختل) و غيرها كثير.

(۴) سورة النساء آية: ٩١.

(۵) سورة الواقعة آية: ٢۵. و كان فى المطبوعة (لا يسمعون فيها لغواً الا قيلا سلاماً) و الآيات التى يحتمل أن يستشهد بها الشيخ اثنتان الاولى هى التى أثبتناها، و الثانية فى سورة مريم آية: ۶٢ و هى (لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً إِلَّا سَلاماً). و لا يوجد فى القرآن آية مطابقة لما فى المطبوعة الا بزيادة أو نقيصة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ۵۶٢

و كل انقطاع فيه فإنما هو لازالة الإيهام الذى فيه يلحق الكلام فقوله: «لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً» قد يتوهم أنه من حيث لا يسمعون فيها كلاماً، فقيل لذلك (إلا قيلا سلاما) و كذلك «وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً» قد يتوهم أنه لا يقتل مؤمن مؤمناً على وجه، فقيل لذلك (إلا خطأ). و كذلك «ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ» قد يتوهم أنه من غير جواز موادعة، فقيل إلا بحبل من اللَّه.

الثانى- أن الاستثناء متصل، لأن عز المسلمين عز لهم بالذمة، و هذا لا يخرجه من الذلة فى أنفسهم. و قوله: «وَ باؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ» أى رجعوا بغضب اللّه الذى هو عقابه و لعنه. و قوله: «وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ» قيل أريد بالمسكنة الذلة لأن المسكين لا يكون إلا ذليلا فسمى الذليل مسكيناً. و قيل، لأن اليهود أبداً يتفاقرون و ان كانوا أغنياء لما رماهم اللَّه به من الذلة. و قد بينا فيما تقدم أن قوله: «وَ يَقْتُلُونَ الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ» «١» لا يدل على أن قتلهم يكون بحق و إنما المراد أن قتلهم لا يكون إلا بغير حق، كما قال «وَ مَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ» و المراد ان ذلك لا يكون إلا بغير برهان و كقول امرئ القيس:

على لا حب لا يهتدى بمناره «٢»

و معناه لا منار هناك فيهتدى به و قوله: «يعتدون» قد بينا فيما تقدم معنى الاعتداء و هو أن معناه تجاوز الحد مأخوذ من العدوان.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (٣): آية ١١٣] ..... ص : ۵۶٢

اشارة

لَيْسُوا سَواءً مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ أُمَّةٌ قائِمَةٌ يَتْلُونَ آياتِ اللَّهِ آناءَ اللَّيْلِ وَ هُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣)

آية.

---

(١) سورة آل عمران آية: ٢١ و سورة البقرة آية: ۶١ و لكن هناك فى الآيتين (النبيين) و فى هذه الآية (الأنبياء).

(٢) انظر ٢: ٣۵۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٥٦٣

النزول: ..... ص : ٥٦٣

قال ابن عباس، و قتادة، و ابن جريج سبب نزول هذه الآية أنه لما أسلم عبد اللَّه بن سلام و جماعة معه قالت أحبار اليهود ما آمن بمحمد إلا أشرارنا، فأنزل اللّه تعالى «لَيْسُوا سَواءً» إلى قوله: «وَ أُولئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ».

اللغة، و الاعراب، و المعنى: ..... ص : ٥٦٣

فان قيل لم ذكر مع سواء أحد الفريقين دون الآخر، و لا يجوز مثله أن يقول سواء على قيامك حتى يقول أم قعودك قلنا عنه جوابان:

أحدهما- أنه محذوف لدلالة ما تقدم من الكلام عليه، كما قال أبو ذؤيب:

عصاني إليها القلب إني لأمرها مطيع فما أدرى أرشد طلابها؟

و لم يقل أم غى، لأن الكلام يدل عليه، لأنه كان يهواها فما يبالى أرشد أم غى طلابها. و قال آخر:

أراك فلا أدرى أهم هممته و ذو الهم قدماً خاشع متضائل

و لم يقل أم غيره، لأن حاله فى التغير ينبئ أن الهم غيره أم غيره مما يجرى مجراه، و هذا قول الفراء، و ضعفه الزجاج، و قال، ليس بنا حاجة إلى تقدير محذوف، لأن ذكر أهل الكتاب قد جرى فى قوله: «يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ الْأَنْبِياءَ» فتبين أن فيهم غير المؤمنين، فلا يحتاج أن يقدر و أمة غير قائمة.

الثاني- أن يكون ليسوا سواء منهم الجواد، و الشجاع، فعلى القول الأول يكون رفع أمة على معنى الفعل، و تقديره لا يستوى أمة هادية و أمة ضالة. و على القول الثانى يكون رفعها بالابتداء. و قال الطبرى لا يجوز الاقتصار فى سواء على أحد الذكرين دون الآخر. و إنما يجوز فى ما أدرى و ما أبالى. قال الرمانى: و هذا غلط، لأنه ذهب عليه الفرق بين الاقتصار و الحذف لأن الحذف لا بد فيه من خلف يقوم مقامه. و الاقتصار ليس كذلك، لأنه كالاقتصار على أحد المفعولين التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٥٦٤

فى أعطيت، و حذفه فى حسبت مرتجلا- أى لنا. و الخلف فيه دلالة الحال، فأما أعطيت زيداً، فلا محذوف فيه، لأنه ليس معه خلف يقوم مقامه.

و قوله: «قائمة» فيه أربعة أقوال: قال الحسن و ابن جريج معناه عادلة.

و قال ابن عباس، و قتادة، و الربيع: معناه ثابتة على أمر اللّه. و قال السدى معناه قائمة بطاعة اللّه و قال الأخفش، و الزجاج: معناه ذو أمة مستقيمة، و هذا ضعيف لأنه عدول عن الظاهر فى أمة و الحذف لا دلالة عليه. و قوله: «أناء الليل» قيل فى واحده قولان:

أحدهما- أنى مثل نجى.

و الثاني- انى مثل معى. و حكى الأخفش أنو، و الجمع أناء. قال الشاعر:

حلو و مر كعطف القدح مرته بكل انى حداه الليل ينتعل «١»

و روى ينتشر. و قال الحسن، و الربيع، و عبد اللَّه بن كثير معناه ساعات الليل. و قال ابن مسعود يريد صلاة العتمة، لأن أهل الكتاب لا يعلمونها، و قال الثورى عن منصور هو الصلاة بين المغرب و العشاء. و قال السدى يعنى جوف الليل. و قوله: «وَ هُمْ يَسْجُدُونَ» فيه قولان:

أحدهما- السجود المعروف فى الصلاة.

الثاني- قال الفراء، و الزجاج معناه يصلون. و به قال البلخي، و غيره، لأن القراءة لا تكون فى السجود، و لا فى الركوع، و هذا ترك

للظاهر، و عدول عنه.

و معنى الآيـة يتلون آيات اللَّه أناء الليل و هم مع ذلك يسـجدون، فليست الواو حالا و إنما هی عطف جملة على جملة، و الضـمير فی قوله (ليسوا) عائد على أهل الكتاب، لتقدم ذكرهم، و قال أبو عبيدة هو على لغة أكلونی البراغيث، و مثله قوله:

---

(۱) قائله المنخل الهذلی و قد نسبه بعضهم الى المنخل السعدی.

ديوان الهذليين ۲: ۳۵ و مجاز القرآن ۱: ۱۰۲ و سيرة بن هشام ۲: ۲۰۶ و رواية اللسان (انی) و الازهری عن ابن الانباری:

السالك الثغر مخشياً موارده بكل انی قضاه الليل ينتعل

و فی الديوان (حذاه) بدل (حداه) فقط.

التبيان فی تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۶۵

«عَمُوا وَ صَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ» «۱» و قال الشاعر:

رأين الغوانی الشيب لاح بعارضی فاعرضن عنی بالخدود النواضر «۲»

قال الرمانی، و هذا غلط، لأن هذه اللغة ردية فی القياس و الاسـتعمال أما القياس، فلان الجمع عارض، و العارض لا يؤكد علامته، لأنه بمنزلـة ما لا يعتـد به، فی سائر أبواب العربيـة و ليس كالثابت للزومه فتقـدم له العلامـة لتؤذن به قبل ذكره و مع ذلك فجائز تركها فيه، فكيف بالعارض، و لزوم الفعل للفاعل يغنی عن التثنيـة و الجمع فيه، فلا يـدخل جمع على جمع كما لا يـدخل تعريف على تعريف. و أما الاستعمال، فلان أكثر العرب على خلافه.

قوله تعالى:[سورة آلعمران (۳): آية ۱۱۴] ..... ص : ۵۶۵

اشارة

يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُسارِعُونَ فِی الْخَيْراتِ وَ أُولئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (۱۱۴)

آية واحدة.

المعنى: ..... ص : ۵۶۵

هذه الآية فيها صفة الذين ذكرهم فی الآية التی قبلها فی قوله: «أُمَّةٌ قائِمَةٌ يَتْلُونَ آياتِ اللَّهِ آناءَ اللَّيْلِ وَ هُمْ يَسْجُدُونَ» فأضاف إلى ذلك أنهم مع ذلك يصـدقون باللَّه و اليوم الآخر و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر، و قـد بينا أن الامر بالمعروف و النهی عن المنكر واجبان، و أنه ليس طريق وجوبهما العقل، و إنما طريق وجوبهما السمع، و عليه إجماع الأمة. و إنما الواجب بالعقل كراهة المنكر، فقط غير أنه إذا ثبت بالسـمع وجوبه، فعلينا إزالة المنكر بما يقدر عليه من الأمور الحسنة دون القبيحة، لأنه لا يجوز إزالة قبيح بقبيح آخر، و ليس لنا أن نترك أحداً

---

(۱) سورة المائدة آية: ۷۴.

(۲) شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك ۱: ۳۹۹ و غيرها من كتب النحو كثير.

التبيان فی تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۶۶

يعمـل بالمعاصـی إذا أمكننا منعه منها سواء كانت المعصـية من أفعال القلوب مثل اظهار المـذاهب الفاسـدة أو من أفعال الجوارح، ثم

نظر، فان أمكننا إزالته بالقول، فلا نزيد عليه، و ان لم يمكن إلا بالمنع من غير إضرار لم نزد عليه، فان لم يتم إلا بالدفع بالحرب، فعلناه على ما بيناه فيما تقدم، و ان كان عند أكثر أصحابنا هذا الجنس موقوف على السلطان أو اذنه فى ذلك. و انكار المذاهب الفاسدة، لا يكون إلا باقامة الحجج و البراهين و الدعاء إلى الحق، و كذلك إنكار أهل الذمة فأما الإنكار باليد، فمقصور على من يفعل شيئاً من معاصى الجوارح، أو يكون باغياً على إمام الحق، فانه يجب علينا قتاله و دفعه حتى يفيء إلى الحق، و سبيلهم سبيل أهل الحرب، فان الإنكار عليهم باليد و القتال حتى يرجعوا إلى الإسلام أو يدخلوا فى الذمة. و قوله: «وَ يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ» يحتمل أمرين:

أحدهما- أنهم يبادرون إليها خوف الفوات بالموت.

و الثاني- يعملونها غير متثاقلين فيها لعلمهم بجلالة موقعها، و حسن عاقبتها.

اللغة: ..... ص : ۵۶۶

و الفرق بين السرعة و العجلة ان السرعة هى التقدم فيما يجوز أن يتقدم فيه و هى محمودة و ضدها الإبطاء و هو مذموم. و العجلة هى التقدم فيما لا ينبغى أن يتقدم فيه و هى مذمومة و ضدها الاناة و هى محمودة.

قوله تعالى:[سورة آلعمران (۳): آية ۱۱۵] ..... ص : ۵۶۶

اشارة

وَ ما يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (۱۱۵)

آية بلا خلاف.

القراءة و الحجة و الاعراب: ..... ص : ۵۶۶

قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر بالياء فيهما. الباقون بالتاء إلا أبا عمرو، فانه التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۶۷

كان يخير، و وجه القراءة بالياء أن يكون كناية عمن تقدم ذكره من أهل الكتاب ليكون الكلام على طريقة واحدة، و وجه التاء أن يخلطهم بغيرهم من المكلفين، و يكون خطاباً للجميع فى أن حكمهم واحد.

و إنما جوزى ب (ما) و لم يجاز ب (كيف) لأن (ما) أمكن من (كيف) لأنها تكون معرفة و نكرة، لأنها للجنس و (كيف) لا تكون إلا نكرة، لأنها للحال، و الحال لا تكون إلا نكرة، لأنها للفائدة.

اللغة و المعنى: ..... ص : ۵۶۷

و قوله:«فَلَنْ يُكْفَرُوهُ» مجاز كما أن الصفة للَّه بأنه شاكر مجاز. و حقيقته أنه يثيب على الطاعة ثواب الشاكر على النعمة، فلما استعير للثواب الشكر و استعير لنقيضه من منع الثواب الكفر، لأن الشكر فى الأصل هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم، و الكفر ستر النعمة من المنعم عليه بتضييع حقها. و معنى الآية فلن يمنعوا ثوابه، و سمى منع الجزاء كفراً، لأنه بمنزلة الجحد له بستره، لأن أصل الكفر الستر، و لذلك قيل لجاحد نعم اللَّه و من جرى مجراه فى الامتناع من القيام بحقها: كافر، فالكافر هو المضيع لحق نعمة اللَّه بما يجرى مجرى الجحود.

و قوله:«وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ» إنما خص المتقين بالذكر، لأن الكلام اقتضى ذكر جزاء المتقين، فدل على أنه لا يضيع شيء من عملهم،

لأن المجازى به عليم، و أنهم أمرهم أمر الفجار تعويلا على ما ذكره فى غيرها من أى الوعيد.

قوله تعالى:[سورهٔ آلعمران (۳): آيهٔ ۱۱۶] ..... ص : ۵۶۷

اشارهٔ

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَ أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (۱۱۶)

المعنى: ..... ص : ۵۶۷

لما ذكر تعالى أن عمل المتقين لن يضيع، و أنهم يجازون به، استأنف حكم التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۶۸
الكافرين، و بين انه «لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ» شيئاً من اللَّه و إنما خص الأموال، و الأولاد بالذكر فى أنهم لا يغنون عن الكافر شيئاً و إن كان لا يغنى عنهم غير هؤلاء أيضاً شيئا، لأنهما معتمد ما يقع به الاعتداد، و مما يعول عليه الإنسان و يرجوه للشدائد و يفيد النفى العام، لأنه إذا لم يغن عنه من هو حقيق بالغناء لمنع من لا يعجزه شيء فغناء من دونه أبعد.

اللغهٔ: ..... ص : ۵۶۸

و قوله: «وَ أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ» إنما سموا أصحاب النار، للزومهم فيها كما يقال هؤلاء أصحاب الصحراء إذا كانوا ملازمين لها، و قد يقال أصحاب العقار بمعنى ملاكه و أصحاب الرجل أتباعه و أعوانه و أصحاب العالم من يعنى به الآخذون عنه، و المتعلمون عنه، فالاضافهٔ مختلفهٔ. و معنى «لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ» أى لن تدفع عنهم ضرر الولاء النازل بهم و لو قيل أغناه كذا عن كذا أفاد أن أحد الشيئين صار بدلا من الآخر فى نفى الحاجهٔ، و الغنى الاختصاص بما ينفى الحاجهٔ، فان اختص بمال ينفى الحاجهٔ، فذلك غنى. و كذلك الغنى بالجاه و الاصحاب و غير ذلك، فأما الغنى فى صفت اللَّه فاختصاصه بكونه قادراً على وجه لا يعجزه شيء، و قولنا فيه: أنه غنى معناه أنه لا يجوز عليه الحاجهٔ.
و أصل النار النور، و هو مصدر. و النار جنس تجرى مجرى الوصف فى تضمنه معنى الأصل و زيادهٔ عليه، لأنها جسم لطيف فيه حرارهٔ و نور. و منه امرأهٔ نوار أى نافرهٔ عن الشر عفيفهٔ، لأنها كالنار فى الامتناع. و منه المنار الاعلام، لأنها كالنور فى البيان. و منه المنارهٔ التى يسرج عليها.

قوله تعالى:[سورهٔ آلعمران (۳): آيهٔ ۱۱۷] ..... ص : ۵۶۸

اشارهٔ

مَثَلُ ما يُنْفِقُونَ فِي هذِهِ الْحَياةِ الدُّنْيا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيها صِرٌّ أَصابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَ ما ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَ لكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (۱۱۷)
التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۶۹
آيهٔ.

النزول: ..... ص : ۵۶۹

قيل ان هذه الآية نزلت فى أبى سفيان، و أصحابه يوم بدر، لما تظاهروا على النبى (ص) فى الإنفاق. و قيل بل نزلت فى نفقة المنافقين مع المؤمنين فى حروب المشركين على وجه النفاق للمؤمنين.

المعنى: ..... ص : ۵۶۹

و المثل الشبه الذى يصير كالعلم لكثرة استعماله فيما مشبه به، فلما كان إنفاق المنافق و الكافر ضائعاً، و يستحق عليه العقاب و الذم أشبه الحرث المهلك، فلذلك ضرب به المثل. و فى الآية حذف، و تقديرها مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاكِ يحٍ فِيها صِرٌّ أَصابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ»

فحذف الإهلاك لدلالة آخر الكلام عليه و فيه تقدير آخر: مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح، فيكون تشبيه ذلك الإنفاق بالمهلك من الحرث بالرياح.

اللغة: ..... ص : ۵۶۹

و الريح جمعه رياح و منه الروح، لدخول الريح الطيبة على النفس، و كذلك الارتياح. و التروح الراحة من التعب، لأنه بمنزلة الروح الذى يدخل على النفس بزوال التعب. و منه الاستراحة، و المراوحة، لأنها تجلب الريح. و منه الروح، لأنها كالريح فى اللطافة و منه الرائحة، لأن الريح تحملها إلى الحس، و منه الرواح، لأنه رجوع كالريح، للاستراحة.

و قوله: «فيها صر» قال ابن عباس، و الحسن، و قتادة، و الربيع، و السدى، و ابن زيد، و الضحاك: هو البرد و أصله الصوت من الصرير. قال الزجاج: الصر صوت لهب النار التى كانت فى تلك الريح و يجوز أن يكون الصر صوت الريح الباردة التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ۵۷۰

الشديدة، و ذلك من صفات الشمال، فإنها توصف بان لها قعقعة.

المعنى: ..... ص : ۵۷۰

و قوله: ما ظَلَمَهُمُ اللَّهُ»

نفى للظلم عن اللَّه تعالى يعنى فى نفى استحقاقهم للثواب، و استحقاقهم للعقاب، و إن ذلك ليس بظلم منه تعالىَ لكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ»

بذلك. و إنما وصفهم بأنهم ظلموا أنفسهم، لأمرين:

أحدهما- أن ظلمهم اقتضى هلاك حرثهم عقوبة لهم، لأنه لو هلك على جهة الابتلاء و المحنة لم يعتد بعاجل المضرة، للعوض الموفى عليه فى العاقبة.

الثانى- أن يكونوا ظلموا أنفسهم بأن زرعوا فى غير موضع الزرع أو فى غير وقت الزراعة، فجاءت الريح فأهلكته تأديباً من اللَّه لهم فى وضع الشيء غير موضعه الذى هو حقه.

و قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (٣): آية ١١٨] ..... ص : ۵۷۰

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبالاً وَدُّوا ما عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضاءُ مِنْ أَفْواهِهِمْ وَ ما تُخْفِی صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآياتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (۱۱۸)

آية بلا خلاف.

المعنى: ..... ص : ۵۷۰

ذكر ابن عباس، و الحسن: أن قوماً من المؤمنين خافوا بعض المشركين من اليهود، و المنافقين المودة لما كان بينهم فی الجاهلية فنهاهم اللَّه تعالى عن ذلك بهذه الآية. و البطانة معناها هاهنا خاصة الرجل الذين يستبطنون أمره و يسمون دخلاء أی لا تجعلوا من هذه صفته من غير المؤمنين.

التبيان فی تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۷۱

اللغة، و الاعراب: ..... ص : ۵۷۱

و البطن خلاف الظهر، فمنه بطانة الثوب خلاف ظهارته، لأنها تلی بطنه.

و بطانة الرجل خاصته، لأنها بمنزلة ما يلی بطنه من ثيابه فی القرب منه، و منه البطنة و هو امتلاء البطن بالطعام. و البطان حزام البعير، لأنه يلی بطنه.

و قوله «من دونكم» (من) تحتمل وجهين:

أحدهما- أن تكون دخلت للتبعيض، و التقدير لا تتخذوا بعض المخالفين فی الدين بطانة.

و الثانی- أن يكون دخولها لتبين الصفة كأنه قيل: لا تتخذوا بطانة من المشركين. و هو أعم و أولى، لأنه لا يجوز أن يتخذ مؤمن كافراً بطانة على حال و قال بعضهم إن (من) زائدة، و هذا ليس بجيد، لأنه لا يجوز أن يحكم بالزيادة مع صحة حملها على الفائدة.

و قوله: «لا يَأْلُونَكُمْ خَبالًا» معناه لا يقصرون فی أمركم خبالا من قولهم ما ألوت فی الحاجة جهداً، و لا آلو الامر ألوا أی لا أقصر جهداً. و قال الشاعر:

جهراء لا تألو إذا هی أظهرت بصراً و لا من عيلة تغنينی «۱»

أی لا تقصر بصراً و لا تبصر، لأنها جهراء تطلب ذلك، فلا تجده.

و منه الالية اليمين. و منه قوله: «وَ لا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ» «۲» معناه لا يقصر، و قيل لا يحلف. و الأصل التقصير و الخبال معناه النكال. و أصله الفساد يقال فی قوائمه خبل، و خبال أی فساد من جهة الاضطراب. و منه الخبل الجنون، لأنه فساد العقل، و رجل مخبل الرأی أی فاسد الرأی. و منه الاستخبال طلب إعادة المال لفساد الزمان.

---

(۱) قائله أبو العيال الهذلی. ديوان الهذليين ۲: ۲۶۳، و اللسان (ألا) و (جهر) و هو من شعر فی مقرضات بينه و بين بدر بن عامر الهذلی الجهراء: هی التی لا تبصر فی الشمس.

(۲) سورة النور آية: ۲۲. [.....]

التبيان فی تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۷۲

المعنى: ..... ص : ۵۷۲

و قوله:«ودوا» معناه أحبوا «ما عنتم» معناه إدخال المشقة عليكم.
و قال السدی: معناه «ودوا» ضلالكم عن دينكم، لأن الحمل بالضلال مشقة.
و قيل معناه «ودوا» أن يفتنوكم فی دينكم أی يحملونكم علی المشقة ذكره ابن جريج.

اللغة: ..... ص : ۵۷۲

و أصل العنت المشقة: عنت الرجل عنتاً إذا دخلت عليه المشقة. و منه أكمة عنوت أی صعبة المسلك لمشقة السلوك فيها. و فلان يعنت فلاناً أی يحمله علی المشقة الشديدة فی ما يطالبه به. و منه قوله تعالی: «وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ» «۱».

الاعراب، و المعنی: ..... ص : ۵۷۲

و موضع ودوا يحتمل أن يكون نصباً لأنه صفة لبطانة و يجوز أن يكون له موضع من الاعراب، لأنه استئناف جملة. و قوله: «قَدْ بَدَتِ الْبَغْضاءُ مِنْ أَفْواهِهِمْ» أی ظهر منها ما يدل علی البغض «وَ ما تُخْفِی صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآياتِ» يعنی العلامات «إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ» يعنی موضع نفعه لكم و مبلغ عائدته عليكم. و قيل: معناه «إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ» الفصل بين ما يستحقه الولی و العدو.

قوله تعالی:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۱۹] ..... ص : ۵۷۲

اشارة

ها أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَ لا يُحِبُّونَكُمْ وَ تُؤْمِنُونَ بِالْكِتابِ كُلِّهِ وَ إِذا لَقُوكُمْ قالُوا آمَنَّا وَ إِذا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ (۱۱۹)
آية بلا خلاف.

---

(۱) سورة البقرة آية: ۲۲۰.

التبيان فی تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۷۳

المعنی، و اللغة، و الاعراب: ..... ص : ۵۷۳

هذا خطاب للمؤمنين أعلمهم اللَّه تعالی أن منافقی أهل الكتاب لا يحبونهم و أنهم هم يصحبون هؤلاء المنافقين بالبر و النصيحة، كما يفعله المحب، و إن المنافقين علی ضد ذلک، فأعلمهم اللَّه ما يسره المنافقون فی باطنهم، و ذلک من آيات النبی (ص) قال الفراء: العرب إذا جاءت إلی اسم مكنی قد وصف بهذا، و هذان، و هؤلاء، فرقوا بين (ها) و بين (ذا) فجعلوا المكنی منهما فی جهة التقريب، لا غير يقولون:
أين أنت، فيقول القائل: هأنذا، و لا يكادون يقولون ها أنا. و مثله فی التثنية و الجمع. و مثله قوله: «ها أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ» و ربما أعادوها فوصلوها بذا، و هذان و هؤلاء، فيقولون ها أنت هذا قائما، و ها أنتم هؤلاء. قال اللَّه تعالی: «ها أَنْتُمْ هؤُلاءِ جادَلْتُمْ»
«۱» فان كان الكلام علی غير تقريب أو كان علی خبر يكتفی كل واحد منهما بصاحبه بلا فعل، و التقريب لا بد فيه من فعل لنقصانه و أحبوا أن يفرقوا بين معنی التقريب، و بين معنی الاسم الصحيح، قال الازهری: يحتمل أولا أن يكون منادی كأنه قال يا أولاء. و قال

نحاة البصريين (ها) للتنبيه. و أنتم مبتدأ و أولاء خبره و يحبونهم حال. و قال الفراء: يحبونهم خبر.

و قال الزجاج: يجوز أن يكون أولاء بمعنى الـذين و يحبونهم صـلة و يكون التقـدير الذين يحبونهم. و يجوز أن يكون حالا بمعنى «ها أَنْتُمْ أُولاءِ» محبين لهم. و يكون «أنتم» مبتـدأ و أولاء خبره. و يحبونهم حالاـ و المعنى انظروا إلى أنفسـكم محبين لهم و لاـ يجوز أن تقول: هـا قومـك أولاـء، كما جاز «ها أَنْتُمْ أُولاءِ»، لأن المضـمر أحق ب (ها) التى للتنبيه، لأنه كالمبهم فى عموم ما يصـلح له. و ليس كذلك الظاهر.

و قـال الفراء: إنمـا ذاك على جهـة التقريب فى المضـمر، و الاعتمـاد على غيره فى الخبر. قـال الحسن بن على المغربى أولاـء يعنى به المنافقين، كما تقول ما أنت زيداً يحبه، و لا يحبك. و هذا مليح غير أنه يحتاج أن يقدر عامل فى أولاء ينصبه، يفسره قوله:

---

(١) سورة النساء آية: ١٠٨.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ۵۷۴

«يحبونهم» لأنه مشـغول لا يعمل فيما قبله كقوله: «وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ» «١» فى من نصـبه و أولاـء للرجال، و للنساء أولات. و هو مبنى على الكسر. و كان الأصل السكون و الألف قبلها ساكنة فحرك لالتقاء الساكنين على أصل الكسرة. و قوله:

«وَ تُؤْمِنُونَ بِالْكِتـابِ كُلِّهِ» الكتـاب واحـد فى موضع الجمع، لأنه أريـد به الجنس، كما يقال كثر الـدرهم فى أيـدى الناس و يحتمل أن يكون مصدراً من قولك كتبت كتاباً. و المراد بالكتاب هاهنا كتب اللَّه التى أنزلها على أنبيائه و فى إفراده ضـرب من الإيجاز، و اشعار بالتفصـيل فى الاعتقاد، لأنهم يؤمنون بها فى الجملة. و التفصـيل من حيث يؤمنون بما أنزل على ابراهيم، و موسـى، و عيسـى، و محمد (ص) و سـائر الأنبيـاء. و قوله: «وَ إِذا لَقُوكُمْ قالُوا آمَنَّا» معناه إذا رأوكم قالوا صـدقنا «و إذا خلوا» مع أنفسـهم «عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنامِلَ مِنَ الْغَيْـظِ» فـالعض بالأسـنان. و منه العض علف الأمصار، لأن له مضـغة فى العض يسـمن عليها المال. و منه رجل عض: لزاز الخصم، لأنه يعض بالخصومـة. و كـذلك رجل عض فحاش، لأنه يعض بالفحش و الأنامل أطراف الأصابع فى قول قتادة، و الربيع، و أصـلها النمل المعروف، فهو مشبه به فى الرقة، و التصـرف بالحركة. و منه رجل نمل أى نمام، لأنه ينقل الأحاديث الكرهة كنقل النملة فى الخفاء و الكثرة. و واحـد الأنامل أنملـة. قال الزجاج و لم يأت على هذا المثال ما يعنى به الواحد إلا شذ، فأما الجمع، فكثير نحو أفلس و أكعب و قوله: «قُـلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ» معنـاه الاـمر بالـدعاء عليهم. و إن كـان لفظه لفظ الأمر، كأنه قال قل: أماتكم اللَّه بغيظكم و فيه معنى الـذم لهم، لأنه لا يجوز أن يدعا عليهم هذا الدعاء إلا و قد استحقوه بقبيح ما أتوه.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (٣): آية ١٢٠] ..... ص : ۵۷۴

إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَ إِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِها وَ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (١٢٠)

---

(١) سورة يس آية: ٣٩.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ۵۷۵

آية بلا خلاف.

قرأ عمرو، و نافع، و ابن كثير «لا يضـركم» خفيفة. الباقون مشددة الراء. و هما لغتان ضاره يضيره، و ضره يضره ضراً بمعنى واحد. قوله: «إِنْ تَمْسَسْـكُمْ» حسـنة فالمراد بالحسـنة هاهنا ما أنعم اللَّه عليهم به من الألفـة و الغلبـة باجتماع الكلمـة، و المراد بالسيئة المحنة باصابة العدو منهم لاختلاف الكلمة، و ما يؤدى إليه من الفرقة هذا قول الحسن، و قتادة و الربيع و ابن جريج.

و قوله: «وَ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا» يعنى تتقوا اللَّه بامتناع معاصـيه، و فعل طاعاته «لا يَضُـرُّكُمْ كَيْـدُهُمْ» فالكيـد المكر الذى يغتال به صاحبه

من جهة حيلة عليه ليقع فی مكروه به، و أصله المشقة تقول: رأيت فلاناً يكيد بنفسه أی يقاسی المشقة فی سياق المنية، و منه المكايدة لا يراد ما فيه المشقة. و المكيدة الحيلة لايقاع ما فيه المشقة. و قوله: «لا يضركم» مبنی علی الضم نحو مذ و لو فتح أو كسر لكان جائزاً فی العربية و زعم بعضهم أنه رفع علی حذف الفاء بتقدير، فلا يضركم و أنشد:

فان كان لا يرضيك حتی تردنی الی قطری لا أخالك راضيا «۱»

و هذا ضعيف، لأن الحذف إنما يجوز، لضرورة الشعر و القرآن لا يحمل علی ضرورة الشعر. و قوله: «إِنَّ اللَّهَ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ» معناه عالم به من جميع جهاته مقتدر عليه.

قوله تعالى:[سورة آلعمران (۳): آية ۱۲۱] ..... ص : ۵۷۵

اشارة

وَ إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقاعِدَ لِلْقِتالِ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (۱۲۱)

آية.

---

(۱) قائله سوار بن المضرب السعدی التميمی. نوادر أبی زيد: ۵۴، و معانی القرآن للفراء ۱: ۲۳۲، و حماسة ابن الشجری: ۵۴، ۵۵.

التبيان فی تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۷۶

المعنى، و اللغة، و الاعراب: ..... ص : ۵۷۶

قال ابن عباس، و قتادة و الربيع، و السدی، و ابن اسحق، و هو

قول أبی جعفر (ع): كان غدو النبی (ص) مبوئاً للمؤمنين يوم أحد

، و قال الحسن و مجاهد: كان يوم الأحزاب.

النبوءة اتخاذ المواضع لصاحبه و أصلها اتخاذ منزل تسكنه، تقول بوأته منزله أبوئه تبوئة، و منه المباءات المراح، لأنه رجوع إلی المستقر المتخذ و أبأت الإبل أبيئها اباءة إذا رددتها إلی المباءة. و منه بوأت بالذنب أی رجعت به محتملا له.

و قوله: «وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» قيل فيه ثلاثة أقوال:

أحدها أنه تهدد و المراد «سميع» لما يقول المنافقون «عليم» بما يضمرون.

الثانی- «سميع» لما يقوله النبی (ص) للمؤمنين «عليم» بما يضمره تزكية له (ص).

الثالث- «سميع» ما يقوله المشيرون عليك «عليم» بما يضمرونه، لأنهم اختلفوا، فمنهم من أشار بالخروج، و منهم من أشار بالمقام. و فيه تزكية للزاكی و تهدد للغاوی. و معنی «تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ» مثل تبوئ للمؤمنين حذف اللام، كما قال «ردف لكم» «۱» و يجوز ردفكم، فإذا عداه، فمعناه رتب المؤمنين علی مواضعهم قدمة. و إذا لم يتعد فمعناه تتخذ لهم مواضع. و مثله قول الشاعر:

استغفر اللَّه ذنباً لست محصيه رب العباد إليه الوجه و العمل «۲»

و معناه من ذنب، و العامل فی (إذ) محذوف، و تقديره و اذكر إذ غدوت من أهلك فحذف لدلالة الكلام عليه و لا يجوز أن يكون العامل غدوت، لأنه مضاف إليه بمنزلة الصلة له.

---

(۱) سورة النمل آية: ۷۲.

(۲) معانى القرآن للفراء ۱: ۲۳۳ و سيبويه ۱: ۱۷ و الخزانة ۱: ۴۸۶ و هو من أبيات سيبويه الخمسين التى لا يعرف قائلها.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۷۷

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۲۲] ..... ص : ۵۷۷

إِذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا وَ اللَّهُ وَلِيُّهُما وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (۱۲۲)

آية.

التقدير و اذكر «إِذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا» و قال الزجاج العامل فى (إذ) «هَمَّتْ طائِفَتانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا» و المعنى كانت التبوئة فى ذلك الوقت.

و الطائفتان:

هما بنو سلمة و بنو حارثة حيان من الأنصار فى قول ابن عباس، و جابر بن عبد اللَّه، و الحسن و قتادة، و مجاهد، و الربيع، و السدى، و ابن إسحاق، و ابن زيد، و أبى جعفر و أبى عبد اللَّه (ع).

و قال الجبائى: هما قوم من المهاجرين، و الأنصار.

و الفشل الجبن فى قول ابن عباس تقول فشل يفشل فشلا. و الجبن ليس من فعل الإنسان و تحقيقه على هذا همت بحال الفشل إلا أنه وضع كلام موضع كلام. و ليس فى الآية أن همهما بالفشل كان معصية، لأنه قد يكون من غير عزم على حال الفشل بل بحديث النفس به، و من قال كان معصية قال هى صغيرة، لقوله (وَ اللَّهُ وَلِيُّهُما) و روى عن جابر بن عبد اللَّه أنه قال فينا نزلت و ما أحب أنها لم تكن، لقوله:

«وَ اللَّهُ وَلِيُّهُما» و كان سبب همهم بالفشل فى قول السدى، و ابن جريج أن عبد اللَّه ابن أبى بن سلول دعاهما إلى الرجوع إلى المدينة عن لقاء المشركين يوم أحد فهما به و لم يفعلاه. و قال أبو على: بل كان ذلك باختلافهم فى الخروج إلى العدو أو المقام حتى هموا بالفشل. و التاء مدغمة فى الطاء فى قوله: (إِذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ) لأنها من مخرجها فصارت بمنزلتها مع مثلها نحو همت تفعل و مثله «وَ قالَتْ طائِفَةٌ» «۱» و يجوز أيضاً إدغام الطاء فى التاء إلا أنك تبقى الاطباق نحو «أَحَطْتُ بِما لَمْ تُحِطْ» «۲» و الأول أحسن.

---

(۱) سورة الأحزاب آية: ۱۳.

(۲) سورة النمل آية: ۲۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۷۸

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۲۳] ..... ص : ۵۷۸

اشارة

وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَ أَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (۱۲۳)

آية.

النزول و اللغة: ..... ص : ۵۷۸

هذه الآية نزلت فى وصف ما من اللَّه تعالى على المؤمنين من النصر و الامداد بالملائكة و ظفر المؤمنين بالمشركين مع قلة المؤمنين و

قوة المشركين. فانه روى عن ابن عباس (ره) أنه قال كان المهاجرون يوم بدر سبعة و سبعين رجلا و الأنصار مائتين و ستة و ثلاثين رجلا الجميع ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلا. و كان المشركون نحواً من ألف رجل.

و بدر ما بين مكة و المدينة و قال الشعبى سمى بدراً لأن هناك ماء لرجل يسمى بدراً، فسمى الموضع باسم صاحبه. و قال الواقدى عن شيوخه إنما هو اسم للموضع كما يسمى كل بلد باسم يخصه من غير أن ينقل إليه اسم صاحبه.

و قوله: «وَ أَنْتُمْ أَذِلَّةٌ» جملة فى موضع الحال. و الذلة الضعف عن المقاومة، و ضدها العزة، و هى القوة على الغلبة، و يقال للجمل المنقاد من غير صعوبة: ذلول لانقياده انقياد الضعيف، فأما الذليل فإنما ينقاد على مشقة. و منه تذليل الطريق، و نحوه، و هو توطئة الأصل. و فيه الضعف عن المقاومة. و قوله: «أذلة» جمع ذليل و فعيل قياسه أن يجمع على فعلاء إذا كان صفة، مثل ظريف و ظرفاء، و كريم و كرماء، و عليم و علماء، و شريك و شركاء، فجمع على أفعلة كراهية التضعيف، فعدل إلى جمع الأسماء نحو قفيز و أقفزة، فقيل ذليل و أذلة و عزيز و أعزة.

المعنى: ..... ص : ۵۷۸

و وصفهم اللَّه بأنهم أذلة لأنهم كانوا ضعفاء قليلى العدد قليلى العدة. و روى عن بعض السلف الصالح أنه قرأ «و أنتم ضعفاء» قال و لا يجوز وصفهم بأنهم أذلة، التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۷۹

و فيهم رسول اللَّه (ص).

و كان صاحب راية رسول اللَّه (ص) يوم بدر أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع). و صاحب راية الأنصار سعد بن عبادة. و قوله: «فَاتَّقُوا اللَّهَ» معناه اتقوا معاصيه و اعملوا بطاعته. و يجوز أن يكون المراد اتقوا عقاب اللَّه بترك المعاصى، و العمل بطاعته، لأن أصل الاتقاء هو الحجز بين الشيئين بما يمنع من وصول أحدهما إلى الآخر كما تقول اتقاه بالترس أو غيره، و وجه إدخال هذه الآية و هى متعلقة بقصة بدر بين قصة أحد أن اللّه تعالى وعد المؤمنين النصر يوم أحد إن صبروا و ثبتوا أن يمدهم بالملائكة كما نصرهم يوم بدر، و أمدهم بالملائكة فلما لم يصبروا و تركوا مراكزهم أصاب العدو منهم ما هو معروف.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۲۴] ..... ص : ۵۷۹

اشارة

إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَ لَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ (۱۲۴)

آية بلا خلاف.

قرأ ابن عامر وحده منزلين بتشديد الزاى الباقون بالتخفيف. التقدير اذكروا «إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَ لَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ» و فيه إخبار

أن النبى (ص) قال لقومه: أ لن يكفيكم يوم بدر بأن أمدكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين، ثم قال «بَلى إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا وَ يَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هذا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ» يعنى يوم أحد.

و قال ابن عباس، و الحسن و قتادة، و مالك بن ربيعة و غيرهم: ان الامداد بالملائكة كان يوم بدر. و قال ابن عباس لم يقاتل الملائكة (ع) إلا يوم بدر، و كانوا فى غيره من الأيام عدة و مدداً.

و قال الحسن: كان جميعهم خمسة آلاف. و قال غيره: كانوا ثمانية آلاف.

اللغة: ..... ص : ۵۷۹

و قوله: «أَ لَنْ يَكْفِيَكُمْ» فالكفاية مقدار يسد به الخلة تقول: كفاه يكفيه كفاية، فهو كاف: إذا قام بالأمر، و استكفيته أمراً فكفانى، و اكتفى به اكتفاء. التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۸۰

و كفاك هذا الأمر أى حسبك. و الفرق بين الاكتفاء و الاستغناء، أن الاكتفاء هو الاقتصار على ما ينفى الحاجة و الاستغناء الاتساع فيما ينفى الحاجة، فلذلك يوصف تعالى بأنه غنى بنفسه لاتساع مقدوره من حيث كان قادراً لنفسه لا يعجزه شيء.

و قوله: «أن يمدكم» فالامداد هو إعطاء الشيء حالا- بعد حال. و المعنى فى الآية ان اللَّه أعطاهم القوة فى أنفسهم ثم زادهم قوة بالملائكة و المد فى السير هو الاستمرار عليه. و امتد بهم السير: إذا طال، و استمر، و مددت الشيء إذا جذبته. و المد زيادة الماء تقول: مد الماء و أمد الجرح و أمددت العسكر. و المادة زيادة مستمرة، و المدة أوقات مستمرة إلى غاية. و المداد ما يكتب به. و المد مكيال مقداره ربع الصاع.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۲۵] ..... ص : ۵۸۰

اشارة

بَلى إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا وَ يَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هذا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (۱۲۵)

آية.

القراءة و المعنى: ..... ص : ۵۸۰

قرأ ابن كثير، و أبو عمرو، و عاصم «مسومين» بكسر الواو. الباقون بفتحها. و القراءة بالكسر أقوى، لأن الأخبار وردت بأنهم سوموا خيلهم بعلامة جعلوها عليها. و قال ابن عباس، و الحسن، و قتادة، و مجاهد، و الضحاك: كانوا علموا بالصوف فى نواصى الخيل و أذنابها. و روى هشام عن عروة قال: نزلت الملائكة يوم بدر على خيل بُلق و عليهم عمائم صفر. قال السدى، و غيره من أهل التأويل: معنى «مسومين» معلمين.

اللغة، و المعنى: ..... ص : ۵۸۰

و من قرأ بالفتح أراد معنى مرسلين من الإبل السائمة يعنى المرسلة فى المرعى التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۸۱

و السيما العلامة قال اللَّه تعالى «سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ» «۱» فالتسويم العلامة قال الشاعر:

مسومين بسيما النار أنفسهم لا مهتدين و لا بالحق راضينا

و أصل الباب السوم فى المرعى، و هو الاستمرار فيه فمنه السيماء، لأنهم كانوا يعلمونها: إذا أرسلت فى المرعى لئلا تختلط، و منه السوم فى البيع، و منه سوم الريح استمرارها فى هبوبها. و منه سوم الخسف، لأنه استمرار فى إلزام الشر.

و قوله: «من فورهم» قال ابن عباس، و الحسن، و قتادة، و الربيع، و السدى و ابن زيد: معناه من وجههم. و قال مجاهد و الضحاك و أبو صالح من غضبهم، فعلى القول الأول إنما هو فور الانتداب لهم، و هو ابتداؤه، و على القول الثانى فور الغضب، و هو غليانه.

و أصل الفور فور القدر، و هو غليانها عند شدة الحمى، فمنه فورة الغضب، لأنه كفور القدر بالحمى، و منه جاء فلان على الفور أى على أشد الحمى، لفعله قبل أن تبرد نفسه. و منه فارت العين بالماء أى جاشت به و منه الفوارة، لأنها تفور بالماء كما تفور القدر بما

فيها. فان قيل: كيف قال فى الآية الأولى ان الامداد بثلاثة آلاف، و فى هذه بخمسة آلاف. و هذا ظاهر التناقض؟! قلنا: لا تناقض فى ذلك لأن فى الآية الأولى وعد اللَّه المؤمنين على لسان نبيه بأن يمدهم بثلاثة آلاف منزلين ثم قال «بَلى إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا» يعنى تصبروا على الجهاد، و القتال، و تتقوا معاصى اللَّه «وَ يَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ» و هذا يعنى ان رجعوا إليكم، لأن الكفار فى غزاة أحد بعد انصرافهم ندموا لَمَ لم يعبروا على المدينة و هموا بالرجوع، فأوحى اللَّه تعالى إلى نبيه أن يأمر أصحابه بالتهيؤ للرجوع إليهم. و قال لهم «إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ» «۲» ثم قال إن صبرتم على الجهاد و راجعتم الكفار، أمدكم اللَّه بخمسة آلاف من الملائكة مسومين، فأخذوا فى

---

(۱) سورة الفتح آية: ۲۹.

(۲) سورة آل عمران آية: ۱۴۰.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۸۲

الجهاز فبلغ ذلك قريشاً فخافوهم أن يكون قد التأم اليهم من كان تأخر عنهم و انضم إليهم غيرهم، فدسوا نعيم بن مسعود الاشجعى حتى قصدهم بتعظيم أمر قريش و اسرعوا. و القصة معروفة و لذلك قال قوم من المفسرين: ان جميعهم ثمانية آلاف و قال الحسن جميعهم خمسة آلاف منهم الثلاثة آلاف المنزلين على أن الظاهر يقتضى أن الامداد بثلاثة آلاف كان يوم بدر، لأن قوله: «إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ» متعلق بقوله: «وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ» «إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَ لَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ» ثم استأنف حكم يوم أحد، فقال:

«بَلى إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا وَ يَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ» يعنى رجعوا عليكم بعد انصرافهم أمدكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين. و القصة فى ذلك معروفة على ما بيناه، و على هذا لا تنافى بينهما، و هذا قول البلخى رواه عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال: لم يمدوا يوم أحد و لا بملك واحد. فان قيل لَمَ لم يمدوا بالملائكة فى سائر الحروب؟ قلنا: ذلك تابع للمصلحة فإذا علم اللَّه المصلحة فى إمدادهم أمدهم.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۲۶] ..... ص : ۵۸۲

وَ ما جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرى لَكُمْ وَ لِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَ مَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (۱۲۶)

آية.

الهاء فى قوله: «وَ ما جَعَلَهُ اللَّهُ» عائدة على ذكر الأمداد و الوعد فيعود على معلوم بالدلالة عليه غير مذكور باسمه لأن يمدد يدل على الذكر للامداد و مثله «إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِناتُ الْجِيادُ فَقالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوارَتْ بِالْحِجابِ» «۱» أى الشمس. و قال لبيد:

حتى إذا ألقت يداً فى كافر و أجن عورات الثغور ظلامها «۲»

أى القت الشمس فرد الضمير إلى معلوم ليس بمذكور. و قال قوم: ان الضمير

---

(۱) سورة ص آية: ۳۲.

(۲) دائرة المعارف لوجدى. و غيرها. الكافر: الليل و الاجنان: الستر و الثغر: موضع المخافة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۸۳

راجع إلى الامداد نفسه. و الاول أقوى لأن البشرى فى صفات الانزال و ذلك يليق بذكر الامداد. و الفرق بين قوله: «وَ لِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكَمْ بِهِ» و قوله و اطمئنانا لقلوبكم، أن الوعد فى أحدهما اطمئنان، و فى الآخر سببه الاطمئنان، فهو أشد فى تحقيق الكلام من أجل دخول اللام. و قوله: «وَ مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» معناه أن الحاجة لازمة فى المعونة و ان أمدهم بالملائكة فإنهم لا يستغنون عن معونته طرفة عين فى تقوية قلوبهم و خذلان عدوهم بضعف قلوبهم إلى غير ذلك من الأمور التى لا قوام لهم إلا بها و لا متكل لهم إلا عليها. فان قيل: كيف قال «وَ مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» و قد ينصر المؤمنون بعضهم بعضاً و بعض المشركين بعضا؟ قلنا: لأن نصر بعض المؤمنين بعضاً من عند اللّه لأنه بمعونته و حسن توفيقه، و أما نصر المشركين بعضهم، لبعض، فلا يعتد به، لأنه بخذلان اللّه من حيث أن عاقبته إلى شر مآل من العقاب الدائم. و قوله: «الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ» معناه هاهنا العزيز فى انتقامه من الكفار بأيدى المؤمنين، الحكيم فى تدبيره للعالمين ليعلمهم بأن حربهم للمشركين يجرى على إعزاز الدين، و الحكمة فى تدبير المكلفين و معنى العزيز المنيع باقتداره.

قوله تعالى:[سورة آلعمران (۳): آية ۱۲۷] ..... ص : ۵۸۳

اشارة

لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خائِبِينَ (۱۲۷)

آية.

المعنى: ..... ص : ۵۸۳

قوله: «لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا» يحتمل أن يتصل بثلاثة أشياء:

أحدها- «وَ مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ».

الثانى- بقوله و لقد نصركم اللّه ببدر ليقطع طرفاً.

الثالث- ذلك التدبير ليقطع طرفاً. التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۸۴

و اليوم الذى قطع فيه الطرف من الذين كفروا: هو يوم بدر بقتل صناديدهم و رؤسائهم و قادتهم إلى الكفر فى قول الحسن، و الربيع، و قتادة. و قال السدى:

هو يوم أحد قتل منهم ثمانية عشر رجلا. و إنما قال: «لِيَقْطَعَ طَرَفاً» منهم و لم يقل ليقطع وسطاً منهم، لأنه لا يوصل إلى الوسط منهم إلا بعد قطع الطرف و مثله «قاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ» «۱» و المراد بالآية ليقطع قطعة منهم.

اللغة: ..... ص : ۵۸۴

و قوله: «أو يكبتهم» فالكبت الخزى. و معناه أو يخزيهم فى قول الربيع، و قتادة. و قال الخليل: الكبت صرع الشيء على وجهه كبتهم اللّه فانكبتوا.

و حقيقة الكبت شدة وهن يقع فى القلب فربما صرع الإنسان لوجهه للخور الذى يدخله. و قوله: «فينقلبوا» أى فيرجعوا «خائبين» الخائب المنقطع عما أمل، و لا تكون الخيبة إلا بعد الأمل، لأنها امتناع نيل ما أمل. و اليأس قد يكون قبل الأمل و يكون بعده. و اليأس و الرجاء نقيضان يتعاقبان كتعاقب الخيبة و الظفر، يقال: خاب يخيب خيبة و خيبه اللّه تخييباً. و الخيبة حرمان المراد.

قوله تعالى:[سورة آلعمران (۳): آية ۱۲۸] ..... ص : ۵۸۴

اشارة

لَيْسَ لَکَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظالِمُونَ (١٢٨)

آية بلا خلاف.

القصة، و المعنى: ..... ص : ۵۸۴

روى عن أنس بن مالک و ابن عباس، و الحسن، و قتادة، و الربيع: انه لما كان من المشركين يوم أحد من كسر رباعية النبى (ص) و شجه حتى جرت الدماء على وجهه، قال كيف يفلح قوم نالوا هذا من نبيهم، و هو مع ذلک حريص على

---

(١) سورة التوبة آية: ١٢۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ۵۸۵

دعائهم إلى ربهم، فنزلت هذه الآية، فأعلمه اللَّه أنه ليس إليه فلاحهم و أنه ليس إليه إلا أن يبلغ الرسالة و يجاهد حتى يظهر الدين. و كان الذى كسر رباعيته و شجه فى وجهه عتبة بن أبى وقاص، فدعا (ع) عليه الا يحول عليه الحول حتى يموت كافراً، فمات كافراً قبل حول الحول. و قيل: انه هم بالدعاء عليهم، فنزلت الآية تسكيناً له، فكف عن ذلک. و قال أبو على الجبائى: انه استأذن ربه يوم أحد فى الدعاء عليهم، فنزلت الآية، فلم يدع عليهم بعذاب الاستئصال و إنما لم يؤذن فيه لما كان فى المعلوم من توبة بعضهم، و إنابته، فلم يجز أن يقتطعوا عن التوبة بعذاب الاستئصال. فان قيل كيف قال «لَيْسَ لَکَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ» مع أن له أن يدعوهم إلى اللَّه و يؤدى إليهم ما أمره بتبليغه؟ قيل: لأن معناه ليس لک من الأمر شىء فى عقابهم أو استصلاحهم حتى تقع إنابتهم، فجاء الكلام على الإيجاز، لأن المعنى مفهوم لدلالة الحال عليه و أيضاً فانه لا يعتد بما له فى تدبيرهم مع تدبير اللَّه لهم، فكأنه قال ليس لک من الأمر شىء على وجه من الوجوه.

و قوله: «أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- أو يلطف لهم بما يقع معه توبتهم، فيتوب عليهم بلطفه لهم.

و الآخر- أو يقبل توبتهم إذا تابوا، كما قال تعالى «غافِرِ الذَّنْبِ وَ قابِلِ التَّوْبِ» «١» و لا تصح هذه الصفة إلا للَّه عز و جل، لأنه يملک الجزاء بالثواب، و العقاب. فان قيل: كيف قال «أو يعذبهم» مع ما فى المعلوم من أن بعضهم يؤمن؟ قيل: لأنهم يستحقون ذلک باجرامهم بمعنى أنه لو فعل بهم لم يكن ظلماً، و ان كان لا يجوز أن يقع لوجه آخر يجرى مجرى تبقيتهم لاستصلاح غيرهم. و قيل فى نصب «أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ» وجهان:

أحدهما- أنه بالعطف على «لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ» «أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ» و يكون «لَيْسَ لَکَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ» اعتراضاً بين المعطوف و المعطوف عليه كما تقول: ضربت زيداً فافهم ذاک و عمراً.

---

(١) سورة المؤمن آية: ٣. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ۵۸۶

الثانى- أن تكون أو بمعنى إلا أن، كأنه قال: (ليس لک من الأمر شىء) إلا أن يتوب اللَّه عليهم أو يعذبهم فيكون أمرک تابعاً لأمر اللّه برضاک بتدبيره فيه قال امرؤ القيس:

فقلت له: لا تبک عينک إنما نحاول ملكا أو نموت فنعذرا «١»

أراد إلا أن نموت أو حتى نموت.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (٣): آية ١٢٩] ..... ص : ٥٨٦

وَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢٩)

آية بلا خلاف.

عموم قوله: وَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ يقتضى أن له تعالى ملك ما فى السماوات، و ما فى الأرض، و أن له التصرف فيهما كيف شاء بلا دافع، و لا مانع، غير أنه لا بد من تخصيص هذا العموم من حيث أنه ينزه عن الصاحبة و الولد على كل وجه. و أوجه ما قلناه. و انما ذكر لفظ (ما) لأنها أعم من (من) لأنها تتناول ما يعقل، و ما لا يعقل، لأنها تفيد الجنس و لو قال من فى السماوات و من فى الأرض لم يدخل فيه إلا العقلاء إلا أن يحمل على التغليب و ذلك ليس بحقيقة. و قوله: «يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ» دليل على أن حسن العفو عن مستحق العذاب، و ان لم يتب لأنه لم يشترط فيه التوبة. و قوله: «وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ» يعنى ممن يستحق العذاب، لأن من لا يستحق العذاب لا يشأ عذابه، لأنه ظلم يتعالى اللَّه عن ذلك و فى ذلك دلالة على جواز العفو بلا توبة، لأنه علق عذابه بمشيئته، فدل على أنه لو لم يشأ، لكان له ذلك، و لا يلزم على ما قلناه الشك فى جواز غفران عقاب الكفار، لأن ذلك أخرجناه من العموم بدلالة إجماع الأمة على أنه لا يغفر

---

(١) ديوانه: ٨٩ يقول: انا نطلب الملك فان وصلنا اليه و الا نبقى فى طلبه حتى نموت دونه و هذا عذرنا.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٥٨٧

الشرك. و بقوله: «إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ» «١» و لو لا ذلك لكنا نجوز العفو عنهم أيضاً و وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنه لما قال ليس لک من الأمر شيء عقب ذلک بأن الأمر كله للَّه فى السماوات و الأرضين.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (٣): آية ١٣٠] ..... ص : ٥٨٧

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَوا أَضْعافاً مُضاعَفَةً وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠)

آية.

النظم، المعنى: ..... ص : ٥٨٧

لما ذكر اللَّه تعالى أن له عذاب من يشاء، و العفو عمن يشاء، وصل ذلک بالنهى عما لو فعلوه لاستحقوا عليه العقاب، و عذبوا عليه، و هو الربا، و الربا المنهى عنه قال عطا، و مجاهد: هو ربا الجاهلية، و هو الزيادة على أصل المال بالتأخير عن الأجل الحال. و يدخل فيه كل زيادة محرمة فى المعاملة من جهة المضاعفة، و وجه تحريم الربا هو المصلحة التى علمها اللَّه تعالى. و قيل فيه وجوه على وجه التقريب: منها للفصل بينه و بين البيع. و منها- أنه مثال العدل يدعو إليه و يحض عليه. و منها-

أنه يدعو إلى مكارم الأخلاق بالاقراض و إنظار المعسر من غير زيادة.

و هذا الوجه روى عن أبى عبد اللَّه (ع).

و قوله: «أَضْعافاً مُضاعَفَةً» قيل فى معناه هاهنا قولان:

أحدهما- للمضاعفة بالتأخير أجلا بعد أجل كلما أخر عن أجل إلى غيره زيد عليه زيادة على المال.

الثاني- «أَضْعافاً مُضاعَفَةً» أى يضاعفون فى أموالكم. و قيل فى تكرير تحريم الربا هاهنا مع ما تقدم فى قوله: «وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبا» «٢» و غير ذلك قولان:

---

(١) سورة النساء آية: ۴٧، ١١۵.

(٢) سورة البقرة آية: ٢٧۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ۵٨٨

أحدهما- للتصريح بالنهى عنه بعد الاخبار بتحريمه لما فى ذلك من تصريف الخطر له و شدة التحرز منه.

الثاني- لتأكيد النهى عن هذا الضرب منه الذى يجرى على الاضعاف المضاعفة.

و قوله: «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» معناه اتقوا معاصيه. و قيل: اتقوا عذابه بترك معاصيه «لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»، لكى تنجحوا بإدراك ما تأملونه، و تفوزوا بثواب الجنة، لأن (لعل) و ان كان للشك، فان ذلك لا يجوز على اللَّه تعالى. و قد بينا لذلك نظائر فيما مضى.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (٣): الآيات ١٣١ الى ١٣٢] ..... ص : ۵٨٨

اشارة

وَ اتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ (١٣١) وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢)

آيتان بلا خلاف.

المعنى: ..... ص : ۵٨٨

فان قيل: كيف قال «وَ اتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ» و عندكم يجوز أن يدخلها الفساق أيضاً. و عند المعتزلة كلهم يدخلها الفساق قطعاً. و هلا قال: أعدت للجميع؟ قلنا أما على ما نذهب إليه، ففائدة ذلك اعلامنا أنها أعدت للكافرين قطعاً. و ذلك غير حاصل فى الفساق، لأنا نجوز العفو عنهم. و من قال أعدت للفساق قال أضيفت إلى الكافرين، لأنهم أحق بها. و إن كان الجميع يستحقونها، لأن الكفر أعظم المعاصى فأعدت النار للكافرين. و يكون غيرهم من الفساق تبعاً لهم فى دخولها. فان قيل: فعلى هذا هل يجوز أن يقال: ان النار أعدت لغير الكافرين من الفاسقين؟ قلنا عن ذلك أجوبة:

أحدها- قال الحسن يجوز ذلك، لأنه من الخاص الذى معه دلالة على العام، كما قال: «يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ۵٨٩

بَعْدَ إِيمانِكُمْ»

«١» و ليس كل من دخل النار كفر بعد إيمانه. و مثله قوله: «كُلَّما أُلْقِيَ فِيها فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُها أَ لَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ» «٢» و ليس كل الكفار يقول ذلك. و منه قوله: «فَكُبْكِبُوا فِيها هُمْ وَ الْغاوُونَ وَ جُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ. قالُوا وَ هُمْ فِيها يَخْتَصِمُونَ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ» «٣» و ليس كل الكفار سووا الشياطين برب العالمين.

و الثاني- أنه لا يقال أعدت لغيرهم من الفاسقين، لأن اعدادها للكافرين من حيث كان عقابهم هو المعتمد و عقاب الآخرين له تبع، كما قال: «وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ» «۴» و لا خلاف أنه يدخلها الأطفال و المجانين إلا أنهم تبع للمتقين، لأنه لولاهم لم يدخلوها. و لا يقال: إن الجنة أعدت لغير المتقين.

الثالث- أن تكون هذه النار ناراً مخصوصة فيها الكفار خاصة دون الفساق و ان كان هناك نار أخرى يدخلها الفساق، كما قال: «لا يَصْلاها إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِى كَذَّبَ وَ تَوَلَّى» «۵» و كما قال: «إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِى الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ» «۶» و هذا قول أبى على. و استدل البلخى بهذه الآية على أن الربا كبيرة، لأن تقديره «وَ اتَّقُوا النَّارَ الَّتِى أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ» أن يأكلوا الربا، فيستحقونها. و الإجماع حاصل على أن الربا كبيرة، فلا يحتاج إلى هذا التأويل، لأن الآية يمكن أن يقول قائل: إنها بمعنى الزجر و التحذير عن الكفر، فقط و قوله: «أعدت» فالاعداد هو تقديم عمل الشيء لغيره مما هو متأخر عنه و قد قدم فعل النار ليصلاها الكفار. و الاعداد و الإيجاد و التهيئة و التقدمة متقاربة المعنى و قوله: «وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ»: أمر بالطاعة للّه و رسوله. و الوجه فى الأمر بالطاعة للّه و رسوله مع أن العقل دال عليه يحتمل أمرين:

أحدهما- أن يكون ذلك تأكيداً لما فى العقل، كما وردت نظائره، كقوله:

---

(١) سورة آل عمران آية: ١٠۶.

(٢) سورة الملك آية: ٨.

(٣) سورة الشعراء آية: ٩۴- ٩٨

(۴) سورة آل عمران آية: ١٣٣.

(۵) سورة الليل آية: ١۵- ١۶.

(۶) سورة النساء آية: ١۴۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ۵٩٠

«لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» «١» «و لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ» «٢» و غير ذلك.

و الثاني- لاتصاله بأمر الربا الذى لا تجب الطاعة فيه إلا بالسمع، لأنه ليس مما يجب تحريمه عقلا كما يجب تحريم الظلم بالعقل، فان قيل: إذا كانت طاعة الرسول طاعة اللّه فما وجه التكرار؟ قلنا عنه جوابان:

أحدهما- المقصود بها طاعة الرسول فيما دعا إليه مع القصد لطاعة اللّه تعالى.

الثاني- ليعلم أن من أطاعه فيما دعا إليه كمن أطاع اللّه، فيسارع إلى ذلك بأمر اللّه. و الطاعة موافقة الارادة الداعية إلى الفعل بطريق الرغبة، و الرهبة. و لذلك صح أن يجيب اللّه تعالى عبده، و ان لم يصح منه أن يطيعه، لأن الاجابة إنما هى موافقة الارادة مع القصد إلى موافقتها على حد ما وقعت من المريد. و قوله:

«لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» يحتمل أمرين:

أحدهما- لترحموا. و قد بينا لذلك نظائر.

و الثانى- ان معناه ينبغى للعباد أن يعملوا بطاعة اللّه على الرجاء للرحمة بدخول الجنة، لئلا يزلوا فيستحقوا الإحباط و العقوبة أو يوقعوها على وجه لا يستحق به الثواب، بل يستحق به العقاب. و فيها معنى الشك، لكنه للعباد دون اللّه تعالى.

النظم: ..... ص : ۵۹۰

و قيل فى وجه اتصال هذه الآية بما قبلها قولان:

أحدهما- لاتصال الأمر بالطاعة بالنهى عن أكل «الرِّبَوا أَضْعافاً مُضاعَفَةً» كأنه قال و أطيعوا اللّه فيما نهاكم عنه من أكل الربا، و غيره لتكونوا على سبيل الهدى.

الثاني- قال ابن إسحاق: انه معاتبة للذين عصوا رسول اللّه (ص)، بما أمرهم به يوم أحد: من لزوم مراكزهم، فخالفوا و اشتغلوا بالغنيمة

إلا

(١) سورة الشورى آية: ١١.

(٢) سورة الانعام آية: ١٠٣.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ۵۹۱

طائفة منهم قُتلوا. و كان ذلك سبب هزيمة أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (٣): آية ١٣٣] ..... ص : ۵۹۱

وَ سارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣)

آية.

قرأ نافع و ابن عامر «سارعوا» بلا- واو، و الباقون بالواو، و كذلك هى فى مصاحف أهل الشام بلا واو. و فى مصاحف أهل العراق بالواو، و المعنى واحد، و إنما الفرق بينهما استئناف الكلام إذا كان بلا واو، و وصلها بما تقدم إذا قرئ بواو، لأنه يكون عطفاً على ما تقدم. و فى هذه الآية الامر بالمبادرة إلى مغفرة اللّه باجتناب معصيته و إلى الجنة التى عرضها السماوات و الأرض بفعل طاعته.

و اختلفوا فى قوله «عَرْضُهَا السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ» فقال ابن عباس، و الحسن:

معناه عرضها كعرض السماوات السبع، و الأرضين السبع إذا ضم بعض ذلك إلى بعض، و اختاره الجبائى، و البلخى. و إنما ذكر العرض بالعظم دون الطول، لأنه يدل على أن الطول أعظم، و ليس كذلك لو ذكر الطول بدلا من العرض. و مثل الآية قوله: «ما خَلْقُكُمْ وَ لا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ واحِدَةٍ» «١» و معناه إلا كبعث نفس واحدة. و قال الشاعر:

كأن عذيرهم بجنوب سِلى نعام فاق فى بلد قفار «٢»

أى عذير نعام و قال آخر:

(١) سورة لقمان آية: ٢٨.

(٢) قائله شفيق بن جزء بن رياح الباهلى و قد نسبه بعضهم لاعشى باهلة. و نسب أيضاً للنابغة خطا. اللسان (فوق) (سلل)، و معجم البلدان (سلى)، و الكامل للمبرد ٣: ١٩۶.

و كان شفيق قد أغار على بنى ضبة بروضة سلى، و روضة ساجر فهزم أهلهما. و هما روضتان لعكل.

و ضبة و عدى و تيم و عكل حلفاء متجاورون فلما هزموا قال بهم شفيق أبيات منها هذا البيت.

و العذير: الحال المقاقات: صوت الطائر إذ كان مذعوراً و القفار: المكان الذى ليس به انس و كأنه بقول هزمناهم شر هزيمة و كانت حالهم مثل حال الطائر الذى فى أرض قفرة إذا أتاه الصياد

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ۵۹۲

حسبت بغام راحلنى عناقا و ما هى ويب غيرك بالعناق «١»

أى صوت عناق. و قال أبو مسلم: معناه ثمنها لو بيعت كثمن السماوات و الأرض لو بيعا. كما يقال عرضت هذا المتاع للبيع. و المراد بذلك عظم مقدارها، و جلالة قدرها، و انه لا يوازيها شىء و إن عظم، و هذا مليح غير أن فيه تعسفاً شديداً. فان قيل إذا كانت الجنة عرضها السماوات و الأرض فأين تكون النار؟! الجواب

أنه روى عن النبى (ص) أنه لما سئل عن ذلك، فقال: «سبحان الله إذا جاء النهار فأين الليل» و هذه معارضة فيها إسقاط المسألة، لأن

القادر على أن يذهب بالليل حيث شاء قادر على أن يذهب بالنهار حيث شاء.

و روى أنه سئل عن ذلك ابن عباس، و غيره من الصحابة، فان قيل فان الجنة فی السماء، كيف يكون لها هذا العرض؟ قيل له يزاد فيها يوم القيامة.

ذكره أبو بكر أحمد بن على على تسليم انها فی السماء و يجوز أن تكون الجنة مخلوقة فی غير السماوات و الأرض. و فی الناس من قال: ان الجنة و النار ما خلقتا بعد و إنما يخلقهما اللَّه على ما وصفه. و قال البلخی المراد بذلك وصفها بالسعة و العظم، كما يقول القائل فی دار واسعة هذه دنيا و غرضه بذلك وصفه لها بالكبر و قوله: «أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ» معنى المتقين المطيعين للَّه و رسوله لاجتنابهم المعاصی و فعلهم الطاعات.

و يجوز لاحتجازهم بالطاعة من العقوبة. و إنما أضيفت إلى المتقين، لأنهم المقصودون بها، و ان دخلها الأطفال، و المجانين، فعلى وجه التبع، و كذلك حكم الفساق لو عفى عنهم.

و فيمن تكلم فی أصول الفقه من استدل بقوله: «وَ سارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ» على أن الأمر يقتضی الفور دون التراخی، لأنه تعالى أمر بالمسارعة و المبادرة إلى مغفرة و ذلك يقتضی التعجيل. و من خالف فی تلك، قال: المسارعة إلى ما يقتضی

---

(۱) قائله ذو الخرق الطهوری أو الطهوی انظر الاختلاف فی اسمه فی المؤتلف و المختلف ۱۱۹، و خزانة الأدب ۱: ۲۰، ۲۱ و نوادر أبی زيد: ۱۱۶، و معانی القرآن للفراء ۱:

۶۱- ۶۲، و اللسان (ويب)، (عنق)، (عقا)، (بغم) و غيرها و هو من أبيات يقولها لذئب قد تبعه فی طريقه و العناق هی أنثى المعز. و البغام صوت الظبية أو الناقة و استعاره هنا للمعز [.....]

التبيان فی تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۹۳

الغفران واجبة و هی التوبة، و وجوبها على الفور. فمن أين أن جميع المأمورات كذلك.

قوله تعالى:[سورة آلعمران (۳): آية ۱۳۴] ..... ص : ۵۹۳

اشارة

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِی السَّرَّاءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ الْكاظِمِينَ الْغَيْظَ وَ الْعافِينَ عَنِ النَّاسِ وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (۱۳۴)

آية.

المعنى: ..... ص : ۵۹۳

«الذين» فی موضع الجر، لأنه صفة المتقين، فذكر اللّه صفاتهم التی تعلو بها درجاتهم منها: أنهم يتقون عذاب اللَّه بفعل طاعته، و الانتهاء عن معصيته.

و انهم ينفقون فی السراء، و الضراء و قد بينا فيما تقدم معنى الإنفاق. و قيل فی معنى السراء و الضراء. قولان:

أحدهما- قال ابن عباس فی اليسر، و العسر، فكأنه قال فی السراء بكثرة المال، و الضراء بقلته.

الثانی- فی حال السرور، و حال الاغتمام. أی لا يقطعهم شیء من ذلك عن إنفاقه فی وجوه البر، فيدخل فيه اليسر و العسر. و إنما خصا بالذكر فی التأويل الأول، لأن السرور بالمال يدعو إلى الظن به. كما يدعو ضيقه إلى التمسك به خوف الفقر، لانفاقه. و قوله تعالى: «وَ الْكاظِمِينَ الْغَيْظَ» أی المتجرعين له، فلا ينتقمون ممن يدخل عليهم الضرر بل يصبرون على ذلك، و يتجرعونه.

اللغة: ..... ص : ۵۹۳

و أصل الكظم شد رأس القربة عن ملئها. تقول: كظمت القربة إذا ملأتها ماء ثم شددت رأسها. و فلان كظيم و مكظوم إذا كان ممتلئاً حزناً. و منه قوله:
«وَ ابْيَضَّتْ عَيْناهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ» «۱» أى ممتلئ حزناً. و كذلك إذا

---

(۱) سورة يوسف آية: ۷۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۹۴

امتلأ غضباً لم ينتقم، و كظم البعير، و الناقة إذا لم تجر. و الكظامة القناة التى تجرى تحت الأرض، سميت بذلك، لامتلائها بالماء كامتلاء القربة المكظومة. و يقال:
أخذ بكظمه أى بمجرى نفسه، لأنه موضع الامتلاء بالنفس. و كظامة الميزان المسمار الذى يدور فيه اللسان، لأنه يشده و يعتمد عليه. و الفرق بين الغيظ، و الغضب أن الغضب ضد الرضا، و هو ارادة العقاب المستحق بالمعاصى، و لعنه. و ليس كذلك الغيظ، لأنه هيجان الطبع بكره ما يكون من المعاصى، و لذلك يقال غضب اللّه على الكفار، و لا يقال اغتاظ منهم.

المعنى: ..... ص : ۵۹۴

و روى عن النبى (ص) أنه قال: (ما من جرعة يتجرعها الرجل أو الإنسان أعظم أجراً من جرعة غيظ فى اللّه)
و فى الآية دلالة على جواز العفو عن المعاصى و إن لم يتب، لأنها دلت على الترغيب فى العفو من غير إيجاب له بإجماع المسلمين.
و قوله «وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» معناه يريد اثابتهم و تنعيمهم. و المحسن يحتمل أمرين:
أحدهما- من هو منعم على غيره على وجه عار من وجوه القبيح. و يحتمل أن يكون مشتقاً من الافعال الحسنة التى منها الإحسان إلى الغير، و غير ذلك من وجوه الطاعات و القربات.

قوله تعالى:[سورة آلعمران (۳): آية ۱۳۵] ..... ص : ۵۹۴

اشارة

وَ الَّذِينَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَ مَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَ لَمْ يُصِرُّوا عَلى ما فَعَلُوا وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (۱۳۵)
آية بلا خلاف.

الاعراب: ..... ص : ۵۹۴

قوله: «و الذين» يحتمل أن يكون موضعه جراً بالعطف على المتقين، التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۹۵
فيكون من صفتهم ما تضمنه على قول الحسن، و يحتمل أن يكون رفعاً على الاستئناف، و يكون عطف جملة على جملة، فيكون من صفة فرقة غير الأولى، و يجوز أن يرجع إلى الأولى فى الموضع على المدح.

المعنى: ..... ص : ۵۹۵

و قوله: «إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً» يحتمل أن يكون أراد غير الظلم، و لذلك عطف عليه بقوله: «أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ» حتى لا يكون تكراراً. و قال الرمانى: أراد بالفاحشة الكبيرة، و ب «ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ» الصغيرة. و قال مجاهد: هما ذنبان و أصل الفاحشة الفحش، و هو الخروج إلى عظم القبح فى العقل أو رأى العين فيه.

و كذلك قيل للطويل المفرط أنه الفاحش الطول، و أفحش فلان فى كلامه إذا أفصح بذكر الفحش. و قال جابر و السدى: الفاحشة هاهنا: الزنا أو ما جرى مجراه من الكبير. و قوله: «ذكروا الله» فى معناه قولان:

أحدهما- ذكروا وعيد اللَّه، فيكون من الذكر بعد النسيان. و المدح على أنهم تعرضوا للذكر.

و الآخر- انهم ذكروا اللَّه بأن قالوا: اللهم اغفر لنا ذنوبنا، فانا تبنا، نادمين عليها مقلعين عنها و قال ابن مسعود، و عطا ابن أبى رياح: كانت بنو إسرائيل إذا أذنب الواحد منهم ذنباً أصبح مكتوباً على بابه كفارة ذنبك اجدع اذنك اجدع انفك، فسهل اللَّه ذلك على هذه الأمة بأن جعل توبتها الاستغفار بدلا منه منة منه تعالى. و قوله: «وَ مَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ» الرفع محمول على المعنى. و تقديره: و هل يغفر الذنوب إلا اللَّه أو هل رئى أحد يغفر الذنوب إلا اللَّه.

فان قيل: كيف قال: «وَ مَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ» و قد يغفر بعضنا لبعض إساءته إليه؟ قلنا عنه جوابان:

أحدهما- أنه أراد بذلك غفران الكبائر العظام، لأن الاساءة من بعضنا لبعض صغيرة بالاضافة إلى ما يستحق من جهته. التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۹۶

و الثانى- أنه لا يغفر الذنب الذى يستحق عليه العقاب إلا اللَّه تعالى.

و قوله: «وَ لَمْ يُصِرُّوا عَلى ما فَعَلُوا» فالإصرار هو المقام على الذنب من غير إقلاع منه بالتوبة فى قول قتادة و قال الحسن: هو فعل الذنب من غير توبة و الأول أقوى، لأنه نقيض التوبة. و أصله الشد من الصرة و الصر شدة البرد، و الإصرار إنما هو ارتباط الذنب بالاقامة عليه. و ما قاله الحسن هو فى حكم الإصرار.

و قوله: «وَ هُمْ يَعْلَمُونَ» هاهنا يحتمل أمرين:

أحدهما- و هم يعلمون الخطيئة ذاكرين لها غير ساهين، و لا ناسين. قال الجبائى، و اللَّه عز و جل يغفر للعبد ما نسيه من ذنوبه، و ان لم يتب منه بعينه، كما يغفر له ما تاب منه، لأنه قد فعل فى حال النسيان جميع ما عليه.

و الثانى- و هم يعلمون الحجة فى أنها خطيئة. و أما من اجتهد فى الأحكام فأخطأ على مذهب من يقول بالاجتهاد، فلا اثم عليه، و كذلك من تزوج بذات محرم من الرضاع أو النسب و هو لا يعلم، أو غير ذلك، فلا إثم عليه بلا خلاف لأنه لم يعلم ذلك، فاقدم عليه، و لا يلزم على ذلك أن يكون الكافر معذوراً بكفره إذا لم يعلمه قبيحاً، لأن الكافر له طريق إلى العلم به، و كذلك نقول: إن من أسلم فى دار الحرب، و خرج فاستحل فى طريقه الخمر أو لحم الخنزير قبل أن يعلم تحريمهما من الشرع، فلا اثم عليه، لأنه فى تلك الحال لا طريق له إلى العلم بقبحه.

قوله تعالى:[سورة آلعمران (۳): آية ۱۳۶] ..... ص : ۵۹۶

أُولئِكَ جَزاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَ نِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ (۱۳۶)

آية واحدة.

قوله: «أولئك» اشارة إلى من تقدم وصفهم من المتقين الذين ينفقون فى السراء و الضراء، و يكظمون الغيظ، و يعفون عن الناس، «و إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ»، فقال هؤلاء: «لَهُمْ جَنَّاتٌ التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۹۷

تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها»

و قد مضی تفسیر ذلک أجمع فیما مضی ثم قال «وَ نِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِینَ» یعنی ما وصفه من الجنات و أنواع الثواب، و المغفرهٔ بستر الذنب حتی تصیر کأنها لم تعمل فی زوال العار بها و العقوبهٔ بها، و اللّه تعالی متفضل بذلک لأنا بینا أن إسقاط العذاب «۱» عند التوبهٔ تفضل منه تعالی، فأما استحقاق الثواب بالتوبهٔ فواجب عقلا لا محالهٔ، لأنه لو لم یکن مستحقاً لـذلک لقبح تکلیفه التوبهٔ لما فیها من المشقهٔ و الکلفهٔ.

قوله تعالی:[سورهٔ آلعمران (۳): آیهٔ ۱۳۷] ..... ص : ۵۹۷

اشارهٔ

قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِکُمْ سُنَنٌ فَسِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَانْظُروا کَیْفَ کانَ عاقِبَهُٔ الْمُکَذِّبِینَ (۱۳۷)

آیهٔ.

المعنی: ..... ص : ۵۹۷

معنی قوله: «قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِکُمْ سُنَنٌ» أی سنن من اللّه تعالی فی الأمم السالفهٔ إذ «۲» کذبوا رسله و جحدوا نبوتهم بالاستئصال، و الاجتیاح، کعاد، و ثمود، و قوم صالح، و قوم لوط الذین أهلکهم اللّه بأنواع العذاب من الاستئصال «۳» فبقیت «۴» لهم آثار فی الدیار فیها أعظم الاعتبار و الاتعاظ- علی قول الحسن، و ابن إسحاق- فأمر اللّه أن یسیروا فی الأرض، و یتعرفوا أخبارهم، و ما نزل بهم لیتعظوا بذلک، و ینتهوا عن مثل ما فعلوه. و قال الزجاج:

معناه «قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِکُمْ» أهل «سنن» فی الشر.

اللغهٔ و المعنی: ..... ص : ۵۹۷

و السنهٔ: الطریقهٔ المجعولهٔ لیقتدی بها، فمن ذلک سنهٔ رسول اللّه (ص).

---

(۱) فی المخطوطهٔ (أ): العقاب.

(۲) فی المطبوعهٔ و مخطوطهٔ (أ): (إذا).

(۳) فی المخطوطهٔ (أ) ساقط سطر من هذا الموضع

(۴) فی المطبوعهٔ (و بقیت).

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۵۹۸

و قال لبید:

من معشر سنت لهم آباؤهم و لکل قوم سنهٔ و إمامها «۱»

و قال سلیمان بن قتهٔ: «۲»

و إن الألی بالطف من آل هاشم تأسوا فسنوا للکرام التأسیا «۳»

سنهٔ اللّه عز و جل الإهلاک للأمم الضالهٔ بهذه المنزلهٔ. و أصل السنهٔ الاستمرار فی جههٔ. سن الماء سناً: إذا صبه حتی یفیض من الإناء.

و سنه بالمسن إذا أمره عليه لتحديده. و فلان مسنون الوجه أى مستطيله. و قوله: «مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ» قيل معناه متغير، لاستمرار الزمان به حتى تغير. و منه السن واحد الأسنان، لاستمرارها على منهاج. و السنان، لاستمرار الطعن به. و السنن استمرار الطريق.

و الخلو: الانفراد، فمنه الخلاء، لانفراد المكان. و منه التخلية لانفراد الشيء بها عن صاحبه. و منه الخلية من النوق التى خلا ولدها بذبح أو موت، لانفرادها عنه.

و الخلية من السفن التى تخلى تسير فى نفسها. و منه الخلا مقصور: الحشيش اختليته إذا قطعته، لانفراده بالقطع. و منه المخلاة. و من ذلك المخالاة المخادعة، لانفراد صاحبها بمن يخاليه يوهمه التخصص به، فمعنى «خلت» انفردت بالهلاك دون من بقي. و قوله: «فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ» فالعاقبة هو ما يؤدى إليها السبب المتقدم، و ليس كذلك الآخرة، لأنه قد كان يمكن أن تجعل هى الأولى فى العدة للمكذبين يريد به الجاحدين البعث، و النشور، و الثواب، و العقاب الدافعين لمن يخبر بذلك بالرد بالتكذيب، فجازاهم اللّه تعالى فى الدنيا بعذاب الاستئصال، و لهم فى الآخرة عظيم النكال.

---

(۱) البيت من معلقته الشهيرة البارعة يذكر بها قومه و فضلهم. يقول: هذه الصفات الحميدة- التى تقدم وصفها- هى سنة آبائهم ...

(۲) (قتة) أمه و هو مولى لتيم قريش، و هو من التابعين. و زعم بعضهم أنه (سليمان ابن ضبيب المحارمى) و هو خطأ.

(۳) تاريخ الطبرى ۷: ۱۸۴، و انساب الاشراف ۵: ۳۳۹ و أملى الشجرى ۱: ۱۳۱، و اللسان (أسى) و غيرها. و هذا البيت أنشده مصعب بن الزبير قبل مقتله.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۵۹۹

و قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۳۸] ..... ص : ۵۹۹

هذا بَيانٌ لِلنَّاسِ وَ هُدىً وَ مَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (۱۳۸)

آية اجماعاً.

قال الحسن و قتادة: قوله: «هذا» إشارة إلى القرآن، و وصفه بأنه بيان، لأنه دلالة للناس، و حجة لهم، و البيان هو الدلالة. و قال ابن إسحاق هو إشارة إلى ما تقدم ذكره فى قوله: «قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ ....» الآية أى هذا الذى عرفتكم بيان للناس، و هو اختيار البلخى، و الطبرى. و الفرق بين البيان، و الهدى- على ما قاله الرمانى- أن البيان إظهار المعنى للنفس كائنا ما كان. و الهدى: بيان لطريق الرشد، ليسلك دون طريق الغي. و الموعظة ما يلين القلب و يدعو إلى التمسك، بما فيه من الزجر عن القبيح، و الدعاء إلى الجميل. و قيل الموعظة: هو ما يدعو «۱» بالرغبة، و الرهبة إلى الحسنة بدلا من السيئة. و الهدى المذكور فى الآية يحتمل معنيين:

أحدهما- أن يكون عبارة عن اللطف الذى يدعو إلى فعل الطاعة بدلا من المعصية، لأنه بمنزلة الإرشاد.

و الآخر- الدلالة على طريق الرشد. و إنما أضيف إلى المتقين، و ان كان هدى لجميع المكلفين، لأنهم المنتفعون به دون غيرهم. و لا يجوز ان يقال: القرآن هدى و موعظة للفاجرين إلا بتفسير و بيان، لأن فى «۲» ذلك إيهاماً، لانتفاعهم به فان قيد بأنه دلالة لهم وداع لهم إلى فعل الطاعة، و ذكر ما يزيل الإيهام كان جائزاً. و ينبغى أن يتبع فى ذلك ما ورد به القرآن.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (۳): الآيات ۱۳۹ الى ۱۴۰] ..... ص : ۵۹۹

اشارة

وَ لا تَهِنُوا وَ لا تَحْزَنُوا وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (۱۳۹) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَ تِلْكَ الْأَيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ

النَّاسِ وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَداءَ وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (۱۴۰)

(۱) فى المخطوطة أ (بالموعظة ما يدعو) بإسقاط هو

(۲) فى المخطوطة (أ) لأن ذلك بإسقاط فى.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۶۰۰

آيتان.

القراءة، و اللغة: ..... ص : ۶۰۰

قرأ أهل الكوفة إلا حفصاً (قرح) بضم القاف. الباقون بفتحها. و الفرق بينهما أن القرح- بفتح القاف- الجراح، و القرح- بالضم- ألم الجراح على قول أكثر المفسرين. و قيل هما لغتان.

المعنى، و النزول: ..... ص : ۶۰۰

و قال ابن عباس، و الحسن، و الربيع: القرح ما أصاب المسلمين يوم أحد و أصاب المشركين يوم بدر. و قال الزهرى، و قتادة، و ابن أبى نجيح: هذه الآية نزلت تسلية للمسلمين لما نالهم يوم أحد من القتل، و الجراح، و كان سبب نزول الآية ما قدمنا ذكره من أن اللَّه تعالى أراد أن يرعب الكفار، فأمر المسلمين أن يتبعوا المشركين على ما بهم من الجراح، و الألم و حثهم على ذلك و نهاهم عن الوهن و الحزن، و وعدهم بأنهم الأعلون إن تمسكوا بالايمان، لأن المشركين كانوا هموا بالعود إلى المدينة، و الغارة فيها، فلما بلغهم عزيمة المسلمين على تتبعهم خافوهم.

و قال بعضهم لبعض يوشك أن يكون انضم إليهم من كان قعد عنهم، و أعانهم أحلافهم من بنى قريظة، و النضير فدسوا نعيم بن مسعود الأشجعى و بذلوا له عشر قلائص على أن يثبط المسلمين عن تتبعهم، و يقول: إنهم تجمعوا و انضم إليهم حلفاؤهم، و هم يريدونكم و لا طاقة لكم بهم، و أسرعوا المسير إلى مكة فأوحى اللَّه بذلك إلى النبى (ص) و أعلمه ما قالوا لنعيم، فلما قال لهم ما قال، قال المسلمون:

«حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ» و فيهم نزلت الآية «۱»

(۱) فى المخطوطة (أ) بزيادة: و هى قوله تعالى.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۶۰۱

(الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ) إلى قوله: «وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ» «۱» و ما بعده. و إنما قال: «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» مع أنهم كانوا مؤمنين للبيان عن ان الايمان يوجب تلك الحال، و تقديره إن من كان مؤمناً يجب عليه ألا يهن و لا يحزن، لثقته باللَّه.

و يحتمل أيضاً أن يكون معناه إن كنتم مصدقين بوعدى لكم بنصرتى إياكم حتى تستعلوا على عدوكم، و تظفروا بهم.

اللغة، و الاعراب، و المعنى: ..... ص : ۶۰۱

و الوهن الضعف، وهن يهن وهنا، فهو واهن: إذا ضعف. و أوهنه يوهنه ايهاناً. و توهن توهناً، و وهنه توهيناً. و الوهن: ساعة تمضى من الليل. و الواهن عرق مستبطن حبل العاتق إلى الكتف.

و قوله: «وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ» جملة فى موضع الحال، كأنه قال لا تحزنوا عالين أى منصورين على عدوكم، و يحتمل أن لا يكون لها موضع من الاعراب، لأنها اعتراض بوعد مؤكد، و تقديره «وَ لا تَهِنُوا وَ لا تَحْزَنُوا» «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» «و أنتم» مع ذلك «الأعلون».

و أصل الأعلون الأعلوون، فحذفت احدى الواوين استثقالا، و هى الاصلية و بقيت واو الجمع، لأنها لمعنى. فأما فى التثنية فتقول: أنتما الاعليان، فتقلب الواو ياء، و لا تحذفها، لأنه ليس هناك ضرورة.

و قوله: «ان يمسسكم» فالمس هو اللمس بعينه، و قيل الفرق بينهما أن اللمس لصوق باحساس و المس لصوق فقط «٢» و قال ابن عباس: معناه إن يصبكم «٣».

و قوله: «وَ تِلْكَ الْأَيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ» قال الحسن، و قتادة، و الربيع، و السدى، و ابن إسحاق: يصرفها مرة لفرقة، و مرة عليها، و الدولة: الكرة

---

(١) سورة آل عمران آية: ١٧٣.

(٢) فى المطبوعة الواو ساقطة.

(٣) فى المخطوطة أن التهكم. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٦٠٢

لفرقة بنيل المحبة. و أدال اللَّه فلاناً من فلان: إذا جعل الكرة له «١» عليه. و قال الحجاج: إن الأرض ستدال منا كما ادلنا منها، «و نداولها» إنما هو بتخفيف المحنة تارة و تشديدها أخرى بدليل «وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ» و لو كانت المداولة بالنصر لا محالة، للمؤمنين تارة و للكافرين تارة، لكان محبهم من حيث هو ناصر لهم، و العامل فى قوله، و ليعلم اللَّه يحتمل أمرين:

أحدهما- ان يكون محذوفاً يدل عليه أول الكلام، و تقديره و ليعلم اللَّه الذين آمنوا نداولها.

الثانى- أن يعمل فيه «نداولها» الذى فى اللفظ، و تقديره نداولها بين الناس لضروب من التدبير «وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا» و خبر ليعلم يحتمل أمرين:

أحدهما- أن يكون محذوفاً و تقديره «وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا» متميزين بالايمان من غيرهم، و لا يكون على هذا يعلم بمعنى يعرف، لأنه ليس المعنى على تعرف الذوات بل المعنى على أن يعلم تميزها بالايمان.

و الثانى- «وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا» بما يظهر من صبرهم على جهاد عدوهم أى يعاملهم معاملة من يريد أن يعرفهم اللَّه بهذه الحال. و قال أبو على: معناه و ليصبروا فعبر عن الصبر بالعلم. و قال البلخى «وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ» ايمانكم موجوداً أى تفعلونها، فيعلمه اللَّه كذلك. و معنى قوله: «وَ يَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَداءَ» فيه قولان:

أحدهما- قال الحسن، و قتادة، و ابن إسحاق، ليكرم بالشهادة من قتل يوم أحد.

الثانى- و يتخذ منكم شهداء على الناس بما يكون منهم من العصيان، لما لكم فيه من التعظيم، و التبجيل- هذا قول البلخى و الجبائى- و الأول أقوى لأنه فى ذكر القتل، فان قيل لم جعل اللَّه مداولة الأيام بين الناس، و هلا كانت ابداً لأولياء اللَّه دون أعدائه؟ قلنا ذلك تابع للمصلحة، و ما تقتضيه الحكمة أن يكونوا تارة فى

---

(١) فى المخطوطة (الحكم له).

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٦٠٣

شدة و تارة فى رخاء فيكون ذلك داعياً لهم إلى فعل الطاعة، و احتقار الدنيا الفانية المنتقلة من قوم إلى قوم حتى يصير الغنى فقيراً، و الفقير غنياً، و النبيه خاملا، و الخامل نبيهاً، فتقل حينئذ الرغبة فيها و الحرص على جمعها، و يقوى الحرص على غيرها مما نعيمه دائم، و

سروره غير منقطع. و قوله: «وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الظّالِمِينَ» «۱» معناه لا يريد منافعهم، و على مذهبنا ينبغى أن يكون ذلك مخصوصاً بالكفار، لأنهم إذا كانوا مؤمنين، فلهم ثواب. و اللَّه تعالى لا بد أن يريد فعل ذلك بهم و يحتمل أن يكون المراد بذلك «لا يُحِبُّ الظّالِمِينَ» إذا كانوا مؤمنين محبة خالصة لا يشوبها إرادة عقابهم، لأن ذلك يختص من لا عقاب عليه.

انتهى المجلد الثانی و یلیه المجلد الثالث و أوله:

(وَ لِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ...) (۱۴۱)

---

(۱) و قوله ساقطة من المطبوعة.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابِذة هذه المدينة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لَم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجی الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرّی الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فی المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التی يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، علی أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فی آكناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم – فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.


مركز القائمية اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹